

كتاب تفسير المدارك للنسفي

نسخ ٢٧

٢٨٢

٢٦٤

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

قد وقف هذه النسخة الجليلة السلطان الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان
الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع ونسخ
حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام المقدس بصفاته عن ادراك العقول
والافهام المتصف بالالوهية قبل كل موجود الباقى بنعت السرمدية بعد
كل محدود الملك الذى طمست سبحات جلاله الابصار المتكبر الذى زاحت
سطوات كبريائه الافكار القديم الذى تعالى عن مماثلة الحدثان العظيم الذى
تنزه عن مماسة المكان المتعالى عن مضاهات الاجسام ومشابهة الانام
القادر الذى لا يشار اليه بالتكييف القاهر الذى لا يسال عن التحديد والتكليف
العليم الذى خلق الانسان وعلمه البيان الحكيم الذى نزل القران شفاء
للارواح والابدان والصلوة والسلام على المستنزل من ذروة البلاغة
والبداعة المحتل فى بحبوحة النصاحة والفصاحة محمد المبعوث بالحنيفية
الداعى الى الحق وطريقته صلى الله عليه وسلم وعلى اله وشيعته وعلى الآخذين
بعهوده وشريعته قال مولانا الشيخ الامام المعظم والحبر الهمام المقدم
استاد اهل الارض محيى السنة والفرض كشاف حقايق اسرار التنزيل مفتاح
اسرار حقايق التاويل ترجمان كلام الرحمان صاحب علم المعانى والبيان
الجامع بين الاصول والفروع المرجوع اليه فى المعقول والمسموع حافظ
الملة والدين شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم الانبياء والمرسلين
اكمل فحول المجتهدين قدوة المحققين ذو السعادات والكرامات ابو البركات
عبد الله بن احمد بن محمود النسفى متع الله المسلمين بطول بقائه قد سالنى
من تتعين اجابته كتابا وسيطا فى التاويلات جامعا لوجوه الاعراب
والقراءات متضمنا لدقايق علم البديع والاشارات خاليا عن اباطيل
اهل البدعة والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت اقدم
فيه رجلا واوخر اخرى استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر
واخذا سبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوايق

كثيرة

كثيرة واتممته فى مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقايق التاويل
فهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير **سورة فاتحة
الكتاب** مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة
حين فرضت الصلوة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى
ام القران للحديث ولاشتمالها على المعانى التى فى القران وسورة الوافية
والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب كنز
من كنوز عرشى وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام
فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وسورة المثانى لانها تثنى فى كل صلوة
وسورة الصلوة لما تروى ولانها تكون واجبة فيها او فريضة وسورة
الحمد والاساس فانها اساس القران قال ابن عباس رضى الله عنه اذا
اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس وانها سبع ايات بالاتفاق
بسم الله الرحمن الرحيم قرا المدينة والبصرة والشام على ان التسمية
ليس باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل
والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابى حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا
لا يجهر عندهم فى الصلوة وقرا مكة والكوفة على انها اية من الفاتحة
ومن كل سورة وعليه الشافعى واصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها وقالوا
قد اثبتها السلف فى المصحف مع الامر بتجريد القران وعن ابن عباس رضى الله
عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله ولنا حديث
ابى هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه السلام يقول قال الله تعالى
قسمت الصلوة اى الفاتحة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل
فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال
الرحمن الرحيم قال الله اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى
عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى
ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى
ما سأل فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة
واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور فى صحاح

المصابيح ومما ذكروا لا يضرنا لان التسمية آية من القرآن انزلت للفصل
بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يدل علينا ان لو لم
يجعلها آية من القرآن وتمام تقريره في الكافي وتعلقت الباء بمحذوف
تقديره بسم الله اقرأ واتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر
اذا حل وارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل
وبسم الله ارتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في قوله ببسم الله كان مضمرا
ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر المحذوف متأخرا لان الاهم من الفعل
والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون
بسم اللات بسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص
اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل وانما قدم
الفعل في اقرأ باسم ربك لانها اول سورة نزلت في قول فكان
الامر بالقراءة اهم فكان تقديم الفعل اوقع ويجوز ان يحمل اقرأ
افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير معدى
الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده وباسم الله
يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن
على معنى متبركا باسم الله اقرأ وفيه تعليم عباده كيف يتبركون
باسمه كيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسر لانها تلازم الحرفية
والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم الباء على الكسر لانها
من الاسماء التي يبتدأ اوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما
فاذا نطقوا بهما مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء بالساكن
واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها
فاستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وهو من الاسماء المحذوفة
الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي
وسميت واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لان التسمية تنويه
بالمسمى واشادة بذكره وحذفت الالف في الخط هنا واثبتت
في قوله اقرأ باسم ربك لانه اجتمع فيها مع انها تسقط في اللفظ
كثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا من حذفها وقال عمر بن

عبد العزيز لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله
الاله ونظيره الناس اصله الاناس فحذفت الهمزة وعوض منها حرف
التعريف وانه من اسماء الاجناس يقع على كل معبود بالحق او باطل ثم غلب
على المعبود بالحق كما ان النجم اسم لكوكب ثم غلب على الثريا واما الله
بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة
لانك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول
اله واحد صمد ولان صفاته تعالى لا بد لها موصوف تجري عليه فلو جعلتها
كلها صفات لبقيت غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز ولا اشتقاق
لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن بن الفضل وقيل معنى
الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم
وصيغة قولهم اله اذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام
تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا
الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قولهم اله يأله الاهة اذا عبد
فهو مصدر بمعنى مألوه اي معبود كقوله هذا خلق الله اي مخلوقه
وتفخم لامه اذا كان قبلها فتحة او ضمة وترقق اذا كان قبلها كسرة
ومنهم من يرققها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الاول والرحمن
فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو
الممتلي غضبا وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض وفي الرحمن من المبالغة
ما ليس في الرحيم لان في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين وزيادة
اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن
ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به
غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وان كان ابلغ والقياس الترقي
من الادنى الى الاعلى يقال فلان عالم نحرير لانه كالعلم لما لا يوصف به غير الله ورحمة الله
انعامه على عباده واصلها العطف واما قول الشاعر في مسيلمة وانت غيث
الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم ورحمن غير منصرف عند من
زعم ان الشرط انتفاء فعلانة اذ ليس له فعلانة ومن زعم ان الشرط وجود فعلى
صرفه اذ ليس له فعلى والاول الوجه الحمد الوصف بالجميل على التفضيل وهو نوع

بالابتداء واصله النصب وقد قرئ به باضمار فعله على انه من المصادر المنصوبة
بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا والعدول عن النصب الى الرفع
للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر لله واللام يتعلق بمحذوف
اى واجب او ثابت وقيل الحمد المدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل
من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته وحسبه
واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال
افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا ه والحمد باللسان
وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد راس الشكر ما شكر الله
عبد لم يحمده وجعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان اشيع لها
من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال
ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من اوصاف
الكمال لكونه باقيا قادرا عالما ابديا ازليا والشكر ثناء على ما هو منه
من اوصاف الافضال والحمد يشملهما والالف واللام فيه للاستغراق عندنا
خلافا للمعتزلة ولذا قرن باسم الله لانه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال
وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد حققته في مواضع **رب العالمين**
الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب
الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله
وهو في العبد مع التقييد اذ تدربي ارجع الى ربك وقال الواسطي هو الخالق
ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء وهو اسم الله الاعظم والعالم كل
ما علم به الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض او كل موجود سوى الله
سمي به لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والنون مع انه يختص بصفات
العقلاء او ما في حكمها من الاعلام لما فيه من معنى الوصفية وهي
الدلالة على معنى العلم **الرحمن الرحيم** ذكرهما دليل على ان التسمية ليست
من الفاتحة اذ لو كانت منها لما اعادهما لخلو الاعادة عن الافادة
مالك عاصم وعلي ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه
عن الاضافة ولقوله لمن الملك اليوم ولان كل ملك مالك وليس كل مالك

ملكا ولان امر الملك ينفذ على المالك دون عكسه وقيل المالك اكثر ثوابا
لانه اكثر حرفا وقرأ ابو حنيفة والحسن رضي الله عنهما ملك **يوم الدين** اى
يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى وهذه اضافة اسم
الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار
اى مالك الامر كله في يوم الدين والتخصيص بيوم الدين لان الامر فيه لله وحده
وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع ان اضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية
لانه اريد به الاستمرار فكانت الاضافة حقيقية فساغ ان يكون صفة
للمعرفة وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا
اى مالكا للعالمين ومنعما بالنعم كلها ومالكا للامر كله يوم الثواب والعقاب
بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت
هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه **اياك نعبد واياك**
نستعين ايا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر والكاف حرف خطاب عند سيبويه
ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضمر اضيف ايا اليه لانه يشبه
المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم
وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهي اقصى
غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة وعدل عن الغيبة الى
الخطاب للالتفات وهو من الغيبة ومن الخطاب الى الغيبة الى التكلم
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقوله تعالى
الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرء القيس
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي
الاسود فالتفت في الابيات الثلثة حيث لم يقل ليلي وبت ولي
والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى
اسلوب ادخل في القبول عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملا
باستدرار اصغائه وقد يختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح
الا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ما هم ومما اختص به هذا
الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء واجرى عليه تلك الصفات

العظام بتعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة
في المهمات خوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من
هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك وقدمت العبادة على الاستعانة لان
تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة اقرب الى الاجابة او لنظم الآي كما قدم
الرحمن وان كان الابلغ لا يتقدم واطلقت الاستعانة ليتناول كل
مستعان فيه ويجوز ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة
ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا
اهدنا الصراط المستقيم اى ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم
حتى اعود اليك اى اثبت على ما انت عليه او اهدنا في الاستقبال كما
هديتنا في الحال وهدى يتعدى الى مفعول بنفسه فاما تعديته الى
مفعول آخر فقد جاء متعديا اليه بنفسه كهذه الآية وقد جاء متعديا
باللام وبالى كقوله تعالى هدانا لهذا وقوله هداني ربي الى صراط مستقيم
والسراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسرط السابلة
اذا سلكوه والصراط من قلب السين صادا لتجانس الطاء في الاطباق ولان
الصاد والضاد والطاء والظاء حروف الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاء
الى الطاء اقرب لانهما مجهورتان وهي قراءة حمزة والسين قراءة ابن كثير في كل
القرآن وهو الاصل في الكلمة والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش وهي
الثابتة في الامام ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق
وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم
وهو في حكم تكرير العامل وفائدته والاشعار بان الصراط المستقيم
تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة الصراط المسلمين بالاستقامة
على ابلغ وجه واكده وهم المؤمنون او الانبياء عليهم السلام او قوم موسى
قبل ان يغيروا غير المغضوب عليهم والضالين بدل من الذين انعمت عليهم
يعني ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة
للذين يعني انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من غضب الله والضلال وانما ساغ وقوعه صفة للذين وهو
معرفة وغير لا يتعرف بالاضافة لانه اذا وقع غير بين متضادين وكانا

معرفتين تعرف بالاضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون والمنعم عليه والمغضوب
عليه متضادان ولان الذين قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم باعيانهم
وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بالاضافة وكل
واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها
النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله ارادة
الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك
اذا غضب على من تحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله
وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل ولا زائدة عند
البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير آمين صوت سمي به الفعل الذي
هو استجب كما ان رويد اسم لامهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله
عليه السلام عن معنى آمين فقال افعل وهو مبني وفيه لغتان مد الفه وقصرها
وهو الاصل والمد باشباع الهمزة قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين
فزاد الله ما بيننا بعدا وقال السلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة
فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت
في المصاحف سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست او سبع وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الم ونظائرها اسماء مسمياتها الحروف
المبسوطة التي منها ركبت الكلم فالالف تدل على اوسط حروف قال واللام
يدل على الحرف الاخير منه وكذلك ما اشبههما والدليل على انها اسماء ان كلا
منها تدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير
والجمع والتصغير وهي معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء
حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه وقيل مبنية لانها كالاصوات
نحو غاق في حكاية صوت الغراب ثم الجمهور على انها اسماء السور وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اقسم الله بهذه الحروف وقال ابن مسعود انها اسم الله الاعظم
وقيل انها من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وما سميت معجمة لاعجامها وابهامها
وقيل ورود هذه الاسماء على نمط التعديد كالايقاظ لمن تحدى بالقرآن
وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم
من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم يتساقط

مقدورتهم دونه لم يظهر عجزهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة
وهم امراء الكلام الا ليس من كلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول
من الحذاقة بالقبول بمنزل وقيل انما وردت السور مصدرة بذلك ليكون اول
ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك
ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم
واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه مختص بمن خط وقرأ وخالط اهل
الكتابة الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط
والتلاوة فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله
حكم الاقاصيص المذكورة في القران التي لم تكن قريش ومن يضاهيهم في شيء
من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي شاهد بصحة نبوته
واعلم ان المذكور في الفواتح نصف اسامي حروف المعجم وهي الالف واللام والميم
والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء
والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتملة
على انصاف اجناس الحروف فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء
والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين
والطاء والقاف والراء والنون ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد
والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء
ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين
والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد
والطاء ومن المستخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف
والطاء وغير المذكورة من هذه الاجناس مكثورة بالمذكور منها وقد علمت ان المعظم
الشيء ينزل منزلة كله فكان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب
كلامهم اشارة الى ما ذكر من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم وانما جاءت مفرقة
على السور لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير اوصل الى الغرض
وكذا كل تكرير ورد في القران فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره
ولم يجئ على وتيرة واحدة بل اختلف اعدادها فمنها مثل ص وق ون

وطه

وطه وطس ويس وحم والم والر وطسم والمص والمر وكهيعص وحم عسق
فوردت على حرف وحرفين وثلاثة واربعة الى خمسة احرف كعادة افتنانهم
في الكلام وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف فسلك
في الفواتح هذا المسلك والم اية وقعت وكذا المص اية والمر لم تعد اية
وكذا الر لم تعد اية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس
ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية وص وق ونون
ثلثتها لم تعد اية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها اية
وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام
اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم يجعل اسماء للسور
ونعق بها كما ينعق بالاصوات وجعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف
كقوله الم الله اي هذه الم ثم ابتداء فقال الله لا اله الا هو ولهذه
الفواتح محل من الاعراب فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء
الاعلام وهو الرفع على الابتداء او النصب والجر لصحة القسم بها
وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور
ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتداة وللمفردات المعدودة
ذلك الكتاب اي ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى
عليهما السلام او ذلك اشارة الى الم وانما ذكر اسم الاشارة والمشار
اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبره كان ذلك في معناه
ومسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير وان كان صفته فالاشارة به
الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة
له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا ووجه تاليف ذلك
الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ
ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو
الكتاب الكامل لان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول هو الرجل
اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال
وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم وذلك الكتاب جملة اخرى
وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك

الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل لا ريب لا شك وهو مصدر ربني اذا حصل فيك
الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام دع ما يريبك
الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا
فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن
ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وانما نفي
الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لان المنفي كونه متعلقا للريب
ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب
ان يقع فيه لا ان احدا لا يرتاب وانما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها
غول لان المراد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق
لا باطل كما يزعم الكفار ولو اولي الظرف لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه
ريب لا فيه كما في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها
لا تغتال العقول كما تغتالها هي والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما
وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا والتقدير لا ريب فيه فيه هدى
فيه باشباع كل هاء كابن مكي وافقه حفص في فيه مهانا وهو الاصل كقولك
مررت بهو ومن عندهو وفي دارهو فكما لا يقال في داره ومن عنده وجبان لا يقال
فيه وقال سيبويه ما قاله مود الى الجمع بين ثلاثة احرف سواكن الياء قبل الهاء
والهاء اذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والخفي قريب
من الساكن والياء بعدها والهدى مصدر على فعل كالبكى وهو الدلالة الموصلة
الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وانما قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون لانه كقولك للعزيز
المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته
كقوله اهدنا الصراط المستقيم ولانه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى
متقين كقوله عليه السلم من قتل قتيلا فله سلبه وكقول ابن عباس رضي الله عنهما
اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلا
ومريضا ولم يقل هدى للضالين لانهم فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة
وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب فلو جيء بالعبارة
المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام

وقيل

وقيل هدى للمتقين مع انه فيه تصديرا للسورة التي هي اولى الزهراوين
وسنام القران بذكر اولياء الله في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه
فاتقى ففاؤها واو ولامها ياء فاذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء
وادغمتها في التاء الاخرى فقلت اتقى والوقاية فرط الصيانة وفي
الشريعة من يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك
ومنه فرس واق اذا الحادثها بالمشي من وجع يجده في حافره ومحل هدى
الرفع لانه خبر مبتداء محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او النصب
على الحال من الهاء في فيه والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال
ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة
وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير
حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية
متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك
انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال وكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي عنه ان يتشبث به لانه به
طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين
ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لعالم فيم لذتك قال في حجة
تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين
فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق
ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز
الى المطلوب بالطف وجه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة
ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي
هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد كانه نفسه هداية وايراده منكرا
فيه اشعار بانه هدى لا يكتنه كنهه والايجاز في ذكر المتقين كما مر الذين
في موضع رفع او نصب على المدح اي هم الذين يؤمنون او اعني الذين يؤمنون
او هو مبتداء وخبره اولئك على هدى او جر على انه صفة للمتقين وهي صفة

واردة بيانا وكشفا للمتقين كقولك زيد الفقيه المحقق لاشتمالها على ما أسست
عليه حال المتقين من الايمان الذى هو اساس الحسنات والصلوة والصدقة
فهما امّا العبادات البدنية والمالية والعيار على غيرهما الا ترى ان النبى
عليه السلام سمى الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر
ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام فكان من شانهما استتباع ساير
العبادات ولذا اختصر الكلام بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو
كالعنوان لها مع ما فى ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين او صفة
مسرودة مع المتقين تفيد غير فايدتها كقولك زيد الفقيه المتكلم الطبيب
ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات **يؤمنون** يصدقون وهو
افعال من الامن وقولهم آمنه اى صدقه وحقيقته آمنه التكذيب
والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى اقرّ واعترف **بالغيب**
بما غاب عنهم فما انباءهم به النبى عليه السلام من امر البعث والنشور والحساب
وغير ذلك فهو بمعنى الغايب تسمية بالمصدر من قولك غاب الشئ غيبا هذا
ان جعلته صلة للايمان وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء اى يؤمنون
غايبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب والايمان الصحيح ان يقرّ
باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل فى الايمان **ويقيمون الصلوة**
اى يؤدونها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر
عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها او اريد
باقامة الصلوة تعديل اركانها من اقام العود اذا قوّمه او الدوام عليها
والمحافظة من قامت السوق اذا نفقت لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ
النافق الذى تتوجه اليه الرغبات واذا ضيعت كانت كالشئ الكاسد
الذى لا يرغب فيه والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو
على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعل ذلك فى ركوعه
وسجوده وقيل للداعى مصل تشبيها فى تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم**
اعطيناهم وما بمعنى الذى **ينفقون** يتصدقون ادخل من التبعيضية صيانة لهم
عن التبذير المنهى عنه وقدم المفعول دلالة على كونه اهم والمراد به الزكوة
لاقترانه بالصلوة التى هى اختها او هى وغيرها من النفقات فى سبل الخير لمجيئه

مطلقا

مطلقا وانفق الشئ وانفده اخوان كنفق الشئ ونفد وكل ما جاء مما فاؤه
نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الاية على ان الاعمال
ليست من الايمان حيث عطف الصلوة والزكوة على الايمان والعطف يقتضى
المغايرة **والذين يؤمنون** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه
من الذين امنوا بكل وحى انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه
ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار
لن تمسهم الا اياما معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون
بالغيب دخلوا فى جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكانه
قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك او المراد به وصف
الاولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات فى قولك هو الشجاع
والجواد وقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم
والمعنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **بما انزل اليك** يعنى القرآن
والمراد جميع القرآن لا القدر الذى سبق انزاله وقت ايمانهم اذ الايمان
بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل
كان كله قد نزل **وما انزل من قبلك** يعنى سائر الكتب المنزلة على النبيين
وبالاخرة هى تانيث الاخر الذى هو ضد الاول وهى صفة الموصوف
المحذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الاخرة وهى من الصفات الغالبة
وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على
اللام **هم يوقنون** الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه
اولئك على هدى الجملة فى محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ
والا فلا محل لها ويجوز ان يجرى الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثانى
على الابتداء واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا
باهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله وهم ظانون انهم على الهدى
وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء فى على هدى مثل
لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى
الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم

جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم
اي اوتوه من عنده ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كانه قيل على اي هدى
ونحوه لقد وقعت على لحم لبي على لحم عظيم واولئك هم المفلحون اي الظافرون
بما طلبوا والناجون عما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية
كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح
وكذا اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعاطف هنا بخلاف
قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين
المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهايم ثم فكانت الثانية
مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان
الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند
اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك فانظر كيف
كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق
شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكرره وفيه تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة
بالهدى ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحين ففيه دلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب
من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت
بتوبته وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك
في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زيّنا بلباس التقوى
واحشرنا في زمرة من صدّرت بذكرهم سورة البقرة لما قدم ذكر
اوليائه بصفاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم قفى على اثره
بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله
ان الذين كفروا الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال على الستر ولذا سمي
الزارع كافرا وكذا الليل ولم يات بالعاطف هنا كما في قوله ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لان الجملة الاولى هنا سيقت لذكر الكتاب
بيانا لا خبرا عن المؤمنين وسيقت الثانية للاخبار عن الكفار فبين
الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه ولئن كان مبتدأ
على تقدير فهو كالجاد بحله والمراد بالذين كفروا ناس باعيانهم علم الله انهم

لا يؤمنون

لا يؤمنون كابي جهل وابي لهب واضرابهما سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله
تعالى الى كلمة سواء اي مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه
او يكون سواء خبرا مقدما وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء اي
اي سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل
مع انه خبر ابدا لانه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى
والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام
راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء
قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام
ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء والانذار التخويف
من عقاب الله بالزجر عن المعاصي لا يؤمنون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبر لان
والجملة قبلها اعتراض او خبر بعد خبر والحكمة في الانذار مع العلم بالاصرار
اقامة الحجة وليكون الارسال عاما وليثاب الرسول ختم الله على قلوبهم
قال الزجاج الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه
تغطية له لئلا يطلع عليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما طبع الله على قلوبهم
فلا يعقلون الخير يعني ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها
من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وحاصل الختم والطبع خلق
الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة
في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار
فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى
مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر الا انه تعالى لما كان هو الذي اقدره
ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب فقال بنى الامير
المدينة لان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به
والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل
حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء مجازا لمضاهاتها الفاعل في
ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه

وهذا فرع مسئلة خلق الافعال **وَعَلَى سَمْعِهِمْ** وحد السمع كما وحد البطن
في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفّوا لامن اللبس ولان السمع كما وحد البطن
مصدر في اصله يقال سمعت الشيء سمعا وسماعا والمصدر لا الجمع لانه
اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التثنية والجمع فلمح
الاصل وقيل المضاف محذوف اي وعلى مواضع سمعهم وقرئ على اسماعهم
وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ بالرفع خبر ومبتداء والبصر نور العين وهو ما يبصر
الرائي كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران
لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار والغشاوة
الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة والقلادة والاسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم
ونصب المفضل وحده غشاوة باضمار جعل وتكرير الجار في قوله وعلى سمعهم
دليل على شدة الختم في الموضعين قال الشيخ ابو منصور رحمه الله الكافر
لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى اثار الحدث
فيعلم ان لا بد له من صانع جعل كان على بصره وسمعه غشاوة وان لم يكن
ذلك حقيقة وهذا دليل على ان الاسماع عنده داخلة في حكم التغشية
والاية حجة لنا على المعتزلة في الاصلح فانه اخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك
ان ترك الختم اصلح لهم **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** العذاب مثل النكال بناء
ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه
والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير
فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث
والاحداث جميعا يقول رجل عظيم وكبير يريد جثته او خطره ومعنى
التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو
غطاء التعامي عن ايات الله ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم
من العذاب لا يعلم كنهه الا الله **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ** افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه
قلوبهم السنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا والسنة ثم ثلث بالمنافقين

الذين

الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم اخبث الكفرة لانهم خلطوا بالكفر
استهزاء وخداعا ولذا انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وقال مجاهد اربع ايات من اول السورة في نعت المؤمنين واثنان في ذكر الكافرين
وثلث عشرة اية في المنافقين نعى عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم واستجهلهم
واستهزاءهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا
وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة
الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا
وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان
واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن
لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول فانك تقول وزن قه
افعل وليس معك الا العين وهو من اسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن
موصوفة ويقول صفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا فانما خصوا الايمان
بالله وباليوم الاخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع
لتاخره عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانهم او هموا في هذا المقال انهم احاطوا
بجانبي الايمان اوله واخره وهذا لان حاصل المسايل الاعتقادية يرجع الى
مسايل المبداء وهي العلم بالصانع وصفاته واسمائه ومسايل المعاد وهي
العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان والى سائر احوال الاخرة
وفي تكرير الباء اشارة الى انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة
والاستحكام وانما طابق قوله وما هم **وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** وهو في ذكر شان الفاعل
لا الفعل قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وهو في ذكر شان الفعل لا الفاعل لان
المراد انكار ما ادعوه ونفيه على ابلغ وجه واكده وهو اخراج ذواتهم من ان يكون
طايفة من المؤمنين ونحوه قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها فهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها واطلق الايمان في الثاني بعد تقييده
في الاول لانه يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ويحتمل ان يراد
نفي اصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور اولا والاية تنفي قول الكرامية ان الايمان
هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفى عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار منهم

وتؤيد قول اهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء
في خبر ما موكدة للنفي لانه يستدل بها السامع على الجحد اذا غفل عن اول الكلام
ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظرا الى معناه يخادعون الله
اى رسول الله فحذف المضاف كقوله واسال القرية كذا قال ابو علي وغيره اى
يظهرون غير ما في نفوسهم فالخداع اظهار غير ما في النفس فقد رفع منزلة النبي
عليه السلام حيث جعل خداعه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يد الله فوق ايديهم وقيل معناه يخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله
ممن يصح خداعه وهذا المثال يقع كثيرا لغير اثنين نحو قولك عاقبت اللص وقد قرئ
يخدعون الله وهو بيان ليقولا ومستانف كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين
وما منفعتهم في ذلك فقيل يخادعون ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة
التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء احكام المؤمنين عليهم ونيلهم
من الغنايم وغير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على بمؤمنين لانه لو وصل
نصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصف كقولك ما هو برجل
كاذب والمراد نفي الايمان عنهم واثبات الخداع لهم ومن جعل يخادعون حالا
من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول امنا مخادعين او حالا
من الضمير في بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين
في حال خداعهم لا يقف والاول الوجه والذين امنوا اى يخادعون رسول الله
والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر وما يخدعون الا انفسهم اى وبال ما يعملون
تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين لا لانفسهم لان ضررها يلحقهم حاصل
خداعهم وهو العذاب في الاخرة يرجع اليهم وكانهم خدعوا انفسهم وما يخادعون
ابو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعذر الاولين ان خدع وخادع هنا بمعنى واحد
والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للقلب والروح النفس لان النفس بهما وللدم نفس
لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى
بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم وما يشعرون ان حاصل
خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار وهو ثوب يلي الجسد
ومشاعر الانسان حواسه لانها آلات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم
كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض اى شك او نفاق

لان الشك

لان الشك تردد بين الامرين والمنافق متردد وفي الحديث مثل المنافق كمثل
الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحيوة والموت ولان
المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك
والنفاق فساد في القلب فزادهم الله مرضا اى ضعفا عن الانتصار وعجزا
عن الاقتدار وقيل المراد به خلق النفاق في حالة البقاء لخلق امثاله كما عرف
في زيادة الايمان ولهم عذاب اليم فعيل بمعنى مفعل يعني مولم بما كانوا يكذبون
كوفي اى بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر لفظ فما مع الفعل بمعنى المصدر
والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم اى بتكذيبهم النبي
فيما جاء به وقيل هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما
بان الشيء وبين واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول
آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض لكان صحيحا
والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به وضده الصلاح
وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحرب
والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال
الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين في
الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم
اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم قالوا انما نحن
مصلحون بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعني ان صفة المصلحين خلصت لنا
وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه وجوه الفساد لان انما لقصر الحكم
على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما ينطلق زيد وانما زيد كاتب وما كافة
لانها تكفها عن العمل الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون انهم مفسدون
فحذف المفعول للعلم به الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي
لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي
افاد تحقيقا كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق
لا يقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم قد رد الله ما ادعوه
من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة
فيه من جهة الاستيناف وما في الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط

الفضل وقوله لا يشعرون **وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ اٰمِنُوا كَمَا اٰمَنَ النَّاسُ قَالُوا اَنُؤْمِنُ كَمَا اٰمَنَ السُّفَهَاۤءُ** نصحوهم من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد وثانيهما تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوى الاحلام وكان من جوابهم ان سفهوهم لتمادى جهلهم وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة واتما صح اسناد قيل الى لا تفسدوا وامنوا مع ان اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والممتنع اسناد الفعل الى معنى الفعل فكانه قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب وما فى كما كافة كما فى ربما او مصدرية كما فى بما رحبت واللام فى الناس للعهد اى كما امن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه اى كما امن اصحابكم ولاخوانكم او للجنس اى كما امن الكاملون فى الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم والكاف فى كما موضع النصب لانه صفة مصدر محذوف اى ايمانا مثل ايمان الناس ومثله كما امن السفهاء والاستفهام فى انؤمن للانكار واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهوهم وهم العقلاء والمراجيح لانهم لجهلهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **اَلَاۤ اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاۤءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** انهم هم السفهاء وانما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له ولان الايمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة اما الفساد فى الارض فامر مبنى على العادات فهو كالمحسوس والسفهاء خبران وهم فصل والسفهاء خبرهم والجملة خبرهم والجملة خبر ان **وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا قَالُوۤا اٰمَنَّا** وقرا ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا يقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه الاية الاولى فى بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايمائهم انهم معهم **وَاِذَا خَلَوْا اِلٰى شَيٰطِينِهِمْ** خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه وبالى ابلغ لان فيه دلالة الابتداء والانتهاء وجاز ان يكون من خلا

بمعنى

بمعنى مضى **وَشَيٰطِينِهِمْ** الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وهم اليهود وعن سيبويه ان نون الشيطان اصلية بدليل قولهم تشيطن وعنه انه زائد واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير او من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل **قَالُوۤا اِنَّا مَعَكُمْ** انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم فى خطابهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الايمان منهم لا فى ادعاء انهم اوحديون فى الايمان اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار واما خطابهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وكان متقبلا منهم رائجا عنهم وكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وقوله **اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ** توكيد لقوله انا معكم لان معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشئ المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشئ تاكيد لثباته او استيناف كانهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم انا معكم ان كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزء يهزء مات على المكان **اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** اى يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء سيئة واعتداء وهذا لان الاستهزاء على الله تعالى لا يجوز من حيث الحقيقة لانه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستيناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف فى غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزائهم لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون **وَيَمُدُّهُمْ** يمهلهم عن الزجاج **فِى طُغْيَانِهِمْ** فى غلوهم فى كفرهم **يَعْمَهُونَ** حال اى يتحيرون ويترددون وهذه الاية حجة على المعتزلة

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه [illegible] نسخه

في مسئلة الاصلح اولئك مبتدأ خبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى
اى استبدلوها به واختاروها عليه وانما قال اشتروا الضلالة
بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها في قوم آمنوا ثم كفروا او في اليهود
الذين كانوا مؤمنين بمحمد عليه السلام فلما جاءهم كفروا به او جعلوا
لتمكنهم منه كان الهدى قائما فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز
البيع تعاطيا لانهم لم يتلفظوا بلفظ الشرى ولكن تركوا الهدى بالضلالة
عن اختيار وسمى ذلك شراء فصار دليلا لنا على ان من اخذ شيئا من غيره
وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به والضلالة الجور
عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن
الصواب في الدين فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على رأس المال والتجارة
صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح واسناد الربح الى التجارة
من الاسناد المجازي ومعناه فما ربحوا في تجارتهم اذ التجارة لا تربح ولما وقع
شراء الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له
كقوله ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب
بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر والمعنى
ان مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوهما فرأس مالهم
الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة واذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة
الربح وان ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقال
لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة اولئك فما ربحت تجارتهم
الى آخر الاية في محل الرفع خبر اولئك مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان
ولضرب الامثال في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق
تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك في الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة
الامثال والمثل في اصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا
مثلا الا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال

او الصفة او القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة
الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون
اى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ثم اخذ
في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اى الوصف الذي له شأن من العظمة
والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون
تمثيل الجماعة بالواحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الفوج الذي
استوقد نارا على ان ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى
يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وانما شبهت قصتهم بقصة المستوقد
ومعنى استوقد اوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضيء
حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة ومصداقه قوله هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون
غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول
المستوقد اماكن واشياء وجواب فلما ذهب الله بنورهم وهو ظرف
زمان والعامل فيه جوابه مثل اذا او ما موصولة وحوله نصب
على الظرف او نكرة موصوفة والتقدير فلما اضاءت شيئا ثابتا حوله
وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى والنور
ضوء النار وضوء كل نير ومعنى ذهبه ازاله وجعله ذاهبا ومعنى
ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله
فلا مرسل له فكان ابلغ من الاذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله
فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة
والمراد ازالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم
لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا الا ترى كيف ذكر
عقبه وتركهم في ظلمات والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها
وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان
وهو قوله لا يبصرون وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد فاذا علق
بشيئين كان متضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب ومنه وتركهم

في ظلمات اضلهم في ظلمات ثم دخل تركه فضب الحرين والمفعول
الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح لا من قبيل المقدر
المنوى كان الفعل غير متعد اصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوقد
لانهم غب الاضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة نعم المنافق خايط في ظلماء
الكفر ابدا ولكن المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة
المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق
المفضية بهم الى ظلمة العقاب السرمد وللاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا
بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه
بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التى اشتروها بذهاب الله بنورهم
وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمى اى صم كانت حواسهم
سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم
وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وطريقته وعند علماء
البيان طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات
وذلك في الاسماء وما في الاية تشبيه بليغ في الاصح لا استعارة لان المستعار له
مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له
ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه
لولا دلالة الحال او فحوى الكلام فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد
ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها لتنوع الرجوع الى الشىء وعنه
او اراد انهم متحيرون بقوا خامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق مثل الله سبحانه في شانهم
تمثيلا اخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق في التمثيل الاول
بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء
النار وهنا شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض
بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد
بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق
والمعنى او كمثل ذوى صيب فحذف مثل لدلالة العطف عليه وذوى لدلالة يجعلون
عليه والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فهذا تشبيه

اشياء

اشياء باشياء الا انه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله
وما يستوى الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء وقول
امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف
البالى بل جاء به مطويا ذكره على سنن الاستعارة والصحيح ان التمثيلين
من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد شىء
يقدر شبهه به بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا
بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظايرها
كما فعل امرء القيس وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء
قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية فالمراد
تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية بحال الحمار في جهله
بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة
وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب
وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فالمراد قلة
بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فاما ان يراد
تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا
فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه
من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت
ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة
مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والتمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط
الحيرة وشدة الامر ولذا اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى
الاغلظ وعطف احد التمثيلين على الاخر باو لانها في اصلها لتساوى شيئين
فصاعدا في الشك عند البعض ثم استعيرت لمجرد التساوى كقولك
جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا
وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اى الاثم والكفور سيان
في وجوب العصيان فكذا هنا معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة
بكيفيتى هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحد

منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا
فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب
ايضا وتنكير صيب لانه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل
الاول والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف والفائدة
في ذكر السماء والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فافاد انه
غمام تم اخذ بآفاق السماء ونفى ان يكون من سماء اي من افق واحد من بين سائر
الافاق لان كل افق منها فانها سماء ففي التعريف مبالغة كما في تنكير صيب
وتركيبه وبنائه وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه وقيل
انه ياخذه من البحر ويرتفع ظلمات بالجار والمجرور لانه قد قوي لكونه صفة
صيب بخلاف ما لو قلت ابتداء فيه ظلمات ففيه خلاف بين الاخفش
وسيبويه والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك الاجرام
السحاب او ملك يسوق السحاب والبرق الذي يلمع من السحاب من برق
الشيء بريقا اذا لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب
مكانا للظلمات فان اريد به السحاب فظلماته اذا كان اسحم مطبقا ظلمتا
سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة
تكاثفه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب
مكانا للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان اريد به المطر
لانهما ملتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما مصدران في
الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا فروعي حكم الاصل
بان ترك جمعهما ونكرت هذه الاشياء لان المراد انواع منها كانه قيل
ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف **يجعلون اصابعهم**
في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وان كان محذوفا كما في قوله او هم
قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ولا محل ليجعلون
لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول
فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم
في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف
ابصارهم وانما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصابع هو الذي

يجعل

يجعل في الاذن اتساعا كقوله فاقطعوا ايديهما والمراد الى الرسغ
ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وانما
لم يذكر الاصبع الخاص الذي يسد به الاذن لان السبابة فعالة
من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القران ولم يذكر المسبحة
لانها مستحدثة غير مشهورة **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي من
اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم والصاعقة قصفة رعد
تنقض معها شعلة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه
وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود
يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق
حذر الموت مفعول له والموت فساد بنية الحيوان او عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحيوة **والله محيط بالكافرين** يعني انهم لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط به فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها **يكاد البرق**
يخطف ابصارهم الخطف الاخذ بسرعة وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدا
وموضع يخطف نصب لانه خبر كاد **كلما اضاء لهم** كل ظرف وما نكرة موصوفة
معناه الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها
وهو **مشوا فيه** اي في ضوءه وهو استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول
كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر
على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل
بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف
ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي
وفتر لمعانه بقوا واقفين واضاء متعد اي كلما نور لهم ممشى ومسلكا
اخذوه فالمفعول محذوف او غير متعد اي كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد
فهو عدو **واذا اظلم عليهم** اظلم غير متعد وذكره مع اضاء كلما ومع
اظلم اذا لانهم حراص على وجود ما همهم به معقول من امكان المشي
فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف **قاموا** وقفوا

او ثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق ومفعول شاء محذوف
لدلالة الجواب عليه اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون
المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر اوسع وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد
الله ان يتخذ ولدا ان الله على كل شيء قدير اي ان الله قادر على كل شيء لما عدد الله
تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم
واحوالهم وما اختصت به كل فرقة بما يسعدها ويشقيها ويحظيها عنده ويرديها
اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال يا ايها الناس قال
علقمة ما في القرآن يا ايها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا ايها الذين
آمنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع لنداء
البعيد واي والهمزة للقريب ثم استعمل في مناداة من غفل وسها وان قرب
ودنا تنزيلا له منزلة من بعد ونأى فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك
للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا وقول الداعي يا رب
وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها
مظان الزلفى هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط مع فرط التهالك على
استجابة دعوته واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي
وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر
الى ما يزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى
يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه يا اي والتابع له صفته نحو يا زيد
الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة
وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتاكيد معنى النداء والعوض
عما يستحقه اي من الاضافة وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة لان
ما نادى الله به عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده امور
عظام وخطوب جسام يجب عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها
وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ اعبدوا ربكم

وحدوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهو توحيد
الذي خلقكم صفة موضحة مميزة لانهم كانوا يسمون الالهة اربابا
والخلق ايجاد المعدوم على تقدير واستواء وعند المعتزلة ايجاد الشيء
على تقدير واستواء وهذا بناء على ان المعدوم شيء عندهم لان الشيء
ما صح ان يعلم ويخبر عنه عندهم وعندنا هو اسم للموجود خلقكم بالادغام
ابو عمرو والذين من قبلكم احتج عليهم بانه خلقهم وخالق من قبلهم
لانهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم ان كنتم مقرين بانه خالقكم فاعبدوه
ولا تعبدوا الاصنام لعلكم تتقون اي اعبدوه على رجاء ان تتقوا فتنجوا
بسببه من العذاب ولعل للترجي والاطماع ولكنه اطماع من كريم فيجري
مجرى وعده المحتوم وفاؤه وبه قال سيبويه وقال قطرب وهو بمعنى
كي اي لكي تتقوا الذي جعل لكم الارض اي صير ومحل الذي نصب على المدح
او رفع باضمار هو فراشا بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون
وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة او كرية
اذ الافتراش ممكن على التقديرين والسماء بناء سقفا كقوله وجعلنا
السماء سقفا محفوظا وهو مصدر سمي به المبني وانزل من السماء ماء
مطرا فاخرج به بالماء نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وايجاده
ولكن جعل الماء سببا في خروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على
انشاء الكل بلا سبب كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له
في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وفاقا لمن مرتبها حكما
وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن في من الثمرات للتبعيض او للبيان
رزقا مفعول له ان كانت للتبعيض ومفعول لاخرج ان كانت للبيان
وانما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وان كان الثمر المخرج بماء السماء كثيرا
لان المراد جماعة الثمرة ولان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض لالتقائها
في الجمعية لكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل
اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا
هو متعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة
واساسها التوحيد وان لا يجعل له ند ولا شريك ويجوز ان يكون

الذى رفعا على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لان الكلام
يتضمن الجزاء اى الذى حفكم بهذه الايات العظيمة والدلايل النيرة
الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال
الا للمثل المخالف المناوى ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسد
مسده ونفى ما ينافيه وانتم تعلمون انها لا تخلق شيئا ولا ترزق
والله الخالق الرزاق او مفعول تعلمون متروك اى وانتم من اهل
العلم وجعل الاصنام لله اندادا غاية الجهل فالجملة حال من الضمير فى
فلا تجعلوا ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الاشراك بخلقهم
احياء قادرين وخلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم وخلق السماء
التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما سواه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها
عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل من الثمار وارزاقا لبنى آدم
فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيئا من المخلوقات
لا يقدر على ايجاد شىء منها عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة
محمد عليه السلام وما يقرر اعجاز القران فقال وان كنتم فى ريب
مما نزلنا ما نكرة موصوفة او بمعنى الذى على عبدنا محمد عليه السلام
والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء والمملوك موجود قهر بالاستيلاء
وقيل نزلنا دون انزلنا لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم
وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا
من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وايات غب آيات
على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود
ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا لا يلقى الناظم ديوان
شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبه ضربة فلو انزله الله لانزله جملة
قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة
ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على تدريج فاتوا بسورة
اى فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة
من اصغر السور والسورة الطايفة من القرآن المترجمة التى اقلها ثلث

ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهى حايطها
لانها طايفة من القران محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور ولانها
محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتواء سور المدينة على
ما فيها واما ان تسمى بالسورة التى هى الرتبة لان السور بمنزلة المنازل
والمراتب يترقى فيها القارى وهى ايضا فى نفسها مترتبة طوال واوساط
وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها فى الدين وان كانت واوها
منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطايفة من القران كالسورة التى
هى البقية من الشىء واما الفايدة فى تفصيل القران وتقطيعه سورا
فهى كثيرة ولذا انزل الله التورية والانجيل والزبور وساير ما اوحاه الى
انبيائه مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم ابوابا
موشحة الصدور بالتراجم منها ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل
على اصناف كان احسن من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارى اذا ختم
سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ فى اخر كان انشط له وابعث على الدرس
والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومن ثم جزا القراء القران
اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة
اعتقد انه اخذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة
فيعظم عنده ما حفظه ويجل فى نفسه ومنه حديث انس رضى الله عنه
كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة
فى الصلوة بسورة تامة افضل من مثله متعلق بسورة صفة لها
والضمير لما نزلنا اى بسورة كاينة من مثله يعنى فاتوا بسورة مما هو
على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم او لعبدنا
اى فاتوا ممن هو على حاله من كونه اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء
ولا قصد الى مثل ونظيره هنالك ورد الضمير الى المنزل اولى لقوله فاتوا
بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث
فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم فى ان القران
منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله وقضية الترتيب لو كان الضمير

مردودًا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمدًا فنزل عليه
فهاتوا قرآنا من مثله ولان هذا التفسير يلائم قوله وادعوا شهداءكم
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة من دون الله اي غير الله
وهو متعلق بشهداءكم اي ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله
وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او من يشهد لكم بانه
مثل القرآن ان كنتم صادقين ان ذلك مختلق وانه من كلام محمد
وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اي ان كنتم صادقين في
دعواكم فاتوا انتم بمثله واستعينوا بالهتكم على ذلك فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما ارشدهم الى
الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام قال لهم فاذا لم تعارضوه
وبان عجزكم ووجب تصديقه فامنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وعاند
وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدي به معجزا والاخبار بانهم
لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان العجز عن المعارضة قبل التامل
كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام
معهم على حسب حسبانهم فجئ بان الذي للشك دون اذا الذي للوجوب وعبر
عن الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية
التي تعطيك اختصارا اذ لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل
لاستطيل ان يقال فان لم ياتوا بسورة من مثله ولا محل لقوله ولن تفعلوا
لانها جملة اعتراضية وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط للتردد وقطع
التردد بقوله وان تفعلوا ولا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن تاكيدا
وعن الخليل اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه
حرف موضوع لتاكيد نفي المستقبل وانما علم انه اخبار عن الغيب على ما هو
حتى صار معجزة لانهم لو عارضوه بشيء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه
اكثر من الذابين عنه وشرط في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة
من مثله لانهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق
الرسول واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وابوا الانقياد استوجبوا
النار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه

لان انتفاء

لان انتفاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة
وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن والوقود ما ترفع به النار يعني الحطب
واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح وصلة الذي والتي يجب ان تكون معلومة
للمخاطب فيحتمل ان يكونوا سمعوا من اهل الكتاب ومن رسول الله او سمعوا قبل
هذه الاية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانما جاءت النار
منكرة ثم ومعرفة هنا لان تلك الاية نزلت بمكة ثم نزلت هذه بالمدينة
مشارا بها الى ما عرفوه اولا ومعنى قوله وقودها الناس والحجارة انها نار
ممتازة عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس والحجارة وهي حجارة الكبريت
فهي اشد توقدا وابطأ خمودا وانتن رائحة والصق بالبدن او الاصنام
المعبودة فهي اشد تحسرا وانما قرن الناس بالحجارة لانهم قرنوا بها انفسهم
في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله اندادا ونحوه قوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم اي حطبها فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلغ في
ايلامهم اعدت للكافرين هيئت لهم وفيه دليل على ان النار مخلوقة خلافا
لما يقوله جهم سنة الله في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا
لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار اعمالهم
واوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين واعمالهم وتبشيرهم بقوله
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات المامور بقوله وبشر الرسول عليه
السلام او كل احد وهذا احسن لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه
محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فاتقوا كما تقول
يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم
او جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين
كقولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم اذا قال لعبيده ايكم
بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر
سروره بخبره دون الباقين ولو قال اخبرني مكان بشرني عتقوا لانهم
اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه
واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء

الزايد فى غيظ المستهزاء به كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك
ونهب مالك والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم والصالحات
كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس
والاية حجة على من جعل الاعمال ايمانا لانه عطف الاعمال الصالحة على
الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال لانكم تقولون يجوز ان يدخل
المؤمن الجنة بدون الاعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل
صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الاعمال الصالحة
بالايمان ولا يجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة
بمشية الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة
ان لهم جنات اى بان لهم وموضع ان وما عملت فيه النصب ببشر عند سيبويه
خلافا للخليل وهو كثير فى التنزيل والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف
والتركيب ايضا على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنان والجنة
وسمى دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى اسكن انت
وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها ان الجنة
اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب اعمال
العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان تجرى من تحتها الانهار
الجملة فى موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحتها اشجارها كما ترى الاشجار
النابتة على شواطى الانهار الجارية وانهار الجنة تجرى فى غير اخدود وانزه
البساتين ما كانت اشجارها مظلة والانهار فى خلالها مطردة والجرى
الاطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر
واللغة العالية النهر ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار
مجازى وانما عرف الانهار لانه يحتمل ان يراد بها انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف
الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة
فى قوله فيها انهار من ماء غير آسن الاية والماء الجارى من النعمة العظمى
واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات وجملة مستانفه لانه لما قيل
ان لهم فى بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها كلما رزقوا صفة ثانية
لجنات وجملة مستانفه لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع

فيه

فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه
هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اى اجناسها وان تفاوتت
الى غاية لا يعلمها الا الله منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى اى كلما رزقوا من
الجنات اى ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن
الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدا من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتدا من ثمرة ونظيره ان يقول رزقنى فلان فيقال لك
من اين فيقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فيقول من
الرمان وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة وانما
المراد نوع من انواع الثمار رزقنا اى رزقناه من قبل اى من قبل هذا فلما قطع
عن الاضافة بنى والمعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل وشبهه بدليل
قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه
لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته والضمير فى به يرجع الى المرزوق فى الدنيا
والاخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه
فى الدارين وانما كان ثمار الدنيا لم يكن اجناسا اخر لان الانسان بالمالوف
آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يألف نفر عنه طبعه وعافته نفسه
ولانه اذا شاهد ما سلف لديه عهده وراى فيه مزية ظاهرة وتفاوتا بينا
كان استعجابه اكثر واستغرابه اوفر وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهى الامر وتمادى الحال فى ظهور المزية وعلى ان ذلك التفاوت
العظيم هو الذى يستملى تعجبهم فى كل اوان او الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه
المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن
الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى
اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام
والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى
بواصلة الى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة
هيئة الاولى قالوا ذلك قوله واتوا به متشابها جملة معترضة للتقرير
كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من اللواى كذا وكان صوابا
ومنه وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون ولهم فيها ازواج

ازواج مبتداء ولهم الخبر وفيها ظرف للاستقرار مُطَهَّرَةٌ من مساوى
الاخلاق لا طمحات ولا مرحات ومما تختص بالنساء من الحيض والاستحاضة
وما لا يختص بهن من البول والغايط وساير الاقذار والادناس ولم يجمع
الصفة كالموصوف لانهما لغتان فصيحتان ولم يقل طاهرة لان مطهرة
ابلغ لانها يكون للتكثير وفيها اشعار بان مطهرا طهرهن وما ذاك
الا الله عز وجل وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ الخلد والخلود البقاء الدايم الذى
لا ينقطع وفيه بطلان قول الجهمية فانهم يقولون بفناء الجنة واهلها
لانه تعالى وصف بانه الاول والاخر وتحقيق وصف الاولية بسبقه
على الخلق اجمع فيجب تحقيق وصف الاخرية بالتاخر عن ساير المخلوقات
وذا انما تحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ولانه تعالى باق
واوصافه باقية ولو كانت الجنة باقية مع اهلها لوقع التشابه بين
الخالق والخلق وذا محال قلنا الاول في حقه هو الذى لا ابتداء لوجوده
والاخر هو الذى لا انتهاء له وفي حقنا الاول هو الفرد السابق والاخر
هو الفرد اللاحق واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال
وذا انما في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه واني يقع التشابه
في البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به
وهو جايز الوجود ولما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به
مثلا ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك
من يستحيى ان يتمثل بها لحقارتها واصل الحياء تغير وانكسار يعترى
الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم ولا يجوز على القديم التغير
والخوف والذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز
ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيى رب محمد
ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق
الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدى بنفسه
وبالجار يقال استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا وضرب المثل
صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وما هذه ابهامية وهى التى اذا اقترنت

باسم

باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته عموما كقولك اعطنى كتابا ما تريد اى
كتاب كان او صلة للتاكيد كالتى في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كانه قال
لا يستحيى ان يضرب مثلا البتة وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين على
ان ضرب بمعنى جعل واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال
بعضه البعوض ومنه بعض الشئ لانه قطعة منه والبعوض في اصله
صفة على فعول كالقطوع فغلبت فَمَا فَوْقَهَا فما تجاوزها وزاد عليها
في المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة او فما زاد عليها
في الحجم كانه اراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لانهما اكبر من البعوضة ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة
وهو النهاية في الصغر لان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات
وقد ضرب به رسول الله عليه السلام مثلا للدنيا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ
أَنَّهُ الْحَقُّ الضمير للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره
يقال حق الامر اذا ثبت ووجب مِنْ رَبِّهِمْ في موضع النصب على الحال
والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ويوقف عليه اذ لو وصل
لصار ما بعده صفة له وليس كذلك وفي قولهم فماذا اراد الله
بهذا مثلا استحقار كما قالت عايشة رضى الله عنها في عبد الله بن عمرو يا عجبا
لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كقوله هذه ناقة الله
لكم آية واما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء وفايدته في الكلام ان يعطيه
فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت
اما زيد فذاهب ولذا قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شئ فزيد ذاهب وهذا
التفسير يفيد كونه توكيدا وانه في معنى الشرط وفي ايراد الجملتين مصدرتين
وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر
المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم انه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم
ورميهم بالكلمة الحمقاء ولماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا
بمعنى الذى وما استفهاما فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين

اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فما على الاول رفع بالابتداء
وخبره ذا مع صلته اي اراد والعائد محذوف وعلى الثاني منصوب المحل
باراد والتقدير اي شيء اراد الله والارادة مصدر اردت الشيء اذا طلبته
نفسك ومال اليه قلبك وهي عند اكثر المتكلمين معنى يقتضي تخصيص
المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة
عند اهل السنة والجماعة وقال معتزلة بغداد انه تعالى لا يوصف بالارادة
على الحقيقة فاذا قيل اراد الله كذا فان كان فعله فمعناه انه فعله وهو
غير ساه ولا مكره عليه وان كان فعل غيره فمعناه انه امر به يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين
باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به
كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى وان الجهل
بحسن مورده من باب الضلالة واهل الهدى كثير في انفسهم وانما يوصفون
بالقلة بالقياس الى اهل الضلال ولان القليل من المهديين كثير
في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم
قلوا وان كثروا والاضلال خلق فعل الضلال في العبد والهداية خلق فعل
الضلال في العبد والهداية خلق فعل الاهتداء هذا هو الحقيقة عند
اهل السنة وسياق الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة من الكفار
واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس
بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار اليه لما فيه
من كشف المعنى وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما
كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك الا ترى ان الحق
لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور وان الباطل لما كان بضده
صفة تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار اندادا
لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف
والوهن وجعلت اقل من الذباب وضربت لها البعوضة فالذي دونها
مثل لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة
لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه ولبيانه

ان المؤمنين

ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا
بهذا التمثيل علموا انه الحق وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم كابروا
وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب هدى
المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال
الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واجناس الارض فقالوا
اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من فراشة
واكل من السوس واضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض ولكن
ديدن المحجوج والمبهوت ان يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وانكار
اللائح وما يضل به الا الفاسقين هو مفعول يضل وليس بمنصوب
على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد
وفي الشريعة الخروج عن الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين
المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيتم عليك
ما يتطلبه ان شاء الله تعالى الذين ينقضون عهد الله النقض
الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء اما الذين نقضوا عهد الله
احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا وعهد الله
ركزه في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر ووصاهم به ووثقه
عليهم او اخذ الميثاق عليهم بانه اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله
بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره واخذ الله العهد عليهم
ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم
وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذه
على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وهو قوله واذ اخذ
ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين
وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء
وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه من بعد ميثاقه اصله من الوثاقة وهي احكام الشيء
والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه
انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد بمعنى الوعد

او لله تعالى اى من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار
رسله او من بعد توثقه عليهم ومن لابتداء الغاية ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين
او قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاجتماع على الحق
في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل بقول
مخصوص على سبيل الاستعلاء وما نكرة موصوفة او بمعنى
وان يوصل في موضع جر بدل من الهاء اى بوصله او في موضع
رفع اى هو ان يوصل ويفسدون في الارض بقطع السبيل
والتعويق عن الايمان اولئك مبتدأ هم فصل والخبر الخاسرون
اى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد
بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله معنى الهمزة التي
في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعوا
الى الايمان وهو الانكار والتعجيب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف
تطير بغير جناح والواو في وكنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم للحال
وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل ويقال لعادم الحيوة
اصلا ميت ايضا كقوله بلدة ميتا فاحياكم في الارحام ثم يميتكم
عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون تصيرون الى
الجزاء او ثم يحييكم في قبوركم ثم اليه ترجعون للنشور وانما كان العطف
الاول بالفاء والبواقي بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت
بلا تراخ واما الموت فقد تراخى عن الحيوة والحيوة الثانية كذلك متراخى
عن الموت ان اريد للنشور وان اريد احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه
والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور وانما انكر اجتماع الكفر مع
القصة التي ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر
ولانها مشتمل على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر هو الذي خلق لكم ما في
الارض اى لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر
واما الثاني فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر
حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لان ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها

تذكر عقابها وقد استدل الكرخي وابو بكر الرازي والمعتزلة بقوله
خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها خلقت مباحة
في الاصل جميعا نصب على الحال من ما ثم استوى الى السماء الاستواء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود اى قام واعتدل ثم قيل
استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى
على شيء ومنه قوله ثم استوى الى السماء اى اقبل وعمد الى خلق السموات
بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد
بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسويهن
مبهم يفسره سبع سموات كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى
السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لانها في معنى الجنس ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن
وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا يناقض هذا قوله
والارض بعد ذلك دحيها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء
واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة
الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منها السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا
وهو الالتزاق وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما
من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم
وهو واخواته مدني غير ورش وابو عمرو وعلي جعلوا الواو كانها من نفس
الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون في عضد عضد بالسكون
ولما خلق الله تعالى الارض اسكن فيها الجن واسكن في السماء الملائكة
فافسدت الجن في الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر
البحار ورؤوس الجبال واقاموا مكانهم فامر نبيه عليه السلام
ان يذكر قصتهم فقال واذ قال ربك للملائكة اذ نصب باضمار اذكر
والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع
اني جاعل اى مصير من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض
خليفة وهو من يخلف غيره فعيلة بمعنى فاعلة و زيدت

الهاء للمبالغة والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم
فيها آدم وذريته ولم يقل خلائف وخلفاء لانه اريد بالخليفة
آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابى القبيلة
في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد
لذلك او خليفة منى لان آدم كان خليفة الله فى ارضه وكذلك
كل نبى قال الله تعالى انا جعلناك خليفة فى الارض وانما اخبرهم
بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته
فى استخلافهم قبل كونهم او ليعلم عبادة فى امورهم قبل ان يقدموا
عليها وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها تعجب من ان يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذى لا يجهل وانما عرفوا ذلك
باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او قاسوا احد الثقلين على الآخر
ويسفك الدماء اى يصب والواو فى ونحن نسبح للحال كما يقول اتحسن
الى فلان وانا احق منه بالاحسان بحمدك فى موضع الحال اى نسبح
حامدين لك وملتبسين بحمدك كقوله وقد دخلوا بالكفر اى كافرين ونقدس
لك ونطهر انفسنا لك وقيل التسبيح التقديس بتبعيد الله من السوء من سبح
فى الارض وقدس فيها اذا ذهب فيها وابعد قال انى اعلم ما لا تعلمون
اى اعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم يعنى يكون فيهم الانبياء والاولياء
والعلماء وما بمعنى الذى وهو مفعول اعلم والعائد محذوف اى ما لا تعلمونه
الحجازى وابو عمرو وعلم آدم هو اسم عجمى واقرب امره ان يكون على فاعل
كآزر واشتقاقهم آدم من الادمة او من اديم الارض كاشتقاقهم يعقوب
من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس الاسماء كلها اى اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء
اذ الاسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا
ولا يصح ان يقدر وعلم آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه لان التعليم تعلق بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبؤنى
باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم ولم يقل انبؤنى بهؤلاء وانبئهم بهم ومعنى

تعليمه اسماء المسميات انه اراه الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه
فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما
علمه اسم كل شىء حتى القصعة والمغرفة ثم عرضهم على الملائكة اى عرض المسميات
وانما ذكر لان فى المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم
عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت فقال انبئونى اخبرونى باسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين فى زعمكم انى استخلف فى الارض مفسدين سفاكين
للدماء وفيه رد عليهم وبيان ان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى
هى اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا قالوا سبحانك
تنزيها لك ان يخفى عليك شىء او عن الاعتراض عليك فى تدبيرك وافادتنا
الآية ان علم الاسماء فوق التخلى بالعبادة فكيف بعلم الشريعة وانتصابه
على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحا لا علم لنا الا ما علمتنا وليس فيه
علم الاسماء وما بمعنى الذى والعلم بمعنى المعلوم اى لا معلوم لنا الا الذى علمتنا
انك انت العليم غير المعلم الحكيم فيما قضيت وقدرت والكاف اسم ان وانت
مبتدأ وما بعده خبر والجملة خبر ان او انت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ثان
قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم سمى كل شىء باسمه
قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما عنكم مما كان
ومما يكون واعلم ما تبدون تظهرون وما كنتم تكتمون تسرون واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم اى اخضعوا له واقروا بالفضل له عن ابى بن كعب
وعن ابن عباس كان ذلك انحناء ولم يكن خرورا على الذقن والجمهور
على ان المأمور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم
عليه السلام فى الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه ابليس وكان
سجود التحية جائزا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين
اراد ان يسجد له لا ينبغى لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى فسجدوا
الا ابليس استثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قال على وابن
عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء
يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال ما منعك ان لا تسجد
اذ امرتك وقوله كان من الجن معناه صار من الجن كقوله فكان

فكان من المغرقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة خلقوا من النور ولانه
ابى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم ولا يستكبرون عن عبادته
ولانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من دونى ولا نسل للملائكة وعن الجاحظ ان الجن
والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبث فهو شيطان ومن كان
بين بين فهو جن ابى امتنع مما امر به واستكبر تكبر عنه وكان من الكافرين وصار
من الكافرين باباءه واستكباره ورده الامر لا بترك العمل بالامر لان ترك السجود
لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عند اهل السنة خلافا للمعتزلة والخوارج
او كان من الكافرين فى علم الله اى وكان فى علم الله انه يكفر بعد ايمانه لا انه
كان كافرا ابدا فى علم الله وهى مسئلة الموافاة وقلنا يا آدم اسكن امر من سكن
الدار يسكنها سكنى اذا اقام فيها فيقال سكن المتحرك سكونا انت تاكيد للمستكن
فى اسكن ليصح عطف وزوجك عليه الجنة هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين
للنقل المشهور وللام للتعريف وقال المعتزلة كانت بستانا باليمن لان الجنة
لا تكليف فيها ولا خروج عنها قلنا انما لا يخرج منها من دخلها جزاء وقد دخل النبى
عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها واهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد
وكلا منها من ثمارها فحذف المضاف رغدا وصف للمصدر اى اكلا رغدا
واسعا حيث شئتما شيتما وبابه بغير همزة ابو عمرو وحيث للمكان المبهم اى
مكان من الجنة شئتما ولا تقربا هذه الشجرة اى الحنطة ولذا قيل كيف
لا يعصى الانسان وقوته من شجرة العصيان او الكرامة لانها اصل كل فتنة
او التينة فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهى من الظالمين
من الذين ظلموا انفسهم او من الضارين انفسهم فازلهما الشيطان عنها
عن الشجرة فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان
زلتهما عنها او فازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما فازالهما حمزة
وزلة ادم بالخطاء فى التاويل اما بحمل النهى على التنزيه دون التحريم
او بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى اراد الجنس وهذا دليل
على انه يجوز اطلاق اسم الزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارا
فانها اسم لفعل يقع على خلاف الامر من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشى
فى الطين وقال مشايخ سمرقند رحمه الله لا تطلق اسم الزلة على افعالهم

كما

كما لا تطلق المعصية وانما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الافضل فعوتبوا عليه
فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة
فى عنها وقد توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم لانه منع
عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة
ابتداء لادم وروى انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى
دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى وقلنا اهبطوا الهبوط النزول
الى الارض والخطاب لادم وحوا وابليس وقيل والحية والصحيح لادم
وحوا والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا
كانهما الانس كلهم ويدل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض
عدو المراد به ما عليه الناس من التباغى والتعادى وتضليل بعضهم
لبعض والجملة فى موضع الحال من الواو فى اهبطوا اى اهبطوا متعادين
ولكم فى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش
الى حين الى يوم القيامة او الى الموت قال ابن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا
طويلا فتلقى آدم من ربه كلمات اى استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها
وبنصب آدم ورفع كلمات مكى على انها استقبلته بان بلغته واتصلت
وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل الى التنصل
من الذنوب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى
ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك ولا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب
الم تنفخ فى الروح من روحك الم تسبق رحمتك غضبك الم تسكنى جنتك وهو تعالى
يقول بلى بلى قال فلم اخرجتنى من الجنة قال بشوم معصيتك قال فلو تبت
اراجعى انت الى الجنة قال نعم فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول واكتفى
بذكر توبة ادم لان حوا كانت تبعا له وقد طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن
والسنة لذلك انه هو التواب الكثير القبول للتوبة الرحيم على عباده
قلنا اهبطوا منها جميعا حال اى مجتمعين وكرر الامر بالهبوط للتاكيد

ولان الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثانى من السماء الى الارض
اولما ينط به من زيادة قوله فاما يأتينكم منى هدى اى رسولا بعثه اليكم
اوكتابا نزله اليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فى مقابلة
قوله فمن تبع هداى بالقبول والايمان به فلا خوف عليهم فى المستقبل
ولا هم يحزنون على ما خلفوا والشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول
كقولك ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك فلا خوف فى كل القران يعقوب
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك مبتداء والخبر اصحاب النار
اى اهلها ومستحقوها والجملة فى موضع الرفع خبرا لمبتداء اعنى والذين
هم فيها خالدون يا بنى اسرائيل هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له
ومعناه فى لسانهم صفوة الله او عبد الله فاسرا هو العبد او الصفوة
وايل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم ذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويطيعوا
مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء
من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة
عليهم وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام المبشر به
فى التورية والانجيل واوفوا ادوا واوفيا تاما يقال وفيت له بالعهد
فانا واف به واوفيت له بالعهد فانا موف به والاختيار اوفيت
وعليه نزل التنزيل بعهدى بما عاهدتمونى عليه من الايمان بى و
الطاعة لى ومن الايمان بنبيى الرحمة والكتاب المعجز اوف بعهدكم
بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم والعهد يضاف الى المعاهد
والمعاهد جميعا وعن قتادة هما لئن اقمتم ولاكفرن وقال اهل الاشارة
اوفوا فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى اوف فى دار نعمتى على بساط
كرامتى بسرور رؤيتى فاياى فارهبون فلا تنقضوا عهدى وهو
من قولك زيدا رهبته وهو اوكد فى افادة الاختصاص من اياك
نعبد واياى منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره
فارهبوا اياى فارهبون وحذف الاول لان الثانى يدل عليه وانما
لم ينتصب بقوله فارهبون لانه اخذ مفعوله وهو الباء المحذوفة

وكسره

وكسره النون دليل الياء كما لا يجوز نصب فى زيدا فاضربه باضربه الذى
هو ظاهر وآمنوا بما انزلت يعنى القران مصدقا حال موكدة من الهاء
المحذوفة كانه قيل انزلته مصدقا لما معكم من التورية يعنى فى العبادة
والتوحيد والنبوات وامر محمد عليه السلام ولا تكونوا اول كافر به
اى اول من كفر به او اول حزب وفوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم
اول كافر به وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم
به وبصفته والضمير فى به يعود الى القران ولا تشتروا ولا تستبدلوا
باياتى بتغييرها وتحريفها ثمنا قليلا قال الحسن هو الدنيا بحذافيرها
وقيل هى الرياسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا
رسول الله واياى فاتقون فخافونى فارهبونى فاتقونى بالياء
فى الحالين وكذلك كل ياء محذوفة فى الخط يعقوب ولا تلبسوا الحق
بالباطل لبس الحق بالباطل خلطه والباء ان كانت صلة مثلها
فى قولك لبست الشىء وخلطته الذى كتبتم حتى لا يميز بين حقها
وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم
كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذى تكتبون
وتكتموا الحق هو مجزوم داخل تحت حكم النهى بمعنى ولا تكتموا
او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اى ولا تجمعوا لبس
الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب
اللبن وهما امران متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا
من كتبتم فى التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا
لا نجد فى التورية صفة محمد او حكم كذا وانتم تعلمون ٥
فى حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل
بالقبيح ربما عذر مرتكبه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اى
صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان
اليهود لا ركوع فى صلوتهم اى اسلموا واعملوا عمل اهل الاسلام
وجاز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون
امرا بالصلوة مع المصلين يعنى فى الجماعة اى صلوها مع المصلين

لا بما منفردين الهمزة في أتأمرون الناس للتقرير مع التوبيخ والتعجيب
من حالهم بالبر اى سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول
كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت اى فعلت برا في هذا الصدق يقال
عند الاذان فكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم
باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وتنسون انفسكم وتتركونها
من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت لتي تتلون التورية
وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم او فيها الوعيد على الخيانة عليه حتى
يصدكم وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون افلا تفطنون
لقبح ما اقدمتم عليه عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ
عظيم واستعينوا على حوائجكم من الله بالصبر والصلوة التي بالجمع
بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة متحملين لمشاقها وما يجب
فيها من اخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية بين يدي جبار
السموات والارض واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر والهواجس النفسانية
ومراعاة الادب والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي
جبار السموات والارض واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر
عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله عليه وسلم اذا حزبه
امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو
في سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال واستعينوا بالصبر والصلوة
وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر
وقيل الصلوة الدعاء اى استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء
والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة لكبيرة
لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر الا على الخاشعين لانهم يتوقعون
ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم اى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده
ويطمعون فيه وفسر يظنون بيتيقنون لقراءة عبد الله يعلمون اى
يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك واما من

لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة والخشوع
الاخبات والتطامن واما الخضوع فاللين والانقياد وفسر اللقاء
بالرؤية وملاقوا ربهم بمعاينوه بلا كيف وانهم اليه راجعون
لا يملك امرهم في الاخرة احد سواه يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم التكرير للتاكيد واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي
اى اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس يقال
رايت عالما من الناس والمراد الكثرة واتقوا يوما اى يوم القيامة
وهو مفعول به لا ظرف لا تجزي نفس كافرة شيئا اى لا تقضي عنها
شيئا من الحقوق التي لزمتها وشيئا مفعول به او مصدر اى قليلا
من الجزاء والجملة منصوبة المحل صفة ليوما والعائد منها الى
الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ولا يقبل منها شفاعة
ولا يقبل بالتاء مكي وبصري والضمير في منها يرجع الى النفس المؤمنة
اى لا يقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فاويسوا وهو كقوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين وتشبث المعتزلة بالاية في نفي الشفاعة للعصاة مردود
لان المنفي شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر
من امتي من كذب بها لم ينلها ولا يؤخذ منها عدل اى فدية لانها معادلة
للمفدى ولا هم ينصرون يعاونون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس
الكثيرة وذكر لمعنى العباد او الاناسي واذ نجيناكم من آل فرعون
اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله
باولي الخطر كالملوك واشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام
وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس
يسومونكم حال من آل فرعون اى يولونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب
ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزايدة او مطالبة او سوء مفعول
ثان ليسومونكم وهو مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق
وسوء الفعل يراد قبحها ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده

واطعه يذبحون ابناءكم بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف ويستحيون
نساءكم يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا
فرعون بانه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما
اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلك
الى صنيع فرعون ونعمة ان اشير الى الانجاء من ربكم صفة لبلاء عظيم
صفة ثانية واذ فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك بكم
وقرئ فرقنا اي فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك
كانت اثني عشر على عدد الاسباط بكم البحر كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند
سلوكهم وكانما فرق بهم او فرقناه ملتبسا بكم فيكون في موضع الحال روي ان بني
اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم فاوحى اليه ان قل
اي حرك بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون الى ذلك
وتشاهدونه لا تشكون فيه وانما قال واذ واعدنا موسى لان الله تعالى
وعده الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور وعدنا حيث كان بصري
لما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه
وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر
ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي واربعين
مفعول ثان لواعدنا لا ظرف لانه ليس معناه واعدناه في اربعين ليلة
ثم اتخذتم العجل اي الها فحذف المفعول الثاني لاتخذتم وبالاظهار مكي
وحفص من بعده من بعد ذهابه الى الطور وانتم ظالمون بوضعكم
العبادة في غير موضعها والجملة حال اي عبدتموه ظالمين ثم عفونا عنكم
محونا ذنوبكم عنكم من بعد ذلك من بعد اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون
لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وهو التورية
ونظيره رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة او التورية
والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات
او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفلاق البحر او النصر الذي

فرق

فرق بينه وبين عدوه لعلكم تهتدون لكي تهتدون واذ قال موسى لقومه
للذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل معبودا
فتوبوا الى بارئكم هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم
من ترك عبادة العليم الحكيم الذي براهم بريا من التفاوت الى عبادة البقر الذي
هو مثل في الغباوة والبلادة فاقتلوا انفسكم قيل هو الظاهر وهو البخع وقيل
معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة فقيل سبعون
الفا ذلكم التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم من الاصرار على المعصية فتاب
عليكم انه هو التواب المتفضل بقبول التوبة وان كثرت الرحيم بعفو الحوبة
وان كبرت والفاء الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب
لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم اذ الله تعالى جعل توبتهم
قتل انفسهم والثالثة متعلقة بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم
فقد تاب عليكم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
عيانا وانتصابها على المصدر كما تنتصب القرفصاء بفعل الجلوس وعلى
الحال ترى اي ذوي جهرة فاخذتكم الصاعقة اي الموت قيل هي نار جاءت
من السماء فاحرقتهم روي ان السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند
الانطلاق الى الجبل قالوا نحن لم نعبد العجل كما عبده هولاء فارنا الله جهرة فقال
موسى سالته ذلك فاباه علي فقالوا انك رايت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله
فبعث الله عليهم صاعقة فاحرقتهم وتعلقت المعتزلة بهذه الاية في نفي الرؤية
لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما جاز ثبوته قلنا انما عوقبوا بكفرهم
لان قولهم انك رايت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم ولانهم امتنعوا
عن الايمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان بالانبياء واجب
بعد ظهور معجزتهم ولا يجوز اقتراح الايات عليهم ولانهم لم يسألوا للاسترشاد
بل سؤال تعنت وعناد وانتم تنظرون اليها حين نزلت ثم بعثناكم احييناكم
واصله الاثارة من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت
وظللنا عليكم الغمام وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب
يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم
لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج

من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع والسلوى كان يبعث الله عليهم الجنوب السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم كلوا من طيبات لذيذات وحلالات ما رزقناكم وما ظلمونا يعنى فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون انفسهم مفعول يظلمون وهو خبر كان واذ قلنا لهم بعد ما خرجوا من التيه ادخلوا هذه القرية التى بيت المقدس او اريحا والقرية المجتمع من قريت لانها تجمع الخلق امروا بدخولها بعد التيه فكلوا منها من طعام القرية وثمارها حيث شئتم رغدا واسعا وادخلوا الباب بابا لقرية او بابا لقبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى عليه السلام وانما دخلوا الباب فى حيوته ودخلوا بيت المقدس بعده سجدا حال وهو جمع ساجد امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقولوا حطة فعلة من الحط كالجلسة وهى خبر مبتدأ محذوف اى مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطى معنى الثبات وقيل امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونستقر فيها وعن على رضى الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا اله الا الله نغفر لكم خطاياكم جمع خطية وهى الذنب يغفر لكم مدنى تغفر شامى وسنزيد المحسنين اى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غير الذى قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعول واحد بنفسه والى اخر بالباء فالذى مع الباء متروك والذى بغير باء هو موجود يعنى وضعوا مكان حطة قولا غيرها اى امروا بقول معناه التوبة والاستغفار نخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا

عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا عذابا وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح امرهم وايذان بانزال الرجز عليهم لظلمهم من السماء صفة لرجزا بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم روى انه مات منهم فى ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه موضع اذ نصب كانه قيل واذكروا اذ استسقى اى استدعى ان يسقى قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او للجنس اى اضرب الشىء الذى يقال له الحجر وهذا اظهر فى الحجة وابين فى القدرة فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اى فضرب فانفجرت اى سالت بكثرة او فان ضربت فقد انفجرت وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ منه اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط وقرئ بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان وعينا تمييز قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التى يشربون منها وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من ماء العيون من رزق الله اى الكل مما رزقكم الله ولا تعثوا فى الارض لا تفسدوا فيها والعثى اشد الفساد مفسدين حال مؤكدة اى لا تتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد هو ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد ما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا ياكل فلان الا طعاما واحدا بالوحدة نفى التبديل والاختلاف او لارادوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف وكانوا من اهل الزراعات فارادوا ما الفوا من البقول والحبوب وغير ذلك فادع لنا ربك سله وقل له اخرج لنا يخرج لنا يظهر لنا ويوجد مما تنبت الارض من بقلها ما هو انبتته من الخضر والمراد به اطائب البقول كالنعناع والكرفس

والكراث ونحوها مما ياكلها الناس وقثائها يعني الخيار وفومها هو الحنطة
او الثوم لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وثومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون
الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة
المقدار بالذي هو خير ارفع واجل اهبطوا مصرا من الامصار اي انحدروا
اليه من التيه وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا
في ثمانية فراسخ او مصر فرعون وانما صرفه مع وجود السببين وهما التعريف
والتانيث لارادة البلد او بسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف
فان لكم فيها ما سألتم اي فان الذي سألتم يكون في الامصار لا في التيه
وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الهوان والفقر يعني جعلت الذلة محيطة
مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم
ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزم فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة
وفقر اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم
الجزية عليهم الذلة حمزة وعلي وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء
وضم الميم غيرهم وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا
بان يقتل به لمساواته اي صاروا احقاء بغضبه وعن الكسائي رجعوا ذلك
اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بانهم
كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بالهمزة نافع وكذا بابه اي ذلك
بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود شعيبا وزكريا ويحيى والنبي
من النباء لانه يخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى مفعل او بمعنى مفعل ومن نباء
اي ارتفع والنبوة المكان المرتفع بغير الحق عندهم ايضا فانهم لو انصفوا
لم يذكروا شيئا يستحقون به القتل عندهم وهو في محل النصب على الحال
من الضمير في يقتلون اي يقتلونهم مبطلين ذلك تكرار للاشارة بما عصوا
وكانوا يعتدون بسبب ارتكابهم انواع اي ذكرا لغضب لمعاصي واعتدائهم
حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم
في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على ان ذلك
بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم
فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا

ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون
والذين هادوا تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية
وهو هايد والجمع هود والنصارى جمع نصران كندمان وندامى
يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة
كالتي في احمري سموا نصارى لانهم نصروا المسيح والصابئين
الخارجين من دين مشهور الى غيره من صبا اذا خرج من الدين
وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة
وقيل هم يقرؤون الزبور من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء
الكفرة ايمانا خالصا وعمل صالحا فلهم اجرهم ثوابهم عند ربهم
في الآخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومحل من آمن الرفع
ان جعلته مبتداء خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من
اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي
الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم
الطور بقبول ما في التورية ورفعنا فوقكم اي الجبل حتى قبلتم
واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح
فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت وابوا قبولها فامر
جبرئيل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى
ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم من الكتاب
اي التورية بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا
متقين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به من بعد ذلك
من بعد القبول فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتاخير العذاب عنكم
ان يتوفيقكم للتوبة لكنتم من الخاسرين الهالكين في العذاب ولقد علمتم
عرفتم فيتعدى الى مفعول واحد الذين اعتدوا منكم في السبت هو مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم
فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى
نهاهم ان يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج

خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفر وحياضا عند البحر وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لامنها في الصيد وكانوا
يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض
هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا بتكويننا اياكم قردة خاسئين خبران
اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبرها اى تمنعه لما بين يديها لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب
الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين وموعظة للمتقين
للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى
لقومه اى واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف على نعمتي في قوله واذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم كانه قال اذكروا ذلك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذا في
الظروف التي مضت اى اذكروا نعمتي واذكروا وقت انجائنا اياكم واذكروا نعمتي
واذكروا وقت فرقنا واذكروا نعمتي واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه
والظروف التي تاتي الى قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه ان الله يامركم ان اى بان
تذبحوا بقرة قال المفسرون اول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله
واذ قتلتم نفسا فادارأتم وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه
ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا
مكان هزؤ او اهل هزؤ او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء هزءا بسكون
الزاى والهمزة حمزة وبضمتين والواو حفص وغيرهما بالتثقيل والهمزة
قال اعوذ بالله العياذ واللياذ من واد واحد ان اكون من الجاهلين
لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم اى انتم
جاهلون حيث نسبتموني الى الاستهزاء قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
سؤال عن حالها وصفتها لانهم كانوا عالمين بمائيتها لانها وان كان سؤالا عن الجنس
وكيف عن الوصف ولكن قد يقع ما موقع كيف وذلك انهم تعجبوا من بقرة
ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان
وما هي خبر ومبتدأ قال انه يقول انها بقرة لا فارض مسنة وسميت

فارضا

فارضا لانها فرضت سنها اى قطعتها وبلغت آخرها وارتفع فارض لانه
صفة لبقرة وقوله ولا بكر فتية عطف عليه عوان نصف بين ذلك بين
الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك مع ان بين يقتضي شيئين فصاعدا لانه
اراد بين هذا المذكور وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة
قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد استطالة البلق
توليع البهق بياض يعتري الجلد يخالف لونه ليس من البرص ان اردت الخطوط فقل
كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذلك فافعلوا
ما تؤمرون اى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول
بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها موضع ما رفع
لان معناه الاستفهام تقديره ادع لنا ربك يبين لنا اى شيء لونها قال
انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة
وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع وهو توكيد لصفراء وليس خبرا عن
اللون الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة
وصفراء فاقع لونها وفي ذكر اللون فائدة التوكيد ان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة
فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده تسر الناظرين
لحسنها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه
من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن
شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم ان البقر تشابه علينا ان
البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وانا ان شاء
الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر
القاتل وان شاء الله اعتراض بين اسم ان وخبرها في الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم آخر الابد اى لو لم يقولوا ان شاء الله قال انه يقول انها بقرة
لا ذلول تثير الارض لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني
لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا تسقي الحرث ولا هي من النواضح التي
يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الاولى

لان المعنى لا ذلول تثير الارض اى تقلبها للزراعة وتسقى على ان الفعلين
صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية مسلمة عن العيوب
وآثار العمل لا شية فيها لا لمعة فى نقبتها من لون آخر سوى الصفرة
فهى صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا
وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة
وصف البقرة وما بقى اشكال فى امرها جيت وبابه بغيرهمز لابو عمرو
فذبحوها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها
وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل
روى انه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال
وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر ومات الرجل وكان برا
بوالدته فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم
وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة
دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة وهذا البيان من قبيل
تقييد المطلق فكان نسخا والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه
عندنا خلافا للمعتزلة واذ قتلتم نفسا بتقدير واذكروا وخوطبت
الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم
فى شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اى يدفعه او تدافعتم
بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان
الطرح فى نفسه دفع واصله تدارأتم ثم ارادوا التخفيف فقلبوا
التاء دالا لتصير من جنس الدال التى هى فاء الكلمة ليمكن الادغام
ثم سكنوا الدال اذ شرط الادغام ان يكون الاول ساكنا وزيدت
همزة الوصل لانه لم يمكن الابتداء بالساكن فادارأتم بغير همز ابو عمرو
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر
القتل لا يتركه مكتوما واعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا فى وقت
التدارؤ وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما
ادارأتم و فقلنا والضمير فى اضربوه يرجع الى النفس والتذكير
بتاويل الشخص والانسان او الى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون

ببعضها ببعض البقرة وهو لسانها او فخذها اليمنى او عجبها والمعنى
فضربوه فيحيى فحذف ذلك لدلالة كذلك يحيى الله الموتى عليه روى انهم
لما ضربوه قام باذن الله وقال قتلنى فلان لابن عمه ثم سقط ميتا
فاخذ وقتل ولم يورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحيى الله الموتى اما ان يكون
خطابا للمنكرين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم واما ان يكون خطابا للذين
حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيى الله الموتى يوم القيمة ويريكم
آياته دلائله على انه قادر على كل شىء لعلكم تعقلون فتعملون على قضية عقولكم
وهى ان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء جميعها لعدم الاختصاص
والحكمة فى ذبح البقرة وضربه ببعضها وان قدر احياؤه بلا واسطة
التقرب به والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعبادة
ترك التشديد فى الامور والمسارعة الى امتثال اوامر الله من غير تفتيش
وتكثير سؤال وغير ذلك وقيل انما امروا بذبح البقرة دون غيرها
من البهائم لانها افضل قرابينهم ولعبادتهم العجل فاراد الله تعالى
ان يهون معبودهم عندهم وكان ينبغى ان يقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ولكنه تعالى انما قص
قصص بنى اسرائيل تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم
عليها وهاتان القصتان وان كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة
منهما بنوع من التقريع فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك
المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل
النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة
الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة
واحدة وذهب الغرض فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة
بعدما استوفيت تبعضها ليعلم انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع
الثانية استئناف قصة براسها ان وصلت بالاولى بضمير البقرة
لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها ليعلم انهما قصتان
فيما يرجع الى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقيل

هذه القصة تشير الى ان من اراد احياء قلبه بالمشاهدات فليمت
نفسه بانواع المجاهدات ثم قست قلوبكم استبعاد القسوة
من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها وصفة القلوب
بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار الا تعاظ من بعد ذلك
اشارة الى احياء القتيل والى جميع ما تقدم من الايات المعدودة
فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها
واشد معطوف على الكاف تقديره او مثل اشد قسوة فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او هي في انفسها اشد قسوة يعني ان
من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة وهو الحديد مثلا
او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وانما لم يقل اقسى لكونه
ابين وادل على فرط القسوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك
زيد كريم وعمرو اكرم وان من الحجارة بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة
لما يتفجر منه الانهار ما بمعنى الذي في موضع النصب وهو اسم ان
واللام للتوكيد والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وان منها لما يشقق
اصله يتشقق وبه قرا الاعمش فقلبت التاء شينا وادغمت فيخرج منه الماء
يعني ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منه الماء الكثير ومنها ما ينشق
انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا وقلوبهم لا تندى وان منها
لما يهبط يتردى من اعلى الجبل من خشية الله قيل هو مجاز عن انقيادها
لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل
ما امرت به وقيل المراد به حقيقة الخشية على معنى انه يخلق فيها الحيوة
والتمييز وليس شرط خلق الحيوة والتمييز في الجسم ان يكون على بنية
مخصوصة عند اهل السنة وعلى هذا قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
الآية يعني وقلوبهم لا تخشى وما الله بغافل عما تعملون وبالياء مكي
وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم
ان يؤمنوا لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم لقوله فآمن له لوط يعني اليهود
وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله اي
التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم من بعد ما عقلوه

من بعد

من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون
ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا اي المنافقون او اليهود
الذين آمنوا اي المخلصين من اصحاب محمد عليه السلام قالوا اي المنافقون
آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم
الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم
اتخبرون لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بما فتح الله عليكم مما بين لكم
في التورية من صفة محمد عليه السلام ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم وقولهم هو في كتابكم
هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله
هكذا بمعنى واحد وقيل على اضمار المضاف اي عند كتاب ربكم وقيل ليجادلوكم
ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة يقولون كفرتم به بعد
ان وقفتم على صدقه افلا تعقلون ان هذه حجة عليكم حيث تعترفون
به ثم لا تتابعونه اولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون
ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم ومن اليهود اميون
لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب
التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم
ويرحمهم ولا تمسهم النار الا اياما معدودة او اكاذيب مختلفة
سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان ما تمنيت
منذ اسلمت او الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله اول ليله اي لا يعلمون
هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرؤون اشياء اخذوها من احبارهم
والاستثناء منقطع وان هم وما هم الا يظنون لا يدرون ما فيه
فيجحدون نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم
ثم العوام الذين قلدوهم فويل في الحديث ويل واد في جهنم للذين
يكتبون الكتاب المحرف بايديهم من تلقاء انفسهم من غير ان يكون منزلا
وذكر الايدي للتاكيد وهو من مجاز التاكيد ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا عرضا يسيرا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم
مما يكسبون من الرشى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة

اربعين يوما مدة عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا
سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله
عهدا اى عهدا اليكم انه لا يعذبكم الا هذا المقدار فلن يخلف الله عهده
متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله عهده ام
تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما ان يكون معادلة اى اتقولون على الله ما تعلمون
ام تقولون عليه ما لا تعلمون او منقطعة اى بل تقولون على الله ما لا تعلمون
بلى اثبات لما بعد النفى وهو لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله
هم فيها خالدون من كسب سيئة شركا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما واحاطت به
خطيئته وسدت عليه مسالك النجاة بان مات على شركه فاما اذا مات مؤمنا
فاعظم الطاعات وهو الايمان معه فلا يكون الذنب محيطا به فلا يتناوله النص
وبهذا التاويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج وقيل استولت عليه فحبط العمل
ولم ينفصل عنها بالتوبة خطيئاته مدنى فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل الميثاق العهد المؤكد غاية التوكيد لا تعبدون
الا الله اخبار فى معنى النهى كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر
وهو ابلغ من صريح الامر والنهى لانه كان سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر
عنه وتنصره قراءة ابى لا تعبدوا وقوله وقولوا والقول مضمر لا تعبدون
وقوله وقولوا والقول مضمر لا يعبدون مكى وحمزة وعلى لان بنى اسرائيل اسم ظاهر
والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه ان لا يعبدوا فلما حذفت ان رفع و
بالوالدين احسانا اى واحسنوا [illegible] عطف الامر فيما لا يخالف امر الله
تعالى وهو له وقولوا عليه وذى القربى القرابة واليتامى جمع يتيم
وهو الذى فقد اباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام لا يتم بعد البلوغ
والمساكين جمع مسكين وهو الذى اسكنته الحاجة وقولوا للناس حسنا
قولا هو حسن فى نفسه لافراط حسنه حسنا حمزة وعلى واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة ثم توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين
اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق
والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم

من دياركم

من دياركم اى لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل
اصلا ودينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق
واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كما تقول فلان مقر
على نفسه بكذا شاهد عليها او وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل
والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم
انتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين تقتلون انفسكم صلة هؤلاء و
هؤلاء مع صلته خبر انتم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم غير مراقبين
ميثاق الله تظاهرون عليهم بالتخفيف كوفى اى تتعاونون وبالتشديد
غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التائين ثم قيل هى الثانية لان الثقل
بها وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وادغم بالاثم
والعدوان بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى تفادوهم اسارى
تفدوهم ابو عمرو واسارى تفدوهم مكى وشامى اسرى تفدوهم حمزة
اسارى تفادوهم على وفدى وفادى بمعنى واسارى حال وهو جمع اسير
وكذلك اسرى والضمير فى وهو محرم عليكم للشان او هو ضمير مبهم تفسيره
اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب بفداء الاسرى وتكفرون ببعض
بالقتال والاجلاء قال السدى اخذ الله عليهم اربعة عهود ترك القتل
وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء الاسير فاعرضوا عن كل ما امروا
الا الفداء فما جزاء من يفعل ذلك منكم هو اشارة الى الايمان ببعض
والكفر ببعض الا خزى فضيحة وهوان فى الحيوة الدنيا ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب وهو الذى لا روح فيه ولا فرج او الى اشد
من عذاب الدنيا وما الله بغافل عما تعملون وبالياء مكى ونافع وابو بكر
اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة اختاروها على الآخرة
اختيار المشترى فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية آتاه
جملة وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه
من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعنى ارسلنا على اثره الكثير من الرسل

وهم يوشع واسمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وارميا وعزير وحزقيل
والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وآتينا عيسى ابن مريم
هي بمعنى الخادم ووزنه عند النحويين مفعل لان فعيلا لا يثبت في الابنية
البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
والاخبار بالمغيبات وايدناه بروح القدس اي الطهارة بالسكون
حيث كان مكي اي بالروح المقدسة كما يقال حاتم الجود ووصفها
بالقدس للاختصاص والتقريب او بجبريل لانه ياتي بما فيه حيوة
القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين قصد اليهود قتله او با
لانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا او باسم الله الاعظم الذي
كان يحيي الموتى بذكره افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
استكبرتم تعظما عن قبوله ففريقا كذبتم كعيسى
ومحمد عليهما السلام وفريقا تقتلون كزكرياء ويحيى عليهما السلام
ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ولان المراد وفريقا تقتلونه
بعد لانكم تحومون حول محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم
فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين
الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم وقالوا
قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي خلقة مغشاة باغطية لا يتوصل
اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن
بل لعنهم الله بكفرهم رد الله ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها
خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق فانما طردهم بكفرهم وزيغهم
فقليلا ما يؤمنون فقليلا صفة مصدر محذوف اي فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل القلة
بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف وقرئ به جمع غلاف اي قلوبنا
اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره او اوعية للعلم
فلو كان ما جئت به حقا لقبلنا ولما جاءهم اي اليهود كتاب من عند
الله اي القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه

وكانوا

وكانوا من قبل يعني القرآن يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين
اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد
نعته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق
ما قلنا فيقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما موصولة اي ما عرفوه
وهو فاعل جاء كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم
فاللام للعهد او للجنس ودخلوا فيه دخولا اوليا وجواب لما الاولى مضمر
وهو نحو كذبوا به وانكروه او كفروا جواب الاولى والثانية لان مقتضاهما
واحد وما في بئسما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به
انفسهم اي باعوا والمخصوص بالذم ان يكفروا بما انزل الله يعني القرآن
بغيا مفعول له اي حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل الله
لان ينزل وعلى ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء من عباده وهو محمد عليه السلام فباؤا بغضب على غضب
للكفر والحسد على هذا النبي ولكفرهم بعيسى او بعد قولهم عزير ابن الله
فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه او كفروا
بمحمد بعد عيسى عليهما السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك وللكافرين عذاب مهين مذل بيشما وبابه غير مهموز
ابو عمرو وينزل بالتخفيف مكي وبصري واذا قيل لهم لهؤلاء اليهود آمنوا بما
انزل الله يعني القرآن او هو مطلق يتناول كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا
اي التورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون
بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم غير مخالف له وفيه
رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ومصدقا
حال مؤكدة قل فلم تقتلون انبياء الله اي فلم قتلتم فوضع المستقبل
موضع الماضي ويدل عليه قوله من قبل ان كنتم مؤمنين اي من قبل محمد
اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغ قتل الانبياء قيل قتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي في بيت المقدس
ولقد جاءكم موسى بالبينات بالآيات التسع وادغم الدال في الجيم حيث
كان ابو عمرو وحمزة وعلي ثم اتخذتم العجل الها من بعده من بعد خروج موسى

الى الطور وانتم ظالمون هو حال اى عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة
في غير موضعها او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة كرر ذكر رفع الطور
لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى واسمعوا ما امرتم به في التورية
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وطابق قوله جوابهم من حيث انه قال
لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع
طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل
الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب والمضاف وهو
الحب محذوف بكفرهم بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه قل بئسما
يامركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجل واضافة
الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم ان كنتم مؤمنين
تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له قل ان كانت لكم الدار
الآخرة اى الجنة عند الله ظرف ولكم خبر كان خالصة حال من الدار
الآخرة اى سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا من دون الناس هو للجنس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فيما تقولون لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق
اليها تخلصا من الكدورات الشوايب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة
ان كل واحد منهم يحب الموت ويحن اليه ولن يتمنوه ابدا هو نصب على الظرف
اى لن يتمنوه ما عاشوا بما قدمت ايديهم اسلفوا من الكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو المعجزات لانه اخبار
بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل
ساير الحوادث والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس
مفعولا وجدهم واحرص على حيوة التنكير يدل على ان المراد حيوة مخصوصة
وهي الحيوة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على
الحيوة ومن الذين اشركوا هو محمول على المعنى لان معنى احرص الناس
احرص من الناس نعم قد دخل الذين اشركوا تحت الناس ولكنهم افردوا
بالذكر لان حرصهم شديد كما ان جبريل وميكائيل خصا بالذكر وان دخلا

تحت الملائكة او ازيد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس
عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون
الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها فاذا زاد في الحرص من له
كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ وانما زاد حرصهم
على الذين اشركوا لانهم صائرون الى النار لعلمهم بحالهم والمشركون
لا يعلمون ذلك قوله يود احدهم لو يعمر الف سنة بيان لزيادة
حرصهم على طريق الاستيناف وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
عش الف نيروز وعن ابن عباس رضي الله عنه هو قول الاعاجم زي هزار سال
وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتداء اى ومنهم ناس يود احدهم على حذف
الموصوف والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله
والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب لاحدهم وقوله ان يعمر فاعل
بمزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ويجوز ان يكون
مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاد قال في جامع
العلوم وغيره لو يعمر بمعنى ان يعمر فلو هنا نابت عن ان وان مع
الفعل في تاويل المصدر وهو مفعول يود اى يود احدهم تعمير الف سنة
والله بصير بما يعملون اى بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه وبالتاء يعقوب
قل من كان عدوا لجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز مكي وبفتح الراء والجيم
والهمز مشبعا كوفي غير حفص وبكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم ومنع الصرف
فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لان جبر هو العبد بالسريانية وايل
اسم الله روى ان ابن صوريا من احبار اليهود حاج النبي عليه السلام وسأله
عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره
لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع
عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن
اياه فعلى اي ذنب تقتلونه فانه نزله فان جبريل عليه السلام نزل
القرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة
حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء

من صفاته **على قلبك** أي حفّظه إياك وخصّ القلب لأنه محلّ الحفظ كقوله
نزل به الروح الأمين على قلبك وكان حقّ الكلام أن يقال على قلبي ولكن جاز
على حكاية كلام الله كما تكلّم به وإنما استقام أن يقع فإنه نزله جزاءً للشرط
لأنّ تقديره إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث
نزل كتابًا مصدّقًا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبّوه وشكروا له صنيعه
في إنزاله ما ينفعهم ويصحّح المنزل عليهم وقيل جواب الشرط محذوف
تقديره من كان عدوًّا لجبريل فليمت غيظًا فإنه نزل الوحي على قلبك
بإذن الله بأمره **مصدّقًا لما بين يديه وهدًى وبشرى للمؤمنين**
ردّ على اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدّة فقيل وإنه
ينزل بالهدى والبشرى أيضًا **من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال** بصري وحفص وميكائل باختلاس الهمزة كميكاعل مدني وميكائيل
بالمدّ وكسر الهمزة مشبعة غيرهم وخصّ الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما
من جنس آخر إذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات **فإنّ الله عدوّ
للكافرين** أي لهم فجاء بالظاهر ليدلّ على أنّ الله إنما عاداهم لكفرهم وأنّ عداوة
الملائكة كفر كعداوة الأنبياء ومن عاداهم عاداه الله **ولقد أنزلنا إليك آيات
بيّنات وما يكفر بها إلا الفاسقون** المتمرّدون من الكفرة واللام للجنس والأحسن
أن يكون إشارة إلى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك
من آية فنتّبعك لها فنزلت الواو في **أوكلّما** للعطف على محذوف تقديره
أكفروا بالآيات البيّنات وكلّما **عاهدوا عهدًا نبذه** نقضه ورفضه
وقال **فريق منهم** لأنّ منهم من لم ينقض **بل أكثرهم لا يؤمنون** بالتوراة
وليسوا من الدين في شيء فلا يعدّون نقض المواثيق ذنبًا ولا يبالون به
ولمّا جاءهم رسول من عند الله محمد صلى الله عليه وسلم **مصدّق لما معهم
نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب** أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود **كتاب الله**
يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله المصدّق لما معهم كافرون بها نابذون
لها أو كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقّيه بالقبول **وراء
ظهورهم** مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء

عنه وقلّة التفات إليه **كأنهم لا يعلمون** أنه كتاب الله **واتّبعوا ما تتلوا
الشياطين** حقّه أي نبذ اليهود كتاب الله واتّبعوا كتب السحرة
والشعوذة التي كانت تقرؤها **على ملك سليمان** أي على عهد ملكه في زمانه
وذلك أنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب
يلفّقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دوّنوها في كتب يقرؤونها ويعلّمونها
الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إن الجنّ تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تمّ لسليمان ملكه إلا بهذا
العلم وبه سخّر الجنّ والإنس والريح **وما كفر سليمان** تكذيب للشياطين
ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به **ولكنّ الشياطين**
هم الذين **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه ولكن بالتخفيف الشياطين
بالرفع شامي وحمزة وعلي **يعلّمون الناس السحر** في موضع الحال أي كفروا
معلّمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم **وما أنزل على الملكين** الجمهور
على أنّ ما بمعنى الذي وهو منصوب عطف على السحر أي ويعلّمونهم ما أنزل على الملكين أو على
ما تتلوا أي واتّبعوا ما أنزل على الملكين **ببابل هاروت وماروت** علمان لهما
وما عطف بيان للملكين والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلّمه
منهم وعمل به كان كافرًا إن كان فيه ردّ ما لزم في شرط الإيمان ومن تجنّبه
أو تعلّمه لا ليعمل به لكن ليتوقّاه ولئلا يغترّ به كان مؤمنًا قال الشيخ أبو منصور
رحمه الله القول بأنّ السحر كفر على الإطلاق خطأ بل يجب البحث عن حقيقته
فإن كان في ذلك ردّ ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا ثم السحر
الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث وما ليس بكفر وفيه إهلاك
النفس ففيه حكم قطّاع الطريق ويستوي الذكور والإناث ويقبل توبته
إذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فإنّ سحرة فرعون قبلت توبتهم وقيل
وقيل أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل قيل إنهما ملكان اختارتهما
الملائكة لتركّب فيهما الشهوة حين عيّرت بني آدم فكانا يحكمان في الأرض
في النهار ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما
إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذّبان منكوسين
في جبّ ببابل وسمّي ببابل لتبلبل الألسن بها **وما يعلّمان من أحد** وما يعلّم الملكان

احدا حتى يقولا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء
واختبار من الله فلا تكفر بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرا
فيتعلمون منهما الفاء عطف على قوله يعلمون الناس اي يعلمونهم
فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا ويعلمون
الناس السحر او على مضمر والتقدير فيابون فيتعلمون والضمير
لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء
وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين بان يحدث
الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه والسحر حقيقة عند اهل
السنة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه وما هم بضارين به
بالسحر من احد الا باذن الله بعلمه ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم ولا
ينفعهم في الاخرة وفيه دليل على انه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة
التي تجر الى الغواية ولقد علموا اي اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا
الشياطين على كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم باعوها وانما على نفى العلم منهم بقوله لو كانوا يعلمون مع اثباته
لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لان معناه لو كانوا يعملون
بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم لا يعلمون ولو انهم امنوا برسول الله
والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب
الشياطين لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لاثيبوا من
عند الله ما هو خير واوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها
من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ولم يقل لمثوبة الله خير لان
المعنى لشيء من الثواب خير لهم وقيل لو للتمني كانه قيل وليتهم امنوا
ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا
من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه
وكانت اليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا
بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة

فنهى المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا
انتظره واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى
الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن
سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين يعني اليهود
الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب اليم مؤلم ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم
وبالتخفيف مكي وابو عمرو من خير من ربكم من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة
لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك
الرحمة والله يختص برحمته من يشاء يعني انهم يرون انفسهم احق
بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي
والله يختص بالنبوة من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيه اشعار
بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا في النسخ فقالوا
الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه
عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا نزل
ما ننسخ من اية او ننسها تفسير النسخ لغة التبديل وشريعة
بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي في تقديرنا او هامنا استمراره
بطريق التراخي فكان تبديلا في حقنا بيانا محضا في حق صاحب الشرع
وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه اعني اليهود ومحله
حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت
او تابيد ثبت نصا او دلالة وشرط التمكن من عقل القلب عندنا دون
التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة
متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة
والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف في الحكم مثل الزيادة على النص
فانها نسخ عندنا خلافا للشافعي رحمه الله والانساء اذهاب
بحفظها عن القلوب وننساها مكي وابو عمرو اي نؤخرها من النسيان

اى اخرت نأت بخير منها نأت باية خير منها للعباد اى باية العمل بها اكثر
للثواب او مثلها في ذلك اذ لا فضيلة لبعض الايات على البعض
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير لانه قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها
وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ وما لكم من دون الله من ولي
يلي امركم ولا نصير ناصر يمنعكم من العذاب ام تريدون ام منقطعة
وتقديره بل اتريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل روى
ان قريشا قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة فنهوا
ان يقترحوا عليه الايات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا
الها ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالايات المنزلة
وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل قصده ووسطه
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم ان يردوكم من بعد ايمانكم
كفارا حال من كم لانه يردونكم عن دينكم كافرين نزلت حين قالت اليهود
للمسلمين بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم
فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم حسدا مفعول له اى لاجل الحسد وهو الاسف
على الخير عند الغير من عند انفسهم بود لان ود وامر عند انفسهم ومن قبل
شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين
لهم الحق اى بعد علمهم بانك على الحق او بحسدا اى حسدا متبالغا منبعثا
من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح
عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره بالقتال ان الله
على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير من حسنة صلوة او صدقة
او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير
فلا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى لاهل الكتاب من اليهود والنصارى اى وقالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد

الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين
وتضليل كل واحد منهما صاحبه الاولى لى قوله وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهو جمع هائد
كعائذ وعوذ وتوحيد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لمعناه تلك امانيهم اشير بها
الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم
ان يردوهم كفارا ومنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اى تلك الاماني الباطلة
امانيهم والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة قل هاتوا برهانكم هاتوا
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء في معنى احضر وهو
متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض
ان كنتم صادقين في دعواكم بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم
وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن مصدق بالقرآن
فله اجره جواب من ان اسلم فهو كلام مبتدأ متضمن معنى الشرط وبلى رد لقولهم
عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اى على شيء يصح ويعتد به والواو
وهم يتلون الكتاب للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل
العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية والانجيل وآمن به ان لا يكفر بالباقي
لان كل واحد من الكتابين مصدق للاخر كذلك مثل ذلك القول الذي سمعت
قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اى الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب
كعبدة الاصنام والمعطلة قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم
لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون اى بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم
من العقاب اللائق به ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام واظلم خبره والمعنى واى
واحد اظلم وان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا
ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان اى من
ان يذكر وان ينصب مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى

في بيت المقدس لاذى ومنعهم الناس ان يصلوا فيه او منع المشركين
رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وانما قيل مساجد الله
وان كان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس والمسجد الحرام لان الحكم
ورد عاما وان كان السبب خاصا كقوله تعالى ويل لكل همزة والمنزول
فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر والمراد ممن منع
العموم كما اريد العموم بمساجد الله اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها
اي ما كان ينبغي ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين حال من الضمير في يدخلوها
اي على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق الا ذلك
لولا ظلم الكفرة وعتوهم روي انه لا يدخل بيت المقدس الا بولغ ضربا ونادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل
معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي للحربي وذلة بضرب
الجزية للذمي ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي النار ولله المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها فاينما شرط تولوا
مجزوم بها اي ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة
بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره والجواب فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى
انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم
الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية
فيها فان التولية ممكنة في كل مكان ان الله واسع عليم اي هو واسع الرحمة
يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما
نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وقيل عميت القبلة
على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا
وهو حجة على الشافعي رحمه الله فيما اذا استدبر وقيل فاينما تولوا
للدعاء والذكر وقالوا اتخذ الله ولدا يريد الذين قالوا المسيح ابن الله
وعزير ابن الله قالوا شامي فاثبات الواو باعتبار انه قصة معطوفة

على ما قبلها وحذفها باعتبار انه استيناف قصة اخرى سبحانه
تنزيه عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض اي هو خالقه
ومالكه ومن جملته المسيح وعزير والولادة تنافي الملك كل له قانتون
منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره والتنوين في كل
عوض عن المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض او كل من
جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية
منكرون لما اضافوا اليهم وجاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله
قانتون كقوله سبحان ما سخركن لنا بديع السموات والارض
اي مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق وكل من فعل ما لم يسبق
اليه يقال له ابدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع
لانه ياتي في الدين غير دين الاسلام بما لم يسبق اليه الصحابة
والتابعون رضوان الله عليهم اجمعين واذا قضى امرا اي حكم او قدر
فانما يقول له كن فيكون هو من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا
مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثم وانما المعنى ان ما قضاه
من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير
امتناع لما توقف كالمامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه
اباء واكد بهذا استبعاد الولادة من كان بهذه الصفة من القدرة
كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فانى يتصور التوالد
ثم والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستيناف
اي هو يكون او على العطف على يقول ونصبه ابن عامر على لفظ
كن لانه امر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بامر
حقيقة اذ لا فرق بين ان يقال واذا قضى امرا فانما يكونه
فيكون وبين ان يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك
فلا معنى للنصب وهذا لانه لو كان امرا فاما ان يخاطب به الموجود
والموجود لا يخاطب بكن او المعدوم والمعدوم لا يخاطب وقال
الذين لا يعلمون من المشركين او من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم
لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة

وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون
ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها كذلك قال الذين من قبلهم
مثل قولهم تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى
قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى لقوم ينصفون فيوقنون انها
آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها
انا ارسلناك بالحق بشيرا للمؤمنين بالثواب ونذيرا للكافرين
بالعقاب ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ولا نسألك عنهم ما لهم
لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم وهو حال كنذيرا
وبشيرا وبالحق اى وغير مسؤل او مستأنف كقراءة نافع ولا تسأل
على النهى ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما يقول كيف فلان
سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله تعالى
نبيه عن السؤال عن احوال الكفرة حين قال ليت شعرى ما فعل ابواى ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم كانهم قالوا لن نرضى
عنك وان ابلغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله
عن دخولهم فى الاسلام فذكر الله عز وجل كلامهم قل ان هدى الله الذى رضى
بعباده هو الهدى اى الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون
الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى هواء الا ترى الى قوله ولئن اتبعت
اهواءهم اى اقوالهم التى هى اهواء وبدع بعد الذى جاءك من العلم اى
من العلم بان دين الله هو الاسلام او من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة
والحجج اللائحة ما لك من الله من عذاب الله من ولى ولا نصير ناصر الذين مبتدأ
آتيناهم الكتاب صلته وهم مؤمنوا اهل الكتاب وهو التورية والانجيل
او اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والكتاب القرآن يتلونه حال مقدرة
من هم لانهم يكونوا تالين له وقت ايتانه ونصب على المصدر حق تلاوته
اى يقرؤنه حق قرأته فى الترتيل واداء الحروف والتدبر والتفكر
او يعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبى
صلى الله عليه وسلم اولئك مبتدأ خبره يؤمنون به والجملة خبر الذين
ويجوز ان يكون يتلونه خبرا والجملة خبر آخر ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون

حيث

حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم اى نعمتها عليكم وانى فضلتكم على العالمين وتفضيلى
اياكم على عالمى زمانكم واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون
والجمل الاربع وصف ليوما اى واتقوا يوما اى واتقوا يوما لا تجزى فيه
ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه وتكرار هاتين الآيتين لتكرر
منهم وختم قصة بنى اسرائيل بما بدا به واذ اى واذكر اذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات اختبره باوامر ونواه والاختبار منا لظهور ما لم تعلم ومن الله
لاظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفى فى الشاهد والغائب
جميعا فلذا يجوز اضافته الى الله تعالى وقيل اختبار الله عبده مجاز عن
تمكينه من اختيار احد الامرين كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب
ذلك وقرأ ابو حنيفة رضى الله عنه ابراهيم ربه برفع ابراهيم وهى قراءة ابن
عباس رضى الله عنهما اى دعاه بكلمات من الدعا فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا
فاتمهن اى قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط
وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى ومعناه فى القراءة ابى حنيفة رضى الله
عنه فاعطاه ما طلب لم ينقص منه شيئا والكلمات على هذا ما سال ابراهيم
ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم
رسولا ربنا تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة خمس فى الرأس الفرق
وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى الجسد
الختان وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن
ابن عباس رضى الله عنهما هى ثلثون سهما من الشرايع عشر فى براءة التائبون
العابدون الآية وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر فى
المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هى مناسك الحج قال انى جاعلك
للناس اماما هو اسم من يؤتم به اى يأتمون بك فى دينهم قال ومن ذريتى
اى واجعل من ذريتى اماما يقتدى به وذرية الرجل اولاده ذكورهم
واناثهم فيه سواء فعلية من الذر اى الخلق فابدلت الهمزة قال لا ينال
عهدى الظالمين بسكون الياء حمزة وحفص اى لا يصيب الامامة اهل الظلم

من ولدك اى اهل الكفر اخبر ان امامة المسلمين لا يثبت لاهل الكفر
وان من اولاده المسلمين والكافرين وقال وباركنا عليه وعلى اسحاق
ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر
قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة قالوا وكيف
يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب
من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم ولكنا
نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم المطلق وقيل انه سأل ان يكون
ولده نبيا كما كان هو فاخبر ان الظالم لا يكون نبيا واذ جعلنا البيت اى
الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج
والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه وامنا وموضع امن فان الجانى يأوى
اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا فى الملتجئ الى الحرم واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وعنه عليه السلم انه
اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر
بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذى
فيه اثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم واتخذوا شامى ونافع بلفظ
الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به
لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى
ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتى مدنى وحفص اى بان طهرا والمعنى
طهراه من الاوثان والانجاس والخبائث كلها للطائفين للدائرين حوله
والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يبرحون
او المعتكفين وقيل للطائفين للنزاع اليه من البلاد والعاكفين
المقيمين من اهل مكة والركع السجود المصلين جمع راكع وساجد واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا اى اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا
ذا امن كعيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم فهذا مفعول
اول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له وارزق اهله من الثمرات
لانه لم يكن لهم ثمرة ثم ابدل من آمن منهم بالله واليوم الاخر من اهله
بدل البعض من الكل اى وارزق المؤمنين من اهله خاصة فان الرزق

على العامة فخص المؤمن به الله تعالى جوابا له ومن كفر اى وارزق
من كفر فامتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا الى حين اجله
فامتعه شامى ثم اضطره الجئه الى عذاب النار وبئس المصير
المرجع الذى يصير اليه اهل النار والمخصوص بالذم محذوف واذ
يرفع حكاية حال ماضية ابراهيم القواعد هى جمع قاعدة وهى
الاساس والاصل لما فوقه وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة
ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر من البيت
بيت الله وهو الكعبة واسمعيل هو عطف على ابراهيم فكان ابراهيم
يبنى واسمعيل يناوله بالحجارة ربنا اى يقولان ربنا وهذا
الفعل فى محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله فى قراءته
ومعناه يرفعانها قائلين ربنا تقبل منا تقربنا اليك ببناء
هذا البيت انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا
ونياتنا وفى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام تفخيم
لشأن المبين ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا
من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له واستسلم
اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك
ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن
للتبعيض او للتبيين وقيل بالامة امة محمد عليه الصلوة
والسلام وانما خصا بالدعاء ذريتهما لانهم اولى
بالشفقة قوا انفسكم واهليكم نارا وارنا مناسكنا
منقول من راى بمعنى بصر او عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين
اى وبصرنا متعبداتنا فى الحج او عرفناها وواحد المناسك
منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد
ناسك وارنا مكى وقاسه على فخذ فى فخذ وابو عمرو يشم
الكسرة وتب علينا ما فرط منا من التقصير او استتابة لذريتهما
انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم فى الامة المسلمة

رسولاً منهم من انفسهم فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال عليه
السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم
اياتك يقرأ ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك
وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القران والحكمة السنة
او فهم القران ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس
انك انت العزيز الغالب الذي لا يغلب الحكيم فيما اوليت ومن يرغب
عن ملة ابراهيم استفهام بمعنى الجحد وانكار لان يكون في العقل
امن يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم والملة السنة
والطريقة كذا عن الزجاج الا من في محل الرفع على البدل من الضمير
في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك
احد الا زيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه
نفسه اي جهل نفسه اي لم يفكر في نفسه فوضع جهل وعدى
كما عدي ومعناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف من في قوله
واختار موسى قومه وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح والوجهان
عن الزجاج وقال الفراء هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين بيان لخطاء
راي من رغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن احد اولى
بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه او انتصب باضمار
اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي
لا يرغب عن ملة مثله له ربه اسلم اذعن واطع او اخلص دينك
لله قال اسلمت لرب العالمين اي اخلصت او انقدت ووصى
واوصى مدني وشامي بها بالملة او بالكلمة وهي اسلمت لرب
العالمين ابراهيم بنيه ويعقوب هو معطوف على ابراهيم
داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا
يا بني على اضمار القول ان الله اصطفى لكم الدين اي اعطاكم الدين الذي
هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به
فلا تموتن الا وانتم مسلمون فلا يكن موتكم

الا على

الموت

الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف
حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة
ولكن عن ترك الخشوع في صلاته ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم
حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب
للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي
او متصلة ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون
ما مات نبي الا على اليهودية كانه قيل اتدعون على الانبياء عليهم السلام
اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال بدل من اذ
الاولى والعامل فيها شهداء او ظرف لحضر لبنيه ما تعبدون استفهام
في محل النصب بتعبدون اي اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء وهو
سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب من بعدي
من بعد موتي قالوا نعبد الهك واله اباءك اعيد ذكر الاله لئلا
يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ابراهيم واسمعيل واسحق
عطف بيان لاباءك وجعل اسمعيل من جملة ابائه وهو عمه لان العم اب
قال عليه الصلوة والسلام للعباس هذا بقية ابائي الها واحدا بدل من اله
اباءك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص اي نريد باله
اباءك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او جملة معطوفة
على نعبد او جملة اعتراضية مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون امة قد خلت قد مضت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم اي ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا
فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم
وذلك لافتخارهم باباءهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم
وقالوا كونوا هودا او نصارى اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا
نصارى وجزم تهتدوا لانه جواب الامر قل بل ملة ابراهيم بل نتبع ملة ابراهيم
حنيفا حال من المضاف اليه نحو رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن
كل دين باطل الى دين الحق وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم

لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين
او للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل آمنا بالله وما
انزل الينا اي القرآن وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب السبط الحافد
وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط
حفدة يعقوب عليه السلام وذراري ابنائه الاثنا عشر ويعدى انزل
بالى وبعلى اوردهنا بالى وفي آل عمران بعلى وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما
فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه و
نحن له مسلمون لله مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا
ظاهر الآية مشكل لانه يوجب ان يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل
الباء زائدة ومثل صفة لمصدر محذوف تقديره فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم
والهاء يعود الى الله تعالى عز وجل وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى والذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية
الاخرى وجزاء سيئة سيئة مثلها بدليل قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بما
آمنتم به وما بمعنى الذي بدليل قراءة ابي رضي الله تعالى عنه بالذي آمنتم به
وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة
مثل شهادتكم التي آمنتم بها وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا او ان
تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان فانما هم في شقاق اي فما هم الا في
خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء فسيكفيكهم الله ضمان من الله
لاظهار رسوله عليه الصلوة والسلام وقد انجز وعده بقتل بعضهم واجلاء بعض
ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع لما ينطقون به
العليم بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم او وعد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار
دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله دين الله وهو مصدر
مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة
التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل
فيه ان النصارى يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو

والاسباط

تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا
فامر المسلمين بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة و
لم نصبغ صبغتكم وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الاشجار
كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم ومن احسن من الله صبغة تمييز
اي لا صبغة احسن من صبغته يريد الدين او التطهير ونحن له عابدون عطف
على آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صبغة الله داخل في مفعول قولوا
آمنا اي قولوا هذه وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم ان صبغة الله
بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك
النظم واخراج الكلام عن التيام وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي
ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا في الله اي تجادلوننا في
شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد
لانزل علينا وترون انكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انّا
عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وكما ان لكم الاعمال فلنا كذلك و
نحن له مخلصون اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان وانتم به مشركون والمخلص
احرى بالكرامة واولى بالنبوة من غيره ام تقولون بالتاء شامي وكوفي
غير ابي بكر وام على هذا معادلة للهمزة في اتحاجوننا يعني اي الامرين تأتون
المحاجة في حكم الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء عليهم السلام
او منقطعة اي بل اتقولون نغرهم بالياء وعلى هذا الهمزة لا تكون الا منقطعة
ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى امر نبيه
عليه الصلوة والسلام ان يقول مستفهما رادا عليهم بقوله قل ءانتم اعلم ام الله
يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة
الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادة لابراهيم بالحنيفية والمعنى ان اهل الكتاب
لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها او انا لو كتمنا هذه
الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد
عليه الصلاة والسلام بالنبوة في كتبهم وساير شهاداته ومن في قوله من الله

مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له في انها صفة لها وما
الله بغافل عما يعملون من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون كررت للتاكيد ولا
المراد بالاول الانبياء عليهم السلام وبالثاني اسلاف اليهود والنصاري
سيقول السفهاء من الناس الخفاف الاحلام فاصل السفه الخفة وهم اليهود لكراهتهم
التوجه الي الكعبة وانهم لا يرون النسخ او المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء
او المشركون لقولهم رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الي دينهم
وفائدة الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذ المفاجات بالمكروه
اشد واعداد الجواب قبل الحاجة اقطع للخصم فقبل الرمي يراش السهم ما ولّيهم
ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي
يستقبلها الانسان في الصلوة لان المصلي يقابلها قل لله المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها له يهدي من يشاء من اهلها الي صراط
مستقيم طريق مستو اي يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة وطورا الي بيت
التي امر بالتوجه اليها والاماكن كلها لله فيامر بالتوجه الى حيث شاء فتارة الي
الكعبة وطورا الى بيت المقدس لا اعتراض عليه لانه المالك وحده وكذلك
جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذا جر بالكاف
واللام للفرق بين الاشارة الي القريب والاشارة الي البعيد والكاف للخطاب
لا محل لها من الاعراب امة وسطا خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع
اليها الخلل والاوساط محمية اي جعلت قبلتكم خير القبل وجعلتكم خير الامم
او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض اي
كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم امة وسطا بين الغلو
والتقصير فانكم لن تغلوا غلو النصاري حيث وصفوا المسيح بالالوهية ولن تقصروا
تقصير اليهود حيث رموا مريم بالزنا وعيسى بانه ولد الزنا لتكونوا شهداء
غير منصرف لمكان الف التانيث على الناس صلة الشهداء ويكون الرسول عليكم
شهيدا عطف على لتكونوا روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام
فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى
الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبا

الله تعالي في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه
وسلم فيسأل عن امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم والشهادة قد تكون
بلا مشاهدة كالشهادة في التسامع في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد
كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا
شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون
الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم واستدل الشيخ ابو منصور
رحمه الله بالاية على ان الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامة بالعدالة
والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله
واخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا لان المراد في الاول اثبات شهادتهم
على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها اي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فالتي
كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت
المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الي الكعبة وفيه دليل على جواز نسخ
السنة بالكتاب بخلاف ما يقول الشافعي رحمه الله لان التوجه الى بيت المقدس
ثبت بوحي غير متلو وقد نسخ بالكتاب الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
اي وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة الا
امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على
حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد فقد ارتد جماعة عن الاسلام عند تحويل
القبلة قال الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم اي لنعلم كائنا موجودا
ما قد علمنا انه يكون ويوجد فالله تعالى عالم في الازل بكل ما اراد وجوده انه
يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بانه عالم في الازل بانه موجود
كائن لانه ليس بموجود في الازل فكيف يعلمه موجودا واذا صار موجودا يدخل
تحت علمه الازلي فيصير معلوما موجودا كائنا والتغيير على المعلوم لا على
العلم او لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز او ليعلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما اسند علمهم الي ذاته لانهم خواصه وهو

عقبيه

على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب فليلقه في النار
ايذوب وان كانت التحويلة او الجعلة او القبلة وان هي المخففة واللام في لكبيرة
اي ثقيلة شاقة وهي خبر كان فارقة الا على الذين هدى الله اي هداهم الله فحذف
العائد اي الاعلى الثابتين الصادقين في اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وما
كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس سمى الصلوة ايمانا لان وجوبها
على اهل الايمان وقبولها من اهل الايمان واداؤها بالجماعة دليل الايمان ولما
توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل
من اخواننا فنزلت ثم علل ذلك فقال ان الله بالناس لرؤف مهموز مشبع
حجازي وشامي وحفص رؤف غيرهم بوزن فعل وهما للمبالغة رحيم لا يضيع
اجورهم والرأفة اشد من الرحمة فجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم قد نرى تقلب
وجهك في السماء تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة موافقة لابراهيم عليه
السلام ومخالفة لليهود ولانها ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا
اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس قبلة ترضاها
تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته
فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه وشطر نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه
تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر
المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين روي
انه عليه الصلوة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم وجه الى الكعبة وحيث ما كنتم من الارض واردتم الصلوة فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو
الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى
القبلتين من ربهم وما الله بغافل عما يعملون بالياء مكي وابو عمرو ونافع و
عاصم وبالتاء غيرهم فالاول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والاباء
والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب اراد ذوي العناد منهم بكل اية برهان قاطع ان التوجه الى

الكعبة

الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها
بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك
على الحق وجواب القسم المحذوف سد مسد الشرط وما انت بتابع قبلتهم
حسم لاطماعهم اذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو
ان يكون صاحبنا الذي ننتظره طمعوا في رجوعه الى قبلتهم ووحدت القبلة
وان كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهما في البطلان
وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون
في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل
بيت المقدس وللنصارى مطلع الشمس ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم اي بعد وضوح البرهان والاحاطة بان القبلة
هي الكعبة وان دين الله هو الاسلام انك اذا لمن الظالمين لمن المرتكبين
الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير
لمن يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وقيل الخطاب في الظاهر للنبي
عليه الصلوة والسلام والمراد امته ولزم الوقف على الظالمين اذ لو وصل
لصار الذين اتيناهم الكتاب صفة للظالمين وهو مبتدأ والخبر يعرفونه
اي محمدا عليه الصلوة والسلام او القرآن او التحويل والاول اظهر لقوله كما يعرفون
ابناءهم قال عبد الله بن سلام انا اعلم به مني بابني فقال له عمر رضي الله عنه
ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل
عمر راسه وان فريقا منهم اي من الذين لم يسلموا ليكتمون الحق حسدا
وعنادا وهم يعلمون لان الله تعالى بينه في كتابهم الحق مبتدأ خبره من ربك
واللام للجنس اي الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي
انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب هو الباطل او للعهد
والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او خبر مبتدأ اي هو الحق
ومن ربك خبر بعد خبر او حال فلا تكونن من الممترين الشاكين انه من ربك و
لكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وقرئ بها والضمير في هو لكل
وفي موليها للوجهة اي هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين او هو لله
تعالى اي الله موليها اياه هو موليها شامي اي هو مولى تلك الجهة قد وليها

والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات
واسبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره اينما تكونوا انتم واعدائكم يأت
بكم الله جميعا يوم القيمة فيفصل بين المحق والمبطل او لكل منكم يا امة محمد
وجهة يصلى اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الفاضلات
من الجهات وهي المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات
المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلاتكم كانها الى جهة واحدة
وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ان الله على كل شيء قدير ومن حيث
خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت
وانه وان هذا المامور به للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وبالياء
ابو عمرو ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره وهذا التكرير لتاكيد امر الله القبلة وتشديده
لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على انه نيط بكل
واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها لئلا يكون للناس عليكم حجة
اي قد عرفكم الله جل ذكره امر الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله ولكل
وجهة هو موليها لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التورية
من تحويل القبلة واطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق
الحجة الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون حجة لاحد من
اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى
دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم السلام
او معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة
التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام اباء العرب الا الذين ظلموا منهم
وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى
دينهم ثم استانف منبها بقوله فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم
لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم اي عرفتكم لئلا يكون
حجة ولاتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى الكعبة ولعلكم تهتدون ولكي تهتدوا
الى قبلة ابراهيم الكاف في كما ارسلنا فيكم اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم
نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسل وبما بعده

اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب فعلى هذا
يوقف على تهتدون وعلى الاول لا رسولا منكم من العرب يتلوا عليكم
اياتنا يقرا عليكم القران ويزكيكم ويعلمكم الكتاب القران والحكمة السنة والفقه
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي فاذكروني بالمعذرة
اذكركم بالمغفرة او بالثناء والعطا او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفو الحوبة
او بالاخلاص والخلاص او بالمناجاة والنجاة واشكروا لي ما انعمت عليكم و
لا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر وفيه
بيان كل فضيلة والصلوة فانها تنهى عن كل رذيلة ان الله مع الصابرين بالنصرة و
المعونة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر
رجلا اموات اي هم اموات بل احياء اي هم احياء ولكن لا تشعرون لا تعلمون ذلك
لان حيوة الشهداء لا تعلم حسا عن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح
ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة و
يجدون ريحها وليسوا فيها ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر
لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة ام لا بشيء بقليل
من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقلل ليوذن ان كل بلاء اصاب
الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويريهم ان رحمته معهم في كل حال
واعلمهم بوقوع البلوي قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم نفوسهم عليها من
الخوف خوف العدو او الله والجوع اي القحط او صوم رمضان ونقص من
الاموال بموت المواشي او بالزكوة وهو عطف على شيء او على الخوف اي وشيء من
نقص الاموال والانفس بالقتل والموت او بالمرض والشيب والثمرات ثمرات
الحرث او موت الاولاد لان الولد ثمرة الفواد وبشر الصابرين على هذه
البلايا او المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفي الحديث
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضاه وطفي سراج رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال انا لله وانا اليه
راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يوذي المومن فهو له مصيبة والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة الذين نصب صفة

للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين وجعل
الخبر اولئك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وما
بعده بيان الصبر اذا اصابتهم مصيبة مكروه واسم فاعل من اصابته شدة اي لحقته
ولا وقف على مصيبة لان قالوا جواب اذا واذا وجوابها صلة الذين انا لله
اقرار له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفوسنا بالهلك اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة الصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينهما و
بين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة وقوله رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد
رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا و
اذعنوا لامر الله قال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة اي الصلوة
والرحمة والاهتداء ان الصفا والمروة هما علمان للجبلين من شعائر الله من اعلام
مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت قصد الكعبة
او اعتمر زار الكعبة فالحج القصد والاعتمار الزيارة ثم غلبا على قصد البيت و
زيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان فلا
جناح عليه فلا اثم ان يطوف بهما اي يتطوف فادغم التاء في الطاء واصل الطوف
المشي حول الشيء والمراد هنا السعي بينهما قيل كان على الصفا اساف وعلى المروة
نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا
عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف
بينهما لاجل فعل الجاهلية فرفع عنهما الجناح بقوله فلا جناح وهو دليل على انه
ليس بركن كما قال مالك والشافعي رحمهم الله وكذا قوله ومن تطوع خيرا
اي الطواف بهما مشعر بانه ليس بركن ومن يطوع حمزة وعلي اي يتطوع فادغما
التاء في الطاء فان الله شاكر مجاز على القليل كثير عليم بالاشياء صغيرا وكبيرا
ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات
من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية الى الاسلام
بوصفه عليه الصلوة والسلام من بعد ما بيناه اوضحناه للناس في الكتاب في
التورية لم تدع فيه موضع اشكال فعمدوا الى ذلك المبين فكتموه اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون

من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وترك الايمان واصلحوا ما افسدوا من
احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا اي اظهروا ما كتموا فاولئك اتوب
عليهم اقبل توبتهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا اولئك عليهم لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا والمراد بالناس
المؤمنون او المؤمنون والكافرون اذ بعضهم يلعن بعضا يوم القيمة
قال الله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها خالدين حال من هم في عليهم
فيها في اللعنة او في النار الا انها اضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا ولا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا
او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد في الالوهية لا شريك له فيها
ولا يصح ان يسمى غيره الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته و
اثباته وموضع هو رفع لانه بدل من موضع لا اله ولا يجوز النصب هنا لان
البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى في الآية على ذلك والنصب يدل
على ان الاعتماد على الاول ورفع الرحمن الرحيم اي المولى لجميع النعم اصولها
وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فما سواه اما نعمة واما منعم عليه على انه
خبر مبتدأ او على البدل من هو لا على الوصف لان المضمر لا يوصف ولما عجب
المشركون من اله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار في اللون والطول والقصر او تعاقبهما في الذهاب
والمجيء والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها
او بنفع الناس ومن في وما انزل الله من السماء لابتداء الغاية وفي من ماء
مطر لبيان الجنس اي ما ينزل من السماء مطر وغيره ثم عطف على انزل فاحيا به
بالماء الارض بعد موتها يبسها ثم عطف على فاحيا وبث فرق فيها في الارض
من كل دابة هي كل ما يدب في الارض وتصريف الرياح الريح حمزة وعلي اي و
تقليبها في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة و
عاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وطورا بالعذاب والسحاب
المسخر المذلل لمشيئة الله فيمطر حيث شاء بين السماء والارض في الهوى لآيات
لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الا

على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشيها في الحديث ويل لمن قرا هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر ولم يعتبر بها ومن الناس اي و
مع هذا البرهان النير من الناس من يتخذ من دون الله اندادا امثالا
من الاصنام يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب
الله كتعظيم الله والخضوع له اي تحبون الاصنام كما يحبون الله يعني يسوون
بينهم وبينه في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه وقيل يحبونهم
كحب المؤمنين والذين آمنوا اشد حبا لله من المشركين لالهتهم لانهم
لا يعدلون عنه الى غيره بحال والمشركون يعدلون عن اندادهم الى الله عند
الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ولو يرى ترى نافع وشامي على خطاب
الرسول عليه الصلوة والسلام او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا
عظيما الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اذ يرون يرون شامي
العذاب ان القوة لله جميعا حال وان الله شديد العذاب شديد عذابه
اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القوة كلها
لله على كل شيء من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه
للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف
من الندم والحسرة فحذف الجواب لان لو اذا جاء فيما يشوق اليه او يخوف
منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب ولو يليها الماضي وكذا
اذ وضعها ليدل على الماضي وانما دخلتا على المستقبل هنا لان اخبار الله
تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي اذ تبرأ مدغمة الذال في التاء
حيث وقعت عراقي غير عاصم وهو بدل اذ يرون العذاب الذين اتبعوا
اي المتبوعون وهم الروساء من الذين اتبعوا من الاتباع وراوا العذاب
الواو للحال اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم
الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب
والمحاب وقال الذين اتبعوا اي الاتباع لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا فنتبرأ
نصب على جواب التمني لان لو في معنى التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ منهم
كما تبرؤا منا الآن كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم
اي عبادتهم الاوثان حسرات عليهم ندامات وهي مفعول ثالث ليريهم و

معناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم
وما هم بخارجين من النار بل هم فيها دائمون ونزل فيمن حرموا على انفسهم
البحائر ونحوها يا ايها الناس كلوا امر اباحة مما في الارض من للتبعيض
لان كل ما في الارض ليس بماكول حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض
طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان طرقه التي يدعوكم اليها
وبسكون الطاء ابو عمرو وغير عباس ونافع وحمزة وابو بكر والخطوة في
الاصل ما بين قدمي الخاطي يقال اتبع خطواته اذا اقتدى به واستن
بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به وابان متعد و
لازم ولا تناقض هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
اي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة وليهم ظاهرا فانهم يريهم في
الظاهر الموالات ويزين لهم اعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن
انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم
بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من
العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد وان تقولوا في موضع
الجر بالعطف على بالسوء اي وبان تقولوا على الله ما لا تعلمون هو قولكم
هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على
طريقة الالتفات قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود لما دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان واتباع القرآن قالوا بل نتبع ما
الفينا وجدنا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم فرد الله عليهم بقوله
اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم
ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ثم ضرب لهم مثلا
فقال ومثل الذين كفروا المضاف محذوف اي ومثل داعي الذين كفروا كمثل
الذي ينعق يصيح والمراد بهم البهائم بما لا يسمع الا دعاء ونداء البهائم والمعنى ومثل داعيهم
الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من
غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم اي لا يسمع الا دعاء الناعق
ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا يفقه شيئا آخر كما يفهم العقلاء

والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان والنداء ما
يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع صم خبر مبتدا محذوف اي هم صم بكم
خبر ثان عمي عن الحق خبر ثالث فهم لا يعقلون الموعظة ثم بين ان ما حرم
المشركون حلال بقوله يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من
مستلذاته او من حلاله واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه
تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم ثم بين
المحرم فقال انما حرم عليكم الميتة وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة
مما يذبح وانما لاثبات المذكور ونفي ما عداه اي ما حرم عليكم الا الميتة و
الدم يعني الدم السائل لقوله في موضع آخر او دما مسفوحا وقد حلت الميتتان
والدمان بالحديث ولحم الخنزير يعني الخنزير بجميع اجزائه وخص اللحم لانه
المقصود بالاكل وما اهل لغير الله اي ما ذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم
الله واصل الاهلال رفع الصوت اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية
باسم اللات والعزى فمن اضطر الجئ بسكون النون بصري وحمزة وعاصم لالتقاء
الساكنين اعني النون والضاد وبضمهما غيرهم كضمة الطاء غير حال اي فاكل
غير باغ للذة وشهوة ولا عاد متعد مقدار الحاجة وقول من قال غير باغ على
الامام ولا عاد في سفر حرام ضعيف لان سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة والحبس
في الحضر يبيح بلا سفر ولانه بغيه لا يخرج عن الايمان فلا يستحق الحرمان ثم
المضطر يباح له قدر ما يقع به القوام ويبقى معه الحياة دون ما فيه حصول
الشبع لان الاباحة للاضطرار فيتقدر بقدر ما تندفع الضرورة فلا اثم عليه
في الاكل ان الله غفور للذنوب الكبار فانى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار
رحيم حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبي صلى الله عليه و
سلم واخذهم على ذلك الرشا ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب في صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ويشترون به ثمنا قليلا اي عوضا او ذا ثمن اولئك ما ياكلون
في بطونهم ملاء بطونهم تقول فلان اكل في بطنه واكل في بعض بطنه الا
النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه
قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال الشاعر اكلت كل ليلة
اكافا اي ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله يوم

القيمة

القيمة كلاما يسرهم ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون ولا يزكيهم ولا يطهرهم
من دنس ذنوبهم او ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم فحرف النفي مع الفعل
خبر اولئك واولئك مع الخبر خبر ان والجمل الثلاث معطوفة على خبر ان فقد
صار لان اربعة اخبار من الجمل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب
بالمغفرة بكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم فما اصبرهم على النار فاي شئ صبرهم
على عمل يؤدي الى النار وهذا استفهام معناه التوبيخ ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين
اختلفوا اي اهل الكتاب في الكتاب هو للجنس اي في كتب الله فقالوا في بعضها حق
وفي بعضها باطل لفي شقاق خلاف بعيد بعيد عن الحق او كفرهم بسبب ان الله
نزل القران بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى
ليس البر ان تولوا اي ليس البر توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب والخطاب
لاهل الكتاب لان قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود مغربه
وكل واحد من الفريقين يزعم ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم بان البر ليس
فيما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر بر من آمن بالله او ذا البر من آمن والقولان
على حذف المضاف والاول اجود والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي وقيل كثر
خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة وقيل ليس البر العظيم الذي يجب
ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام
به بر من آمن وقام بهذه الاعمال ليس البر بالنصب على انه خبر ليس واسمه ان
تولوا حمزة وحفص ولكن البر نافع وشامي وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن
لقرأت ولكن البر وقرئ ولكن البار واليوم الاخر اي يوم البعث والملائكة و
الكتاب اي جنس كتب الله او القران والنبيين وآتى المال على حبه اي حب الله او حب المال
او حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه ذوي القربى
اي القرابة وقدمهم لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة
وعلى ذي رحمك صدقة وصلة واليتامى والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى
وانما اطلق لعدم الالتباس والمساكين المسكين الدائم السكون الى الناس لانه
لا شئ له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وهو جنس وان
كان مفردا لفظا وجعل ابنا للسبيل لملازمته له او هو الضيف والسائلين المستطعمين

وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم او في فك الاسارى
واقام الصلوة المكتوبة واتى الزكوة المفروضة قيل هو تاكيد للاول وقيل
المراد بالاول نوافل الصدقات والمبار والموفون عطف على من آمن بعهدهم اذا
عاهدوا الله او الناس والصابرين نصب على المدح والاختصاص اظهار الفضل
الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال في البأساء الفقر و
الشدة والضراء المرض والزمانة وحين البأس وقت القتال اولئك الذين
صدقوا اي اهل هذه الصفة هم الذين صدقوا في الدين واولئك هم المتقون
روي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما
طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين
بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام
فنزل يا ايها الذين آمنوا كتب اي فرض عليكم القصاص هو عبارة عن المساواة
واصله من قص اثره واقتصه اذا اتبعه ومنه القصاص لانه يتبع الآثار و
الاخبار في القتلى جمع قتيل والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين
القتلى الحر بالحر مبتداء وخبر اي الحر مأخوذ او مقتول بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى وقال الشافعي رحمه الله لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا
يجري القصاص بين الحر والعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس كما بين الذكر
والانثى وبقوله عليه الصلوة والسلام المسلمون يتكافأ دماؤهم وبان التفاضل
غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وبان تخصيص
الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع اخر بل يبقى الحكم موقوفا على ورود دليل آخر وقد
ورد كما بينا فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان
قالوا العفو ضد العقوبة يقال عفوت عن فلان اذا صفحت عنه واعرضت عن
ان تعاقبه وهو يتعدى بعن الى الجاني والى الجناية ثم عفونا عنكم ويعفوا عن
السيئات واذا اجتمعا عدي الى الاول باللام فتقول عفوت له عن دينه و
منه الحديث عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق وقال الزجاج من عفي له
اي من ترك له القتل بالدية وقال الازهري العفو في اللغة الفضل ومنه
ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ويقال عفوت لفلان بمالي اذا افضلت
له واعطيته وعفوت له عما لي عليه اذا تركته ومعنى الآية عند الجمهور فمن عفي له

صدقوا

من جهة اخيه شيء من العفو على ان الفعل مسند الى المصدر كما في سير بزيد
بعض السير والاخ ولي المقتول وذكر بلفظ الاخوة بعثا له على العطف لما
بينهما من الجنسية والاسلام ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول
الآخر استغناء عنه وقيل اقيم له مقام عنه والضمير في له واخيه لمن وفي اليه
للاخ او للمتبع الدال عليه فاتباع لان المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف
بان يطالبه مطالبة جميلة وليؤدي اليه المطلوب اي القاتل بدل الدم
اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه وانما قيل شيء من العفو ليعلم انه اذا
عفي عن بعض الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص و
من فسر عفي بترك جعل شيئا مفعولا به وكذا من فسره باعطى يعني ان الولي اذا
اعطي له شيء من مال اخيه يعني القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير
تعنيف وليؤده القاتل اليه بلا تسويف وارتفاع اتباع بانه خبر مبتدأ مضمر
اي فالواجب اتباع ذلك الحكم المذكور من العفو واخذ الدية تخفيف من
ربكم ورحمة فانه كان في التورية القتل لا غير وفي الانجيل العفو بغير بدل
لا غير وابيح لنا القصاص والعفو واخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرا و
الآية تدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالايمان بعد وجود القتل و
لبقاء الاخوة الثابتة بالايمان والاستحقاق والتخفيف والرحمة فمن اعتدى
بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ
الدية فله عذاب اليم في الآخرة نوع من العذاب شديد الالم في الآ
ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة اذ القصاص قتل و
تفويت للحياة وفي تعريف القصاص وتنكير الحيوة بلاغة بينة لان المعنى ولكم
في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه
من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان في القصاص حيوة اي حيوة او نوع
من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص
من القاتل لانه اذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من
القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حيوة نفسين يا اولي الالباب
يا ذوي العقول لعلكم تتقون القتل حذرا من القصاص كتب فرض عليكم
اذا حضر احدكم الموت اي اذا دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا

كثير المادوي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل
كتب الوصية للوالدين والاقربين وكانت الوصية للوارث في بداء الاسلام فنسخت
باية المواريث كما بيناه في شرح المنار وقيل هي منسوخة لانها نزلت في حق من ليس
بوارث بسبب الكفر لانهم كانوا حديث عهد بالاسلام يسلم الرجل ولا يسلم ابوه
وقرابته والاسلام قطع الارث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة
ندبا وعلى هذا الايراد بكتب فرض بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع
الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على
الذين يتقون الشرك فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا
للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اي الايصاء فانما اثمه على
الذين يبدلونه فما اثم التبديل الا على مبدله دون غيرهم من الموصي والموصى له
لانهما بريان من الحيف ان الله سميع لقول الموصي عليم بجور المبدل فمن خاف
علم وهذا شايع في كلامهم يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون الظن الغالب
الجاري مجري العلم من موص موص كوفي غير حفص جنفا ميلا عن الحق بالخطاء
في الوصية او اثما تعمد للحيف فلا اثم عليه بين الموصي لهم وهم الوالدان والاقربون
باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الي
حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم وقيل
هذا في حال حيوة الموصي اي فمن حضر وصيته فراه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك
وحمله على الصلاح فلا اثم على هذا الموصي بما قال اولا ان الله غفور رحيم يا ايها
الذين امنوا كتب اي فرض عليكم الصيام هو مصدر صام والمراد صيام شهر
رمضان كما كتب اي كتابة مثل ما كتب وهو صفة مصدر محذوف على الذين
من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الي عهدكم فهو عبادة
قديمة والتشبيه باعتبار ان كل واحد صوم ايام اي انتم متعبدون بالصيام في
ايام كما تعبد من كان قبلكم لعلكم تتقون المعاصي بالصيام فالصائم اظلف
اضعف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين اذ
الصوم شعارهم وانتصاب اياما بالصيام اي كتب عليكم ان تصوموا اياما
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل واصله ان المال القليل يقدر بالعدد

بد
فاصلح بينهم

لا الكثير فمن كان منكم مريضا يخاف من الصوم زيادة المرض او على سفر
او راكب سفر فعدة فعليه عدة اي فافطر فعليه صيام عدد ايام فطره و
العدة بمعنى المعدود داي امر ان يصوم اياما معدودة مكانها من ايام اخر
سوي ايام مرضه وسفره واخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الالف و
اللام لان الاصل في فعلي صفة ان يستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى
والكبر والصغرى والصغر وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين
لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره
فطعام بدل من فدية فدية طعام مساكين مدني وابن ذكوان وكان ذلك
في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم
في الافطار والفدية ثم نسخ التخيير بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
ولهذا كرر قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر لانه لما كان مذكورا مع المنسوخ
ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضمر لا لقراءة
حفصة رضي الله تعالى عنها كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخا فمن تطوع
خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع او الخير خير له تطوع يعني
يتطوع وحمزة وعلي وان تصوموا ايها المطيقون خير لكم من الفدية و
تطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وان تصوموا في السفر والمرض خير لكم
لانه اشق عليكم ان كنتم تعلمون شرط محذوف الجواب شهر رمضان مبتداء
خبره الذي انزل فيه القران اي ابتدي فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر او
انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام او هو بدل من الصيام او
خبر مبتدأ محذوف اي هي شهر والرمضان مصدر رمض اذا احترق
من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف
والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته او لانهم
سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر
فان قلت ما وجه ما جاء في الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا مع ان
التسمية واقعة من المضاف والمضاف اليه قلت هو من باب الحذف لامن
الالباس القرانحيث كان غيرهم مولى زمكي وانتصب هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان على الحال اي انزل وهو هداية للناس الي الحق وهو ايات واضحات

مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل من وجد ذكرا ولا انه
هدي ثم ذكر انه من جملة ما هدي به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه
وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدي والضلال فمن شهد منكم
الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه و
لا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في ليصمه ولا يكون مفعولا
به لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان الشهر ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر فعدة مبتدا والخبر محذوف اي فعليه عدة اي صوم عدة يريد الله
بكم اليسر حيث اباح الفطر بالسفر والمرض ولا يريد بكم العسر من فرض الفطر
على المريض والمسافر حتى لو ما يجب عليهما الاعادة فقد عدل عن موجب هذا
النص ولتكملوا العدة عدة ما افطرتم بالقضاء اذا زال المرض والسفر و الفعل
المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على
ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر
فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضا
والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من
اللف لطيف المسلك وعدى التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل لتكبروا
الله اي لتعظموه حامدين على ما هداكم اليه ولتكملوا بالتشديد ابو بكر ولما
قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
نزل واذا سألك عبادي عني فاني قريب علما واجابة لتعاليه عن القرب مكانا
اجيب دعوة الداع اذا دعان الداعي دعاني في الحالين ثم اجابة الدعاء وعد
صدق من الله لا خلف فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة
الدعوة ان يقول العبد يا رب فيقول الله لبيك عبدي وهذا موعود موجود
لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاء المراد وذا قد يكون باجزاء وقد يكون بعد
مدة وقد يكون في الاخرة وقد يكون الخيرة له في غيره فليستجيبوا لي اذا دعوتهم
للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وليؤمنوا بي اللام فيهما
للامر لعلهم يرشدون ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد الغي كان
الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد

فاذا اصلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة
ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما اغتسل
اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال عليه
الصلوة والسلام ما كنت جديرا بذلك فنزل احل لكم ليلة الصيام الرفث
اي الجماع الى نسائكم عدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ
الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الافضاء الى نسائكم استقباحا لما وجد
منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان
ويشتمل كل منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله هن
لباس لكم وانتم لباس لهن وقيل لباس اي ستر عن الحرام وهن لباس لكم استيناف
كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلهذا رخص لكم في
مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بالجماع وتنقصونها
حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة
فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وعفا عنكم ما فعلتم قبل الرخصة
فالآن باشروهن جامعوهن في ليالي الصوم وهو امر اباحة وسميت المجامعة
مباشرة لالتصاق بشرتيهما وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله
لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروها لقضاء الشهوة وحدها
ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل او وابتغوا المحل الذي كتبه
الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض هو اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود
من الخيط الاسود هو ما يمتد من سواد الليل شبها بخيطين ابيض واسود لامتدادهما
من الفجر بيان ان الخيط الابيض من الفجر لا من غيره واكتفى به عن بيان
الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان الاخر او من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله
قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيها بليغا كما ان قولك
رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وعن عدي بن حاتم قال
عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فنظرت فلم يتبين
لي الابيض من الاسود فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال انك لعريض القفا

اي سليم القلب لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته انما ذلك بياض
النهار وسواد الليل وفي قوله ثم اتموا الصيام الى الليل اي الكف عن هذه
الاشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل
الى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة بالاكل والشرب وعلى ان الجنابة
لا تنافي الصوم ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها بين ان
الجماع يحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل
على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد تلك
الاحكام التي ذكرت حدود الله احكامه المحدودة فلا تقربوها بالمخالفة و
التغيير كذلك يبين الله آياته شرايعه للناس لعلهم يتقون المحارم ولا
تأكلوا اموالكم بينكم اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم
يبحه الله ولم يشرعه وتدلوا بها الى الحكام ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل
في حكم النهي يعني ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم
فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او
بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وقال عليه الصلوة والسلام للخصمين انما
انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو
ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقطع
له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي وقيل وتدلوا بها
وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة يقال ادلى دلوه اي القاه في
البير للاستقاء وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها
اقبح وصاحبه بالتوبيخ احق قال معاذ بن جبل رضي الله عنه يا رسول الله ما
بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس يسئلونك عن الاهلة جمع
هلال سمي به لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته قل هي مواقيت للناس والحج
اي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم و
فطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج
يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا و
لا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه

يدخل ويخرج وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخبا فنزل وليس البر بان
تأتوا البيوت من ظهورها اي ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولا خلاف في
رفع البر هنا لان الاية ثم تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثم وهذه
لا تحتمل الا وجها واحدا وهو الرفع اذ الباء لا يدخل الا على خبر ليس ولكن البر بر
من اتقى ما حرم الله البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الاصل مثل
كعب وكعوب ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج من كسر
الى ضم وكانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها معلوم
ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة
تفعلونها مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا فهذا وجه اتصاله بما قبله
ويحتمل ان يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من
افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه
كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان يكونوا
عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى وتجنبه ولم يجسر على مثله و
اتوا البيوت من ابوابها وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان يباشر عليها ولا
تعكسوا والمراد وجوب الاعتقاد بان جميع افعاله تعالى حكمة وصواب من غير
اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام
بمفارقة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم
عنه وقاتلوا في سبيل الله لتفوزوا بالنعيم السرمد وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة
في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم يناجزونكم
القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة و
قيل هي اول آية نزلت في القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من
قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة
من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم قاصدون
لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال
من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما او بالمثلة ان الله لا يحب المعتدين
واقتلوهم حيث ثقفتموهم وجدتموهم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الاية وقد

بدل
لعلكم تفلحون

فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح وَالْفِتْنَةُ اَشَدُّ
مِنَ الْقَتْلِ اي شركهم بالله اعظم من القتل الذي يحل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب
الاخرة وقيل المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل و
قيل لحكيم ما اشد من الموت فقال الذي يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخراج من
الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّٰى
يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ اي ولا تبدؤا بقتالهم في الحرم حتى يبتدؤا فعندنا المسجد الحرام يقع
على الحرم كله فَاِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ في الحرم فعندنا يقتلون في الاشهر الحرم
لا في الحرم الا ان يبدؤا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وان كان ظاهر قوله و
اقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها لقوله تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم الا عند البداية منهم كذا في شرح
التأويلات كَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ مبتدأ وخبر ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
حمزة وعلي فَاِنِ انْتَهَوْا عن الشرك والقتال فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ بما سلف من طغيانهم رَحِيمٌ
بقبول توبتهم وايمانهم وَقَاتِلُوهُمْ حَتّٰى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وكان تامة وحتى بمعنى كي او الى ان
وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّٰهِ خالصا ليس للشيطان فيه نصيب اي لا يعبد دونه شيء فَاِنِ
انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ اِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ فان امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فانه لا عدوان
الا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين او فلا تظلموا الا على الظالمين غير المنتهين سمي
جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه قاتلهم
المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة اَلشَّهْرُ الْحَرَامُ مبتدأ خبره
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته
عليهم كما هتكوا حرمته عليكم وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ اي وكل حرمة يجري فيها القصاص
فمن هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة
شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فَمَنِ اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدٰى عَلَيْكُمْ من شرطية والباء غير زائدة و
التقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم او زائدة وتقديره عدوانا مثل عدوانهم
وَاتَّقُوا اللّٰهَ في حال كونكم منتصرين فمن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل
لكم وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ بالنصر وَاَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ تصدقوا في رضا

الله

الله وهو عام في الجهاد وغيره وَلَا تُلْقُوا بِاَيْدِيكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ اي انفسكم والباء زائدة
او ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها
والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف
في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاخطار بالنفس او عن ترك
الغزو الذي هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد وَاَحْسِنُوا
الظن بالله في الاخلاف اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ الى المحتاجين وَاَتِمُّوا الْحَجَّ وَ
الْعُمْرَةَ لِلّٰهِ وادوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله بلا توان ونقصان
وقيل الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على ان من شرع فيهما لزمه اتمامهما وبه
نقول ان العمرة تلزم بالشروع ولا تمسك للشافعي رحمه الله عليه بالاية على لزوم
العمرة لانه امر باتمامهما وقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع او اتمامهما ان تحرم
بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل واحد منهما سفرا او ان تنفق فيهما حلالا او
ان لا تتجر معهما فَاِنْ اُحْصِرْتُمْ يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او
عجز وحصر اذا حبسه عدو عن المضي وعندنا الاحصار يثبت بكل منع من
عدو او مرض او غيرهما لظاهر النص وقد جاء في الحديث من كسر او عرج حل
وعليه الحج من قابل وعند الشافعي رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر
النص يدل على ان الاحصار يتحقق في العمرة ايضا لانه ذكر عقيبهما فَمَا اسْتَيْسَرَ
مِنَ الْهَدْيِ فما تيسر منه يقال يسر الامر وتيسر كما يقال صعب واستصعب و
الهدي جمع هدية يعني وان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او
عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة
وما رفع بالابتداء اي فعليكم ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر
وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا بحلق الرأس
حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره
فيه وهو الحرم وهو حجة لنا في ان دم الاحصار لا يذبح الا في الحرم على الشافعي
رحمة الله تعالى عليه اذ عنده يجوز في غير الحرم فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا فمن كان به مرض
يحوجه الى الحلق اَوْ بِهِ اَذًى مِنْ رَاْسِهِ وهو القمل او الجراحة فَفِدْيَةٌ فعليه اذا حلق
فدية مِنْ صِيَامٍ ثلاثة ايام اَوْ صَدَقَةٍ على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع
من بر اَوْ نُسُكٍ شاة وهو مصدر او جمع نسيكة فَاِذَا اَمِنْتُمْ الاحصار اي فاذا لم

تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع استمتع بالعمرة الي الحج واستمتاعه بالعمرة
الي وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الي الحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة
ما كان محرما عليه الي ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك
يؤكل منه ويذبح يوم النحر فمن لم يجد الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج
فعليه صيام ثلثة ايام في وقت الحج وهو اشهره بين الاحرامين احرام العمرة
واحرام الحج وسبعة اذا رجعتم اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج تلك عشرة
كاملة في وقوعها بدلا عن الهدي او في الثواب او المراد رفع الابهام فلا يتوهم
في الواو انها بمعنى الاباحة كما في جالس الحسن وابن سيرين الا تري انه لو جالسهما
او واحدا منهما كان ممتثلا ذلك اشارة الي التمتع اذ لا تمتع ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عندنا وعند الشافعي رحمه الله الي الحكم الذي هو وجوب الهدي
او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام هم اهل المواقيت
فمن دونها الي مكة واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه الحج اي وقت الحج كقولك البرد شهران
اشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكل عليهم وهي شوال وذو
القعدة وعشر ذي الحجة وفائدة توقيت الحج بهذه الاشهر ان شيئا من افعال
الحج لا يصح الا فيها وكذا الاحرام عند الشافعي رحمه الله وعندنا ان انعقد لكنه
مكروه وجمعت لبعض الثالث او لان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فمن فرض الزم على نفسه بالاحرام فيهن الحج في
هذه الاشهر فلا رفث فهو الجماع او ذكره عند النساء او الكلام الفاحش ولا فسوق
هو المعاصي او السباب لقوله عليه الصلوة والسلام سباب المؤمن فسوق او التنابز
بالالقاب لقوله تعالى بئس الاسم الفسوق ولا جدال في الحج ولا مراء مع الرفاق
والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال
لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بنفي
وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرا ابو عمرو ومكي الاولين بالرفع
فحملاهما على معنى النهي كانه قيل فلا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالنصب على
معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج ثم حث على
الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان

الحرام

الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة بقوله وما
تفعلوا من خير يعلمه الله علم بانه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفي علمه بالجزئيات
كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس
وتزودوا وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان
خير الزاد التقوى اي الاتقاء عن الابرام والتثقيل او تزودوا للمعاد باتقاء
المحظورات فان خير الزاد اتقاؤها واتقون وخافوا عقابي وهو منك دعان
يا اولي الالباب ياذوي العقول يعني ان تقيه اللب تقوي الله ومن لم
يتقه من الالباء فكانه لا لب فيه ونزل في قوم زعموا ان لا حج لجمال وتاجر
وقالوا هؤلاء الداج وليس بالحاج ليس عليكم جناح ان تبتغوا في
ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع و
الربح بالتجارة والكري فاذا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء و
هو الدفع صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول من عرفات
هي علم للموقف سمي بجمع كاذرعات وانما صرفت لان التاء فيها ليست للتانيث
بل هي مع الالف قبلها علامة جمع المؤنث وسميت بذلك لانها وصفت لابراهيم
عليه السلام فلما رآها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحوى فتعارفا وفيه دليل
على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات او بصلوة المغرب والعشاء
عند المشعر الحرام هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه
الميقدة والمشعر المعلم لانه معلم لعباده ووصف بالحرام لحرمته وسميت
المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلام وحوى اجتمعا فيها وازدلف اليها اي
دني منها او لانه يجمع فيها بين الصلوتين او لان الناس يزدلفون الي الله تعالى
اي يتقربون بالوقوف فيها واذكروه كما هديكم ما مصدرية او كافة اي اذكروه
ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدي لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وكيف تعبدونه وان مخففة من المثقلة واللام فارقة ثم
افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا
تكن من المزدلفة قالوا هذا امر لقريش بالافاضة من عرفات الي جمع وكانوا

يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون نحن قطان حرمه فلا نخرج منه
وقيل الافاضة من عرفات مذكورة فهي الافاضة من جمع الى منى والمراد بالناس
على هذا الحمس ويكون الخطاب للمؤمنين واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف
ونحو ذلك من جاهليتكم او من تقصيركم في اعمال الحج ان الله غفور رحيم بكم فاذا
قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عبادتكم التي امرتم بها في الحج ونفرتم فاذكروا الله
كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم والمعنى فاكثروا واذكروا
الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا
مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل ابائهم ويذكرون
محاسن ابائهم او اشد ذكرا اي اكثر وهو في موضع جر عطف على الذكر في قوله كذكركم
كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا وذكرا تمييز فمن الناس من
يقول فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول ربنا اتنا في
الدنيا اي اجعل ايتاءنا اي اعطانا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى وما له في
الاخرة من خلاق من نصيب لان همه مقصور على الدنيا لكفره بالاخرة والمعنى اكثروا
ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر
يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين اي من الذين قيل فيهم ومنهم ومن الذين
يشهدون الحج من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة نعمة وعافية او علما او عبادة وفي
الاخرة حسنة عفوا ومغفرة او المال والجنة او ثناء الخلق ورضا الحق او الايمان
والامان او الاخلاص والخلاص او السنة والجماعة او القناعة والشفاعة او
المرأة الصالحة والحور العين او العيش على سعادة والبعث من القبر على بشارة
وقنا عذاب النار احفظنا من عذاب جهنم او عذاب النار امرأة السوء اولئك اي
الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو
الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال
والاعمال موصوفة بالكسب ويجوز ان يكون اولئك للفريقين وان لكل فريق نصيبا
من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا
اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم
وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته وروي انه يحاسب
الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات

هي ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار فمن تعجل
فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل
يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله و
المطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر في يومين من هذه الايام الثلاثة فلم يمكث
حتى يرمي في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الايام الثلاثة
فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد او الرفث والفسوق اي هو مخير في التعجل والتاخر
وان كان التاخر افضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر
بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل كان اهل الجاهلية فريقين
منهم من جعل المستعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما واتقوا الله في جميع
الامور واعلموا انكم اليه تحشرون حين يبعثكم من القبور كان الاخنس بن شريق
حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه يحبه
وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق فنزل ومن الناس من يعجبك يروقك
ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس قوله في الحيوة الدنيا
في يتعلق بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لانه يطلب بادعاء المحبة
حظ الدنيا ولا يريد به الاخرة او يعجبك اي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا الا
لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف و
يقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وهو الد الخصام
شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة والاضافة بمعنى في لان
افعل يضاف الى ما هو بعضه يقول زيد افضل القوم ولا يكون الشخص بعض
الحدث فتقديره الد في الخصومة او الخصام جمع خصم كصعب وصعاب و
التقدير وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الانة
القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف فانه كان بينه
وبينهم خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم ويهلك
الحرث والنسل اي الزرع والحيوان او واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء
من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر للظلم حتى يمنع الله
بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له
اتق الله في الافساد والاهلاك اخذته العزة بالاثم حملته النخوة وحمية

الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه او الباء للسبب اي اخذته
العزة من اجل الاثم الذي في قلبه وهو الكفر فحسبه جهنم اي كافية ولبئس
المهاد الفراش جهنم فنزل في صهيب حين اراده المشركون على ترك الاسلام و
قتلوا نفرا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم واتى المدينة او فيمن يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ابتغاء لابتغاء
مرضات الله والله رؤف بالعباد حيث اثابهم على ذلك يا ايها الذين آمنوا
ادخلوا في السلم وبفتح السين حجازي وعلي وهو الاستسلام والطاعة اي
استسلموا لله واطيعوه او الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا انبيائهم
وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم كافة لا يخرج احد منكم يده عن
طاعته حال من الضمير في ادخلوا اي جميعا او من السلم لانها تؤنث كانهم امروا
بان يدخلوا في الطاعات كلها او في شعب الاسلام وشرايعه كلها او كافة من
الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان
وساوسه انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم ملتم عن الدخول في
السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على انه ما دعيتم
الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يمنعه شيء من عذابكم حكيم لا
يعذب الا بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي لم يقرأ القرآن
فانكره قال ليس هذا كلام الله اذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لانه
اغراء عليه هل ينظرون ما ينظرون الا ان يأتيهم الله اي امره وباسه كقوله او يأتي
امر ربك فجاءهم باسنا او المأتي به محذوف بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه للدلالة
عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك من الغمام من الغمام السحاب
وهو للتهويل اذ الغمام مظنة الرحمة فاذا انزل منه العذاب كان الامر افظع واهول
والملائكة اي وتأتي الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم او المراد حضورهم يوم القيمة
وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وفرغ منه والى الله ترجع الامور اي انه ملك العباد
بعض امورهم فيرجع اليه الامور يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامي وحمزة
وعلي سل اصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغني عن همزة الوصل
فصار سل هو امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد وهو سؤال تقريع كما يسأل
الكفرة يوم القيمة بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم

اومن آية

اومن آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكم استفهامية او خبرية
ومن يبدل نعمة الله هي آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة
من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها
اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة
على دين محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءته من بعد ما عرفها وصحت عنده
لانه اذا لم يعرفها فكانها غائبة عنه فان الله شديد العقاب له ولمن استحقه زين
للذين كفروا الحيوة الدنيا المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم
بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها او الله تعالى لخلق الشهوات فيهم
ولان جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار
وصهيب ونحوهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب
غيرها والذين اتقوا عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء وهو مبتدأ خبره فوقهم يوم
القيمة لانهم في جنة عالية وهم في نار هاوية والله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير يعني انه يوسع على من اراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره
وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة
لكان المؤمنون احق بها منكم كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام
من آدم الى نوح عليهما السلام او هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا
فبعث الله النبيين ويدل على حذفه قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و
قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى وما كان الناس الا
امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم مبشرين بالثواب للمؤمنين
ومنذرين بالعقاب للكافرين وهما حالان وانزل معهم الكتاب اي مع كل واحد منهم
كتابه بالحق بتبيان الحق ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه بين الناس فيما
اختلفوا فيه في دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف
فيه في الحق الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا
الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات على صدقه بغيا بينهم
مفعول له اي حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصافهم فهدى
الله الذين آمنوا لما اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف

اختلفوا فيه

من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بعلمه والله يهدي من يشاء الي صراط مستقيم
ام حسبتم ام منقطعة لا متصلة لان شرطها ان يكون قبلها همزة الاستفها
م كقولك اعندك زيد ام عمرو اي ايهما عندك وجوابه زيد ان كان عنده زيد
وعمرو ان كان عنده عمرو واما المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر و
يكون بمعني بل والهمزة والتقدير بل احسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار
الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد
مجئ البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات و
الصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته و
عدوانهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم اي ولم ياتكم وفي لما معنى التوقع اي اتيان ذلك متوقع منتظر
مثل الذين خلوا مضوا اي حالهم التي هي مثل في الشدة من قبلكم من النبيين و
المؤمنين مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل
فقيل مستهم الباساء اي البوس والضراء المرض والجوع وزلزلوا وحركوا بانواع البلايا
وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة حتى يقول الرسول والذين امنوا معه الي الغاية
التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم
صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل
لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الي طلبتهم من عاجل النصر يقول بالرفع نافع
على حكاية حال ماضية نحو شربت الابل حتى يجئ البعير يجر بطنه وغيره بالنصب على
اضمار ان ومعني الاستقبال لان ان معنى الاستقبال ولما قال عمرو بن الجموح وهو
شيخ كبير وله مال عظيم ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها نزل يسئلونك عن
ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى و
المساكين وابن السبيل فقد تضمن قوله ما انفقتم من بيان ما ينفقونه وهو كل
خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان
يقع موقعها عن الحسن هي في التطوع وما تفعلوا من خير فان الله به عليم فيجزي
عليه كتب عليكم القتال فرض عليكم جهاد الكفار وهو كره لكم من الكراهة
فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه
كراهة لفرط كراهتهم له او هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه

لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فانتم تكرهون الغزو وفيه احدى الحسنيين
اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو القعود
عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر و
الله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون فبادروا اليها يامركم به وان شق عليكم
ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين وقد اهل
هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
شهرا يامن فيه الخايف يسئلونك عن الشهر الحرام اي يسالك الكفار او المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال
فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم قل قتال فيه كبير
اي اثم كبير مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لانها قد وصفت بفيه
فان قلت حق الكلام ان يقال قل القتال ليرجع الي الاول والا يكون غير الاول
لما عرف قلت ليس المراد تعظيم القتال المذكور المسؤل عنه حتى يعاد باللام
بل المراد تعظيم اي قتال كان في الشهر الحرام فعلى هذا يكون القتال الثاني غير
الاول واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وصد عن سبيل الله اي منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام
الحديبية وهو مبتدأ وكفر به اي بالله عطف عليه والمسجد الحرام عطف
على سبيل الله اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ولا يجوز عند زعم الفراء
انه معطوف على الهاء في به اي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف
على الضمير المجرور الا باعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد
ولو كان معطوفا على الهاء هنا القيل وكفر به وبالمسجد الحرام واخراج اهله اي اهل
المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهو عطف عليه ايضا
منه من المسجد وخبر الاسماء الثلاثة اكبر عند الله اي مما فعلته السرية من
القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك
اكبر من القتل في الشهر الحرام او تعذيب الكفار للمسلمين اشد قبحا من قتل
هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
اي الي الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها
حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل نحو فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة

اي يقاتلونكم كي يردوكم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقولك
لعدوك ان ظفرت بي فلا تبق علي وانت واثق بانه لا يظفر بك ومن يرتدد منكم
عن دينه ومن يرجع عن دينه الى دينهم فيمت وهو كافر اي يمت على الردة فاولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من
ثمرات الاسلام وفي الاخرة من الثواب وحسن المآب اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون وبها احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة لا تحبط العمل حتى يموت
عليها وقلنا قد علق الحبط بنفس الردة بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله
والاصل عندنا ان المطلق لا يحمل على المقيد وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما
قالت السرية ايكون لنا اجر المجاهدين في سبيل الله نزل ان الذين امنوا والذين
هاجروا اتركوا مكة وعشائرهم وجاهدوا في سبيل الله مع المشركين ولا وقف
عليه لان اولئك يرجون رحمة الله خبر ان قيل من رجا طلب ومن خاف هرب
والله غفور رحيم نزل في الخمر اربع ايات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ونفرا من
الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزل يسئلونك عن الخمر والميسر فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن
بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
فنزل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك جماعة
فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا
شافيا فنزل انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه
انتهينا يا رب وعن علي رضي الله تعالى عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء لم ارعه والخمر
ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وسميت بمصدر خمره خمرا اذا ستره لتغطيتها
العقل والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب او من اليسار لانه سلب
يساره وصفة الميسر انه كانت لهم عشرة اقداح سبعة عليها خطوط وهو الفذ وله
سهم والتوأم وله سهمان والرقيب وله ثلاثة والحلس وله اربعة والنافس وله
خمسة والمسبل وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة اغفال لا نصيب لها وهي المنيح

والسيح

والسفيح والوعد فيجعلون الاقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم
يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات
الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب
له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى
الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه وفي حكم
الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما والمعنى يسئلونك عما في تعاطيهما
بدليل قل فيهما اثم كبير بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير
حمزة وعلي ومنافع للناس بالتجارة في الخمر والالتذاذ بشربها وفي الميسر بارتفاق
الفقراء ونيل المال بلا كد واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من
نفعهما لان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة
ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو اي الفضل اي انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة
وكان التصدق بالفضل في اول الاسلام فاذا كان الرجل صاحب زرع
امسك قوت سنة وتصدق بالفضل فاذا كان صانعا امسك قوت يومه
وتصدق بالفضل فنسخت باية الزكوة العفو ابو عمرو فمن نصب جعل ماذا اسما
واحدا في موضع النصب بينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه
جعل ما مبتداء وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى الذي وينفقون صلته اي ما
الذي ينفقونه فجاء الجواب العفو اي فاعرب الجواب كاعراب السؤال ليطابق
الجواب السؤال كذلك الكاف في موضع النصب نعت لمصدر محذوف اي
تبيينا مثل هذا التبيين يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا
اي في امر الدنيا وفي الاخرة وفي يتعلق بتتفكرون اي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين
فتاخذون بما هو اصلح لكم او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما
منافع ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق
بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على
وجه الاصلاح ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم
تجانبوهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه والله

يعلم المفسد لاموالكم من المصلح لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا
تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة
واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده
ويحرجهم حكيم لا يكلف الا وسعهم وطاقتهم ولما سال مرثد النبي صلى الله
عليه وسلم ان يتزوج عناق وكانت مشركة نزل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
اي لا تتزوجوهن يقال نكح اذا تزوج وانكح غيره زوجه ولامة مؤمنة خير من
مشركة ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها ولا تنكحوا المشركين
ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم حذف احد المفعولين
والتقدير ولا تنكحوهن المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم
ثم بين علة ذلك فقال اولئك وهو اشارة الى المشركات والمشركين يدعون الى
النار الى الكفر الذي هو عمل اهل النار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو
الى الجنة والمغفرة اي واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل
اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم باذنه بعلمه او بامره ويبين اياته
للناس لعلهم يتذكرون يتعظون كانت العرب لم يواكلوا الحايض ولم يشاربوها
ولم يساكنوا معها كفعل اليهود والمجوس فسأل ابو الدحداح رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف يصنع بالنساء اذا حضن فنزل
ويسئلونك عن المحيض هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا قل هو
اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوهن
اي فاجتنبوا مجامعتهن وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يعتزلوهن في كل شيء فامر الله بالاقتصار بين الامرين ثم عند
ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الازار ومحمد رحمه الله
لا يوجب الا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم
وله ما سوى ذلك ولا تقربوهن مجامعتهن او ولا تقربوا مجامعتهن حتى يطهرن
بالتشديد كوفي غير حفص اي يغتسلن واصله يتطهرن فادغم التاء في الطاء
لقرب مخرجهما غيرهم يطهرن اي ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا
له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل عملا بقراءة التخفيف
وفي اقل منه لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت الصلوة عملا بقراءة التشديد

والحمل

التوابين

والحمل على هذا اولى من العكس لانه حينئذ يجب ترك العمل باحدهما لما عرف
وعند الشافعي رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله فاذا تطهرن
فاتوهن فجامعوهن فجمع بينهما من حيث امركم الله من المأتى الذي امركم الله
وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين عن ارتكاب ما نهوا عنه والعود
الى الله تعالى وان زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا يياس ويحب
المتطهرين بالماء او المتنزهين من ادبار النساء او من الجماع في المحيض او من
الفواحش كان اليهود يقولون اذا اتى الرجل اهله باركة اتى الولد احول فنزل
نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما
يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وللولد بالنبات و
وقع قوله نساؤكم حرث لكم بيانا وتوضيحا لقوله فاتوهن من حيث امركم الله
اي ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيها بان المطلوب
الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتى الذي
ينطق به هذا المطلوب فاتوا حرثكم انى شئتم جامعوهن متى شئتم او كيف شئتم
باركة او مستلقية او مضطجعة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث
وهو تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم اي تريدون ان تحرثوها من اي جهة
شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث
امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة
فعلى كل مسلم ان يتادب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات وقدموا
لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه او
طلب الولد او التسمية على الوطئ واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا
انكم ملاقوه صائرون اليه فاستعدوا للقائه وبشر المؤمنين بالثواب يا محمد
وانما جاء يسئلونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثا لان سؤالهم عن
تلك الحوادث الاول كان وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان
كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد
فجيء بحرف الجمع لذلك ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم العرضة فعلة بمعنى مفعول
كالقبضة وهو اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض
دونه ويصير حاجزا ومانعا منه يقول فلان عرضة دون الخير وكان الرجل

يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد
او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه
فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف
عليه يمينا لتلبسه باليمين كقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين فرأى
غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله ان تبروا وتتقوا و
تصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر و
التقوي والاصلاح بين الناس واللام يتعلق بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم
برزخا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة
اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو ان يحلف
على شيء يظنه على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي
يحلفه احدكم وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف
نحو لا والله وبلى والله ولكن يؤاخذكم ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم بما اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله
وهو اليمين الغموس وتعلق الشافعي رحمه الله بهذا النص على وجوب الكفارة في
لان كسب القلب العزم والقصد والمواخذة غير مبنية هنا وبينت في المائدة
وكان البيان ثم بيانا هنا قلنا المواخذة هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمواخذة
ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض والله غفور حليم حيث لم
يواخذكم باللغو في ايمانكم للذين يؤلون يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي
الله عنهما ومن في من نسائهم يتعلق بالجار والمجرور اي للذين كما تقول لك
مني نصرة ذلك ولك مني معونة اي للمؤلين من نسائهم تربص اربعة اشهر
اي استقر للمؤلين ترقب اربعة اشهر لا يؤلون لان آلى تعدى بعلى يقال آلى
فلان على امرأته وقول القائل آلى فلان من امرأته وهم توهم من هذه الاية و
لك ان تقول عدي بمن لما في هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل يبعدون
من نسائهم مؤلين فان فاؤا في الاشهر لقراءة عبد الله فان فاؤا فيهن اي رجعوا
الى الوطء عن الاضرار بتركه فان الله غفور رحيم حيث شرع الكفارة وان عزموا
الطلاق بترك الفيء فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع لايلائه عليم بنيته وهو

وعيد

وعيد على اضرارهم وتركهم الفيئة وعند الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا
ان عزموا بعد مضي المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان فاؤا وان عزموا
تفصيل لقوله يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا
الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول والمطلقات
اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء يتربصن بانفسهن خبر في معنى الامر واصل
الكلام وليتربصن المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر و
اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص
فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر
ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده
ايضا فضل تاكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية
وفي ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان انفس النساء
طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها
على التربص ثلثة قروء جمع قرء او قرء وهو الحيض لقوله عليه الصلوة والسلام دعي
الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم
يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة
استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الرحم دون الطهر ولذلك كان الاستبراء
من الامة بالحيضة ولانه لو كان طهرا كما قال الشافعي رحمه الله لانقضت العدة
بقرئين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة اذا طلقها في آخر الطهر
فذا محسوب من العدة عنده واذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة
عندنا والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال اقرأت المرأة
اذا حاضت ولم أقرأ ولم اقمرئ وانتصاب ثلثة على انه مفعول به اي يتربصن مضي ثلثة
قروء او على الظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون
القلة التي هي الاقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت اكثر استعمالا
في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض او منهما وذلك
اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا

بدل الارحام

يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حايض قد طهرت
استعجالا للطلاق ثم عظم فعلهن فقال ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر لان من
آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظايم وبعولتهن البعول جمع بعل
والتاء لاحقة لتاكيد معني الجمع احق بردهن اي ازواجهن اولي برجعتهن
وفيه دليل على ان الطلاق الرجعي لا يحرم الوطي حيث سماه زوجا بعد الطلاق
في ذلك في مدة ذلك التربص والمعني ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المرأة
وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حق في الرجعة ان ارادوا
اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريد وامضارتهن ولهن مثل
الذي عليهن يجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك
المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الامر والنهي بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكر في الشرع فلا يكلف احد الزوجين صاحبه ما ليس له والمراد بالمماثلة مماثلة
الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غلست ثيابه او خبزت له
ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في
الحق وفضيلة بالقيام بامرها وان اشتركا في اللذة والاستمتاع او بالانفاق
وملك النكاح والله عزيز لا يعترض عليه في اموره حكيم لا يامر الا بما هو صواب وحسن
الطلاق مرتان الطلاق بمعني التطليق كالسلام بمعني التسليم اي التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد
بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا
كرتين اثنتين وهو دليل لنا في ان الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة في طهر
واحد لان الله تعالي امر بالتفريق لانه وان كان ظاهره الخبر فمعناه الامر والا
يؤدي الي الخلف في خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت
انصارية ان زوجي قال لا ازال اطلقك ثم اراجعك فنزلت الطلاق مرتان اي
الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف برجعة والمعنى
فالواجب عليكم امساك بمعروف او تسريح باحسان بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة و
قيل بان يطلق الثالثة في الطهر الثالث ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن
شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد اعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو
اول خلع كان في الاسلام ولا يحل لكم ايها الازواج او الحكام لانهم الامرون بالا[خذ]

والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون ان تاخذوا مما
آتيتموهن شيئا مما اعطيتموهن من المهور الا ان يخافا الا يقيما حدود الله
الا ان يعلم الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فان خفتم ايها الولاة وجاز ان يكون
اول الخطاب للازواج وآخره للحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت
به نفسها واختلعت من بذل ما اوتيت من المهر الا ان يخافا حمزة على البناء
للمفعول وابدال ان يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو خيف
زيد تركه اقامة حدود الله تلك حدود الله اي ما حد من النكاح واليمين
والايلاء والطلاق والخلع وغير ذلك فلا تعتدوها فلا تجاوزوها بالمخالفة
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الضارون انفسهم فان
طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند
الشافعي رضي الله عنه في قول فكان هذه تطليقة رابعة قلت الخلع طلاق
ببدل فيكون طلقة ثالثة وهذه بيان لتلك اي فان طلقها الثالثة ببدل
فحكم التحليل كذا فلا تحل له من بعد من بعد التطليقة الثالثة حتى تنكح
زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل
كالتزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعبارتها والاصابة شرط بحديث
العسيلة كما عرف في اصول الفقه فيه انه لما اقدم على فراق لم يبق للندم مخلصا
لم يحل له الا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه فان طلقها الزوج الثاني بعد
الوطئ فلا جناح عليهما على الزوج الاول وعليها ان يتراجعا ان يرجع كل
واحد منهما الي صاحبه بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما
انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله وتلك حدود الله يبينها وبالنون المفضل لقوم يعلمون
يفهمون ما بين لهم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن
وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان
اجل وللموت الذي ينتهي به اجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
اي فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة واما ان يخليها حتى تنقضي

عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا مفعول او حال اي مضارين
وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى تنقضي انقضاء عدتها ثم يراجعها لا
عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن
او لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك يعني الامساك للاضرار فقد ظلم
نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ
بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ويقال لمن
لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازي واذكروا نعمة الله بالاسلام وبنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن و
السنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم
وهو حال واتقوا الله فيما امتحنكم به واعلموا ان الله بكل شيء عليم من الذكر
والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو ابلغ وعد ووعيد واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق
البلوغين لان النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة وفي الاولى الرجعة
وذا يكون في العدة فلا تعضلوهن فلا تمنعوهن والعضل المنع والتضييق
ان ينكحن ازواجهن اي من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن وفيه اشارة الى انعقاد النكاح بعبارة النساء والخطاب للازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما ولا يتركونهن يتزوجن من شئن
من الازواج الذين سموا ازواجا باسم ما يؤول اليه او للاولياء في عضلهن ان
يرجعن الى ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن سموا ازواجا باعتبار ما كان
نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول او للناس اي
لا يوجد فيما بينهم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين
اذا تراضوا بينهم اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين و
المروءة من الشرائط او بمهر المثل والكفو لان عند عدمهما للاولياء ان يتعرضوا
والخطاب في ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر والمواعظ انما تنجع فيهم ذلكم اي ترك العضل والضرار
ازكى لكم واطهر اي لكم من ادناس الآثام او ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم
ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك والوالدات يرضعن اولادهن

خبر في معنى الامر المؤكد ليتربصن وهذا الامر على وجه الندب او على وجه الوجوب
اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الا
ستيجار او اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع
حولين ظرف كاملين تامين وهو توكيد لانه مما يتسامح فيه فانك تقول اقمت عند
فلان حولين ولم تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن توجه اليه الحكم
اي هذا الحكم من اراد اتمام الرضاع والحاصل ان الاب يجب عليه ارضاع ولده
دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة
الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام ما دامت زوجة او معتدة وعلى
المولود له الهاء يعود الى اللام الذى بمعنى الذي والتقدير وعلى الذي يولد
وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل
وعلى المولود له دون الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم اذ الاولاد للآباء
والنسب اليهم لا اليهن فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم
كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا رزقهن وكسوتهن
بالمعروف بلا اسراف ولا تقتير او تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما
ما ليس في وسعه ولا يتضار لا تكلف نفس الا وسعها وجدها وقدر امكانها و
التكليف الزام ما يؤثر في الكلفة وانتصاب وسعها على انه مفعول ثان لتكلف
لا على الاستثناء ودخلت الا بين المفعولين لا تضار مكي وبصري بالرفع على
الاخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل
تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها الباقون لا تضار على النهي والاصل تضارر
اسكنت الاولى وادغمت في الثانية فالتقى ساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين
والدة بولدها اي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به و
تطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في
شأن الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا
مولود له بولده اي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب
عليه من رزقها وكسوتها او يأخذ منها وهي تريد ارضاعه واذا كان مبنيا للمفعول
فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من

قبلها بسبب الولد او تضار بمعنى تضر والباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها
فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه الي الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد بها
بان ينزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها
وبولده لانه لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه
وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه اي وعلى وارث
الصبي عند عدم الاب مثل ذلك اي مثل الذي كان على ابيه في حيوته من الرزق
والكسوة واختلف فيه فعند ابي ليلى كل من ورثه وعندنا كل من كان ذا رحم محرم
منه لقراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل
ذلك وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد فان ارادا يعني الابوين
فصالا فطاما صادرا عن تراض منهما وتشاور بينهما فلا جناح عليهما في ذلك زاد على
الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور استخراج الرأي من شرت
العسل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذي
ادب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما لما للاب النسب والولاية وللام
الشفقة والعناية وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم كذا عن
الزجاج وقيل استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها
الصبي معدي الي مفعولين اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين
يعني غير الام عند ابائها او عجزها فلا جناح عليكم اذا سلمتم الي المراضع ما آتيتم
ما اردتم ايتاءه من الاجرة اتيتم مكي من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله كان
وعده مأتيا اي مفعولا والتسليم شرط للجواز بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم الاجرة
الي المراضع بطيب نفس وسرور واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى
عليه اعمالكم فهو يجازيكم عليها والذين يتوفون منكم تقول توفيت الشيء واستوفيته
اذا اخذته وافيا تاما اي تستوفى ارواحهم ويذرون ويتركون ازواجا يتربصن
بانفسهن اي وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن اي يعتددن او معناه
يتربصن بعدهم بانفسهن فحذف بعدهم للعلم به وانما احتيج الي تقديره لانه لا بد
من عائد الي المبتدا في الجملة التي وقعت خبرا يتوفون قراءة المفضل اي يستوفون
اجالهم اربعة اشهر وعشرا اي وعشر ليال والايام داخلة معها ولا يستعمل التذكير

فيه ذهابا الي الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم فاذا بلغن
اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والحكام فيما فعلن
في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع بالمعروف
والله بما تعملون خبير عالم بالبواطن ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء الخطبة الاستنكاح والتعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة ومن
غرضي ان اتزوج ونحو ذلك الكلام الموهم ان يريد انكاحها حتى تحبس نفسها عليه
ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان اتزوجك والفرق بين
الكناية والتعريض ان الكناية ان يذكر بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان يذكر
شيئا يدل على شيء لم يذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر
الي وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام
الي عرض يدل على الغرض او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم
تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن ولا
محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا
جماعا لانه مما يسر اي لا تقولوا في العدة اني قادر على هذا العمل الا ان تقولوا قولا
معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والا متعلق بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن
مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم
الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح لان العزم على الفعل
مقدمة فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
او ولا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن
لم يعزم الصيام من الليل وروي من لم يبيت الصيام او ولا تعزموا على عقدة
النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله حتى تنقضي عدتها وسميت العدة كتابا لانها
فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ التربص المكتوب عليها اجله اي غايته واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه
واعلموا ان الله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن
سمى لها مهرا ولا جامعها لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم
النساء شرط ويدل على جوابه لا جناح عليكم والتقدير ان طلقتم النساء فلا
جناح عليكم ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن وما شرطية اي ان لم تمسوهن

حمزة وعلي حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين او تفرضوا لهن فريضة الا ان
تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة
غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمي لها مهر وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف
مهر المثل بل يجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن
الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة و
متعوهن معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن والمتعة
درع وملحفة وخمار على الموسع الذي له سعة قدره مقداره الذي يطيقه
قدره فيهما كوفي غير ابي بكر وهما لغتان وعلى المقتر الضيق الحال قدره
ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه ويستحب لسائر المطلقات متاعا تاكيد لمتعوهن
اي تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا
عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على المسلمين او على الذين يحسنون الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل
قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة وا
ثم بين حكم التي سمي لها مهرا في الطلاق قبل المس فقال وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن ان مع الفعل بتاويل المصدر في موضع الجر اي من قبل
مسكم اياهن وقد فرضتم في موضع الحال لهن فريضة مهرا فنصف ما فرضتم
الا ان يعفون يريد المطلقات وان مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء
كانه قيل فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من
المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون ان الواو في الاول ضمير هم
والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني
لا اثر في لفظه للعامل او يعفو عطف على محله الذي بيده عقدة النكاح
هو الزوج كذا فسره علي رضي الله تعالى عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح و
مجاهد وابي حنيفة والشافعي على الجديد وهذا لان الطلاق بيده فكان ابقاء
العقدة بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الا ان تسقط هي الكل او يعطي
هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي رحمهما الله في القديم هو الولي قلنا هو
لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه وان تعفوا مبتدا خبره
اقرب للتقوى والخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب في كون الزواج

زواج
اي عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المرأة باسقاطه كله خير لها او للا
ولا تنسوا الفضل التفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض
ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم على تفضلكم حافظوا على الصلوات اداء ومواظبة
بمواقيتها واركانها وشرائطها والصلوة الوسطى بين الصلوات او الفضلى من
قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل
وهي صلوة العصر عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعليه الجمهور لقوله عليه الصلوة والسلام
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا
وقال عليه الصلوة والسلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان عليه السلام حتى
توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة رضي الله عنها والصلوة الوسطى صلوة العصر
ولانها بين صلاتي الليل وصلوتي النهار وفضلها لما في وقتها من اشتغال
الناس بتجاراتهم ومعايشهم وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار او صلا
الفجر لانها بين صلوتي الليل وصلاتي النهار او صلوة المغرب لانها بين الاربع
والمثنى ولانها بين صلوتي مخافتة وصلاتي جهر او صلوة العشاء لانها بين و
اوهي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل وهذه الاية تدل على ان الصلوات
خمس في اليوم والليلة لان النص يقتضي عددا له وسطى وان الصلوة و
الوسطى لانه عطف على الصلوات والمعطوف غير المعطوف عليه واقل عدد صفته
هذا خمسة وقوموا لله في الصلوة قانتين اي مطيعين خاشعين او ذاكرين الله
في قيامكم والقنوت ان يذكر الله قائما او مطيلين القيام فان خفتم فان كان
بكم خوف من عدو او غيره فرجالا حال اي فصلوا راجلين هو جمع راجل كقايم و
قيام او ركبانا او وحدانا بايماء ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم زال
خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلاة الامن كما علمكم اي ذكرا مثل ما علمكم ما لم
تكونوا تعلمون من صلوة الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم بالنصب شامي وابو عمرو وحمزة وحفص اي فليوصوا وصية
كذا عن الزجاج غيرهم بالرفع اي فعليهم وصية متاعا نصب بالوصية لانها مصدر
او تقديره متعوهن متاعا الى الحول صفة لمتاعا غير اخراج مصدر مؤكد كقولك
هذا هو القول غير ما تقول او بدل من متاعا والمعنى ان حق الذين يتوفون عن
ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا لان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا

اي ينفق عليهن من تركته لا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك مشروعًا في اول الاسلام
ثم نسخ بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الي قوله وعشرا والناسخ
متقدم تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالي سيقول السفهاء مع قوله قد نرى
تقلب وجهك في السماء فان خرجن بعد الحول فلا جناح عليكم فيما فعلن في
انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا والله
عزيز حكيم فيما حكم وللمطلقات متاع خبر ومبتداء اي نفقة العدة بالمعروف حقا
نصب على المصدر على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون
هو في موضع الرفع لانه خبر لعل وان اريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة
وهي على سبيل الندب الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار
الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا
الكلام جرى مجرى المثل في معني التعجيب الي الذين خرجوا من ديارهم من قرية
قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم بدعاء
حزقيل عليه السلام وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الي الجهاد ففروا
حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف في موضع النصب
على الحال وفيه دليل على الالوف الكثيرة لانها جمع كثرة وهي جمع الف لا آلف حذر
الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي فاماتهم الله وانما جيء به على هذه العبارة
للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة
عن العادة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد فان الموت اذا لم يكن منه بد ولم
ينفع منه مفر فالاولي ان يكون في سبيل الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا
مفر من حكم الله وقضائه وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم احياهم
او لما كان معنى قوله فقال لهم موتوا فاماتهم كان عطفا عليه معنى ان الله لذو فضل
على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم
او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم
موتي الي يوم النشور ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلك والدليل على انه ساق هذه
القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وهو قوله وقاتلوا في
سبيل الله فحرض على الجهاد بعد الاعلام بان الفرار من الموت لا يغني وهذا الخطاب
لامة محمد صلى الله عليه وسلم واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون

عليم بما يضمرونه من استفهام في موضع رفع بالابتداء ذا خبره الذي صفة
لذا او بدل منه يقرض الله صلة الذي سمي ما ينفق في سبيل الله قرضا لان القرض مال
يقبض ببدل مثله من بعد ما سمي به لان المقرض يقطعه من ماله فيدفعه اليه
والقرض القطع ومنه المقراض وقرض الفار والانقراض فنبههم بذلك على انه
لا يضيع عنده وانه يخرجهم لا محالة قرضا حسنا اقراضا مقرونا بطيبة النفس من
المال الطيب والمراد النفقة في الجهاد لانه لما امر بالقتال في سبيل الله ويحتاج
فيه الي المال حث على الصدقة ليتهياء اسباب الجهاد فيضاعفه له بالنصب عاصم
على جواب الاستفهام وبالرفع ابو عمرو ونافع وحمزة وعلي عطفا على يقرض او
هو مستانف اي فهو يضاعفه فيضعفه شامي فيضعفه مكي اضعافا في موضع المصدر
كثيرة اي لا يعلم كنهها الا الله وقيل الواحد سبعمائة والله يقبض ويبسط
يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدل لكم
الضيقة بالسعة ويبصط حجازي وعاصم وعلي واليه ترجعون فيجازيكم على ما
قدمتم الم تر الي الملأ الاشراف لانهم يملؤن القلوب جلالة والعيون مهابة
من بني اسرائيل من للتبعيض من بعد موسى من بعد موته ومن لابتداء الغاية
اذ قالوا حين قالوا لنبي لهم هو شمعون او يوشع او شمويل ابعث لنا ملكا
انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحروب عن رايه وننتهي الي امره نقاتل
بالنون والجزم على الجواب في سبيل الله صلة نقاتل قال النبي هل عسيتم
عسيتم حيث كان نافع ان كتب عليكم القتال شرط فاصل بين اسم عسى وخبره
وهو ان لا تقاتلوا والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم
لا تقاتلون وتجبنون فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده واراد بالاستفهام
التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه قالوا وما لنا ان لا
نقاتل في سبيل الله واي داع لنا الي ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا الواو في وقد للحال وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون
بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين يعنون اذا
بلغ الامر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد فلما كتب عليهم القتال اي اجيبوا
الي ملتمسهم تولوا اعرضوا عنه الا قليلا منهم وهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر
على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيدهم على ظلمهم بترك الجهاد و

قال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت هو اعجمي كجالوت وداود و
منع من الصرف للتعريف والعجمة ملكا حال قالوا انى يكون له الملك علينا اي
كيف يتملك ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له ونحن احق بالملك
منه الواو للحال ولم يؤت سعة من المال اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق
التملك لوجود من هو احق وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما
قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط
يهوذا وهو كان من سبط بنيامين وكان رجلا سقا او دباغا فقيرا وروي
ان نبيهم دعى الله حين طلبوا منه ملكا فاتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم
فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفيه عليكم الطاء في اصطفاه بدل
من التاء لمكان الصاد الساكنة اي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم و
لا اعتراض على حكمه ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم
المبسوط والجسامة فقال وزاده بسطة مفعول ثان في العلم والجسم قالوا
كان اعلم بني اسرائيل بالحرب والديانات في وقته واطول من كل انسان برأسه
ومنكبه والبسطة السعة والامتداد والملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان
الجاهل مزدري غير منتفع وان يكون جسيما لانه اعظم في النفوس واهيب في
القلوب والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء
ايتاؤه وليس ذلك بالوراثة والله واسع اي واسع الفضل والعطاء يوسع
على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم لمن يصطفيه للملك
فثم طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت وقال لهم نبيهم ان آية
ملكه ان يأتيكم التابوت اي صندوق التوراة وكان موسى عليه الصلوة
والسلام اذا قاتل قدمه وكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون فيه سكينة
من ربكم سكون وطمانينة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء
من التورية ونعلا موسى وعمامة هرون عليهما السلام مما ترك آل موسى وآل
هرون اي مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما تحمله الملائكة يعني
التابوت وكان رفعه الله بعد موسى عليه السلام فنزلت الملائكة تحمله وهم
ينظرون اليه والجملة في موضع الحال وكذا فيه سكينة ومن ربكم نعت لسكينة و
مما ترك نعت لبقية ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ان في رجوع التابوت

اليكم علامة ان الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين فلما فصل طالوت
بالجنود خرج بالجنود عن بلده الى جهاد العدو وبالجنود في موضع الحال
اي مختلطا بالجنود وهم ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسالوا ان يجري
الله نهرا قال ان الله مبتليكم مختبركم اي يعاملكم معاملة المختبر بنهر وهو
نهر فلسطين ليتميز المحق في الجهاد من المعتذر فمن شرب منه كرعا فليس مني
فليس من اتباعي واشياعي ومن لم يطعمه لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه فانه
مني وبفتح الياء مدني وابو عمرو واستثنى الا من اغترف من قوله فمن شرب
منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة عن الاستثناء الا انها قدمت
للعناية غرفة غرفة حجازي وابو عمرو وبمعنى المصدر يعني المغروف ومعناه
الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه فشربوا منه
اي فكرعوا الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما جاوزه
اي النهر هو طالوت والذين معه اي القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم اي لا
قوة لنا بجالوت هو جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكان في بيضته
ثلثمائة رطل من حديد وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
يوقنون بالشهادة وقيل الضمير في قالوا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون
هم القليل الذين ثبتوا معه وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه و
اداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش كم من فئة
قليلة كم خبرية وهو موضعها رفع بالابتداء غلبت خبرها فئة كثيرة باذن
الله بنصره والله مع الصابرين بالنصر ولما برزوا لجالوت وجنوده
خرجوا لقتالهم قالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا على القتال وثبت
اقدامنا بتقوية قلوبنا وابقاء الرعب في صدور عدونا وانصرنا على
القوم الكافرين اعنا عليهم فهزموهم اي طالوت والمؤمنون جالوت و
جنوده باذن الله بقضائه وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر
طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى
الله الى نبيهم ان داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه فجاءه وقد مر في طريقه
بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت
فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ثم حسده و

اراد قتله ثم مات تائبًا واتيه الله الملك في مشارق الارض المقدسة و
مغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود عليه السلام والحكمة
والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير
ذلك ولولا دفع الله الناس هو مفعول به بعضهم بدل من الناس دفاع
مدني مصدر دفع او دافع ببعض لفسدت الارض اي ولولا ان الله يدفع بعض
الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض
وبطل منافعها من الحرث والنسل او ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكافرين
لفسدت الارض بغلبة الكفار وقتل الابرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد
ولكن الله ذو فضل على العالمين بازالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة
في مسألة الاصلح تلك مبتدأ خبره ايات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث
الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية التي هي نزول
التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي نتلوها حال من ايات الله والعامل
فيه معنى الاشارة او ايات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر عليك بالحق باليقين
الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث
تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع من اهله تلك الرسل اشارة الى
جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم الى داود عليهم السلام
والذي ثبت علمها عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض
بالخصايص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الايمان و
يتفاوتون في الطاعات بعد الايمان ثم بين ذلك بقوله منهم من كلم الله
اي كلمه الله فحذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بان كلمه من غير
سفير وهو موسى عليه السلام ورفع بعضهم مفعول اول درجات مفعول ثان اي
بدرجات او الى درجات يعني ومنهم من رفعه الله على ساير الانبياء فكان بعد تفاوتهم
في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل
عليهم بارساله الى الكافة وبانه اوتي ما لم يؤته احد من الايات المتكاثرة المرتقية
الى الف واكثر واكبرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الابهام
تفخيم وبيانه انه العلم الذي لا يشتبه وقيل اريد به محمد وابراهيم وغيرهما من اولي
العزم من الرسل عليهم السلام وآتينا عيسى بن مريم البينات كاحياء الموتى

وابراء

وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وايدناه بروح القدس قويناه بجبريل
عليه السلام او بالانجيل ولو شاء الله ما اقتتل اي اختلف لانه سببه الذين
من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات
ولكن اختلفوا بمشيئتي ثم بين الاختلاف فقال فمنهم من آمن ومنهم من
كفر بمشيئتي يقول اجريت امور رسلي على هذا اي لم يجتمع لاحد منهم طاعة
جميع امته في حيوته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر
ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد اي لو شئت ان لا يقتتلوا لم يقتتلوا و
هم يقولون شاء ان يقتتلوا فاقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد اثبت الارادة
لنفسه كما هو مذهب اهل السنة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم في
الجهاد في سبيل الله او هو عام في كل صدقة واجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
اي من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه
لا بيع فيه حتى يبتاعوا ما ينفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به ولا شفاعة
اي للكافرين فاما المؤمنون فلهم شفعاء او لا شفاعة الا باذنه والكافرون
هم الظالمون انفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم او والكافرون بهذا اليوم
هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكي وبصري الله لا اله الا هو
لا مع اسمه وخبره وما ابدل من موضعه في موضع الرفع خبر المبتدا وهو الله الحي
الباقي الذي لا سبيل عليه للفنا القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
لا تاخذه سنة نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور ولا نوم عن المفضل
السنة ثقل في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب وهو تاكيد للقيوم
لان من جاز عليه استحال ان يكون قيوما وقد اوحي الى موسى عليه السلام قل لهؤلاء
اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا له
ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
ليس لاحد ان يشفع عنده لاحد الا باذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا
يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام وفيه رد لزعم الكفار ان
الاصنام تشفع لهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون
بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء ولا يحيطون بشيء
من علمه من معلومه يقال في الدعاء اللهم اغفر علمك فينا اي معلومك الا

بما شاء الا بما علم وسع كرسيه السموات والارض اي علمه ومنه الكراسة لتضمنها
العلم والكرسي للعلماء وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم
وهو كقوله وسعت كل شيء رحمة وعلما او ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك
او عرشه كذا عن الحسن او هو سرير دون العرش في الحديث ما السموات السبع
في الكرسي الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة
على تلك الحلقة او قدرته بدليل قوله ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما
حفظ السموات والارض وهو العلي في ملكه وسلطانه العظيم في عزه وجلاله
او العلي المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم المتصف بالصفات
التي تليق به فهما جامعان لكمال التوحيد وانما ترتبت الجمل في آية الكرسي بلا
حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق
وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء
شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها او لجلاله وعظم قدره وانما فضلت هذه الاية حتى ورد في فضلها ما
روي عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرا آية الكرسي في
دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا
صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار
جاره والابيات حوله وقال سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور
وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد
البقرة آية الكرسي وقال عليه الصلوة والسلام ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها
الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وقال
عليه الصلوة والسلام من قرا آية الكرسي عند منامه بعث اليه ملك يحرسه
حتى يصبح وقال عليه الصلوة والسلام من قرا هاتين الايتين حين يمسي حفظ
بهما حتى يمسي آية الكرسي واول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتمالهما على توحيد
الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان
ذاكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان اشرف العلوم علم التوحيد
لا اكراه في الدين اي لا اجبار على الدين الحق وهو الاسلام وقيل هو اخبار في

معنى

معنى النهي وروي انه كان لانصاري ابنان فتنصرا فلزمهما ابوهما وقال
والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الانصاري ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما قال ابن مسعود
وجماعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالامر بالقتال قد تبين الرشد من الغي
قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او
الاصنام ويؤمن بالله فقد استمسك تمسك بالعروة اي المعتصم والمتعلق
الوثقى تانيث الاوثق اي الاشد من الحبل الوثيق المحكم المامون لا انفصام لها
لا انقطاع للعروة وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس
حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والمعنى فقد عقد لنفسه
من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة والله سميع لاقراره عليم باعتقاده الله
ولي الذين آمنوا اي ولي الذين ارادوا ان يؤمنوا اي ناصرهم ومتولي امورهم
يخرجهم من الظلمات من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها الى النور الى
الايمان والهداية ووحد لاتحاد الايمان والذين كفروا مبتدا والجملة وهي اولياؤهم
الطاغوت خبره يخرجونهم من النور الى الظلمات وجمع لان الطاغوت في معنى
الجمع يعني والذين صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او والله ولي المؤمنين
يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها
حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم
من نور البينات الذي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ثم عجب نبيه عليه الصلوة والسلام بمجادلة
ابراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعي الربوبية بقوله الم تر الى
الذي حاج ابراهيم في ربه في معارضة ربوبيته والهاء في ربه يرجع الى
ابراهيم او الى الذي حاج فهو ربهما ان آتاه الله الملك لان آتاه الله يعني
ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج لذلك وهو دليل على المعتزلة في
مسئلة الاصلح او حاج وقت ان آتاه الملك اذ قال نصب بحاج او بدل من آتاه
اذا جعل بمعنى الوقت ابراهيم ربي رب حمزة الذي يحيي ويميت كانه قال من ربك
قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت يريد العفو عن القتل
والقتل فانقطع اللعين بهذا عند الخاصة ولما لبس اللعين على الضعفة فزاد

ابراهيم عليه السلام ما لا ياتى فيه التلبيس على الضعفة حيث قال قَالَ إِبْرَاهِيمُ
فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ وهذا ليس بانتقال
من حجة الى حجة كما زعم البعض لان الحجة الاولى كانت لازمة ولكن لما عاند
اللعين حجة الاحياء بتخلية واحد وقتل اخر كلمه من وجه لا يعاند وكانوا اهل
تنجيم وحركة الكواكب من المغرب الى المشرق معلومة لهم والحركة الشرقية
المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى الى غير جهة حركة النمل فقال
ان ربي يحرك الشمس قسرا على غير حركتها فان كنت ربا فحركها بحركتها فهو اهون
فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ تحير ودهش وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اي لا يوفقهم
وقالوا انما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه
عنه وقيل انه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره و
قوله انا احيي واميت ان الذي ينسب اليه الاحياء والاماتة انا لا غيري والآية
تدل على اباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لانه قال الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه والمحاجة تكون بين اثنين فدل ان ابراهيم عليه السلام حاجه
ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء معصومين
عن ارتكاب الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله تعالى وتوحيده و
اذا دعوناهم الى ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذا لا يكون الا بعد
المناظرة كذا في شرح التأويلات أَوْ كَالَّذِي مَرَّ معناه او ارايت مثل الذي فحذف
لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب او هو محمول على المعنى دون اللفظ
تقديره ارأيت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر وقال صاحب الكشاف فيه الكاف
زيادة والذي عطف على قوله الى الذي حاج عن الحسن ان المار كان كافرا بالبعث
لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي والاكثر انه
عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه
السلام وانى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة
المحيي عَلَى قَرْيَةٍ هي بيت المقدس حين خربه بخت نصر او هي التي خرج منها الالوف
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ساقطة مع سقوفها او سقطت السقوف ثم سقطت
عليها الحيطان وكل مرتفع عرش قَالَ أَنَّى يُحْيِي اي كيف يحيي هَذِهِ اي اهل هذه اللَّهُ بَعْدَ
مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ اي احياه قَالَ له ملك كَمْ لَبِثْتَ قَالَ

لبثت

لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد روي انه
مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما
ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ روي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه
عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لَمْ يَتَسَنَّهْ لم
يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان
لامها هاء لان الاصل سنهة والفعل سانهت يقال سانهت فلانا اي عاملته
سنة او واو لان الاصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم يغيره السنون لم
يتسن بحذف الهاء في الوصل وباثباتها في الوقف حمزة وعلي وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ
كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ومات وبقيت عظامه
او وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه
مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير وَ
لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه و
قيل الواو عطف على محذوف اي لتعتبر ولنجعلك قيل اتى قومه راكب حماره
وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يقرأها على ظهر قلبه ولم
يقرأ التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله
فرأى اولاده شيوخا وهو شاب وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ اي عظام الحمار او عظام
الموتى الذين تعجب من احيائهم كَيْفَ نُنْشِزُهَا نحركها ونرفع بعضها الى بعض
للتركيب ننشرها بالراء حجازي وبصري نحييها ثُمَّ نَكْسُوهَا اي العظام لَحْمًا
جعل اللحم كاللباس مجازا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ فاعله مضمر تقديره فلما تبين له ان
الله على كل شيء قدير قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كقولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء
الموتى قال اعلم على لفظ الامر حمزة وعلي اي قال الله له اعلم او هو خاطب نفسه
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي بصرني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى موضع كيف نصب بتحيي
قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي انما قال له اولم تؤمن وقد
علم انه اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين
وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة

علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة
فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام يتعلق بمحذوف
تقديره ولكن سئلت ذلك ارادة طمانينة القلب قَالَ فَخُذْ اَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ
طاوسًا وديكًا وغرابًا وحمامةً فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ وبكسر الصاد حمزة اي املهن
واضممهن اليك ثُمَّ اجْعَلْ عَلٰى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْاً ثم جزيهن وفرق اجزائهن
على الجبال التي بحضرتك وفي ارضك وكانت اربعة اجبل او سبعة جزؤا
بضمتين وهمز ابو بكر ثُمَّ ادْعُهُنَّ قل لهن تعالين باذن الله يَاْتِينَكَ سَعْيًا
مصدر في موضع الحال اي ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن
على ارجلهن وانما امره بضمها الى نفسه بعد اخذها ليتاملها ويعرف اشكالها
وهيأتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك و
روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزائها ويخلط
ريشها ودمائها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزائها على الجبال
على كل جبل ربعًا من كل طاير ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير
الى الاخر حتى صارت جثثًا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها
وَاعْلَمْ اَنَّ اللهَ عَزِيْزٌ لا يمتنع عليه ما يريده حَكِيْمٌ فيما يدبره لا يفعل الا ما فيه الحكمة
ولما برهن على قدرته على الاحياء حث على الانفاق في سبيل الله واعلم ان من
انفق في سبيله فله في نفقته اجر عظيم وهو قادر عليه فقال مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ
اَمْوَالَهُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كَمَثَلِ حَبَّةٍ
او مثلهم كمثل باذر حبة اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِيْ كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ المنبت
هو الله ولكن الحبة لما كانت سببًا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض
والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني
الناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما فرخت ساق البرة في الاراضي
القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ على ان التمثيل يصح وان لم يوجد على سبيل
الفرض والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع اقراء وَاللهُ
يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت
احوال المنفقين او يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامي ومكي وَاللهُ وَاسِعٌ

واسع الفضل والجود عَلِيْمٌ بنيات المنفقين اَلَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ
فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُوْنَ مَا اَنْفَقُوْا مَنًّا هو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا اصنعتم صنيعة
فانسوها وَلَا اَذًى هو ان يتطاول عليه بسبب ما اعطاه ومعنى ثم اظهار التفاوت
بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل
الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ اي ثواب انفاقهم وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من بخس الاجر وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ
من فوته او لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب وانما قال هنا لهم اجرهم
وفيما بعد فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يتضمن معنى الشرط وضمنه ثمة قَوْلٌ
مَعْرُوْفٌ رد جميل وَمَغْفِرَةٌ وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل
او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَّتْبَعُهَا اَذًى وصح
الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة وَاللهُ غَنِيٌّ لا حاجة به الى منفق
يمن ويؤذي حَلِيْمٌ عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له ثم اكد ذلك بقوله
يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُبْطِلُوْا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْاَذٰى كَالَّذِيْ الكاف نصب
صفة مصدر محذوف والتقدير ابطالا كمثل ابطال الذي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ اي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن
والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضاء
الله ولا ثواب الاخرة ورياء مفعول له فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ مثله و
نفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر املس عليه تراب فَاَصَابَهُ وَابِلٌ مطر عظيم القطر
فَتَرَكَهُ صَلْدًا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه لَا يَقْدِرُوْنَ عَلٰى شَيْءٍ مِّمَّا
كَسَبُوْا لا يجدون ثواب شيء مما انفقوا والكاف في محل النصب على الحال اي لا
تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق وانما قال لا يقدرون بعد قوله كالذي
ينفق لانه اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِيْنَ ما داموا مختارين الكفر وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ اي وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء
من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه
بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول

لرائي للابتغاء وللتثبيت والمعنى مثل نفقة هؤلاء في زكوتها عند الله كمثل جنة
بستان بربوة مكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا بربوة غير
عاصم وشامي اصابها وابل فآتت اكلها ثمرتها اكلها نافع ومكي وابو عمرو
ضعفين مثلي ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر
صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة و
نفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف
اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها رضاء الله
تعالى زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده والله بما تعملون
بصير يرى اعمالكم على اكثار واقلال ويعلم نياتكم من رياء واخلاص الهمزة
في ايود احدكم للانكار ان تكون له جنة بستان من نخيل واعناب تجري
من تحتها الانهار له لصاحب البستان فيها في الجنة من كل الثمرات يريد بالثمرات
المنافع التي كانت تحصل له فيها ولان النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها
منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا
لهما على غيرهما ثم اردفها ذكر كل الثمرات واصابه الكبر الواو للحال ومعناه ان تكون
له جنة وقد اصابه الكبر والواو في وله ذرية ضعفاء اولاد صغار للحال ايضا و
الجملة في موضع الحال من الهاء في اصابه فاصابها اعصار ريح يستدير في الارض
ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار في الاعصار وارتفع نار بالظرف اذ جرى الظرف
وصفا للاعصار فاحترقت الجنة وهذا لمن يعمل الاعمال الحسنة رياء فاذا كان يوم
القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك تحسر من كانت له جنة جامعة للثمار
فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة كذلك كهذا
البيان الذي بين فيما تقدم يبين الله لكم الايات في التوحيد والدين لعلكم
تتفكرون فتنتبهوا يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد
مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في اموال التجارة ومما اخرجنا لكم من الارض
من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه
حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون
تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال اي ولا تيمموا الخبيث منفقين منذين
النفقة ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا

فيه

فيه الا ان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض
حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا
ان الله غني عن صدقاتكم حميد مستحق للحمد او محمود الشيطان يعدكم في
الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا والوعد يستعمل في
الخير والشر ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر
للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه
لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا
عليه في الاخرة والله واسع يوسع على من يشاء عليم بافعالكم ونياتكم يؤتي
الحكمة من يشاء علم القرآن والسنة او العلم النافع الموصل الى رضاء الله و
العمل به والحكيم عند الله العالم العامل ومن يؤت الحكمة ومن يؤت يعقوب
اي ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم اي اوتي اي خير كثير
وما يذكر الا اولوا الالباب وما يتعظ بمواعظ الله الا ذوو العقول السليمة
او العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق
وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر
في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما
للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او ينذرون
في المعاصي ولا يوفون بالنذور من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم
من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وما نكرة غير موصولة
ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هي فنعما هي بكسر النون واسكان العين ابو
عمرو ومدني غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي وبكسر
النون والعين غيرهم وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء
فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم قالوا المراد صدقات التطوع والجهر في الفرائض
افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل
والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ويكفر بالنون وجزم
الراء مدني وحمزة وعلي وبالياء ورفع الراء شامي وحفص وبالنون و
الرفع غيرهم ومن جزم فقد عطفه على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط

ومن رفع فعلى الاستيناف والياء على معنى يكفر الله عنكم من سيئاتكم والنون
على معنى نحن نكفر والله بما تعملون من الابداء والاخفاء خبير عالم ليس عليك
هديهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن
والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي
فحسب ولكن الله يهدي من يشاء ولیس عليك التوفيق على الهدى او خلق الاهتداء
وانما ذلك الى الله وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به
غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله اي رضى الله ولطلب
ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله او
هذا نفي ومعناه النهي وما تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه المؤكد ولم تظلموا منه
شيئا اي لا تنقص الجاد في الحث عن انفاقه وان لا تنقصوه يكون على احسن الوجوه
واجملها وانتم لا تظلمون لا تنقصون لقوله ولم تظلم منه شيئا اي لا تنقص الجاد
في للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او هو خبر مبتداء محذوف اي هذه
الصدقات للفقراء الذين احصروا في سبيل الله وهم الذين احصرهم الجهاد
فمنعهم من التصرفات لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم
اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في
المدينة ولا عشاير فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفة يتعلمون القرآن بالليل
ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن كان له فضل اتاهم به اذا امسى يحسبهم الجاهل بحالهم يحسبهم وبابه
شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين اغنياء من
التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه
ورثاثة الحال لا يسئلون الناس الحافا الحاحا قيل هو نفي السؤال والالحاح جميعا
كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به والالحاح هو اللزوم
وان لا يفارق الا بشئ يعطاه وفي الحديث ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض
البذي السائل الملحف قيل معناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم لا يضيع عنده الذين ينفقون اموالهم

بالليل والنهار سرا وعلانية هما حالان اي مسرين ومعلنين يعني يعمون
الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج
عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة
بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية او في علي رضي الله عنه لم يملك الا
اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
يأكلون الربوا هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال وكتب
الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان لانه يخبط في المعاملة فجوزي على المقابلة والخبط الضرب على
غير استواء كخبط العشواء من المس من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون اي لا
يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتقوم كما يقوم المصروع
من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم
يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا
اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه
الله في قلوبهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بانهم
بسبب انهم قالوا انما البيع مثل الربوا ولم يقل انما الربوا مثل البيع مع ان الكلام
في الربوا لا في البيع لانه جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم
في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع نظيره قوله
وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح فانه قصد ايهام ان وجه الخليفة
في الوضوح اتم من الصباح واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم
بينهما اذ الحل مع الحرمة ضدان فانى يتماثلان ودلالة على ان القياس يهدمه
النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع
فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى
الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيئا فلا تطالبوه به ومن عاد

الي استحلال الربوا عن الزجاج او الي الربوا استحلالا فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من احل ما حرم الله
عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود وبهذا تبين انه لا تعلق للمعتزلة بهذه
الاية في تخليد الفساق يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي
يدخل فيه ويربي الصدقات ينميها ويزيدها اي يزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة
ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت مال من زكوة قط والله لا يحب كل كفار
عظيم الكفر باستحلال الربوا اثيم متماد في الاثم باكله ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل المراد به الذين امنوا بتحريم الربوا يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اخذوا ما شرطوا على الناس
من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انها
نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال و
الربوا ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان فان دليل كماله امتثال المامور فان لم
تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم وفي
قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة وابو بكر غير ابن غالب اي فاعلموا بها غيركم
ولم يقل بحرب الله ورسوله لان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم
من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله
ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون المديونين
بطلب الزيادة ولا تظلمون بالنقصان منها وان كان ذو عسرة فان وقع غريم
من غرمائكم ذو عسرة ذو اعسار فنظرة فالحكم او فالامر نظرة اي انظار الي
ميسرة يسار اي الي ميسرة بضم السين نافع وهما لغتان وان تصدقوا بالتخفيف
عاصم اي تتصدقوا برؤوس اموالكم او ببعضها على من اعسر من غرمائكم والتشديد
غيره فالتخفيف على حذف احدي التائين والتشديد على الادغام خير لكم في
القيمة وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين
رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا
جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله
ترجعون ابو عمرو فرجع لازم ومتعد قيل هي اخر اية نزل بها جبرائيل عليه

السلام

السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين او احدي وثمانين او سبعة ايام
وثلاث ساعات ثم توفي كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت وهم لا يظلمون
بنقصان الحسنات وزيادة السيئات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم
بدين اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا
او اخذا الي اجل مسمى مدة معلومة اي كالحصاد او الدياس او رجوع
الحاج وانما احتيج الي ذكر الدين ولم يقل اذا تداينتم الي اجل مسمى ليرجع الضمير
اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن
النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الي مؤجل وحال وانما امر بكتبة
الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والمعنى اذا تعاملتم
بدين مؤجل فاكتبوه والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم المضمون الي اجل معلوم في كتابه و
انزل فيه اطول اية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم وليكتب بينكم بين
المتداينين كاتب بالعدل هو متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب بالا
حتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها
عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان
لا يستكتبوا الا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه ولا يأب كاتب ولا يمتنع واحد
من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا
يغير وكما متعلق بان يكتب فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها وليملل الذي
عليه الحق ولا يكون المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في
ذمته واقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملال والاملاء لغتان
وليتق الله ربه وليتق الذي عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الاملاء فيكون جحودا
لكل حقه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئا في الاملاء
فيكون جحودا لبعض حقه فان كان الذي عليه الحق سفيها او مجنونا لان السفه
خفة في العقل او محجورا عليه لتبذير وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او لا
يستطيع ان يمل هو لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره ويقوم به بالعدل
بالصدق والحق واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان

على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام و
شهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان
رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء
فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون من الشهداء ممن تعرفون عدالتهم
وفيه دليل على ان غير المرضي شاهد ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى
لاجل ان تنسى احديهما الشهادة فتذكرها الاخرى ان تضل احديهما على الشرط
فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه فتذكر مكي و
بصري من الذكر لا من الذكر ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة
او للتحمل لئلا يتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة
الكائن فالاول للفرض والثاني للندب ولا تسأموا ولا تملوا قال سئمت تكاليف
الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسأم والضمير في ان تكتبوه للدين
او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر وفيه دليل جواز السلم
في الثياب لان ما يكال او يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وانما يقال في الذرعي
ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا الى اجله الى
وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى
المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط وهو العدل عند الله ظرف
لاقسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وبني افعل التفضيل اي اقسط
واقوم من اقسط واقام على مذهب سيبويه وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء
الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فانه قد يقع الشك في المقدار والصفات
واذا رجعوا الى المكتوب زال ذلك والف ادنى منقلبة من واو لانه من الدنو الا
ان تكون تجارة حاضرة عاصم اي الا ان تكون التجارة تجارة او الا ان تكون المعاملة
تجارة حاضرة وغيره تجارة حاضرة على كان التامة اي الا ان تقع تجارة حاضرة
او هي ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وقوله بينكم ظرف لتديرونها
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها يعني
ان لا تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في
التداين واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا
لانه احوط وابعد من وقوع الاختلاف او اريد به واشهدوا اذا تبايعتم هذا

التبايع

التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة والامر
للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضي الله
عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر والمعنى
نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب
حقه من الجعل او لا يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا وان تضاروا
فانه فان الضرار فسوق بكم ماثم واتقوا الله في مخالفة امره ويعلمكم الله شرائع
دينه والله بكل شيء عليم لا يلحقه سهو ولا قصور وان كنتم ايها المتداينون
على سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان فرهن مكي وابو عمرو اي فالذي
يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال ورهن في
الاصل مصدر سمي به ثم كثر تكسير الاسماء ولما كان السفر مظنة لاعواز الكتب و
الاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد لان السفر شرط لتجويز الارتهان و
قوله مقبوضة تدل على شرط القبض لا كما زعم مالك رحمه الله ان الرهن يصح
بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين
المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن فليؤد الذي
اؤتمن امانته دينه واؤتمن افتعل من الامن وهو حث للمديون على ان يكون
عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له ان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه
فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه
وليتق الله ربه في انكار حقه ولا تكتموا الشهادة وهذا خطاب للشهود ومن
يكتمها فانه اثم قلبه ارتفع قلبه باثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه او
بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبر ان وانما اسند الى القلب والجملة هي الآثمة
لا القلب وحده لان كتمان الشهادة ان يضمرها في القلب ولا يتكلم بها فلما كان
آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ كما
تقول هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس
الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه
قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولان افعال القلوب

اعظم من افعال سائر الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان
والكفر وهما افعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من اثام القلوب فقد
شهد له بانه من معاظم الذنوب عن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الا
شراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من كتمان الشهادة
واظهارها عَلِيمٌ لا يخفى عليه لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ خلقا وملكا وَ
اِنْ تُبْدُوا مَا فِي اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوهُ يعني من السوء يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ يكافيكم
ويجازيكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك
مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل ان عزم الكفر
كفر وخطرة الذنوب من غير عزم مغفورة وعزم الذنوب اذا ندم عليه ورجع
عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع
عنه بمانع لا باختياره فانه لا يعاقب على فعله ذلك عقوبة فعله اي بالعزم على
الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه
الصلوة والسلام ان الله عفى عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به و
الجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان المواخذة في العزم ثابتة و
اليه مال الشيخ ابو منصور وشمس الائمة الحلواني رحمه الله والدليل عليه قوله تعالى
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الآية وعن عائشة رضي الله عنها ما هم العبد
بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي اكثر
التفاسير انه لما نزلت الآية جزعت الصحابة رضي الله عنهم فقالوا انواخذ بكلما
حدثت به انفسنا فنزل قوله آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفي بعضها انها
نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار فَيَغْفِرُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ برفعهما شامي وعاصم اي فهو يغفر ويعذب وجزمهما
غيرهم عطفا على جواب الشرط والادغام ابو عمرو وكذا في الاشارة والبشارة وقال
صاحب الكشاف مدغم الراء في اللام مخطئ لان الراء حرف مكرر فصير بمنزلة
المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه
يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يوذن بجهل عظيم وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ
من المغفرة والتعذيب وغيرهما قَدِيرٌ فقاد آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

والمؤمنون

وَالْمُؤْمِنُونَ ان عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه
في كُلٌّ راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَ
رُسُلِهِ ووقف عليه وان كان مبتدأ كان كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم و
آمن خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الاول فكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير
كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلي يعني القرآن او الجنس
لَا نُفَرِّقُ اي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ احد في معنى
الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل الا على اسم يدل على اكثر من واحد تقول
المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد وَقَالُوا سَمِعْنَا اجبنا قولك وَاَطَعْنَا
امرك غُفْرَانَكَ اي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيرُ
المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء في الايمان
وعلى بقاء الايمان لمرتكبي الكبائر لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا محكي عنهم او مستانف اِلَّا
وُسْعَهَا الا طاقتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف
كذا في شرح التاويلات وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا
يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون
مدى الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان ان يصلي اكثر من الخمس
ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ينفعها
ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب
لان الافتعال للانكماش والنفس تنكمش في الشر وتتكلف للخير رَبَّنَا لَا تُوَاخِذْنَا
اِنْ نَسِينَا تركنا امرا من اوامرك سهوا اَوْ اَخْطَاْنَا او دل هذا على جواز المواخذة
في النسيان والخطا خلافا للمعتزلة لامكان التحرز عنهما في الجملة ولولا جواز المواخذة
بهما لم يكن للسوال معنى رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِصْرًا عبئا يأصر حامله اي يحبسه
مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة
من الجلد والثوب وغير ذلك كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا كاليهود رَبَّنَا وَ
لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ من العقوبات النازلة بمن قبلنا وَاعْفُ عَنَّا امح
سيئاتنا وَاغْفِرْ لَنَا واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالاول للكبائر والثاني
للصغائر وَارْحَمْنَا بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا او الاول من المسخ والثاني
من الخسف والثالث من الغرق اَنْتَ مَوْلٰينَا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا

او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى ان ينصر عبده
في الحديث من قرأ من الرسول الى آخره في ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء
الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل ويجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت
البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش
وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قراءة السورة التي يذكر فيها البقرة

الم الله حركت الميم لالتقاء الساكنين اعني سكونها وسكون لام الله وفتحت
لخفة الفتحة ولم تكسر الياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالي الكسرات وليس
فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها اذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم
ولا يصح ان يقال ان فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت الى الميم لان تلك همزة
وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز اثباتها
واثباتها غير جائز واسكن يزيد والاعشى الميم وقطعا الالف والباقون
بوصل الالف وفتح الميم والله مبتداء لا اله الا هو خبره وخبر لا مضمر و
التقدير لا اله في الوجود الا هو وهو في موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه
الحي القيوم خبر مبتداء اي هو الحي او بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو
القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت نزل اي هو نزل عليك الكتاب
القرآن بالحق حال اي نزله حقا ثابتا مصدقا لما بين يديه لما قبله وانزل التورية
والانجيل هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة
وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وانما قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل
لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابين جملة من قبل من قبل القرآن هدى للناس
لقوم موسى وعيسى عليهما السلام او لجميع الناس وانزل الفرقان اي جنس الكتب
لان الكل يفرق بين الحق والباطل او الزبور او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له
تفخيما لشأنه ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد
والله عزيز ذو انتقام ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم ان الله
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي في العالم فعبر عنه بالسماء والارض
اي هو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذي يصوركم

في الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة لا اله الا هو العزيز في سلطانه
الحكيم في تدبيره روي انه قدم وفد بني نجران وهم ستون راكبا اميرهم العاقب
وعمدتهم السيد واسقفهم وحبرهم ابو حارثة خاصموا في ان عيسى عليه السلام ان
لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه الصلوة والسلام الستم تعلمون انه لا يكون
لولد الا وهو يشبه اباه فقالوا بلى قال الم تعلموا ان الله حي لا يموت وعيسى يموت
وان ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك وانه
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الا ما علم وانه صور عيسى
في الرحم كيف شاء فحملته امه او وضعته وارضعته وكان ياكل ويحدث وربنا
منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع و
ثمانين آية هو الذي انزل عليك الكتاب القرآن منه من الكتاب آيات محكمات
احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصل
الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها واخر وآيات اخر متشابهات مشتبهات
محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى والاستواء يكون بمعنى الجلوس
وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله
ليس كمثله شيء او المحكم ما امر الله به في كل كتاب انزله نحو قوله قل تعالوا اتل ما حرم
عليكم ربكم الآيات وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى آخر الآيات والمتشابه
ما وراءه او ما لا يحتمل الا وجها واحدا وما احتمل اوجها او ما يعلم تاويله وما لا
يعلم تاويله والناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا يعمل به وانما لم يكن كل
القرآن محكما لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل
فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراجه ورده الى المحكم من الفوائد
الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى فاما الذين في قلوبهم
زيغ ميل عن الحق وهم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه
الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل
الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله
وطلب ان يؤولوه التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله اي لا يهتدي
الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم والذين رسخوا
اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم

على قوله الا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر
يقولون آمنا به وهو ثناء منه تعالى عليهم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقية
بلا كيفية وفائدة انزال المتشابه الايمان به واعتقاد حقية ما اراد الله به و
معرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ويعضده قراءة
ابي رضي الله عنه ويقول الراسخون وقراءة عبد الله رضي الله عنه ان تأويله الا عند
الله ومنهم لا يقف عليه ويقول بان الراسخين في العلم يعلمون المتشابه ويقولون
كلام مستأنف موضح لحال الراسخين يعني هؤلاء العالمون بها بالتأويل يقولون
آمنا به اي بالمتشابه او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند ربنا من عند
الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه وما يذكر وما يتعظ واصله يتذكر الا اولوا
الالباب اصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل و
قيل يقولون حال من الراسخين ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بخلق الميل في
القلوب بعد اذ هديتنا للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه وهب لنا من لدنك رحمة
من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت انك انت الوهاب كثير الهبة والاية من
مقول الراسخين ويحتمل الاستيناف اي قولوها وكذا التي بعدها وهي ربنا
انك جامع الناس ليوم اي لجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه لا شك
في وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد الموعد والمعنى ان الالهية تنافي خلف الميعاد
كقولك ان الجواد لا يخيب سائله اي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من
الثواب والعقاب ان الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغني لن
تنفع او تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذابه شيئا من
الاغناء واولئك هم وقود النار حطبها كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه
وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من
قبلهم من آل فرعون وغيرهم او منصوب المحل بلن تغني اي لن تغني عنهم مثل ما
لم تغن عن اولئك كداب بلا همزة حيث كان ابو عمرو كذبوا باياتنا تفسير
لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز ان
يكون حالا اي قد كذبوا فاخذهم الله بذنوبهم بسبب ذنوبهم يقال اخذته
بكذا اي جازيته عليه والله شديد العقاب شديد عقابه فالاضافة غير محضة

قل للذين كفروا هم مشركو اهل مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون الى جهنم من الجهنام و
هي بئر عميقة وبالياء فيهما حمزة وعلي وبئس المهاد المستقر جهنم قد كان لكم
آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله
وهم المؤمنون واخرى فئة اخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين
مثلي عدد المشركين الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم
اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجتنبوا عن قتالهم ترونهم نافع اي
ترون يا مشركي قريش مثلي فئتكم او مثلي انفسهم ولا يناقض هذا ما قال في
سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لانه قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم
فلما اجتمعوا كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين
مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس
ولا جان وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ
في القدرة واظهار الاية ومثليهم نصب على الحال لانه من رؤية العين بدليل
قوله رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها والله يؤيد بنصره من
يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو ان في ذلك في تكثير القليل
لعبرة لعظة لاولي الابصار لذوي البصائر زين للناس المزين هو الله عند
الجمهور للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم دليله قراءة
مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان حب الشهوات
الشهوة توقان النفس الى الشيء جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في
كونها مشتهاة كأنه اراد تخسيسها بتسميتها شهوات اذ الشهوة مسترذلة عند
الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية من النساء والاماء داخلة
فيها والبنين جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا
اريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون للدفاع والقناطير جمع
قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور او مائة الف دينار ولقد جاء
الاسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا المقنطرة المنضدة او المدفونة من
الذهب والفضة سمي ذهبا لسرعة ذهابه بالانفاق وفضة لانها تتفرق بالانفاق
والفض التفريق والخيل سميت به لاختيالها في مشيها المسومة المعلمة من السومة
وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام هي الازواج الثمانية

والحرث الزرع ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا يتمتع بها في الدنيا والله عنده
حسن المآب المرجع ثم زهدهم في الدنيا فقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم من الذي
تقدم للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير
من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره تجري من تحتها الانهار صفة لجنات
ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم المنتفعون به ويرتفع
جنات على هو جنات وينصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله اي رضي الله والله بصير
بالعباد عالم باعمالهم فيجازيهم عليها او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذا
اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع او جر صفة للمتقين او
للعباد ربنا اننا امنا اجابة لدعوتك فاغفر لنا ذنوبنا انجازا لوعدك
وقنا عذاب النار بفضلك الصابرين على الطاعات والمصائب وهو
نصب على المدح والصادقين قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بامضاء
العزم والقانتين الداعين والمطيعين والمنفقين المتصدقين والمستغفرين
بالاسحار المصلين او طالبي المغفرة وخص الاسحار لانه وقت اجابة
الدعاء لانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك
ينادي بالاسحار وانت نائم والواو المتوسطة من الصفات للدلالة على كمالهم
في كل واحدة منها او للاشعار بان كل صفة مستقلة بالمدح شهد الله اي
حكم الله او قال انه اي بانه لا اله الا هو والملائكة بما عاينوا من عظيم قدرته
واولوا العلم اي الانبياء عليهم الصلوة والسلام او العلماء قائما بالقسط
مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر
به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه
على انه حال مؤكدة من اسم الله او من هو وانما جاز افراده بنصب الحال دون
المعطوفين عليه قلت جاء زيد وعمرو راكبا المعز لعدم الالباس فانك
لو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح وكرر لا اله
الا هو للتاكيد العزيز الحكيم رفع على الاستيناف اي هو العزيز وليس بوصف
لهو لان الضمير لا يوصف يعني انه العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي لا يعدل
عن العدل ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة ان الدين على البدل

من قوله انه لا اله الا هو اي شهد الله ان الدين عند الله الاسلام قال عليه الصلوة
والسلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين الف خلق يستغفرون
له الى يوم القيمة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه
الشهادة وهي لي وديعة يقول الله تعالى يوم القيمة ان لعبدي عندي عهدا
وانا احق من يوفي بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب اي اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الا
سلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله الا من
بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه بغيا بينهم اي ما كان ذلك
الاختلاف الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع
كل فريق منهم ناسا لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم
في امر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله ومن يكفر
بآيات الله بحججه ودلائله فان الله سريع الحساب سريع المجازات فان
حاجوك فان جادلوك في ان دين الله الاسلام والمراد بهم وفد بني نجران عند
الجمهور فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها
لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين
القيم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني
فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين
الذي لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء في اسلمت اي اسلمت
انا ومن اتبعني وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا
معه ومن اتبعني في الحالين سهل ويعقوب ووافق ابو عمرو في الوصل وحي
مدني وشامي وحفص والاعشى والبرجمي وقل للذين اوتوا الكتاب من
اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم
يعني قد اتاكم من البينات ما يقتضي حصول الاسلام فهل
اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر اي
اسلموا كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا

الرشد حيث خرجوا من الضلال الى الهدى وان تولوا فانما عليك البلاغ
اي لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبيه على
طريق الهدى والله بصير بالعباد فيجازيهم على اسلامهم وكفرهم ان الذين
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين هم اهل الكتاب راضون بقتل
ابائهم الانبياء بغير حق حال مؤكدة لان قتل النبي لا يكون حقا ويقتلون
الذين يامرون ويقاتلون حمزة بالقسط بالعدل من الناس اي سوى
الانبياء قال عليه الصلوة والسلام قتلت بنوا اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا
من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثني عشر رجلا من عباد بني
اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في اخر النهار
من ذلك اليوم فبشرهم بعذاب اليم دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها
معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وهذا لان
ان لا تغير معنى الابتداء فهي للتحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها
ليت ولعل لامتنع دخول الفاء اولئك الذين حبطت اعمالهم اي ضاعت في
الدنيا والاخرة فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة وما لهم من
ناصرين جمع لوفق رؤس الاي والا فالواحد لنكرة في النفي يعم الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا
من التورية ومن للتبعيض او للبيان يدعون حال من الذين الى كتاب الله اي
التورية او القران ليحكم بينهم جعل حاكما حيث كان سببا للحكم او ليحكم النبي
روي انه عليه الصلوة والسلام دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا
قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال
الاعراض ديدنهم ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات اي
ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج
من النار بعد ايام قلايل وهي اربعون يوما او سبعة ايام وذلك مبتدا وبانهم خبره
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون اي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن
ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا الا مدة يسيرة فكيف اذا جمعناهم ليوم

فكيف يكون حالهم في ذلك لا ريب فيه لا شك في كونه ووفيت كل نفس ما كسبت
جزاء ما كسبت وهم يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس لا يظلمون
بزيادة في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم قل اللهم الميم عوض من يا ولذا لا
يجتمعان وهذا بعض من خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول
حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وتقطع همزته في يا الله وبالتفخيم مالك الملك
تملك جنس الملك فتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان
اي يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت
له من الملك وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه فالملك الاول عام والملكان
الاخران خاصان بعضان من الكل روي انه عليه الصلوة والسلام حين فتح
مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال اليهود والمنافقون هيهات
هيهات من اين لمحمد ملك فارس وهم اعز وامنع من ذلك وتعز من تشاء بالملك
وتذل من تشاء بنزعه منه بيدك الخير اي الخير والشر فاكتفى بذكر احد الضدين
عن الاخر لان الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكره
الكفرة فقال بيدك الخير اوليائك على رغم من اعدائك انك على كل شيء قدير
ولا يقدر على شيء احد غيرك الا باقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية او
ملك القناعة قال عليه الصلوة والسلام ملوك الجنة من امتي القانعون بالقوت
يوما فيوما او ملك قيام الليل وعن الشبلي رحمه الله الاستغناء بالمكون عن
الكونين تعز بالمعرفة او بالاستغناء بالمكون او بالقناعة وتذل باضدادها
ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت
في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله تولج الليل في
النهار وتولج النهار في الليل فالايلاج ادخال الشيء في الشيء وهو مجاز هنا
اي تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار وتنقص من ساعات النهار و
تزيد في الليل وتخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة او الفرخ من البيضة
او المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي النطفة من الانسان او البيض من
الدجاج او الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب لا يعرف الخلق
عدده ومقداره وان كان معلوما عند الله ليدل على ان من قدر على تلك الافعال
العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده فهو

قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض
الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا
بسبب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله صلى الله عليه
عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد
حيث كان مدني وكوفي غير ابي بكر لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهما او لصداقة قبل الاسلام او غير ذلك
وقد قرر ذلك في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الايمان
من دون المؤمنين يعني لكم في موالات المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين
فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوالي الكفرة
فليس من ولاية الله في شيء لان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان الا ان
تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه اي الا ان يكون
للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك اظهار الموالاة
وابطان المعاداة ويحذركم الله نفسه اي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه
وهذا وعيد شديد والى الله المصير اي مصيركم اليه والعذاب معد لديه وهو
وعيد آخر قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من موالاة الكفار او غيرها
مما لا يرضى الله تعالى يعلمه الله ولم يخف عليه وهو ابلغ وعيد ويعلم ما في
السموات وما في الارض استيناف وليس بمعطوف على جواب الشرط اي هو الذي
يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل
شيء قدير فيكون قادرا على عقوبتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بيود
والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين
تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا اي مسافة بعيدة او باذكر
ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته
من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع
تود نعم الرفع جائز اذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هو الكثير وعن المبرد
ان الرفع شاذ وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه

والله رؤوف بالعباد ومن رأفته بهم ان حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه و
يجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ونزل حين قال اليهود نحن ابناء الله و
احباؤه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله محبة العبد ايثار طاعته
على غير ذلك ومحبة الله العبد ان يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم اقوام
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم
تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله
يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به و
بذكره ودوام الانس به وقيل هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله
واحواله الا ما خص به وقيل علامة المحبة ان يكون دائم التفكر كثير الخلوة
دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح
اذا اصاب ولا يخشى احدا ولا يرجوه ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم
قل اطيعوا الله والرسول قيل هي علامة المحبة فان تولوا اعرضوا عن قبول الطاعة
ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين اي لا يحبهم
ان الله اصطفى اختار آدم اب البشر ونوحا شيخ المرسلين وآل ابراهيم اسمعيل
واسحاق واولادهما وآل عمران موسى وهارون وهما ابنا عمران بن يصهر
وقيل عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وبين عمرانين الف وثماني مائة سنة
على العالمين على عالمي زمانهم ذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من
بعض مبتدأ وخبر في موضع النصب صفة لذرية يعني ان الآلين ذرية واحدة
متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب بن اسحق وكذلك عيسى
بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل
في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين
والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها
اذ قالت واذ منصوب به او باضمار اذكر امرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان
ام مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذا رب اني نذرت لك اوجبت لك
ما في بطني محررا هو حال من ما وهي بمعنى الذي اي معتقا لخدمة بيت المقدس

لا يدلي عليه ولا استخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم او مخلصاً
للعبادة يقال طين حر اي خالص فتقبل مني مدني وابو عمرو والتقبل اخذ الشيء
على الرضا به انك انت السميع العليم فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث
على تاويل الحبلة او النفس او النسمة قالت رب اني وضعتها انثى انثى حال
من الضمير في وضعتها اي وضعت الحبلة او النسمة انثى وانما قالت هذا القول
لان التحرير لم يكن الا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربها ولتكلمها
بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما
لموضوعها اي والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور
وضعت شامي وابو بكر يعني ولعل الله فيه سراً وحكمة وعلى هذا يكون داخلاً في
القول وعلى الاول يوقف عند قوله انثى وقوله تعالى والله اعلم بما وضعت ابتداء
اخبار من الله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى كالتي وهبت لها واللام
فيهما للعهد واني سميتها مريم معطوف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان
معترضتان وانما ذكرت تسميتها مريم لربها لان مريم في لغتهم العابدة فارادت
بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها وان يصدق
فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله
واني مدني اعيذها بك اجيرها وذريتها اولادها من الشيطان الرجيم الملعون في الحديث
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان
اياه الا مريم وابنها فتقبلها ربها قبل الله مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر
بقبول حسن قيل القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به وهو
اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك
او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان
حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار
ابناء هارون عليهم السلام وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت
لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي
خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا
فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو

مصدر على تقدير حذف المضاف اي فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول
حسن وهو الاختصاص وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة قال ابن
عطاء ما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك احسن النبات ونباتا مصدر على خلاف
المصدر او التقدير فنبتت نباتا وكفلها قبلها او ضمن القيام بامرها وكفلها
كوفي اي كفلها الله زكرياء يعني جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها زكريا
بالقصر كوفي غير ابي بكر في كل القرآن وقرأ ابو بكر بالمد والنصب هنا وغيره
بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه في العبري دائم الذكر والتسبيح
كلما دخل عليها زكريا المحراب قيل بنا لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد
اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع
من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها
الا هو وحده وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع
ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في
الشتاء قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا وهو آت في غير حينه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت
وهي صغيرة كما تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد ان الله يرزق من يشاء
من جملة كلام مريم او من كلام رب العزة جل جلاله بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل هنالك في ذلك المكان حيث
هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث
وثم للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب ان يكون له
من ايشاع ولد مثل ولد امها حنة في الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا
فقد كانت امها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز
ولادة العاقر دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ولدا والذرية تقع
على الواحد والجمع طيبة مباركة والتأنيث للفظ الذرية انك سميع الدعاء
مجيبه فنادته الملائكة قيل ناداه جبرائيل عليه السلام وانما قيل الملائكة لان
المعنى اتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء و
الامالة حمزة وعلي وهو قائم يصلي في المحراب وفيه دليل ان المرادات تطلب
بالصلوات وفيها اجابة الدعوات وقضاء الحاجات قال ابن عطاء ما فتح الله

تعالى على عبده حالة نية الآباتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب
ان الله بكسر الالف شامي وحمزة على اضمار القول او لان النداء قول الباقون بالفتح
اي بان الله يبشرك يبشرك وما بعده حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان
بيحيى وهو غير منصرف ان كان اعجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى
وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا حال منه بكلمة من الله اي
مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة الله لان تكوّنه بكن
بلا اب او مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسيدا هو الذي يسود قومه
اي يفوقهم بالشرف وكان يحيى عليه السلام فائقا على قومه لانه لم يركب سيئة
قط ويا لها من سيادة وقال الجنيد رحمه الله هو الذي جاد بالكونين عوضا
عن المكون وحصورا هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه اي منعا
لها من الشهوات ونبيا من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب
الانبياء او كائنا من جملة الصالحين قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث
العادة واستعظام للقدرة لا تشكك وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن
العالية اي اثر في الكبر واضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان
وتسعون سنة وامرأتي عاقر لا تلد قال كذلك الله يفعل ما يشاء من الافعال
العجيبة قال رب اجعل لي مدني وابو عمرو آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى
النعمة بالشكر اذا جاءت قال آيتك ان لا تكلم الناس ان لا تقدر على تكليم
الناس ثلثة ايام الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او عين او حاجب واصله
التحرك يقال ارمز اذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لانه لما
ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما او هو استثناء منقطع وانما
خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع
ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار
اي في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما
حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كانه لما
طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشي من حين الزوال الى الغروب والابكار
من طلوع الفجر الى وقت الضحى واذ عطف على اذ قالت امرأة عمران او التقدير و

اذكر

اذكر اذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها ان الله اصطفيك
اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما
يستقذر من الافعال واصطفيك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى
من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك اديمي الطاعة
او اطيلي قيام الصلوة واسجدي وقيل امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود
لكونهما من هيئات الصلوة ثم قيل لها واركعي مع الراكعين اي ولتكن صلوتك
مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم
ولا تكوني في عداد غيرهم ذلك اشارة الى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى
ومريم من انباء الغيب نوحيه اليك يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا
بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر
مقترعين او هي الاقلام التي كانوا يكتبون التورية بها اختاروها للقرعة تبركا
بها ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كانه قيل يلقونها ينظرون
ايهم يكفل مريم او ليعلموا او ليقولوا وما كنت لديهم اذ يختصمون في شأنها تنافسا
في التكفل بها اذ قالت الملائكة اي اذكر اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله
يبشرك بكلمة اي بعيسى منه في موضع جر صفة لكلمة اسمه مبتدأ وذكر ضمير
الكلمة لان المسمى بها مذكر المسيح خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب
من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه
المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة
الا برأ او لانه كان يمسح الارض بالسياحة لا يستوطن مكانا عيسى بدل من المسيح
ابن مريم خبر مبتدأ محذوف اي هو ابن مريم ولا يجوز ان يكون صفة لعيسى
لان اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها
خاصة انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وجيها ذا جاه وقدر في الدنيا
بالنبوة والطاعة والآخرة بعلو الدرجة والشفاعة ومن المقربين برفعه
الى السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين اي
وثابتا من المقربين وكذا ويكلم الناس اي ومكلما للناس في المهد حال
من الضمير في يكلم اي ثابتا في المهد وهو ما يمهد للصبي في مضجعه سمي بالمصدر
وكهلا عطف عليه اي ويكلم الناس طفلا وكهلا يعني يكلم الناس في هاتين

الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة
التي يستحكم فيها العقل ويستنبئ فيها الانبياء ومن الصالحين حال ايضا و
التقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات قالت رب اني يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون اي اذا قدر تكون شي كونه من غير تاخير لكنه عبر بقوله
كن اخبارا عن سرعة تكون الاشياء بتكوينه ويعلمه مدني وعاصم وموضعه
حال معطوفة على وجيها الباقون بالنون على انه كلام مبتدأ الكتاب اي الكتابة
وكان احسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله والحكمة بيان الحلال والحرام
او الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان والتورية والانجيل ورسولا
اي ويجعله رسولا او يكون في موضع الحال اي وجيها في الدنيا والاخرة ورسولا
الي بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم بدلالة تدل على صدقي فيما
ادعيه من النبوة اني اخلق لكم نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية
او رفع على هي اني اخلق لكم اني نافع على الاستيناف من الطين كهيئة الطير
اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
الشي المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور طائر مدني
باذن الله بامره قيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه الذي ولد اعمي
والابرص واحيي الموتي باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه
اللاهوتية روي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا
اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وهو قوله وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وما فيهما بمعني الذي او مصدرية ان في
ذلك فيما سبق لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التورية
اي قد جئتكم باية وجئتكم مصدقا ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم وما حرم الله عليهم
في شريعة موسي عليه السلام الشحوم ولحم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم
عيسي عليه السلام بعض ذلك وجئتكم باية من ربكم كرر للتاكيد فاتقوا الله
في تكذيبي وخلافي واطيعون في امري ان الله ربي وربكم اقرار بالعبودية
ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما تزعم النصاري فاعبدوه د و في هذا

صراط

صراط مستقيم يؤدي صاحبه الي النعيم المقيم فلما احس منهم الكفر علم
من اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من انصاري
مدني وهو جمع ناصر كاصحاب او جمع نصير كاشراف الي الله يتعلق بمحذوف
حال من اليا اي من انصاري ذاهبا الي الله ملتجئا اليه قال الحواريون
حواري الرجل صفوته وخالصته نحن انصار الله اعوان دينه امنا بالله و
اشهد يا عيسى بانا مسلمون انما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم
لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم وفيه دليل على ان الايمان
والاسلام واحد ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول اي رسولك عيسى
فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين
يشهدون لك بالوحدانية او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهداء
على الناس ومكروا اي كفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر حين ارادوا
قتله وصلبه ومكر الله اي جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى عليه السلام
الى السماء والقي شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز اضافة المكر الي
الله تعالي الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء
كذا في شرح التاويلات والله خير الماكرين اقوي المجازين واقدرهم على
العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسي اني
متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار و
مميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الي سمائي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك
قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته او مميتك في
وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان اذ الواو لا يوجب الترتيب
قال النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى خليفة على امتي يدق الصليب و
يقتل الخنازير ويلبث اربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفي وكيف
تهلك امة انا في اولها وعيسى في اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها
او متوفيك نفسك بالنوم ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ
وانت في السماء امن مقرب وجاعل الذين اتبعوك اي المسلمين لانهم متبعوه
في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا من اليهود

والنصارى فوق الذين كفروا بل الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر
الاحوال بها وبالسيف ثم الي مرجعكم في الاخرة فاحكم بينكم فيما كنتم
فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة
وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم والله لا يحب الظالمين وتفسير الحكم هاتان الايتان فيوفيهم
حفص ذلك اشارة الي ما سبق من نباء عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتداء
نتلوه عليك خبره من الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والذكر
الحكيم القران يعني المحكم او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ونزل لما قال وفد
بني نجران هل رأيت ولدا بلا اب ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي ان شان
عيسى وحاله الغريبة كشأن ادم عليه السلام خلقه من تراب قدره جسدا
من طين وهي جملة مفسرة لحاله شبه عيسى بادم ولا موضع لها اي خلق ادم
من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى مع ان الوجود من غير اب وام
اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع
للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء
انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى
لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر و
حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه
طبخ واحرق ثم قام سالما ثم قال له كن اي انشاه بشرا فيكون اي فكان وهو
حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه الحق من ربك
خبر مبتداء محذوف اي هو الحق فلا تكن ايها السامع من الممترين الشاكين و
يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة
الثبات لانه صلى الله عليه وسلم معصوم عن الامتراء فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى
الذي فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالعزم والراي كما تقول تعال نفكر في هذه
المسالة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع
كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الي المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول
بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه

وابعده

وابعده من رحمته واصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم
يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الي المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب
وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا صلى الله عليه وسلم
نبي مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم
لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الي بلادكم فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي رضي الله عنهم اجمعين خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا
فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل
جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني
فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وصالحهم على الفي حلة كل سنة فقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو
لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير وانما ضم الابناء والنساء وان كانت المباهلة مختص
به وبمن يكاذبه لان ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه
له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته ان تمت المباهلة
وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر
على الانفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم بالقلوب وفيه دليل واضح على صحة
نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق او مخالف انهم اجابوا
الي ذلك فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في شان عيسى ونبتهل و
نجعل معطوفان على ندع ان هذا الذي قص عليك من نباء عيسى عليه السلام
لهو القصص الحق هو فصل بين اسم ان وخبرها او مبتداء والقصص الحق خبره
والجملة خبر ان وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان
دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الي المبتداء منه واصلها ان تدخل على المبتداء
ومن في وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى
الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز في الانتقام
الحكيم في تدبير الاحكام فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا فان الله عليم
بالمفسدين توعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا

يفسدون قل يا اهل الكتاب هم اهل الكتابين او وفد بني نجران او يهود المدينة
تعالوا الي كلمة سواء اي مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية
والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتي لا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما
احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الي ما شرع الله وعن عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم
قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول
الغالب للمغلوب في جدال او صراع اعترف باني انا الغالب وسلم الي الغلبة يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده زعم
كل فريق من اليهود والنصاري ان ابراهيم عليه السلام كان منهم وجادلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول
التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسي الف سنة وبينه
وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم علي دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة
متطاولة افلا تعقلون حتي لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره حاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولي
يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقي وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما
لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعني الذين وحاججتم صلته
ها انتم بالمد وغيرهم حيث كان مدني وابو عمرو والله يعلم علم ما حاججتم فيه
وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من دينهم فقال ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
كانه اراد بالمشركين اليهود والنصاري لاشراكهم به عزيرا والمسيح او وما كان من
المشركين كما لم يكن منهم ان اولي الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من
الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا خص بالذكر
لخصوصيته بالفضل والمراد محمد صلى الله عليه وسلم والذين امنوا من امته والله

ولي المؤمنين ناصرهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم هم
اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الي اليهودية وما يضلون الا انفسهم
وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم و
اضلالهم وما يشعرون بذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بالتورية
والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وغيرها وانتم تشهدون تعترفون بانها ايات الله او تكفرون بالقرآن
ودلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون نعته في الكتابين
او تكفرون بايات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل تخلطون الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم
وتكتمون الحق نعت محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون انه حق وقالت طائفة
من اهل الكتاب فيما بينهم امنوا بالذي انزل على الذين امنوا اي القرآن وجه
النهار ظرف اي اوله يعني اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار و
اكفروا اخره واكفروا به في اخره لعلهم يرجعون لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم
اهل الكتاب والعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم قل ان الهدي هدي الله ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتي احد مثل ما اوتيتم
وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتي احد مثل ما اوتيتم الا لاهل
دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل
ما اوتيتم ولا تفشوه الا الي اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا
ودون المشركين لئلا يدعوهم الي الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتي
والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معني الجمع بمعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان
المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعني الاعتراض
ان الهدي هدي الله من شاء هداه حتي اسلم او ثبت على الاسلام كان ذلك ولم
ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله
قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام
عند قوله الا لمن تبع دينكم اي ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه
النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم
كان ارجي عندهم من رجوع من سواهم ومعني قوله ان يؤتي لان يؤتي احد مثل ما اوتيتم

قلتم ذلك ودبرتموه لالشي آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ويدل عليه قراءة ابن كثير
ءآن بالمد والاستفهام يعني الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب تحسدونهم
وقوله او يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما
يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم والله واسع اي واسع الرحمة عليم
بالمصلحة يختص برحمته بالنبوة او بالاسلام من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك هو عبد الله بن سلام استودعه
رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار
لا يؤده اليك هو فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فجحده
وخانه وقيل المأمونون النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون القليل اليهود لغلبة
الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على
راسه ملازما له يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكي ونافع وشامي وعلي وحفص
واختلس ابو عمرو في رواية غيرهم بسكون الهاء ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي
دل عليه لا يؤده بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اي تركهم اداء الحقوق
بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا اثم وذم في شان الاميين
يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار
بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم
في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس
لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم ويقولون على
الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما
نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وهو قوله من اوفى
بعهده واتقى جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده
يرجع الى الله تعالى اي كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحب المتقين اي
يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من
الجزاء الى من ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من
الكفر واعمال السوء قيل نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه ونحوه من مسلمي اهل
الكتاب ويجوز ان يرجع الضمير الى من اوفى اي كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله

على الكثيرة

في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه ونزل فيمن حرف التورية وبدل نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود واخذ الرشوة على ذلك ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق
لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا
قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوي
رجوع الضمير في بعهده الى الله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة اي لا نصيب ولا يكلمهم
الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة نظر رحمة ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم مولم وان منهم من اهل الكتاب لفريقا هم كعب الاشرف و
مالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته
عن الصحيح الى المحرف واللي الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم
ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير في لتحسبوه يرجع الى ما
دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم
لشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب اي التورية وما هو من الكتاب وليس
هو من التورية ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة
تشنيع عليهم وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم
كاذبون ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب نفي تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى
وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك
قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
والحكمة والحكمة وهي السنة او فصل القضاء والنبوة ثم يقول عطف على يؤتيه للناس
كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب
الى الرب بزيادة الالف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وحين
مات ابن عباس رضي الله عنه قال ابن الحنفية رضي الله عنه مات رباني هذه
الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الرباني العالم
العامل المعلم بما كنتم تعلمون الكتاب كوفي وشامي اي غيركم وقرا غيرهم بالتخفيف
وبما كنتم تدرسون اي تقرؤن والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين
للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة
وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة

الى العمل فكان كمن غرس شجرة حسنا تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى
تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون
من التدريس كقراءة ابن جبير ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول ووجهه
ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر
ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم
يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي وبالرفع حجازي و
ابو عمرو وعلي على ابتداء الكلام والهمزة في ايامركم بالكفر للانكار والضمير
في لا يامركم وايامركم للبشر ولله وقوله بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان المخاطبين
كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين هو
على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك او المراد ميثاق اولاد النبيين
وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف واللام في لما اتيتكم من كتاب وحكمة لام
التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم
وما يحتمل ان يكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط
جميعا وان تكون موصولة بمعنى الذي اتيتكموه لتؤمنن به ثم جاءكم معطوف على
الصلة والعائد منه الى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به رسول مصدق لما
معكم للكتاب الذي معكم لتؤمنن بالرسول صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه اي
الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما اتيتكم حمزة وما بمعنى الذي او مصدرية
اي لاجل اتياني اياكم بعض الكتب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم واللام
للتعليل اي اخذ الله ميثاقهم ليؤمنن بالرسول ولينصرنه لاجل اني اتيتكم الحكمة
وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف في اتيناكم منه
قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي قبلتم عهدي وسمي اصرا
لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم
على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم
من الشاهدين وهذا توكيد عليكم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله
وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا فمن تولى بعد ذلك
الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله واعرض عن الايمان بالنبي الجائي فاولئك

هم الفاسقون المتمردون من الكفار أفغير دين الله يبغون دخلت همزة الانكار على الفاء
العاطفة لجملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم
توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين
الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار
الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وله اسلم من في السموات الملائكة و
الارض الانس والجن طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف
او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء
على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال
اي طائعين ومكرهين واليه يرجعون فيجازون على الاعمال يبغون ويرجعون
بالياء فيهما حفص وبالتاء في الثاني وفتح الجيم ابو عمرو لان الباغين هم
المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما قل امنا
بالله وما انزل علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن
معه بالايمان فلذا وحد الضمير في قل وجمع في امنا او امر بان يتكلم عن نفسه
كما يتكلم الملوك اجلالا لامر الله لقدر نبيه وعدى انزل هنا بحرف الاستعلاء
في البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين اذ الوحي ينزل من فوق وينتهي الى
الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر وقال صاحب اللباب الخطاب
في البقرة للامة لقوله قولوا فلم يصح تعسف الا الى دون على لان الكتب منتهية
الى الانبياء والى اممهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
دون امته فكان اللائق به على لان الكتب منزلة عليهم لا شركة للامة فيه و
فيه نظر لقوله تعالى امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء و
ما اوتي موسى وعيسى والنبيون كرر في البقرة وما اوتي ولم يكرر هنا لتقدم
ذكر الايتاء حيث قال لما اتيتكم من ربهم من عند ربهم لا نفرق بين احد منهم
في الايمان بهم كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون موحدون مخلصون
انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام
الوجه لله او غير دين محمد صلى الله عليه وسلم دينا تمييز فلن يقبل منه وهو في
الاخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط اسلموا ثم رجعوا

عن الاسلام ولحقوا بمكة كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم والواو في
وشهدوا ان الرسول حق للحال وقد مضمرة اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول
اي محمد حق او للعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا
وجاءهم البينات اي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات والله لا يهدي القوم
الظالمين اي ما داموا مختارين الكفر او لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا
اولئك مبتدا جزاؤهم مبتداء ثان خبره ان عليهم لعنة الله وهما خبر اولئك و
جزاؤهم بدل الاشتمال عن اولئك والملائكة والناس اجمعين خالدين حال
من الهاء والميم في عليهم فيها في اللعنة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او
ودخلوا في الصلاح فان الله غفور لكفرهم رحيم بهم ونزل في اليهود ان الذين
كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت او نزل
في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد
صلى الله عليه وسلم ريب المنون لن تقبل توبتهم اي ايمانهم عند البأس لانهم
لا يتوبون الا عند الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض الفاء في فلن يقبل يؤذن بان الكلام بني على الشرط والجزاء وان
سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بان
الكلام مبتداء وخبر ولا دليل فيه على التسبب ذهبا تمييز ولو افتدى به اي فلن
يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا قال صلى الله عليه وسلم
يقال للكافر يوم القيمة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا به فيقول
نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك قيل الواو لتاكيد النفي اولئك لهم
عذاب اليم مؤلم وما لهم من ناصرين معينين دافعين للعذاب لن تنالوا البر
لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا او لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا
مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل
من تصدق لابتغاء وجه الله مما يحبه ولو تمرة فهو داخل في هذه الاية قال الواسطي

الوصول الي البر بانفاق بعض المحاب والى الرب بالتخلي عن الكونين وقال ابو
بكر الوراق لن تنالوا بري بكم الا ببركم باخوانكم والحاصل انه لا وصول الى المطلوب
الا باخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يشتري اعدال السكر ويتصدق
بها فقيل له لم لا يتصدق بثمنها قال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب
وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم اي هو عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه
ومن الاولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية
للتبيين اي من اي شيء كان الانفاق طيب تحبونه او خبيث تكرهونه ولما قال
اليهودي للنبي صلى الله عليه وسلم انك تدعي انك على ملة ابراهيم وانت تأكل
لحوم الابل والبانها فقال صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن
نحله فقالت اليهود انها لم تزل محرمة في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام نزل
تكذيبا لهم كل الطعام اي المطعومات التي فيها النزاع فان منها ما هو حرام قبل
ذلك كالميتة والدم كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا وهو مصدر سيقال حل الشيء
حلا ولذا استوى في وصفه المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن
حل لهم الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب على نفسه من قبل ان تنزل التورية بالتخفيف مكي و
وهو لحوم الابل والبانها وكانا احب الطعام اليه والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل
حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية سوى ما حرم اسرائيل على نفسه فلما نزلت
التورية على موسى عليه السلام حرم عليهم فيها لحوم الابل والبانها لتحريم اسرائيل
ذلك على نفسه قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم
ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم
وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وفيه دليل
بين على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى
على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما في ملة ابراهيم ونوح عليهما السلام من
بعد ذلك من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون
الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله في اخباره
انه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابراهيم وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن
آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث

التورية

اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسويغ اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي
احلها الله لابراهيم عليه السلام ولمن تبعه حنيفاً مائلاً عن ابراهيم مائلاً عن
الاديان الباطلة وما كان من المشركين ولما قال اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم
نزل ان اول بيت وضع للناس والواضع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتاً للناس
انه جعله متعبداً لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث
ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس باربعين سنة قيل اول من بناه ابراهيم
عليه السلام وقيل هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه
الماء عند خلق السماء والارض خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء
على الماء فدحيت الارض من تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم عليه السلام في الارض
وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لبيت والخبر للذي ببكة اي للبيت الذي
ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة البلد وبكة موضع
المسجد وقيل اشتقاقهما من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها او لانها تبك
اعناق الجبابرة اي تدفعها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركاً كثير الخير
لما يحصل للحاج والمعتمر من الثواب وتكفير السيئات وهدى للعالمين لانه قبلتهم
ومتعبدهم ومباركاً وهدى حال من الضمير في وضع فيه آيات بينات
علامات واضحات لا تلتبس على احد مقام ابراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات
وصح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته
على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلب
او لاشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين
آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء
عليهم السلام آية لابراهيم خاصة على ان ومن دخله كان آمناً عطف بيان لآيات
وان كان جملة ابتدائية او شرطية من حيث المعنى لانه يدل على امن داخله فكانه
قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله والاثنان في معنى الجمع ويجوز
ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه
آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما نحو انمحاق الاحجار مع
كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه في طي الذكر قوله
صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلثة الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة

قرة عيني

قرة عيني ليس من الثلث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوي
فكانه صلى الله عليه وسلم ترك ذكر الثالث تنبيهاً على انه لم يكن من شانه ان يذكر
شيئاً من الدنيا فذكر شيئاً من الدين وهو مقام وقيل في سبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة
وضعف ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه
وقيل انه جاء زائراً من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك
فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت
شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه
امان من دخله فهو بدعوة ابراهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا البلد آمناً
وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو
ظفرت بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ومن لزمه القتل في الحل بقود او
ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا
يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمناً من عذاب النار لقوله صلى الله عليه وسلم
من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمناً وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون و
البقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه صلى الله
عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي
عام ولله على الناس حج البيت اي استقر له عليهم فرض الحج حج بالكسر في غير ابي بكر وهو
اسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان في مصدر حج من في موضع جر على انه بدل
البعض من الكل استطاع اليه سبيلاً فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالزاد و
الراحلة والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه ولما نزل
قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم
فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون
وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر اي جحد
فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز ان يكون من الكفران اي ومن
لم يشكر ما انعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج فان الله غني عن
العالمين مستغن عنهم وعن طاعتهم وفي هذه الآية انواع من التاكيد والتشديد
منها اللام وعلى اي انه حق واجب لله في رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تنبيه
للمراد وتكرير له ولان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين

مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها
ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وان لم
يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن
العالمين يتناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل
على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
والله شهيد على ما تعملون الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله الدالة على صدق
محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل
الكتاب لم تصدون الصد المنع عن سبيل الله من آمن عن دين حق علم انه سبيل
الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام فكانوا يمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم
ومحل تبغونها تطلبون لها نصب على الحال عوجا اعوجاجا وميلا عن القصد و
الاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك
وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال وما الله بغافل عما تعملون
من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين
عن سبيله بقوله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين قيل مر شاس بن قيس اليهودي على نفر من الانصار من
الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتآلفهم فامر شابا من
اليهود ان يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام والف بين قلوبكم
فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين
فنزلت الاية وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب اي من اين
يتطرق اليكم الكفر وانتم تتلى عليكم آيات الله والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز
تتلى عليكم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم غضة طرية وفيكم رسوله وبين اظهركم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه او بكتابه او هو حث لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار و
مكايدهم فقد هدي الى صراط مستقيم ارشد الى الدين الحق او ومن يجعل ربه ملجأ و

تقاته

ومفزعا عند الشبه يحفظه عن الشبه يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه
وما يحق منها وهو القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو ان
يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى او هو ان لا يأخذه في الله لومة
لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته
حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن الا وانتم مسلمون
ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت واعتصموا بحبل الله تمسكوا
بالقرآن لقوله صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق
عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط
مستقيم جميعا حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله ولا تفرقوا
اي ولا تتفرقوا يعني ولا تفعلوا ما يكون منه التفرق ويزول معه الاجتماع او
ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او
كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا واذكروا نعمة الله عليكم اذ
كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا كانوا في الجاهلية بينهم العداوات
والحروب فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وتوادوا وصاروا
اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما
كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم
الذين ينقذون انفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانث
لاضافته الى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو ولهذا يثنى شفوان كذلك
مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته اي القرآن الذي فيه امر ونهي ووعد
ووعيد لعلكم تهتدون لتكونوا على رجاء الهداية او لتهتدوا به الى الصواب وما
ينال به الثواب ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بما استحسنه الشرع
والعقل وينهون عن المنكر عما استقبحه الشرع والعقل والمعروف ما وافق الكتاب
والسنة والمنكر ما خالفهما او المعروف الطاعات والمنكر المعاصي والدعاء الى
الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك وما عطف عليه خاص ومن للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من
علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته فانه يبدأ بالسهل فان لم
ينفع ترقى الى الصعب قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا او للتبيين

بالمعروف

اي وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اي هم الاخصاء بالفلاح الكامل قال صلى الله
عليه وسلم من امر بالمعروف ونهي عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة
رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا بالعداوة وَاخْتَلَفُوا في الديانة وهم اليهود
والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ الموجبة
للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وَاُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ونصب يَوْمَ تَبْيَضُّ
وُجُوهٌ اي وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم او بعظيم او باذكروا وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ
اي وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة فَاَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ فيقال لهم اَكَفَرْتُمْ فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم بَعْدَ اِيمَانِكُمْ يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو
قول ابي رضي الله عنه وهو الظاهر او هم المرتدون او المنافقون اي اكفرتم باطنا
بعد ايمانكم ظاهرا او اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
وَاَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّٰهِ ففي نعمته وهي الثواب المخلد ثم استأنف
فقال هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لا يظعنون عنها ولا يموتون تِلْكَ آيَاتُ اللّٰهِ الواردة في
الوعد والوعيد وغير ذلك نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ملتبسة بِالْحَقِّ والعدل من جزاء المحسن
والمسيء وَمَا اللّٰهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ اي لا يشاء ان يظلم هو عباده فيأخذ احدا بغير جرم
او يزيد في عقاب او ينقص من ثواب محسن وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَ
اِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته ترجع شامي وحمزة وعلي علم ان
كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم
سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ كانه قيل وجدتم خير امة او
كنتم في علم الله او في اللوح خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير
امة موصوفين به اُخْرِجَتْ اظهرت لِلنَّاسِ اللام يتعلق باخرجت تَأْمُرُونَ كلام مستأنف
بيّن به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم بيّنت بالاطعام
والالباس وجه الكرم فيه بِالْمَعْرُوفِ بالايمان وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عن الكفر وكل محظور وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ تدومون على الايمان به

الامور

لانّ الواو لا يقتضي الترتيب وَلَوْ اٰمَنَ اَهْلُ الْكِتَابِ بمحمد صلى الله عليه وسلم لَكَانَ خَيْرًا
لَهُمْ لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام
حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع و
حظوظ الدنيا مع الفوز بما وُعِدُوه على الايمان به من ايتاء الاجر مرتين مِنْهُمُ
الْمُؤْمِنُونَ كعبد الله بن سلام واصحابه رضي الله عنهم وَاَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ المتمردون في الكفر
لَنْ يَضُرُّوكُمْ اِلَّا اَذًى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد
ونحو ذلك وَاِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْاَدْبَارَ منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ
ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم
كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط
والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم اذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا وانما
استونف ليؤذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا او لم يقاتلوا وتقدير الكلام اخبركم
انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون وثم للتراخي في المرتبة لان
الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم الادبار ضُرِبَتْ
الزمت عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ اي على اليهود اَيْنَمَا ثُقِفُوا وجدوا اِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّٰهِ في محل النصب
على الحال والباء متعلقة بمحذوف تقديره الا معتصمين او متمسكين بحبل من
الله وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة في
كل حال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين
اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وَ
بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ استوجبوه وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ الفقر عقوبة لهم
على قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء او خوف الفقر مع قيام اليسار ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلك اشارة الى
ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اي ذلك
الكفر كائن بسبب عصيانهم الله واعتدائهم لحدوده لَيْسُوا سَوَاءً ليس اهل الكتاب
مستوين مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون
بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة اُمَّةٌ قَائِمَةٌ جماعة مستقيمة عادلة من قولك
اقمت العود فقام اي استقام وهم الذين اسلموا منهم يَتْلُونَ آيَاتِ اللّٰهِ القرآن آناء

الليل ساعاته واحدها إنى كمعى او إنو كقنو او إنى كنحى وهم يسجدون يصلون قيل
يريد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة
القرآن فى ساعات الليل مع السجود يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف بالايمان وسائر ابواب البر وينهون عن المنكر عن الكفر ومنهيات الشرع
ويسارعون فى الخيرات يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون
فى محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص
ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان
ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتاب والرسل دون بعض
ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لانهم كانوا متباطئين
عنها غير راغبين فيها والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر
سارع فى القيام به واولئك الموصوفون بما وصفوا به من الصالحين من المسلمين
او من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم وما يفعلوا من
خير فلن يكفروه بالياء فيهما كوفي غير ابي بكر وابو عمرو مخير غيرهم بالتاء وعدي
يكفروه الى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد يقول شكر النعمة
وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه اي فلن تحرموا جزاءه والله عليم
بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اي من عذاب الله واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا فى المفاخر والمكارم وكسب
الثناء وحسن الذكر بين الناس او ما يتقربون به الى الله مع كفرهم كمثل ريح
كمثل ريح وهو الحرث او مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر برد
شديد عن ابن عباس رضي الله عنه وهو مبتدا وخبر فى موضع جر صفة لريح اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر فاهلكته عقوبة على كفرهم وما ظلمهم الله
باهلاك حرثهم ولكن انفسهم يظلمون بارتكاب ما استحقوا به العقوبة او
يكون الضمير للمنفقين اي ما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم
حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافات المنافقين يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته خصيصة وصفية شبه ببطانة

الثوب كما يقال فلان شعاري وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار من
دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة اي بطانة كائنة
من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا فى موضع نصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون
فى فساد دينكم يقال ألا فى الامر يألو اذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب
خبالا على التمييز او على حذف فى اي فى خبالكم ودوا ما عنتم اي عنتكم فما مصدرية
والعنت شدة الضرر والمشقة اي تمنوا ان يضروكم فى دينكم ودنياكم اشد الضرر
وابلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذكم بطانة كقوله قد بدت
البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم ان ينفلت
من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وما تخفي صدورهم من البغض لكم اكبر
مما بدا لكم قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالات اولياء
الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم
مبتدأ واولاء خبره اي انتم اولاء المخاطبون فى موالاة منافقي اهل الكتاب تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء او فى الاولاء
موصول صلته تحبونهم والواو فى وتؤمنون بالكتاب كله للحال وانتصابها من لا يحبونكم
اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما
بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم فى باطلهم
اصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس واذا لقوكم قالوا آمنا اظهروا كلمة التوحيد
واذا خلوا فارقوكم او خلا بعضهم ببعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ يوصف المغتاظ
والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان
يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم
من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزي ان الله عليم
بذات الصدور فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما
يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل فى جملة المقول اي اخبرهم
بما يسرون من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى
مما تسرون بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى
عليه او خارج عن المقول اي قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك
على ما يسرون فاني اعلم بما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه فى صدورهم ان

تمسسكم حسنة رخاء وخصب ونصرة وغنيمة تسؤهم تحزنهم اصابتها وان تصبكم
سيئة اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى
قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يفرحوا بها باصابتها وان تصبروا
على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين
ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه لا يضركم كيدهم شيئا مكرهم وكنتم في
كنف الله وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر
والتقوى وقال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في
نفسك لا يضركم مكي وبصري ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح
والمشكل قراءة غيرهم لان جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغي ان يكون
بفتح الراء كقراءة المفضل عن عاصم الا ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد
يا هذا ان الله بما تعملون بالتاء سهل اي من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل
بكم ما انتم اهله وبالياء غيره اي انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه
واذ غدوت من اهلك واذكر يا محمد اذ خرجت غدوة من اهلك بالمدينة اي غدوت
من حجرة عائشة رضي الله عنها الى احد تبوئ المؤمنين تنزلهم وهو حال مقاعد للقتال
مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة للقتال يتعلق
بتبوئ والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روي ان المشركين نزلوا
باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله
بن ابي بن سلول فاستشاره فقال اقم بالمدينة فما خرجنا الى عدو قط الا اصيب
منا وما دخلوا علينا الا اصبنا منهم فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت في منامي
بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلمة فاولتها هزيمة و
رأيت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فلم يزل برقوم
ينشطون في الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الامر اليك يا رسول الله
فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد
صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال اذ همت بدل
من اذ غدوت او عمل فيه معنى عليم طائفتان منكم حيان من الانصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكان صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف
والمشركون في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل ابن ابي بثلث الناس وقال

علام نقتل انفسنا واولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تفشلا اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا والفشل
الجبن والخور والله وليهما محبهما او ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا
يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا
امورهم الا اليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا
الله بانه ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم
في حال قلة وذلة فقال ولقد نصركم الله ببدر وهو اسم ما بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به او ذكر بدرا بعد احد للجمع بين الصبر والشكر وانتم
اذلة لقلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء الف
مقاتل معهم والعدد وانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد
وما كان معهم الا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة وجاء
بجمع القلة وهو الاذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا فاتقوا الله في الثبات
مع رسوله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون بتقويكم ما انعم به عليكم من النصر
اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر اي نصركم الله وقت
مقالتك هذه او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقول لهم ذلك يوم احد الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين منزلين شامي منزلين
ابو حيوة اي النصرة ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف
من الملائكة وجي بلن الذي هو لتاكيد معنى النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم
وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصرة بلى ايجاب لما بعد لن
اي يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا على القتال وتتقوا
خلاف الرسول صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا هو من فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء
من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخي رحمه
الله الامر المطلق على الفور لا على التراخي والمعنى ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين بكسر الواو مكي وابو عمرو وعاصم وسهل
اي مسلمين في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يعني ان الله يعجل نصرتكم و
ييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم مسومين بكسر الواو مكي وابو عمرو وعاصم وسهل اي

معلمين انفسهم او خيلهم بعلامة يعرف بها في الحرب والسومة العلامة وعن الضحاك
معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وغيرهم بفتح الواو اي معلمين قال
الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وكانت عمامة الزبير رضي الله عنه يوم
بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت الف فصاروا ثلثة الاف
ثم خمسة الاف وما جعله الله الضمير يرجع الى الامداد الذي دل عليه ان يمدكم
الا بشرى لكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن
قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبكم
وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك
مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة العزيز الذي لا يغالب في احكامه
الحكيم الذي يعطي النصر لاوليائه ويبتليهم بجهاد اعدائه واللام في ليقطع طرفا
من الذين كفروا اي ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما
النصر الا من عند الله او بيمدكم ربكم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة
وحقيقة الكبت شدة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله فينقلبوا خائبين
فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم ليس لك من الامر شيء اسم ليس شيء والخبر لك ومن
الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة او يتوب عليهم عطف على ليقطع طرفا من الذين
كفروا او يكبتهم وليس لك من الامر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
والمعنى ان الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان
اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث
لانذارهم ومجاهدتهم وعن الفراء او بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى الا ان كقولك لا
لزمنك او تعطيني حقي اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح
بحالهم او يعذبهم فتشفى منهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه
ان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون مستحقون للتعذيب ولله ما في السموات وما في الارض اي الامر له
لا لك لان ما في السموات وما في الارض ملكه يغفر لمن يشاء للمؤمنين ويعذب
من يشاء الكافرين والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة مضعفة مكي وشامي هذا نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه
من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله يقول اما ان تقضي حقي او تربي

في الارض

وازيد

وازيد في الاجل واتقوا الله في اكله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين
وكان ابو حنيفة رضي الله عنه يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه
من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم بقوله واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وفيه رد على المرجئة
في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار اصلا وعندنا غير الكافرين
من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة امره الجنة وفي ذكره تعالى لعل وعسى
في نحو هذا الموضع وان قال اهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى
على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضاء الله تعالى وعزة التوصل
الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة سارعوا مدني وشامي فمن
اثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استانفها ومعنى المسارعة الى المغفرة
والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هي الصلوة الخمس او التكبيرة الاولى او الطاعة
او الاخلاص او التوبة او الجمعة او الجماعات عرضها السموات والارض اي عرضها
عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة
والبسطة وشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في
العادة ادنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع
ارضين لو وصل بعضها ببعض وما روي ان الجنة في السماء او في السماء الرابعة فمعناه
انها في جهتها لا انها فيها او في بعضها كما يقال في الدار بستان وان كان يزيد عليها
لان المراد ان بابها اليها اعدت في موضع جر صفة لجنة ايضا اي جنة واسعة معدة
للمتقين ودلت الايتان على ان الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقي من يتقي الشرك
كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله او من
يتقي المعاصي فان كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة وان كان الاول فهي لهم ايضا
في العاقبة ويوقف عليه ان جعل الذين ينفقون في السراء والضراء في حال اليسر
والعسر مبتدا وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر اولئك وان جعل
وصفا للمتقين وعطف عليه والذين اذا فعلوا فاحشة اي اعدت للمتقين وللتائبين
فلا وقف فان قلت الاية تدل على ان الجنة معدة للمتقين وللتائبين دون المصرين
قلت جاز ان تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال اعدت هذه

المايدة للامير ثم قد يأكلها اتباعه الانري انه قال واتقوا النار التي اعدت
للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالانفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق
شيء على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة
اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق في جميع الا
حوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة **والكاظمين الغيظ** والممسكين الغيظ عن
الامضاء يقال كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك
على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه
امنا وايمانا **والعافين عن الناس** اي اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروي ينادي
مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفى وعن ابن
عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه **والله يحب المحسنين** اللام
للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة
الى هؤلاء عن الثوري الاحسان ان تحسن الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة متزايدة القبح ويجوز ان يكون والذين مبتداء خبره اولئك
او ظلموا انفسهم قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة الزنا و
ظلم النفس القبلة او اللمسة ونحوهما **ذكروا الله** بلسانهم او بقلوبهم ليبعثهم
على التوبة **فاستغفروا لذنوبهم** فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت
هذه الاية **ومن يغفر الذنوب الا الله** من مبتداء يغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا
الله بدل من الضمير في يغفر والتقدير ولا احد يغفر الذنوب الا الله وهذه
جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد و
تنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب
مغفرته من التائب واشعار بان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم
ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الاقامة قال صلى
الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة
مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار **وهم يعلمون** حال من الضمير في يصروا اي
وهم يعلمون انهم اساؤا او وهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم الا الله **اولئك** الموصوفون
جزاؤهم مغفرة من ربهم بتوبة **وجنات** برحمته **تجري من تحتها الانهار خالدين فيها**

ونعم

ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك
يعني المغفرة والجنات نزلت في تمار قال لامراة تريد التمر في بيتي تمر اجود فادخلها
بيته وضمها الى نفسه وقبلها فندم او في انصاري استخلفه ثقفي وقد اخا بينهما
النبي صلى الله عليه وسلم في غيبة غزوة فاتى اهله لكفاية حاجة فراها فقبلها
فندم فساح في الارض صارخا فاستعتبه الله تعالى **قد خلت** مضت **من قبلكم سنن**
يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقايعه **فسيروا في الارض فانظروا**
كيف كان عاقبة المكذبين فتعتبروا بها **هذا** اي القرآن او ما تقدم ذكره **بيان للناس**
وهدى اي ارشاد **وموعظة** ترغيب وترهيب **للمتقين** عن الشرك ولا تهنوا و لا
تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم من الهزيمة **ولا تحزنوا** على ما فاتكم من الغنيمة او
على من قتل منكم او جرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم
احد وتقوية لقلوبهم لبعده **وانتم الاعلون** وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شأنا
لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان
قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار **ان كنتم مؤمنين** متعلق بالنهي اي ولا تهنوا
ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة
المبالاة باعدائه او بالاعلون اي انتم الاعلون ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله
ويبشركم به من الغلبة **ان يمسسكم قرح** بضم القاف حيث كان كوفي غير حفص
وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم
المها **فقد مس القوم قرح مثله** اي ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله
يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فانتم
اولى ان لا تضعفوا **وتلك** مبتداء **الايام** اي ايام الدنيا صفته والخبر **نداولها**
نصرفها **بين الناس** اي نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطي لهؤلاء
تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب شعر فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
وليعلم الله الذين آمنوا اي نداولها الضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين
مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود **ويتخذ منكم شهداء** و
ليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح
للشهادة على الامم يوم القيمة من قوله لتكونوا شهداء على الناس **والله لا يحب الظا**

لمين

اعتراض بين بعض التعليل وبعض معناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثا[بتين]
على الايمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون وليمحص الله الذين
امنوا التمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة
على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم
ومحو اثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
اي لا تحسبوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا اي ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم
منكم
فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه تقول ما علم الله في فلان
خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على
نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب باضمار ان و
الواو بمعنى الجمع نحو لا تاكل السمك وتشرب اللبن او جزم بالعطف على يعلم الله
وانما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة للفتحة قبلها ولقد كنتم
تمنون الموت من قبل ان تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون
ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم
الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في
الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل اخوانكم بين
ايديكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له
من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وانما
تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد الى ما يتضمنه من غلبة الكفار
كمن شرب الدواء من طبيب نصراني فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله ان
فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى ابن قمية رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب
الراية حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا
صلى الله عليه وسلم وصرخ صارخ قيل هو الشيطان الا ان محمدا قد قتل ففشا في
الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طا[ئفة]
من اصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك باباءنا وامهاتنا
اتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل

فيخلوا

فيخلوا كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان
تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام
الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء معلقة
للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا
خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع
علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين
محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد
او عن الانهزام ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وانما ضر نفسه
وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة
الاسلام فيما فعلوا وما كان لنفس وما جاز لنفس ان تموت الا باذن الله
اي بعلمه او بان يأذن ملك الموت في قبض روحه والمعنى ان موت الانفس
محال ان يكون الا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو و
اعلام بان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خاض المهالك
واقتحم المعارك كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا
له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا اي الغنيمة وهو تعريض
بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها من ثوابها ومن يرد ثواب الاخرة
اي اعلاء كلمة الله والدرجة في الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وسيجزي
الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي
دخل عليه كاف التشبيه وصار في معنى كم التي للتكثير وكائن بوزن كاع حيث كان
مكي من نبي قاتل قتل مكي وبصري ونافع معه حال من الضمير في قتل اي قتل كائنا
معه ربيون كثير والربيون والربانيون عن الحسن بضم الراء وعن بعضهم بفتحها
والفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب فما
وهنوا فما فتروا عند قتل نبيهم لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد
بعده وما استكانوا وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض لما اصابهم من الوهن عند
الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واستكانتهم لهم حيث ارادوا ان يعتضدوا
بابن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين على جهاد الكافرين
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي وما كان قولهم الا هذا

القول وهو اضافة الذنوب الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها
في امرنا تجاوزنا حد العبودية وثبت اقدامنا في القتال وانصرنا على القوم
الكافرين بالغلبة وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الاقدام
في مواطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه اقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع و
الاستكانة فآتاهم الله ثواب الدنيا اي النصرة والغنيمة والظفر وحسن ثواب
الاخرة المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد
عنده والله يحب المحسنين اي هم محسنون والله يحبهم يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم يرجعوكم الى الشرك فتنقلبوا خاسرين
قيل هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى
لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم
يردوكم الى دينهم وقال علي نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا
الى اخوانكم وادخلوا في دينهم بل الله موليكم ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره
وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الرعب شامي وعلي
وهما لغتان قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة
من غير سبب ولهم القوة والغلبة بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به اي كان السبب في
القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا الهة لم ينزل الله باشراكها
حجة ولم يرد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم
عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي ليس
بها ضب فينجحر ولم يعن ان بها ضبا ولا ينجحر ومأواهم النار ومرجعهم النار و
بئس مثوى الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الى المدينة قال ناس من اصحابه من اين اصابنا
هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل ولقد صدقكم الله وعده اي حقق اذ تحسونهم
تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه بطل حسه بالقتل باذنه بامره وعلمه حتى
اذا فشلتم جبنتم وتنازعتم في الامر اختلفتم وعصيتم امر نبيكم بترككم المركز
واشتغالكم بالغنيمة من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر وقهر الكفار ومتعلق
اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجاز ان يكون المعنى صدقكم الله
وعده الى وقت فشلكم منكم من يريد الدنيا اي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز

لطلب

لطلب الغنيمة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل
المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة
للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون
يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم يقتلونهم حتى اذا فشلوا و
تنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المشركين
وخذوا الغنيمة مع اخوانكم وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه و
سلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون
بقوله ومنكم من يريد الاخرة فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضي
الله عنه حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم اي كفكم عنهم [illegible]
فغلبوكم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم
معاملة المختبر لانه يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه ولقد عفا عنكم حيث
ندمتم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو
فضل على المؤمنين بالعفو عنهم وقبول توبتهم او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال
سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وانتصب اذ
تصعدون تبالغون في الذهاب في صعيد الارض والاصعاد الذهاب في الارض
والابعاد فيه بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا ولا تلوون على احد لا
تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم والرسول يدعوكم يقول
الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة في موضع الحال في اخراكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في اخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم
واوليهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فأثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله
غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه و
سلم بعصيانكم امره او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما
ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت
الغنيمة والنصرة لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد
على فائت من المنافع ولا ما اصابكم ولا على مصيب من المضار والله خبير بما
تعملون عالم بعملكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا ثم انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم

الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه ولا منه
الامن ونعاسا بدل من امنة او هو مفعول وامنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والاصل انزل عليكم نعاسا ذا امنة اذ النعاس ليس هو الامن ويجوز ان
يكون امنة مفعولا له او حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار و بررة **يغشى** يعني النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلي اي الامنة **طائفة منكم**
هم اهل الصدق واليقين **وطائفة** هم المنافقون **قد اهمتهم انفسهم** ما بهم الا هم انفسهم وخلاصها لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان
الله عليهم اجمعين **يظنون بالله غير الحق** في حكم المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وهو ان لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم **ظن الجاهلية** بدل
منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية او ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله **يقولون هل لنا من الامر من شيء** هل لنا معاشر
المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو **قل ان الامر** اي النصر والغلبة **كله لله** ولاوليائه المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون كله تاكيد للامر
ولله خبران كله بصري وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان **يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك** في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم
ان الامر كله لله **لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا** اي لو كان الامر كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين
من قتل في هذه المعركة قوله قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة او صفة اخرى او حال اي قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان للجملة
قبلها ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذوي الحال ويقولون بدل من يخفون او استيناف **قل لو كنتم
في بيوتكم** اي من علم الله منه انه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم **لبرز** من بينكم **الذين كتب عليهم القتل الى**
مضاجعهم باحد ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم و
ان دين الاسلام يظهر على الدين كله فان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم

وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وليمتحن ما في صدور المؤمنين
من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك
لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص **والله عليم بذات الصدور** بخفياتها **ان الذين تولوا
منكم** انهزموا **يوم التقى الجمعان** جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجمع ابي سفيان للقتال
باحد **انما استزلهم الشيطان** دعاهم الى الذلة وحملهم عليها **ببعض ما كسبوا** بترك
المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى
الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتاديب وكان اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم تولوا عنه يوم احد الا ثلاثة عشر رجلا منهم ابو بكر وعلي وطلحة
وابن عوف وسعد ابن ابي وقاص والباقون من الانصار **ولقد عفا الله عنهم** لكن
تجاوز عنهم **ان الله غفور** للذنوب **رحيم** حليم لا يعاجل بالعقوبة **يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين كفروا** كابن ابي واصحابه **وقالوا لاخوانهم** في النسب
او في النفاق **اذا ضربوا في الارض** سافروا فيها للتجارة او غيرها **او كانوا غزى**
جمع غاز كعاف وعفى واصابهم موت وقتل **لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم** اللام يتعلق بلا تكونوا اي لا تكونوا كهؤلاء في النطق
بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها
قلوبكم او بقالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والحسرة الندامة
على فوت المحبوب **والله يحيي ويميت** رد لقولهم ان القتال يقطع الآجال اي الامر
بيده قد يحيي المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد **والله بما تعملون بصير** فيجازيكم
على اعمالكم يعملون مكي وحمزة وعلي اي الذين كفروا **ولئن قتلتم في سبيل الله او متم**
متم وبابه بالكسر نافع وكوفي غير عاصم تابعهم حفص الا في هذه السورة كانه اراد
الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم في جميع القرآن فالضم من مات يموت
والكسر من مات يمات كخاف يخاف وكما تقول خفت تقول مت **لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون** ما بمعنى الذي والعائد محذوف وبالياء حفص **ولئن متم
او قتلتم لالى الله تحشرون** لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون
ولوقوع اسم الله هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به
شان نغني عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط كذلك
لالى الله تحشرون كذب الكافرين او لا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو

كان بالمدينة لمامات ونهي المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد
ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله
فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من
الدنيا لان الدنيا زاد المعاد فاذا وصل العبد الي المراد لم يحتج الي الزاد فبما
رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتاكيد والدلالة علي ان لينه لهم ما كان الا
برحمة من الله ومعني الرحمة ربطه علي جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم
ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتي
لا يبقي حولك احد منهم فاعف عنهم ما كان منهم يوم احد مما يختص بك و
استغفر لهم مما يختص بحق الله تماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر في امر الحرب
ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييبا لنفوسهم وترويجا لقلوبهم ورفعا
لاقدارهم او ليقتدي بك امتك فيها في الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا
لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا اظهرت ما عندي وما عنده
من الرأي وشرت الدابة استخرجت جريها وشرت العسل اخذته من ماخذه وفيه
دلالة جواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة فاذا عزمت فاذا قطعت الرأي على
شيء بعد الشوري فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد لا على المشورة ان الله
يحب المتوكلين عليه والتوكل الاعتماد على الله وتفويض الامر اليه وقال ذو النون
خلع الارباب وقطع الاسباب ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم
فلا احد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه و
قدرته وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من
بعد خذلانه وهو ترك المعونة او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد
فلان تريد اذا جاوزته وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل عليه والتفويض اليه
لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي ذلك وما كان لنبي ان يغل مكي وابو
عمرو وعاصم اي يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيئا من المغنم غلولا
واغل اغلالا اذا اخذه في خفية ويقال اغله اذا وجده غالا والمعنى وما صح له
ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الي هذا

لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا روي ان
قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما اصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فنزلت الاية ومن يغلل يأت بما غل يوم
القيمة اي يأت بالشيء الذي غله بعينه حاملا على ظهره كما جاء في الحديث قال عليه
السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه او يأت بما احتمل
من وباله واثمه ثم توفي كل نفس ما كسبت تعطى جزاءها وافيا ولم يقل ثم توفي
ما كسبت ليتصل بقوله ومن يغلل بل جيء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال و
غيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا
او شرا مجزي فهو في جزاء معلم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا
يظلمون اي جزاء كل على قدر كسبه افمن اتبع رضوان الله اي رضاء الله قيل هم المهاجرون
والانصار كمن باء بسخط من الله وهم المنافقون والكفار ومأويه جهنم وبئس
المصير المرجع هم درجات عند الله هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات
او ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او
التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسماعيل كما انهم من ولده
والمنة في ذلك من حيث انه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل اخذ ما يجب
عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان اقرب لهم
الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من انفسهم اي من اشرفهم يتلوا عليهم اياته اي القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية
لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم يطهرهم بالايمان من دنس الكفر والطغيان
او ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل
من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لفي ضلال عمى وجهالة مبين ظاهر لا
شبهة فيه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير و
انه الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم
يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر

سبعين وهو في موضع رفع صفة لمصيبة قلتم انى هذا من اين هذا قل هو
من عند انفسكم لاختياركم الخروج من المدينة او لترككم المركز لما نصب بقلتم
واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب
لانه مفعول والهمزة للتقريب والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من
قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف كانه قيل افعلتم كذا
وقلتم حينئذ كذا ان الله على كل شيء قدير يقدر على النصر وعلى منعه وما اصابكم
بمعنى الذي وهو مبتدا يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين باحد والخبر فباذن
الله فكائن باذن الله اي بعلمه وقضائه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وهو
كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل
لهم للمنافقين وهو كلام مبتدا تعالوا قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا للآخرة كما يقاتل
المؤمنون او ادفعوا اي قاتلوا دفعا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم تقاتلوا للآخرة
وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين ان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما
يروع العدو قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رايكم ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء النفس
في التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم كانوا يتظاهرون بالايمان قبل
ذلك وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا
ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر او هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية
للمشركين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي يظهرون خلاف ما يضمرون من الايمان وغيره
والتقييد بالافواه للتاكيد ونفي المجاز والله اعلم بما يكتمون من النفاق الذين قالوا
اي ابن ابي واصحابه وهو في موضع رفع على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون
او نصب باضمار اعني او على البدل من الذين نافقوا او جر على البدل من الضمير في بافواههم
او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد وقعدوا
اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا ما قتلوا اي لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم
به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما
لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين بان الحذر ينفع من القدر فخذوا
حذركم من الموت ومعناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا

في قلوبهم

وهو

وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا وروي انه مات يوم قالوا
هذه المقالة سبعون منافقا ونزل في قتلى احد ولا تحسبن شامي وحمزة وعاصم
وبكسر السين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد الذين
قتلوا قتلوا شامي في سبيل الله امواتا بل احياء بل هم احياء عند ربهم مقربون عنده
ذوو زلفى يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تاكيد
لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين حال
من الضمير في يرزقون بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما
ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم
رزق الجنة ونعيمها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد
جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة تحت العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم
القيمة وهو ضعيف لانه لا يبقى للتخصيص فائدة ويستبشرون بالذين باخوانهم
المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من
خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم
ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا
خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم
مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم
على الجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء ولا هم يحزنون يستبشرون
بنعمة من الله وفضل يسرون بما انعم الله عليهم وبما تفضل عليهم من زيادة الكرامة
وان الله عطف على النعمة والفضل وان الله علي بالكسر على الاستيناف على ان الجملة اعتراض
لا يضيع اجر المؤمنين بل يوفر عليهم الذين استجابوا لله والرسول مبتدا وخبره للذين
احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح من بعد ما اصابهم القرح الجرح روي ان ابا
سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فخرج يوم الاحد من المدينة مع سبعين رجلا
حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فالقى
الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الآية للذين احسنوا منهم واتقوا من

القرح

للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان
الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم اجر عظيم
في الاخرة الذين قال لهم الناس هم لمن الذين استجابوا ان الناس قد جمعوا لكم روي
ان ابا سفيان نادي عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل وقال
صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة فالقى
الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا
فقال يا نعيم اني واعدت محمدا صلى الله عليه وسلم ان نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي
فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم اتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم احد فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا و
هم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت
معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الي المدينة سالمين غانمين ولم
يكن قتال فرجع ابو سفيان الي مكة فسمي اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما
خرجتم لتاكلوا السويق فالناس الاول نعيم وهو جمع اريد به الواحد وكان له
اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثاني ابو سفيان واصحابه فاخشوهم فخافوهم فزادهم
اي المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم او القول او نعيم ايمانا بصيرة
وايقانا وقالوا حسبنا الله كافينا الله اي الذي يكفينا الله امرهم يقال احسبه الشيء اذا كفاه
وهو بمعني المحسب بدليل انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته غير
حقيقية لكونه في معني اسم الفاعل ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من
الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة فاصابوا بالدرهم
درهمين لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في انقلبوا
وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء واتبعوا رضوان الله بجراتهم
وخروجهم الي وجه العدو على اثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا انما ذلكم الشيطان هو خبر ذلكم اي انما ذلكم
المثبط هو الشيطان وهو نعيم يخوف اولياءه اي المنافقين وهو جملة مستانفة بيان
لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون
ان كنتم مؤمنين لان الايمان يقتضي ان يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافوني

في الوصل والوقف سهل ويعقوب ووافقهما ابو عمرو في الوصل ولا يحزنك
يحزنك في كل القرآن نافع الا في سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر الذين
يسارعون في الكفر يعني لا يحزنوك لخوف ان يضروك الا تري الي قوله انهم لن
يضروا الله شيئا اي اولياء الله يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير
انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب
عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه والاية تدل على ارادة الكفر والمعاصي
لان ارادته ان لا يكون لهم ثواب في الاخرة لا تكون بدون ارادة كفرهم ومعاصيهم
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه به لن يضروا الله شيئا هو نصب على
المصدر اي شيئا من الضرر الاية الاولى فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام
والثانية في جميع الكفار او على العكس ولهم عذاب اليم ولا يحسبن وثلثها بعدها
بالياء مع الضم الباء في يحسبنهم بالياء مكي وابو عمرو وكلها بالتاء حمزة و
كلها بالياء مدني وشامي الا فلا تحسبنهم فانها بالتاء الباقون الاوليان بالياء
والاخريان بالتاء الذين كفروا فيمن قرا بالياء رفع اي لا يحسبن الكافرون وان
مع اسمه وخبره في قوله انما نملي لهم خير لانفسهم في موضع المفعولين ليحسبن و
التقدير ولا يحسبن الذين كفروا املاءنا خيرا لانفسهم وما مصدرية وكان حقها
في قياس علم الخط ان يكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف
وفيمن قرا بالتاء نصب اي ولا تحسبن الكافرين وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل
من الكافرين اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب
عن المفعولين والاملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما
ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولي وهذه جملة مستانفة تعليل
للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا
اثما والاية حجة لنا على المعتزلة في مسئلتي الاصلح وارادة المعاصي ولهم عذاب مهين
واللام في ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص و
المنافقين لتاكيد النفي حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز
حمزة وعلي والخطاب في انتم للمصدقين من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان
الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى

يميز كم بالوحي الي نبيه واخباره باحوالكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان
الله ليؤتي احدًا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم
بنفاق الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها
وايمانها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره
بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك
من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه والاية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك
العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث اثبتوا علم
الغيب لغير الرسول وان اثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم
النبيين فامنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص وان تؤمنوا وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم
في الاخرة ونزل في مانعي الزكوة ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم
من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل وخيرا لهم
مفعول ثان وكذا من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه و
سلم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين
يبخلون بخلهم هو خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثاني بل هو اي البخل شر
لهم لان اموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة تفسير لقوله بل هو شر لهم اي سيجعل ما لهم الذي منعوا عن الحق طوقا في اعنا
قهم كما جاء في الحديث من منع زكوة ماله يصير حية ذكرا اقرع له نابان فيطوق في عنقه
فينهشه ويدفعه الي النار ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه
اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله والاصل
في ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها والله بما تعملون خبير و
بالياء مكي وابو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على
الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال ذلك اليهود حين سمعوا
قوله تعالى من ذي الذي يقرض الله قرضا حسنا قالوا ان اله محمد صلى الله عليه وسلم
يستقرض منا فنحن اذا اغنياء وهو فقير ومعني سماع الله له انه لم يخف عليه وانه
اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا سنامر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف
او سنحفظه اذ الكتابة من الخلق لحفظ ما فيه فسمي به مجازا وما مصدرية او بمعنى الذي
وقتلهم الانبياء بغير حق معطوف على ما قالوا وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا

يشاء

اغنياء

بانهما

بانهما في العظم اخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل
هذا القول ونقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق اي عذاب النار كما اذقتم
المسلمين الغصص قال الضحاك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وانما اضيف الي الله
تعالي لانه بامره كما في قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة ذلك اشارة الي
ما تقدم من عقابهم بما قدمت ايديكم اي ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر و
المعاصي والاضافة الي الايدي لان اكثر الاعمال يكون بالايدي فجعل كل عمل
كالواقع بالايدي على سبيل التغليب ولانه يقال للآمر بالشيء فاعله فذكر الايدي
للتحقيق يعني انه فعل بنفسه لا غيره بامره وان الله ليس بظلام للعبيد وبان الله لا
يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم الذين قالوا في موضع جر على البدل من الذين
قالوا او نصب باضمار اعني او رفع باضمارهم ان الله عهد الينا امرنا في التورية و
اوصانا الا نؤمن بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار اي يقرب قربانا فتنزل
نار من السماء فتاكله فان جئتنا به صدقناك وهذه دعوي باطلة وافتراء على
الله لان اكل النار القربان سبب الايمان للرسول الاتي به لكونه معجزة فهو اذن وسائر
المعجزات سواء قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات بالمعجزات سوي القربان وبالذي قلتم
اي بالقربان يعني قد جاء به اسلافكم الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم
فلم قتلتموهم اي ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذي اتوا به
ولم قتلتموهم ان كنتم صادقين في قولكم انما نؤخر الايمان لهذا فان كذبوك فقد
كذب رسل من قبلك فان كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الامم بانبيائها
كذلك جاءو بالبينات بالمعجزات الظاهرات والزبر الكتب جمع زبور من الزبر وهو
الكتابة وبالزبر شامي والكتاب المنير المضيء قيل هما واحد في الاصل وانما ذكرا
لاختلاف الوصفين فالزبر كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير هو الكتاب الهادي
كل نفس مبتداء والخبر ذائقة الموت وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم و
المعني لا يحزنك تكذيبهم اياك فمرجع الخلق الي فاجازيهم على التكذيب واجازيك
على الصبر وذلك قوله وانما توفون اجوركم يوم القيمة اي تعطون ثواب اعمالكم على
الكمال يوم القيمة فان الدنيا ليست بدار الجزاء فمن زحزح ابعد والزحزحة الابعاد
عن النار وادخل الجنة فقد فاز ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل
الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا

النار

بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته و
الشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على الآخرة
فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات
لا حاصل لها لتبلون والله لتبلون اي لتختبرن في اموالكم بالانفاق في سبيل الله و
بما يقع فيها من الآفات وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع
المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على ان النفس هي الجسم المعاين دون ما
فيه من المعنى الباطن كما قال بعض اهل الكلام والفلاسفة كذا في شرح التأويلات
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا كالطعن في الدين وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك
وان تصبروا على اذاهم وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك فان الصبر والتقوى من
عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور خوطب المؤمنون
بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى
اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها
ويشمئز منها نفسه واذ اخذ الله ميثاق الذين واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا
الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن وبالياء مكي وابو عمرو وابو بكر لانهم غيب و
الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه فنبذوه وراء
ظهورهم فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم اي لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على انه يجب على العلماء ان يبينوا الحق
للناس وما علموه وان لا يكتموا منه لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
او لجر منفعة او دفع اذية او لبخل بالعلم وفي الحديث من كتم علما عن اهله الجم بلجام
من نار واشتروا به ثمنا قليلا عوضا يسيرا فبئس ما يشترون ولا تحسبن الخطاب في لا تحسبن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا
تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين بما اتوا بما فعلوا وهو قراءة
ابي واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا وقراءة
النخعي بما اوتوا اي اعطوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
بمنجاة منه ولهم عذاب اليم مولم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود

اوتوا الكتاب

من العذاب

عن شيء

انهم

عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا
اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاه بما
انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك
ويحبون اي يحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين
من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحوا بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين و
توصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على
الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس
بما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وفيه تكذيب لمن قال
والله فقير والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لادلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر
لاولي الالباب لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى ان العرض
المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث
وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم والا
لاحتاج الى محدث آخر الى ما لا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل
على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم
يتفكر فيها وحكي ان في بني اسرائيل من اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبده
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال
ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت
الا من ذلك الذين في موضع جر نعت لاولي او نصب باضمار اعني او رفع باضمار هم
يذكرون الله يصلون قياما قائمين عند القدرة وقعودا قاعدين وعلى جنوبهم
اي مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا احوال من ضمير الفاعل في يذكرون
وعلى جنوبهم حال ايضا والمراد الذكر على كل حال لان الانسان لا يخلو عن
هذه الاحوال وفي الحديث من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام
وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على
عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما
رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد انك

ربنا وضالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة
كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع
النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت
هذا باطلا اي يقولون ذلك وهو في محل الحال اي يتفكرون قائلين والمعنى
ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن
للمكلفين وادلة لهم على معرفتك وهذا اشارة الي الخلق على ان المراد به المخلوق
او الي السموات والارض لانهما في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب
باطلا سبحانك تنزيها لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب
النار والفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره اذا نزهناك فقنا ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته اهنته او اهلكته او فضحته واحتج اهل الوعيد بالاية مع قوله
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه في ان من يدخل النار لا يكون مؤمنا و
يخلد قلنا قال جابر رضي الله عنه اخزاء المؤمن تاديبه وان فوق ذلك لخزيا
او المراد دخول تخليد وما للظالمين اللام اشارة الي من يدخل النار والمراد الكفار
من انصار من اعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا
تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته
بما يسمع فاغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام
فلان والمنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم او القران ينادي للايمان لاجل
الايمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادي اذ لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان
ان امنوا بان امنوا او اي امنوا بربكم فامنا قال الشيخ ابو منصور رحمه الله فيه دليل
بطلان الاستثناء في الايمان ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا وكفر عنا سيئاتنا
صغائرنا وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم و
الابرار المتمسكون بالسنة جمع بر وبار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا و
اتنا ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك او ما وعدتنا منزلا على رسلك
او على السنة رسلك وعلى متعلقة بوعدتنا والموعود هو الثواب او النصرة على
الاعداء وانما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لان معناه طلب التوفيق
فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او المراد جعلنا ممن لهم الوعد اذ الوعد
غير مبين لمن هو او المراد تثبيتا على ما يوصلنا الي عداتك يؤيده قوله ولا تخزنا

يوم القيمة او هو اظهار للخضوع والضراعة انك لا تخلف الميعاد هو
مصدر بمعنى الوعد فاستجاب لهم ربهم اي اجاب يقال استجاب له واستجابه اني
لا اضيع باني عمل عامل منكم صفة لعامل من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم
من بعض الذكر من الانثى والانثى من الذكر وكلكم بنو ادم او بعضكم من
بعض في النصرة والدين وهذه الجملة معترضة يثبت بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا الايات فالذين هاجروا
مبتداء وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كانه قال فالذين عملوا
هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الي الله بدينهم
الي حيث يامنون عليه فالهجرة كائنة في اخر الزمان كما كانت في اول الاسلام واخرجوا
من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا واوذوا في سبيلي بالشتم والضرب ونهب
المال يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا في غزو المشركين واستشهدوا وقتلوا مكي
وشامي وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير حمزة وعلي وفيه دليل ان الواو لا توجب
الترتيب والخبر لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار و
هو جواب قسم محذوف ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند
الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم والله عنده حسن
الثواب اي يختص به ولا يقدر عليه غيره وروي ان طائفة من المؤمنين قالوا ان
اعداء الله فيما نري من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد فالخطاب لكل احد او للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره
لان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم فكانه
قيل لا يغرنكم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه
ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من
المشركين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين
امنوا امنوا متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي تقلبهم في البلاد متاع قليل
واراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب
او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد
وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم عن الشرك لهم جنات تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا النزل والنزل ما يقام للنازل وهو
حال من جنات لتخصيصها بالصفة والعامل اللام في لهم او هو مصدر مؤكد كانه
قيل رزقا او عطاء من عند الله صفة له وما عند الله من الكثير الدائم خير
للابرار الذين مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو
للاستدراك اي لا بقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزل في ابن سلام و
غيره من مسلمي اهل الكتاب او في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وان من اهل الكتاب لمن
يؤمن بالله دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما وما انزل اليكم
من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان
من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم
وكبارهم وهو حال بعد حال اي غير مشترين اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما
يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان
الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على الدين وتكاليفه
قال الجنيد الصبر حبس النفس على المكروه بنفي الجزع وصابروا اعداء الله في
الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا
ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو
واتقوا الله لعلكم تفلحون الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه
ولعل لتغييب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا في
محنتي وصابروا في نعمتي ورابطوا انفسكم في حدودي لعلكم تفلحون تظفرون
بقربي قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران
فانهما يأتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجان
عن اصحابهما

يا ايها الناس يا بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم
من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم وخلق منها زوجها معطوف على محذوف
كانه قيل من نفس واحدة انشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس
واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من

اضلاعها

اضلاعها وبث منهما ونشر من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء كثيرة اي وبث
منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل
لكيفية خلقهم منها او على خلقكم والخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها امكم حواء
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي
يقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعوا اليها فكيف كان
خلقه اياكم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك
مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات
عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه
ولانه يدل على النعمة السابقة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها قال صلى الله عليه
وسلم عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل
من التراب فهمه في التراب واتقوا الله الذي تساءلون به الاصل تتساءلون فادغمت
التاء في السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تسالون به بالتخفيف
كوفي على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التائين اي يسأل بعضكم بعضا
بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف والارحام
بالنصب على انه معطوف على اسم الله اي واتقوا الارحام ان تقطعوها او على موضع
الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمروا وبالجر حمزة على عطف الظاهر على
المضمر وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد
فاشبه العطف على بعض الكلمة ان الله كان عليكم رقيبا حافظا او عالما واتوا
اليتامى اموالهم يعني الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات
وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا
انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن
كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد
الحلم تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم يجز عليه احكام الصغار والمعنى
واتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر
وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم عن حد البلوغ ان اونس منهم الرشد وان

يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامي والصغار ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامي بالحلال وهو مالكم او لا تستبدلوا الامر
الخبيث هو اختزال اموال اليتامي بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل
بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال ولا تاكلوا اموالهم الي اموالكم
الي متعلقة بمحذوف وهو في موضع الحال اي مضافة الي اموالكم والمعنى و لا
تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل
لكم وتسوية بينه وبين الحلال انه ان اكلها كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وان
خفتم ان لا تقسطوا اي لا تعدلوا اقسط اي عدل في اليتامي يقال للاناث
اليتامي كما يقال للذكور وهو جمع يتيم ويتيمة والاصل يتائم فقلب واما ايتام
جمع يتيم لا غير فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم
كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا الي الصفة لان ما يجيء في صفات من يعقل
فكانه قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يجرين مجري غير العقلا
ومنه قوله تعالي وما ملكت ايمانكم قيل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من
ولاية اليتامي فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامي فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم
من النساء ولا تحوموا حول المحرمات او كانوا يتحرجون من الولاية في اموال اليتامي
ولا يتحرجون من الاستكثار من النساء مع ان الجور يقع بينهن اذا كثرن فكانه قيل
اذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل وان خفتم ان لا تقسطوا في نكاح اليتامي
فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة اذا ادركت مثني وثلاث ورباع نكرات
وانما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومحلهن النصب
على الحال من النساء او من ما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا
العدد ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا فان قلت الذي اطلق للناكح في
الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلثا او اربع فما معني التكرير التكرير في مثني وثلث
ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد
العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين
درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معني وجيء بالواو ليدل
على تجويز الجمع بين الفرق ولو جيء باو مكانها لذهب معني التجويز فان خفتم ان لا
تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة او ما ملكت

ايمانكم سوي في اليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ذلك اشارة
الي اختيار الواحدة او التسري ادني ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا و لا تجوروا
يقال عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ويحكي عن الشافعي
رضي الله عنه انه فسر ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم واعترضوا عليه بانه يقال في عال
يعيل يقال اعال الرجل اذا كثر عياله واجيب بان يجعل من قولك عال الرجل عياله
يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم
وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله
من اعلام العلم حقيق بالحمل على السداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الي تعولوا
كانه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات واتوا النساء صدقاتهن
مهورهن نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة
ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قال و
انحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال
من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات
اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا
منه عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا اي يدين به يعني واتوهن مهورهن
ديانة على انها مفعول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور بناتهم فان طبن لكم للازواج عن شيء منه اي من الصدقات اذ هو في
معني الصداق نفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل
عليه والمعني فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير
مخبثات بما يضطرهن الي الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم وفي الاية
دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس
فقيل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فان وهبن اعلاما بان المراعي هو
تجافي نفسها عن الموهوب طيبة فكلوه الهاء يعود على شيء هنيئا لا اثم فيه
مريئا لا داء فيه كذا فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم او هنيئا في الدنيا بلا مطالبة و
مريئا في العقبي بلا تبعة وهما صفتان من هنا الطعام ومرء اذا كان سائغا
لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو
هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة في الاباحة وازالة التبعة هنيئا مريئا بغير

همزة يزيد وكذا حمزة في الوقف وهمزهما الباقون وعن علي رضي الله عنه اذا اشتكي
احدكم شيئا فليسأل امرأته ثلثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه
بماء السماء فيجمع الله له هنيئا مريئا وشفاء ومباركا ولا تؤتوا السفهاء المبذرين اموالهم
الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على اصلاحها وتثميرها والتصرف فيها
والخطاب للاولياء واضاف الى الاولياء اموال السفهاء بقوله اموالكم لانهم يلونها
ويمسكونها التي جعل الله لكم قياما اي قياما لابدانكم ومعاشا لاهلكم واولادكم
قيما بمعنى قياما نافع وشامي كما جاء عوذا بمعنى عياذا واصل قيام قوام فجعلت الواو
ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك
مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة
يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم
بان تتجروا وتتربحوا حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فيأكلها
الانفاق واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم
سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل
فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا واعقولهم
وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا ان يدفع اليه ما
يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه وفيه دليل على جواز اذن الصبي العاقل
في التجارة حتى اذا بلغوا النكاح اي الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو
مقصود به وهو التوالد فان انستم منهم تبينتم رشدا هداية في التصرفات
وصلاحا في المعاملات فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم
هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى
التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة
شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان انستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول
الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد ان المراد رشد
مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة او يفيد التقليل اي طرفا من الرشد
حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابي حنيفة رضي الله عنه في دفع المال عند بلوغ

خمس وعشرين سنة ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ولا تاكلوها مسرفين ومبادرين
كبرهم واسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال وان يكبروا في موضع المصدر
منصوب الموضع ببدارا ويجوز ان يكونا مفعولا لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم
تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينزعوها
من ايدينا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف
قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من
اكلها اي يحترز من اكل مال اليتيم واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة
العفة والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في اكله وعن ابراهيم ما سد الجوعة ووارى
العورة فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها دفعا
للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عند التخاصم والتناكر وكفى بالله حسيبا
محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب او هو راجع الى قوله فلياكل بالمعروف
اي ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة
وكفى يتعدى الى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون هم المتوارثون
من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل من ما ترك بتكرير
العامل والضمير في منه يعود الى ما ترك نصيبا نصب على الاختصاص بمعنى
اعني نصيبا مفروضا مقطوعا لا بد لهم من ان يحوزوه روي ان اوس بن ثابت
ترك امرأته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية
لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وحاز
الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي
حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله
تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام
كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة
التركة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم
فاعطوهم منه مما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب وهو باق ولم ينسخ
وقيل كان واجبا في الابتداء ثم نسخ باية الميراث وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلا
وعدة حسنة وقيل القول المعروف ان تقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم ويستقلوا

ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا المراد بهم الاوصياء امروا
بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على
ذريتهم لو تركوهم ضعافا وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا
على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما في حيزه صلة الذين اي وليخش الذين صفتهم
وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم
خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا او القول السديد
من الاوصياء ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم
يا بني ويا ولدي ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين فهو مصدر في موضع الحال
انما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا اي ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار روي
انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من فيه ومن قبره واذنيه
فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وسيصلون شامي وابو بكر
اي سيدخلون سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم و
يامركم في اولادكم في شان ميراثهم وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان
بدرهم وبدأ بحظ الذكر ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ
الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث
وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى
في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع
اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما حال الانفراد
فالابن ياخذ المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم
الانفراد بقوله فان كن نساء اي فان كانت الاولاد نساء خلصا يعني بنات ليس
معهن ابن فوق اثنتين خبر ثان لكان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك اي الميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت
وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة منفردة واحدة مدني على كان
التامة والنصب وفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال
اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في

حال الانفراد فما حكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضي الله عنه نزلهما
منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اعطوهما حكم
الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف
بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة
كان الثلثان للبنتين ولانه قال في اخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك والبنتان امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما
ما اوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو ابعد منهما ولان
البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع
اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت
معه فوجب لهما الثلثان وفي الآية دلالة ان المال كله للذكر اذا لم يكن معه انثى
لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فعلم
ان للذكر في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير في ولابويه للميت
والمراد الاب والام الا انه غلب المذكر لكل واحد منهما السدس بدل من لابويه
بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما
فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى
خلافها ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لذهبت فائدة التوكيد وهو التفصيل
بعد الاجمال والسدس مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ
الحسن السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف مما ترك ان كان له ولد هو
يقع على الذكر والانثى فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث اي مما ترك
والمعنى وورثه ابواه فحسب لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث
ما يبقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لان الاب اقوى من الام في الارث
بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه
عن نصيبها فان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث
والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون
للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة حمزة وعلي للمجاورة كسرة اللام فان كان له
اي للميت اخوة فلامه السدس اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا

فلامه السدس والاخ الواحد لايحجب والاعيان والعلات والاخياف في حجب
الام سواء من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما
يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها وما بعده
بفتح الصاد بن مكي وشامي وحماد ويحيى ووافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية
للمجاورة يورث بكسر الاول للمجاورة يوصيكم الله الباقون بكسر الصاد بن اي يوصي
الميت او دين والاشكال ان الدين مقدم على الوصية في الشرع وقدمت الوصية
على الدين في التلاوة والجواب ان او لا تدل على الترتيب الا ترى انك اذا قلت جاءني
زيد او عمرو كان المعنى جاءني احد الرجلين وكان التقدير في قوله من بعد وصية
يوصي بها او دين من بعد احد هذين الشيئين الوصية او الدين ولو قيل بهذا
اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتاخير المقدم كذا هنا وانما
قدمنا الدين على الوصية لقوله صلى الله عليه وسلم الا ان الدين قبل الوصية ولا
تشبه الميراث من حيث انها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة فكان
اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع
الدين اباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه والخبر لا تدرون وقوله ايهم مبتدأ خبره
اقرب لكم والجملة في موضع نصب بتدرون نفعا تمييز والمعنى فرض الله الفرائض
على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم
الاموال على غير حكمة والتفاوت في السهام بتفاوت المنافع وانتم لا تدرون
تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها الى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة
المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب فريضة نصبت نصب
المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا من الله ان الله كان عليما بالاشياء قبل خلقها
حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم
اي زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد اي ابن او بنت فان كان لهن ولد منكم او
من غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع
مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من
بعد وصية توصون بها او دين والواحد والجماعة سواء في الربع والثمن جعل
ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين وان
كان رجل يعني الميت وهو اسم كان يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة

لرجل كلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يورث خبر كان
وكلالة حال من الضمير في يورث والكلالة ينطلق على من لم يخلف ولدا ولا
والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد و
الوالد وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء او امرأة
عطف على رجل وله اخ او اخت اي لام فان قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة
فلم افرد الضمير في ذكره قلت اما افراده فلان او لاحد الشيئين واما تذكيره فلانه
يرجع الى رجل لانه مذكر مبدوء به يرجع الى احدهما وهو مذكر فلكل واحد منهما
السدس فان كانوا اكثر من ذلك من واحد فهم شركاء في الثلث لانهم
يستحقون بقرابة الام وهي لا ترث اكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم
على الانثى من بعد وصية يوصى بها او دين انما كررت الوصية لاختلاف الموصيين
فالاول الوالدان والاولاد والثاني الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة
غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصي زيادة
على الثلث او لوارث وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية
والله عليم لمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا
وعيد فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصي فينصب عن
فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح
لانه لما قال يسبح له علم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح له واعلم ان الورثة اصناف اصحاب
الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللاكثر الثلثان
وبنت الابن وان سفلت وهي عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية
السدس وتسقط بالابن وبنتي الصلب الا ان يكون معها غلام فيعصبها والاخوات
لاب وام وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات ولها مع البنت الصلبية
السدس والاخوات لاب وهن كالاخوات لاب وام عند عدمهن ويصيرن الفريقان
عصبة بالبنت او بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والاب وبالجد
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وولد الام فللواحد السدس وللاكثر الثلث و
ذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن وان سفل والاب والجد والاب
وله السدس مع الابن او ابن الابن وان سفل ومع البنت او بنت الابن وان سفلت
السدس والباقي والجد وهو اب الاب وهو كالاب عند عدمه الا في رد الام الى ثلث

مايبقى والام ولها السدس مع الولد او ولد الابن وان سفل او الاثنين من
الاخوة والاخوات فصاعدًا من اي جهة كانا او ثلث الكل عند عدمهم وثلث ما
يبقى بعد فرض احد الزوجين في زوج وابوين او زوجة وابوين والجدة ولها
السدس فان كثرت لام كانت او لاب والبعدى تحجب بالقربي والكل بالام
والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند
عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد او ولد الابن وان سفل وعند
عدمه الربع والعصبات وهم الذين يرثون مابقي من الفرض واولاهم الابن
ثم ابنه وان سفل ثم الاب ثم ابوه وان علا ثم الاخ لاب وام ثم الاخ لاب ثم ابن
الاخ لاب وام ثم ابن الاخ لاب ثم الاعمام ثم اعمام الاب ثم اعمام الجد ثم المعتق
ثم عصبته على الترتيب واللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخوتهن
لابغيرهن وذوا الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من اصحاب
الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات تِلْكَ اشارة الي الاحكام التي ذكرت في باب
اليتامي والوصايا والمواريث حُدُودُ اللّٰهِ سماها حدودًا لان الشرائع كالحدود
المضروبة للمكلفين لايجوز لهم ان يتجاوزوها وَمَنْ يطع الله ورسوله يدخله
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ
يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا انتصب خالدين
فيها وخالدا على الحال وجمع مرة وافرد اخرى نظرا الي معني من ولفظها ندخله فيهما
مدني وشامي وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ لهوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة والخوارج
بالاية فانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذي تعدي الحدود كلها فاما المؤمن
العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية
هنا بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله يكفر بقسمة المواريث ويتعد
حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال وَاللَّاتِي هي جمع التي وموضعها رفع
بالابتداء يَاْتِينَ الْفَاحِشَةَ اي الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبايح يقال
اتي الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى مِنْ نِسَائِكُمْ من للتبعيض والخبر
فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ فاطلبوا الشهادة اَرْبَعَةً مِنْكُمْ من المؤمنين فَاِنْ
شَهِدُوا بالزنا فَاَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فاحبسوهن حَتّٰى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ اي
ملائكة الموت كقوله الذين يتوفيهم الملائكة او حتي ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن

اَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ قيل او بمعني الا ان سَبِيلًا غير هذه عن ابن عباس رضي الله
عنه السبيل للبكر جلد مائة وللثيب الرجم لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا
عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة وَاللَّذَانِ يريد الزاني والزانية
وبتشديد النون مكي يَاْتِيَانِهَا مِنْكُمْ اي الفاحشة فَاٰذُوهُمَا بالتوبيخ والتعيير
وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فَاِنْ تَابَا عن الفاحشة وَاَصْلَحَا وغيرا
الحال فَاَعْرِضُوا عَنْهُمَا فاقطعوا التوبيخ والمذمة اِنَّ اللّٰهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا يقبل
توبة التائب ويرحمه قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذي ثم الحبس ثم
الجلد او الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما
اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير
وان كان احدهما محصنا والاخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الاخر
الجلد وقال ابن بحر الاية الاولى في السحاقات والثاني في اللواطين والتي في النور
في الزاني والزانية وهو دليل ظاهر لابي حنيفة رضي الله في انه يعزر في اللواطة
ولا يحد وقال مجاهد اية الاذي في اللواطة اِنَّمَا التَّوْبَةُ هي من تاب الله عليه
اذا قبل توبته اي انما قبولها عَلَى اللّٰهِ وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله
شيء ولكنه تاكيد للوعد يعني انه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السُّوءَ الذنب لسوء عقباه بِجَهَالَةٍ في موضع الحال اي يعملون السوء
جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصي
الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على
الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل عن كنه عقوبته ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ
قَرِيبٍ من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت الا تري الي قوله حتي اذا حضر
احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة وعن
عن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل
ان ينظر الي ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر ومن للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي ما بين وجود
المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا فَاُولٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ عدة بانه يفي
ذلك واعلام بان الغفران كائن لا محالة وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيمًا بعزمهم على التوبة

حكيما حكم بكون الندم توبة وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن اي ولا توبة للذين يذنبون و
يسوفون توبتهم الى ان يزول حال التكليف بحضور اسباب الموت
ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانه حالة اضطرار لا حالة
اختيار وقبول التوبة ثواب ولا وعد به الا المختار ولا الذين في موضع جر
بالعطف على الذين يعملون السيئات اي ليست التوبة للذين يعملون السيئات
ولا الذين يموتون وهم كفار قال سعيد بن جبير الآية الاولى في المؤمنين و
الوسطى في المنافقين والاخرى في الكافرين وفي بعض المصاحف بلامين
فهو مبتدأ خبره اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي هيأنا من العتيد وهو الحاضر و الاصل
اعددنا فقلبت الدال تاء كان الرجل يرث امرأة مورثه بان يلقي عليها ثوبه
فيتزوجها بلا مهر فنزل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
اي تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات
كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة وعلي من الاكراه مصدر في موضع الحال
من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشيء
بالذكر لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكان
الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه
بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن وهو منصوب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد
النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا ان تعضلوهن او مجزوم بالنهي على
الاستيناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن من المهر واللام متعلقة بتعضلوا الا ان يأتين بفاحشة
هي النشوز وايذاء الزوج واهله بالبذاء اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن
فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها
ان يسألها الخلع مبينة وبفتح الياء مكي وابو بكر والاستثناء من اعم عام الظرف
او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين
بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا ان يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون
معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة
والاجمال في القول فان كرهتموهن لقبحهن او سوء خلقهن فعسى ان تكرهوا

شيئا ويجعل الله فيه في ذلك الشيء او في الكره خيرا كثيرا ثوابا جزيلا
او ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس
وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين وادنى الى الخير واحبت ما هو
بضد ذلك ولكن النظر في اسباب الصلاح وانما صح قوله فعسى ان تكرهوا
جزاء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل
لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فا
بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاه فقيل
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اي تطليق امرأة وتزوج اخرى
وآتيتم احديهن واعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان
الخطاب لجماعة الرجال قنطارا مالا عظيما كما مر في آل عمران وقال عمر
رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة انتبع قولك ام
قول الله وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر تزوجوا على ما
شئتم فلا تأخذوا منه من القنطار شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا
اي بينا والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت
عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين ثم انكر اخذ
المهر بعد الافضاء فقال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض اي
خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر
حيث انكر الاخذ وعلل بذلك واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو قول
الله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى اخذ هذا الميثاق على
عباده لاجلهن فهو كاخذهن او قول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء
خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله ولما نزل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا الارث كرها و
لكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
كانت العرب يتزوج الرجل منهم زوجة ابيه من بعده التي ليست بامه فنهى الله
وحرم وقيل المراد بالنكاح الوطء اي ولا تطأوا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم
وطء موطوءة الاب بنكاح او بملك يمين او بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين
ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حالنا كان منا قال الا ما قد سلف اي لكن ما قد

عجبته

سلف فانكم لاتواخذون به والاستثناء منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا
العقد في الحال فقال انه كان فاحشة بالغة في القبح ومقتا وبغضا عند الله
وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت و
كان المولود عليه يقال له المقتي وساء سبيلا وبئس الطريق طريقا ذلك ولما
ذكر في اول السورة نكاح ما طاب اي حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا
وهو نساء الاباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب و
بدا بالنسب فقال حرمت عليكم امهاتكم والمراد تحريم نكاحهن عند البعض
وقد ذكرنا المختار في شرح المنار والجدة من قبل الام او الاب ملحقة بهن وبناتكم
وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والاصل ان الجمع اذا قوبل بالجمع ينقسم
الاحاد على الاحاد فيحرم على كل واحد امه وبنته واخواتكم لاب وام او لاب او لام
وعماتكم من الاوجه الثلثة وخالاتكم كذلك وبنات الاخ كذلك وبنات
الاخت كذلك ثم شرع في السبب وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من
الرضاعة الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة اما للرضيع و
بنت المرضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل
ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهو اخوته واخواته لابيه وام
المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته
لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه واصله قوله صلى الله
عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وامهات نسائكم وهن محرمات
بمجرد العقد وربائبكم سمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما
كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما اللاتي في
حجوركم قال داود اذا لم تكن في حجره لا يحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط
وفائدته التعليل للتحريم وانها لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم
كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
متعلق بربائبكم اي الربيبة من المراة المدخول بها حرام على الرجل حلال له اذا
لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب
اي ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل
بعض العلماء اللاتي دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتاخرة وليس كذلك

لان الوصف الواحد لا يطلق على موصوفين مختلفي العامل وهذا لان النساء الاولى
مجرورة بالاضافة والثانية بمن ولا يجوز ان تقول مررت بنسائك وهربت من
نساء زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء كذا قاله الزجاج
وغيره وهذا اولى مما قاله صاحب الكشاف فيه فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا
جناح عليكم فلا حرج عليكم في ان تتزوجوا بناتهن اذا فارقتموهن او متن
وحلائل ابنائكم جمع حليلة وهي الزوجة لان كل واحد منهما يحل للاخر او يحل
فراش الاخر من الحل او من الحلول الذين من اصلابكم دون ما تبنيتم فقد تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن من
الرضاع وان تجمعوا بين الاختين اي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على
المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين الا ما قد سلف ولكن ما مضى
مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وعن محمد بن الحسن رحمه الله ان
اهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امراة الاب ونكاح الاختين
فلذا قال فيهما الا ما قد سلف والمحصنات من النساء اي ذوات الازواج لانهن
احصن فروجهن بالتزوج قراءة الكسائي بفتح الصاد هنا وفي سائر القران بكسرها
وغيره بفتحها في جميع القران الا ما ملكت ايمانكم بالسبي وزوجها في دار الحرب
والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات اي اللاتي لهن ازواج الا ما ملكتموهن
بسبيهن واخراجهن بدون ازواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي
فيحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي ذلك
عليكم كتابة وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف واحل لكم على الفعل
المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم
ما سوى المحرمات المذكورة واحل كوفي غير ابي بكر عطف على حرمت ان تبتغوا
مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم لان تبتغوا او بدل مما وراء ذلكم ومفعول
تبتغوا محذوف وهو النساء والاجود ان لا يقدر باموالكم يعني المهور وفيه دليل
على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح مهرا
وان القليل لا يصلح مهرا اذ الحبة لا تعد مالا عادة محصنين فحال كونكم محصنين
غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا

دنياكم ودينكم ولا فساد اعظم من الجمع بين الخزانين والاحصان العفة
وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني
فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه منهن فآتوهن اجورهن مهورهن لان
المهر ثواب على البضع فما في معنى النسآء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير
اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن فريضة حال من الاجور اي مفروضة
او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر موكد اي فرض ذلك
فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من
المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره او فيما تراضيا به من مقام او فراق
ان الله كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح
الذي حفظت به الانساب وقيل ان قوله فما استمتعتم نزل في المتعة التي كانت
ثلثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت ومن لم يستطع
منكم طولا فضلا يقال لفلان على طول اي افضل وزيادة وهو مفعول يستطع
ان ينكح مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله او بدل من طولا المحصنات
المؤمنات الحرائر المسلمات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
اي فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمات
والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة و
نكاح الامة الكتابية يجوز عندنا والتقييد بالنص للاستحباب بدليل ان الايمان
ليس بشرط في الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال بن عباس رضي الله عنه ومما وسع
الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وفيه دليل
لنا في مسئلة الطول والله اعلم بايمانكم فيه تنبيه على قبول ظاهر ايمانهن ودليل
على ان الايمان هو التصديق دون عمل اللسان لان العلم بالايمان المسموع لا
يختلف بعضكم من بعض اي لا تستنكفوا من نكاح الاماء وكلكم بنوا ادم وهو
تحذير عن التعيير بالانساب والتفاخر بالاحساب فانكحوهن باذن اهلهن
ساداتهن وهو حجة لنا في ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن
الموالي لا عقدهم وانه ليس للعبد او للامة ان يتزوج الا باذن المولى وآتوهن
اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار وملاك مهورهن
مواليهن فكان اداوها اليهن اداء الي الموالي لانهن وما في ايديهن مال الموالي

او التقدير

او التقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفايف حال من المفعول
في وآتوهن غير مسافحات زوان علانية ولا متخذات اخدان زوان سرا والاخدان
الاخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج احصن كوفي غير حفص فان اتين
بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد يعني
خمسين جلدة وقوله نصف يدل على انه الجلد لان الرجم لا يتنصف وان المحصنات
هنا الحرائر اللاتي لم يزوجن ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم
لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد
الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وعن بن
عباس رضي الله عنه هو الزنا لانه سبب الهلاك وان تصبروا في محل الرفع على
الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم لان فيه ارقاق الولد
ولانها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع الى الناكح ومهانة
والعزة من صفات المؤمنين وفي الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك
البيت والله غفور يستر المحظور رحيم يكشف المحذور يريد الله ليبين لكم اصله
يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك
لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عليكم من مصالحكم
وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وان يهديكم مناهج من كان
قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم
ويتوب عليكم ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف والله عليم بمصالح
عباده حكيم فيما شرع لهم والله يريد ان يتوب عليكم التكرير للتاكيد والتقرير
والتقابل ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل
عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه لمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات
وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما
حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة فالخالة والعمة عليكم حرام
فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد
الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان
ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات يا ايها الذين آمنوا لا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة و

الغصب والقمار وعقود الربوا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة تجارة
كو في اي الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم صفة لتجارة اي تجارة صا درة
عن تراض بالعقد او بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون
تجارة عن تراض او لكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر
لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها وا لاية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى
جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضى وعلى نفي خيار المجلس
لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد
فالتقييد به زيادة على النص ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين
لان المؤمنين كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة او
معنى القتل اكل الاموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه او ولا تتبعوا اهوا نها
فتقتلوها او لا ترتكبوا ما يوجب القتل ان الله كان بكم رحيما ولرحمته بكم
نبهكم على ما فيه صيانة اموالكم وبقاء ابدانكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم
انفسهم ليكون توبة وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم
يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اي القتل اي ومن يقدم على
قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وهما مصدران في موضع الحال
او مفعول لهما فسوف نصليه نارا ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان
ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد
وفي حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم عن ابن مسعود رضي الله عنه الكبائر كل ما نهي
الله عنه من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا وعنه ايضا الكبائر ثلاث الاشراك
بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد به انواع الكفر بدليل قوله
قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر وندخلكم مدخلا مدخلا بالضم والفتح وكلاهما
بمعنى المكان والمصدر كريما حسنا وعن ابن عباس رضي الله عنه ثماني آيات في
سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين
لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبث المعتزلة بالاية على ان الصغائر واجبة المغفرة

باجتناب الكبائر وعلى ان الكبائر غير مغفورة باطل لان الكبائر والصغائر
في مشيئة الله تعالى ان شاء عذب عليهما وان شاء عفى عنهما لقوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لما دون
الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات فهذه
الاية تدل على ان الصغائر والكبائر يجوز ان يذهبا بالحسنات لان لفظ
السيئات ينطلق عليهما ولما كان اخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس
بغير حق بتمني مال الغير وجاهه نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعض الناس
على بعض من الجاه والمال بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض لان
ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد
وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق وقبض فعلى كل واحد ان يرضى بما قسم له
ولا يحسد اخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك الشيء له ويزول عن
صاحبه والغبطة ان يتمنى مثل ما لغيره وهو مرخص فيه والاول منهي عنه ولما
قال الرجال نرجوا ان يكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كالميراث وقالت
النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل للرجال نصيب مما
اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وليس ذلك على حساب الميراث واسئلوا
الله من فضله فان خزائنه لا تنقص ولا تتمنوا ما للناس من الفضل ان الله
كان بكل شيء عليما فالتفضيل عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم
يأمر بالمسئلة الا ليعطي وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه
ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا اعطي عبدي حتى يسألني و
سلوا مكي وعلي ولكل المضاف اليه محذوف تقديره ولكل واحد ولكل مال
جعلنا موالي موالي وراثا يلونه ويحوزونه مما ترك الوالدان والاقربون
هو صفة مال المحذوف اي من مال تركه الوالدان او هو متعلق بفعل محذوف
دل عليه الموالي تقديره يرثون مما ترك والذين عقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم
وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو فآتوهم نصيبهم مع الفاء عقدت
كوفي اي عقدت عهودهم ايمانكم والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة و
الوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضي الله عنهم وهو قولنا وتفسيره اذا
اسلم رجل او امرأة لا وارث له وليس بعربي ولا معتق فيقول الآخر واليتك

على ان تعقلني اذا جنيت وترث مني اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد ذلك
ويرث الاعلى من الاسفل ان الله كان على كل شيء شهيدا اي هو عالم الغيب
والشهادة وهو ابلغ وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء يقومون
عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل
الله بعضهم على بعض الضمير في بعضهم للرجال والنساء يعني انما كانوا مسلطين
عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل
والعزم والحزم والرمي والقوة والغزو وكمال الصوم والصلوة والنبوة والخلافة
والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند ابي حنيفة
رحمه الله والشهادة في الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب
فيه وملك النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم
اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا من اموالهم بان نفقتهن عليهم وفيه دليل
وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الاول فالصالحات قانتات
مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب وهو
خلاف الشهادة اي اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن بما يجب حفظه
في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ
الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الى الازواج بقوله وعاشروهن بالمعروف
او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بحفظ الله اياهن حيث
صيرهن كذلك والثاني واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن
طاعة الازواج والنشز المكان المرتفع عن ابن عباس رضي الله عنه هو ان تستخف
بحقوق زوجها ولا تطيع امره فعظوهن خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب
والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة واهجروهن في
المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف او هو كناية عن الجماع او هو ان يوليها
ظهره في المضجع لانه لم يقل عن المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح امر بوعظهن
اولا ثم بهجرانهن في المضاجع لانه لم يقل عن المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن
الوعظ والهجران فان اطعنكم بترك النشوز فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن
التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيت الامر اي طلبته ان الله
كان عليا كبيرا اي ان علت ايديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم اعظم من

قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهن او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على
علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن
يجني عليكم اذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا
بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار
واصله مكر في الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل
ما يشق على صاحبه او يميل الى شق اي ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين
ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء فابعثوا حكما من
اهله رجلا صالحا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما وحكما من اهلها وانما
كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح ونفوس الزوجين اسكن اليهم فيبرزان ما في ضمائرهما من الحب والبغض
وارادة الصحبة والفرقة والضمير في ان يريدا اصلاحا للحكمين وفي يوفق
الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة
بورك في وساطتهما واوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الالفة والوفاق و
القى في نفوسهما المودة والاتفاق او الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات
البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان
في طلب الوفاق حتى يتم المراد او الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما
وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق الوفاق
وبالبغضاء المودة ان الله كان عليما بارادة الحكمين خبيرا بالظالم من الزوجين
وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله واعبدوا الله قيل العبودية
اربعة الوفاء بالعهود والرضاء بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود
ولا تشركوا به شيئا صنما وغيره ويحتمل المصدر اي اشراكا وبالوالدين احسانا و
احسنوا بهما احسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج وبذي القربى
وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد او الجار القريب النسب
والجار الجنب الاجنبي والصاحب بالجنب اي الزوجة عن علي رضي الله عنه والذي
صحبك بان حصل بجنبك او رفيقا في سفر او شريكا في تعلم علم او عمل او قاعدا الى
جنبك في مجلس او مسجد وابن السبيل الغريب او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد

والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت
اليهم فخورا يعدد مناقبه كبرا فان عدها اعترافا كان شكورا الذين يبخلون
نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى من او على الذم او رفع
على انه خبر مبتداء تقديره هم الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بالبخل حمزة
وعلي وهما لغتان كالرشد والرشد اي يبخلون بذوات ايديهم وبما في ايدي
غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء وقيل البخل ان ياكل بنفسه ولا يوكل
غيره والشح ان لا ياكل ولا يوكل والسخاء ان ياكل ويوكل والجود ان يوكل ولا ياكل
ويكتمون ما اتيهم الله من فضله ويخفون ما انعم الله عليهم به من المال والسعة و
الحال وفي الحديث اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى اثر نعمته على عبده و
بنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين
ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك
فاعجبه كلامه قيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اي يهانون به في الاخرة والذين
ينفقون اموالهم معطوف على الذين او على الكافرين رئاء الناس مفعول له
اي للفخار وليقال ما اجودهم لا لابتغاء وجه الله وهم المنافقون او مشركوا
مكة ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء
قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان
يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما
رزقهم الله واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد
الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للعاق ما ضرك
لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ وكان الله بهم عليما
وعيدا ان الله لا يظلم مثقال ذرة هي النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضي الله
عنه انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة و
قيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وان تك حسنة وان تك مثقال
الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث حسنة حجازي على
كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال يضاعفها يضعف
ثوابها يضعفها مكي وشامي ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من

عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمي متاع
الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة مع ان له حسنات
فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد
فيشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اي على
امتك شهيدا حال اي شهيدا على من امن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى
من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا سورة النساء على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومئذ ظرف لقوله يود الذين كفروا بالله
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى
بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء او تصير البهائم
ترابا فيودون حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف احدى
التائين من تتسوى حمزة وعلي تسوى بادغام التاء في السين مدني وشامي ولا
يكتمون الله حديثا مستانف اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعى نفرا من الصحابة رضي الله عنهم
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فقدموا احدهم ليصلي بهم المغرب فقراء
اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد نزل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى اي لا تقربوها في هذه الحالة حتى تعلموا ما تقولون
اي تقرؤن وفيه دليل على ان ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين
بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما امر النبي صلى
الله عليه وسلم بالتفريق بينه وبين امراته ولا بتجديد الايمان ولان الامة
اجتمعت على من اجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره ولا جنبا
عطف على وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا
الصلوة سكارى ولا جنبا اي ولا تصلوا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل
صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين
غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه لا تقربوا الصلوة غير
مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن

المتيمم بالمسافر لان غالب حال عدم الماء وهذا مذهب ابي حنيفة رحمه الله
وهو مروي عن علي رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله لا تقربوا الصلوة
اي مواضع الصلوة وهي المساجد ولا جنبا ولا تقربوا المسجد جنبا الا عابري
سبيل الا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور في المساجد عند الحاجة وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط اي المطمئن من الارض
وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكني به عن الحدث او لامستم النساء جامعتموهن
كذا عن علي وابن عباس رضي الله عنه فلم تجدوا ماء تقدروا على استعماله
لعدمه وبعده او فقد آلة الوصول اليه او لمانع من حية او سبع او عدو فتيمموا
ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة
والجزاء الذي هو الامر بالتيمم يتعلق بهم جميعا فالمرضى اذا اعدموا الماء لضعف
حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والسفر اذا اعدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة
اذا لم يجدوه لبعض الاسباب فلهم ان يتيمموا او لمستم حمزة وعلي صعيدا قال
الزجاج هو وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم
يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن في سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض طيبا
طاهرا فامسحوا بوجوهكم وايديكم قيل الباء زائدة ان الله كان عفوا بالترخيص
والتيسير غفورا عن الخطاء والتقصير الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى
الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم ينظر اليهم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب حظا
من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو
البقاء على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله عليه وسلم وانه
هو النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون
السبيل اي سبيل الحق كما ضلوه والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم وكفى بالله وليا في النفع وكفى بالله نصيرا
في الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم و
يكفيكم مكرهم وليا ونصيرا منصوبان على التمييز او على الحال من الذين هادوا
بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او يتعلق بقوله
نصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا
او يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ ويحرفون

صفته

صفته له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم واقيم صفته
وهو يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه
كلما غيره فقد امالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها مقامه وذلك
نحو تحريفهم اسم ربعة عن مواضعه التي وضعه الله في التورية بوضعهم ادم طوال
مكانه ثم ذكر هنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه
على ما بينا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت
شهواتهم من ابدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو
جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه
ومقاره والمعنيان متقاربان ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك قيل اسروا
به واسمع قولنا غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين
يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع
شيئا فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة
او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع
شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضيه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح اي اسمع غير
مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم وراعنا يحتمل راعنا
نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون
بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه
بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا
بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه
من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا وطعنا في الدين هو قولهم لو كان
نبيا حقا لاخبر بما نعتقد فيه ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا ولم يقولوا وعصينا واسمع
واسمع ولم يلحقوا به غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم
عند الله واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم طردهم وابعدهم عن رحمته
بسبب اختيارهم الكفر فلا يؤمنون الا قليلا منهم قد آمنوا كعبد الله بن سلام واصحابه
او الا ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم
يؤمنوا نزل يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا يعني القرآن مصدقا

لما معكم يعني التوراة من قبل ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين
وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة
مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب
الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف
والاقفاء الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها
حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم
اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت اي نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان اريد
الوجهاء او الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد ان كان معلقا بان
لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشام فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم مسلما قبل ان ياتي اهله وقال ما كنت ارى ان اصل الى اهلي قبل
ان يطمس الله وجهي ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم
فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم فقد كان احد الامرين وان كان غيره
فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر في اليهود وكان امر الله
اي المامور به وهو العذاب الذي وعدوا به مفعولا كائنا لا محالة فلا بد ان يقع
احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ان مات عليه ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء اي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك
معفو عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه لمن لم يتب اي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك
ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال صلى الله عليه وسلم من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا
دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله تعالى
الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال علي رضي الله عنه ما في القرآن آية احب الي من
هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر معفو عنه بالتوبة لقوله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه اولى ان يغفر بالتوبة و
الآية سيقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا ومن يشرك بالله فقد افترى اثما
عظيما كذب كذبا عظيما استحق به عذابا اليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى
حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
الم تر الى الذين يزكون انفسهم ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء

العمل وزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي
التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكية
انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم فتيلا
قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الاصابع من الوسخ انظر كيف يفترون على الله
الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى به بزعمهم هذا اثما مبينا من بين
سائر آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اليهود يؤمنون
بالجبت اي الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم الى محمد صلى الله عليه وسلم
اقرب الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم
بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو
سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب انتم اهدى سبيلا اولئك الذين
لعنهم الله ابعدهم من رحمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يعتد بنصره ثم وصف
اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال
ام لهم نصيب من الملك فام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك اي ملك اهل الدنيا
او ملك الله فاذا لا يؤتون الناس احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة
في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار
الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد
العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب اي التوراة والحكمة
الموعظة والفقه وآتيناهم ملكا عظيما يعني ملك يوسف وداود وسليمان
عليهم السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم
الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما
اوتي اسلافه فمنهم من آمن به من اليهود ممن آمن بما ذكر من حديث آل

ابراهيم ومنهم من صدّ عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول
الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته واعرض عنه وكفى بجهنم سعيرا للصادين
ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم ندخلهم نارا كلما نضجت جلودهم
احترقت بدلناهم جلودا غيرها اعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير
لتغاير الهيئتين لا لتغاير الاصلين عند اهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل
يجعل النضيج غير نضيج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك
للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك ان الله كان عزيزا غالبا بالانتقام لا يمتنع
عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما فيما يفعل بالكافرين والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة من الانجاس والحيض والنفاس وندخلهم ظلا ظليلا هو صفة مشتقة
من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل هو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما
لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة
باداء الامانات والحكم بالعدل بقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها وقيل قد دخل في هذا الامر اداء الفرائض التي هي امانة الله تعالى التي
حملها الانسان وحفظ الحواس التي هي ودائع الله واذا حكمتم بين الناس قضيتم بامركم
ان تحكموا بالعدل بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن
الكعبة وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الاية
امر عليا رضي الله عنه بان يرده اليه وقال علي لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه
الاية فاسلم عثمان فهبط جبرئيل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان السدانة في اولاد عثمان ابدا ان الله نعما يعظكم به ما نكرة منصوبة موصوفة يعظكم
به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها اي نعم الشيء
الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور
به من اداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون وسكون العين مدني وابو عمرو
وبفتح النون وكسر العين شامي وحمزة وعلي ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا باعمالكم
ولما امر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم بقوله
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي الولاة
او العلماء لان امرهم ينفذ على الامراء فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم

واولوا الامر في شيء من امور الدين فردوه الى الله والرسول اي ارجعوا فيه الى الكتاب
والسنة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اي ان الايمان يوجب الطاعة
دون العصيان ودلت الاية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق واذا
خالفوه فلا طاعة لهم لقوله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق وحكي ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابي حازم الستم امرتم
بطاعتنا بقوله واولي الامر منكم فقال ابو حازم اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم
الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اي القرآن والرسول في حيوته والى
احاديثه بعد وفاته ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم
عاجلا واحسن تاويلا عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودي خصومة فدعاه
اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لا يرتشي ودعاه المنافق الى كعب
بن الاشرف ليرشوه واحتكما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي
فلم يرض المنافق وقال تعالى نتحاكم الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر رضي
الله عنه قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق
اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واخذ سيفه ثم
خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى
ورسوله فنزل الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك وقال جبرئيل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق يريدون حال من الضمير في يزعمون
ان يتحاكموا الى الطاغوت اي كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان
وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان او جعل اختيار التحاكم
الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله
وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم عن الحق ضلالا بعيدا
مستمرا الى الموت واذا قيل لهم للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
للتحاكم رايت المنافقين يصدون عنك صدودا يعرضون عنك الى غيرك
ليغروه بالرشوة فيقضي لهم فكيف تكون حالهم وكيف يصنعون اذا اصابتهم
مصيبة من قتل عمر رضي الله عنه بشرا بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم
لك في الحكم ثم جاؤك اي اصحاب القتيل من المنافقين يحلفون بالله حال

ان اردنا ما اردنا بتحاكمنا الي غيرك الا احسانا لا الاساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الي عمر الا ان يحسن الي صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فاعرض عن قبول الاعتذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ في وعظهم بالتخويف والانذار واعرض عن عقابهم وعظهم في عتابهم وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة ان يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه وفي انفسهم يتعلق بقل لهم اي قل لهم في معني انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول اي رسولا قط الا ليطاع باذن الله بتوفيقه في طاعته وتيسيره او بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه لانه موٴد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الي الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق فاستغفروا الله من النفاق والشقاق واستغفر لهم الرسول بالشفاعة لهم والعامل في اذ ظلموا اخبر ان وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الي طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان رحيما بهم قيل جاء اعرابي بعد دفنه صلى الله عليه وسلم فرمي بنفسه على قبره وحثا من ترابه على راسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل عليك ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الاية وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر الله ذنبي فاستغفر لي ذنبي من ربي فنودي من قبره قد غفر لك فلا وربك اي فو ربك كقوله فو ربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم وجواب القسم لا يؤمنون او التقدير فلا اي ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه

ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي لا تضيق صدورهم من حكمك او شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اي جعلها سالمة له خالصة وتسليما مصدر موٴكد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعني لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك ولو انا كتبنا عليهم على المنافقين اي لو وقع انا كتبنا عليهم ان اقتلوا ان هي المفسرة انفسكم اي تعرضوا للقتل بالجهاد او لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او اخرجوا من دياركم بالهجرة ما فعلوه لنفاقهم والهاء ضمير احد مصدري الفعلين وهو القتل او الخروج او ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليهم الا قليل منهم قليلا شامي على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لحكمه لكان خيرا لهم في الدارين واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما اي ثوابا كثيرا لا ينقطع ولهديناهم صراطا مفعول ثان مستقيما اي لثبتناهم على الدين الحق ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين كافاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذي يصدق قوله بفعله والشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله والصالحين من صلحت احوالهم وحسنت اعمالهم وحسن اولئك رفيقا اي وما احسن اولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ذلك مبتدا خبره الفضل من الله او الفضل صفته ومن الله خبره والمعني ان ما اعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله وكفى بالله عليما بعباده وبمن هو اهل الفضل ودلت الاية على ان ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو فانفروا

ثبات فاخرجوا الي العدو جماعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات
واحدها ثبة او انفروا جميعا اي مجتمعين او مع النبي صلى الله عليه وسلم لان الجمع
بدون السمع لايتم والعقد بدون الواسطة لاينتظم او انفروا ثبات اذا لم يعم
النفير او انفروا جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا واللام في وان
منكم لمن للابتداء بمنزلتها في ان الله لغفور ومن موصولة وفي ليبطئن جواب
قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة
من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن
عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ اي تأخر ويقال ما بطأ بك فيتعدى بالباء والخطاب
لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم اي في الظاهر دون الباطن
يعني المنافقين يقولون لم تقتلون انفسكم تأنوا حتى يظهر الامر فان اصابتكم
مصيبة قتل او هزيمة قال المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني
مثل ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن هذا المبطئ
متلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة كأن مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف اي كأنه لم يكن وبالتاء مكي وحفص بينكم وبينه مودة وهذا اعتراض
بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم والمعنى كأن لم
يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر وان كانوا
يبغون لهم الغوائل في الباطن فافوز بالنصب لانه جواب التمني فوزا عظيما
فآخذ من الغنيمة حظا وافرا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون يبيعون
الحيوة الدنيا بالآخرة والمراد المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة و
يستبدلونها بها اي ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال
فليقاتل الثابتون والمخلصون او يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون
الحيوة الدنيا بالآخرة ووعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان
بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا
به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين وما لكم مبتدأ وخبر وهذا
الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء وفي الاثبات للانكار لا تقاتلون
في سبيل الله حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول ما لك قائما والمعنى واي شيء

لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه والمستضعفين مجرور بالعطف على سبيل
الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين او منصوب على الاختصاص اي واختص
من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين
من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفين هم الذين اسلموا
بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون
منهم الاذى الشديد من الرجال والنساء والولدان ذكر الولدان تسجيلا بافراط
ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وبامهاتهم ولان
المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء
صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعلوا قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضي
الله عنه كنت انا وامي من المستضعفين الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية يعني مكة الظالم اهلها الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها
فاعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية
التي ظلم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا يتولى امرنا ويستنقذها من اعدائنا
واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حين جعل الله لهم من
لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم
اقوى النصر ولما خرج استعمل عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا
قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة ثم رغب المؤمنين بانهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم
يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان الذين امنوا يقاتلون في
سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي الشيطان فقاتلوا
اولياء الشيطان اي الكفار ان كيد الشيطان اي وساوسه وقيل الكيد السعي في
فساد الحال على جهة الاحتيال كان ضعيفا لانه غرور لا يؤول الى محصول او كيده
في مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة
وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فنزل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي
عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اي فرض بالمدينة
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخافون ان يقاتلهم الكفار كما يخافون

ان ينزل الله عليهم باسه لاشكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا ان ذلك
منهم كراهة لحكم الله وامره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا
وخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون
اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية
هو معطوف على الحال اي او اشد خشية من اهل خشية الله واو للتخيير اي ان قلت
خشيتهم للناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها اشد فانت مصيب وان
تقاتل مثلها وزيادة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل
قريب هلا امهلتنا الى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض
القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل اجيبوا
بقوله قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى متاع الدنيا قليل زائل و
متاع الاخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل
الزائل ولا تظلمون فتيلا ولا ينقصون ادنى شي من اجوركم على مشاق القتل
فلا ترغبوا عنه وبالياء مكي وحمزة وعلي ثم اخبر ان الحذر لا ينجي من القدر بقوله
اينما تكونوا يدرككم الموت ما زائدة لتوكيد معنى الشرط في اين ولو كنتم في بروج
حصون او قصور مشيدة مرفعة وان تصبهم حسنة نعمة من خصب و رخاء
يقولوا هذه من عند الله نسبوها الى الله وان تصبهم سيئة بلية من قحط و
شدة يقولوا هذه من عندك اضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت
الا بشومك وذلك ان المنافقين واليهود كانوا اذا اصابهم خير حمدوا الله و اذا
اصابهم مكروه نسبوه الى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله بقوله قل كل من
عند الله والمضاف اليه محذوف اي كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها فما
لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون يفهمون حديثا فيعلمون ان الله هو الباسط
القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما وقال
الزجاج المخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من حسنة من نعمة واحسان
فمن الله تفضلا وامتنانا وما اصابك من سيئة من بلية ومصيبة فمن نفسك
فمن عندك اي فبما كسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وارسلناك
للناس رسولا لا مقدرا حتى نسبوا اليك الشدة او ارسلناك للناس رسولا فاليك

تبليغ

تبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة وكفى بالله شهيدا بانك رسوله وقيل
هذا متصل بالاول اي لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك وحمل
المعتزلة الحسنة والسيئة في الاية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد
نادى عليه ما اصابك اذ يقال في الافعال ما اصبت ولانهم لا يقولون الحسنات
من الله خلقا وايجادا فانى يكون لهم حجة في ذلك وشهيدا تمييز من يطع الرسول
فقد اطاع الله لانه لا يامر ولا ينهى الا بما امر الله به ونهى عنه وكانت طاعته
في اوامره ونواهيه طاعة لله ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم
حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم ويقولون ويقول
المنافقون اذا امرتهم بشيء طاعة خبر مبتدا محذوف اي امرنا وشاننا طاعة
فاذا برزوا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم زور وسوى فهو من البيتوتة
لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل او من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها
وبالادغام حمزة وابو عمرو غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او
خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان
لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والله يكتب ما يبيتون يثبته في
صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه فاعرض عنهم لا تحدث نفسك بالانتقام منهم
وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر
الاسلام وكفى بالله وكيلا كافيا لمن توكل عليك افلا يتدبرون القران افلا يتاملون
في معانيه ومبانيه والتدبر التامل والنظر في ادبار الامر وما يؤول اليه في عاقبته
ثم استعمل في كل تامل والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا يرد قول
من زعم من الروافض ان القران لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول والامام المعصوم
ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد ولو كان من عند غير الله كما زعم
الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تناقضا كثيرا من حيث التوحيد والتشريك
والتحليل والتحريم او تفاوتا من حيث البلاغة وكان بعضه بالغا حد الاعجاز و
بعضه قاصرا عنه يمكن معارضته او من حيث المعاني فكان بعضه اخبارا بغيب قد
وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند
علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم واما تعلق الملحدة بايات يدعون
فيها الاختلاف فمن نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم

اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فقد تفضي عنها اهل الحق وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها ان شاء الله وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال او المنافقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل أَذَاعُوا بِهِ افشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال اذاع السر واذاع به والضمير يعود الى الامر او الى الامن او الخوف لان او يقتضي احدهما وَلَوْ رَدُّوهُ اي ذلك الخبر إِلَى الرَّسُولِ اي رسول الله صلى الله عليه وسلم وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ يعني كبار الصحابة رضي الله عنهم البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لَعَلِمَهُ لعلم تدبير ما اخبروا به الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحروب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء يخرج من البير اول ما يحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وَرَحْمَتُهُ بانزال الكتاب لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ لبقيتم على الكفر إِلَّا قَلِيلًا لا يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن ساعدة وغيرهما لما ذكر في الاي قبلها تثبطهم عن القتال و اظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ان افردوك وتركوك وحدك لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ وما عليك في شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير ان اطماع الكريم اعود من انجاز اللئيم وَاللَّهُ أَشَدُّ

بَأْسًا من قريش وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا تعذيبا وهو تمييز كاسا مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً هي الشفاعة في دفع شر او جلب نفع مع جوازها شرعا يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا من ثواب الشفاعة وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً وهي خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضي الله عنه ما الحسنة فسر غيري معناه من امر بالتوحيد وقاتل اهل الكفر وضدها السيئة من امر بالشرك وقاتل اهل الاسلام وقال الحسن هو المشي بالصلح وضده النميمة يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ نصيب مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا مقتدرا من اقات على الشيء اقتدر عليه او حفيظا من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها وَإِذَا حُيِّيتُمْ اي سلم عليكم فان التحية في ديننا بالسلام في الدارين فسلموا على انفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله اي اطال الله حيوتك فابدل ذلك بعد بالسلام بِتَحِيَّةٍ هي تفعلة من حيي يحيي تحية فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا اي قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وابركاته اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شيء منتهى ومنتهي السلام وبركاته أَوْ رُدُّوهَا او اجيبوا بمثلها ورد السلام جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف اي ردوا مثلها والتسليم سنة والرد فرض والاحسن فضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس اي لا تبقي ادواحهم مقدسة بل تخبث نفسهم بالذنب وردت عليهم الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا و رواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشي على القاعد و الراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل باحسن منها لاهل الملة او ردوها لاهل الذمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله صلى الله عليه وسلم لا غرار في تسليم اي لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها اللَّهُ مبتدأ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خبر او اعتراض والخبر لَيَجْمَعَنَّكُمْ ومعناه الله والله ليجمعنكم إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ اي ليحشرنكم اليه والقيامة و

الاسلام

القيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب يوم يقوم
الناس لرب العالمين لَا رَيْبَ فِيهِ وهو حال من يوم القيمة والهاء يعود الي اليوم
اوصفة لمصدر محذوف اي جمعًا لاريب فيه والهاء يعود الي الجمع وَمَنْ اَصْدَقُ
مِنَ اللّٰهِ حَدِيثًا تمييز وهو استفهام بمعني النفي اي لا احد اصدق منه في اخبار
ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه اخبارا عن الشيء بخلاف ما
هو عليه فَمَا لَكُمْ مبتداء وخبره فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ اي مالكم اختلفتم في شان قوم
قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين ومالكم لم تقطعوا القول بكفرهم
وروي ذلك ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الخروج الي البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين رحلة مرحلة
حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم
هم مسلمون وفئتين حال كقولك مالك قائما قال سيبويه اذا قلت مالك قائما
فمعناه لم قمت ونصبه على تاويل اي شيء يستقر لك في هذه الحالة وَاللّٰهُ اَرْكَسَهُمْ
ردهم الي حكم الكفار بِمَا كَسَبُوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردة وهم ايضا
ولا تختلفوا في كفرهم اَتُرِيدُونَ اَنْ تَهْدُوا اي تجعلوا من جملة المهتدين مَنْ اَضَلَّ
اللّٰهُ من جعله الله ضالا او اتريدون ان تسموهم مهتدين وقد اظهر الله ضلالهم
فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد
والخلق للرب جلت قدرته وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا طريقا الي الهدا
وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي ودوا
لو تكفرون كفرا مثل كفرهم فَتَكُونُونَ عطف على تكفرون سَوَاءً اي مستوين انتم وهم
في الكفر فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ اَوْلِيَاءَ حَتّٰى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فلا توالوهم حتى
يؤمنوا لان الهجرة في سبيل الله بالاسلام فَاِنْ تَوَلَّوْا عن الايمان فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ كما كان حكم سائر المشركين وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم اِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ اِلٰى قَوْمٍ اي
ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ القوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الي مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا
يعين عليه وعلى ان من وصل الي هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال اي

فاتلوهم

الا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق اَوْ جَاؤُكُمْ عطف على صفة قوم اي الا
الذين يصلون الي قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم
او على صلة الذين اي الا الذين يصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلوكم حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ حال باضمار والحصر الضيق والانقباض اَنْ يُقَاتِلُوكُمْ عن ان يقاتلوكم
اي عن قتالكم اَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ معكم وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ بتقوية
قلوبهم وازالة الحصر عنها فَلَقَاتَلُوكُمْ عطف على لسلطهم ودخول اللام للتاكيد
فَاِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فان لم يتعرضوا لكم فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَاَلْقَوْا اِلَيْكُمُ السَّلَمَ اي
الانقياد والاستسلام فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا طريقا الي القتال سَتَجِدُونَ
اٰخَرِينَ يُرِيدُونَ اَنْ يَاْمَنُوكُمْ بالنفاق وَيَاْمَنُوا قَوْمَهُمْ بالوفاق هم قوم من
اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا
الي قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كُلَّمَا رُدُّوا اِلَى الْفِتْنَةِ كلما دعاهم قومهم الي
قتال المسلمين اُرْكِسُوا فِيهَا قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا اشر فيها من كل عدو
فَاِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ فان لم يعتزلوا قتالكم وَيُلْقُوا اِلَيْكُمُ السَّلَمَ عطف على لم يعتزلوا
اي ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح وَيَكُفُّوا اَيْدِيَهُمْ عطف عليه ايضا اي ولم يمسكوا
عن قتالكم فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ حيث تمكنتم منهم وظفرتم
بهم وَاُولٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا حجة واضحة لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين او تسلطا ظاهرا حيث
اذنا لكم في قتلهم وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله اَنْ يَقْتُلَ
مُؤْمِنًا ابتداء من غير وجه قصاص اي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدم في صفة
اباحة دمه اِلَّا خَطَاءً الا على وجه الخطا وهو استثناء منقطع بمعنى لكن اي لكن
ان وقع موقع خطا ويحتمل ان يكون صفة لمصدر اي الا قتلا خطا والمعنى ان من
شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا
من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم
وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً صفة مصدر محذوف اي قتلا خطا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مبتدا
والخبر محذوف اي فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان
الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرمها
والرقبة النسمة ويعبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق

مؤمنة قيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في
جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات
اذ الرق اثر من اثار الكفر والكفر موت حكما اومن كان ميتا فاحييناه ولهذا منع من
تصرف الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب في العمد ايضا لكن يحتمل ان يقال
انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص
فاوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين
وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى
الله عليه وسلم امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة
والكفارة على القاتل الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية اي يعفوا عنه
والتقدير فعليه دية في كل حال الا في حال التصدق عليه بها فان كان من قوم
عدو لكم فان كان المقتول خطأ من قوم اعداء لكم اي كفرة فالعدو يطلق على
الجمع وهو مؤمن اي المقتول مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة يعني اذا اسلم الحربي في دار
الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة و
هو بالاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم توجد وان كان
اي المقتول من قوم بينكم بين المسلمين وبينهم ميثاق عهد فدية مسلمة الى اهله
وتحرير رقبة مؤمنة اي وان كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على
ان دية الذمي كدية المسلم وهو قولنا فمن لم يجد رقبة اي لم يملكها ولا ما يتوصل
به اليها فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله
ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فليتب توبة
فهي نصب على المصدر وكان الله عليما بما امر حكيما فيما قدر ومن يقتل مؤمنا متعمدا
حال من ضمير القاتل اي قاصدا قتله لايمانه وهو كفر او قتله مستحلا لقتله وهو
كفر ايضا فجزاؤه جهنم خالدا فيها اي ان جازاه قال صلى الله عليه وسلم هي جزاؤه
ان جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وغضب الله عليه و
لعنه اي انتقم منه وطرده من رحمته واعد له عذابا عظيما لارتكابه امرا عظيما و
خطبا جسيما في الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم يا ايها الذين

امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سرتم في طريق الغزو فتبينوا فتثبتوا حمزة
وعلي وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا
فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام السلم مدني وشامي وحمزة وهما من
الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست
مؤمنا في موضع النصب بالقول وروي ان مرداس بن نهيك اسلم ولم يسلم
من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقي مرداس
لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
به وكبروا نزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة
بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه
ارادة ما معه ثم قرأ الاية على اسامة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة
التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن
حال من تقتلونه والعرض المال سمي به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل
في تقولوا فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام و
يتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في
الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير
انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم والكاف في كذلك خبر كان وقد
تقدم عليها وعلى اسمها فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا
بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم فتبينوا كرر الامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله
كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي
القاعدون عن الجهاد من المؤمنين غير اولي الضرر بالنصب مدني وشامي وعلي
لانه استثناء من القاعدين او حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع
غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم عطف على القاعدون ونفي التساوي بين المجاهد
والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على
الرضا بالجهل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين ذكر هذه الجملة بيانا للجملة
الاولى موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب

بذلك درجة نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم
تفضيلة كقولك ضربه سوطا او نصب وكلا اي وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
لانه مفعول اول لقوله وعد الله والثاني الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان
كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وفضل الله المجاهدين على
القاعدين بغير عذر اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة قيل انتصب اجرا بفضل
لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا وانتصب درجات
نصب درجة كانه قيل فضلهم تفضيلات كقولك ضربه اسواطا اي ضربات
واجرا عظيما على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها ومغفرة ورحمة
باضمار فعليهما اي وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة وحاصله ان الله فضل المجاهدين
على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بامر النبي صلى الله عليه و
سلم اكتفاء بغيرهم درجات لان الجهاد فرض كفاية وكان الله غفورا بتكفير
العذر رحيما بتوفير الاجر ونزل فيمن اسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة
وخرج مع المشركين الى بدر حتى قتل كافرا ان الذين توفيهم الملائكة يجوز
ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفيهم وحذفت التاء
الثانية لاجتماع التائين والتوفي قبض الروح والملائكة ملك الموت واعوانه ظالمي انفسهم
حال من ضمير المفعول في توفيهم اي في حال ظلمهم انفسهم بالكفر وترك الهجرة قالوا
قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم ومعناه التوبيخ بانهم
لم يكونوا في شيء من الدين قالوا كنا مستضعفين عاجزين عن الهجرة في الارض ارض
مكة فاخرجونا كارهين قالوا اي الملائكة موبخين لهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون
فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب فتهاجروا
على جواب الاستفهام فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا خبر ان فاولئك ودخول
الفاء لما في الذين من الابهام المشابه بالشرط او قالوا فيم كنتم والعائد محذوف
اي قالوا لهم والاية تدل على ان من لم يتمكن من اقامة دينه في بلد كما يجب وعلم انه
يتمكن من اقامته في غيره حقت عليه المهاجرة وفي الحديث من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه
عليه السلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثني من اهل الوعيد

المستضعفين

المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج منها لفقرهم وعجزهم ولا
يهتدون سبيلا ولا معرفتهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين او
للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه
حرف التعريف فليس بشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فاولئك عسى الله
ان يعفو عنهم وعسى وان كان للاطماع فهو من الله واجب لان الكريم اذا اطمع انجز
وكان الله عفوا غفورا لعباده قبل ان يخلقهم ومن يهاجر في سبيل الله يجد في
الارض مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم
الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا
فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك كثيرا وسعة في الرزق او في
اظهار الدين او في الصدر لتبدل الخوف بالامن ومن يخرج من بيته مهاجرا حال من
الضمير في يخرج الى الله ورسوله الى حيث امر الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغ
مهاجره وهو عطف على يخرج فقد وقع اجره على الله اي حصل له الاجر بوعد الله
وهو تاكيد للوعد فلا يجب شيء على الله لاحد من خلقه وكان الله غفورا رحيما
قالوا كل هجرة لطلب علم او حج او جهاد او فرارا الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة
او زهدا او ابتغاء رزق طيب فهو هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه
فقد وقع اجره على الله واذا ضربتم في الارض سافرتم فيها فالضرب في الارض هو
السفر فليس عليكم جناح حرج ان تقصروا في ان تقصروا من الصلوة من اعداد
ركعات الصلوة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الاية يقتضي ان القصر رخصة
في السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعي رحمه الله لان لا جناح يستعمل في موضع
التخفيف والرخصة لا في موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز
الاكمال لقول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم
صلى الله عليه وسلم واما الاية فكانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم
ان عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان خشيتم ان يقصدكم الكفار بقتل او جرح او
اخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط
لما روي عن يعلى بن امية انه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد امنا فقال عجبت مما عجبت
منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم

فاقبلوا صدقته وفيه دليل على انه لا يجوز الاكمال في السفر لان المتصدق بما لا يحتمل
التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد فان كان المتصدق بمن لا يلزم طاعته كولي
القصاص اذا عفا فمن يلزم طاعته اولى ولانهم حين نزول الآية كذلك
فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان اردن تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلوة
ان يفتنكم اي لئلا يفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يومي على
الدابة عند الخوف او يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا فتحرزوا عنهم واذا
كنت يا محمد فيهم في اصحابك فاقمت لهم الصلوة فاردت ان تقيم بهم الصلوة
وبظاهره تعلق ابو يوسف رحمه الله فلا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه و
سلم وقالا الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب
له متناولا لكل امام كقوله خذ من اموالهم صدقة دليله فعل الصحابة رضي الله عنهم
بعده صلى الله عليه وسلم فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم
طائفة اصحابك معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم
اي الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضي الله عنهما وان كان المراد به المصلين فقالوا
يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما فاذا سجدوا
اي قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلوة
فليكونوا من ورائكم اي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا ليقفوا
بازاء العدو ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا في موضع رفع صفة لطائفة فليصلوا
معك اي وليحضروا الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية
وليأخذوا حذرهم ما يتحذرون به من العدو كالدرع ونحوه واسلحتهم جمع
سلاح وهو ما يقاتل به واخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله وعندنا مستحب
وكيفية صلوة الخوف معروفة ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و
امتعتكم اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
فيشدون عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او
كنتم مرضى ان تضعوا في ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم رخص لهم
في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض
وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين

عذابا مهينا اخبر انه مهين عدوهم ليقوي قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر
ليس لتوقع غلبتهم عليهم انما هو تعبد من الله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فرغتم
منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي دوموا على ذكر الله في جميع الاحوال
او فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن
القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود فاذا اطمأننتم سكنتم بزوال الخوف
فاقيموا الصلوة فاتموها بطائفة واحدة او اذا اقمتم فاتموا ولا تقصروا او اذا
اطمأننتم بالصحة فاتموا بالقيام والقعود والركوع والسجود ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبا محدودا باوقات معلومة ولا تهنوا ولا
تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب القوم الكفار بالقتال والتعرض
به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون اي ليس ما تجدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم بل هو
مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون
مثل صبرهم مع انكم اجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من
اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وكان الله عليما
بما يجد المؤمنين من الالم حكيما في تدبير امورهم روي ان طعمة بن ابيرق احد
بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن نعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق
ينتشر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا
اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا و
افتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي محقا لتحكم بين الناس بما اراك الله بما عرفك واوحي
به اليك وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله بما الهمك الله بالنظر في الاصول المنزلة
وفيه دلالة لجواز الاجتهاد في حقه ولا تكن للخائنين لاجل الخائنين خصيما مخاصما
اي ولا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية جعلت معصية

العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه
من قومه وهم يعلمون انه سارق او ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانة
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما وانما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم من طعمة انه
مفرط في الخيانة وركوب المآثم وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا
بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة
فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه
تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يواخذ
عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا
يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء
والخشية من ربهم مع علمهم انهم في حضرته لا سترة ولا غيبة اذ يبيتون يدبرون
واصله ان يكون ليلا ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار
زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها وهو دليل على ان الكلام هو المعنى القائم
بالنفس حيث سمي التدبير قولا وكان الله بما يعملون محيطا عالما علم احاطة ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر جادلتم عنهم خاصمتم وهي جملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا كقولك لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك او اولاء اسم موصول
بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الحيوة
الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم
الله بعذابه وقرئ عنه اي عن طعمة ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس
الله وعذابه ومن يعمل سوءا ذنبا دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك او سوءا قبيحا
يتعدى ضرره الى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص
به كالحلف الكاذب ثم يستغفر الله يسأل مغفرته يجد الله غفورا رحيما له و
هذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه
لان وباله عليها وكان الله عليما حكيما فلا يعاقب بالذنب غير فاعله ومن يكسب
خطيئة صغيرة او اثما كبيرة او الاول ذنب بينه وبين ربه والثاني ذنب من
مظالم العباد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا كذبا عظيما
واثما مبينا ذنبا ظاهرا وهذا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين

الامرين والبهتان كذب يبهت من قيل ما لا علم له به ولولا فضل الله عليكم و
رحمته اي عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر
او المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير في منهم يعود الى الناس ان يضلوك عن
القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني صاحبهم وما يضلون
الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال
وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب
القرآن والحكمة والسنة وعلمك ما لم تكن تعلم من امور الدين والشرائع او من
خفيات الامور وضمائر القلوب وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك وانعم
عليك لا خير في كثير من نجويهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى
من امر وهو مجرور بدل من كثير او من نجويهم او منصوب على الانقطاع بمعنى و
لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او معروف اي قرض او اغاثة ملهوف او كل جميل
او المراد بالصدقة الزكوة وبالمعروف التطوع او اصلاح بين الناس اي اصلاح
ذات البين ومن يفعل ذلك المذكور ابتغاء مرضات الله طلب رضاء الله وخرج
عنه من فعل ذلك رياء او ترؤسا وهو مفعول له والاشكال انه قال الا من امر
ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب انه ذكر الامر بالخير ليدل على فاعله لانه اذا دخل
الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر
الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم او المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر
بالفعل فسوف نؤتيه اجرا عظيما يؤتيه ابو عمرو وحمزة ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل و
ظهور الرشد ويتبع غير سبيل المؤمنين اي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنفي
وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة
لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول صلى الله عليه
وسلم في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول
صلى الله عليه وسلم نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره
في الدنيا ونصله جهنم في العقبى وساءت مصيرا قيل هي في طعمة وارتداده ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مر تفسيره في هذه السورة
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الصواب ان يدعون من دونه

ما يعبدون من دون الله الا اناثا هي جمع انثى وهي اللات والعزى ومناة ولم
تكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم
كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وان يدعون ما يعبدون الا شيطانا
لانه هو الذي اغراهم على عبادة الاصنام فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا
خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامرد لعنه الله وقال لاتخذن
صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع من عبادك
نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا الي من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد
لله ولاضلنهم بالدعاء الي الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان انقياد الضلال له
اليه لاضل الكل ولامنينهم ولالقين في قلوبهم الاماني الباطلة من طول الاعمار
وبلوغ الآمال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام البتك القطع والتبتيك للتكثير
والتكرير اي لاحملنهم على ان يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون آذان الناقة
اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا حرموا على انفسهم الانتفاع بها ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب او بالخصاء وهو مباح في
البهائم محظور في بني آدم او بالوشم او بنفي الانساب واستلحاقها او بتغيير الشيب
بالسواد البهائم والتحليل او بالتخنث او بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله
لا تبديل لخلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله واجاب الي ما دعاه
اليه فقد خسر خسرانا مبينا في الدارين يعدهم يوسوس لهم ان لا جنة ولا نار
ولا بعث ولا حساب ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
هو ان يري شيئا يظهر خلافه اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا
معدلا ومفرا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يتبع الشيطان في الامر بالكفر
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ النخعي سيدخلهم
وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق
من الله قيلا قولا وهو استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه وهو تاكيد ثالث
وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق
لاوليائه ليس بامانيكم ليس الامر على شهواتكم واما نيكم ايها المشركون ان ينفعكم
الاصنام ولا اماني اهل الكتاب ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة من يعمل سوءا يجز به اي من

المشركين واهل الكتاب بدليل قوله ولا يجدون له من دون الله وليا ولا نصيرا
وهذا وعيد للكفار ولانه قال بعده ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى
وهو مؤمن فقوله وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعيض والثانية لبيان الابهام
فيمن يعمل وفيه اشارة الي ان الاعمال ليست من الايمان فاولئك يدخلون الجنة
يدخلون مكي وابو عمرو وابو بكر ولا يظلمون نقيرا قدر النقير وهو النقرة
في ظهر النواة والراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا و
جاز ان يكون ذكره عند احد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله من يعمل
سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب كقوله بلى
من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو
محسن عامل للحسنات واتبع ملة ابراهيم حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة و
هو حال من المتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا هو في الاصل المخال
وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يداخلك خلال منازلك او يسد خللك
كما تسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة اصفى
لانها من حبة القلب وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث
جمة وفائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الزلفى عند
الله ان اتخذه خليلا كان جديرا ان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة
على ما قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام
وافشائه السلام وصلوته بالليل والناس نيام وقيل اوحي اليه انما اتخذتك خليلا
لانك تحب ان تعطي ولا تعطى وفي رواية لانك تعطي الناس ولا تسألهم وفي
قوله ولله ما في السموات وما في الارض دليل على ان اتخاذه خليلا لاحتياج الخليل
اليه لا لاحتياجه تعالى لانه منزه عن ذلك وكان الله بكل شيء محيطا علما
ويستفتونك في النساء ويسألونك الافتاء في النساء والافتاء تبيين المبهم
قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اي الله يفتيكم
والمتلو في الكتاب اي القرآن في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في
اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه وما يتلى في محل الرفع بالعطف على الضمير

في يفتيكم او على لفظ الله وفي يتامى النسآء صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن
ويجوز ان يكون في يتامى النسآء بدلاً من فيهن والاضافة بمعنى من اللاتي لا
تؤتونهن ما كتب لهن ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة
الي نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت ذميمة عضلها
عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لجمالهن
اوعن ان تنكحوهن لذمامتهن والمستضعفين من الولدان اي اليتامى وهو مجرور
معطوف على يتامى النسآء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور
دون الاطفال والنسآء وان تقوموا لليتامى مجرور كالمستضعفين معنى يفتيكم في
يتامى النسآء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا اومنصوب بمعنى ويامركم ان تقوموا
وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم بالقسط بالعدل
في ميراثهم وما لهم وما تفعلوا من خير شرط وجوابه فان الله كان به عليما
اي فيجازيكم عليه وان امرأة خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك بما لاح لها
من مخايله واماراته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقتها وان يوذيها
بسب اوضرب او اعراضا عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن او دمامة
اوسوء في خلق او خلق اوملال اوطموح عين الى اخرى اوغير ذلك فلا جناح عليهما
ان يصلحا بينهما كوفي يصالحا غيرهم اي يتصالحا وهو اصله فابدلت التاء صادا
وادغمت صلحا في معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح ان يتصالحا على
ان تطيب له نفسا عن القسمة اوعن بعضها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة
والصلح خير من الفرقة او من النشوز او من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من
الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله واحضرت الانفس
الشح اي جعل الشح حاضرا لها لا تغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعني انها مطبوعة
عليه والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها والرجل لا يكاد نفسه تسمح بان يقسم
لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته واحضرت يتعدى الى
المفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله وان
تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة
فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم عليه وكان

عمران

عمران الخارجي بن حطان من اذم بني آدم وامرأته من اجملهم فنظرت اليه وقالت
الحمد لله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلي فشكرت
ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النسآء ولن تستطيعوا العدل بين النسآء والتسوية حتى لا يقع ميل
البتة فتمام العدل ان يسوى بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر و
الاقبال والممالحة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وكان صلى
الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني
فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه ولو حرصتم
بالغتم في تحري ذلك فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا كل الجور فتمنعوها قسمتها
من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا فيه ان وقع
منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له
حكم ما يضاف اليه فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة
وان تصلحوا بينهن وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ميل
قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم وان يتفرقا اي ان لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرقا
بالخلع او بتطليقة اياها وايفائه مهرها ونفقة عدتها يغن الله كلا كل واحد
منهما من سعته من غناه اي يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه.
وكان الله واسعا بتحليل النكاح حكيما بالاذن في السراح فالسعة الغناء والقدرة
والواسع الغني المقتدر ثم بين غناه وقدرته بقوله ولله ما في السموات وما في
الارض خلقا والمتملكون عبيده رقا ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
هم اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية من قبلكم من الامم السالفة وهو متعلق
بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا ان اتقوا الله بان اتقوا او يكون
ان المفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة ما زال يوصي
الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وان تكفروا
عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا
فان لله ما في السموات وما في الارض وكان غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا
مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده واحد وتكرير قوله لله ما في السموات وما
في الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم

على المرغوب عنهما

فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي وفيه دليل على ان التقوى اصل الخير كله وقوله
وان تكفروا عقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم
وبين قدرته بقوله ان يشأ يذهبكم يعدمكم ايها الناس ويأت باخرين و
يوجد انسانا اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان الله على ذلك قديرا
بليغ القدرة من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما و
كان الله سميعا للاقوال بصيرا بالافعال وهو وعد ووعيد يا ايها الذين امنوا
كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء خبر بعد خبر لله اي
تقيمون شهاداتكم لوجه الله ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم والشهادة
على نفسه هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وهذا لان الدعوى
والشهادة والاقرار يشترك جميعا في الاخبار عن حق لاحد على احد غير ان الدعوى اخبار
عن حق لنفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير او الوالدين
والاقربين اي ولو كانت الشهادة على ابائكم وامهاتكم واقاربكم ان يكن المشهود عليه
غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى
بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما والرحمة وانما ثنى الضمير في بهما وكان حقه ان يوحد
لان المعنى ان يكون احد هذين لانه يرجع الى ما دل عليه ان يكون غنيا او فقيرا وهو
جنس الغني والفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء
فلا تتبعوا الهوى ارادة ان تعدلوا عن الحق من العدول او كراهة ان تعدلوا بين الناس
من العدل وان تلوا بواو واحدة وضم اللام شامي وحمزة من الولاية او تعرضوا اي وان
وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها غيرهما تلووا بواوين وسكون اللام من
اللي اي وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما
عندكم وتمنعوها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب
للمسلمين امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه او لاهل الكتاب لانهم امنوا ببعض الكتب و
الرسل وكفروا ببعض او للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا بالله و
رسوله اي محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذي نزل على رسوله اي القران و
الكتاب الذي انزل من قبل اي جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب ويدل عليه

قوله

قوله وكتبه نزل وانزل مكي وشامي وابو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم وانما
قيل نزل على رسوله وانزل من قبل لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف
الكتب قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من
ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه كفر بكله ان الذين امنوا بموسى عليه
السلام ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بموسى بعد عوده ثم كفروا بعيسى عليه
السلام ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا الى النجاة او الى الجنة او هم المنافقون امنوا في الظاهر وكفروا في السر
مرة بعد اخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله بشر المنافقين
اي اخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم بان لهم عذابا اليما مولما الذين نصب على
الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين ايبتغون عندهم كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنفعة
والنصرة ويقولون لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فان العزة لله جميعا ولمن
اعزه كالنبي والمؤمنين كما قال الله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم
بفتح النون عاصم وبضمها غيره في الكتاب القران ان اذا سمعتم ايات الله يكفر
بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره حتى يشرعوا في كلام غير الكفر و
الاستهزاء بالقران والخوض الشروع وان مخففة عن الثقيلة اي انه اذا سمعتم اي
نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في
حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل والمنزل عليهم في الكتاب
هو ما نزل عليكم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القران في مجالسهم
فيستهزؤن به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان
المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما
نهوا عن مجالسة المشركين بمكة انكم اذا مثلهم اي في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يرد
به التمثيل من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية ان
الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء الذين
بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم
ينتظرون ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله نصر وغنيمة

العزة

حديث غيره

قالوا ألم نكن معكم مظاهرين فاشركونا في الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب
سمي ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم لأنه امر عظيم يفتح له ابواب السماء وظفر
الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لأنه لمظة من الدنيا يصيبونها قالوا للكفار ألم
نستحوذ عليكم اي ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء
والغلبة ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم
به ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم
فالله يحكم بينكم ايها المؤمنون والمنافقون يوم القيمة فيدخل المنافقين النار
والمؤمنين الجنة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اي في القيمة بدليل
اول الاية كذا عن علي رضي الله عنه او حجة كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين
يخادعون الله اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر فالمنافق
من اظهر الايمان وابطن الكفر واولياء الله وهم المؤمنون فاضاف خداعهم الى
نفسه تشريفا لهم وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث
تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار
في العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه
وقيل يجزيهم جزاء خداعهم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كراهة واما
الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى في سكران يراؤون الناس
حال اي يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة والمراآة مفاعلة من الرؤية لأن
المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون
الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس او لا يذكرون الله بالتسبيح
والتهليل الا ذكرا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا
مذبذبين نصب على الذم اي مترددين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين
الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب
على كلي الجانبين اي يدفع فلا يقر في جانب واحد الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في
الذب بين ذلك بين الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا
مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا طريقا الى الهدى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة في تعذيبكم ان المنافقين

سلطانا مبينا

في الدرك الاسفل من النار اي في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات
سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وانما كان المنافق اشد
عذابا من الكافر لأنه امن السيف في الدرك الاسفل في العقبى تعديلا ولانه
مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله والدرك بسكون الراء
كوفي غير الاعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج ان الاختيار فتح
الراء ولن تجد لهم نصيرا يمنعهم من العذاب الا الذين تابوا من النفاق وهو استثناء
من الضمير المجرور في ولن تجد لهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في
حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم
لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم
في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط
هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ما منصوب بيفعل اي اي شيء يفعل بعذابكم فالا
معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عناد فلذا يستحق
الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة
في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم
آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكان الله شاكرا
ليجزيكم على شكركم او يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب عليما عالما
بما تصنعون لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ولا غير الجهر ولكن الجهر افحش الا من
ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو
على الظالم او يذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا
من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه وكان الله
سميعا لشكوى المظلوم عليما بظلم الظالم ثم حث على العفو وان لم يجهر احد
لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعدما اطلق الجهر به حثا على الافضل
وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو فقال ان تبدوا خيرا كما تجهر السوء
او تخفوه فتعملوا سرا ثم عطف العفو عليهما فقال او تعفوا عن سوء اي تمحوه عن
قلوبكم والدليل على ان العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله
كان عفوا قديرا اي انه لم يزل يعفو عن الاثام مع قدرته على الانتقام فعليكم

الدنيا فاستحق

اجرا عظيما

ان تفتقدوا بسنته ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه
عليهما والانجيل والقرأن والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرأن و
يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة
بينهما اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل
حقا تاكيد بمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم
كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا
لا شك فيه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا في الاخرة والذين امنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم وانما جاز دخول بين على احد لانه عام في الواحد المذكر
والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما اولئك سوف يؤتيهم وبالياء حفص اجورهم
اي الثواب الموعود لهم وكان الله غفورا يستر السيئات رحيما يقبل الحسنات
والاية تدل على بطلان قول المعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة لانه اخبر انه من آمن
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يؤته اجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله
ورسله ولم يفرق بين احد منهم فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول
بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا رحيما وهم
يقولون ما كان غفورا رحيما في الازل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص واصحابه
للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السما جملة كما اتى به موسى
عليه السلام نزل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم بالتخفيف مكي وابو عمرو كتابا
من السما اي جملة كما نزلت التورية جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال
الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرأن جملة ممكن فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من ابائهم في ايام موسى
عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم
فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة فاخذتهم الصاعقة العذاب الهائل
او النار المحرقة بظلمهم على انفسهم بسؤال الشيء في غير موضعه او بالتحكم على نبيهم في
الايات وتعنتهم في سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لانها ممكنة كانزال القرآن جملة و
لو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى عليه السلام بذلك احق فانه قال رب

ونكفر ببعض

ارني

ارني انظر اليك وما اخذته الصاعقة بل اطمعه وقيده بالممكن ولا تتعلق بالممكن الا
ما هو ممكن الثبوت ثم احياهم ثم اتخذوا العجل الها من بعد ما جاءتهم البينات
التورية والمعجزات التسع فعفونا عن ذلك تفضلا ولم نستاصلهم وآتينا موسى
سلطانا مبينا حجة ظاهرة على من خالفه ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليخافوه فلا ينقضوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا والطور مظل عليهم اي ادخلوا
باب ايليا مطأطئين عند الدخول رؤسكم وقلنا لهم لا تعدوا لا تجاوزوا
الحد في السبت تعدّوا ورش تعْدّوا باسكان العين وتشديد الدال مدني غير
ورش وهما مدغما وهي قراءة ابي لانه ادغم التاء في الدال وبقي العين ساكنة
في دراية وفي رواية نقل فتحة التاء الى العين وتشديد الدال مدني غير ورش
في السبت باخذ السمك واخذنا منهم ميثاقا غليظا عهدا مؤكدا فبما نقضهم
اي فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات تقديره
حرمنا عليهم طيبات بنقضهم ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل
من قوله فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن الا
بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك وكفرهم بآيات
الله اي معجزات موسى عليه السلام وقتلهم الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم
السلام بغير حق بغير سبب يستحقون القتل وقولهم قلوبنا غلف جمع
اغلف اي محجوبة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والوعظ بل طبع الله عليها بكفرهم هو
رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فلا يؤمنون الا قليلا كعبد الله بن سلام واصحابه
وبكفرهم معطوف على فبما نقضهم او على ما يليه من قوله بكفرهم ولما تكرر منهم الكفر
لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم عطف بعض كفرهم
على بعض وقولهم على مريم بهتانا عظيما هو النسبة الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح سمي
مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح او لانه كان يمسح المريض
والاكمه والابرص فيبرأ فسمي مسيحا بمعنى الماسح عيسى ابن مريم رسول الله
هم لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوه استهزاء كقول الكفار لرسولنا صلى الله عليه
وسلم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه به وان لم يقولوا
ذلك وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا
امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي

فسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بان
يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقي عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقي عليه شبهه فقتل
وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى عليه السلام فلما اراد وا قتله قال انا ادلكم
عليه فدخل بيت عيسى و رفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه
وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعنتين حكم الله بانهم لا يؤمنون و
شبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم
التشبيه او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه قيل ولكن شبه لهم
من قتلوه وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ في عيسى يعني اليهود قالوا ان الوجه وجه عيسى
والبدن بدن صاحبنا واختلف النصارى قالوا اله وابن اله وثالث ثلثة لَفِي
شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من
جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يترجح احد
الجانبين ثم وصفوا بالظن وهو ان يترجح احدهما لان المراد انهم شاكون ما لهم
به من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وقيل وان الذين اختلفوا فيه
اي في قتله لفي شك منه اي من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا اي قتلا يقينا
او ما قتلوه متيقنين او ما قتلوه حقا فجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه اي حق
انتفاء قتله حقا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ الى حيث لا حكم فيه لغير الله او الى السماء وَكَانَ
اللَّهُ عَزِيزًا في انتقامه من اليهود حَكِيمًا فيما دبر من رفعه اليه وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا
لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان
من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما من
اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا
عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف والضمير ان
لعيسى يعني وانه ما منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين
يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام او الضمير في به يرجع
الى الله او الى محمد صلى الله عليه وسلم والثاني الى الكتابي وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

شهيدا

شَهِيدًا اي يشهد على اليهود بانهم كذبوا وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فَبِظُلْمٍ مِنَ
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وهي ما ذكر في سورة الانعام وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية ومعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم
ارتكبوه وهو ما عدد قبل هذا وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وبمنعهم عن الايمان كَثِيرًا
خلقا كثيرا او صدا كثيرا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ كان الربوا محرما عليهم
كما حرم علينا وكانوا يتعاطونه وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بالرشوة وسائر الوجوه
المحرمة وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ دون من امن عَذَابًا أَلِيمًا في الاخرة لَكِنِ الرَّاسِخُونَ
فِي الْعِلْمِ اي الثابتون فيه المتقنون كابن سلام واضرابه مِنْهُمْ من اهل الكتاب
وَالْمُؤْمِنُونَ اي المؤمنون منهم او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون
على الابتداء يُؤْمِنُونَ خبره بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ اي القران وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ اي سائر
الكتب وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ منصوب على المدح لبيان فضل الصلوة وفي مصحف عبد الله
والمقيمون وهي قراءة مالك بن دينار وغيره وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ مبتداء وَالْمُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ عطف عليه والخبر أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا وبالياء حمزة إِنَّا
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ جواب اهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل
عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء
الذين سلفوا كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ كهود وصالح وشعيب وغيرهم
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ اي اولاد
يعقوب وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا
حمزة مصدر بمعنى مفعول سمي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام وَرُسُلًا
نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ هذه السورة وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ سأل ابوذر رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قال كم الرسل
منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر اول الرسل ادم واخرهم نبيكم محمد واربعة من
العرب هود وصالح وشعيب ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم والاية تدل
على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه ان يؤمن بهم
جميعا اذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطا لقص علينا ذلك وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا اي بلا واسطة رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ الاوجه ان ينتصب على المدح اي

اعني رسلا ويجوز ان يكون بدلاً من الاول وان يكون مفعولاً اي وارسلنا رسلاً
واللام في لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يتعلق بمبشرين ومنذرين
والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولاً فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له ويعلمنا ما سبيل
معرفته السمع كالعبادات والشرائع اعني في حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها
دون اصولها فانها مما تعرف بالعقل وكان الله عزيزا في العقاب على الانكار
حكيما في بعث الرسل للانذار ولما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا
فنزل لكن الله يشهد بما انزل اليك ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار
المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات اذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة انزله
بعلمه اي انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وانزله بما علم
من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه اثبت لنفسه
العلم والملائكة يشهدون لك بالنبوة وكفى بالله شهيدا شاهدا وان لم
يشهد غيره ان الذين كفروا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا
عن سبيل الله ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب انا لا نجده في كتابنا قد
ضلوا ضلالا بعيدا عن الرشد ان الذين كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم
بتغيير نعته وانكار نبوته لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا على الكفر ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا وكان تخليدهم
في جهنم سهلا عليه والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والاتيان في قوم
علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر يا ايها الناس قد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم اي بالاسلام او هو حال اي محقا فامنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا
خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث
علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا واتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر والتثليث وهو الايمان بالله والتوحيد وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض فلا يضره كفركم وكان الله عليما بمن يؤمن وبمن يكفر حكيما لا يسوي
بينهما في الجزاء يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم لا تجاوزوا الحد فغلت اليهود
في حط المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلت النصارى في رفعه عن مقداره
حيث جعلوه ابن الله ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشرك والولد انما

المسيح عيسى ابن مريم لا ابن الله رسول الله خبر المبتدا، وهو المسيح وعيسى عطف
بيان او بدل وكلمته عطف على رسول الله وقيل له كلمة انه يهتدي به كما يهتدى بالكلام
القيها الى مريم حال وقد معه مرادة اي اوصلها اليها وحصلها فيها وروح
معطوف على الخبر ايضا وقيل له روح لانه كان يحيي الموتى كما سمي القرآن روحا بقوله
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لما انه يحيي القلوب منه اي بتخليقه وتكوينه
كقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وبه اجاب علي بن الحسين
بن واقد غلاما نصرانيا كان للرشيد في مجلسه حيث زعم ان في كتابكم حجة على ان
عيسى من الله فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة خبر مبتدا محذوف اي ولا
تقولوا الالهة ثلثة انتهوا عن التثليث خيرا لكم والذي يدل عليه القرآن
التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم
الا ترى الى قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله انما الله مبتدا اله خبره واحد توكيد سبحانه ان يكون
له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض بيان
لتنزهه مما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا
منه اذ النبوة والملك لا يجتمعان على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو يتعالى عن
ان يكون جسما وكفى بالله وكيلا حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية
امر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم
تعيب صاحبنا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه
ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى نزل لن يستنكف المسيح لن يانف ان يكون
عبدا لله هو رد على النصارى ولا الملائكة رد على من يعبدهم من العرب وهو
عطف على المسيح المقربون اي الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل
واسرافيل ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله
فحذف ذلك لدلالة عبدا لله ايجازا وتشبث المعتزلة والقائلون بتفضيل
الملك على البشر بهذه الآية وقالوا الارتقاء انما يكون الى الاعلى يقال فلان لا
يستنكف عن خدمتي ولا ابوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة
ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب
انا لا نسلم تفضيل الثاني على الاول لكن هذا لا يمس ما تنازعنا فيه لان الآية تدل

على ان الملائكة المقربين باجمعهم افضل من عيسي ونحن نسلم بان جميع الملائكة
المقربين افضل من رسول واحد من البشر الي هذا ذهب بعض اهل السنة ولان
المراد ان الملائكة مع مالهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية
وتجردهم عن التولد الازدواجي راسًا لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن
تولد من آخر لا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شدة البطش
وسعة العلوم وغرابة التكون هي التي تورث للحمقى امثال النصارى وهم
الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير اب وهو يبري الاكمه و الابرص
ويحيى الموتى وينبئ بما ياكلون ويدخرون في بيوتهم فبرؤوه من العبودية فقيل لهم
هذه الاوصاف في الملائكة اتم منها في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا من العبودية
فكيف المسيح والحاصل ان خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام افضل من خواص
الملائكة وهم الرسل منهم كجبرئيل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة
افضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر افضل من عوام الملائكة
ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء انهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله
تعالى مع انهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة في العصمة و
تفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية فكانت طاعتهم
اشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها فكانت ازيد
ثوابًا بالحديث ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يترفع ويطلب الكبرياء ه
فسيحشرهم اليه جميعًا فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ثم فصل فقال
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابًا اليمًا ولا يجدون لهم من
دون الله وليًا ولا نصيرًا فان قلت التفضيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل
اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج
فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما
ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على
ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله بعد هذا فاما الذين آمنوا بالله و
اعتصموا به والثاني ان الاحسان الي غيرهم مما يغمهم وكان داخلا في جملة التنكيل بهم
فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذب بالحسرة اذا رأى اجور

العاملين وبما يصيبه من عذاب يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
اي رسول يظهر المنكر بالاعجاز وانزلنا اليكم نورًا مبينًا قرآنًا يستضاء به في
ظلمات الحيرة فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به بآياته او بالقرآن فسيدخلهم
في رحمة منه اي جنة وفضل زيادة النعمة ويهديهم ويرشدهم اليه
الي الله او الي الفضل او الي صراط صراطًا مستقيمًا فصراطًا حال من المضاف
المحذوف يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة كان جابر بن عبد الله مريضًا
فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت
ان امرؤ هلك ارتفع بفعل يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة
اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر
والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت وله اخت اي لاب وام
او لاب فلها نصف ما ترك اي الميت وهو يرثها اي الاخ يرث الاخت جميع
مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي
ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده
فالاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد و
وكل حكم انتفاء الوالد الي بيان السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض
باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ فان كانتا اثنتين
اي فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله اخت فلهما الثلثان مما ترك وان
كانوا اخوة اي وان كان من يرث بالاخوة والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات
تغليبًا لحكم الذكورة رجالًا ونساء ذكورًا واناثًا فللذكر منهم فللذكر مثل
حظ الانثيين يبين الله لكم الحق فهو مفعول يبين ان تضلوا كراهة ان تضلوا
والله بكل شيء عليم يعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود يقال وفي بالعهد واوفى به والعقد
العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده
والزمها اياهم من موجب التكليف او ما عقد الله عليكم وما تعاقدتم بينكم والظاهر
انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم

عقب بالتفصيل وهو قوله أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ والبهيمة كل ذات اربع قوائم
في البر والبحر واضافتها الي الانعام للبيان وهي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة
من الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش و
نحوهما إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آية تحريم وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية غَيْرَ مُحِلِّي
الصَّيْدِ حال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وَأَنْتُمْ
حُرُمٌ حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من
الصيد وانتم محرمون لئلا يضيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
مَا يُرِيدُ من الاحكام او من التحليل والتحريم ونزل نهيا عن تحليل ما حرم يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا او علما
للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعي والافعال التي هي علامة
الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ
اي شهر الحج وَلَا الْهَدْيَ هو ما اهدي الي البيت وتقرب به الي الله من النسائك وهي
جمع هدية وَلَا الْقَلَائِدَ جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة
او لحاء شجر او غيره وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام
وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال
بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج
وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع عن بلوغ محله واما القلائد فجاز ان
يراد بها ذوات القلائد وهي البدن وتعطف علي الهدي للاختصاص لانها
اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز
ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي اي ولا
تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة
مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها يَبْتَغُونَ حال من الضمير في آمين فَضْلًا مِنْ
رَبِّهِمْ اي ثوابا وَرِضْوَانًا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما
لهم وَإِذَا حَلَلْتُمْ خرجتم من الحرام فَاصْطَادُوا اباحة للاصطياد بعد حظره
عليهم بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا جرم مثل كسب في تعديته الي مفعول واحد واثنين تقول
جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه واول المفعولين ضمير المخاطبين و

والثاني ان تعتدوا وان صدوكم متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهي شدة البغض وبسكون
النون شامي وابو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم
عليه ان صدوكم على الشرط مكي وابو عمرو ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل
مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام
منهم بالحاق مكروه بهم وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ على
العفو والاغضاء ومعنى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ على الانتقام والتشفي
او البر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل
المحظور ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه
العفو والانتصار وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن عصاه وما اتقاه ثم
بين ما كان اهل الجاهلية يأكلونه فقال حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ اي الميتة التي تموت
حتف انفها وَالدَّمُ اي المسفوح وهو السائل وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وانما خصت اللحم لانه
معظم المقصود وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم
باسم اللات والعزى عند ذبحه وَالْمُنْخَنِقَةُ التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت
بالشبكة او بغيرها وَالْمَوْقُوذَةُ اي التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت وَالْمُتَرَدِّيَةُ
التي تردت من جبل او في بئر فماتت وَالنَّطِيحَةُ اي المنطوحة وهي التي نطحتها اخرى
فماتت بالنطح وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ بعضه ومات بجرحه إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ الا ما ادركتم
ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها
فانه اذا ادركها وبها حيوة فذبحها وسمى عليها حلت وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ كانت لهم
حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها
تسمى الانصاب واحدها نصب او هو جمع وواحدها نصاب وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ
في موضع الرفع بالعطف على الميتة اي حرم عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام
بالازلام وهي القداح المعلمة واحدها زلم وزلم كان احدهم اذا اراد سفرا او
غزوا او تجارة او نكاحا او غير ذلك يعمد الى قداح ثلثة على واحد منها مكتوب
امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضى لحاجته وان خرج
الناهي امسك وان خرج الغفل اعاده فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم
له مما لم يقسم له بالازلام وقال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من
اجل نجم واخرج لطلوع نجم كذا وفي شرح التأويلات رد هذا وقال لا يقول المنجمان

نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل اولئك ولكن المنجم جعل النجوم
دلالات وعلامات على احكام الله تعالى ويجوز ان يجعل الله تعالى في النجوم معاني
واعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة في ذلك انما اللائمة
عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء
المعلومة ذٰلِكُمْ فِسْقٌ اي الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة ويحتمل ان يعود
الى كل محرم في الآية الْيَوْمَ ظرف ليئس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الان وهذا
كما تقول انا اليوم قد كبرت تريد الان وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة
وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ يئسوا
منه ان يبطلوه او يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله تعالى وفي بعهده من اظهاره
على الدين كله فَلَا تَخْشَوْهُمْ بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم
مغلوبين بعد ما كانوا غالبين وَاخْشَوْنِ بغير ياء في الوصل والوقف اي اخلصوا
لي الخشية الْيَوْمَ ظرف لقوله أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ بان كفيتكم خوف عدوكم واظهرتكم
عليهم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك اي كفينا من كنا نخافه او اكملت لكم ما تحتاجون
اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الاسلام وقوانين القياس
وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية و
مناسكهم وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا حال اي اخترته لكم من بين الاديان و
آذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فَمَنِ
اضْطُرَّ متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذا
ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من اجلة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت
بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها فِي مَخْمَصَةٍ
مجاعة غَيْرَ حال مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ مائل الى اثم اي غير متجاوز سد الرمق فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
لا يؤاخذه بذلك غفور بإباحة المحظور للمعذور يَسْأَلُونَكَ في السؤال معنى القول فلذا
وقع بعده مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل
لنا حكاية لما قالوه لانك يسألونك بلفظ الغيبة كقولك اقسم زيد ليفعلن ولو
قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل
لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم من خبيثات المآكل
سألوا عما احل لهم منها فقال قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ اي ما ليس بخبيث منها وهو كل

رحيم

مالم يات تحريمه في كتاب او سنة او اجماع او قياس وَمَا عَلَّمْتُمْ عطف على الطيبات
اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او يجعل ما شرطية وجوابها فكلوا
مِنَ الْجَوَارِحِ اي الكواسب للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والعقاب
والصقر والبازي والشاهين وقيل هي من الجراحة فيشترط للحل الجرح مُكَلِّبِينَ
حال من علمتم وفائدة هذه الحال مع انها استغنى عنها بعلمتم ان يكون من يعلم الجوارح
موصوفا بالتكليب والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التأديب
في الكلاب اكثر فاشتق من لفظه لكثرته من جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد تُعَلِّمُونَهُنَّ حال او استيناف ولا
موضع له وفيه دليل على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اجله رواية فكم من آخذ
عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ من
علم التكليب فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ الامساك على صاحبه ان لا يأكل منه فان
اكل منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازي ونحوه فاكله لا يحرم
وقد عرف في موضعه والضمير وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يرجع الى ما امسكن على معنى
وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي وسموا عليه عند ارساله
وَاتَّقُوا اللَّهَ واحذروا مخالفة امره في هذا كله إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ انه محاسبكم
على افعالكم ولا يلحقه فيه لبث الْيَوْمَ الان أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ كرره تاكيدا للمنة
وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ اي ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص
حلها بالملة وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ فلا جناح عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم
طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ هي الحرائر والعفائف
ليس هذا بشرط صحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الامة من المسلمات
ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم وهو معطوف
على الطيبات او مبتدأ والخبر محذوف اي والمحصنات المؤمنات حل لكم وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ هي الحرائر الكتابيات او العفائف الكتابيات
إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ اي اعطيتموهن مهورهن مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ
متزوجين غير زانين وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ اصدقاء والخدن يقع على الذكر والانثى
وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ اي بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ

اي اذا اردتم القيام الي الصلوة كقوله فاذا قرات القرآن اي اذا اردت ان
تقرأ القرآن فعبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن الارادة فاقيم
المسبب مقام السبب للابسة بينهما طلبا للايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر
عن الفعل المبتداء الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه و تقديره
وانتم محدثون عن ابن عباس رضي الله عنهما او من النوم لانه دليل الحدث
وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم والخلفاء يتوضأون لكل صلوة وقيل كان
الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ وايديكم الي المرافق الي تفيد
معني الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل
فمما فيه دليل على الخروج فنظرة الي ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود
الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في الحالتين معسرا
او موسرا وكذا اتموا الصيام الي الليل لو دخل الليل يوجب الوصال ومما فيه
دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الي آخره لان الكلام مسوق
لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالي من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي لوقوع العلم
بانه لا يسري به الي بيت المقدس غير ان يدخله وقوله الي المرافق لا دليل فيه على
احد الامرين فاخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر و
داود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء
على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه و
مستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه واخذ مالك رحمه الله بالاحتياط
فاوجب الاستيعاب والشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذنا
ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية
بربع الرأس وارجلكم الي الكعبين بالنصب شامي ونافع وعلي وحفص و
المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق وارجلكم الي الكعبين وامسحوا برؤسكم
على التقديم والتأخير وغيرهم بالجر بالعطف على الرؤس لان الارجل من بين الاعضاء
الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها وكانت مظنة للاسراف المنهي عنه فعطفت
على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل
الي الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم يضرب له غاية
في الشريعة وقال جامع العلوم انها مجرورة للجوار وقد صح انه عليه السلام رأي قوما

يمحون على ارجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء رحمه الله والله ما
علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما امر
بغسل هذه الاشياء الثلثة ليطهرها من الاوساخ الاعضاء التي تتصل بها لانها
تبدو كثيرا والصلوة خدمة الله والقيام بين يديه متطهرا من الاوساخ اقرب
الي التعظيم فكان اكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا اراد ان يقوم بين يدي
الملك ولهذا قيل ان الاولي ان يصلي الرجل في احسن ثيابه وان الصلوة متعمما
افضل من الصلوة مكشوف الرأس لما ان ذلك ابلغ في التعظيم وان كنتم جنبا
فاطهروا فاغتسلوا ابدانكم وان كنتم مرضي او علي سفر او جاء احد منكم
قال الرازي وجاء حق لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث من الغائط
المكان المطمئن وهو كناية عن قضاء الحاجة او لامستم النساء جامعتم فلم
تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن
يريد الله ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم
وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا
نعمة الله عليكم بالاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا و
اطعنا اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط
والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان
واتقوا الله في نقض الميثاق ان الله عليم بذات الصدور بسرائر الصدور من
الخير والشر وهو وعد ووعيد يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عدي يجرمنكم بحرف
الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدي به كانه قيل ولا يحملنكم بغض قوم على ترك
العدل فيهم اعدلوا هو اقرب للتقوي اي العدل اقرب الي التقوي نهاهم اولا
ان يحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم الامر بالعدل تاكيدا و
تشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوي واذا
كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين
الذين هم اولياؤه واتقوا الله فيما امر ونهي ان الله خبير بما تعملون وعد وعيد

ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
وعد يتعدي الي المفعولين فالاول الذين امنوا والثاني محذوف استغني عنه
بالجملة التي هي قوله لهم مغفرة واجر عظيم والوعيد وهو قوله والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اي لايفارقونها يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتي بني قريظة ومعه الشيخان والختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن
امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك
ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الي رحي
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبرئيل فاخبره بذلك فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية اذ ظرف للنعمة ان يبسطوا بان يبسطوا اليكم
ايديهم بالقتل يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به و بسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعني بسط اليد مدها الي المبطوش به فكف
ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فانه الكافي والدافع والمانع ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا هو الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها ولما استقر بنو اسرائيل
بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الي اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون
الجبابرة وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني
ناصركم وامر موسي عليه السلام بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه
بالوفاء بما امروا به فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء
وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة
وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم ان يحدثوهم فنكثوا
الميثاق الا كالب بن يوفنا ويوشع بن نون وكانا من النقباء وقال الله اني معكم
اي ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة
للقسم وهو لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وكانتا فريضتين عليهم وامنتم
برسلي غير تفريق بين احد منهم وعزرتموهم عظمتموهم او نصرتموهم بان تردوا
عنهم اعداءهم والعزر في اللغة الرد يقال عزرت فلانا اي ادبته يعني فعلت
به ما يردعه عن القبيح كذا قال الزجاج واقرضتم الله قرضا حسنا بلا من و قيل

هو كل

هو كل خير واللام في لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم وهذا الجواب
ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا ولادخلنكم جنات تجري من تحتها
الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد
العظيم فقد ضل سواء السبيل اخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد
ضل سواء السبيل ايضا ولكن الضلال بعده اظهر واعظم فبما نقضهم ميثاقهم
ما زائدة افادت تفخيم الامر لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا او مسخناهم
او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية يابسة لا رحمة فيها ولا لين
قسية حمزة وعلي اي ردية من قولهم درهم قسي اي ردي يحرفون الكلم عن
مواضعه يغيرونها على غير ما انزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة
اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا و
قسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية
اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت اشياء منها
عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسي المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الآية او تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وبيان نعته ولا تزال يا محمد تطلع على خائنة منهم اي هذه عادتهم
وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك
بك وقوله على خائنة اي على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة
ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة الا قليلا منهم وهم
الذين امنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالفتهم او فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم
بما سلف منهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن في قوله ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم وهو الايمان بالله والرسل وافعال الخير يتعلق
باخذنا اي واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار
والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى
لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن
انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان
فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه
ولصق به ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين

العداوة والبغضاء الي يوم القيمة بالاهوآء المختلفة وسوف ينبئهم الله
بما كانوا يصنعون اي في القيمة بالجزآء والعقاب يا اهل الكتاب خطاب
لليهود والنصاري والكتاب للجنس قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه و
سلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من نحو صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يبينه او يعفو
عن كثير منكم لا يواخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن
لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او
لانه ظاهر الاعجاز او النور محمد صلى الله عليه وسلم لانه يهتدي به كما سمي سراجا
يهدي به الله اي بالقرآن من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق
السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله فالسلام السلامة او الله ويخرجهم
من الظلمات الي النور باذنه من ظلمات الكفر الي نور الاسلام ويهديهم
الي صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم معناه بت
القول على ان الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصاري قوم يقولون بذلك او لان
مذهبهم يودي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت قل فمن يملك من
الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم
وامه ومن في الارض جميعا اي ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه
يعني ان المسيح عبد مخلوق كساير العباد وعطف من في الارض جميعا على المسيح وامه
ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم
الامومية متي يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحدثية انى
يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما اوجد لم يعد نقص الي
الصمدية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشآء اي يخلق
من ذكر او انثى ويخلق من انثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق
آدم ويخلق من ذكر من غير انثى كما خلق حوا من آدم او يخلق ما يشآء كخلق الطير على
يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد والله على كل شيء قدير
وقالت اليهود والنصاري نحن ابناء الله واحباؤه اي اعزة عليه كالابن
على الاب او اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن
الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك

وحشمه

وحشمه نحن ابناء الملوك او نحن ابناء رسل الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح
انكم ابناء الله واحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار اياما معدودة على
زعمكم وهل يمسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال ردا عليهم
بل انتم بشر ممن خلق اي انتم خلق من خلقه فلا بنوة يغفر لمن يشآء لمن
تاب عن الكفر فضلا ويعذب من يشآء من مات عليه عدلا ولله ملك السموات
والارض وما بينهما واليه المصير فيه تنبيه على عبودية المسيح لان الملك و
النبوة متنافيان يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين
لكم اي الشرائع وحذف لظهوره او ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا
يقدر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان وهو حال اي مبينا لكم على فترة
من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي
وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة او خمسمائة وستون سنة ان تقولوا
كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير والفآء في فقد جاءكم متعلق
بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم بشير للمؤمنين ونذير للكافرين والمعنى
الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي احوج ما يكونون
اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله ويلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه
لم يرسل اليهم من ينبههم من غفلتهم والله على كل شيء قدير فكان قادرا
على ارسال محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل
من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون وملكه وبعد الجبابرة
ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع
فيه ماء جار وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية وقيل له بيت وخدم ولانهم
كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من له بيت وخادم وزوجة فهو ملك وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وانزال المن والسلوى وتظليل
الغمام ونحو ذلك من الامور العظام او اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة اي المطهرة او المباركة وهي ارض بيت المقدس او الشام التي كتب الله
لكم قسمها لكم وسماها او كتب في اللوح المحفوظ انها مساكن لكم ولا ترتدوا على

ادباركم ولا ترجعوا على اعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبنا او لا
ترتدوا على ادباركم في دينكم فتنقلبوا خاسرين فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا
والآخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى
اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وانا لن ندخلها بالقتال حتى
يخرجوا منها بغير قتال فان يخرجوا منها بلا قتال فانا داخلون بلادهم
حينئذ قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كانه
قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صفة لرجلان وكذا انعم الله عليهما
بالخوف منه تعالى ادخلوا عليهم الباب اي باب المدينة فاذا دخلتموه فانكم
غالبون اي انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اذ الايمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع
العلائق وترك التملق للخلائق قالوا يا موسى انا لن ندخلها هذا نفي لدخولهم
في المستقبل على وجه التاكيد ابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ما داموا
فيها بيان للابد فاذهب انت وربك من العلماء من حمله على الظاهر وقال انه
كفر منهم وليس كذلك اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لكفروا ولم يحاربهم موسى ولم تكن
مقاتلة الجبارين اولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه ان يقال اذهب انت وربك
يعينك على قتالك او وربك اي وسيدك وهو اخوك الاكبر هارون او لم يريدوا
حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد الارادة يعني كانهم قالوا
اريد قتالهم فقاتلا انا هاهنا قاعدون ما كثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم
قال رب اني لا املك الا نفسي واخي هو منصوب بالعطف على نفسي او على اسم
ان اي اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه او مرفوع بالعطف على محل
ان واسمها او على الضمير في لا املك وجاز العطف للفصل اي ولا يملك اخي الا نفسه
او هو مبتدأ والخبر محذوف اي واخي كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله تعالى
ورقة القلب التي بمثلها تجذب الرحمة وتستنزل النصرة وكانه لم يثق بالرجلين
المذكورين كل الوثوق فلم يذكرهما الا النبي المعصوم او اراد ومن يواخيني على ديني فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم
عليهم بما هم اهله وهو في معنى الدعاء عليهم او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من
صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فانها اي الارض المقدسة

فانها محرمة لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع
والمراد بقوله كتب الله لكم اي بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها
محرمة عليهم او المراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضى الاربعون كان
ما كتب فقد سار موسى عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته
ففتحها واقام فيها ما شاء الله ثم قبض واربعين ظرف التحريم او الوقف على سنة
او ظرف يتيهون في الارض اي يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا اربعين
سنة والوقف على عليهم وانما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة
يصبحون حيث امسوا ويمسون حين اصبحوا في ستة فراسخ ولما ندم على الدعاء عليهم
قيل له فلا تاس على القوم الفاسقين فلا تحزن عليهم لانهم فاسقون قيل لم
يكن موسى وهارون معهم في التيه لانهم كانوا عقابا وقد سال موسى ربه
ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلامة
لا عقوبة ومات هارون في التيه وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء في
التيه الا كالب ويوشع ثم امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص على
حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله واتل عليهم على اهل الكتاب
نبا ابني آدم من صلبه هابيل وقابيل او هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة
ملتبسا بالصدق موافقا لما كتب الاولين او تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او واتل
عليهم وانت محق صادق اذ قربا نصب بالنبا اي قصتهم وحديثهم في ذلك
الوقت او بدل من النبا اي اتل عليهم النبا نبا ذلك الوقت على تقدير حذف
المضاف قربانا ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة يقال قرب صدقة و
تقرب بها لان تقرب مطاوع قرب والمعنى اذ قرب كل واحد منهما قربانا دليله
فتقبل من احدهما اي قربانه وهو هابيل ولم يتقبل من الآخر قربانه وهو قابيل
روي انه اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توامة الآخر وكانت توامة قابيل
اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما
قبل يتزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا
وتوعده بالقتل وهو قوله قال لاقتلنك قال اي هابيل انما يتقبل الله من المتقين
وتقديره قال لم تقتلني قال لان الله تعالى قبل قربانك ولم يتقبل قرباني فقال انما
يتقبل الله من المتقين وانت غير متق فانما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس

المقوي لامن قبلي وعن عامر بن عبدالله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له وما
يبكيك وقد كيت وكيت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن
بسطت هددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط بما ذ يدي مدني وابو عمرو
وحفص اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل كان اقوى من القاتل
وابطش منه ولكن تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع
لم يكن مباحا في ذلك الوقت وقيل كان ذلك واجبا فان فيه اهلاك نفسه و
مشاركة للقاتل في اثمه وانما معناه ما انا بباسط يدي اليك مبتديا كقصدك
في ذلك مني وكان عازما على مدافعته اذا اقصد قتله وانما قتله فتكا على غفلة
منه اني اخاف حجازي وابو عمرو واني اريد مدني ان تبوء اوان ترجع باثمي باثم
قتلي اذا قتلتني واثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد
والحقد وانما اراد ذلك لكفره برده قضية الله تعالى او كان ظالما وجزاء الظالم
جائز ان يراد فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه
قتل اخيه فوسعته ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع فقتله عند عقبة حراء او
بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه اي الله او الغراب كيف يواري سوءة اخيه عورة اخيه وما لايجوز
ان ينكشف من جسده روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله
تركه بالعراء لايدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة
حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر
فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فحينئذ قال يا ويلتى اعجزت ان اكون
مثل هذا الغراب فاواري عطف على اكون سوءة اخي فاصبح من النادمين
على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره ولم يندم ندم التائبين او كان الندم
توبة لنا خاصة او على حمله لا على قتله وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض
فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذا اسود جسدك
فالسودان من ولده وما روي ان آدم رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء عليهم
السلام معصومون من الشعر من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وذلك اشارة
الى القتل المذكور وقيل هو متصل بالآية الاولى فيوقف على ذلك اي فاصبح من النادمين
لاجل حمله او لاجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن تتعلق بكتبنا

لابالنادمين كتبنا على بني اسرائيل خصهم بالذكر وان اشترك الكل في ذلك لان
التورية اول كتاب فيه الاحكام انه من قتل نفسا الضمير للشأن ومن شرطية
بغير نفس بغير قتل نفس او فساد في الارض عطف على نفس اي بغير فساد في الارض و
هو الشرك او قطع الطريق او كل فساد يوجب القتل فكانما قتل الناس جميعا اي
في الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم
ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب
الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فكانما احيا الناس جميعا جعل
قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الاحياء ترغيبا وترهيبا لان المتعرض لقتل
النفس اذا تصور ان قتلها كقتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذا الذي
اراد احياها اذا تصور ان حكمه كحكم احياء جميع الناس رغب في احياها ولقد
جاءتهم اي بني اسرائيل رسلنا رسلنا ابو عمرو بالبينات بالآيات الواضحات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات في
الارض لمسرفون في القتل لايبالون بعظمته انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله اي اولياء الله في الحديث يقول الله تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا مفسدين ويجوز ان يكون مفعولا له اي
للفساد وخبر جزاء ان يقتلوا وما عطف عليه وافاد التشديد الواحد بعد الواحد
ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا
بين القتل واخذ المال او تقطع ايديهم وارجلهم ان اخذوا المال من
خلاف حال من الايدي والارجل اي مختلفة او ينفوا من الارض بالحبس اذا
لم يزيدوا على الاخافة ذلك المذكور لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في
الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فيسقط عنهم
هذه الحدود لا ما هو حق العباد فاعلموا ان الله غفور رحيم يغفر لهم بالتوبة
ويرحمهم فلا يعذبهم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فلا تؤذوا عباد الله وابتغوا
اليه الوسيلة هي كل ما يتوسل به اي يتقرب به من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعير
لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات وجاهدوا في
سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا من
صنوف الاموال ومثله معه وانفقوها ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم

ولو مع ما في حيزه خبر ان ووحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيئان لانه اجري
الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك من عذاب يوم القيمة
ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم فلا سبيل لهم الى النجاة بوجه يريدون يطلبون
او يتمنون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم دائم
والسارق والسارقة ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم
السارق والسارقة او الخبر فاقطعوا ايديهما اي يديهما والمراد اليمينان بدليل
قراءة عبد الله ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت
فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول تضمن معنى الشرط وبدأ بالرجل لان السرقة من
الجراءة وهي في الرجال اكثر واخر الزاني لان الزنى ينبعث من الشهوة وهي في النساء
اوفر وقطعت اليد لانها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنى تفاديا عن قطع النسل
جزاء بما كسبا مفعول له نكالا من الله اي عقوبة منه وهو بدل من جزاء والله
عزيز غالب لا يعارض في حكمه حكيم فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة فمن
تاب من السراق من بعد ظلمه سرقته واصلح برد المسروق فان الله يتوب عليه
يقبل توبته ان الله غفور رحيم يغفر ذنبه ويرحمه الم تعلم يا محمد او يا مخاطب
ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء من مات على الكفر و
يغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر والله على كل شيء من التعذيب والمغفرة وغيرهما
قدير قادر وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقة على التوبة يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين
في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين
فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيء اي وقع فيه سريعا و
فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لا يخطؤها
من الذين قالوا تبيين لقوله الذين يسارعون في الكفر آمنا مفعول قالوا بافواههم
متعلق بقالوا اي قالوا بافواههم آمنا ولم تؤمن قلوبهم في محل النصب على الحال
ومن الذين هادوا معطوف على من الذين قالوا اي من المنافقين واليهود و
يرتفع سماعون للكذب على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم سماعون والضمير للفريقين
او سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول
على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يمحوا ما

سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون لقوم آخرين
لم ياتوك اي سماعون لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا
منك يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع يحرفون صفة لقوم كقوله
لم ياتوك او خبر لمبتدأ محذوف اي هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم يقولون
ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز ان يكون
حالا من الضمير في يحرفون فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه و
افتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل روي ان
شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما
لشرفهما فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا
ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان
ياخذوا به ومن يرد الله فتنته ضلالته وهو حجة على من يقول يريد الله الايمان ولا
يريد الكفر فلن تملك له من الله شيئا قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر و
هو حجة لنا عليهم ايضا لهم في الدنيا خزي للمنافقين فضيحة ولليهود جزية ولهم
في الآخرة عذاب عظيم اي التخليد في النار سماعون للكذب كرر للتاكيد اي هم
سماعون ومثله اكالون للسحت هو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه
مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام
وتحليل الحرام وبالتثقيل مكي وبصري وعلي فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان
يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وقيل نسخ التخيير بقوله وان احكم بينهم بما انزل وان
تعرض عنهم فلن يضروك شيئا فلن يقدروا على الاضرار بك لان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل ان الله يحب المقسطين
العادلين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم
لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذين يدعون الايمان به فيها
حكم الله حال من التورية وهي مبتدأ وخبره عندهم ثم يتولون من بعد ذلك عطف
على يحكمونك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به

وما اولئك بالمؤمنين بك او بكتابهم كما يدعون انا انزلنا التورية فيها هدى
اي يهدي للحق ونور يبين ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون الذين
اسلموا انقادوا لحكم الله في التورية وهو صفة اجريت للنبيين على سبيل المدح و
اريد باجرائها التعريض باليهود لانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء
كلهم عليهم السلام للذين هادوا تابوا من الكفر واللام يتعلق بيحكم والربانيون
والاحبار معطوفان على النبيون اي الزهاد والعلماء بما استحفظوا استودعوا
قيل يجوز ان يكون بدلا من بها فيحكم بها من كتاب الله من للتبيين والضمير في
استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله تعالى و
يجوز ان يكون الاستحفاظ من الانبياء وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل فلا
تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وامضائها على ما امروا
به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد واخشون في مخالفة امري و
باليا فيهما سهل وافقه ابو عمرو في الوصل ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا بايات
الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضاء الناس ومن لم يحكم
بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون قال ابن عباس رضي الله عنهما
من لم يحكم جاحدا له فهو كافر وان لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم وقال ابن مسعود
رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم وكتبنا عليهم فيها وفرضنا على اليهود في التورية
ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق والعين مفقوءة بالعين
والانف مجدوع بالانف والاذن مقطوعة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح
قصاص اي ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص والا فحكومة
عدل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقوله ان
النفس بالنفس يدل على ان المسلم يقتل بالذمي والرجل بالمراة والحر بالعبد نصب نافع
وعاصم وحمزة المعطوفات كلها للعطف على ما عملت فيه ان ورفعها علي للعطف على محل
ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اجراء لكتبنا مجرى قلنا ونصب
الباقون الكل ورفعوا الجروح والاذن بسكون الذال حيث كان نافع والباقون
بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفي
عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق باحسانه قال عليه الصلوة و
السلام من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته امه ومن لم يحكم بما

انزل الله فاولئك هم الظالمون بالامتناع عن ذلك وقفينا معنى قفيت
الشيء بالشيء جعلته في اثره كانه جعل في قفاه يقال قفاه يقفوه اذا اتبعه على اثارهم
اي على اثار النبيين الذين اسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا وهو حال من عيسى
لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور اي واتيناه الانجيل
ثابتا فيه هدى ونور فنصب ومصدقا بالعطف على ثابت الذي تعلق به وقام مقامه
فيه وارتفع هدى ونور بثابت الذي قام مقامه فيه لما بين يديه من التورية
وهدى وموعظة انتصبا على الحال اي هاديا او واعظا للمتقين لانهم ينتفعون
به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام
الامر واصله الكسر وانما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة وليحكم بكسر اللام و
فتح الميم حمزة على انها لام كي اي وقفينا ليؤمنوا وليحكم ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن الطاعة قال الشيخ ابو منصور
رحمه الله يجوز ان يحمل على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظالما فاسقا لان الفاسق
المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل من لم يحكم بما انزل الله فهو كافر بنعمة
الله ظالم في حكمه فاسق في فعله وانزلنا اليك الكتاب اي القران فحرف
التعريف فيه للعهد بالحق بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطا مصدقا
حال من الكتاب لما بين يديه لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشيء هو بين
يديه لان ما تاخر عنه يكون وراءه وخلفه وما تقدم عليه يكون قدامه وبين
يديه من الكتاب المراد به جنس الكتب المنزلة لان القران مصدق لجميع كتب الله
فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد و
العبادة وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
ومهيمنا عليه وشاهدا لانه يشهد له بالصحة والثبات فاحكم بينهم بما انزل
الله اي بما في القران ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق نهي ان يحكم بما حرفوه
وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدي بعن فكانه
قيل ولا تنحرف عما جاءك من العلم متبعا اهواءهم او التقدير عادلا عما جاءك
لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة ومنهاجا وطريقا واضحا واستدل به
من قال ان شريعة من قبلنا لا تلزمنا ذكر انزال التورية على موسى ثم انزال الانجيل
على عيسى ثم انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم وبين انه ليس للسماع فحسب بل

للحكم به فقال في الاول يحكم بها النبيون وفي الثاني وليحكم اهل الانجيل وفي الثالث
فاحكم بينهم بما انزل الله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة
على شريعة واحدة ولكن اراد ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر فيما آتيكم من
الشرائع المختلفة فتعبد كل امة بما اقتضته الحكمة فاستبقوا الخيرات فابتدروها
وتسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخيرات كل ما امر الله تعالى به
الى الله مرجعكم استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات جميعا حال من
الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لانه في التقدير اليه ترجعون فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم
ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وان احكم معطوف على الحق اي انزلنا
اليك الكتاب بالحق وبان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم و
احذرهم ان يفتنوك ان يصرفوك وهو مفعول له اي مخافة ان يفتنوك وانما
حذره وهو مامون لقطع اطماع القوم عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا
عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع
ذلك وهذا الابهام لتعظيم التولي وفيه تعظيم الذنوب فان بعضها مهلك
فكيف بكلها وان كثيرا من الناس لفاسقون لخارجون عن امر الله افحكم الجاهلية يبغون
يطلبون وبالتاء شامي يخاطب بني النضير في تفاضلهم على بني قريظة وقد قال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك
فنزلت وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية ونصب
الحكم بيبغون ومن احسن مبتدا وخبر وهو استفهام في معنى النفي اي لا احد
احسن من الله حكما هو تمييز واللام في لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك
اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان
لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه وقال ابو علي معنى لقوم عند قوم لان اللام
وعند يتقاربان في المعنى ونزل نهيا عن موالاة اعداء الدين يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اي لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم
وتواخونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء
بعض وكلهم اعداء للمؤمنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة ومن يتولهم

منكم

منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في
وجوب المخالف في الدين ان الله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشد الذين
ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فترى الذين في قلوبهم مرض نفاق يسارعون
حال او مفعول ثان لاحتمال ان يكون فترى من رؤية العين او القلب فيهم
في معاونتهم على المسلمين وموالاتهم يقولون اي من انفسهم لقوله على ما اسروا
نخشى ان تصيبنا دائرة اي حادثة تتدور بالحال التي يكونون فعسى الله ان
ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده اي يوم
النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي
المنافقون على ما اسروا في انفسهم من النفاق نادمين خبر فيصبحوا ويقول
الذين امنوا اي يقول بعضهم لبعض عند ذلك ويقول بصري عطفا على ان
ياتي يقول بغير واو شامي وحجازي على انه جواب قايل يقول فماذا يقول المومنون
حينئذ فقيل يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم اي اقسموا لكم باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار
جهد ايمانهم مصدر في تقدير الحال اي مجتهدين في توكيدهم ايمانهم حبطت
اعمالهم ضاعت التي عملوها رياء وسمعة لا ايمانا وعقيدة وهذا من قول الله تعالى
شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم فاصبحوا خاسرين في الدنيا و
العقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم
عن دينه من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليه من الكفر يرتدد مدني وشامي
فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ويرضى عنهم اعمالهم ويثني عليهم بها
ويطيعونه ويوثرون رضاه وفيه دليل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم
بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفي صحة خلافته
خلافة عمر رضي الله عنهما وسلم وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق
سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن بمعنى الشرط محذوف معناه فسوف ياتي
الله بقوم مكانهم اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل
الذي هو ضد الصعوبة فقد سهى لان ذلولا لا يجمع على اذلة قال الجوهري الذل
ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم اذلاء واذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد

الصعوبة يقال دابة ذلول ودواب ذلل على المؤمنين ولم يقل للمؤمنين
لتضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل و
التواضع اعزة على الكافرين اشداء عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المؤمنين
كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين كالسبع على فريسته صيده يجاهدون
في سبيل الله يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيحبهم واذلة واعزة ولا يخافون
لومة لائم الواو يحتمل ان تكون للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف
حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا
اولياؤهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما
المؤمنون فجاهدتهم في سبيل الله لا يخافون لومة لائم وان تكون للعطف اي من
صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين
لا يزعهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه
قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك اشارة الى ما وصف به القوم
من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة فضل الله يؤتيه من
يشاء والله واسع كثير الفواضل عليم بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة من
يجب معاداتهم ذكر من يجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا
وانما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولي وان كان المذكور جماعة تنبيها
على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا
لم يكن في الكلام اصل وتبع ومحل الذين يقيمون الصلوة الرفع على البدل من الذين
امنوا او على هم الذين او النصب على المدح ويؤتون الزكوة والواو في وهم راكعون
للحال اي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة قيل انها نزلت في علي رضي الله عنه حين
ساله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه لانه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف
لخلعه كثير عمل يفسد صلوته وورد بلفظ الجمع وان كان السبب فيه واحدا ترغيبا
للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه والآية تدل على جواز الصدقة في الصلوة و
على ان الفعل القليل لا يفسد الصلوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
يتخذه وليا او يكن وليا فان حزب الله هم الغالبون من اقامة الظاهر مقام المضمر
اي فانهم هم الغالبون او المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون اي ومن يتولهم فقد
يولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم اي

اصابهم

اصابهم وروي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا
وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل
باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة من الذين اوتوا
الكتاب من للبيان من قبلكم والكفار اي المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة
والكفار بصري وعلي عطف على الذين المجرورة اي من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم ومن الكفار اولياء واتقوا الله في موالاة الكفار ان كنتم مؤمنين
حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
اي الصلوة او المناداة هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان لعبهم
وهزوهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت
الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل يعني هل تعيبون منا و
تنكرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون وهو
معطوف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم
فاسقون والمعنى عاديتمونا لانا اعتقدنا توحيد الله وصدق انبيائه وفسقكم
لمخالفتكم لنا في ذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الا يمان
بالله مع انكم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي ثوابا
وهو نصب على التمييز والمثوبة وان كانت مختصة بالاحسان لكنها وضعت موضع
العقوبة كقوله فبشرهم بعذاب اليم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون
العقوبة فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة من اهل الاسلام في زعمكم
وذلك اشارة الى المنقوم اي الايمان اي بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اي جزاء
ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه
الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير يعني اصحاب السبت مائدة
عيسى عليه السلام او كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم
مسخوا خنازير وعبد الطاغوت اي العجل او الشيطان لان عبادتهم العجل بتزيين
الشيطان وهو عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت
حمزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة

وهو معطوف على القردة والخنازير اي جعل الله منهم عبد الطاغوت اولئك
الممسوخون الملعونون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله للمبالغة و
اضل عن سواء السبيل عن قصد الطريق الموصل الى الجنة ونزل في ناس من اليهود
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا واذا
جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الباء للحال اي دخلوا
كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قد دخلوا وهم قد
خرجوا ولذا دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وهو متعلق بقالوا امنا اي قالوا
ذلك وهذه حالهم والله اعلم بما كانوا يكتمون من النفاق وترى كثيرا
منهم من اليهود يسارعون في الاثم الكذب والعدوان الظلم والاثم ما
يختص بهم والعدوان ما يتعدى بهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه
بسرعة واكلهم السحت الحرام لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيء عملوه لولا
هلا وهو تحضيض ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت لبئس ما كانوا يصنعون هذا ذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن حيث انزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب
المنكر بالوعيد وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا
بل يداه مبسوطتان روي ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من اكثر الناس مالا فعند ذلك قال
فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ورضي بقوله الاخرون فاشركوا فيه وغل اليد و
بسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط حتى انه يستعمل
في ملك يعطي ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء
جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا يصح اليد يقال بسط الياس كفيه
في صدري فجعل للياس الذي هو من المعاني كفان ومن لم ينظر في علم البيان تحير
في تاويل امثال هذه الاية وقوله غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا ابخل
خلق الله تعالى او تغل في جهنم فهي كانها غلت وانما ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان
وهي مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية
السخاء له ونفي البخل عنه فغاية ما يبذله السخي ان يعطيه بيديه ينفق كيف يشاء تاكيد

للوصف

تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وليزيدن كثيرا
منهم من اليهود ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي يزدادون عند نزول
القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله وهذا من اضافة الفعل الى السبب
كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيمة فكلمهم ابدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا
لم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل
كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم عن قتادة لا تلقى يهوديا ببلدة الا وجدته
اذل الناس ويسعون في الارض فسادا ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم من كتبهم والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب
امنوا برسول الله وبما جاء به مع عدد ما من سيئاتهم واتقوا وقرنوا ايمانهم بالتقوى
لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم مع المسلمين ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم اي اقاموا احكامها وحدودها
وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من سائر كتب الله لانهم مكلفون
بالايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لاكلوا من فوقهم يعني الثمار من
فوق رؤسهم ومن تحت ارجلهم يعني الزروع او هذه عبارة عن التوسعة كقولهم
فلان في النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الاية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب
لسعة الرزق وهو كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا الاية وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا منهم
امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي
الطائفة المؤمنة وهو عبد الله بن سلام واصحابه رضي الله عنهم وثمانية واربعون
من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم
ما اسوء عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وغيرهم يا ايها الرسول بلغ
ما انزل اليك من ربك بجميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في
تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه
كما امرتك فما بلغت رسالته رسالاته مدني وشامي وابو بكر اي فلم تبلغ اذا ما كلفت

من اداء الرسالات ولم تؤد شيئاً منها قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء
من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعاً كما ان من لم يؤمن ببعضها
كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم الشيء لدخولها تحت خطاب واحد والشيء
الواحد لا يكون مبلَّغاً غير مبلَّغ مؤمناً به غير مؤمن به قالت الملحدة لعنهم الله
هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تاكله فانك
ما اكلته قلنا هذا امر بتبليغ الرسالة في المستقبل اي بلغ ما انزل اليك من ربك
في المستقبل وان لم تفعل اي وان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكانك لم تبلغ
الرسالة اصلاً او بلغ ما انزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة
والعدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ اصلاً او بلغ ذلك غير خائف احداً فان لم
تبلغ على هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة ثم قال مشجعاً له في التبليغ واللّٰه
يعصمك من الناس يحفظك منهم قتلاً فلم يقدروا عليه وان شج في وجهه يوم احد
وكسرت رباعيته او نزلت بعد ما اصابه والناس الكفار بدليل قوله ان اللّٰه لا
يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون انزال البك من الهلاك قل
يا اهل الكتاب لستم على شيء على دين يعتد به حق يسمى شيئاً لبطلانه حتى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم يعني القرآن وليزيدن كثيراً
منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً اضافة زيادة الكفر والطغيان
الى القرآن بطريق التسبيب فلا تاس على القوم الكافرين فلا تتاسف عليهم
فان ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك ان الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون
ودل عليه قوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم والذين هادوا والصابئون والنصارى قال سيبويه وجميع
البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز
ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من
آمن باللّٰه واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون
كذلك اي من آمن باللّٰه وباليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقدم وحذف
الخبر كقوله فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب اي فاني لغريب
وقيار كذلك ودل اللام على انه خبر ان ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لا
ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيداً وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيداً

منطلق

منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين
آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه
على ان الصابئين وهم ابين هؤلاء المعدودين ضلالاً واشدهم غياً يتاب عليهم
ان صح منهم الايمان فما الظن بغيرهم ومحل من آمن الرفع على الابتداء وخبره
فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان والراجع
الى اسم ان محذوف تقديره من آمن منهم لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتوحيد
وارسلنا اليهم رسلاً ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم
رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلاً والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا
تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل
بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون كانه قيل
كلما جاءهم رسول ناصبوه وقوله فريقاً كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف
فعلوا برسلهم وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استعظاماً
للقتل وتنبيهاً على ان القتل من شانهم وانتصب فريقاً وفريقاً على انه مفعول كذبوا
ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود
فهم قتلوا زكريا ويحيى وحسبوا ان لا تكون حمزة وعلي وابو عمرو وعلى ان ان
مخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فخففت ان وحذف الشان ونزل حسبانهم لقوته
في صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق فتنة بلاء
وعذاب اي وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من اللّٰه عذاب بقتل الانبياء وتكذيب
الرسل وسد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد مفعولي حسب
فعموا وصموا فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا او فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ
ثم تاب اللّٰه عليهم رزقهم التوبة ثم عموا وصموا كثير منهم هو بدل من الضمير
اي الواو وهو بدل البعض من الكل او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم
واللّٰه بصير بما يعملون فيجازيهم بحسب اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان اللّٰه
هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا اللّٰه ربي وربكم لم
يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في انه عبد مربوب فيكون حجة على النصارى
انه من يشرك باللّٰه في عبادته غير اللّٰه فقد حرم اللّٰه عليه الجنة التي هي دار
الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه وماويه النار اي مرجعه وما للظالمين

اي للكافرين من انصار وهو من كلام الله تعالى او من كلام عيسى عليه السلام
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي ثالث ثلثة آلهة والاشكال انه تعالى
قال في الاية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال في الثانية
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون
كان المسيح بعينه هو الله لان الله تعالى ربما تجلى في بعض الازمان في شخص فتجلى في
ذلك الوقت في شخص عيسى عليه السلام ولهذا كان يظهر من شخص عيسى افعال
لا يقدر عليها الا الله تعالى وبعضهم ذهبوا الى الهية ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه
ولد الله من مريم ومن في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق اي وما اله
قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له
وفي قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا للبيان كالتي فاجتنبوا
الرجس من الاوثان ولم يقل ليمسنهم لان في اقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا
للشهادة عليهم بالكفر او للتبعيض اي ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا
منهم تابوا عن النصرانية عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون
الى الله ويستغفرونه الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا
الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر
لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول فيه نفي الالوهية عنه قد
خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا
من قبله وابراؤه الاكمه والابرص واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه اله بل الله ابرأ
الاكمه والابرص واحيى الموتى على يده كما احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى
وخلقه من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا
كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله
تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم بعدهما عما نسب اليهما بقوله كانا يأكلان
الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم
يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق واعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع
مؤلف كغيره من الاجسام انظر كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة
على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد
هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب قل

اتعبدون

اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا هو عيسى عليه السلام اي
شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس و
الاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان
كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فكانه لا يملك منه شيئا
وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا
وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شي لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع
العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون
ويعلم ما تعتقدون قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد
فغلو النصارى رفعه فوق قدره لاستحقاق الالوهية وغلو اليهود وضعه
عن استحقاق النبوة غير الحق صفة لمصدر محذوف اي غلوا يعني غلوا باطلا ولا
تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل اي اسلافكم وائمتكم الذين كانوا على الضلال
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن تابعهم وضلوا لما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قيل ان اهل ايلة لما اعتدوا
في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر
اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة
عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير
وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك اللعن بعصيانهم
واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا
عن منكر فعلوه عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل
لانهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا
فعله او المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى
عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم بقوله لبئس
ما كانوا يفعلون وفيه دليل على ان ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على
المسلمين في اعراضهم عنه ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا هم منافقوا اهل
الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط
الله عليهم لبئس شيئا قدموه لانفسهم سخط الله عليهم اي موجب سخط الله وفي العذاب

هم خالدون اي في جهنم ولو كانوا يؤمنون بالله ايمانا خالصا بلا نفاق والنبي
اي محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه يعني القرآن ما اتخذوهم اولياء ما اتخذوا
المشركين اولياء يعني موالاة المشركين تدل على نفاقهم ولكن كثيرا منهم فاسقون
متمردون في كفرهم ونفاقهم او معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله و
بموسى وما انزل اليه يعني التورية ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون
ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم اصلا لتجدن اشد
الناس عداوة للذين امنوا اليهود هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز والذين
اشركوا عطف عليهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى
اللام تتعلق بعداوة ومودة وصف اليهود بشدة الشكيمة والنصارى بلين العريكة
وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها
بتقديمهم على المشركين ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم
لا يستكبرون علل سهولة ماخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين
ورهبانا وان فيهم تواضعا واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على ان العلم
انفع شي واهدى الى الخير وان كان علم القسيسين وكذا علم الاخرة وان كان في الراهب
والبراءة من الكبر وان كانت في النصراني واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وصفهم برقة القلب وانهم يبكون
عند استماع القرآن كما روي عن النجاشي انه قال لجعفر ابن ابي طالب حين اجتمع
في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم هل في كتابكم
ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقراها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم
وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتيك حديث موسى فبكى النجاشي وكذا فعل قومه الذين
وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة
يس فبكوا تفيض من الدمع ممتلا من الدمع حين تفيض لان الفيض ان يمتلي
الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع
الامتلاء او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها
اي تسيل من اجل البكاء ومن في مما عرفوا الابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ و
نشأ من معرفة الحق وكان من اجله ومن في من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما
عرفوا او للتبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرأوا القرآن

احاطوا بالسنة يقولون حال من ضمير الفاعل في عرفوا ربنا امنا بمحمد صلى الله عليه
وسلم والمراد انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد
صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على ساير الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء
على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن
بالله انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام
الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك
وما لنا مبتدأ وخبر ولا نؤمن حال اي غير مؤمنين كقولك ما لك قايما
وما جاءنا اي وبما جاءنا من الحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن ونطمع
حال من ضمير الفاعل في نؤمن او تقديره ونحن نطمع ان يدخلنا ربنا الجنة مع
القوم الصالحين الانبياء والمؤمنين فاثابهم الله بما قالوا اي بقولهم ربنا
امنا وتصديقهم لذلك جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء المحسنين وفيه دليل على ان الاقرار داخل في الايمان كما هو مذهب
الفقهاء وتعلقت الكرامية في ان الايمان مجرد القول لقوله بما قالوا لكن الثناء
بفيض الدمع في السياق وبالاحسان في السياق يدفع ذلك وانى يكون مجرد
القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
وما هم بمؤمنين نفي الايمان عنهم مع قولهم امنا بالله لعدم التصديق بالقلب
وقال اهل المعرفة الموجود منهم ثلثة اشياء البكاء على الجفاء والدعاء على
العطاء والرضاء بالقضاء فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلثة فليس
بصادق في دعواه والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا
اثر الرد في حق الاعداء والاول اثر القبول للاولياء ونزل في جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار
ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء
والطيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ما طاب و
لذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمنا
على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلوا
والعسل وقال عليه الصلوة والسلام ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن الحسن

انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان
من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم
قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى
لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل
الفالوذ ويقول لا اودي شكره قال افيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه
جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكبر من نعمته عليه في الفالوذ ولا
تعتدوا ولا تجاوزوا الحد الذي حد عليكم في تحريم او تحليل او ولا تعتدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات ان الله لا
يحب المعتدين حدوده وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا حال مما رزقكم
الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به
مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فيما امر به ونهى لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو ان يحلف على شيء
يرى انه كذلك وليس كما ظن وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة
فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يجري
على اللسان بلا قصد ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان
وهو توثيقها وبالتخفيف كوفي غير حفص والعقد العزم على الوفاء وذا لا يتصور
في الماضي فلا كفارة في الغموس وعند الشافعي رحمه الله تعالى القصد بالقلب
ويمين الغموس مقصودة وكانت معقودة فكانت الكفارة فيهما مشروعة و
المعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان
معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته اي فكفارة نكثه
او فكفارة معقود الايمان والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة
اي تسترها اطعام عشرة مساكين هو ان يغديهم ويعشيهم ويجوز ان يعطيهم
بطريق التمليك وهو لكل واحد نصف صاع من بر او صاع من شعير او من تمر
وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين من اوسط ما تطعمون اهليكم غداء
وعشاء اذ الاوسع ثلث مرات مع الادام والادنى مرة من تمر وشعير او كسوتهم
عطف على اطعام او على محل من اوسط ووجهه ان من اوسط بدل من اطعام و
البدل هو المقصود في الكلام وهي ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر رضي الله عنه

ازار وقميص او رداء او كساء او تحرير رقبة مؤمنة او كافرة لاطلاق النص
وشرط الشافعي رحمه الله الايمان حملا للمطلق على المقيد في كفارة القتل ومعنى
او التخيير وايجاب احد الكفارات الثلاث فمن لم يجد احديها فصيام ثلثة
ايام متتابعات لقراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنه كذلك ذلك اي المذكور
كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة
لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا
تحنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا او لا تحلفوا اصلا كذلك مثل ذلك البيان يبين
الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمه فيما يعلمكم
ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر اي القمار و
الانصاب الاصنام لانها تنصب وتعبد والازلام وهي القداح التي مرت رجس
نجس او خبيث او مستقذر من عمل الشيطان لانه يحمل عليه فكانه عمله والضمير في
فاجتنبوه يرجع الى الرجس او الى عمل الشيطان او الى المذكور او الى المضاف المحذوف
كانه قيل انما تعاطي الخمر والميسر ولذا قال رجس لعلكم تفلحون اكد تحريم الخمر والميسر
من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب
الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا ياتي منه الا الشر البحت وامر
بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب
خسارا انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع
التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله
وعن مراعات اوقات الصلوة وخصص الصلوة من بين الذكر لزيادة درجتها
كانه قال وعن الصلوة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا
ثم افردهما اخرا لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب
الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال اهل الشرك فكانه لا مباينة بين عابد
الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم افردهما بالذكر ليعلم انهما المقصود بالذكر فهل
انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف
والزواجر فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا
ولم تزجروا واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا وكونوا حذرين خاشعين

لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة فان توليتم
عن ذلك فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لن تضروا
بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم
حين اعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر واكلوا
من مال القمار قبل تحريمهما اذا ما اتقوا الشرك وامنوا بالله وعملوا الصالحات
بعد الايمان ثم اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ساير المحرمات
او الاول عن الشرك والثاني عن المحرمات والثالث عن الشبهات واحسنوا الى
الناس والله يحب المحسنين ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون
وكثر عندهم حتى كان يغشيهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم نزل يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله
ايديكم ورماحكم ومعنى يبلو يختبر وهو من الله تعالى لاظهار ما علم من العبد
على ما علم لا ليعلم ما لم يعلم ومن للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد او لبيان الجنس ليعلم
الله من يخافه بالغيب ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا
كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله لا على علمه فيه فمن اعتدى فصاد
بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم قلل في قوله بشيء من الصيد ليعلم انه ليس من
الفتن العظام وتناله صفة لشيء يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد اي المصيد
اذ القتل انما يكون فيه وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح جمع رداح في محل النصب
على الحال من ضمير الفاعل في تقتلوا ومن قتله منكم متعمدا حال من ضمير الفاعل
اي ذاكرا لاحرامه او عالما ان ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا لاحرامه او
رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد في الاية مع ان محظورات
الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لان مورد الاية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم
في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم
فنزلت ولان الاصل فعل التعمد والخطا ملحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب
بالعمد ووردت السنة بالخطا فجزاء مثل ما قتل كوفي اي فعليه جزاء يماثل ما
قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي خير
بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي

كل

كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين
يوما وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له
نظير في النعم فكما مر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم واصله فجزاء مثل ما قتل اي
فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب
زيد من النعم حال من الضمير في قتل اذ المقتول يكون من النعم او صفة لجزاء
يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على
ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة
ولان المثل المطلق بالكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى او بالمعنى
لا بالصورة بلا معنى ولان القيمة اريدت فيما لا مثل له صورة اجماعا فلم يبق
غيرها مرادا اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله من النعم بيانا في تفسير المثل
بالقيمة قلت من اوجب القيمة خير بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم
كما خير الله تعالى في الاية فكان من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه
التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل
من النعم على ان التخيير الذي في الاية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او
الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد
الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم ثم
خير بين الاطعام والصيام ففيه نبوء عما في الاية الا ترى الى قوله او كفارة طعام
مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك
الا بالتقويم هديا حال من الهاء في به اي يحكم به في حال الهدي بالغ الكعبة صفة
لهديا لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق
به فحيث شئت وعند الشافعي رحمه الله في الحرم او كفارة معطوف على جزاء طعام
بدل من كفارة او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام او كفارة طعام على الاضافة مدني
وشامي وهذه الاضافة لتبيين المضاف كانه قيل او كفارة من طعام مساكين
كما تقول خاتم فضة اي خاتم من فضة او عدل وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل
ما عادل الشيء من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثله من جنسه و
منه عدلا الحمل تقول عندي غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان
اردت قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح ذلك اشارة

الى الطعام صياما تمييز نحو لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى القاتل وعند محمد
رحمه الله الى الحكمين ليذوق وبال امره متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او
يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر
الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا
اي ثقيلا شديدا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفى
الله عما سلف لكم من الصيد قبل التحريم ومن عاد الى قتل الصيد بعد التحريم
او في ذلك الحرام فينتقم الله منه بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره
فهو ينتقم الله منه والله عزيز بالزام الاحكام ذو انتقام لمن جاوز حدود
الاسلام احل لكم صيد البحر مصيدات البحر مما يوكل ومما لا يوكل وطعامه وما يطعم
من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول
منه وهو السمك وحده متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وللسيارة
وللمسافرين والمعنى احل لكم طعامه تمتيعا لتنائبكم يأكلونه طريا ولسيارتكم
يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر
وحرم عليكم صيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في
الاوقات كالبط فانه بري لانه يتولد في البر والبحر له مرعى كما للناس متجر
ما دمتم حرما محرمين واتقوا الله في الاصطياد في الحرم او في الاحرام الذي اليه تحشرون
تبعثون فيجزيكم على اعمالكم جعل الله الكعبة اي صير البيت الحرام بدل او عطف
بيان قياما مفعول ثان او جعل بمعنى خلق وقياما حال للناس اي انتعاشا
لهم في امر دينهم ونهوضا الى اغراضهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من
امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم قيل لو تركوه عاما لم ينظروا ولم
يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان اختصاصه من
بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله او اريد به جنس الاشهر الحرم وهو
رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم والهدي ما يهدى الى مكة والقلائد المقلد
منه خصوصا وهو البدن والثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة الى
جعل الكعبة قياما او الى ما ذكر من حفظ حرمة الحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اي لتعلموا
ان الله مصالح ما في السموات وما في الارض وكيف لا يعلم وهو بكل شيء عليم اعلموا

ان الله

ان الله شديد العقاب لمن استخف بالحرم والاحرام وان الله غفور لا ثم من
عظم المشاعر العظام رحيم بالجاني الملتجي الى البلد الحرام ما على الرسول الا
البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه
من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم قل لا يستوي
الخبيث والطيب لما اخبر انه يعلم ما تبدون وما تكتمون ذكر انه لا يستوي خبيثهم
وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث اي الكافر ويثيب الطيب اي المسلم ولو
اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله واثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر
وقيل هو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديهم
يا اولي الالباب اي العقول الخالصة لعلكم تفلحون كانوا يسألون النبي صلى
الله عليه وسلم عن اشياء امتحانا فنزل يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء
قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف وهي فعلاء
من لفظ شيء وهمزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهي مفردة لفظا
جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت الاولى التي هي لام الكلمة
فجعلت قبل الشين فصار لفظها لفعاء والجملة الشرطية والمعطوفة عليها اي قوله
ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم صفة
لاشياء اي وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام
الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك التكاليف التي تسوءكم اي تغمكم وتشق عليكم
وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفى الله عنها
عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاقبكم
الا بعد الانذار والضمير في قد سألها لا يرجع الى اشياء حتى يعدى بعن بل يرجع
الى المسألة التي دلت عليها لا تسألوا اي قد سأل هذه المسألة قوم من قبلكم من
الاولين ثم اصبحوا بها صاروا بسببها كافرين كما عرف في بني اسرائيل ما جعل
الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام كان اهل الجاهلية اذا نتجت
الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها
ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري
او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان

الرجل اذا اعتق عبدًا قال هو سائبة فلا عقل بينهما و لا ميراث وكانت الشاة
اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع ذكرًا اكله الرجال وان كان انثى ارسلت
في الغنم وكذا ان كان ذكرًا وانثى وقالوا وصلت اخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة
واذا انجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا
يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر به وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بتحريمهم ما حرموا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ في نسبتهم هذا التحريم اليه وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ان الله تعالى لا يحرم ذلك وهم عوامهم وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى
مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ اي هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الاشياء غير
محرمة قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا اي كافينا ذلك حسبنا مبتدأ و
الخبر ما وجدنا وما بمعنى الذي والواو في أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ للحال قد دخلت
عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَلَا يَهْتَدُونَ اي الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه
بالحجة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ انتصب انفسكم بعليكم وهو من اسماء
الافعال اي الزموا اصلاح انفسكم والكاف والميم في عليكم في موضع لان اسم
الفعل والمجرور لا على وحدها لَا يَضُرُّكُمْ رفع على الاستيناف او جزم على جواب
الامر وانما ضمت الراء اتباعًا لضمة الضاد مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ كان المؤمنون
تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل
لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم
مهتدين وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان تركهما مع القدرة
عليهما لا يجوز إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا رجوعكم فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثم يجزيكم
على اعمالكم روي انه خرج بديل بن مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع
عدي وتميم وكانا نصرانيين الى الشام فمرض بديل وكتب كتابًا فيه ما معه وطرحه
في متاعه ولم يخبر به صاحبه واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا
متاعه واخذا اناء من فضة فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ارتفع اثنان لانه خبر المبتدأ وهو
شهادة بينكم بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او لانه فاعل شهادة بينكم اي

استوام

فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان واتسع في بين فاضيف اليه المصدر واذا حضر
ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية
لان حضور الموت من الامور الكائنة وحين الوصية بدل منه فيدل على وجود الوصية
ولو وجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل الى الوجوب وحضور الموت
مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل ذَوَا عَدْلٍ صفة لاثنين مِنْكُمْ من اقاربكم
لانهم اعلم باحوال الميت او آخَرَانِ عطف على اثنان مِنْ غَيْرِكُمْ من الاجانب إِنْ أَنْتُمْ
ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ سافرتم فيها وانتم فاعل فعل يفسره الظاهر فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ
الْمَوْتِ او منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ اذ لا يجوز
شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين تَحْبِسُونَهُمَا
تقفونهما للحلف وهو استيناف كلام او صفة لقوله او آخران من غيركم اي او آخران
من غيركم محبوسان وان انتم ضربتم فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة
والموصوف مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن
الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي
حديث بديل انها لما نزلت صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم
فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي
والله اعلم فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ فيحلفان به إِنِ ارْتَبْتُمْ شككتم في امانتهما وهو اعتراض بين
يقسمان وجوابه وهو لَا نَشْتَرِي وجواب الشرط محذوف اغنى عنه معنى الكلام والتقدير
ان ارتبتم في شأنهما فحلفوهما به اي بالله او بالقسم ثَمَنًا عرضًا من الدنيا وَلَوْ كَانَ
اي المقسم له ذَا قُرْبَى اي لا يحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم
له قريبًا منا وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها
إِنَّا إِذًا اي انا ان كتمنا لَمِنَ الْآثِمِينَ وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ
تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما فَإِنْ عُثِرَ فان اطلع عَلَى
أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فعلا ما اوجب اثمًا واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فَآخَرَانِ
فشاهدان آخران يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ اي من الذين
استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي
قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما
وان شهادتهما احق من شهادتهما الْأَوْلَيَانِ الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما

وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هما بدل من
الضمير في يقومان او من اخران استحق عليهم الاوليان حفص اي من الورثة الذين
استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا
بهما كذب الكاذبين الاولين حمزة وابو بكر على انه وصف الذين استحق عليهم مجرور
ومنصوب على المدح وسموا الاولين لانهم كانوا اولين في الذكر في قوله شهادة
بينكم فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اي ليميننا احق بالقبول من
يمين هذين الوصيين الخائنين وما اعتدينا وما تجاوزنا الحق في يميننا انا
اذا لمن الظالمين اي ان حلفنا كاذبين ذلك الذي مر ذكره من بيان الحكم
ادنى اقرب ان يأتوا اي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها كما
حملوها بلا خيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي تكرر ايمان شهود
آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم واتقوا الله في الخيانة واليمين الكاذبة
واسمعوا سمع قبول واجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن
الطاعة فان قلت ما معنى او هنا قلت معناه ذلك اقرب من ان يؤدوا الشهادة
بالحق والصدق اما لله او لخوف العار والافتضاح برد الايمان وقد احتج به
من يرى رد اليمين على المدعي فالجواب ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما
قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت الورثة وكانت
اليمين على الورثة لانكارهم الشرى يوم منصوب باذكروا او احذروا يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم ما الذي اجابتكم اممكم حين دعوتموهم الى الايمان
وهذا السؤال توبيخ لمن انكرهم وماذا منصوب باجبتم نصب المصدر على معنى اي
اجابة اجبتم قالوا لا علم لنا باخلاص قومنا دليله انك انت علام الغيوب
او بما احدثوا بعدنا دليله كنت انت الرقيب عليهم او قالوا ذلك تأدبا اي
علمنا ساقط مع علمك ومغمور به فكانه لا علم لنا اذ قال الله بدل من يوم يجمع
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك حين طهرتها واصطفيتها
على نساء العالمين والعامل في اذ ايدتك اي قويتك نعمتي بروح القدس بجبريل عليه
السلام ايد به لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه
سبب الطهر من اوضار الاثام دليله تكلم الناس في المهد حالا اي تكلمهم طفلا
اعجازا وكهلا تبليغا واذ علمتك معطوف على اذ ايدتك ونحوه واذ تخلق من الطين

واذ تخرج واذ كففت واذ اوحيت الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب
والتوراة والانجيل واذ تخلق تقدر من الطين كهيئة الطير هيئة مثل
هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة
التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها
ليست من خلقه وكذا الضمير في فتكون طيرا باذني وعطف وتبرئ الاكمه
والابرص باذني على تخلق واذ تخرج الموتى من القبور احياء باذني قيل
اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك
اي اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم ظرف لكففت بالبينات فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ساحر حمزة وعلي واذ اوحيت الهمت الى
الحواريين الخواص والاصفياء ان آمنوا اي آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا
واشهد باننا مسلمون اي اشهد باننا مخلصون من اسلم وجهه اذ قال
الحواريون اي اذكر اذ يا عيسى ابن مريم عيسى نصب على اتباع حركته حركة
الابن نحو يا زيد ابن عمرو هل يستطيع ربك هل يفعل او هل يطيع ربك
ان سألته واستطاع واطاع بمعنى كاستجاب واجاب هل تستطيع ربك علي اي
هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف والمعنى هل تسأله ذلك من غير
صارف يصرفك عن سؤاله ان ينزل علينا ينزل مكي وبصري مائدة من السماء
هي الخوان اذا كان عليه الطعام من مادة اذا اعطاه كانها تميل من تقدم
اليه قال اتقوا الله في اقتراح المعجزات بعد ظهور الآيات ان كنتم مؤمنين
اذ الايمان يوجب التقوى قالوا نريد ان نأكل منها تبركا به وتطمئن
قلوبنا وتزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ونعلم
ان قد صدقتنا اي نعلم صدقك عيانا كما علمناه استدلالا بما عاينا و
نكون عليها من الشاهدين لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم
لا للتعنت قال عيسى ابن مريم اللهم اصله الله فحذف يا وعوض منه الميم
ربنا نداء ثان انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي تكون يوم
نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا والعيد السرور
العائد ولذا يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا لاولنا
وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي

بعدنا او يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهما وللمتقدمين منا والاتباع وآية
منك على صحة نبوتي ثم اكد ذلك بقوله وارزقنا وانت خير الرازقين و
اعطنا ما سألناك وانت خير المعطين قال الله اني منزلها عليكم وبالتشديد
مدني وشامي وعاصم وعدا لانزال وشرط عليهم شرطا بقوله فمن يكفر بعد
اي بعد انزالها منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا كالسلام بمعنى التسليم
والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من
الباء احدا من العالمين عن الحسن ان المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدا
الى يوم القيمة لقوله واخرنا والصحيح انها نزلت فعن وهب نزلت مائدة منكوسة
تطير بها الملائكة عليها كل الطعام الا اللحم وقيل كانوا يجدون عليها ما
شاؤا وقيل كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الجمهور على ان هذا
السؤال يكون في يوم القيمة دليله سياق الاية وسياقها وقيل خاطبه به حين
رفعه الى السماء دليله لفظ اذ قال سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي
ما ينبغي لي ان اقول ما ليس لي بحق ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته
فقد علمته ان صح اني قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى اني لا احتاج الى الاعتذار
لانك تعلم اني لم اقله ولو قلته علمته لانك تعلم ما في نفسي ذاتي ولا اعلم ما في
نفسك انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس
من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم
الا ما امرتني به اي ما امرتهم الا بما امرتني به ثم فسر ما امر به فقال ان اعبدوا
الله ربي وربكم فان مفسرة بمعنى اي وكنت عليهم شهيدا رقيبا ما دمت فيهم
مدة كوني فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم الحفيظ وانت على
كل شيء شهيد من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال الزجاج علم عيسى عليه السلام
ان منهم من آمن ومنهم من اقام على الكفر وقال في جملتهم ان تعذبهم اي من كفر منهم
فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وانت العادل
في ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم وان تغفر لهم اي لمن اقلع منهم و
آمن فذلك تفضل منك وانت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك وعزيز

قوي قادر على الثواب حكيم لا تعاقب الا عن حكمة وصواب قال الله هذا يوم
ينفع الصادقين صدقهم برفع اليوم والاضافة على انه خبر هذا اي يقول
الله هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر في دنياهم وآخرتهم والجملة
من المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعولية كما يقول قال زيد عمرو منطلق و
بالنصب نافع على الظرف اي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين
صدقهم وهو يوم القيمة لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم بالسعي المشكور ورضوا عنه بالجزاء الموفور ذلك
الفوز العظيم لانه باق بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق لله ملك السموات
والارض وما فيهن عظم نفسه عما قالت النصارى ان معه الها آخر وهو
على كل شيء قدير من المنع والعطاء والايجاد والافناء فسأله ان يوفقنا لمرضاته
ويجعلنا من الفائزين به وجناته

الحمد لله تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء اي الحمد له وان لم تحمدوه
الذي خلق السموات والارض جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض
وان كانت سبعا عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض
جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات
والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة وافرد والنور لارادة
الجنس ولان ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر
وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحدة منها صاحبها والنور ضرب واحد لا
يختلف كما تختلف الظلمات وقدم الظلمات لقوله عليه الصلوة والسلام خلق الله
خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه النور اهتدى ومن اخطاه ضل
ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون يسوون به الاوثان تقول عدلت
هذا بذا اي ساويته به والباء في بربهم صلة للعدل لا للكفر او ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون عنه اي يعرضون عنه فيكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون اي
عنه محذوف وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما
خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته او على خلق

السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا
يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته هو
الذي خلقكم من طين من لابتداء الغاية اي ابتداء خلق اصلكم يعني آدم منه
ثم قضى اجلا اي حكم اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة او الاول ما بين
ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ او الاول
النوم والثاني الموت او الثاني هو الاول وتقديره وهو اجل مسمى اي معلوم
واجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر ظرف واحقه
التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة ثم انتم تمترون تشكون من
المرية او تجادلون من المراء ومعنى ثم استبعاد ان تمتروا فيه بعد ما ثبت انه
محييهم ومميتهم وباعثهم وهو الله مبتدأ وخبر في السموات وفي الارض متعلق
بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله او هو المعروف بالالهية فيهما او هو الذي يقال له الله فيهما والاول لتفريع
على انه مشتق وغيره انه غير مشتق يعلم سركم وجهركم خبر بعد خبر او كلام
مبتدأ اي هو يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه
ويعاقب ومن في وما تأتيهم من آية للاستغراق ومن في من آيات ربهم
للتبعيض اي وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم
في العواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين
عن الايمان فقد كذبوا بالحق لما جاءهم اي بما هو اعظم آية واكثرها وهو القرآن
الذي تحدوا به وعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي انباء
الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن اي اخباره واحواله يعني سيعلمون
باي شيء استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او
عند ظهور الاسلام وعلو كلمته الم يروا يعني المكذبين كم اهلكنا قبلهم من
قرن هو مدة انقضاء اهل كل عصر وهو ثمانون سنة او سبعون مكناهم في موضع
جر صفة لقرن وجمع على المعنى في الارض ما لم نمكن لكم التمكين في البلاد اعطا
المكنة والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة
في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السماء المطر

عليهم

عليهم مدرارا كثيرا وهو حال من السماء وجعلنا الانهار تجري من تحتهم
من تحت اشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث
المدرار فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا من بعدهم
قرنا آخرين بدلا منهم ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق
فلمسوه بايديهم هو للتاكيد لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ومن المحتج عليهم
الاعمى لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره و
قالوا لولا هلا انزل عليه على النبي صلى الله عليه وسلم ملك يكلمنا انه نبي فقال الله ولو
انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون ثم لا يمهلون بعد نزوله
طرفة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدونه
ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد
من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا و
لو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل على محمد ملكا
وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا
لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة
في صورهم وللبسنا عليهم ما يلبسون ولخلطنا واشكلنا عليهم من امره
اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان
هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم البسه اذا اشبهته و
اشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ما اصابه من استهزاء قومه بقوله ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط
بهم الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء
به ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال المكسورة
عند ابي عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا لضم التاء قل
سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين الفرق بين فانظروا
وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فكانه قيل سيروا
لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة
السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك

بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات وما في الارض من
استفهام وما بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره قل لله تقرير
لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا يقدرون ان يضيفوا شيئا منه الي
غيره كتب على نفسه الرحمة اصل كتب اوجب ولكن لا يجوز الاجرا على ظاهره
اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا مؤكدا فهو منجزه لا
محالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم اوعدهم على اغفالهم
النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الي يوم القيمة
فيجازيكم على اشراككم لا ريب فيه في اليوم او في الجمع الذين خسروا انفسهم
نصب على الذم اي اريد الذين خسروا انفسهم باختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون
وقال الاخفش الذين بدل من كم في ليجمعنكم اي ليجمعن هؤلاء المشركين الذين
خسروا انفسهم والوجه هو الاول لان سيبويه قال لا يجوز مررت بالمسكين و
لا بك المسكين فيجعل المسكين بدلا من الياء والكاف لانهما في غاية الوضوح
فلا يحتاجان الي البدل والتفسير وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار
من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك او من السكون ومعناه ما سكن وتحرك
فيهما فاكتفى باحد الضدين عن الآخر كقوله تعالي تقيكم الحر اي الحر والبرد و
ذكر السكون لانه اكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لانهم لا ينكرون انه
خالق الكل ومدبره وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا
يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا ناصرا ومعبودا
وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما ادخل همزة الاستفهام على مفعول اتخذ
لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان احق بالتقديم
فاطر السموات والارض بالجر صفة لله اي مخترعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي
ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق اي المنافع كلها من عنده
ولا يجوز عليه الانتفاع قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي عليه الصلوة
والسلام سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين ولا تكونن
من المشركين وقيل لي لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظا لقيل وان لا اكون من
المشركين والمعنى امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي

عذاب يوم عظيم اي اني اخاف عذاب يوم عظيم وهو القيمة ان عصيت ربي فالشرط
معترض بين الفعل والمفعول به محذوف الجواب من يصرف عنه العذاب يومئذ
فقد رحمه اي الرحمة العظمى وهي النجاة من يصرف حمزة وعلي وابو بكر اي من يصرف
الله عنه العذاب وذلك الفوز المبين النجاة الظاهرة فان يمسسك الله بضر
من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو
وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته و
ازالته وهو القاهر مبتداء وخبر اي الغالب المقتدر فوق عباده خبر بعد خبر اي
عال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه وهو الحكيم في تنفيذ
مراده الخبير باهل القهر من عباده قل اي شيء اكبر شهادة اي شيء مبتداء واكبر خبره
وشهادة تمييز واي كلمة يراد بها بعض ما يضاف اليه فاذا كانت استفهاما
كان جوابها مسمى باسم ما اضيف اليه وقوله قل الله جواب اي الله اكبر شهادة
فالله مبتداء والخبر محذوف فيكون دليلا على انه يجوز اطلاق اسم الشيء على الله تعالي
وهذا لان الشيء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالي موجود فيكون شيئا
ولذا نقول الله شيء لا كالاشياء ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني و
بينكم ويجوز ان يكون الجواب الله شهيد بيني وبينكم لانه اذا كان الله شهيدا بيني
وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ
اي ومن بلغه القران الي قيام الساعة في الحديث من بلغه القران فكانما راى محمدا
من في محل النصب بالعطف على كم والمراد به اهل مكة والعائد اليه محذوف اي ومن بلغه
وفاعل بلغ ضمير القران ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى استفهام انكار وتبكيت
قل لا اشهد بما تشهدون وكرر قل توكيدا انما هو اله واحد ما كافة لان انها تكف عن
العمل وهو مبتداء واله خبره وواحد صفة او بمعنى الذي في محل النصب بان وهو مبتداء
واله خبره والجملة صلة الذي وواحد خبر ان وهذا الوجه اوقع وانني بريء مما تشركون
الذين اتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى والكتاب التورية والانجيل يعرفونه
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة بنبوته
مثل كما يعرفون ابناءهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين به فهم لا
يؤمنون به ومن اظلم استفهام يتضمن معنى النفي اي لا احد اظلم لنفسه والظلم وضع
الشيء في غير محله واشنعه اتخاذ المخلوق معبودا ممن افترى اختلق على الله كذبا فيصفه

بعلامتهم ونعتهم ومنها الشهادة
لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب وبعضهم
نبوته ثم قال الذين خسروا
انفسهم

بما لا يليق به او كذب بآياته بالقرآن والمعجزات انه ان الامر والشان لا يفلح الظالمين
جمعوا بين امرين باطلين وكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا
الملائكة بنات الله وسموا القرآن والمعجزات سحرا ويوم نحشرهم هو مفعول به او
التقدير واذكر يوم نحشرهم جميعا حال من ضمير المفعول ثم نقول للذين اشركوا
مع الله غيره نحشرهم ثم يقول بالياء فيهما يعقوب اين شركاؤكم آلهتكم التي جعلتموها شركاء
لله الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ثم لم تكن
وبالياء حمزة وعلي فتنتهم كفرهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يعني
ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه الا جحوده والتبرؤ منه
والحلف على الانتفاء من التدين به او ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة
لانه كذب وبرفع الفتنة مكي وشامي وحفص فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة
فقد جعل الفتنة اسم تكن والا ان قالوا الخبر اي لم يكن فتنتهم الا مقالتهم ومن
قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل قالوا اسم يكن اي لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ
بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة ربنا حمزة وعلي على النداء اي يا ربنا وغيرهما
بالجر على النعت من اسم الله انظر يا محمد كيف كذبوا على انفسهم بقولهم ما كنا
مشركين قال مجاهد رضي الله عنه اذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة
الله وشفاعة الرسول للمؤمنين وقال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا
ننجو مع اهل التوحيد فاذا قال الله لهم اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم وضل
عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون آلهته وشفاعته ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون
تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما ادري
ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية
فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان واعنة ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لانه مصدر وهو عطف على اكنة وهو
حجة لنا في الاصلح على المعتزلة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك
يقول الذين كفروا حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين

كفروا

كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون جارة ويكون اذا جاؤك في موضع
الجر بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ
تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون
ان هذا ما القرآن الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله اكاذيب واحدها
اسطورة وهم اي المشركون ينهون عنه ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول
واتباعه والايمان به وينأون عنه ويبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون
وان يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون اي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم
وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل عني به ابو طالب لانه كان ينهى
قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به والاول اشبه ولو ترى حذف
جوابه اي ولو ترى لشاهدت امرا عظيما اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها
او حبسوا على الصراط فوق النار فقالوا يا ليتنا نرد الى الدنيا تمنوا الرد الى الدنيا
ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم ابتدؤا بقوله ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين
الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حمزة وحفص على جواب
التمني بالواو باضمار ان ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما في
ونكون شامي بل للاضراب عن الوفاء بما تمنوا بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من الناس
من قبل في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وقيل هو في المنافقين وانه
يظهر لهم نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفون
من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به
وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا
يقولون قبل معاينة القيامة وهي كناية عن الحيوة او هي ضمير القصة وما نحن بمبعوثين
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني
بين يدي سيده ليعاتبه او وقفوا على جزاء ربهم قال جواب لسؤال مقدر كانه
قيل ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا اي البعث بالحق بالكائن
الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كان يسمعون من حديث البعث
ما هو بحق قالوا بلى وربنا اقروا واكدوا الاقرار باليمين قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل

بها او هو مجري على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية حتي غاية لكذبوا لا لخسروا
لان خسرانهم لا غاية له اذا جاءتهم الساعة اي القيمة لان مدة تأخرها مع تابد ما بعدها
كساعة بغتة فجاءة وانتصابها على الحال يعني باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم
الساعة بغتة وهي ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته قالوا يا حسرتنا نداء
تفجع معناه يا حسرة احضري فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة
الدنيا او في الساعة اي قصرنا في شانها وفي الايمان بها وهم يحملون اوزارهم
اثامهم على ظهورهم خص الظهر لان المعهود حمل الاثقال على الظهور كما عهد الكسب
بالايدي وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل ان الكافر اذا خرج من
قبره استقبله اقبح شيء صورة واخبثه ريحا فيقول انا عملك السيء فطالما ركبتني
في الدنيا وانا اركبك اليوم الا ساء ما يزرون بئس شيئا يحملونه وافاد الا تعظيم
ما يذكر بعده وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو جواب لقولهم ان هي الا حيوتنا الدنيا واللعب
ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد الي الهزل قيل ما اهل الحيوة الدنيا الا
اهل لعب ولهو وقيل ما اعمال الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لانها لا تعقب منفعة كما تعقب
اعمال الاخرة المنافع العظام وللدار مبتدأ الاخرة صفتها ولدار الاخرة بالاضافة
شامي اي ولدار الساعة الاخرة لان الشيء لا يضاف الي صفته وخبر المبتدأ على القراءتين
خير للذين يتقون وفيه دليل على ان ما سوي اعمال المتقين لعب ولهو افلا تعقلون
بالتاء مدني وحفص ولما قال ابو جهل ما نكذبك يا محمد وانك عندنا المصدق وانما
نكذب ما جئتنا به نزل قد نعلم انه الهاء ضمير الشان ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك لا ينسبونك الي الكذب وبالتخفيف نافع وعلي من اكذبه اذا وجده كاذبا و
لكن الظالمين بايات الله يجحدون من اقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على انهم
ظلموا في جحودهم والباء يتعلق بيجحدون او بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعني ان تكذيبك
امر راجع الي الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة و
انما يكذبون الله لان تكذيب الرسول تكذيب المرسل ولقد كذبت رسل من قبلك
تسلية لرسول الله وهو دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من
قولك لغلامك اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني فصبروا
والصبر حبس النفس على المكروه على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم
حتي اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

المرسلين انهم لهم المنصورون انا لننصر رسلنا ولقد جاءك من نباء
المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين
واجاز الاخفش ان يكون من زائدة والفاعل نباء المرسلين وسيبويه لا يجيز
زيادتها في الواجب كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم
ويحب مجيء الايات ليسلموا فنزل وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عن
الاسلام فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الي ما تحت الارض
حتي تطلع لهم اية يؤمنون بها في الارض صفة لنفقا او سلما في السماء فتاتيهم
منها باية فافعل وهو جواب فان استطعت وهو وجوابها جواب وان كان كبر و
المعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع
ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتي بها رجاء ايمانهم ولو شاء
الله لجمعهم على الهدي لجعلهم بحيث يختارون الهدي ولكن لما علم انهم يختارون
الكفر لم يشاء ان يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ ابو منصور رحمه الله فلا تكونن
من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ثم اخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع
لعدم سمعهم كالموتي بقوله انما يستجيب الذين يسمعون اي انما يجيب دعاءك
الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم والموتي مبتدأ اي الكفار يبعثهم الله ثم اليه
يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا وقالوا لولا نزل عليه اية
هلا انزل عليه من ربه كما نقترح من جعل الصفا ذهبا وتوسيع ارض مكة وتفجير
الانهار خلالها قل ان الله قادر على ان ينزل اية كما اقترحوا ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية او لا يعلمون ما عليهم في الاية من البلاء
لو انزلت وما من دابة هي اسم لما يدب ويقع على المذكر والانثي في الارض في موضع
جر صفة لدابة ولا طائر يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناحين لنفي المجاز
لان غير الطائر قد يقال فيه طار اذا اسرع الا امم امثالكم في الخلق والموت و
البعث والاحتياج الي مدبر يدبر امرها ما فرطنا ما تركنا في الكتاب
في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت او الكتاب
القرآن وقوله من شيء اي من شيء يحتاجون فهو مشتمل على ما تعبدنا من عبارة واشارة
ودلالة واقتضاء ثم الي ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطيور
فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا

بد منفذا

رون

وانما قال الامم مع افراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولما ذكر من خلائقه
واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والذين كذبوا باياتنا
صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون بالحق خابطون في الظلمات
اي ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه صم بكم خبر
الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر اخر ثم قال ايذانا بانه فعال
لما يريد من يشاء الله يضلله اي من يشاء الله ضلاله يضلله ومن يشا يجعله
على صراط مستقيم وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصي ونفي الاصلح قل
ارايتكم وبتليين الهمزة مدني وبتركها علي ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال
لكم فاخبروني بما عندكم والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل
ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة
من يدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون تخصون الهتكم بالدعوة فيما هو
عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها ان كنتم صادقين في ان الاصنام
الهة فادعوها لتخلصكم بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف
ما تدعون اليه اي ما تدعون الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم وتنسون
ما تشركون وتتركون الهتكم ولا تذكرون الهتكم في ذلك الوقت اذ اذهانكم مغمورة
بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار
بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتيكم عذاب الله و
لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي المفعول محذوف فكذبوهم فاخذناهم
بالباساء والضراء بالبؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض
ونقصان الانفس والاموال لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم
ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد فلولا اذ جاءهم
باسنا تضرعوا اي هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفي التضرع كانه قيل فلم
يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك
التضرع الا عنادهم ولكن قست قلوبهم فلم ينزجروا بما ابتلوا به وزين
لهم الشيطان ما كانوا يعملون وصاروا معجبين باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم
فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شامي

حتى

حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
ايسون متحسرون واصل الابلاس الاطراق حزنا لما اصابه او ندما على ما فاته واذ للمفاجاة
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اهلكوا عن اخرهم ولم يترك منهم احد
والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وانه من اجل
النعم واجزل القسم او احمدوا الله على هلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته و
توحيده بقوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم
وختم على قلوبكم فسلب العقول والتمييز من اله غير الله ياتيكم به بما اخذ
وختم عليه من رفع للابتداء واله خبره وغير صفة لاله وكذا ياتيكم والجملة في
موضع مفعولي ارايتم وجواب الشرط محذوف انظر كيف نصرف الايات
نكررها ثم هم يصدفون يعرضون عن الايات بعد ظهورها والصدوف الاعراض
عن الشيء قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة بان لم يظهر اماراته او جهرة
بان ظهرت اماراته وعن الحسن رحمه الله ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم
الظالمون ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا انفسهم بكفرهم بربهم
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالجنان والنيران للمؤمنين و
الكفار ولم نرسلهم ليقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة
والادلة الساطعة فمن امن واصلح اي دام على ايمانه فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فلا خوف يعقوب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب
ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الالام بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم
وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
اي قسمه بين الخلق وارزاقه ومحل ولا اعلم الغيب النصب عطفا على محل عندي خزائن
الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول ولا
اقول لكم اني ملك اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن
الله وعلم الغيوب ودعوى الملكية وانما ادعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوة
ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اخبركم الا بما انزل الله علي قل هل يستوي الاعمى
والبصير مثل للضال والمهتدي او لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمدعي
المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه
العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد

لي منه وانذر به بما يوحي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المسلمون المقرون
بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه او اهل الكتاب لانهم مقرون
بالبعث ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا اي يخافون
ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم لعلهم يتقون يدخلون في زمرة اهل
التقوى ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار غير المتقين ليتقوا امر بعد ذلك
بتقريب المتقين ونهي عن طردهم بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها
والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام او معناه يصلون صلوة الصبح والعصر
او الصلوة الخمس بالغدوة شامي ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون
وجهه فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب
وعمار واضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك
فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما
وطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضي الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية
فنزلت فرمى عليه الصلوة والسلام بالصحيفة واتى الفقراء فعانقهم ما عليك
من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وما من حسابك عليهم
من شيء وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم
لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم فتطردهم جواب النفي
وهو ما عليك من حسابهم فتكون من الظالمين جواب النهي وهو لا تطرد
ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن
طردهم وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا
الاغنياء بالفقراء ليقولوا اي الاغنياء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي
انعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء انكارا لان
يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يشكر نعمته واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا فقل سلام عليكم اما ان يكون امر بتبليغ سلام الله تعالى اليهم واما
ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله كتب
ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة

منهم

منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا انه الضمير للشان من عمل منكم سوءا
ذنبا بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة او
جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة ثم تاب من بعده من بعد السوء او العمل
واصلح واخلص توبته فانه غفور رحيم انه فانه شامي وعاصم الاول بدل
الرحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف اي فشانه انه غفور رحيم انه فانه مدني
الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ انه فانه غيرهم على الاستيناف كان الرحمة
استفسرت فقيل انه من عمل منكم وكذلك نفصل الايات ولتستبين و
بالياء حمزة وعلي وابو بكر سبيل المجرمين مدني غيرهم بالرفع فرفع السبيل مع
التاء والياء لانها تذكر وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب رسول الله يقال
استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل المبين
نفصل ايات القران ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن
يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا
ذلك التفصيل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي
صرفت وزجرت بادلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله قل
لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى
دون اتباع الدليل وهو بيان السبب الذي منه وقعوا في الضلال قد ضللت
اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين وما انا من الهدى
في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله
قل اني على بينة من ربي اي اني على معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة
فكذبتم به حين اشركتم به غيره وقيل على بينة من ربي على حجة واضحة من جهة ربي
هو القران وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تأويل البرهان او البيان او القران
ثم عقبه بما دل على انهم احقاء بان يعاقبوا بالعذاب فقال ما عندي ما تستعجلون
به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم
الا لله في تأخير عذابكم يقص الحق حجازي وعاصم اي يتبع الحق والحكمة فيما
يحكم به ويقدره من قص اثره الباقون يقض الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي
من التأخير والتعجيل فالحق صفة لمصدر يقضي وهو خير الفاصلين اي القاضين
بالقضاء الحق اذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ وسقوطها

في اللفظ لالتقاء الساكنين قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون
به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي و
الله اعلم بالظالمين فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم انه اردع وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب
والرزق او ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب
مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها
بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل اليها فاراد انه هو
المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن و
يعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح
الغيب فمن آمن بغيبه اسبل الله الستر على عيبه ويعلم ما في البر من النبات والدواب
والبحر من الحيوان والجواهر وغيرهما وما تسقط من ورقة الا يعلمها ما للنفي ومن
للاستغراق اي يعلم عددها واحوالها قبل السقوط وبعده ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما تسقط
من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها
او اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض انفسكم
عن التصرف بالتمام في المنام ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم فيه من الآثام
ثم يبعثكم فيه يوقظكم في النهار والتقدير ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم
فيه فقدم الكسب لانه الاهم وليس فيه انه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا انه لا يتوفانا
بالنهار فدل ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ليقضى اجل مسمى ليوفى
الآجال على الاستكمال ثم اليه مرجعكم رجوعكم بالبعث بعد الموت ثم ينبئكم بما
كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم قال بعض اهل الكلام ان في الدنيا لكل حاسة من
هذه الحواس روحا يقبض عند النوم ثم يرد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي
تحيى بها النفس فانه لا يقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعاني
والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمشي والشم و
معنى ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم ويرد اليكم ارواح الحواس فيستدل به على منكري
البعث لانه بالنوم يذهب ارواح هذه الحواس ثم يرد اليها فكذا تحيى الانفس بعد
موتها وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم

وهم الكرام

وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك ازجر للعباد عن ارتكاب الفساد اذا
تفكروا ان صحايفهم تعرض على رؤس الاشهاد حتى اذا جاء احدكم الموت حتى
لغاية حفظ الاعمال اي وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحيوة الى ان يأتيه
الممات توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه توفيه و
استوفيه بالامالة حمزة رسلنا ابو عمرو وهم لا يفرطون لا يتوانون ولا يؤخرون
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه اي رد المتوفون برد الملائكة موليهم مالكهم
الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وهما صفتان لله
الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب
يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة وقيل الرد الى من ربيك خير من البقاء
مع من اذاك قل من ينجيكم ينجيكم عباس من ظلمات البر والبحر مجاز عن
مخاوفهما واهوالهما او ظلمات البر الصواعق والبحر الامواج وكلاهما في الغيم والليل
تدعونه حال من ضمير المفعول في ينجيكم تضرعا معلنين الضراعة وهو مصدر
في موضع الحال وكذا وخفية اي مسرين في انفسكم خيفة حيث كان ابو بكر وهما لغتان
لئن انجينا عاصم وبالامالة حمزة وعلي الباقون انجيتنا والمعنى يقولون لئن
خلصتنا من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين لله تعالى قل الله ينجيكم
بالتشديد كوفي منها من الظلمات ومن كل كرب غم وحزن ثم انتم
تشركون ولا تشكرون قل هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل
القدرة واللام يحتمل العهد والجنس على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما
امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة او من تحت ارجلكم كما اغرق قوم
فرعون وخسف بقارون او من قبل سلاطينكم وسفلتكم او هو حبس المطر والنبات
او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة
الامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا او يشتبكوا في ملاحم القتال
ويذيق بعضكم بأس بعض يقتل بعضكم بعضا والبأس وعنه صلى الله عليه
وسلم سألت الله تعالى ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم
فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرئيل
ان فناء امتي بالسيف انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به بالقرآن او بالعذاب قومك قريش وهو الحق اي

الصدق او لأن ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وُكِل الي امركم انما انا
منذر لكل نبإ لكل شئ ينبؤ به يعني انباءهم انهم يعذبون وايعادهم به مستقر
وقت اقرار ووصول لابد منه وسوف تعلمون تهديد واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا اي القرآن يعني يخوضون في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش
في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز ان تجالسهم واما ينسينك
الشيطان ما نهيت عنه ينسينك شامي نسي وانسي واحد فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من
حسابهم من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القرآن تكذيبا واستهزاء من
شيء اي وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار
الكراهة لهم وموعظتهم ومحل ذكرى نصب اي ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا
او رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتداء والخبر محذوف لعلهم
يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وذر الذين اتخذوا
دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به
واستهزؤا ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم واللهو ما
يشغل الانسان من هوى او طرب وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به وعظ بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الي الهلكة والعذاب وترتهن بسوء
كسبها واصل الابسال المنع ليس لها من دون الله ولي ينصرها بالقوة ولا شفيع
يدفع عنها بالمسألة ولا وقف على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس
والمعنى وذكر بالقرآن كراهة ان تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها وان تعدل
كل عدل نصب على المصدر اي وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي
يعدل المفدي بمثله وفاعل لا يؤخذ منها لا ضمير العدل لان العدل هنا
مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما قوله لا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح
اسناده اليه اولئك اشارة الي المتخذين دينهم لعبا ولهوا وهو مبتداء والخبر الذين
ابسلوا بما كسبوا وقوله لهم شراب من حميم اي ماء سخين خبر ثان لاولئك و
التقدير اولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم او مستأنف وعذاب اليم بما

كانوا يكفرون بكفرهم قل لابي بكر حتى يقول لابنه عبد الرحمن وكان يدعو اباه
الي عبادة الاوثان اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا ينفعنا
ما لا يقدر على نفعنا ان دعوناه ولا يضرنا ان تركناه ونرد وانرد على اعقابنا
راجعين الي الشرك بعد اذ هدينا الله للاسلام وابعدنا عن عبادة الاصنام
كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف
في محل النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي اننكص مشبهين من
استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه
طلبت هويه في الارض في المهمه حيران حال من مفعول استهوته اي تائها ضالا
عن الجادة لا يدري كيف يصنع له لهذا المستهوي اصحاب رفقة يدعونه الي
الهدى الي ان يهدوه الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا
وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبني على ما يقال ان الجن
يستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع
لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله و
هو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وامرنا محله النصب بالعطف على محل
ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا الصلوة التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي
للاسلام ولاقامة الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة
وهو الذي خلق السموات والارض بالحق بالحكمة او محقا ويوم يقول كن
فيكون على الخبر دون الجواب قوله الحق مبتداء ويوم يقول خبر مقدما عليه
كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق اي قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم
بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول لشيء
من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيء من السموات
والارض وساير المكونات الا عن حكمة وصواب وله الملك مبتداء وخبر مقدم
عليه وهو له يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك في الصور هو القرن بلغة اليمن او
جمع صورة عالم الغيب هو عالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية وهو الحكيم
في الافناء والاحياء الخبير بالحساب والجزاء واذ قال ابراهيم لابيه آزر هو اسم ابيه
ولقبه لانه لا خلاف بين النسابين ان اسم ابيه تارخ وهو عطف بيان لابيه ووزنه

فاعل أتتخذ أصناما آلهة استفهام توبيخ اي اتتخذها آلهة وهي لا تستحق
الالهية اني اريك وقومك في ضلال مبين وكذلك اي وكما اريناه قبح
الشرك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض اي نري بصيرته لطايف خلق السموات
والارض ونري حكاية حال ماضية والملكوت ابلغ من الملك لان الواو والتاء
تزادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الي ما فيهن حتى انتهي
نظره الي العرش وفرجت له الارضون السبع فنظر الي ما فيهن وليكون من
الموقنين فعلنا ذلك او ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما ايقن بيانا
فلما جن عليه الليل اي اظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك
نري ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه رأي كوكبا اي
الزهرة او المشتري وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب
فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الي طريق النظر والاستدلال و
يعرفهم ان النظر الصحيح مؤدي الي ان شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث
فيها وان لها محدثا احدثها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها
وساير احوالها فلما راي الكواكب الذي كانوا يعبدونه قال هذا ربي قال لهم
هذا ربي في زعمكم او المراد هذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب يكتفي
عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع
علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعي الي الحق وانجي من
الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما افل غاب وغرب قال لا
احب الآفلين اي لا احب عبادة الاصنام والاوثان المتغيرين من حال الي حال
لان ذلك من صفات الاجسام فلما راي القمر بازغا مبتديا في الطلوع قال
هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
نبه قومه على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ
وكلاهما انتقال من حال الي حال لان الاحتجاج به اظهر لانه انتقال مع خفاء و
احتجاب فلما راي الشمس بازغة قال هذا ربي وانما ذكره لانه اراد الطالع
او لانه جعل المبتدا مثل الخبر لانهما شي واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة
التانيث ولهذا قالوا في صفات الله علام ولم يقولوا علامة وان كان الثاني ابلغ
تفاديا من علامة التانيث هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه

فلما

فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء
لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والاول
اظهر لقوله يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض اي للذي دلت هذه المحدثات على انه منشئها حنيفا حال اي مائلا
عن الاديان كلها الا الاسلام وما انا من المشركين بالله شيئا من خلقه وحاجه
قومه في توحيد الله اتحاجوني مدني وابن ذكوان ونفي الشركاء عنه قال اتحاجوني
في الله في توحيد الله اتحاجوني مدني وابن ذكوان وقد هدان الي التوحيد
وبالياء في الوصل ابو عمرو ولما خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء قال ولا
اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا لا اخاف معبوداتكم في وقت
قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني منها بضر
فهو قادر على ان يجعل فيما شاء نفعا وفيما شاء ضرا لا الاصنام وسع ربي كل
شيء علما فلا يصيب عبدا شي من ضر او نفع الا بعلمه افلا تتذكرون فتميزوا
بين القادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم معبوداتكم وهي مامونة الخوف
ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به باشراكه عليكم سلطانا حجة
اذ الاشراك لا يكون عليه حجة والمعني وما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن
ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف فاي الفريقين فريقي الموحدين و
المشركين احق بالامن من العذاب ان كنتم تعلمون ولم يقل فاينا احترازا عن
تزكية نفسه ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم بشرك الدليل عليه الايات المتقدمة عن الصديق رضي الله عنه اولئك
لهم الامن وهم مهتدون تم كلام ابراهيم عليه السلام وتلك حجتنا اشارة
الي جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن الي قوله وهم
مهتدون اتيناها ابراهيم على قومه هو خبر بعد خبر نرفع درجات من
نشاء في العلم والحكمة وبالتنوين كوفي وفيه نقض قول المعتزلة ان ربك حكيم
بالرفع عليم بالاهل ووهبنا له لابراهيم اسحاق ويعقوب كلا هدينا
اي كلهم وانتصب كلا بهدينا ونوحا هدينا وهدينا نوحا من قبل ابراهيم
ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم والاول اظهر لان يونس ولوطا لم يكونا
من ذرية ابراهيم داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون و

التقدير وهدينا من ذريته هؤلاء وكذلك نجزي المحسنين ونجزي المحسنين
جزاء مثل ذلك والكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وزكريا ويحيى
وعيسى والياس كل اي كلهم من الصالحين وذكر عيسى معهم دليل على ان
النسب يثبت من قبل الام ايضا لانه جعله من ذرية نوح وهو لا يتصل به الا بالام
وبذا اجيب الحجاج حين انكر ان يكون بنو فاطمة اولاد النبي صلى الله عليه وسلم و
اسمعيل واليسع والليسع حيث كان بلامين حمزة وعلي ويونس ولوطا وكلا
فضلنا على العالمين بالنبوة والرسالة ومن اباءهم في موضع النصب عطفا على كلا
اي فضلنا بعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط
مستقيم ذلك اي ما دان به هؤلاء المذكورون هدى الله دين الله يهدي
به من يشاء من عباده وفيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية
الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من
الدرجات لحبط عنهم ما كانوا يعملون لبطلت اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن
عملك اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والحكمة او فهم الكتاب
والنبوة وهي اعلى مراتب البشر فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة
او بايات القران هؤلاء اي اهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم الانبياء المذكورون
ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده او اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم او كل من امن به او العجم ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا بالايمان
بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه و
الباء في ليسوا بها صلة بكافرين وفي بكافرين لتاكيد النفي اولئك الذين هدى الله
اي الانبياء الذين من ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد
بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده
واصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة والهاء في اقتده للوقف تسقط في الوصل
واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصاحف وبحذفها حمزة وعلي في الوصل و
يختلسها شامي قل لا اسألكم عليه على الوحي او على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد
اجرا جعلا وفيه دليل على ان اخذ الاجر على تعليم القران ورواية الحديث لا يجوز ان هو الا
ذكرى للعالمين ما القران الا عظة للجن والانس وما قدروا الله حق قدره
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء اي ما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده

حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين روي ان جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف يجادلون
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام اليس في التورية ان الله
يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فغضب فقال ما انزل الله
على بشر من شيء وحق قدره منصوب نصب المصدر قل من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا حال من الضمير في به او من الكتاب وهدى للناس تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا مما فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم اي
بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء
والاخفاء وبالياء في الثلاثة مكي وابو عمرو وعلمتم يا اهل الكتاب بالكتاب
ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من امور دينكم ودنياكم قل الله جواب اي انزله
الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون
فيه يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم وهذا كتاب انزلناه على نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم مبارك كثير الفوائد والمنافع مصدق الذي بين يديه من الكتب
ولتنذر وبالياء ابو بكر اي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه
قيل انزلنا الكتاب للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار ام القرى
مكة وسميت ام القرى لانها سرة الارض وقبلة اهل القرى واعظمها شانا ولان
الناس يؤمونها ومن حولها اهل المشرق والمغرب والذين يؤمنون بالاخرة يصدقون
بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن
خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم يحافظون خصت الصلوة
بالذكر لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على اخواتها ظاهرا
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو مالك بن الصيف او قال اوحي الي ولم
يوح اليه شيء هو مسيلمة الكذاب ومن قال في موضع جر عطف على من افترى اي
وممن قال سانزل مثل ما انزل الله ساقول واملي وهو عبد الله بن سعد بن ابي
سرح كاتب الوحي وقد املى عليه الصلوة والسلام عليه ولقد خلقنا الانسان الى خلقا
اخر فجرى على لسانه فتبارك الله احسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها
فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه وان
كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة او النضر بن الحارث وكان يقول

والطاحنات طحنًا والعاجنات عجنا فالخابزات خبزًا كانه يعارض قوله ولو ترى
جوابه محذوف اي لرأيت امرًا عظيمًا اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود
والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله
في غمرات الموت شدايده وسكراته والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
اي يبسطون ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه
عبارة عن التشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال اليوم تجزون عذاب
الهون ارادوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع والهون الهوان الشديد
واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء تريد العراقة في الهوان والتمكن فيه بما
كنتم تقولون على الله غير الحق من ان له شريكًا وصاحبة وولدًا وغير الحق مفعول
تقولون او وصف لمصدر محذوف اي قولا غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون
فلا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين بلا مال ولا معين
وهو جمع فريد كاسير واسارى كما خلقناكم في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي
مجيئا مثل ما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما
خولناكم ملكناكم وراء ظهوركم ولم تحتملوا منه نقيرًا وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في استعبادكم لقد تقطع بينكم وصلكم عن الزجاج
والبين الوصل والهجر فوالله لولا البين لم يكن الهوى ولولا الهوى ما حن للبين الف
بينكم مدني وعلي وحفص اي وقع التقطيع بينكم وضل عنكم وضاع وبطل ما كنتم
تزعمون انها شفعاؤكم عند الله ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر او
فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد اراد الشقين اللذين
في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت النبات الغض من الحب اليابس ومخرج الميت
من الحي الحب اليابس من النبات النامي او الانسان من النطفة والنطفة من الانسان
او المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لانهم
انكروا البعث فاعلمهم انه الذي خلق هذه الاشياء فهو يقدر على بعثهم وانما قال و
مخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحي من
الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب في النوى لان فلق الحب والنوى بالنبات
وشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان دليله قوله يحيي
الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي يحق له الربوبية لا الاصنام

فاني

فاني تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد وضوح الامر بما ذكرنا
فالق الاصباح هو مصدر سمي به الصبح اي شاق عمود الصبح عن سواد الليل او
خالق نور النهار وجعل الليل كوفي لان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما
كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى سكنا مسكونًا فيه من قوله
لتسكنوا فيه اي يسكن فيه الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة او عن وحشة الخلق
الى الانس بالحق والشمس والقمر انتصبا باضمار فعل يدل عليه جاعل الليل اي
وجعل الشمس والقمر حسبانا اي جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما
وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك
اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز
الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم
خلقها لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل بالبر والبحر و
اضافها اليهما لملابستها بهما او شبه مشتبهات الطريق بالظلمات قد فصلنا الايات
لقوم يعلمون قد بينا الايات الدالة على التوحيد لقوم يفقهون وهو الذي
انشاكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام فمستقر ومستودع فمستقر بالكسر
مكي وبصري فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها
كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلكم مستقر في الرحم ومستودع في
الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع
قد فصلنا الايات لقوم يفقهون وانما قيل يعلمون ثم ويفقهون هنا لان
الدلالة ثم اظهر وهنا ادق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين
احوال مختلفة ادق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر اوفق وهو الذي
انزل من السماء ماء من السحاب مطرًا فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف
من اصناف النامي اي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة فاخرجنا
منه من النبات خضرًا اي شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر وهو ما تشعب
من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبًا متراكبًا وهو السنبل
الذي تراكب حبه ومن النخل من طلعها قنوان هو رفع بالابتداء وقنوان خبره و
من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق
ونظيره صنو وصنوان دانية من المجتني لانحنائها لثقل حملها او لقصر ساقها

يات

وفيه اكتفاء اي غير دانية لطولها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وجناتٍ بالنصب
عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذا والزيتون والرمان
وجنات بالرفع الاعشى اي وثم جنات من اعناب اي مع النخل مشتبها وغير متشابه
يقال اشتبه الشيآن وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان
كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعني بعضه
متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اذا
اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به وينعه نضجه اي انظروا
الى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدره
ومدبره وناقله من حال الى حال ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ثمره وكذا
ما بعده حمزة وعلي جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر وجعلوا
لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا كان الجن بدلا من شركاء
والا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام
ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او غير ذلك والمعنى انهم اطاعوا الجن
فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وخلقهم وقد خلق الجن فكيف يكون
المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال او وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون
غيره وخرقوا له اي اختلقوا يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى
او هو من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين كقول اهل الكتابين في المسيح وعزير
وبنات كقول بعض العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدني كقوله بنين
وبنات بغير علم من ان يعلموا حقيقة ما قالوا من خطا او صواب ولكن رميا بقول
عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا اي جاهلين بما قالوا سبحانه وتعالى عما يصفون
من الشريك والولد بديع السموات والارض يقال بدع الشيء فهو بديع وهو من
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها يعني بديع سمواته وارضه او هو بمعنى المبدع اي
مبدعهما وهو خبر مبتدا محذوف او مبتدا وخبره انى يكون له ولد او هو فا
عل ولم تكن له صاحبة اي من اين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة
ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما
حتى يكون والدا وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم اي ما من شيء الا وهو خالقه
وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج ذلكم

اشارة

اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة
وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء وقوله فاعبدوه مسبب عن مضمون
الجملة اي من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه
ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه وهو على كل شيء وكيل اي هو مع تلك
الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال لا تدركه
الابصار لا تحيط به او ابصار من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الآية
لا تستتب لان المنفي هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب
المرئي وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته
فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفي الاحاطة التي تقتضي
الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به فكذا هذا على ان مورد الآية
وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية اذ نفي ادراك ما يستحيل رؤيته لا تمدح فيه
لان كل ما لا يرى لا يدرك وانما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الرؤية اذ
انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات
فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو انعموا النظر فيها لاغتنموا التفصي عن عهدتها
ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي انه معدوم موجود والا كما يعلم موجودا بلا كيفية
وجهة بخلاف كل موجود له لم يجز ان يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئي
وهذا لان الرؤية تحقق الشيء بانه كما هو فان كان المرئي في الجهة يرى فيها
وان كان لا في الجهة يرى لا فيها وهو للطف ادراكه للمدركات وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير العالم بدقائق الامور ومشكلاتها الخبير
العليم بظواهر الاشياء وخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر قد جاءكم
بصائر من ربكم البصيرة نور القلب الذي يستبصر القلب كما ان البصر
نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر
فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه وضل فعليها
فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم
عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم الكاف في وكذلك نصرف الآيات
في موضع نصب صفة لمصدر محذوف اي نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا
عليك وليقولوا جوابه محذوف اي وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست

قرأت كتب اهل الكتاب دارست اهل الكتاب شامي اي قدمت هذه الايات
ومضت كما قالوا اساطير الاولين ولنبينه اي القران وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما
والايات لانها في معني القران قيل اللام الثانية حقيقة والاولي لام العاقبة
والصيرورة اي ليصير عاقبة امرهم الي ان يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه
ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير
لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة امرهم الي العداوة فكذلك الايات صرفت
للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن جعل هذا القول لتصرف الايات كما
حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف
لقوم يعلمون الحق من الباطل اتبع ما اوحي اليك من ربك ولا تتبع اهواهم
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب او حال من
ربك مؤكدة واعرض عن المشركين في الحال الي ان يرد الامر بالقتال ولو شاء الله
اي ايمانهم فالمفعول محذوف ما اشركوا بين انهم لا يشركون علي مشية الله ولو
علم منهم اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم
فاشركوا بمشيته وما جعلناك عليهم حفيظا مراعيا لاعمالهم ماخوذا باجرامهم وما
انت عليهم بوكيل بمسلط وكان المسلمون يسبون الهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم
سببا لسب الله بقوله ولا تسبوا الالهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا
منصوب علي النهي عدوا ظلما وعدوانا بغير علم علي جهالة بالله وبما يجب ان
يذكر به كذلك التمثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار عملهم
وهو قوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء وهو حجة لنا في الاصلح ثم الي ربهم مرجعهم مصيرهم فينبئهم بما كانوا
يعملون فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم جهد مصدر
وقع موقع الحال اي جاهدين في الاتيان وكذا الايمان لئن جاءتهم اية من
مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر عليها
لا عندي فكيف اتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها اي الاية المقترحة
اذا جاءت لا يؤمنون يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تعلمون
ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها
فقال تعالي وما يدريكم انهم لا يؤمنون علي معني انكم لا تدرون ما سبق علمي به

الله

من انهم لا يؤمنون انها بالكسر مكي وبصري وابو بكر علي ان الكلام تم قبله اي
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون
البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح كقوله وحرام علي قرية اهلكناها انهم
لا يرجعون لا تؤمنون شامي وحمزة ونقلب افئدتهم عن قبول الحق وابصارهم
عن رؤية الحق عند نزول الاية التي اقترحوها فلا يؤمنوا بها قيل هو عطف علي
لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم اي وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم
وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما لم يؤمنوا به اول مرة كما
كانوا عند نزول اياتنا اولا يؤمنون ونذرهم في طغيانهم يعمهون قيل وما
يشعركم انا نذرهم في طغيانهم يتحيرون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا
لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتي كما قالوا فاتوا باباينا وحشرنا عليهم
جمعنا كل شيء قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا جمع قبيل وهو الكفيل
قبلا مدني وشامي اي عيانا وكلاهما نصب علي الحال ما كانوا ليؤمنوا الا ان
يشاء الله ايمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول
الايات ولكن اكثرهم يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم الاية المقترحة
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما جعلنا لك اعداء من المشركين جعلنا
لمن تقدمك من الانبياء عليهم السلام اعداء لما فيه من الابتلاء الذي
هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين
الانس والجن علي البدل من عدوا او علي انه المفعول الاول وعدوا مفعول
ثاني يوحي بعضهم الي بعض يوسوس شياطين الجن الي شياطين الانس
وكذلك بعض الجن الي بعض وبعض الانس الي بعض وعن مالك بن دينار
ان شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب
شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الي المعاصي عيانا وقال
عليه الصلوة والسلام قرناء السوء لشر من شياطين الجن زخرف القول
ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء علي المعاصي غرورا خدعا واخذا
علي غرة وهو مفعول له ولو شاء ربك ما فعلوه اي الايحاء يعني ولو شاء الله
لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه الاجزل في الثواب فذرهم
وما يفترون عليك وعلي الله والله يجزيهم وينصرك ويجزيهم ولتصغي

اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليميل الى زخرف القول قلوب الكفار
وهي معطوفة على غرورا اي ليغروه ولتصغى وليرضوه لانفسهم وليقترفوا
ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما اي قل يا محمد افغير الله اطلب
حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل
اليكم الكتاب المعجز مفصلا حال من الكتاب اي مبينا فيه الفصل بين
الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة
على ان القران حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته
له بقوله والذين اتيناهم الكتاب اي عبد الله بن سلام واصحابه يعلمون
انه منزل شامي وحفص من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين الشاكين
فيه ايها السامع او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل
بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به وتمت كلمة ربك ما تكلم به كلمات
ربك حجازي وشامي وابو عمرو اي تم كلما اخبر به وامر ونهى ووعد و
اوعد صدقا في وعده ووعيده وعدلا في امره ونهيه وانتصبا على التمييز
او على الحال لا مبدل لكلماته اي لا احد مبدل شيئا من ذلك وهو السميع
لاقرار من اقر العليم باصرار من اصر او السميع لما يقولون العليم بما
يضمرون وان تطع اكثر من في الارض اي الكفار لانهم الاكثرون يضلوك
عن سبيل الله دينه ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على
الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يكذبون في ان الله حرم كذا وحل كذا
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي هو يعلم الكفار
والمؤمنين من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع
الجملة نصب بيعلم المقدر لا باعلم لان افعل لا يعمل في الاسم الظاهر النصب
وقيل تقديره اعلم من يضل بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين هو مسبب عن انكار اتباع المضلين
الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم
تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم فقيل للمسلمين ان
كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة اي على ذبحه دون ما
ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما لكم الا تاكلوا ما استفهام

في موضع

في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر اي واي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما
ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله
حرمت عليكم الميتة وفصل وحرم كوفي غير حفص وبفتحهما مدني وحفص و
بضمهما غيرهم الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم
في حال الضرورة اي شدة المجاعة الى اكله وان كثيرا ليضلون ليضلون
كوفي باهوائهم بغير علم اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم
من غير تعلق بشريعة ان ربك هو اعلم بالمعتدين بالمجاوزين من الحق الى
الباطل وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي علانيته وسره او الزناء في
الحوانيت والصديقة في السر او الشرك الجلي والخفي ان الذين يكسبون
الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون في الدنيا ولا تاكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه عند الذبح وانه وان اكله لفسق وان الشياطين
ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم لا تاكلون مما قتله
الله وتاكلون ما تذبحون بايديكم والاية تحرم متروك التسمية وخصت حالة
النسيان بالحديث انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه اشرك ومن حق
المتدين ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الاية من التشديد العظيم
ومن اول الاية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله تعالى عليه كقوله او فسقا اهل لغير
الله به وقال ان الواو في وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية
لا يحسن فيكون التقدير ولا تاكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ما سواه
حلالا بالعمومات المحلة منها قوله قل لا اجد الاية فقد عدل عن ظاهر اللفظ
ومن كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه لان الايمان حياة القلب ميتا
مدني وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به والمراد اليقين كمن مثله
اي صفته في الظلمات اي خابط فيها ليس بخارج منها لا يفارقها ولا يتخلص
وهو حال قيل المراد بهما حمزة وابو جهل والاصح ان الاية عامة لكل من هداه
الله ولكل من اضله الله فبين ان مثل المهتدي مثل الميت الذي احيي وجعل
مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات
التي لا يتخلص منها كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين يزين الله تعالى
كقوله زينا لهم اعمالهم ما كانوا يعملون اي اعمالهم وكذلك اي وكما جعلنا في

مكة صناديدها ليمكروا فيها جعلنا صيرنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها بالتجبر واعلى الناس فيها ويعملوا بالمعاصي واللام على ظاهرها عند اهل
السنة وليست بلام العاقبة وخص الاكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من
الرياسة والسعة ادعى لهم الى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض ثم سلى رسول الله عليه الصلوة والسلام ووعد
له النصرة بقوله وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وما يشعرون
انه يحيق بهم اكابر مفعول اول والثاني في كل قرية ومجرميها بدل من اكابر و
الاول مجرميها والثاني اكابر والتقدير مجرميها اكابر ولما قال ابو جهل زاحمنا
بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه و
الله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه نزل واذا جاءتهم اية اي الاكابر
اية معجزة او اية من القرآن يأمرهم بالايمان قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتي رسل الله اي نعطى من الايات مثل ما اعطي الانبياء فاعلم الله تعالى
انه اعلم بمن يصلح للنبوة فقال الله اعلم حيث يجعل رسالته مكي وحفص
رسالاته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته
سيصيب الذين اجرموا من كبارهم صغار ذل وهوان عند الله في القيمة
وعذاب شديد في الدارين من القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون
في الدنيا فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يوسعه وينور
قلبه قال عليه الصلوة والسلام اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قيل وما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل النزول اي الله ان يضله يجعل صدره ضيقا ضيقا حرجا مدني
ونافع وابو بكر اي بالغا في الضيق حرجا غيرهما وصفا بالمصدر كانما يصعد في
السماء كانه كلف ان يصعد الى السماء اذا دعي الى الاسلام من ضيق صدره عنه او
ضاقت عليه الارض فطلب مصعدا في السماء او كعازب الرأي طاير القلب في الهوى
يصعد مكي يصعد يصاعد ابو بكر واصله يتصاعد الباقون يصعد واصله يتصعد
كذلك يجعل الله الرجس العذاب في الاخرة واللعنة في الدنيا على الذين لا يؤمنون
والاية حجة لنا على المعتزلة في ارادة المعاصي وهذا صراط ربك اي طريقه
الذي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر من اراد هدايته وجعله ضيقا لمن اراد

ضلالة مستقيما عادلا مطردا او هو حال مؤكدة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون
يتعظون لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما
لها او دار السلامة من كل افة وكدر او السلام التحية وسميت دار السلام لقوله تحيتهم
فيها سلام الا قيلا سلاما سلاما عند ربهم في ضمانه وهو وليهم محبهم او
ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون باعمالهم ومتوليهم بجزاء ما كانوا يعملون
او هو ولينا في الدنيا بتوفيق الاعمال وفي العقبى الامال ويوم يحشرهم جميعا
نحشرهم
وبالياء حفص اي واذكر يوم يحشرهم او يوم يحشرهم قلنا يا معشر الجن قد استكثرتم
من الانس اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم كما تقول استكثر الامير من
الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع بعضنا الانس بالشياطين حيث دلوهم
على الشهوات وعلى اسباب التواصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم
وساعدوهم وعلى مرادهم في اغوائهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون
يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى
والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم قال النار مثويكم منزلكم خالدين فيها
حال والعامل معنى الاضافة كقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين حال من هؤلاء
والعامل في الحال معنى الاضافة اذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل
لان اسم المكان لا يعمل في شيء الا ما شاء الله اي تخلدون في عذاب النار
الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها عذاب السعير الى عذاب
الزمهرير ان ربك حكيم فيما يفعل باوليائه واعدائه عليم باعمالهم فيجزي كلا
وفق عمله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نتبع بعضهم بعضا في النار
او نسلط بعضهم على بعض او نجعل بعضهم اولياء بعض بما كانوا يكسبون
بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ثم يقال لهم يوم القيمة على جهة التوبيخ يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم
كما بعث الى الانس رسلا منهم لانهم به آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون
الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح
ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان او رسلهم رسل
نبينا كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم اياتي يقرؤن كتبي وينذرونكم

لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بوجوب الحجة علينا
وتبليغ الرسل الينا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين بالرسل ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وهو خبر مبتدا
محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان
ان مصدرية ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة والمعنى لان الشان والحديث
لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على ان لو اهلكهم
وهم غافلون لم ينبهوا برسول ولا كتاب لكان ظلما وهو متعال عنه ولكل
من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وبه استدل ابو
يوسف ومحمد رحمهما الله على ان للجن الثواب بالطاعات لانه ذكر عقيب ذكر
الثقلين وما ربك بغافل عما يعملون بياء عنه وبالتاء شامي وربك الغني
عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة
ان يشأ يذهبكم ايها الظلمه ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
المطيع كما انشاكم من ذرية قوم اخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا
على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام انما بمعنى الذي توعدون
من البعث والحساب والثواب والعقاب لات صبران اي لكاين وما انتم
بمعجزين بفائتين رد لقولهم من مات فقد مات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم
وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجال اذا امر ان
يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه اني عامل على
مكانتي التي انا عليها اي اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام
وعلى مصابرتكم وهو امر تهديد ووعيد دليله قوله فسوف تعلمون من تكون
له عاقبة الدار اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا لطيف في
الانذار انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون مكاناتكم حيث كان ابو بكر يكون
حمزة وعلي وموضع من رفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او نصب اذا
كان بمعنى الذي وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا اي و

للاصنام

للاصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
بزعمهم على وكذا ما بعده اي زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم
تلك القسمة فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي
كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها والاجر على سدنتها روي انهم كانوا
يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لالهتهم فاذا راوا ما جعلوا
لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه للاصنام واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها و
قالوا ان الله غني وانما ذاك لحبهم لالهتهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرا اشارة
الى ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذراه ثم ذم صنيعهم بقوله
ساء ما يحكمون في ايثار الهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم موضع ما رفع
اي ساء الحكم حكمهم او نصب اي ساء حكما حكمهم وكذلك زين لكثير من
المشركين اي كما زين لهم تجزية المال زين لهم وأد البنات قتل هو مفعول
زين اولادهم شركاؤهم هو فاعل زين بالضم قتل بالرفع اولادهم بالنصب
شركائهم بالجر شامي على اضافة القتل الى الشركاء اي الشياطين والفصل بينهما بغير
الظرف هو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم
ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زالوا عنه الى الشرك ولو شاء الله ما فعلوه وفيه
دليل على ان الكائنات كلها بمشية الله تعالى فذرهم وما يفترون وما يفترونه
من الافك او وافتراءهم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا و
قالوا هذه انعام وحرث للاوثان حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن
ويستوي في الوصف المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء وغير
الصفات وكانوا اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء والزعم
والزعم قول بالظن يشوبه الكذب وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب
والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها حالة الذبح وانما يذكرون عليها اسماء
الاصنام افتراء عليه هو مفعول له او حال اي قسموا انعامهم قسم حجر وقسم لا
يركب وقسم لا يذكر عليها اسم الله ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه سيجزيهم بما

هم

كانوا يفترون وعيد وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون في اجنة البحاير والسوايب ما ولد منها حيا
فهو خالص لذكورنا لا ياكل منها الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور
والاناث وانث خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر
محرم حملا على اللفظ او التاء للمبالغة كنسابة وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها
ميتة وان يكن ميتة ابو بكر اي وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامي على
كان التامة يكن ميتة مكي لتقديم الفعل وتذكير الضمير في فهم فيه شركاء
لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى وكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم
وصفهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم انه حكيم في جزائهم
عليم باعتقادهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم كانوا يئدون بناتهم مخافة
السبي والفقر قتلوا مكي وشامي سفها بغير علم لخفة احلامهم وجعلهم بان
الله هو رازق اولادهم لا هم وحرموا ما رزقهم الله من البحاير والسوايب و
غيرها افتراء على الله مفعول له قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الصواب
وهو الذي انشا خلق جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير
معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت
له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان والنخل والزرع مختلفا في اللون والطعم
والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لا اكل فيه حتى يكون مختلفا
وقوله فادخلوها خالدين اكله اكله مجازي وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل
والزرع داخل في حكمه لانه معطوف عليه او لكل واحد والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه في الطعم كلوا من ثمره من ثمر كل واحد وفائدة
اذا اثمر ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه
لا يباح الا اذا ادرك واتوا حقه عشره وهو حجة ابي حنيفة رضي الله عنه في تعميم
العشر يوم حصاده بصري وشامي وعاصم وبكسر الحاء وغيرهم وهما لغتان
ولا تسرفوا باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى انه لا يحب المسرفين
اعتراض ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل
الاثقال وما يفرش للذبح او الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم

الله

الله اي ما احل الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية ولا تتبعوا خطوات
الشيطان طرقه في التحليل والتحريم كفعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين
فاتهموه على دينكم ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا من الضان اثنين و
من المعز اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد اذا كان معه
غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين
الذكر والانثى ويدل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين و
من المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضان والمعز جمع ضائن
وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكي وشامي وابو عمرو وهما لغتان والهمزة
في قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والمعز وبالانثيين الانثى من
الضان والانثى من المعز والمعنى انكار ان يحرم الله من جنس الغنم ضانها و
معزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما يحمل الاناث وذلك انهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا
او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها فانكر ذلك عليهم وانتصب الذكرين
بحرم وكذا ام الانثيين اي ام حرم الانثيين وكذا اما في اشتملت نبئوني بعلم
اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين
في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين منهما
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام ما يحمل اناثهما ام كنتم
شهداء ام منقطعة اي بل كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا يعني ام شاهدتم
ربكم حين امركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول ويقولون الله حرم
هذا الذي نحرمه تهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية
به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين اي الذين في علمه انهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض
المعدود وبعضه اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله تعالى من
على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج
على من حرمها يكون تاكيدا للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد

قل لا اجد فيما اوحي الي اي في ذلك الوقت او وحي القرآن لان وحي السنة
قد حرم غيره او من الانعام لان الآية في رد البحيرة واخواتها واما الموقوذة
والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله
وشرعه لا بهوى النفس محرما حيوانا حرم اكله على طاعم يطعمه على آكل ياكله
الا ان تكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة ان تكون مكي وشامي
وحمزة ميتة شامي او دما مسفوحا مصبوبا سائلا فلا يحرم الدم الذي في اللحم
والكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس نجس او فسقا عطف على المنصوب
قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه اهل لغير الله
به منصوب المحل صفة لفسقا اي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمي بالفسق
لتوغله في باب الفسق فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات
غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله
فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
اي ما اصبع من دابة او طائر ويدخل فيه الابل والانعام ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما اي حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه
ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم الا ما حملت ظهورهما الا ما اشتمل
على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء واحدها حاوية
او حوية او ما اختلط بعظم وهو الالية والمخ ذلك مفعول ثان لقوله
جزيناهم والتقدير جزيناهم ذلك ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون
فيما اخبر به وكيف تشكر بسبب معصيتهم بتحريم الحلال ومعصية ما بقيتنا
التحليل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالآن باشروهن فان كذبوك فيما اوجبت
اليك من هذا فقل ربكم ذو رحمة واسعة وبها يمهل المكذبين ولا يعاجلهم
بالعقوبة ولا يرد بأسه عذابه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتر
بسعة رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه
لو شاء الله ان لا نشرك ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ولكن شئنا
فهذا عندنا يعنون ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله ولولا
مشيئته لم يكن ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم اي لتكذيبهم اياك كان
تكذيب المتقدمين رسلهم تشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه

دون

عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا المشيئة حجة لهم على انهم معذورون
به وهذا مردود لا الاقرار بالمشيئة او معنى المشيئة هنا الرضا كما قال الحسن
رضي الله عنه اي منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراده لكنه غير مرضي الا ترى
انه قال فلو شاء لهداكم اجمعين اخبر انه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم و
لكن لم يشأ من الكل الايمان بل شاء من البعض ومن البعض الكفر فيجب حمل
المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض حتى ذاقوا بأسنا حتى انزلنا عليهم
العذاب قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم
فتخرجوه لنا فتظهروه ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون قل فلله الحجة البالغة عليكم باوامره ونواهيه ولا حجة لكم على
الله بمشيئته فلو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم وبه يبطل قول
المعتزلة قل هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوي في هذه
الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم يؤنثه و
يجمع الذين يشهدون ان الله حرم هذا اي ما زعموه محرما فان شهدوا فلا
تشهد معهم فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا اسلم لهم فكانه
شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا
بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى
اذ لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله والذين لا يؤمنون
بالآخرة هم المشركون وهم بربهم يعدلون يسوون الصنوف قل للذين حرموا
الحرث والانعام تعالوا هو من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان
في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر حتى عم اتل ما حرم ربكم الذي حرمه ربكم
عليكم من صلة حرم ان لا تشركوا به شيئا ان مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهي
وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان
تحريما لترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر ولا
تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشية كقوله خشية املاق
نحن نرزقكم واياهم لان رزق العبيد على مولاهم ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها ما بينك وبين الخلق وما بطن ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من
الفواحش ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقصاص والقتل

على الردة والرجم ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة
التي هي احسن وهي حفظه وتثميره حتى يبلغ اشده مبلغ حلمه فادفعوه اليه واحده
شد كفلس وافلس واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالسوية والعدل
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء
الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا
نقصان مما فيه حرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه واذا قلتم
فاعدلوا فاصدقوا ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او
غيرها من اهل قرابة القائل قوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وبعهد
الله يوم الميثاق او في الامر والنهي والنذر واليمين اوفوا ذلكم اي ما امر
وصيكم به لعلكم تذكرون بالتخفيف حيث كان حمزة وعلي وحفص على
احدى التائين غيرهم بالتشديد اصله تتذكرون فادغم اي امركم به لتتعظوا
وان هذا صراطي ولان هذا فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف
شامي واصله وانه على ان الهاء ضمير الشان والحديث وان على الابتداء حمزة وعلي
مستقيما حال فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية
والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم عن سبيله
فتفرقكم ايادي سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله
فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال هذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الاية ثم يصير كل واحد من الاثنى
عشر طريقا ستة طرق فيكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه
الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الايات لاول
شيء في التورية ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون لتكونوا على رجاء اصابة
التقوى ذكر اولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا
اي اتعظوا فاتقوا المحارم ثم اتينا موسى الكتاب تماما اي ثم اخبركم انا اتيناه
هو عطف على اتل ثم قل اتينا وثم مع الجملة تاتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد على
الذي احسن وتفصيلا لكل شيء على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين
دليله قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة لكرامته

على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به وهدى ورحمة
اي بني اسرائيل لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون يصدقون وهذا اي القرآن
كتاب انزلناه مبارك كثير الخير فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون
لترحموا ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على
طائفتين من قبلنا اي اهل التورية واهل الانجيل وهذا دليل على ان
المجوس ليسوا باهل كتاب وان كنا عن دراستهم عن تلاوة كتبهم لغافلين
لا علم لنا بشيء من ذلك ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين
النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان و
الخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن على محمد عليه
الصلوة والسلام كيلا يقولوا يوم القيمة ان التورية والانجيل انزل على
طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما او تقولوا او كراهة ان يقولوا
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
وغزارة حفظنا لانا من العرب فقد جاءكم بينة من ربكم اي ان صدقتم
فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان
القاطع فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف وهدى ورحمة فمن
اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها وصدف عنها
اي اعرض سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب وهو النهاية في النكاية
العذاب باعراضهم بما كانوا يصدفون اي اتينا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة
وابطلنا ما يعتقدونه من الضلالة فما ينتظرون في ترك الايمان بعدها
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة اي ملائكة الموت لقبض ارواحهم
ياتيهم حمزة وعلي او ياتي ربك اي امر ربك وهو العذاب او القيمة وهذا
لان الاتيان متشابه واتيان امره منصوص عليه محكم فيرد اليه او ياتي بعض
ايات ربك اي اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك يوم
ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لانه ليس بايمان اختيار بل
انما هو ايمان دفع العذاب والباس عن انفسهم لم تكن امنت من قبل صفة
نفسها او كسبت في ايمانها خيرا اي اخلاصا اي كما لا يقبل ايمان الكافر بعد
طلوع الشمس من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق ايضا او توبته وتقديره

لاينفع ايمان من لم يتب قبل قل انتظروا احدي الآيات الثلاثة انا انا
منتظرون بكم احداها ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما
اختلفت اليهود والنصاري وفي الحديث افترقت اليهود علي احدي وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي علي ثلاث وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وهي السواد الاعظم وفي رواية وهي ما انا عليه واصحابي
فارقوا دينهم حمزة وعلي اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها
لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم انما امرهم
الي الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم علي ذلك من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها تقديره عشر حسنات امثالها الا انه اقيم صفة الجنس المميز
مقام الموصوف ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الا مثلها وهم لا يظلمون بنقص
الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي ابو عمرو ومدني الي صراط مستقيم
دينا نصب علي البدل من محل الي صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله
ويهديكم صراطا مستقيما قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من
القائم قيما كوفي شامي ومصدر بمعني القيام وصف به ملة ابراهيم عطف بيان
حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين بالله يا معشر قريش قل ان صلاتي
ونسكي اي عبادتي والناسك العابد او ذبحي او حجي ومحياي ومماتي وما اتيه
في حياتي وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة
لوجهه ومحياي ومماتي بسكون الياء الاول وفتح الثاني مدني وبعكسه غيره لا
شريك له في شيء من ذلك وبذلك الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان
اسلام كل نبي متقدم علي اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له
الي عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان اطلب ربا غيره وتقديم المفعول للاشعار
بانه اهم وهو رب كل شيء وكل مربوب عن قولهم ليس في الوجود من له الربوبية
غيره ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
ولا تزر وازرة وزر اخري ولا تؤخذ نفس اثمة ذنب نفس اخري ثم الي ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الاديان فرقتموها وهو الذي
جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فامته
قد خلفت سائر الامم او لان بعضهم يخلف بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها

ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق وغير ذلك
درجات مفعول ثان او التقدير الي درجات او هي واقعة موقع المصدر كانه
قيل رفعة بعد رفعة ليبلوكم فيما اتيكم فيما اعطاكم من نعم الجاه والمال كيف
تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغني بالفقير والمالك
بالمملوك ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام
بشكرها ووصف بالسرعة لان ما هو آت قريب وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا ثلاث ايات من اول الانعام
حين يصبح وكل الله له سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الي يوم
القيمة

المص قال الزجاج المختار في تفسيره ما قال ابن عباس انا الله اعلم وافصل
كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفته والمراد بالكتاب
السورة فلا يكن في صدرك حرج منه شك منه وسمي الشك حرجا لان الشاك
ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحة اي لا يشك في انه منزل
من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه
واذاهم فكان يضيق صدره من الاذي ولا ينشط له فامنه الله ونهاه عن
المبالاة بهم والنهي متوجه الي الحرج وفيه من البلاغة ما فيه والفاء للعطف اي
هذا كتاب انزلناه فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك واللام في لتنذر به
متعلق بانزل اليك لانذارك به او النهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا
ايقن انه من عند الله شجعه اليقين علي الانذار لان صاحب اليقين جسور
متوكل علي ربه وذكري للمؤمنين في محل النصب باضمار فعلها اي لتنذر به و
تذكر تذكيرا فالذكري اسم بمعني التذكير او الرفع علي محل لتنذر اي للانذار
وللذكري بالعطف علي كتاب اي هو كتاب وهو ذكري للمؤمنين او بانه مبتدا
محذوف او الجر بالعطف علي محل لتنذر اي للانذار وللذكري اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم اي القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء
اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن فيحملوكم علي عبادة الاوثان والاهواء
والبدع قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بقوله

تذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة يتذكرون شامي
وكم مبتدا من قرية تبيين والخبر اهلكناها اي اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم
الى الصلوة فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا مصدر واقع موقع الحال
بمعنى بائتين يقال بات بياتا او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل
فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي
عطف لان واو الحال واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان
لانهما وقت الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط
اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا وهم
نائمون او نهارا وهم قائلون فما كان دعويهم دعاؤهم وتضرعهم اذ جاءهم
بأسنا لما جاءهم اوائل العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين اعترفوا بالظلم
على انفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وان قالوا
الخبر ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند اليهم اي
فلنسألن المرسلين اليهم وهم الامم عما اجابوا به رسلهم ولنسألن المرسلين
عما اجيبوا به فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم
عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين
عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به
بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين
راجحها وخفيفها ومبتدا خبره يومئذ اي يوم يسأل الله الامم ورسلهم
فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين الحق اي العدل صفته ثم قيل توزن
صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان اظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل
هو عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل والله اعلم بكيفيته فمن ثقلت
موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر
وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم فاولئك هم المفلحون الفائزون
ومن خفت موازينه الكفار فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون في ميزانهم
خير فتخف موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون
يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها غير موضعها اي جحودها وترك
الانقياد لها ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا وملكناكم

فيها

فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة و
هي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها والوجه تصريح الياء لانها اصلية
بخلاف صحايف فالياء فيها زائدة وعن نافع انه همزه تشبيها بصحايف قليلا ما
تشكرون مثل قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا
اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليلا دليله ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم عليه الصلوة
والسلام قال ما منعك الا تسجد ما رفع اي اي شيء منعك من السجود ولا
زائدة بدليل ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب
اي ليعلم اذ امرتك فيه دليل ان الامر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود
مع علمه به للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وتحقيره
اصل آدم عليه السلام قال انا خير منه خلقتني من نار وهو جوهر نوراني
وخلقته من طين وهو ظلماني وقد اخطأ الخبيث بل الطين افضل لرزانته
ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار
في النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة
الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والافناء والتراب مئنة
الامانة والانماء والطين يطفئ النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل
غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقولنا في القياس اول من قاس
ابليس قياس على ان القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس
ابليس عناد للامر المنصوص وكان الجواب لما منعك ان يقول منعني كذا وانما قال
انا خير منه لانه لما استأنف نفسه واخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام
بعلة فضله عليه علم منها الجواب كانه قال منعني من السجود فضلي عليه وزيادة وهي
انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول
خارج عن الصواب قال فاهبط منها من الجنة او من السماء لانه كان فيها وهي
مكان المطيعين المتواضعين والفاء في فاهبط جواب لقوله انا خير منه اي ان كنت
تتكبر فاهبط فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج
انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه يذمك كل انسان
ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار قال انظرني

الي يوم يبعثون امهلني الي يوم البعث وهو وقت النفخة الاولي خيرة قال
فانك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم اي النفخة الاولي وانما
اجيب الي ذلك بما فيه من الابتلاء وهو تقريب لقلوب الاحباب اي هذا
بري اي بمن يسبني وانما تجسر على السؤال مع وجود الزلل في الحال علمه بحلم
ذي الجلال والاكرام قال فبما اغويتني اضللتني اي فبسبب اغوائك اياي
والباء يتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك اياي اقسم
او يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن لهم صراطك المستقيم
لاعترض لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يعرض العدو
على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الضرب كقولك ضرب زيد
لظهر اي على الظهر وعن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل قدري
فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل انه فقيه فقال ابليس
افقه منه قال رب بما اغويتني وهو يقول انا اغوي نفسي ثم لاتينهم
من بين ايديهم اشككهم في الاخرة ومن خلفهم ارغبهم في الدنيا و
عن ايمانهم من قبل الحسنات وعن شمائلهم من قبل السيئات وهو
جمع شمال يعني ثم لاتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الاغلب
وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربع مراصد من بين يدي
فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل
صالحا ومن خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة الا على الله
رزقها وعن يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين وعن شمالي
فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل
من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من الابتداء
والغاية وفي الاخرين عن لان عن يدل على الانحراف ولا تجد اكثرهم شاكرين
مؤمنين قاله ظنا فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او سمعه من
الملائكة باخبار الله تعالي اياهم قال اخرج منها من الجنة او من السماء
مذؤوما معيبا من ذامه اذا ذمه والذام والذم العيب مدحورا مطرودا
مبعدا من رحمة الله واللام في لمن تبعك منهم موطئة للقسم وجوابه
لاملان جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب

ضمير

ضمير المخاطب اجمعين يا آدم وقلنا يا آدم بعد اخراج ابليس من الجنة انت
وزوجك الجنة اتخذ مسكنا فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا فتصيرا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان وسوس
اذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد ورجل موسوس ومعنى وسوس له
فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي لهما ما ووري عنهما من
سوآتهما ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على ان كشف العورة
من عظائم الامور وانه لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت ما للواو
المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل تصغير واصل فاصله وويصل
فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالف
واري فكما لم يجب همزها في واري لم يجب في ووري وهذا لان الواوين
اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة و
ذا مدرك بالضرورة فالتزموا ابدالها في موضع الثقل لا في غيره وقرأ عبد
الله اوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين يعلمان الخير والشر ويستغنيان عن الغذا
وقرئ ملكين لقوله وملك لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين لا
يموتون ويبقون في الجنة ماكثين وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين
واخرج قسم ابليس عن زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم ومنهما التصديق
فكانها من اثنين فدلاهما فنزلهما الي الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما من القسم
بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا
له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها اخذ بن في الاكل منها وهي السنبلة او الكرم
بدت لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الاخر وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار اي
كالظفر بياضا في غاية اللطف واللين فبقي عند الاظفار تذكيرا للنعم و
تجديدا للندم وطفقا وجعلا يقال طفق يفعل كذا اي جعل يخصفان
عليهما من ورق الجنة يجعلان على عوراتهما من ورق التين او الموز ورقة
فوق ورقة ليستترا كما تخصف النعل وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ وروي انه قال لآدم الم يكن لك

عنا

فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلي ولكن ما ظننت
ان احدا يحلف بك كاذبا قال لاهبطنك الي الارض ثم لا تنال العيش الا
بكد يمين وعرق جبين فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقي
وحصد ودلس وذري وعجن وخبز واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين فيه دليل على المعتزلة لان الصغائر عندهم مغفورة قال اهبطوا
الخطاب لآدم وحوي بلفظ الجمع لان ابليس هبط من قبل ويحتمل انه هبط الي
السماء ثم هبط الي الارض بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين
يعاديهما ابليس ويعاديانه ولكم في الارض مستقر استقرارا او موضع استقرار
ومتاع وانتفاع بعيش الي حين الي انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني
لما اهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حوي
تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني ما اصابني فيك فلما توفي
غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا
له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده
قال فيها تحيون في الارض وفيها تموتون ومنها تخرجون للثواب والعقاب
تَخرجون حمزة وعلي يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا جعل ما في الارض منزلا
من السماء لان اصله من الماء وهو منها يواري سوآتكم يستر عوراتكم وريشا
لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين
لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم ولباس التقوي ولباس الورع الذي
يقي العقاب وهو مبتدا وخبره الجملة وهي ذلك خير كانه قيل وذلك اللباس
ولباس التقوي هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الي عود
الذكر وذلك صفة للمبتدا وخير خبر المبتدا كانه قيل ولباس التقوي المشار
اليه خير او لباس التقوي مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوي اي ستر العورة
لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل لباس اهل التقوي من الصوف والخشن
ولباس التقوي مدني وشامي وعلي عطفا على لباسا وريشا اي وانزلنا عليكم
لباس التقوي ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني
انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية

واردة

واردة على سبيل الاستطراد وعقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق اظهارا
للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري من الفضيحة واشعارا بان الستر من التقوي
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة لا يخدعنكم ولا
يضلنكم بان لا تدخلوا الجنة كما فتن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما
لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما والنهي في
الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني آدم اي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم ليريهما
سوآتهما عوراتهما انه الضمير للشان والحديث يراكم هو تعليل للنهي وتحذير
من فتنته بانه بمنزلة العدو والمداجي يكيدكم من حيث لا تشعرون وقبيله و
ذريته او جنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير في يراكم المؤكد بهو ولم
يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو
معمول الفعل من حيث لا ترونهم قال ذو النون ان كان هو يراك من حيث
لا تراه فاستعن بمن يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون فيه دلالة خلق الافعال واذا فعلوا فاحشة
ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة او شركهم قالوا وجدنا
اباءنا والله امرنا بها اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فا
فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها حيث اقرنا عليها اذ لو كرهها لنقلنا
عنها وهما باطلان لان احدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال قل
ان الله لا يامر بالفحشاء اذ المامور به لا بد ان يكون حسنا وان كان فيه على مراتب
على ما عرف في اصول الفقه اتقولون على الله ما لا تعلمون استفهام انكار و
توبيخ قل امر ربي بالقسط بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يامر بالفحشا
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين
اليها غير عادلين الي غيرها في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بداكم تعودون
كما انشاكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى
انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم المسلمون
وفريقا اي اضل فريقا حق عليهم الضلالة وهم الكافرون انهم ان الفريق
الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله اي انصا

ويحسبون انهم مهتدون والآية حجة لنا على اهل الاعتزال في الهداية و
الاضلال يا بني آدم خذوا زينتكم لباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم
وقيل الزينة للمشط والطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة لان
الصلاة مناجات الرب فيستحب لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر
وكلوا من اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا بالشروع في الحرام ومجاوزة
الشبع انه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس
ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصراني
حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء
والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له علي قد جمع الله الطب كله
في نصف آية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم
يرو من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في الفاظ يسيرة و
هي قوله صلى الله عليه وسلم المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء واعط كل
بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً
ثم استفهم انكاراً على محرم الحلال بقوله قل من حرم زينة الله من الثياب
وكل ما يتجمل به التي اخرج لعباده اي اصلها يعني القطن من الارض والقز من
الدود والطيبات من الرزق والمستلذات من الماكل والمشارب وقيل
كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين
آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة
يوم القيمة لا يشركهم فيها احد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها
خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة والكفار تبعاً لهم خالصة بالرفع نافع فهي
مبتدا خبره للذين آمنوا وفي الحيوة الدنيا ظرف للخبر وخالصة خبر ثان او خبر
مبتدا محذوف اي هي خالصة وغيره بنصبها على الحال من الضمير الذي هو الخبر
اي هي ثابتة للذين آمنوا في الحيوة الدنيا في حال خلوصها يوم القيمة كذلك نفصل
الآيات تمييز الحلال من الحرام لقوم يعلمون انه لا شريك له قل انما حرم
ربي ربي حمزة الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد ما ظهر منها وما بطن
سرها وعلانيتها والاثم اي شرب الخمر والبغي الظلم والكبر بغير الحق
متعلق بالبغي ومحل وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً النصب كانه قال

حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصري وفيه تهكم اذ لا
يجوز ان ينزل برهاناً ان الشرك به غيره وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وان
تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وقت معين
ياتيهم فيه عذاب الاستيصال ان لم يؤمنوا وهو وعيد لاهل مكة بالعذاب
النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون قبله بساعة لانها اقل ما يستعمل في الامهال يا بني
آدم اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط لا تمام الشرط
ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة رسل منكم يقصون عليكم آياتي
يقرؤن عليكم كتبي وهو في موضع رفع صفة لرسل جواب الشرط فمن اتقى
الشرك واصلح العمل منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اصلاً والذين
كذبوا منكم بآياتنا واستكبروا عنها تعظموا عن الايمان بها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون فمن اظلم فمن اشنع ظلماً ممن افترى على الله كذباً
او كذب بآياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب بما قاله اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم
رسلنا ملك الموت واعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم وهي
حتى التي يبتدا بها بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم
رسلنا قالوا يتوفونهم يقبضون ارواحهم وهو حال من الرسل اي متوفيهم و ما
في قالوا اينما كنتم تدعون موصولة باين في خط المصحف وحقها ان تكتب
مفصولة لانها موصولة والمعنى اين الآلهة الذين تعبدون من دون الله
ليذبوا عنكم قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر قال
ادخلوا اي يقول الله يوم القيمة لهؤلاء الكفار ادخلوا في امم في موضع الحال
اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم قد خلت مضت من قبلكم من الجن
والانس من كفار الجن والانس في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة النار
لعنت اختها شكلها في الدين اي التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها
اصلها تداركوا اي تلاحقوا واجتمعوا في النار فابدلت التاء دالاً واسكنت للادغام
ثم ادخلت همزة الوصل حال قالت اخريهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاوليهم

منزلة وهم القادة والرؤس ومعنى لاوليهم لاجل اوليهم لان خطابهم مع
الله لامعهم ربنا يا ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا
من النار قال لكل ضعف للقادة بالاغواء وللاتباع بالكفر والاقتداء
ولكن لا تعلمون ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون ابو بكر اي لا
يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر وقالت اوليهم لاخريهم فما كان
لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف
اي ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف
على فضل او من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا يؤذن لهم في صعود السماء
ليدخلوا الجنة اذ هي في السماء او لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواحهم
اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين الى السماء او لا يصعد لهم عمل صالح او لا ينزل
عليهم البركة وبالتاء مع التخفيف ابو عمرو وبالياء معه حمزة وعلي ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط حتى يدخل البعير في ثقب الابرة اي لا يدخلون
الجنة ابدا لانه علقه بما لا يكون والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة وكذلك
ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفناه نجزي المجرمين اي الكافرين
بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها لهم من جهنم مهاد فراش
ومن فوقهم غواش اغطية جمع غاشية وكذلك نجزي الظالمين انفسهم
بالكفر والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها طاقتها
والتكليف الزام ما فيه كلفة اي مشقة اولئك مبتدأ والخبر اصحاب الجنة
والجملة خبر الذين ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر
هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل كان بينهم في الدنيا
فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار حال في
صدورهم والعامل فيها معنى الاضافة وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما هو
وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان وما كنا ما كنا بغير واو شامي على
انها جملة موضحة للاولى لنهتدي لولا ان هدانا الله اللام لتوكيد النفي

اي وما كان

اي وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله ولقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لطفا وتنبيها على
الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا واظهارا بما اعتقدوا
ونودوا ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة
بعدها خبرها تقديره ونودوا انه تلكم الجنة والهاء ضمير الشان او بمعنى اي
كانه قيل لهم تلكم الجنة اورثتموها اعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل
فيها ما في تلك من معنى الاشارة بما كنتم تعملون سماها ميراثا لانها لا تستحق
بالعمل بل هي محض فضل الله ووعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض
عن شيء بل صلة وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما
اخبر ونوحا واهل الجنة والنار وابليس لانه قال تعالى يضل من يشاء و
يهدي من يشاء وقال نوح ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان
الله يريد ان يغويكم وقال اهل الجنة وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله و
قال اهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فبما اغويتني ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ان مخففة من الثقيلة او مفسرة
وكذلك ان لعنة الله على الظالمين ما وعدنا ربنا من الثواب حقا حال فهل
وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا وتقديره وعدكم ربكم فحذف
كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وانما قالوا لهم ذلك شماتة باصحاب النار واعترافا
بنعم الله تعالى قالوا نعم وبكسر العين حيث كان علي فاذن مؤذن بينهم
نادى مناد وهو ملك يسمع اهل الجنة اهل النار ان لعنة الله على الظالمين
ان لعنة الله مكي شامي وحمزة وعلي الذين يصدون يمنعون عن سبيل
الله دينه ويبغونها عوجا مفعول ثان ليبغون اي ويطلبون لها الاعوجاج
والتناقض وهم بالآخرة بالدار الآخرة كافرون وبينهما وبين الجنة و
النار او بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم
بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار
وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من
افاضل المسلمين او من آخرهم دخولا لاستواء حسناتهم وسيئاتهم او من لم يرض
عنه ابويه واطفال المشركين يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم

بعلامتهم قيل سيماء المؤمنين بياض الوجوه ونظارتها وسيماء الكافرين
سواد الوجوه وزرقة العين ونادوا اي اصحاب الاعراف اصحاب الجنة
ان سلام عليكم انه سلام او اي سلام وهو تهنية منهم لاهل الجنة لم
يدخلوها اي اصحاب الاعراف ولا محل له لان الاستيناف كان سائلا
سأل عن اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها
او له محل وهو صفة لرجال واذا صرفت ابصارهم ابصار اصحاب الاعراف
وفيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا تلقاء ظرف اي
ناحية اصحاب النار ورأوا ماهم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم
ونادى اصحاب الاعراف رجالا من رؤس الكفرة يعرفونهم بسيماهم
قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال وكثرتكم واجتماعكم وما نافية وما كنتم
تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس ثم تقولون لهم اهؤلاء
مبتداء الذين خبر مبتداء مضمر تقديره اهؤلاء هم الذين اقسمتم حلفتم
في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما لا ينالهم
الله برحمة جواب اقسمتم وهو داخل في صلة الذين تقديره اقسمتم عليهم
بان لا ينالهم الله برحمة اي لا يدخلهم الجنة تحتقرونهم لفقرهم فيقال لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء ان مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار او
مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة او اريد والقوا
علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة قوله علفتها تبنا وماء باردا
اي وسقيتها وانما سألوا ذلك مع يأسهم عن الاجابة لان المتحير ينطق بما يفيد
وبما لا يفيد قالوا ان الله حرمهما على الكافرين هو تحريم منع كما في وحرمنا
عليه المراضع وتقف هنا ان رفعت او نصبت ما بعده ذما فان جررت وصفا
للكافرين فلا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فحرموا واحلوا ما شاؤوا او دينهم
وعيدهم وغرتهم الحيوة الدنيا اغتروا بطول البقاء فاليوم ننسيهم
نتركهم في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون

لنسيانهم وجحودهم ولقد جئناهم بكتاب فصلناه مبينا حلاله وحرامه ومواعظه
وقصصه على علم عالمين بكيفية احكامه هدى ورحمة حال منصوب فصلناه
كما ان على علم حال من مرفوعه لقوم يؤمنون هل ينظرون ينتظرون الا
تأويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحته ما نطق به
من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه
واعرضوا عنه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤوا بالحق فاقروا
حين لا ينفعهم فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا جواب الاستفهام جملة
معطوفة على جملة قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل فهل لنا
من شفعاء او هو نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء
اهل تضرب زيدا وعطف على تقديره هل يشفع لنا شافع او هل نرد فنعمل
جواب الاستفهام ايضا غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل
عنهم ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه من الاصنام ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اراد السموات والارض وما بينهما
وقد فصله في حم السجدة اي من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا
وللاعلام بالتأني في الامور وان لكل عمل يوما ولان انشاء شيء بعد شيء ادل على
عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيته ثم استوى استولى
على العرش اضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه مستوليا على جميع
المخلوقات لان العرش اعظمها واعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء
بالاستقرار كما يقوله المشبهة باطل لان الله تعالى كان قبل العرش ولا مكان
وهو الآن كما كان لان التغيير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق
والحسن وابي حنيفة ومالك رضي الله عنهم ان الاستواء معلوم والتكيف فيه
مجهول والايمان به واجب والجحود به كفر والسؤال عنه بدعة يغشي الليل النهار
يغشي حمزة وعلي وابو بكر اي يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل يطلبه حثيثا
حال من الليل اي سريعا والطالب هو الليل كانه لسرعة مضيه يطلب النهار
والشمس والقمر والنجوم مسخرات اي وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات
حال اي مذللات والقمر والنجوم مسخرات شامي والشمس مبتدأ والبقية معطوفة
عليها والخبر مسخرات بامره هو امر تكوين ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره

قرأوا

وقال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وله الامر تبارك الله
كثر خيره او دام بره من البركة النماء او من بروك الابل الثبات ومنه البركة
رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع
وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل تذللا وتملقا قال عليه
الصلوة والسلام انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا
انه معكم اينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا
انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن
لجريج الرافعين اصواتهم بالدعاء عند الصياح مكروه وبدعة وقيل هو
هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء اللهم اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ
بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا
تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بالمعصية بعد الطاعة او بالشرك
بعد التوحيد او بالظلم بعد العدل وادعوه خوفا وطمعا اي خائفين من
الرد طامعين في الاجابة او من النيران وفي الجنان او من الفرق وفي التلافي
او من سوء العاقبة وفي ظاهر الهداية او من العدل وفي الفضل ان رحمة الله
قريب من المحسنين ذكر قريب تاويل الرحمة بالرحم والترحم او لانه صفة موصوف
محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او للاضافة الى
الذكر وهو الذي يرسل الرياح الريح مكي وحمزة وعلي بشرا حمزة وعلي مصدر
بشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما
على الحال اي منتشرات نشرا عاصم تخفيف بشر جمع بشير لان الرياح تبشر
بالمطر نشرا كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور اي ناشرة للمطر بين
يدي رحمته حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق
يرى ما يرفعه قليلا حتى اذا اقلت سحابا لما جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب
على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل
ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه مدني وحمزة وعلي و
حفص فانزلنا به الماء بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به من
كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو الثمرات نخرج الموتى لعلكم

ثقالا

تذكرون

تذكرون فيؤديكم التذكر الى الايات بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين
لان كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض الطيبة
التربة يخرج نباته باذن ربه بتيسيره وهو موضع الحال كانه قيل يخرج
نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والذي خبث صفة للبلد اي
والبلد الخبيث لا يخرج اي نباته فحذف للاكتفاء الا نكدا هو الذي لا
خير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء
من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد
الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك نصرف مثل ذلك التصريف
نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم
المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها لقد ارسلنا جواب قسم محذوف
اي والله لقد ارسلنا نوحا الى قومه ارسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا
وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو اسم ادريس عليه السلام وهو
ادريس بن يرد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام
قال وهب وكلهم مؤمنون فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
غيره علي فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره فلا تعبدوا معه غيره
والجر على اللفظ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي يوم القيمة او
يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ اي الاشراف والسادة
من قومه انا لنراك في ضلال مبين في ذهاب عن طريق الصواب و
الرؤية رؤية القلب قال يا قوم ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما
قالوا لان الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن
نفسه كانه قال ليس شيء من الضلال ثم استدرك لتاكيد نفي الضلالة
فقال ولكني رسول من رب العالمين لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته
في معنى كونه على صراط المستقيم فكانه في غاية القصوى من الهدى ابلغكم
رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة
من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنذائر ابلغكم ابو عمرو وهو
كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين وانصح لكم واقصد صلاحكم
باخلاص يقال نصحتكم ونصحت لكم وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على

امحاض النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريد لنفسك والنهاية
في صدق العناية واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفاته يعني قدرته
الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين اوعجبتم
الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل
منكم وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا
بهذا في ابائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربك لانزل ملائكة
لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم وهي الخشية بسبب الانذار
ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم فكذبوه فنسبوه الى
الكذب فانجيناه والذين معه وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل
تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه كانه
قيل والذين صحبوه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا
قوما عمين عن الحق يقال اعمى في البصر وعم في البصيرة والى عاد وارسلنا
الى عاد فهو عطف على نوح اخاهم اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب
للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم افهم فكانت الحجة
عليهم الزم هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام
بن نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وانما
يقل فقال كما في قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما
قال لهم هود قال يا قوم اعبدوا الله كذلك قال الملأ الذين كفروا من
قومه وانما وصف الملاء بالذين كفروا دون الملاء من قوم نوح لان في اشراف
قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن
في اشراف قوم نوح مؤمن انا لنراك في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل
حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعني انه متمكن
فيها غير منفك وانا لنظنك من الكاذبين في ادعائك الرسالة قال يا قوم
ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي
وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم وانما قال هنا وانا لكم
ناصح لقولهم وانا لنظنك من الكاذبين اي ليقابل الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء

عليهم

عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام
الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بانهم
اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك تعليم
لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على
ما يكون منهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و
اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او في مساكنهم
واذ مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم وزادكم في الخلق
بسطة طولا وامتدادا فكان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع
بصطة حجازي وعاصم وعلي فاذكروا آلاء الله وبسطة اجرامكم وما سواهما
من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه اني وآناء لعلكم تفلحون ومعنى المجيء
في قالوا اجئتنا ان يكون لهود مكان معتزل عن قومه يدعوهم لنعبد الله
وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده
بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين ان العذاب نازل بنا
قال قد وقع عليكم من ربكم اي قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد
من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك المطالب قد كان رجس
وغضب عذاب وسخط اتجادلونني في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء
ليس تحتها مسميات لانكم تسمون الاصنام آلهة وهي خالية عن معنى الالوهية
انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان حجة فانتظروا نزول العذاب
اني معكم من المنتظرين ذلك فانجيناه والذين معه اي من آمن به
برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا الدابر الاصل او الكائن خلف
الشيء وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين
فائدة نفي الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك
خص المكذبين وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا
فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى
الله الفرج منه عند بيته الحرام فاوفد واليه قيل بن عنز ولقيم بن هزال و

مرثد بن سعد وكان يكتم ايمانه بهود عليه السلام واهل مكة اذ ذاك العماليق
اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه
بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدا وخرجوا
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشاء الله سحابا ثلاثا بيضا و
حمرا وسودا ثم نادي مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك وقومك فاختاروا
السوداء على ظن انها اكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا
هذا عارض ممطرنا فجاء تهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا وَإِلَىٰ ثَمُودَ وارسلنا الي ثمود وقرئ الي ثمود
بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر ومنع الصرف بتاويل القبيلة
وقيل سميت لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين
الحجاز والشام أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ اية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه
البينة فقال هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها بتكوينه
تعالي بلا اصلب ولا ارحم لَكُمْ آيَةً حال من الناقة والعامل معني الاشارة في هذه
كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي له اية وهم ثمود لانهم عاينوها فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في
ارض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ لا تضربوها ولا
تعقروها ولا تطردوها اكراما لاية الله فَيَأْخُذَكُمْ جواب النهي عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ونزلكم والمباءة المنزل فِي الْأَرْضِ
في ارض الحجر بين الحجاز والشام تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا اي غرفا للصيف
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا للشتاء وبيوتا حال مقدرة نحو خط الثوب قميصا
اذ الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة فَاذْكُرُوا
آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود
بلادها وخلفوهم في الارض وعمروا اعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية
الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض
وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم
نسبا فدعاهم الي الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فانذرهم فسالوه ان

يخرج من الصخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها
فخرجت ناقة كما شاؤا فامن به جندع ورهط من قومه قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ وقال شامي للذين لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا للذين استضعفهم
باعادة الجار وفيه دليل ان البدل حيث جاء كان في تقدير اعادة العامل
والضمير في منهم راجع الي قومه وهو يدل على استضعافهم كان مقصورا على
المؤمنين او الي الذين استضعفوا وهو يدل على المستضعفين كانوا مؤمنين
وكافرين أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالوه على سبيل السخرية قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ وانما صار هذا جوابا عنه لانهم سالوهم عن العلم بارساله
فجعلوا ارساله امرا معلوما مسلما كانه قالوا العلم بارساله او بما ارسل به لا شبهة
فيه وانما الكلام في وجوب الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك قَالَ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا
لما جعله المؤمنون معلوما مسلما فَعَقَرُوا النَّاقَةَ اسند العقر الي جميعهم وان
كان العاقر قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار احمر ازرق قصيرا
كما كان فرعون كذلك وقال النبي عليه الصلوة والسلام اشقي الاولين عاقر ناقة
صالح واشقي الاخرين قاتلك وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وتولوا عنه واستكبروا
وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل في ارض
الله او شان ربهم وهو دينه وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب
إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الصيحة التي زلزلت لها الارض و
اضطربوا لها فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ في بلادهم او مساكنهم جَاثِمِينَ ميتين قعودا
يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ لما عقروا
الناقة وَقَالَ يَا قَوْمِ عند فراقه اياهم لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ
لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ الامرين بالهدي لاستحلاء الهوي والنصيحة
منيحة تدرا الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة روي ان عقرهم الناقة كان
يوم الاربعاء فكان صالح عليه السلام تعيشون بعده ثلاثة ايام تصفر وجوهكم
اول يوم وتحمر في الثاني وتسود في الثالث ويصيبكم العذاب في الرابع وكان
كذلك وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فلما علم انهم
هلكوا رجع بمن معه وسكنوا ديارهم وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اي واذكروا لوطا

واذ بدل منه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها
ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه الصلوة والسلام سبقك بها عكاشة
من احد من زائدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق من العالمين من
للتبعيض وهذه جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة والهمزة
مثلها في اتاتون للانكار انكم لتاتون الرجال على الاخبار مدني وحفص
تعالى اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه
الا مجرد الشهوة ولا ذم اعظم منه لانه وصفهم بالبهيمية من دون النساء
اي لا من النساء بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم
بالحال التي توجب ارتكاب القبايح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز
الحد في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى
غير المعتاد وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي
لوطا ومن امن به يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة
ووصفهم بصفة الاسراف الذي هو اصل الشر ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق
بكلامه ونصيحته من الامر باخراجهم ومن معه من المومنين من قريتهم انهم
اناس يتطهرون يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث بما يوهم بما تمدح
به فانجيناه واهله ومن يختص به من ذويه او من المومنين الا امرأته كانت
من الغابرين من الباقين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على اناث
وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت
وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قالوا امطر الله عليهم
الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم
قال ابو عبيدة امطر في العذاب ومطر في الرحمة فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين الكافرين والى مدين وارسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة اخاهم شعيبا
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
اي معجزة وان لم تذكر في القرآن فاوفوا الكيل والميزان اتموهما والمراد فاوفوا
الكيل ووزن الميزان او يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن و

كانوا يبخسون الناس كل في مبايعاتهم وبخس يتعدى الى مفعولين وهما الناس
واشياءهم تقول بخست زيدا حقه اي نقصته اياه ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها بعد الاصلاح اي لا تفسدوا بعد ما اصلح الصالحون من الانبياء
والاولياء واضافته بل مكر الليل والنهار اي مكركم في الليل والنهار ذلكم
اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض
خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة ان كنتم مومنين مومنين مصدقين
في قولي ولا تقعدوا بكل صراط بكل طريق توعدون من آمن بشعيب و
تصدون عن سبيل الله عن العبادة من آمن به بالله وقيل كانوا يقطعون
الطريق وقيل كانوا عشارين وتبغونها وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها
للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم وصادين عن سبيل الله و
باغيها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على
جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم فكثركم الله ووفر عددكم و
قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمي الله في نسلها بالبركة
والنماء فكثروا وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم
من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يومنوا فاصبروا فانتظروا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم
عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم او هو حث للمومنين
على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم
لهم منهم او هو خطاب للفريقين اي ليصبر المومنون على اذى الكفار والكافرون
على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو
خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف عليه الجور قال الملا الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في
الكفر قال اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره اتعيدوننا
في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم وهو قسم على تقدير حذف اللام اي والله

لقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها خلصنا
فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء محال قلت
اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجراء
لكلامه على حكم التغليب وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا الا ان يكون سبق في مشيته انا نعود فيها اذ الكائنات كلها
بمشية الله تعالى خيرها وشرها وسع كل شي علما تمييز اي هو عالم بكل شي
فهو يعلم احوال عباده كيف تحول وقلوبهم كيف تنقلب على الله توكلنا
في ان يثبتنا على الايمان وتوفيقنا الازدياد الايقان ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق اي احكم والفتاحة الحكومة والقضا بالحق بفتح الامر المغلق
فلذا سمي فتحا ويسمي اهل عمان القاضي فتاحا وانت خير الفاتحين كقوله وهو
خير الحاكمين وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا
انكم اذا لخاسرون مغبونون لفوات فوايد البخس والتطفيف باتباعه لانه
ينهاكم عنها وياقركم على الايفاء والسوية وجواب القسم الذي وطاته اللام
في لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا الخاسرون فهو ساد مسد الجوابين فاخذتهم
الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين ميتين الذين كذبوا شعيبا
مبتدا خبره كانوا من الخاسرين لا من قالوا لهم انكم اذا الخاسرون وفي هذا
الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان
اهلكوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين
كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه منهم فهم الرابحون
وفي هذا التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم فتولى عنهم
بعد ان نزل بهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم فكيف آسي احزن على قوم كافرين اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه
فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم
ما نزل بهم او اراد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلا
تصدقوني فكيف آسي عليكم وما ارسلنا في قرية من نبي يقال لكل مدينة
قرية وفيه حذف اي فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباساء بالبوس والفقر
والضراء الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم او هما نقصان النفس

والمال لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من
البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة حتى عفوا اي كثروا ونموا في انفسهم
واموالهم من قولهم عفى النبات اذا كثر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام
اعفوا اللحي وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اي قالوا هذه
الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا نحو ذلك
وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما انتم عليه فاخذناهم بغتة وهم لا
يشعرون بنزول العذاب واللام في ولو ان اهل القرى اشارة الى
القرى التي دل عليها وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك
القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا الشرك مكان
ارتكابه لفتحنا عليهم لفتحنا شامي بركات من السماء والارض اراد
المطر والنبات او لاتيناهم بالخير من كل وجه ولكن كذبوا الانبياء
فاخذناهم بما كانوا يكسبون بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام
للجنس افامن اهل القرى يريد الكفار منهم ان ياتيهم باسنا عذابنا
بياتا ليلا اي وقت بيات يقال بات بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا ضحى نهارا والضحى في الاصل ضوء الشمس اذا اشرقت و
الفاء والواو في افامن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه
فاخذناهم بغتة ولو ان اهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف و
المعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة
بعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا اذ ياتيهم باسنا ضحى
اوامن شامي وحجازي على العطف باو والمعنى انكار الامن من احد هذين
الوجهين من اتيان العذاب ليلا او ضحى فان قلت كيف دخل الف الاستفهام
على حرف عطف وهو ينافي الاستفهام قلت التنافي في المفرد لا في عطف جملة على
جملة لانه على استيناف جملة بعد جملة وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي
لهم افامنوا تكرير لقوله افامن اهل القرى مكر الله اخذه العبد من حيث
لا يشعر وعن الشبلي مكره بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن
خثيم لابيها ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا ابنتاه ان اباك

يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون الا الكافرون الذين خسروا انفسهم حتى صاروا الى النار اولم
يهد اولم يبين للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ان لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة اي
اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا
الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم فاهلكنا
الوارثين كما اهلكنا المورثين وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى
التبيين ونطبع مستأنف اي ونحن نختم على قلوبهم فهم لا يسمعون الوعظ
تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتداء
وخبر وحال اي ويكون القرى صفة تلك ونقص خبرا ان او المعنى تلك القرى
المذكورة من قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض انبائها ولها انباء
غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما
كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من قبل بما كذبوه من
ايات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا
حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الطبع الشديد
يطبع الله على قلوب الكافرين لما علم منهم انهم يختارون الثبات على
الكفر وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق يعني
ان اكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الايمان والاية اعتراض او للامم المذكورة
فانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم انجاهم نكثوا
وان وجدنا وان الشان والحديث اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة
والوجود بمعنى العلم بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك
في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم الضمير للرسل
في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم موسى باياتنا بالمعجزات الواضحات الى
فرعون وملائه فظلموا بها فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما
من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوذوا من
آمن بها او لانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان وكان كفرهم بها ظلما
حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان فانظر كيف كان عاقبة

المفسدين

المفسدين حيث صاروا مغرقين وقال موسى يا فرعون يقال لملوك
مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة وكانه قال يا ملك مصر و
اسمه قابوس او الوليد بن مصعب بن الريان اني رسول من رب العالمين
اليك قال فرعون كذبت فقال موسى حقيق علي ان لا اقول على الله الا
الحق اي انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون قائله و
القائم به حقيق على نافع اي واجب على ترك القول على الله الا الحق اي الصدق
وعلى هذه القراءة على العالمين وعلى الاول ويجوز الوصل على جعل حقيق وصف
الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة ابي اي اني رسول حقيق بان لا اقول او تعلق
على بمعنى الفعل في الرسول اي اني رسول حقيق جدير بالرسالة ارسلت على
ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم من ربكم ببينة بما يبين رسالتي
فارسل معي بني اسرائيل فخلهم يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي
هي وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي غلب فرعون نسل الاسباط
فاستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر
واليوم الذي دخله موسى عليه السلام اربعمائة عام معي حفص قال ان كنت
جئت باية من عند من ارسلك فات بها ان كنت من الصادقين فاتني
بها لتصح دعويك ويثبت صدقك فيها فالقى موسى عصاه من يده فاذا
هي اذا هذه للمفاجات وهي من ظروف المكان بمنزلة ثم وهناك ثعبان
حية عظيمة مبين ظاهر امره روي انه كان ذكرا فاغرا فاه بين لحييه ثمانون
ذراعا وضع لحيته الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون فهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وحمل على الناس فمات
منهم خمسة وعشرون الفا وقتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى خذه
فاخذه موسى فعاد عصا ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين
اي فاذا هي بيضاء للنظارة ولا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا
عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه روي انه ارى فرعون يده و
قال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه ونزعها فاذا هي بيضاء غلب شعاعها
شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام ادم شديد الادمة قال الملأ من
قوم فرعون ان هذا لساحر عليم عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل الى الناس العصا

حية والادم ابيض وهذا الكلام قد عزي الي فرعون في سورة الشعراء وانه قال
للملاء وهنا عزي اليهم فيحتمل انه قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم هنا
او قاله ابتداء فتلقته منه الملاء فقالوه لاعقابهم يريد ان يخرجكم من ارضكم
يعني مصر فماذا تامرون تشير ون نعن امرته فامرني بكذا اذا اشاورته فاشار عليه
برأيه وهو من كلام فرعون قوله للملاء لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان
يخرجكم قالوا ارجه بسكون الهاء عاصم وحمزة اي اخره واحبس اي امره ولا تعجل
او كانه هم بقتله فقالوا اخر قتله واحبسه ولا تقتله لتبين سحره عند الخلق و
اخاه هرون في المداين حاشرين جامعين يأتوك بكل ساحر عليم سحار حمزة
وعلي اي يأتوك بكل ساحر مثله او بخير منه وجاء السحرة فرعون بريد فارسل
اليهم فحضروا قالوا اين لنا لاجرا على الخبر واثبات الاجر لعظيم مجازي و
حفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل يقول ما قالوا اذ جاؤه فاجيب
بقوله قالوا ان لنا لاجرا جعلا على الغلبة والشكر للتعظيم كانه قالوا لابد لنا
من اجر عظيم ان كنا نحن الغالبين قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين
عندي فتكونون اول من يدخل واخر من يخرج وكانوا ثمانين الفا او بضعة
وثلاثين الفا قالوا يا موسي اما ان تلقي عصاك واما ان نكون نحن الملقين
ما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في ان يلقوا قبله حيث اكد ضميرهم المتصل بالمنفصل
وعرف الخبر قال لهم موسي القوا تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل
المناظرون قبل ان يتخاوضوا في الجدال وقد سوغ لهم موسي ما رغبوا فيه ازدرا
لشانهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على ان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا فلما القوا
سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة تخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه
روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت
الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم استدعوا رهبوهم ارادوا بالشديد كانهم
رهبتهم بالحيلة وجاؤا بسحر عظيم في باب السحر او في عين من راه واوحينا الي موسي
ان الق عصاك فاذا هي تلقف تبتلع تلقف حفص ما يأفكون ما موصولة او
مصدرية بمعني ما يأفكون اي يقلبونه عن الحق الي الباطل ويزورونه او افكهم
تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملاء الوادي من الخشب والحبال
ورفعها موسي فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة

او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع
الحق فحصل وثبت وبطل ما كانوا يعملون من السحر فغلبوا هنالك اي فرعون
وجنوده والسحرة وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة
ساجدين خروا سجدا لله كان ما القاهم ملق لشدة خرورهم ولم يتمالكوا
مما راوا كانهم القوا وكانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة
قالوا امنا برب العالمين رب موسي وهرون هو بدل مما قبله قال فرعون
امنتم به على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفي غير حفص فالاولى
همزة الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد قبل ان اذن لكم قبل اذني
لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ان صنعكم هذه
الحيلة احتلتموها انتم وموسي في المصر قبل ان تخرجوا الي الصحراء لغرض لكم
وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني اسرائيل فسوف تعلمون وعيدا
جملة ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم
اجمعين هو اول من قطع من خلاف وصلب قالوا انا الي ربنا منقلبون فلا
نبالي بالموت لانقلابنا الي لقاء ربنا ورحمته او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون
ننقلب الي الله فيحكم بيننا وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا
وما يعيب منا الا الايمان بايات الله اراد وما يعيب منا الا ما هو اصل
المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله شعرا ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب صبا ذريعا والمعني
هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتي يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء فراغا
وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقال الملاء من قوم فرعون اتذر
موسي وقومه ليفسدوا في الارض ارض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير
منع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما تعبد عبدة
الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الي الله زلفي ولذلك قال انا ربكم
الاعلى قال فرعون مجيبا للملاء سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا
فوقهم قاهرون سنقتل حجازي اي سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا
انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا
لئلا يتوهم العامة انه المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يديه

فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم
تسلية وهذا بالنصر عليهم ان الارض اللام للعهد اي ارض مصر او للجنس
فيتناول ارض مصر تناولا اوليا لله يورثها من يشاء من عباده فيه
تمنية اياهم ارض مصر والعاقبة للمتقين اشارة بان الخاتمة المحمودة
للمتقين منهم ومن القبط واخليت هذه الجملة عن الواو لانها مستأنفة
بخلاف قوله وقال الملاء لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملاء من
قوم فرعون قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون
قتل انبيائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك
وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء الوعد النصر قال عسى ربكم ان
يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة
قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر
كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها
فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور
قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب المنصور زيادة لعمرو
فلم يوجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر ذلك
فقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
سنين القحط وهو سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم
ونقص من الثمرات قيل السنون لاهل البادي ونقص من الثمرات للامصار
لعلهم يذكرون ليتعظوا فينبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر ولان الناس
في حال الشدة اضرع خدودا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة
ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او
جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الصحة والخصب قالوا لنا
هذه اي هذه التي نستحقها وان تصبهم سيئة جدب ومرض يطيروا
اصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لانهما من طرف اللسان واصول
الثنايا بموسى ومن معه تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولو لا مكانهم لما
اصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة ونكرت

السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته واما السيئة فلا تقع الا
في الندرة ولا يقع الا شيء منها الا انما طائرهم سبب خيرهم وشرهم عند
الله في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة قل
كل من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فقالوا مهما تأتنا به من آية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اصله ما ما الاولى للجزاء ضمت اليها ما
المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى تخرج اخرج اينما تكونوا فاما نذهبن
بك لان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد
البصري وهو في موضع النصب بتأتنا اي ايما شيء ومن آية تبيين لها والضمير
في به وبها يرجع الى مهما الا ان الاول ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى
لانها في معنى الآية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى او قصدوا بذلك
الاستهزاء فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وعليهم من مطر او سيل
قيل طفى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة
لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل دخل الماء في
بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل
بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة او هو الجدري والطاعون والجراد فاكلت
زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل
منها شيء والقمل هي الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها او البراغيث
او كبار القردان والضفادع وكانت يقع في طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم
الرجل وقع في فيه والدم اي الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى ان
القبطي والاسرائيلي اذا اجتمعا على اناء فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي
القبطي دما وقيل سال عليهم النيل وماء آيات حال من الاشياء المذكورة
مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله او مفرقات
بين كل اثنين شهر فاستكبروا عن الايمان بموسى عليه السلام وكانوا
قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز العذاب الاخير وهو الدم والعذاب
المذكور واحدا بعد واحد قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
ما مصدرية اي بعهده عندك وهو النبوة والباء يتعلق بادع اي ادع الله
متوسلا اليه بعهده عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن

معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى
حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم من تقدم لهم
من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما
كشفنا عنهم فاجئوا النكث ولم يؤخروه فانتقمنا منهم فانتقمنا هو ضد
الانعام كما ان العقاب ضد الثواب فاغرقناهم في اليم هو البحر الذي لا يدرك
قعره او هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين
به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون هم بنوا اسرائيل كان يستضعفهم فرعون و
قومه بالقتل والاستخدام مشارق الارض ومغاربها يعني ارض مصر
والشام التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل هو قوله تعالى عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض الاية او نريد ان نمن على الذين استضعفوا
الى ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت اي
مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا اي بسبب
صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلايا بالجزع
وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له بالفرج ودمرنا اهلكنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات وبناء القصور وما كانوا
يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء
كصرح فرعون وغيره وبضم الراء شامي وابو بكر وهذا آخر قصة فرعون
والقبط وتكذيبهم بايات الله ثم اتبعه قصة بني اسرائيل وما احدثوه بعد
انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة
البقرة وغير ذلك لتسلي رسول الله عليه الصلوة والسلام مما راى من بني اسرائيل
بالمدينة وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم
عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم
فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل
بقر وبكسر الكاف حمزة وعلي قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما نعكف عليه

كما لهم

كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت
الجملة بعدها قال يهودي لعلي رضي الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان
يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما يجف اقدامكم قال انكم قوم
تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الاية العظمى فوصفهم بالجهل
المطلق واكده ان هؤلاء عبدة تلك التماثيل متبر مهلك من التبار ما هم
فيه اي يتبره الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء
اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام
بانهم هم معرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وباطل ما كانوا يعملون اي
ما عملوا من عبادة الاصنام باطل مضمحل قال اغير الله ابغيكم الها اغير
المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين حال اي
عالمي زمانكم واذ انجيناكم من آل فرعون انجيكم شامي يسومونكم سوء
العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها وهو استيناف
لا محل له او حال من المخاطبين او من آل فرعون يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم يقتلون نافع وفي ذلكم اي في الانجاء او في العذاب بلاء نعمة او
محنة من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلثين ليلة لاعطاء التورية
واتممناها بعشر روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان
اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فلما اهلك فرعون سال موسى
عليه السلام ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم
الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فاوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم
اطيب عندي من ريح المسك فامره ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك
فتم ميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له اربعين ليلة نصب على
الحال اي تم بالغا هذا العدد ولقد اجمل ذكر الاربعين في البقرة وفصلها
هنا وقال موسى لاخيه هارون هو عطف بيان لاخيه اخلفني في قومي
كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ولا تتبع
سبيل المفسدين من دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطيعه و
لما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الا
ختصاص اي لمجيئه لميقاتنا وكلمه ربه بلا واسطة ولا كيفية وروي انه

كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ رحمه الله في التأويلات ان موسى
عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله وكان اختصاصه باعتبار انه اسمعه
صوتا تولى تخليقه من غير ان يكون ذلك الصوت لاحد من الخلق وغيره
يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع طمع
في رؤيته لغلبة شوقه فسال الرؤية بقوله قال رب ارني انظر اليك
ثاني مفعول ارني محذوف اي ارني ذاتك انظر اليك اي مكني من رؤيتك
بان يتجلى لي حتى اراك ارني مكي بكسر الراء مختلسة ابو عمرو وبكسر الراء مشبعة
غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد
ان الله تعالى مرئي حتى سالها واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر قال لن
تراني بالسؤال يعني فانية بل العطاء والنوال يعني باقية وهو دليل لنا
ايضا انه لم يقل لن اري فيكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لاخبر بانه
ليس بمرئي اذ الحالة حالة الحاجة الى البيان ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه بقي على حاله فسوف تراني وهو دليل لنا ايضا لانه علق الرؤية
باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق
بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك
وما اوجده تعالى كان جايزا ان لا يوجد لو لم يوجده لانه مختار في فعله
ولانه تعالى ما ايسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه
كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين حيث سال
انجاء ابنه من الغرق فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال
الشيخ ابو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل لما قال الاشعري انه تعالى خلق
في الجبل حيوة وعلما ورؤية حتى راى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا
وبهذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقوله بان موسى عليه السلام كان
عالما بانه لا يرى ولكن طلب قومه ان يريهم ربهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى انه ليس بمرئي
باطل اذ لو كان كما زعموا لقال اريهم ينظرون اليك ثم يقول لهم لن
يروني ولانها لو لم تكن جايزة لما اخر الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت
قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث للتغيير

لا لتقريره

لا لتقريره الا ترى انهم لما قالوا له اجعل لنا الها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد
عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون جعله دكا مدكوكا مصدر بمعنى
مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان دكاء حمزة وعلي اي مستوية
بالارض لا اكمة فيها ناقة دكاء لا سنام لها وخر موسى صعقا حال اي سقط
مغشيا عليه فلما افاق من صعقته قال سبحانك تبت اليك من السؤال
في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك او بانك لا تعطى
الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله ارني انظر
اليك ارني اية اعلمك بها بالضرورة كاني انظر اليك لن تراني لن تطيق
معرفتي بهذه الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني اظهر له آية فان ثبت الجبل
لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لانه قال
رب ارني انظر اليك ولم يقل اليها وقال لن تراني ولم يقل لن
ترى وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد اراه اعظم الايات حيث جعل
الجبل دكا قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل
زمانك برسالاتي هي اسفار التورية برسالتي حجازي وبكلامي وبتكليمي
اياك فخذ ما اتيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على
النعمة في ذلك فهي اجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية
يوم النحر ولما كان هارون تابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه
السلام وكتبنا له في الالواح الواح التورية جمع لوح وكانت عشرة الواح وقيل
سبعة وكانت زمرد وقيل خشب نزلت من السماء فيها التورية من كل شيء
في محل النصب على انه مفعول كتبنا موعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا
له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام
وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها الا الاربعة نفر
موسى ويوشع وعزير وعيسى عليه السلام لكل شيء فعلت له خذها عطفا
على كتبنا والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء فخذها بقوة بجد وعزيمة
فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها اي فيها ما هو
حسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان ياخذوا بما هو ادخل
في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم سأريكم دار الفاسقين

دار فرعون وقومه وهي مصر او منازل عاد وثمود والقرون المهلكين
كيف اقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم
اوجهنم سأصرف عن آياتي عن فهمها قال ذو النون ابى الله ان يكرم
قلوب البطالين بمكنون حكمة القران الذين يتكبرون يتطاولون
التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري عزت قدرته في الارض بغير
الحق وهو حال اي يتكبرون غير محقين لان التكبر لله وحده وان
يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد
صلاح الامر او الطريق الهدى الرشد وحمزة وعلى وهما كالسقم والسقم لا
يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي الضلال يتخذوه سبيلا ومحل
ذلك الرفع اي ذلك الصرف بانهم كذبوا بآياتنا بسبب تكذيبهم
وكانوا عنها غافلين غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة هو من اضافة المصدر الى المفعول به اي و
لقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها حبطت اعمالهم خبر والذين هل
يجزون الا ما كانوا يعملون وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال و
اتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه الى الطور من حليهم وانما
نسب اليهم مع انها كانت عواري في ايديهم لان الاضافة يكون بادنى
ملابسة وفيه دليل على ان من حلف ان لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها
يحنث على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم وفيه
دليل على ان الاستيلاء على اموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها ثم المتخذ
هو السامري ولكنهم رضوا به فاسند اليهم والحلي جمع حلي وهو اسم ما يتحسن به
من الذهب والفضة حليهم حمزة وعلى الاتباع عجلا مفعول اتخذ جسدا
بدل منه اي بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد له خوار هو صوت البقر و
المفعول الثاني محذوف اي الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال الم يروا
حين اتخذوا الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لا يقدرون على كلام
ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد
البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق بما ركز في
العقول من الادلة وبما انزل في الكتب ثم ابتدأ فقال اتخذوه الها فاقدموا

علي

على هذا الامر المنكر وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم اي ولما
اشتد ندمهم على عبادة العجل واصله من اشتد ندمه بعض يده غما فيصير
مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من
باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم
وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان استحال ان يكون في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين
ورأوا انهم قد ضلوا تبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة
وعلى وانتصاب ربنا على النداء لنكونن من الخاسرين المغبونين في
الدنيا والآخرة ولما رجع موسى من الطور الى قومه بني اسرائيل غضبان
حال من موسى اسفا حال ايضا اي حزينا قال بئسما خلفتموني قمتم مقامي
ما كنتم خلفائي من بعدي والخطاب لعبدة العجل من السامري واشياعه
او لهرون ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى
بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من
عبد غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم
محذوف وتقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى
من بعدي بعد قوله خلفتموني من بعد ما رايتم مني توحيد الله ونفي
الشركاء عنه او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد عن عبادة البقر
حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة
المستخلف اعجلتم سبقتم بعبادة العجل امر ربكم وهو اتياني لكم بالتوراة
بعد اربعين ليلة واصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم
والقى الالواح ضجرا عند استماع حديث العجل غضبا لله وكان في نفسه
شديد الغضب وكان هرون عليه السلام الين منه جانبا ولذلك كان
احب الى بني اسرائيل من موسى عليه السلام فتكسرت فرفعت ستة اسباعها
وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة
واخذ براس اخيه بشعر راسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة
العجل يجره اليه عتابا عليه لا هوانا به وهو حال من موسى قال ابن ام بني

الابن مع الام على الفتح لخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلي وشامي لان اصله اي بحذف
الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن امه وابيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة
ولان ذكرها ادعى الى العطف ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
اي اني لم الجهد في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي
فلا تشمت بي الاعداء الذين عبدوا العجل اي لا تفعل بي ما هو امنيتهم من
الاستهانة والاساءة الي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي قرينا لهم بغضبك
علي فلما اتضح له عذر اخيه قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه وينفي الشماتة
عنه باشراكه معه في الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق اخي ولاخي ان
فرط في حسن الخلافة وادخلنا في رحمتك عصمتك في الدنيا وجنتك في
الاخرة ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم هو ما
امروا به من قتل انفسهم توبة وذلة في الحيوة الدنيا خروجهم من ديارهم
فالغربة بذل الاعناق او ضرب الجزية عليهم وكذلك نجزي المفترين
المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا رجعوا الى الله من
بعدها واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها اي من السيئات او التوبة
لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وان مع
اسمها وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل وغيرهم
عظم جناياتهم ثم اردفهم بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان عظمت
فعفوه اعظم ولما كان الغضب لشدته كانه الامر لموسى بما فعل قيل ولما
سكت عن موسى الغضب قال الزجاج معناه سكن وقرئ به اخذ الالواح
التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول
وضعف عمل الفعل فيه باعتباره واختار موسى قومه اي من قومه فحذف
الجار واوصل الفعل سبعين رجلا قيل اختار موسى من اثني عشر سبطا من
كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين وقال ليتخلف منكم رجلان فقعد
كالب ويوشع لميقاتنا لاعتذارهم عن عبادة العجل واخذتهم الرجفة الزلزلة
الشديدة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل بما كان منهم من عبادة

العجل

العجل واياي بقتل القبطي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اتهلكنا بما
فعل الجهال منا وهم اصحاب العجل ان هي الا فتنتك ابتلاؤك وهو راجع
الى قوله فانا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هي تلك الفتنة اختبرتني
بها وهي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر والخير فتنة
تضل بها بالفتنة من تشاء من علمت منهم اختيار الضلال وتهدي
من تشاء من علمت منهم اختيار الهدى انت ولينا مولانا القائم بامورنا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب واثبت لنا واقسم لنا في
الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة حسنة
هي الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود
جمع هائد وهو التائب قال عذابي اي من صفته اني اصيب به من اشاء
اي لا اعفو عنه ورحمتي وسعت كل شيء اي من صفة رحمتي انها واسعة
تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر الا وعليه اثر رحمتي في الدنيا فساكتبها
اي هذه الرحمة للذين يتقون الشرك من امة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤتون
الزكوة المفروضة والذين هم باياتنا بجميع كتبنا يؤمنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القران
النبي صاحب المعجزات الامي الذي يجدونه اي يجدون نعته اولئك
الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم
بالمعروف بخلع الانداد وانصاف العباد وينهاهم عن المنكر عبادة
الاصنام وقطيعة الارحام ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء
الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح
وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث كالدم والميتة
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة و
نحوهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم هو الثقل الذي يأصر
صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس
في توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شامي على الجمع والاغلال التي
كانت عليهم هي الاحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان
او خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق

الغنائم وظهور الذنوب على ابواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم
الغل فالذين امنوا به بمحمد عليه الصلوة والسلام وعزروه وعظموه او منعوه
من العدو حتى لا يقوى عليه عدو واصل العزر المنع ومنه التعزير لانه منع
عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اي القرآن ومع متعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل
بسنته اولئك هم المفلحون الفائزون بكل خير الناجون من كل شر قل
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث
محمد عليه الصلوة والسلام الى كافة الانس وكافة الجن جميعا حال من اليكم
الذي له ملك السموات والارض في محل النصب باضمار اعني وهو نصب
على المدح لا اله الا هو بدل من الصلة وهي له ملك السموات والارض وكذلك
كذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان ملك العالم
كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية اذ لا
يقدر على الاحياء والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته اي الكتب المنزلة واتبعوه لعلكم تهتدون ولم يقل
فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم ليجري عليه الصفات التي
اجريت عليه ولما في الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب
الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة ففاديا من العصبية لنفسه ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق اي يهدون الناس محقين او بسبب الحق
الذي هم عليه وبه يعدلون وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون
قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلوة والسلام ليلة المعراج او
هم عبد الله بن سلام واضرابه وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا و
ميزنا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة اسباطا كقوله اثنتي عشرة قبيلة او
لاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا
من اولاد يعقوب عليه السلام نعم مميز ما عدا العشرة مفرد وكان ينبغي
ان يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة
اسباط لا سباط فوضع اسباطا موضع القبيلة امما بدل من اثنتي عشرة اي

وقطعناهم

وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة فكل واحدة كانت تؤم
خلاف ما تؤمه الاخرى واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب
بعصاك الحجر فضرب فانبجست فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل
اناس مشربهم هو اسم جمع غير تكسير وظللنا عليهم الغمام وجعلناه
ظليلا عليهم في التيه وانزلنا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم كلوا
من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم
النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكن كانوا يضرون انفسهم
ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم اي واذكر اذ قيل لهم اسكنوا هذه
القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا
الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم نغفر لكم مدني وشامي خطيئتكم شامي
خطيئاتكم مدني خطاياكم ابو عمرو سنزيد المحسنين فبدل الذين
ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها و
بين قوله في البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء
قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر
الوعد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين موعد
للمسيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف
مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين
وكذلك زيادة بينهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون
من واد واحد واسألهم واسأل اليهود عن القرية ايلة او مدين وهذا
السؤال للتقريع بقديم كفرهم التي كانت حاضرة البحر قريبة منه اذ
يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم
السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية
اهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من
بدل الاشتمال اذ تأتيهم منصوب بيعدون وبدل بعد بدل حيتانهم
جمع حوت ابدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها يوم سبتهم شرعا
ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت

اليهود اذا اعظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون
في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت
ويدل عليه ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ويوم ظرف لا تاتيهم كذلك نبلوهم
بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم واذ قالت
معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء
القرية الذين ايسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول في
موعظتهم الاخرين لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
او معذبهم عذابا شديدا وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع
فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب
في النهي عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول اي وعظنا
للمعذرة ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا فلما نسوا اي اهل القرية
لما تركوا ما ذكروا به ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا
الذين ينهون عن السوء عن العذاب الشديد واخذنا الذين ظلموا
الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فعن الحسن نجت
فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان بعذاب بئيس شديد
يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئس بئيس شامي بيس مدني على
وزن فعيل ابو بكر غير حماد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه
عن ترك ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جعلناهم قردة
اذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو
المسخ قيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون اقاربهم و
يبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت
واذ تاذن ربك اي اعلم واجري مجرى فعل القسم ولذا اجيب بما يجاب
القسم وهو قوله ليبعثن عليهم اي كتب على نفسه ليسلطن على اليهود
الى يوم القيمة من يسومهم من يوليهم سوء العذاب فكانوا يؤدون
الجزية الى المجوس الى بعث محمد عليه الصلوة والسلام فضربها عليهم فلا
تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب للكفار وانه
لغفور رحيم للمؤمنين وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا

يخلوا بلد عن فرقة منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة والذين
وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف اي
ومنهم ناس منحطون عن الصلاح وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والخصب والجدب لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف
من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح ورثوا
الكتاب التورية ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل و
التحريم ولم يعملوا بها ياخذون عرض هذا الادنى هو حال من ضمير في
ورثوا الكتاب والعرض المتاع اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا
وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما
كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلام وفي قوله هذا
الادنى تخسيس وتحقير ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا
والفعل مسند الى الاخذ او الى الجار والمجرور اي لنا وان ياتهم عرض مثله
ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل
فعلهم غير تائبين الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق المذكور
في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الذي قد اخذ عليهم الميثاق في
كتابهم ان لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه وقرأوا ما في الكتاب وهو عطف على الم يؤخذ عليهم لانه
تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والدار الاخرة
خير من ذلك الدار الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم افلا تعقلون
انه كذلك وبالتاء مدني وحفص والذين يمسكون بالكتاب يمسكون
ابو بكر والامساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بالشيء و
اقاموا الصلوة خص الصلوة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة
لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر انا لا نضيع اجر المصلحين اي لا
نضيع اجرهم وجاز ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون وانا لا نضيع
اعتراض واذ نتقنا الجبل فوقهم واذكر اذ قلعناه ورفعناه كقوله و

رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة هي كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وظنوا
انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم
وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها والا ليقعن عليكم فلما نظروا
الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى
الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر
ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم خذوا ما
اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا
ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه لعلكم تتقون ما انتم عليه واذ
اخذ ربك من بني ادم اي واذكروا اذ اخذ من ظهورهم بدل من بني
آدم والتقدير واذ اخذ ربك من ظهورهم ذريتهم ومعنى اخذ
ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلاب ابائهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا هذا من باب التمثيل ومعنا
ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت عقولهم
التي ركبها فيهم وجعلها مميزة الهدى والضلالة فكانه اشهدهم على
انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا
على انفسنا واقررنا بوحدانيتك ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من
نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان يقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او تقولوا او كراهة ان تقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان
نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض
عنه والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة
افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك
وتركهم سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات
لهم ولعلهم يرجعون عن شركهم نفصلها الى هذا ذهب المحققون من
اهل التفسير وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى اخرج من ظهر آدم عليه السلام
مثل الذر واخذ عليهم الميثاق انه ربهم بقوله الست بربكم فاجابوه ببلى قالوا

وهي

وهي الفطرة التي فطر الناس عليها وقال ابن عباس رضي الله عنهما اخرج الله
من ظهر آدم ذريته واراه اياهم كهيئة الذر واعطاهم من العقل وقال هؤلاء
ولدك اخذ عليهم الميثاق ان يعبدوني قيل كان ذلك قبل الدخول في الجنة
بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل في الجنة والحجة للاول
انه قال من بني آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر ادم ولانا لا نتذكر ذلك
فاني يصير حجة ذرياتهم مدني وبصري وشامي ان تقولوا او يقولوا ابو
عمرو واتل عليهم على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا هو عالم من علماء
بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعورا اوتي بعض كتب الله فانسلخ منها فخرج
من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان
وادركه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين
روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزالوا به
حتى فعل وكان عنده اسم الله الاعظم ولو شئنا لرفعناه الى منازل
الابرار من العلماء بها بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا
ورغب فيها واتبع هويه في ايثار الدنيا ولذاتها على الاخرة ونعيمها فمثله
كمثل الكلب ان تحمل عليه اي تزجره وتطرده يلهث او تتركه غير مطرود
يلهث والمعنى وصفته التي هي مثل في الخسة والصفة كصفة الكلب في
اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به سواء حمل عليه اي شد عليه و
هيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان ساير الحيوان لا يكون منه
اللهث الا اذا حرك اما الكلب فيلهث في الحالين وكان مقتضى الكلام ان
يقال ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل
موضع فحططناه ابلغ حط ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كانه قيل كمثل
الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام
خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه وهو ضال
وعظ او ترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح طرد او ترك
ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود بعد ما قرأوا نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا
الناس باقتراب مبعثه فاقصص القصص اي قصص بلعم الذي هو نحو

قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذ اسار واغو سيرته
سآء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا اي مثل القوم فحذف المضاف
وفاعل سآء المثل مثلاً وانتصاب مثلاً على التمييز وانفسهم كانوا يظلمون
معطوف على كذبوا فيدخل في حيز الصلة اي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات
الله وظلموا انفسهم او منقطع عن الصلة اي وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب
وتقديم المفعول به للاختصاص اي وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعد
الى غيرها من يهدي الله فهو المهتدي حمل على اللفظ ومن يضلل
اي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون على المعنى ولو كان الهدى من
الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوي الكافر والمؤمن اذ البيان في حق
الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان بذلك
للكافر لاهتدي كما اهتدي المؤمن ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس
هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم
اختيار الكفر فشاء الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا
تنافي بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس ليعبدون لانه انما خلقهم
للعبادة من علم انه يعبده واما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون
منه فالحاصل ان من علم منه في الازل يكون منه في العبادة خلقه للعبادة
ومن علم ان يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص و
قول المعتزلة بان بهذه لام العاقبة اي لما كان عاقبتهم جهنم كانهم خلقوا
لها فرار عن ارادة المعاصي عدول عن الظاهر لهم قلوب لا يفقهون بها
الحق ولا يتفكرون فيه ولهم اعين لا يبصرون الرشد ولهم آذان لا يسمعون
بها الوعظ اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع
للفكر بل هم اضل من الانعام لانهم كابروا العقول وعاندوا الرسول فالانعام
تطلب منافعها وتهرب عن مضارتها وهم لا يعلمون مضارتها حيث اختاروا
النار وكيف يستوي المكلف المأمور والمخلي المعذور فالادمي روحاني بل
شهواني سماوي ارضي فان غلب روحه هواه وفاقته بهائم الارض واولئك
هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسمآء الحسنى التي هي احسن
الاسمآء لانها تدل على معان حسنة فمنها ما يستحقه بحقايقه كالقدم قبل كل

شئ

شئ والباقي بعد كل شئ والقادر على كل شئ والعالم بكل شئ والواحد الذي
ليس كمثله شئ ومنها ما تستحسنه الانفس لاثارها كالغفور والرحيم و
الشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب
مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كا
لعظيم والجبار والمتكبر فادعوه بها فسموه بتلك الاسمآء وذروا الذين
يلحدون في اسمآئه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها
فيسمونه بغير الاسمآء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه نحو ان يقولوا
يا سخي يا رفيق لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر
والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد والحد مال سيجزون ما كانوا يعملون
وممن خلقنا للجنة لانه في مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم امة يهدون
بالحق وبه يعدلون في احكامهم قيل هم العلمآء والدعاة الى الدين وفيه
دلالة على ان اجماع كل عصر حجة والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك
ان يواتر الله نعمه مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا
وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة
النعم اثرة من الله وتقريب وانما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من
الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة واملي لهم
عطف على سنستدرجهم اي امهلهم ان كيدي متين اخذي شديد سماه
كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان
ولما نسبوا النبي عليه الصلوة والسلام الى الجنون نزل اولم يتفكروا ما بصاحبهم
بمحمد عليه الصلوة والسلام وما نافية بعد وقف اي اولم يتفكروا في قولهم
ثم نفي عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم من جنة جنون ان هو الا نذير مبين
منذر من الله موضح انذاره اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
الملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شئ وما خلق الله مما يقع عليه اسم الشئ
من اجناس لا يحصرها العدد وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه
عسى والضمير ضمير الشان وهو في موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى اولم ينظروا
في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون

جهم

عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجات الاجل
وحلول العقاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا
به وهو متعلق بعسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وما ينتظرون بعد
وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به من يضلل الله
فلا هادي له اي يضلله الله ويذرهم بالياء عراقي وبالجزم حمزة وعلي عطفا
على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم والرفع
على الاستيناف اي وهو يذرهم الباقون بالنون في طغيانهم كفرهم
يعمهون يتحيرون ولما سالت اليهود او قريش عن الساعة متى يكون نزل
يسئلونك عن الساعة وهي من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيمة
بالساعة لوقوعها او لوقوعها بغتة او لسرعة احسابها او لانها عند الله على
طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان متى اشتقاقه من اي فعلان منه
لان معناه اي وقت مرسيها ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال او
وقت ارسائها اي اثباتها والمعنى متى يرسيها الله قل انما علمها عند ربي
اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب
ونبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت
الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها
الا هو وحده ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة
والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها وشق خفاؤها وثقل
عليه او ثقلت فيها لان اهلها يخافون شدائدها واهوالها لا تأتيكم الا
بغتة فجاءة على غفلة منكم يسئلونك كانك حفي عنها كانك عالم بها
وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقير
عنه استحكم علمه فيها واصل هذا التركيب المبالغة ومنه احفاء الشارب او
عنها متعلق بيسئلونك اي يسئلونك عنها كانك حفي اي عالم بها قل انما
علمها عند الله وكرر يسئلونك وانما علمها عند الله للتاكيد ولزيادة كانك
حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم
محمد بن الحسن رحمه الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه المختص بالعلم بها

قل لا

قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار للعبودية
وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك
لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك الا ما شاء مالكي من النفع و
الدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
اي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء
والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحرب وقيل
الغيب الاجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعددت من
الخصب للجدب والسوء الفقر وقد رد ان انا الا نذير وبشير ان انا الا
عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب واللام في لقوم
يؤمنون يتعلق بالنذير والبشير لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم
او بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف اي الا نذير للكافرين وبشير
لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس آدم عليه السلام
وجعل منها زوجها حواء خلقها من جسد آدم عليه السلام من ضلع من
اضلاعه ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل لان الجنس اميل خصوصا اذا كا
بعضا منه كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه
وذكر ليسكن بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس
ليبين ان المراد بها آدم عليه السلام فلما تغشاها جامعها حملت حملا
خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب
والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده
من غير اخراج ولا ازلاق او حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت
به وقعدت فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها دعوا الله ربهما دعا آدم
وحوى ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا
لئن آتيتنا صالحا لئن وهبت لنا ذكرا لان الذكورة من الصلاح لنكونن
من الشاكرين لك والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من
ذريتهما فلما آتاهما صالحا اعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي
جعلا له شركاء اي جعل اولادهما شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما دليله فتعالى الله عما يشركون

حيث جمع الضمير فآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله
تسميتهما اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس ونحو ذلك مكان
عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم او تكون الخطاب لقريش الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي اي هو الذي خلقكم من
نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما
طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما اتاهما حيث سميا اولادهما
الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد القيس وعبد الدار والضمير في
يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك كاء مدني وابو بكر اي
ذوي شرك وهم الشركاء أيشركون ما لا يخلق شيئا يعني الاصنام وهم
يخلقون اجريت الاصنام مجرى اولي العلم بناء على اعتقادهم وتسميتهم
اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لان الله تعالى
خالقهم او الضمير في وهم يخلقون للعابدين يعني ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم او للعابدين والمعبودين وجمعهم كاولي
العلم تغليبا للعابدين ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم
هم الذين يدفعون عنهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى
اي ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم اي وان تطلبوا منهم كما تطلبون من
الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله
لا يتبعوكم نافع سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم
في انه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤوس
الآي ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد
امثالكم مخلوقون مملوكون امثالكم فادعوهم لجلب نفع او دفع ضر
فليستجيبوا لكم فليجيبوا ان كنتم صادقين في انهم آلهة ثم ابطل ان يكونوا
عبادا امثالكم فقال ألهم ارجل يمشون بها مشيكم ام لهم ايد يبطشون
بها يتناولون منها بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان
يسمعون بها اي فلم تعبدون ما هو دونكم قل ادعوا شركاءكم و
استعينوا بهم ثم كيدون في عداوتي فلا تنظرون جميعا انتم وشركاؤكم بالياء

يعقوب وافقه ابو عمرو في الوصل فاني لا ابالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم
فامر ان يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب ان وليي ناصر عليكم الله الذي
نزل الكتاب اوحى الي واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن سنته
ان ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم والذين تدعون من دونه
من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك يشبهون الناظر
اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه
وهم لا يبصرون المرئي خذ العفو هو ضد الجهد اي ما عفا لك من
اخلاق الناس وافعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى
لا ينفروا كقوله عليه الصلوة والسلام يسروا ولا تعسروا وأمر بالعرف
بالمعروف والجميل من الافعال وهو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها
الشرع واعرض عن الجاهلين لا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم
واحلم عنهم وفسرها جبرائيل عليه السلام بقوله صل من قطعك و
اعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق رضي الله عنه امر الله
نبيه عليه الصلوة والسلام بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع
لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما تنخسنك
منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله و
لا تطعه والنزغ النخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي و
جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول
ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني انه سميع لنزغه عليم
بدفعه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان طيف مكي
وبصري وعلي اي لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن
ابي عمرو هما واحد وهي الوسوسة وهذا تاكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة
بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا اصابهم ادنى نزغ من
الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم
مبصرون فابصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته ان يفر منه الى
الله فيزداد بصيرة من الله بالله واخوانهم يمدونهم في الغي اي يكونون

بن

مدداً لهم فيه ويعضدونهم يمدونهم من الامداد مد في ثم لا يقصرون
ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصيروا ولا يرجعوا وجاز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول اوجه لان
اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير في اخوانهم والشياطين مفرد
لان المراد به الجنس وإذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا لولا اجتبيتها هلا اختلقتها
اي اختلقتها كما اختلقت ما قبلها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست
بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن دلائل يبصر بها وجوه الحق
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون به فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له و
انصتوا لعلكم ترحمون ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت
قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلى عليكم الرسول القرآن
عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع
المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح واذكر ربك في
نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل
وغير ذلك تضرعاً وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى
حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين وقيل المراد ادامة
الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو اوقات الغدو وهي الغدوات و
الاصال جمع اصل الاصل جمع اصيل وهي العشي ولا تكن من الغافلين من
الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك مكانة
ومنزلة لا امكان ومنن لا يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته لا
يتعظمون عنها ويسبحونه وينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون و
يختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره

يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول النفل الغنيمة لانها
من فضل الله وعطائه الانفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين
في غنائم بدر وفي قسمتها فسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم
ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم

لرسول الله

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيه خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس
لاحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول ان حكمها مختص بالله
ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضي حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها
وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد فاتقوا الله في الاختلاف و
التخاصم وكونوا متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم احوال بينكم يعني
ما بينكم من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومحبة واتفاق قال الزجاج
معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل اي فاتقوا الله وكونوا
مجتمعين على ما امر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر
اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساء فيه اختلافنا فنزعه الله من ايدينا
فجعله لرسول الله عليه الصلوة والسلام فقسمه بين المسلمين على السواء
واطيعوا الله ورسوله فيما امرتم به من الغنائم وغيرها ان كنتم مؤمنين
كاملي الايمان انما المؤمنون انما الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه
سلطانه واذا تليت عليهم آياته اي القرآن زادتهم ايمانا ازدادوا
بها يقينا وطمانينة لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه
او زادتهم ايمانا بتلك الآيات لانهم لم يؤمنوا باحكامها وقيل وعلى ربهم
يتوكلون يعتمدون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا
يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
جمع بين اعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح
من الصلوة والصدقة اولئك هم المؤمنون حقا هو صفة لمصدر محذوف
اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك
هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه
الله ان رجلا ساله امؤمن انت قال ان كنت تسئلني عن قوله انما المؤمنون
الآية فلا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله لم
يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية اي كما لا يقطع بانه من اهل
ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من يقول انا
مؤمن ان شاء الله كان ابو حنيفة رضي الله عنه لا يقول ذلك وقال للقائل

لم تستثني في ايمانك قال اتباعاً لابراهيم في قوله والذى اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين فقال هلا اقتديت في قوله اولم تؤمن قال بلي وعن ابراهيم
التيمي قل انا مؤمن حقا قال صدق اثبت عليه وان كذبك فكفرك اشد من
كذبك وعن بن عباس رضي الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد
احتج عبد الله على احمد فقال ايش اسمك فقال احمد فقال اتقول انا احمد
ان شاء الله فقال انا احمد حقا حيث سماك والداك لا تستثني وقد سماك
الله في القران مؤمنا لهم درجات مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال
عند ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم صاف عن كد الاكتساب
وخوف الحساب الكاف في كما اخرجك ربك في محل النصب على انه صفة مصدر
الفعل المقدر والتقدير قل الانفال استقرت لله والرسول وثبت مع
كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون من
بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجرة مسكنه فهي
في اختصاصها كاختصاص البيت بساكنه بالحق اخراجا ملتبسا بالحكمة
والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة
ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان فاخبر جبرئيل النبي عليه الصلوة و
السلام فاخبر اصحابه فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا
علمت قريش بذلك فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفر في المثل السائر لا
في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فابى و
سار بمن معه الي بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة
ونزل جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما
العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم وقال العير احب اليكم
ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه النبي عليه الصلاة
والسلام ثم رد عليهم فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام
عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم
قال سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الي
عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض

لما امرك الله فانا معك حيث احببت لا نقول لك كما قال بنوا اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن معاذ امض يا رسول الله لما اردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
ما تخلف منا رجل واحد فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله
وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وكانت
الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ
ابو منصور رحمه الله يحتمل انهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل
ان يكونوا مخلصين ويكون ذلك كراهة طبع لانهم غير متاهبين له يجادلونك
في الحق الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير
لايثارهم عليه بلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا
قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت وهم
ينظرون شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم الي الظفر والغنيمة
بحال من يعتل الي القتل ويساق على الصغار الي الموت وهو مشاهد الى
اسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا
رجالة وما كان فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
اذ منصوب باذكر واحدى مفعول ثان انها لكم بدل من احدى الطائفتين
وهما العير والنفير والتقدير واذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين لكم
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي العير وذات السلاح و
الشوكة كانت لعددهم وعدتهم اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة
التى لا سلاح لها وتريدون الطائفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق
ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر
الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قليب بدر
ويقطع دابر الكافرين اخرهم والدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر وقطع

نُفة

الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور والله تعالي يريد معالي الامور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان
مابين المرادين ولذلك اختار لكم الطايفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم
واعزكم واذلهم ليحق الحق متعلق بيقطع او بمحذوف تقديره ليحق الحق
ويبطل الباطل فعل ذلك والمقدر متاخر ليفيد الاختصاص اي مافعله
الالهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وليس هذا
بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من
اختيار ذات الشوكة علي غيرها ونصرهم عليها ولو كره المجرمون المشركون
ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق
ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لابد من القتال طفقوا يدعون
الله ويقولون اي رب انصرنا علي عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا و
هو طلب الغوث وهو التخليص من المكروه فاستجاب لكم فاجاب واصل
اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله بالف
من الملائكة مردفين مدني غير بكسر الدال فالكسر علي انهم اردفوا
غيرهم اردف كل ملك ملكا آخر والفتح علي انه اردف كل ملك ملكا اخر يقال
ردفه اذا تبعه واردفته اياه اذا اتبعته وما جعله الله اي الامداد الذي يدل عليه
ممدكم الا بشري الا بشارة لكم بالنصرة ولتطمئن به قلوبكم يعني انكم
استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر
وتسكينا منكم وربطا علي قلوبكم وما النصر الا من عند الله اي ولا
تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر
بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله
واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك
علي الميمنة وفيها ابو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمسمائة علي الميسرة وفيها
علي رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا
اذنابها بين اكتافهم فقاتلت حتي قال ابو جهل لابن مسعود رضي الله عنه
اين كان الضرب ولا نري الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا
لا انتم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا

فلك واحد كان في املاك اهل الدنيا ان الله عزيز بنصر اوليائه حكيم
بقهر اعدائنا اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او باضمار
ذكر يغشيكم مدني النعاس النوم والفاعل هو الله علي القراءتين يغشاكم النعاس
مكي وابو عمرو امنة مفعول له اي اذ تنعسون امنة بمعني امنا اي لامنكم
او مصدر اي فامنتم امنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس منه صفة
لها اي امنة حاصلة لكم من الله وينزل بالتخفيف مكي وبصري وبالتشديد
غيرهم عليكم من السماء ماء مطرا ليطهركم به بالماء من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش
او الجنابة من الاحتلام لانه من الشيطان وسوس اليهم ان لا نصرة مع
الجنابة وليربط علي قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام بالماء اذ الاقدام
كانت تسوخ في الرمل او بالربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر ثبت القدم
في مواطن القتال اذ يوحي بدل ثالث من اذ يعدكم او منصوب بيثبت الي
الملائكة اني معكم بالنصر فثبتوا الذين امنوا بالبشري وكان الملك يسير
امام الصف في صورة رجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب هو امتلاء القلب من الخوف الرعب شامي وعلي فاضربوا
امر للمؤمنين او للملائكة وفيه دليل علي انهم قاتلوا فوق الاعناق اي اعالي
الاعناق التي هي المذابح تطيرا للراس او الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب
الهام واضربوا منهم كل بنان هي الاصابع يريد الاطراف والمعني فاضربوا
المقاتل والشوي لان الضرب اما ان يقع علي مقتل او غير مقتل فامرهم ان
يجمعوا عليهم النوعين ذلك اشارة الي ما اصابهم من الضرب والقتل و
العقاب وقع عليهم العاجل وهو مبتدا خبره بانهم شاقوا الله ورسوله
اي ذلك العقاب وقع عليهم لسبب مشاقتهم اي مخالفتهم وهي مشتقة من
الشق لان كل المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة
لان هذا في عدوة وخصم اي جانب وذا في عدوة وخصم ومن يشاقق
الله ورسوله فان الله شديد العقاب والكاف في ذلك لخطاب الرسول
عليه الصلوة والسلام او لكل احد وفي ذلكم للكفرة علي طريق الالتفات
ومحله الرفع علي ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه والواو في وان

للكافرين عذاب النار بمعني مع اي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل
الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي
يري لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب علي استه
قليلا سمي بالمصدر فلا تولوهم الادبار فلا تنصرفوا عنهم منهزمين
اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
مائلا لقتال وهو الكر بعد الفر تخييل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو
من خدع الحرب او متحيزا الي فئة الي جماعة اخري من المسلمين سوي الفئة
التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في يولهم فقد باء بغضب من
الله وماويه جهنم وبئس المصير ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه
من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا
فكان القائل منهم يقول تناحرا قتلت واسرت قيل لهم فلم تقتلوهم و
لكن الله قتلهم والفاء جزاء شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبرائيل للنبي عليهما الصلوة
والسلام خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمي بها في وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا قيل يا محمد
يعني الرمية التي رميتها انت لم ترمها انت علي
الحقيق لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت
رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم وفي الاية بيان ان فعل العبد مضاف
اليه كسبا والي الله خلقا لا كقول الجبرية والمعتزلة لانه اثبت الفعل من العبد
بقوله اذ رميت ثم نفي عنه واثبت الله تعالي بقوله وما رميت ولكن الله رمي
ولكن الله قتلهم ولكن الله رمي بتخفيف نون لكن شامي وحمزة وعلي
ليعطيهم عطاء جميلا والمعني وللاحسان الي
المومنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك لتعليلهم
باصولهم اشارة الي البلاء الحسن محله الرفع اي الامر ذلكم
معطوف علي ذلكم اي المراد ابلاء المومنين وتوهين
كيد الكافرين موهن كيد شامي وكوفي غير حفص موهن كيد حفص موهن

كيد غيرهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم
وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم ان كان محمد علي حق فانصره وان كنا علي حق فانصرنا وقيل ان
تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا لمحاربته فهو خير لكم وان
تعودوا نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم فئتكم جمعكم شيئا ولو كثرت
عددا وان الله مع المومنين بالفتح مدني وشامي وحفص اي ولان الله
مع المومنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويويده قراءة عبد الله والله
مع المومنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي
عن رسول الله لان المعني واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله
وكان رجوع الضمير الي احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا
ينفع في فلان او يرجع الضمير الي الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر
وامتثاله واصله ولا تتولوا فحذف احد التائين تخفيفا وانتم تسمعون اي
وانتم تسمعونه ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي
تصدقون لانكم مومنون لستم كالقوم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم المنافقون او اهل الكتاب وهم لا يسمعون
لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعني انكم تصدقون بالقران
والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم
وغيرها اشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون اي شر من يدب علي وجه الارض وان شر البهائم
الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها
لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل ولو علم الله فيهم في هولاء
الصم البكم خيرا صدقا ورغبة لاسمعهم لجعلهم سامعين حتي يسمعوا سماع
المصدقين ولو اسمعهم لتولوا عنه اي ولو اسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك
ولم يستقيموا وهم معرضون عن الايمان يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة
رسول الله كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث

لذين

والتحريض لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل
موت قال شعر، لا تعجبن الجهول حلته، فذاك ميت وثوبه كفن، او المجاهدة
الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم او للشهادة لقوله تعالى بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي يميته فيفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا
قلوبكم لطاعة الله ورسوله او بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ
عن امه وانه اليه تحشرون واعلموا انكم اليه تحشرون فينبئكم على حسب سلامة
القلوب واخلاص الطاعة واتقوا فتنة عذابا لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة هو جواب للامر اي ان اصابتكم لا تصب الظالمين ولكنها تعمكم وجاز
ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهي كما اذا قلت انزل عن
الدابة لا تطرحنك وجاز لا تطرحنك ومن في فيكم منكم للتبعيض واعلموا
ان الله شديد العقاب اذا عاقب واذكروا اذ انتم قليل اذ مفعول به
لا ظرف اي واذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفون في الارض ارض
مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس
كانوا لهم اعداء متضادين فآويكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار
وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم ولم تحل
لاحد قبلكم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا
الله بان تعطلوا فرائضه والرسول بان لا تستنوا به وتخونوا جزم عطف على لا
تخونوا اي لا تخونوا اماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة
ذلك ووباله وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن
تعمد لا عن سهو او وانتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون
النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد
الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان
فيه واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي سبب الوقوع في الفتنة وهي
الاثم العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان
الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولا
تحرصوا على جمع المال وحب الولد يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا

نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال الحزب والاسلام
باعزاز اهله وبيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار
الارض من قولهم سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وشرحا
للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من الاديان وفضلا ومزية في الدنيا
والآخرة ويكفر عنكم سيئاتكم اي الصغائر ويغفر لكم ذنوبكم اي الكبائر
والله ذو الفضل العظيم على عباده واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح
الله عليه ذكره مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله بنجاته من مكرهم
واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت
الانصار وفرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد دخلت مكة
فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال
ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة
تلقون اليه طعاما وشرابا منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس
بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم
ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم
بهم فقال ابو جهل انا رايي ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم حرب
على قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق
هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر
جبريل رسول الله عليهما الصلوة والسلام وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن
له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه
لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ساروا الى مضجعه
فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره ليثبتوك ليحبسوك
ويوثقوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة ويمكرون ويخفون
المكائد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير
الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا كان عليه الصلوة والسلام

يقراء القرأن و يذكر اخبار القرون الماضية في قرأته فقال النضر بن الحارث
لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واحاد
العجم فنزل واذا تتلى عليهم اياتنا اي القرأن قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين وهذا صلف و وقاحة لانهم
دعوا الي ان ياتوا بسورة من مثل هذا القرأن فلم ياتوا واذ قالوا اللهم
ان كان هذا القرأن هو الحق من عندك هذا اسم كان وهو فصل والحق خبر
كان روي ان النضر لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه
الصلوة والسلام ويلك هذا كلام الله فرفع النضر رأسه الي السماء وقال
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اي ان كان
القرأن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او ائتنا بعذاب
اليم بنوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معوية
انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل
من قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الي الحق ان كان هذا هو الحق فامطر
علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون هو موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو
كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم او معناه وما كان الله معذبهم
وفيهم ومنهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن
رسول الله عليه الصلوة والسلام من المستضعفين وما لهم ان لا يعذبهم
الله اي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما
لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وكيف لا يعذبون
وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء و
ندخل من نشاء فقيل وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم
للذين ان يكونوا ولاة الحرم ان اولياؤه الا المتقون لكن اكثرهم لا
يعلم كانه استثني من كان يعلم وهو يعاند او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم
عند البيت الا مكاء صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال

من مكا يمكوا اذا اصفر وتصدية وتصفيقا تفعلة من الصد وذلك انهم
كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشتبكون بين اصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه و
سلم في صلوته يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم
بدر بما كنتم تكفرون بسبب كفركم ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا
اثني عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزور ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اي
كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد عليه الصلوة والسلام وهو سبيل
الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وينقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وهو من
دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه وكان كما اخبر والذين كفروا والكافرون
منهم الي جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه واللام
في ليميز الله الخبيث من الكفار من الطيب اي من الفريق الطيب من
المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حمزة وعلي ويجعل الخبيث الفريق الخبيث
بعضه علي بعض فيركمه جميعا فيجمعه فيجعله في جهنم اي الفريق الخبيث
اولئك اشارة الي قبيلة الخبيث هم الخاسرون انفسهم واموالهم قل
للذين كفروا اي ابي سفيان واصحابه ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد
سلف لهم من العداوة وان يعودوا القتالة فقد مضت سنة الاولين
بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقبي او معناه ان الكفار اذا انتهوا عن
الكفر واسلموا اغفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصي وبه احتج ابو حنيفة رضي
الله عنه فان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة الي ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ولا
يضمحل عنهم كل دين باطل ويبقي فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا
عن الكفر واسلموا فان الله بما تعملون بصير يثيبهم على اسلامهم وان
تولوا اعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا واعلموا ان الله مولاكم ناصركم و
معينكم فثقوا بولايته ونصرته نعم المولي لا يضيع من تولاه ونعم

النصير لا يغلب من نصره المخصوص بالمدح محذوف واعلموا انما غنمتم
ما بمعنى الذي ولا يجوز ان تكتب الا مفصولا اذ لو كتبت موصولا لوجب ان
يكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير غنمتموه من شيء
بيانه قيل حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه والفاء انما دخلت لما في الذي
من معنى المجازاة وان وما عملت فيه في موضع رفع على انه خبر المبتدا تقديره فا
لحكم ان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فالخمس كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم على خمسة اسهم سهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذي قرباه من بني هاشم وبني عبد المطلب
دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان بن وجبير بن
مطعم رضي الله عنهما وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى
وانما يعطون لفقرهم ولا يعطوا اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان ستة لله وللرسول سهمان
وسهم لاربه فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر رضي الله عنه
ومن بعده من الخلفاء ومعنى لله وللرسول الرسول الله كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه ان كنتم مؤمنين فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالايمان
يوجب الرضاء بالحكم بالعمل بالعلم وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم
امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر يوم التقى الجمعان
الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات والملائكة
والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان والله على كل شيء قدير يقدر على
ان ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يومئذ اذ انتم بدل من يوم الفرقان
والتقدير اذكروا اذ انتم بالعدوة شط الوادي وبالكسر فيهما مكي وابو عمرو
الدنيا القربى الى جهة المدينة تانيث الادنى وهم بالعدوة القصوى
البعدى عن المدينة تانيث الاقصى وكلتيهما فعلى من بنات الواو والقياس
قلب الواو ياء كالعليا تانيث الاعلى واما القصوى فكالقود في مجيئه على
الاصل والركب اي العير وهو جمع راكب في المعنى اسفل منكم نصب على الظرف
اي مكانا اسفل من مكانكم يعني في اسفل الوادي بثلاثة ايام بال وهو مرفوع

المحل لانه خبر المبتدا ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد
يلتقون فيه للقتال لاختلفتم في الميعاد لخالف بعضكم بعضا فثبطكم
قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ولكن جمع بينكم
بلا ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته
واللام يتعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان ينبغي ان يفعل وهو نصر اوليا
وقهر اعدائه دبر ذلك قال الشيخ ابو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم
اي ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا او ليتم امرا كان قد اراده وما اراد فهو
مفعول لا محالة وهو عز الاسلام واهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضي
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة حيي نافع وابو بكر فالادغام
لالتقاء المثلين والاظهار لان حركة الثاني غير لازمة لانك تقول في
المستقبل يحيى والادغام اكثر استعير للهلاك والحيوة للكفر والاسلام
ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك
وان وقعت بدر من الايات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه
مغالطا لها ولذلك ذكر فيها مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم
مع انهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق ان النصر والغلبة لا يكون
بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها
المشركون كان فيها الماء وكان ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا
وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب وكان العير وراء ظهور
العدو ومع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان
وان الله لسميع لاقوالهم عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه
اذ يريكهم الله نصب باضمار اذكر او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح
اذ تقللهم في عينك في منامك قليلا اي في رؤياك وذلك ان الله عز وجل
اراهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر امر
القتال وترددتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم عصم وانعم بالسلامة
من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون

غام

فيهما من الجرأة والصبر والجزع اذ يريكموهم الضميران مفعولان اي
واذ يبصركم اياهم اذ التقيتم وقت اللقاء في اعينكم قليلا هو نصب على
الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود
رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين
قال اراهم مائة وكانوا الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم
انما هم اكلة جزور قيل قللهم في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم بعده ليجترؤا
عليهم قلة مبالاة بهم ثم يفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز ان يبصروا
الكثير قليلا بان يستر الله بعضهم بساتر ويحدث في عيونهم ما يستقلون
به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم
ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى
هذين الديكين اربعة ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع
الامور فيحكم فيها بما يريد ترجع شامي وحمزة وعلي يا ايها الذين امنوا اذا
لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفرة وترك وصفها لان المؤمنين ما
كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال فاثبتوا لقتالهم ولا
تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين
به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر
عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان يكون نفسه مجتمعة
لذلك وان كانت متوزعة عن غيره واطيعوا الله ورسوله في الامر بالجهاد
والثبات مع العدو وغيرهما ولا تنازعوا فتفشلوا فتجبنوا وهو منصوب
باضمار ان ويدل عليه وتذهب ريحكم اي دولتكم يقال هبت رياح فلان
اذا دالت له الدولة ونفذ امره شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها
وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا و
اهلكت عاد بالدبور واصبروا في القتال مع العدو وغيره ان الله مع الصابرين
اي معينهم وحافظهم ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء
الناس هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا

فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور
وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك بطرهم
ورئاؤهم للناس واطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر
وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين
طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من
خشية الله مخلصين اعمالهم لله والبطر ان يشغله كثرة النعمة عن شكرها و
يصدون عن سبيل الله دين الله والله بما يعملون محيط عالم وهو وعيد
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون غالب مبني نحو لا رجل ولكم في
موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم واني جار لكم اي مجير لكم او
موهمهم ان طاعة الشيطان مما يجيرهم فلما تراءت الفئتان فلما تلاقى الفريقان
نكص الشيطان هاربا على عقبيه اي رجع القهقرى وقال اني بريء
منكم اي رجعت عما ضمنت لكم من الامان روي ان ابليس تمثل في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين معه راية فلما راى الملائكة
تنزل نكص وقال له الحارث بن هشام اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني
ارى ما لا ترون اي الملائكة فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك
سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا
انه الشيطان اني اخاف الله اي عقوبته والله شديد العقاب اذكروا اذ
يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض هو من صفة المنافقين
او اريد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام غر هؤلاء دينهم
يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى
زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل اليه امره فان الله عزيز
يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي حكيم لا يسوي بين وليه وعدوه
ولو ترى اي لو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما
ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال اذ نصب على الظرف يتوفى الذين كفروا
يقبض ارواحهم الملائكة فاعل يضربون حال منهم وجوههم ان اقبلوا و

ادبارهم ظهورهم واستاههم اذا ادبروا وجوههم عند الاقدام وادبارهم
عند الانهزام وقيل في يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء و
يضربون خبره والاول الوجه لان الكفار لا يستحقون ان يكون الله متوفيهم
بلا واسطة دليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء وذوقوا ويقولون لهم ذوقوا
معطوف على يضربون عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب
الاخرة بشارة لهم به او يقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اي
لرأيت امرا فظيعا ذلك بما قدمت ايديكم اي كسبت وهو رد على الجبرية
وهو من كلام الله تعالى او من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما
قدمت خبره وان الله عطف على اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم
وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام
للتكثير لاجل العبيد لنفي انواع الظلم الكاف كدأب آل فرعون في محل
الرفع دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا
فيه اي داوموا عليه والذين من قبلهم من قبل قريش او من قبل آل فرعون
كفروا تفسير لدأب آل فرعون بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله
شديد العقاب والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجري عليهم مثل
ما فعل بهم في التعذيب ذلك العذاب او الانتقام بان الله لم يك مغيرا
نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم بسبب ان الله لم يصح في حكمته
ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون و
مشركي مكة حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة لكن كما تغير الحال المرضية
الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منه واولئك قبل بعثة الرسول اليهم
كفرة عبدة اصنام ثم فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في اراقة دمه غيروا
حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم
بالعذاب وان الله سميع مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون تكرير
للتاكيد ولان في الاولى الاخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين ان ذلك هو
الاهلاك والاستيصال والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم وفي قوله
بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا آل فرعون بماء البحر وكل وكلهم من في اللفظ وقتلى قريش كانوا ظالمين

انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم
لا يؤمنون اي اصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الايمان الذين عاهدت
منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم
شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين
الناكثون للعهود ثم ينقضون عهدهم في كل مرة في كل معاهدة وهم
لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار
فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من
خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية
فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم و
اتعاظا بحالهم وقال الزجاج افعل بهم ما يفرق وتطرد به من عداهم
لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من
قوم معاهدين خيانة نكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم
العهد على سواء على استواء منك وفي العلم بنقض العهد وهو حال من
النابذ والمنبوذ اليهم اي حاصلين على استواء في العلم ان الله لا يحب
الخائنين الناقضين ولا يحسبن بالياء وفتح السين شامي وحمزة ويزيد و
حفص وبالتاء وفتح السين ابو بكر وبالتاء السين غيرهم الذين كفروا
سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون
ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم انهم شامي اي لانهم وكل واحدة
من المكسورة والمفتوحة تعليل غير ان المكسورة على طريقة الاستيناف و
المفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول اول والثاني
سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول بحذف ان وان مخففة من
الثقيلة اي انهم سبقوا فسد مسد المفعولين او يكون الفاعل مضمرا اي
ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر
لما بينا من عدم تفرده بها وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين
واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او لجميع الكفار ما استطعتم من
قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي الحديث الا ان القوة الرمي
قالها ثلاثا على المنبر وقيل هي الحصون ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط

وهو جمع ربيطة كفصيل وفصال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبرئل
وميكائيل ترهبون به بما استطعتم عدو الله وعدوكم اي اهل مكة و
آخرين من دونهم غيرهم وهم اليهود او المنافقون او اهل فارس او كفرة
الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق
وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله
يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم يوفر عليكم جزاؤه
وانتم لا تظلمون في الجزاء بل تعطون على التمام وان جنحوا مالوا واصغوا اليه
مال للسلم للصلح وبكسر السين ابو بكر وهو يؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب فاجنح
لها فمل اليها وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى
السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم انه هو السميع لاقوالك
العليم باحوالك وان يريدوا ان يخدعوك يمكروا بك ويغدروا فان
حسبك الله كافيك الله هو الذي ايدك قواك بنصره وبالمؤمنين جميعا
او بالانصار والف بين قلوبهم قلوب الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة
وعشرين سنة لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي
بلغت عداوتهم مبلغا لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من
الاموال لم يقدر عليه ولكن الله الف بينهم بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم
بقدرته واحدث بينهم التحاب والتواد واماط عنهم التباغض والتماقط
انه عزيز يقهر من يخدعوك حكيم ينصر من يتبعونك يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع وما بعده منصوب والمعنى
كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يجوز ان يكون في محل الرفع
اي كفاك الله وكفاك المؤمنين قيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة
وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض
وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا و
هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة
امثالهم من الكفار بعون الله وتأييده بانهم قوم لا يفقهون لسبب انهم

الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل
ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته خلاف من يقاتل على بصيرة وهو
يرجو النصر من الله قيل كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ضعفا عاصم وحمزة فان
يكن منكم مائة صابرة بالياء فيهما كوفي وافق البصري في الاولى والمراد
الضعف في البدن يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله والله مع الصابرين وتكرير مقاومة الجماعة لاكثر منها
مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة لا
تتفاوت اذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين الالف و
كذلك مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان للنبي ما صح
له ولا استقام ان يكون له اسرى ان تكون بصري حتى يثخن في الارض
الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي الغلظ والكثافة يعني
حتى يذل الكفر باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهر
ثم الاسر بعد ذلك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين
اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار ابا بكر رضي الله عنه فيهم فقال
قومك واهلك واستبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى
بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب
اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان شاء الله اغناك عن الفداء مكن عليا
من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال
عليه الصلوة والسلام مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ثم قال لهم ان شئتم فاديتموهم منكم بعدتهم فقالوا
نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما اخذوا الفداء نزلت الآية تريدون
عرض الدنيا متاعها يعني الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه والله
يريد الآخرة اي ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل
والله عزيز يقهر الاعداء حكيم في عتاب الاولياء لولا كتاب من الله لولا حكم

من الله سبق ان لا يعذب احد العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم
لانهم نظروا في استبقائهم وبما كان سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى
به على الجهاد وخفي عليهم ان قتلهم اعز الاسلام واهيب لمن وراءهم اوما
كتب الله في اللوح ان لا يعذب اهل بدر وان لا يواخذ قبل البيان والاعذار
فيما ذكر من الاستشارة دلالة جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس
كتاب مبتداء ومن الله صفته اي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة اخرى
له وخبر المبتدا محذوف اي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا
يجوز ان يكون خبرا لان لولا يظهر خبرها ابدا لمسكم لنالكم واصابكم
فيما اخذتم من فداء الاسرى عذاب عظيم روي ان عمر رضي الله عنه
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت فقال ابكي على اصحابك في
اخذهم الفداء ولقد عرض علي ادنى من هذه الشجرة قريبة منه وروي انه قال
لو نزل عذاب السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان
في القتل احب الي فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم
يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم و
الفاء للتسبب والسبب محذوف ومعناه قد احللت لكم الغنائم فكلوا
حلالا مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من
المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا طيبا لذيذا هنيئا او حلالا بالشرع
طيبا بالطبع واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه ان الله غفور
لما فعلتم رحيم باحلال ما غنمتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم في ملكتكم
كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى جمع اسير من الاسارى ابو عمرو جمع
اسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اخلاص ايمانكم وصحة نيتكم يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافا او يثيبكم في الآخرة
ويغفر لكم والله غفور رحيم روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس
ان ياخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة
وكان له عشرون عبدا ان ادناهم ليتجر في عشرين الفا وكان يقول انجز احد

الوعدين وانا على ثقة من الاخرى وان يريدوا اي الاسرى خيانتك نكث
ما بايعوك عليه من الاسلام بالردة او منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله
من قبل في كفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم فامكنك
منهم اي اظفركم بهم كما رايتم يوم بدر فيمكن منهم ان اعادوا الخيانة والله
عليم بالمال حكيم فيما امر في الحال ان الذين امنوا وهاجروا من مكة حبا لله
ورسوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله هم المهاجرون و
الذين اووا ونصروا اي اووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
وهم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في
الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون
ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل
اراد به النصرة والمعاونة والذين امنوا ولم يهاجروا من مكة ما لكم من
ولايتهم من توليهم في الميراث ولايتهم حمزة وقيل هما واحد من شيء حتى
يهاجروا فكان يرث المومن الذي لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما بقي للذين
لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة
دل ان صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان وان استنصروكم في الدين اي
من اسلم ولم يهاجر فعليكم النصر اي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال و
طلبوا معونتكم فواجب عليكم ان تنصروهم على الكفار الا على قوم بينكم
وبينهم ميثاق فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدون بالقتال
اذ الميثاق مانع من ذلك والله بما تعملون بصير تحذير من تعدي الشرع
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه
نهي المؤمنين عن موالاة الكفار وموادتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم
وان كانوا اقارب وان يتوارثوا بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة
الاسلام ثم قال الا تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين
وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام عن نسبة القرابة
ولم يجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة تكن فتنة في الارض وفساد كبير تحصل فتنة
في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك
كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في

سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنين حقا لانهم صدقوا
ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والمسكن
والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى لهم مغفرة ورزق
كريم لامنة ولا تنغيص ولا تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم
مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد
اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم جعلهم منهم تفضيلا او ترغيبا واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض واولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة و
النصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته او في اللوح او في القرآن وهو آية
المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوي الارحام والله بكل شيء عليم
فيقضي بين عباده بما شاء من احكامه قسم الناس اربعة اقسام قسم
امنوا وهاجروا وقسم امنوا ونصروا وقسم امنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا
ولم يومنوا

ولها اسم براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية والفاضحة
المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش
من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين يبحث وتثيرها و
تحفر عليها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم
وفي ترك التسمية في ابتدائها اقوال فعن علي وابن العباس رضي الله عنهم
ان بسم الله امان وبراءة نزلت لرفع الامان وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه سورة او آية قال اجعلوها في الموضع
الذي يذكر فيه كذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا ان
نضعها وكانت قصتها يشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العهود وفي براءة
نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا يدعيان القرينتين وتعدان
السابعة من الطول وهي سبع وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال
بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وترك
بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي

هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
كما تقول كتاب من فلان الى فلان او مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى
الذين عاهدتم كقولك رجل من بني تميم في الدار والمعنى ان الله ورسوله
قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فسيحوا
في الارض اربعة اشهر فسيروا في الارض كيف شئتم والسيح السير على مهل
روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا
منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا
في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في
قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل و
القتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح سنة ثمان وكان الامير
عتاب بن اسيد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه على موسم
سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم
فقيل له بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي
الله عنه سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل
التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة
العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم
ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف به عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل
ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي بلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد
وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف
والاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم او عشرون من ذي
الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت
حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذي الحجة
والمحرم منها والجمهور على اباحة القتال في الاشهر الحرم وان ذلك قد نسخ ف
اعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين
منهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان من الله ورسوله الى النا

ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء
والفرق بين الجملة الاولى والثانية ان الاولى اخبار بثبوت البراءة و
الثانية اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت وانما علقت البراءة بالذين عوهدوا
من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين و
من لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم العرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعال
الحج او يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الاصغر ان الله بريء من المشركين اي بان الله حذف
صلة الاذان تخفيفا ورسوله عطف على المنوي في بريء او على الابتداء وحذف
الخبر اي ورسوله بريء وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان وبالجر على الجوار او على
القسم كقوله لعمرك وحكي ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريء
من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي قراءته
فعندها امر عمر رضي الله عنه بتعليم العربية فان تبتم من الكفر والغدر
فهو اي التوبة خير لكم من الاصرار على الكفر وان توليتم عن التوبة
على التولي والاعراض عن الاسلام فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين
الله ولا فائتين اخذه وعقابه وبشر الذين كفروا بعذاب اليم كان بشارة
المؤمنين بنعيم مقيم الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من قوله
فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا
من شروط العهد اي وفوا بالعهد ولم ينقصوكم وقرئ لم ينقضوكم اي
عهدكم وهو رائق لكن المشهورة ابلغ لانه في مقابلة التمام ولم يظاهروا
عليكم احدا ولم يعاونوا عليكم عدوا فاتموا اليهم عهدهم فادوه اليهم
تاما كملا الى مدتهم الى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه
قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم
ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين اي ان
قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك فاذا انسلخ
مضى او خرج الاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين

الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم
واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف
في البلاد واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به و
انتصابه على الظرف فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر وفكوا عنهم ولا تتعرضوا
لهم ان الله غفور لستر الكفر والغدر بالاسلام رحيم بدفع القتل قبل
الاداء بالالتزام وان احد من المشركين استجارك فاجره احد مرتفع
بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر اي وان استجارك احد استجارك المعنى وان
جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك
ليسمع ما تدعو اليه من القرآن والتوحيد فامنه حتى يسمع كلام الله و
يتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك مامنه داره التي
يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذى
وليس له الاقامة في دارنا ويمكن العود ذلك اي الامر بالاجارة في قوله
فاجره بانهم قوم لا يعلمون بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام
وما حقيقة ما يدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا
الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله كيف استفهام في
معنى الاستنكار اي مستنكر ان يثبت لهم لاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا
تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك بقوله الا الذين عا
اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث
كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم
فما اقاموا على وفاء العهد فاستقيموا لهم على الوفاء وما شرطية اي فان
استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم
من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم تكرار لاستبعاد ثبات المشركين
على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما اي كيف يكون لهم عهد وحالهم
انهم ان يظهروا عليكم اي ان يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان
والمواثيق لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا او قرابة ولا ذمة عهدا يرضونكم
بافواههم بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ في وصف

هدتم

حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد
وتأبى قلوبهم الايمان والوفاء بالعهد واكثرهم فاسقون ناقضون
للعهد او متمردون في الكفر لا مروة تزعهم عن الكذب ولا شمايل تردعهم
عن النكث كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عنهما اشتروا استبدلوا
بآيات الله بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات
فصدوا عن سبيله فعدلوا وصرفوا غيرهم انهم ساء ما كانوا يعملون اي
بئس الصنيع صنيعهم لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا تكرار لان
الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثاني على العموم لانه قال في مؤمن واولئك
هم المعتدون ومجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهو اخوانكم على حذف المبتدا
في الدين لا في النسب ونفصل الآيات ونبينها لقوم يعلمون يفهمون فيتفكرون
فيها وهذا اعتراض كانه قيل وان تامل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تامل
فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم اي نقضوا العهود المؤكدة بالايمان وطعنوا في دينكم و
عابوه فقاتلوا ايمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤسا
الشرك او زعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول عليه الصلوة والسلام وقالوا
اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود
على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ائمة بهمزتين كوفي
وشامي الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة واصلها أأممة
الكفر لانها جمع امام كعماد واعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة
فادغمت في الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين اخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية
ياء فلكسرتها انهم لا ايمان لهم واثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايما نهم
لانه اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا
على ان يمين الكافر لا يكون يمينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون
بها اي لان يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامي اي لا اسلام
لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر وما بينهما اعتراض اي
ليكن غرضكم في مقاتلهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظائم وهذا

من غاية

من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال الا تقاتلون قوما نكثوا ايما نهم
التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة وهم بدءوكم اول
مرة بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم وبخهم بترك
مقاتلهم وحضهم عليها ووصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد و
اخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب اتخشونهم توبيخ على الخشية منهم
فالله احق ان تخشوه بان تخشوه فيقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين فاخشوه
اي ان قضية الايمان الكامل ان لا يخشى المؤمن من الا ربه ولا يبالي بمن سواه
ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله قاتلوهم ووعد النصر
ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم
اسرا وينصركم عليهم يغلبكم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين طائفة
منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليل صحة
نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب
عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن ابي
جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله شاء ان يتوب على
جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم
ما قد كان حكيم في قبول التوبة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ام منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان اي لا
تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في
سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
اي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما
معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع كاين وان الذين لم يخلصوا
دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا
وداخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين
غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولك ما
علم الله مني ما قيل في تريد ما وجد ذلك مني والمعنى احسبتم ان تتركوا بلا
مجاهدة ولا براءة من المشركين ما كان للمشركين ما صح لهم ولا استقام ان يعمروا

مساجد الله مسجد الله مكي وبصري يعني المسجد الحرام وانما جمع في القراءة
بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل
بقعة منه مسجد او اريد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها
دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وهو آكد اذ
طريقه طريق الكناية كما تقول فلان لا يقرأ كتاب الله كنت انفى لقراءته القرآن
من تصريحك بذلك شاهدين على انفسهم بالكفر باعترافهم بعبادة
الاصنام وهو حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين
امرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادة غيره اولئك
حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون دائمون انما يعمر مساجد الله
عمارتها رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها
مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا لانها بنيت للعبادة والذكر ودرس
العلم من آمن بالله واليوم الآخر ولم يذكر الايمان بالرسول عليه الصلوة
والسلام لما علم ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاقترانهما في
الاذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها او دل عليه بقوله واقام الصلوة
وآتى الزكوة وفي قوله ولم يخش الا الله تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية
في ابواب الدين بان لا يختار على رضى الله عنه رضى غيره لتوقع مخوف اذ المؤمن
قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها
فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين
عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة الطمع
والمعنى انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر و
جاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين
السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف
محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام
والمعنى انكار تشبيه المشركين بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان
يسوي بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر

في غير موضعها نزلت جوابا لقول العباس رضي الله عنه حين اسر وطفق
علي رضي الله عنه يوبخه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم
تذكرون مساوينا وتدع محاسننا ولكم محاسن فقال نعم المسجد ونسقي
الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة
وعلي بالاسلام والجهاد فصدق الله عليا رضي الله عنه الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اولئك اعظم درجة
عند الله من اهل السقاية والعمارة واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون
بالفوز دونكم يبشرهم ربهم يبشرهم حمزة برحمة منه ورضوان وجنات
وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف لهم فيها في
الجنات نعيم مقيم دائم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم لا
ينقطع لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه
ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم
من يتعلق به زوجته وولده فيقولون له تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم
ويدع الهجرة فنزل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء
ان استحبوا الكفر على الايمان اي آثروه واختاروه ومن يتولهم منكم اي ومن
يتول الكافرين فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقاربكم وعشيراتكم ابو بكر واموال
اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها و
مساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره وهو عذاب عاجل او عقاب او فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين
واضطراب حبل اليقين اذ لا تجد عند اورع الناس ما يستحب له دينه على
الآباء والابناء والاموال وحظوظ الدنيا لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل ان
المواطن التي نصر الله فيها النبي صلى الله عليه الصلوة والسلام والمؤمنين ثمانون
موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها ويوم اي واذكر يوم حنين
واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا وبين

هوازن وثقيف وهم اربعة الآف فلما التقوا قال رجل من المسلمين ان
نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بدل من
يوم اعجبتكم كثرتكم فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان
الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس
رضي الله عنه آخذ بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث آخذ بركابه
فقال العباس صيح بالناس فكان صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فاجتمعوا
وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول
بلق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماهم به ثم قال
انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فكان من دعائه عليه الصلوة والسلام
اللهم لك الحمد واليك المشتكي وبك المستغاث وهذا من دعاء موسى
عليه الصلوة والسلام يوم انفلاق البحر فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع رحبها و
حقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت
عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها والمعنى لم تجدوا موضعا لفراركم عن
اعدائكم فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم انزل
الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين وانزل
جنودا لم تروها وكانوا ثمانية الآف او خمسة الآف او ستة عشر الفا و
عذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري وذلك
جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء هم الذين
اسلموا منهم والله غفور يستر كفر العدو بالاسلام رحيم ينصر الولي بعد
الانهزام يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس اي ذو نجس وهو
مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس
ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة
لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها فلا يقربوا
المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد
عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم

وهو

وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد
عندنا وعند الشافعي رضي الله عنه يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند
مالك رحمه الله يمنعون منه ومن غيره وقيل نهي المشركين ان يقربوه راجع
الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشر
كين
من الحج وما كان لهم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف
يغنيكم الله من فضله من الغنائم والمطر والنبات او متاجر حجيج
الاسلام ان شاء هو تعليم لتعليق الامور بمشية الله تعالى لينقطع
الآمال ان الله عليم باحوالكم حكيم في تحقيق آمالكم او عليم بمصالح
العباد حكيم فيما حكم واراد ونزل في اهل الكتاب قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة ولا باليوم الآخر لانهم فيه على
خلاف ما يجب حيث يزعمون ان لا اكل فيها ولا شرب ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة او لا يعملون بما في
التورية والانجيل ولا يدينون دين الحق ولا يعتقدون دين الاسلام
الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده من الذين
اوتوا الكتاب بيان للذين قبله واما المجوس فلحقوا باهل مكة في قبول الجزية
وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روي الزهري ان النبي عليه
الصلوة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب حتى يعطوا
الجزية اي الى ان يقبلوها وسميت جزية لانه يجب على اهلها ان يجزوه اي ان
يقضوه اي هي جزاء على الكفر على التمهيل في تذليل عن يد اي عن يد مواتية
غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذا قالوا
اعطى بيده اذا انقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة او حتى يعطوها عن يد الى
يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ و
هم صاغرون اي يؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا
غير راكب يسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه
ويقال له اد الجزية يا ذمي وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط الجزية بالا
سلام وقالت اليهود كلهم او بعضهم عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله
المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهو

عاصم وعلي فقد جعله عربيًا وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
بِأَفْوَاهِهِمْ اي قوله لا يعضده برهان ولا يستند الي بيان فما هو الا لفظ يفوهون
به فارغ من معني تحته كالالفاظ المهملة يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم ثم حذف المضاف
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعًا يعني ان الذين كانوا في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم
يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم يضاهئون عاصم
واصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهيأ
وهي التي اشبهت الرجال بانها لا تحيض كذا قاله الزجاج قَاتَلَهُمُ اللَّهُ اي
احقاء ان يقال لهم هذا أَنَّى يُؤْفَكُونَ كيف يصرفون عن الحق بعد قيام
البرهان اتَّخَذُوا اي اهل الكتابين أَحْبَارَهُمْ علماءهم وَرُهْبَانَهُمْ نساكهم أَرْبَابًا
آلهة مِنْ دُونِ اللَّهِ حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله
كما يطاع الارباب في اوامرهم ونواهيهم وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ عطف على احبارهم
حيث اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
يجوز الوقف عليه لان بعد ما يصلح ابتداء وو صفا للواحد لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ تنزيه عن الاشراك يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ مثل
حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد عليه الصلوة والسلام بالتكذيب بحال
من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده
ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق ليطفيه بنفخة اخرى يأبى الله مجرى
لا يريد ولهذا وقع في مقابلة يريدون والا فلا يقال كرهت او ابغضت
الا زيدًا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ محمدا عليه الصلوة والسلام بِالْهُدَى بالقرآن
لِيُظْهِرَهُ ليغلبه عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ على اهل الاديان كلهم وليظهر دين الحق
على كل دين وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَ
الرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ استعار الاكل للاخذ بِالْبَاطِلِ بالرشى
في الاحكام وَيَصُدُّونَ يصرفونهم عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عن دينه وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ يجوز ان يكون اشارة الي الكثير من الاحبار والرهبان
للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم اخذ الرشى وكنز الاموال والطعن بها عن
الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين
ويقرن بينهم وبين المرتشين من اهل الكتاب تغليظا عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو
كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن
بن عوف وطلحة يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن
اعرض القنية لان الاعراض اختيار للافضل والاقتناء مباح لا يذم صاحبه
وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الضمير راجع الي المعنى لان كل واحد منهما دنانير
ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا او اريد بها الكنوز
والاموال او معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب
وقيار كذلك وخص بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قانون التمول واثمان
الاشياء وذكر كنزهما دليل على سواهما فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ومعنى قوله يَوْمَ
يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ان النار تحمى عليها اي توقد وانما ذكر الفعل لانه
مسند الي الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل
يحمى لانتقال الاسناد عن النار الي عليها كما يقول رفعت القصة الي الامير
فان لم يذكر القصة قلت رفع الي الامير فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ وخصت هذه الاعضاء لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا
واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم او معناه يكوون
على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
يقال لهم هذا ما كنزتموه لينتفع به نفوسكم وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر
به انفسكم وهو توبيخ لهم فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ اي ذوقوا وبال المال
الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ
اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا من غير زيادة والمراد بيان احكام الشرع يبتنى على الشهور
القمرية المحسوبة بالاهلة دون الشمسية فِي كِتَابِ اللَّهِ فيما اثبته واوجبه
من حكمه او في اللوح يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثلاثة
سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذي الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال

فيه واحد فرد وهو رجب لترجيب العرب اياه اي تعظيمه ذلك الدين القيم
اي الدين المستقيم لا ما يفعله اهل الجاهلية يعني ان تحريم الاربعة الاشهر هو الدين
المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب تمسكت به وكانوا يعظمونها و
يحرمون القتال فيها حتى احدث النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم في
الحرم او في الاثني عشر بارتكاب المعاصي وقاتلوا المشركين كافة حال من
الفاعل والمفعول كما يقاتلونكم كافة جميعا واعلموا ان الله مع المتقين
اي ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها انما النسيء بالهمزة
مصدر نساه اذا اخره وهو تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا
اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك
المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم
بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر زيادة في الكفر
اي هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم يضل كوفي غير ابي بكر به الذين كفروا
بالنسيء والضمير في يحلونه عاما ويحرمونه عاما للنسيء اي اذا احلوا شهرا من
الاشهر الحرام عاما رجعوا فحرموه في العام القابل ليواطئوا عدة ما حرم الله
ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي
هو احد الواجبين واللام يتعلق بيحلونه ويحرمونه بحسب وهو الظاهر فيحلوا
ما حرم الله اي فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله
من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم
زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم
الكافرين حال اختيارهم الثبات على الباطل يا ايها الذين امنوا ما لكم
اذا قيل لكم انفروا اخرجوا في سبيل الله اثاقلتم تثاقلتم اصله لان التاء
اذا ادغمت في الثاء تاء ساكنة فدخلت الف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن اي
تباطأتم الى الارض ضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى اي ملتم الى الدنيا
وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه او ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم
وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة
وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم

بالحيوة الدنيا من الاخرة بدل الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة في
جنب الاخرة الا قليل الا تنفروا الى الحرب يعذبكم عذابا اليما ويستبدل
قوما غيركم ولا تضروه شيئا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب
اليم مطلق يتناول عذاب الدارين والله يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخر
خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير في ولا تضروه للرسول عليه الصلوة والسلام لان الله وعد
ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة والله على كل شيء
قدير من التبديل والتعذيب وغيرهما الا تنصروه فقد نصره الله ان لا
تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله
فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت اذ اخرجه
الذين كفروا اسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في
الخروج وكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه وانتصابه على الحال اذ هما بدل
من اذ اخرجه في الغار هو ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة
مكث فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بالنصرة
والحفظ قيل طلع المشركون فوق فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلوة
والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار لا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم
عنه وقالوا من انكر صحبة ابو بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس
ذلك كسائر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فانزل الله سكينته ما القي
في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه عليه على النبي
صلى الله عليه وسلم او على ابي بكر رضي الله عنه لانه كان يخاف وكان عليه الصلوة
والسلام ساكن القلب وايده بجنود لم تروها هم الملائكة صرفوا وجوه
الكفار وابصارهم عن ان يروه وايده الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين
وجعل كلمة الذين كفروا اي دعوتهم الى الكفر السفلى وكلمة الله دعوته

الي الاسلام هي فصل العليا وكلمة يعقوب بالعطف والرفع علي الاستيناف
اوجراي هي لم تزل كانت عالية والله عزيز يعز بنصره اهل كلمته حكيم بذل
اهل الكفر بحكمته انفروا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم
اوخفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها اوخفافا من السلاح وثقالا منه و
ركبانا ومشاة اوشبانا وشيوخا اومهازيل وسمانا اوصحاحا ومراضا وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ايجابا للجهاد بهما ان امكن او باحدهما علي حسب الحال والحاجة
في سبيل الله ذلكم خير لكم اي ذلكم الجهاد خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون
كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المختلفين عن غزوة تبوك من المنافقين
لو كان عرضا هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل
منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل الماخذ وسفرا قاصدا
وسطا مقاربا او القاصد والقصد المعتدل لاتبعوك لوافقوك في الخروج
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة الشاطة الشاقة وسيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم هذا من دلائل النبوة اخبر بما سيكون بعد القفول
فقالوا كما اخبر وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد
في الوجهين اي سيحلفون يعني المختلفين عن رجوعك من غزوة تبوك معتذرين
يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم
والشرط جميعا ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم
تمارضوا يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون او حال عنه اي مهلكين والمعنى
انهم يهلكونها بالحلف الكاذب او حال من لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا
والقيناها في التهلكة بحملها على المسير في ذلك الشقة والله يعلم انهم
لكاذبون اي فيما يقولون عفي الله عنك كناية عن الزلة لان العفو رادف
لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله
على سائر الانبياء حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام لم اذنت
لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو
حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى
يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين حتى يتبين لك الصادق
في العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه و

وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى الفداء فعاتبه الله تعالى
وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء لانه عليه الصلوة والسلام انما فعل
ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك لترك الافضل وهم يعاتبون
على ترك الافضل لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
ان يجاهدوا ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم والله عليم بالمتقين عدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر يعني المنافقين وكانوا تسعة
وثلاثين رجلا وارتابت قلوبهم شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم
فهم في ريبهم يترددون يتحيرون لان التردد دين المتحير كما ان
الثبات دين المستبصر ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج او للجهاد
عدة اهبة لانهم كانوا مياسير ولما كان ولو ارادوا الخروج او الجهاد معطيا
معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم
نهوضهم للخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة
انبعاثهم فثبطهم فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط
التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه وقيل اقعدوا اي قال بعضهم لبعض
اوقاله الرسول عليه الصلوة والسلام غضبا عليهم او قاله الشيطان بالوسوسة
مع القاعدين هو ذم لهم والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم
القعود في البيوت مع القاعدين لو خرجوا فيكم معكم ما زادوكم
الا خبالا الا فسادا وشرا والاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا
خبالا او الاستثناء المنقطع ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه
كقولك ما زادوكم الا خبالا والمستثنى في هذا الكلام غير مذكور واذا لم
يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان الاستثناء متصلا لان الخبال بعضه
ولا وضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتقريب والنمايم او فساد ذات البين بينهم
يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولا وضعوا ركائبهم
بينكم والمراد الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وخط في المصحف
ولا اوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربي والخط
العربي اخترع قريبا من نزول القران وقد بقي من تلك الالفات اثر في الطباع

فكتبوا صورة الهمزة الفا وكتبوا فتحها الفا اخرى ونحوه او لاذبحنه يبغونكم
حال من الضمير في اوضعوا الفتنة اي يطلبون ان يفتنوكم بان توقعوا
الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم
اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم والله عليم بالظالمين
بالمنافقين لقد ابتغوا الفتنة بصد الناس او بان يفتكوا بك عليه السلام
ليلة العقبة او بالرجوع يوم احد من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا
لك الامور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الاراء في ابطال امرك
حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه
وعلا شرعه وهم كارهون اي على رغم منهم ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت
بغير اذنك اثمت او تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي و
عيالي وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنسا
فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني
الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
وان جهنم لمحيطة بالكافرين الان لان اسباب الاحاطة معهم او هي تحيط
بهم يوم القيمة ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يقولوا قد
اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من
قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم وهم فرحون
مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي قضى من خير او شر هو مولينا
اي الذي يتولانا ونتولاه وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمن ان لا
يتوكل على غير الله قل هل تربصون بنا تنتظرون الا احدى الحسنيين
وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوءتين اما ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده هو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب
بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا انا معكم متربصون ما هو
عاقبتكم قل انفقوا في وجوه البر طوعا او كرها طائعين او مكرهين نصب
على الحال كرها حمزة وعلي وهو امر في معنى الخبر ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا

اوكرها

اوكرها ونحوه استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني اي لن يغفر
الله لهم استغفرت او لا تستغفر لهم ولا نلومك اسات الينا او احسنت وقد
جاء عكسه في قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول انه عليه الصلوة والسلام
يردها عليهم ولا يتقبلها او لا يثيبها الله وقوله اي الخبر بمعنى الامر طوعا
اي من غير الزام من الله ورسوله وكرها اي ملزمين وسمي الالزام اكراها
لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه انكم تعليل
لرد انفاقهم كنتم قوما فاسقين متمردين عاتين وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم وبالياء حمزة وعلي الا انهم كفروا انهم فاعل منع وهم وان
تقبل مفعولاه اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى جمع كسلان ولا ينفقون الا وهم كارهون
لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعا وسلبه
عنهم ههنا لان المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله
عليه الصلوة والسلام او من رؤسائهم وطوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار
لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب
من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما اوتوا من زينة الدنيا فان الله انما اعطاهم
ما اعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها او بالانفاق منه في ابواب الخير وهم
كارهون له او بنهب اموالهم وسبي اولادهم او بجمعها وحفظها وحبها
والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب وتزهق انفسهم وهم كافرون
ويخرج ارواحهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الاية على بطلان القول
بالاصلح لانه اخبر ان اعطاء الاموال والاولاد لهم للتعذيب والاماتة على
الكفر وعلى ارادته تعالى المعاصي لان ارادة العذاب ارادة ما يعذب عليه و
كذا ارادة الاماتة على الكفر ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين و
ما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين
فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ مكانا يلجئون اليه متحصنين
من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا او مدخلا او نفقا يندسون
فيه وهو مفتعل من الدخول لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون

اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح ومنهم ومن المنافقين ومن يلمزك
في الصدقات يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا للمفاجاة اي وان لم
يعطوا منها فاجئوا السخط وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين
وما فيه صلاح اهله لانه عليه الصلوة والسلام استعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فضجوا المنافقون منه ولو انهم رضوا ما آتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا
الى الله راغبون جواب محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم و
المعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم
وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصفه وحسبنا ما قسم لنا سير
زقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله ل
في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال
انما الصدقات للفقراء والمساكين قصر جنس الصدقات على الاصناف
المعدودة اي هي مختصة بهم لا يتجاوز الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم
كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا يتعداهم ولا يكون لغيرهم فيحتمل ان
يصرف الى الاصناف كلهم وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة
وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم انهم قالوا في
اي صنف منها وضعتها اجزاك وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف
وهو المروي عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسال لان عنده ما يكفيه للحال
والمسكين الذي يسأل لانه لا يجد شيئا فهو اضعف حالا منه وعند الشافعي
رحمه الله على العكس والعاملين عليها هم السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة
قلوبهم على الاسلام وفي الرقاب هم المكاتبون يعانون منها والغارمين
الذين ركبتهم الديون وفي سبيل الله فقراء الغزاة او الحجيج المنقطع بهم
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في في الاربعة
الاخيرة للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان
في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها
وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على

الرقاب

الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل
بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا
منهم حسما لاطماعهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم
وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم
سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة ابي بكر رضي الله عنه لان الله
اعز الاسلام واغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع
وينتهي بذهاب ذلك المعنى فريضة من الله في معنى المصدر المؤكد لان
قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم والله عليم
بالمصالح حكيم في القسمة ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو
اذن الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة
التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة وايذاؤهم هو قولهم فيه اذن قصدوا
به المذمة وانه من اهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح
وثناء عليه فقال قل اذن خير لكم كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح
كانه قيل هو اذن ولكن نعم الاذن يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه
وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسر كونه اذن خير بانه يؤمن بالله
اي يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويقبل من المؤمنين
الخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه
قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه
قصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين
عنده الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا كيف ينبو عن الباء ورحمة بالعطف
على اذن ورحمة حمزة عطفا على خير اي هو اذن خير واذن رحمة لا يسمع غيرهما
ولا يقبله للذين آمنوا منكم اي وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان
ايها المنافقون حيث يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفعل
بكم ما يفعل بالمشركين او هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر الى
الايمان ويشفع لهم في الآخرة بايمانهم في الدنيا والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم في الدارين يحلفون بالله ليرضوكم الخطاب للمسلمين
وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون

اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم
والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين اي ان كنتم مؤمنين كما تزعمون
فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا
يتفاوت بين رضاء الله ورضا رسوله فكانا في حكم شيء واحد كقولك احسان
زيد واجماله رفعني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه
اي الامر والشان من يحادد الله ورسوله يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة
من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم
خالدين فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون خبر بمعنى الامر اي
ليحذر المنافقون ويجوز ان يكون خبرا عنهم دليله قل استهزءوا ان الله
مخرج ما تحذرون ان تنزل عليهم سورة تنزل بالتخفيف مكي وبصري
تنبئهم بما في قلوبهم من الكفر والنفاق والضمار للمنافقين لان السورة
اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم او الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين
وصح ذلك لان المعنى يقود اليه قل استهزءوا امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون
مظهر ما كنتم تحذرون اي تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون
ان يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالاسلام واهله حتى قال بعضهم
وددت اني قدمت فجلدت مائة وانه لا ينزل فينا شيئا يفضحنا ولئن سألتهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في
غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى الرجل
يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع نبيه عليه الصلوة
والسلام على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا
يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر اي ولئن سألتهم وقلت لهم
لم قلتم ذلك فقالوا انما كنا نخوض ونلعب قل يا محمد ابالله ورسوله وآياته
كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم
معترفون باستهزائهم وبانه موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء
حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء
لا تعتذروا ولا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور

سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد
النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين
منه ان يعف تعذب طائفة غير عاصم المنافقون والمنافقات الرجال
المنافقون وكانوا ثلاثمائة والمنافقات مائة وسبعين بعضهم من بعض
اي كانهم نفس واحدة وفيه نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم
ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل
على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يأمرون بالمنكر بالكفر والعصيان
وينهون عن المعروف عن الطاعة والايمان ويقبضون ايديهم شحا بالمبار
والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله تركوا امره واغفلوا ذكره
فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم
الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم
زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي به المنافقون حين بالغ
في ذمهم وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود فيها هي اي النار حسبهم فيه دلالة على عظم عذابها وانه
بحيث لا يزاد عليه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين
ملحوقين بالشياطين الملاعين ولهم عذاب مقيم دائم معهم في العاجل
لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن
خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع
على اسرارهم الكاف في قوله كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر
اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم محلها رفع اي انتم مثل الذين من قبلكم او نصب
على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا
بخلاقهم اي تلذذوا بملاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو
التقدير اي ما خلق للانسان بمعنى ما قدر من خير وخضتم في الباطل كالذي
خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في
الباطل واللهو وانما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم

بحالهم فهم معرضون عنه ليذم الاولين بالاستماع بما اوتوا من حظوظ الدنيا و
التهايم بشهواتها الفانية من النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة
ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم اولئك حبطت اعمالهم في
الدنيا والاخرة في مقابلة قوله واتيناه اجره في الدنيا والاخرة واولئك
هم الخاسرون ثم ذكر من قبلهم فقال الم ياتهم نبوء الذين من قبلهم
قوم نوح هو بدل من الذين وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين
واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مداين قوم لوط وائتفاكهن انقلاب
احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
فما صح منه ان يظلمهم باهلاكهم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض في التناصر والتراحم يامرون بالمعروف بالطاعة والايمان
وينهون عن المنكر عن الشرك والعصيان ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة
ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله مفيدة وجود الرحمة لا
لامحالة في توكيد الوعد كما توكد الوعيد سانتقم منك يوما ان الله عزيز
غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع
كلا موضعه وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة يطيب فيها العيش ومن الحسن قصور
من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد في جنات عدن هو علم بدليل قوله
جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والتي وصف الوصف
المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة ورضوان من الله وشيء من رضوان
الله اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ذلك اشارة الى
ما وعدوا الى الرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين
جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد
بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها وماويهم جهنم وبئس المصير جهنم
اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن
ويعيب المنافقين المتخلفين فسمع من معه منهم الجلاس ابن سويد فقال

الجلاس

الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم
ساداتنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس والله
ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده وقال اللهم انزل على عبدك
ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل قوله يحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر
من الحمير وهي اشراؤهم فقال الجلاس يا رسول الله لقد قلته وصدق
عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا
كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد
لانه قال وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل محمد صلى الله عليه
وسلم او قتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا ابن ابي وان لم
يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا
يحوزون الغنيمة فاثروا اي اكثر مالهم بالغنايم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا
عن النفاق يك التوبة خيرا لهم وهي الاية التي تاب عندها الجلاس وان يتولوا يصروا على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل
والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من العذاب ومنهم من
عاهد الله روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني
مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا
تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي
حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل
واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال ما هذه الا جزية وقال ارجعا حتى ارى

رائي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح
ثعلبة مرتين فنزلت فجد ثعلبة بالصدقة ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب يحثوا على رأسه فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها
الي ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الي عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن
عثمان رضي الله عنهم لئن اتانا من فضله اي المال لنصدقن لنخرجن
الصدقة والاصل لنتصدقن ولكن التاء ادغمت في الصاد لقربها منها
ولنكونن من الصالحين باخراج الصدقة فلما اتاهم من فضله اعطاهم
الله المال ونالوا مناهم بخلوا به منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد وتولوا
عن طاعة الله وهم معرضون مصرون على الاعراض فاعقبهم نفاقا
متمكنا في قلوبهم فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان
سببا فيه الي يوم يلقونه اي جزاء فعلهم وهو يوم القيمة بما اخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من
التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق
الم يعلموا يعني المنافقين ان الله يعلم سرهم ما اسروه من النفاق من
بالعزم على اخلاف ما وعدوه ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من الطعن
في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ان الله علام الغيوب
فلا يخفى عليه شيء الذين محله النصب والرفع على الذم او الجر على البدل
من الضمير في سرهم ونجويهم يلمزون المطوعين يعيبون المطوعين
المتبرعين من المؤمنين في الصدقات يتعلق بيلمزون روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة
الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة الاف وامسكت
اربعة لعيالي فقال عليه الصلوة والسلام بارك الله فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق
عاصم بمائة وسق من التمر والذين عطف على المطوعين لا يجدون الا جهدهم
طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة
وجاء ابو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فلمزهم اي عابهم المنافقون وقالوا ما اعطى

عبد الرحمن الا رياء واما صاع ابي عقيل فالله غني عنه فيسخرون منهم
فيهزؤن سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ولهم عذاب
اليم مولم ولما سأل عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر
لابيه في مرضه نزل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقد علم ان هذا الامر
في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر ان
تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم والسبعون جار مجرى المثل
في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حيوته
لن يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر من كفر به والمعنى وان بالغت في
الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذكر السبعين
كلها يدل على الكثرة على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين
سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلاث والكثير
الثلاث فما فوقه وادنى الكثير الثلاثة وليس لاقصاه غاية والعدد ايضا
نوعان شفع ووتر واول الاشفاع اثنان واول الاوتار ثلاثة والواحد
ليس بعدد والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين لان فيها اوتارا واشفاعا
ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الاحاد الي العشرة
كقولك اثنا عشر الي عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون
تكريرها ثلاث مرات وكذلك الي مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع و
الكثرة منه كمال الحساب منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل
وجه ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله اعلم
ذلك اشارة الي اليأس من المغفرة بانهم بسبب انهم كفروا بالله ورسوله
ولا غفران للكافرين والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الايمان
ما داموا مختارين للكفر والطغيان فرح المخلفون المنافقون استاذنوا
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم في المدينة في
غزوة تبوك والذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشياطين بمقعدهم بقعودهم
عن الغزو خلاف رسول الله مخالفة له وهو مفعول له او حال اي قعدوا
لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله

وكيف لا يكرهون وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الانفا
وقالوا لا تنفروا في الحر قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة
فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا اي فليضحكوا قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون
كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا
يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم
دمع ولا يكتحلون بنوم جزاء بما كانوا يكسبون من النفاق فان رجعك الله
اي ردك من تبوك وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق
ومنهم من هلك فاستاذنوك للخروج الى غزوة بعدها غزوة تبوك فقل
لن تخرجوا معي ابدا وبسكون الياء حمزة وعلي وابو بكر ولن تقاتلوا معي عدوا
معي حفص انكم رضيتم بالقعود اول مرة او لما دعيتم الى غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين مع من تخلف بعد وسال ابن عبد الله بن ابي وكان
مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم اياه في قميصه ويصلي عليه ففعل
فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه الصلوة والسلام ذلك ينفعه
وكنت ارجوا ان يؤمن به الف من قومه ونزل ولا تصل على احد منهم من
المنافقين يعني صلوة الجنازة روي انه اسلم الف من الخزرج لما راوه يطلب
التبرك بثوب النبي صلى الله عليه وسلم مات صفة لاحد ابدا ظرف لتصل
وكان عليه الصلوة والسلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل ولا
تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي
اي انهم ليسوا باهل للصلوة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله ولا تعجبك اموا
لهم ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون التكرير للمبالغة والتاكيد وان يكون على بال من المخاطب لا ينسا
وان يعتقد انه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى واذا انزلت
سورة يجوز ان يراد سورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على
كله وعلى بعضه ان آمنوا بالله بان آمنوا وهي ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله
استاذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع

القاعدين

القاعدين مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى رضوا بان يكونوا
مع الخوالف اي النساء جمع خالفة وطبع على قلوبهم ختم عليها لاختيارهم
الكفر والنفاق فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما
في التخلف من الهلاك والشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء فقد نهض في الغزو من هو خير
منهم واولئك لهم الخيرات يتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ و
قيل الحور لقوله فيهن خيرات واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب
اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز
العظيم قوله اعد دليل على انها مخلوقة وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم هو من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته ان يوهم ان له
عذرا فيما فعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها
الى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل اسد وغطفان ان لنا عيالا
وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم
منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهر بذلك انهم كذبوا الله
ورسوله في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب
عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار ليس على الضعفاء الهرمى
والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء
من مزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم وضيق في التاخر اذا نصحوا لله و
رسوله بان آمنوا في السر والعلن واطاعوا كما يفعل الناصح لصاحبه ما على
المحسنين المعذورين من سبيل اي لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم
والله غفور يغفر لهم تخلفهم رحيم بهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
لتعطيهم الحمولة قلت حال من الكاف في اتوك وقد قيل مضمرة اي اذا ما اتوك
قائلا لا اجد ما احملكم عليه تولوا هو جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع
اي تسيل كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت
كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب
على التمييز ويجوز ان يكون قلت لا اجد استينافا كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم
تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين

الشرط والجزاء كالاعتراض حزنا مفعول له الا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا ما ينفقون ومحله نصب على انه مفعول وناصبه حزنا والمستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه والبكاؤن وهم ستة نفر من الانصار انما السبيل على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء وقوله رضوا استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي بالانتظام من جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم لانفسهم عذرا باطلا اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالباطل لن نؤمن لكم لن نصدقكم وهو علة النهي من الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا اوحى الى رسوله لاعلام باخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون ام تثبتون على كفرهم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون اليه وهو عالم كل سر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم كي تتركوهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبهم انهم رجس تعليل ترك معاتبتهم اي ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لانهم ارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأويهم جهنم ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون اي يجزون نجزاء يحلفون لكم لترضوا عنهم اي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم فكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وانما قيل ذلك لئلا يتوهم ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء واجدر الا يعلموا واحق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعني حدود الدين وما انزل الله من الشرايع والاحكام ومنه قوله عليه الصلوة والسلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين يعني الاكرة لانهم يفدون اي يصيحون في حروثهم والفديد الصياح والله عليم باحوالهم حكيم

فامهالهم

فامهالهم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق اي يتصدق مغرما غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر اي دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام ويذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء اي عليهم تدور المصائب والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين السوء مكي وابو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ادم للدائرة كقولك رجل سوء في مقابلة رجل صدق والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق في الجهاد والصدقات قربات اسباب للقربة عند الله وهي مفعول ثان ليتخذ وصلوات الرسول اي دعائه لانه عليه الصلوة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى الا انها اي ان النفقة او صلوات الرسول قربة لهم قوله قربة اي نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك قوله سيدخلهم الله في رحمته جنته وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين اي تصديق اجابته وان الصدقة منه بمكانة اذا خلصت من صاحبها ان الله غفور يستر عيب المخل رحيم فجهد المقل السابقون مبتداء الاولون صفة لهم من المهاجرين تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين والذين شهدوا بدرا او بيعة الرضوان والانصار عطف على المهاجرين اي ومن الانصار وهم اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين اتبعوهم باحسان من المهاجرين والانصار فكانوا ساير الصحابة رضي الله عنهم وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة والخبر قوله رضي الله عنهم باعمالهم الحسنة ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية واعد لهم عطف رضي جنات تجري من تحتها الانهار من تحتها مكي خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة من

الاعراب منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها
ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذين هو ممن حولكم والمبتدا منافقون
ويجوز ان يكون معطوفة على المبتداء والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة
قوم مردوا على النفاق تمهروا فيه على ان مردوا صفة موصوف محذوف
وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاماً مبتداء او صفة لمنافقون فصل
بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم بقوله لا تعلمهم اي يخفون
عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط توقيهم في تحامي ما يشكك
في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يبطنون الكفر في سويدات قلوبهم ويبرزون لك ظاهراً كظاهر
المخلصين من المؤمنين سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر او
الفضيحة وعذاب القبر او اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون
الى عذاب عظيم اي عذاب النار وآخرون اي قوم آخرون سوى المذكورين
اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم
ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة
لما بلغهم ما نزل في المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته ذلك
كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا
انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وانا
اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم فقالوا يا رسول الله اموالنا
التي خلفتنا عنك صدق خلطوا عملاً صالحاً خروجاً الى الجهاد وآخر سيئاً تخلفاً
او التوبة او الاثم وهو من قولهم بعت الشاة شاة ودرهماً فالواو بمعنى الباء
لان الواو للجمع والباء للالصاق فيتناسبان والمعنى خلط كل واحد منهما مخلوط و
مخلوط به كقولك الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف
قولك خلطت الماء باللبن واللبن بالماء عسى الله ان يتوب عليهم ان الله
غفور رحيم ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على
التوبة خذ من اموالهم صدقة كفارة لذنوبهم وقيل هي الزكوة تطهرهم
عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة المؤنث والتاء في و

تزكيهم

تزكيهم للخطاب لا محالة بها بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير و
زيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعا
لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها ان صلوتك
صلواتك كوفي غير ابي بكر وقيل الصلوة اكثر من الصلوات لانها للجنس سكن
لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع لدعا ئك
او يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعائهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم
لما فرط منهم الم يعلموا المراد المتوب عليهم اي الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم
ويقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت ويأخذ
الصدقات ويقبلها اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص اي ان
ذلك ليس الى رسول الله انما هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه ووجهوها
اليه وان الله هو التواب كثير قبول التوبة الرحيم بعفو الحوبة وقل لهؤلاء
التائبين اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فان عملكم لا يخفى
خيراً كان او شراً على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم او لغير التائبين ترغيباً
لهم في التوبة فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين
تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا و
قوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة
وستردون الى عالم الغيب ما يغيب عن الناس والشهادة مما يشاهدونه
فينبئكم بما كنتم تعملون تنبئة تذكير ومجازاة عليه وآخرون مرجون
لامر الله بغير همز مدني وكوفي غير ابي بكر مرجؤن من ارجيته
وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة اي وآخرون من المتخلفين موقوف
امرهم الى ان يظهر امر الله فيهم اما يعذبهم ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب
ان تابوا وهم ثلاثة كعب ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع ولضابط
مكنة تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين
خلفوا والله عليم بارجائهم حكيم في ارجائهم واما للشك وهو راجع الى العباد
اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة روي انه عليه الصلوة والسلام امر
اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من
شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احداً لا ينظر اليهم

فوضوا امرهم الي الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والذين
اتخذوا مسجدا تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغير واو مدني وشامي
وهو مبتدا خبره محذ وفاي جاز يناهم وروي ان بني عمرو ابن عوف لما بنوا
مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يا تيهم فا تاهم فصلى
فيه فحسدهم بنوا غنم بن عوف قالوا نبني مسجدا و نرسل الي رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى يصلي فيه ويصلي فيه ابو عمرو عامر الراهب اذا قدم من الشام
وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الي يوم حنين فبنوا مسجدا الي جنب مسجد
قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة ونحن
نحب ان تصلي لنا فقال اني على جناح سفر واذا قدمنا من تبوك ان شاء الله
صلينا فيه فلما اقفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال
لوحشي قاتل حمزة ومعن بن عدي وغيرهما انطلقوا الي هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه وحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة يلقى فيه الجيف
والقمامة ومات ابو عامر بالشام ضرارا مفعول له وكذا ما بعده اي
مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين
المؤمنين لانهم كانوا يصلون في مسجد قبا فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف
كلمتهم وارصادا لمن واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب
اعدوه له يصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل بني مباها ة
او رياء او سمعة او لغرض سوي ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد
الضرار من قبل متعلق بحارب اي من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق
وليحلفن كاذبين ان اردنا الا الحسني ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة
الحسني وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوي اللام للابتداء
واسس بنت له وهو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه
ايام مقامه بقبا او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة من اول
يوم من ايام وجوده قبل القياس فيه مذ لانه لابتداء الغاية في الزمان و
من لابتداء الغاية في المكان والجواب ان من عام في الزمان والمكان احق

ان تقوم

ان تقوم فيه مصليا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين
قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى
وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت
القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال
عليه الصلوة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على
البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة و
السلام مؤمنون ورب الكعبة ثم جلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله
عز وجل قد اثني عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط
فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء
فتلى النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا قيل هو عام في
التطهير عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى
محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى
محبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه افمن
اسس بنيانه اي وضع اساس ما يبنيه على تقوي من الله ورضوان
خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار هذا سؤال تقرير و
جوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى افمن اسس بنيانه دينه على قاعدة
محكمة وهو تقوي الله ورضوانه خير امن اسس على قاعدة هي اضعف القواعد
وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات و
الاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوي لانه جعل مجازا عما ينافي
التقوي والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله
بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار والهائر هو المتصدع الذي اشفا
على التهدم والسقوط ووزنه فعل كخلف من خالف والفه ليس بالف فاعل
انما هي عينه واصله هور فقلب الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا تري ابلغ
من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره امن اسس بنيانه
شامي ابن عامر ونافع قوله جرف شامي وحمزة ويحيي قوله هار بالامالة
ابو عمرو وحمزة في روايه ويحيي فانهار به في نار جهنم فطاح به الباطل
في نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا على الباطل رشح المجاز فجي بلفظ

الانهيار الذي هو للجرف وليتصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على جرف من
اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها قال جابر رأيت الدخان
يخرج من مسجد الضرار حين انهار والله لا يهدي القوم الظالمين لا
يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة
في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم لاغاظتهم
من ذلك وعظمه عليهم الا ان تقطع قلوبهم شامي وحمزة وحفص
ان تقطع اي الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنها و
اما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز ان يكون ذكر
التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها
وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار ومعناه الا ان يتوبوا توبة
تنقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بعزائمهم حكيم
في جزاء جرائمهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى
وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو
رازقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها فقال بيع
والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون في
سبيل الله بيان محل التسليم فيقتلون ويقتلون اي تارة يقتلون العدو
وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلي وعدا عليه مصدر اي
وعدهم بذلك وعدا حقا صفة اخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين
في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل والفرقان وهو دليل
على ان اهل كل ملة امروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال ومن اوفى بعهده
من الله لان الاخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف باكرم الا
كرمين ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق وذلك هو
الفوز العظيم قال الصادق ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا
بها التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين او هو
مبتدأ خبره العابدون اي الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة

ومابعده

وما بعده خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال
وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق الحامدون على
نعمة الاسلام السائحون الصائمون لقوله عليه الصلوة والسلام سياحة
امتي الصيام وطلب العلم في مظانه او السائرون في الارض للاعتبار
الراكعون الساجدون الحافظون على الصلوات الآمرون بالمعروف
بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي ودخلت
الواو للاشعار بان السبعة عقد تام او للتضاد بين الامر والنهي كما في قوله
ثيبات وابكارا والحافظون لحدود الله اوامره ونواهيه ومعالم الشرع
وبشر المؤمنين المتصفين بهذه الصفات وهم عليه الصلوة والسلام ان
يستغفر لابي طالب فنزل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
من بعد ما ظهر لهم انهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم عليه السلام
فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
اي وعد ابوه اياه ان يسلم او وعدها اياه ان يستغفر وهو قوله لاستغفرن
لك دليله قراءة الحسن وعدها اباه ومعنى استغفاره سؤاله اعطاء الاسلام
الذي به يغفر له فلما تبين من جهة الوحي له لابراهيم انه ان اباه عدو
له بان يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه تبرأ منه وقطع استغفاره ان
ابراهيم لأواه هو المتأوه شفقا وفرقا ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان
يتعطف على ابيه الكافر حليم هو الصبور على البلاء الصفوح عن الاذى لانه
كان يستغفر لابيه وهو يقول لارجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد
اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون اي ما امر الله باتقائه واجتنابه كالا
ستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ عباده الذين
هداهم للاسلام ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان خطره عليهم و
علمهم بانه واجب الاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر
من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد مما يتقون ما يجب اتقاؤه
للنهي فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف ان الله بكل شيء عليم
ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله

من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي اي تاب عليه باذنه للمنافقين
في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك والمهاجرين والانصار فيه بعث للمؤمنين
على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي
والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة في غزوة تبوك
ومعناه في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة
من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت الشدة ان اقتسم التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا وعصروا الكرش
وشربوه وفي شدة زمان من حرارة القيض ومن الجدب والقحط من بعد
ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات عن الايمان او من اتباع الرسول
في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان والجملة في موضع النصب
وهو قوله ليس خلق الله مثله اي ليس شان خلق الله مثله تزيغ حمزة و
حفص ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد لانه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة
وهم من مكة وهو عطف على النبي صلى الله عليه وسلم الذين خلفوا عن
الغزو حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو
مثل الحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه
وضاقت عليهم انفسهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط
الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه وان لا ملجأ من سخط
الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بعد خمسين يوما ليتوبوا ليكون
في جملة التوابين ان الله هو التواب الرحيم عن ابي بكر الوراق انه قال
التوبة النصوح ان يضيق على التائب الارض بما رحبت ويضيق عليه نفسه
كتوبة هؤلاء الثلاثة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم دون المنافقين او مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا
والاية تدل على ان الاجماع حجة لانه امر بالكون مع الصادقين فلزم قبول
قولهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله المراد بهذا النفي النهي وخص هؤلاء بالذكر وان استوى كل
الناس في ذلك لقربهم منه لا يخفى عليهم خروجه ولا يرغبوا ولا ان يظنوا

بانفسهم

بانفسهم عن نفسه عما يصيب نفسه اي لا يختاروا ابقاء انفسهم على نفسه
في الشدائد بل امروا بان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا انفسهم بين
يديه في كل شدة ذلك النهي عن التخلف بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ
عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله في الجهاد
ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم
واخفاف رواحلهم وارجلهم يغيظ الكفار يغيظهم ويضيق صدورهم
ولا ينالون من عدو نيلا ولا يصيبون منهم اصابة بقتل او اسر او جرح او
كسر او هزيمة الا كتب لهم به عمل صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بكل
روعة سبعون الف حسنة يقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل
ما يسوؤهم وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام و
قعود ومشي وكلام وغير ذلك على ان المدد شارك الجيش في الغنيمة بعد
انقضاء الحرب لان وطأ ديارهم مما يغيظهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه
وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب والموطئ اما مصدر كالمورد
او مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه ان الله
لا يضيع اجر المحسنين اي انهم محسنون ولا يبطل ثوابهم ولا ينفقون
نفقة في سبيل الله صغيرة ولو تمرة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي
الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم
منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى
اذا سال ومنه الودي وقد شاع في الاستعمال بمعنى الارض الا كتب لهم
ذلك من الانفاق وقطع الوادي ليجزيهم الله متعلق بكتب اي اثبت في
صحايفهم لاجل الجزاء احسن ما كانوا يعملون اي يجزيهم على كل واحد جزاء
احسن كان لهم فليحوز دونه توفيرا لاجلهم وما كان المؤمنون لينفروا
كافة اللام لتاكيد النفي اي ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح
للانقضاء المفسدة فلولا نفر فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر من كل
كافة منهم طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة يكفونهم النفير ليتفقهوا
في الدين ليتكلفوا فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ولينذروا قومهم
وليجعلوا غرض همتهم الى التفقه انذار قومهم وارشادهم اذا رجعوا اليهم

فرقة

دون الاعتراض الخسيسة من التصدد والتروس والتشبه بالظلمة في المرا والملابس يا ايها الملئكم تجذرون ما يجب اجتنابه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما انزل في المتخلفين من الايات الشدا داستبق المومنون عن اخرهم الي النفير وانقطعوا جميعا عن التفقة فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طايفة الي الجهاد ويبقي سايرهم متفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذ الجهاد بالحجاج اعظم اثرا من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوايف النافرة من بينهم وقوله ولينذروا قومهم معناه ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الي المدينة للتفقه يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربونكم من الكفار القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام اقرب الي المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا في المقال قبل القتال واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة والغلبة واذا ما انزلت سورة ما صلة مؤكدة فمنهم فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمومنين وايكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون بعدون زيادة التكليف بشارة التشريف واما الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق فهو فساد يحتاج الى علاج كالفساد في البدن فزادتهم رجسا الي رجسهم كفرا مضموما الي كفرهم وماتوا وهم كافرون هو اخبار عن اصرارهم عليه الي الموت اولا يرون يعني المنافقين وبالتاء حمزة للمؤمنين انهم يفتنون يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا يذكرون بما يقع بهم من الاصطلام واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الي بعض تغامزوا بالعيون انكارا

للوحي وسخرية به قايلين هل يراكم من احد من المسلمين لينصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او اذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين اشار بعضهم بينهم الي بعض هل يراكم من احد ان قمتم من حضرته عليه الصلوة والسلام ثم انصرفوا حتى حضرة النبي عليه الصلوة والسلام مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن فهم القران بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول محمد عليه الصلوة والسلام من انفسكم من جنسكم او من نسبكم عربي قرشي مثلكم عزيز عليه ما عنتم شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاءكم المكروه فهو يخاف عليه الوقوع في العذاب حريص عليكم على ايمانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فقل حسبي الله فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم لا اله الا هو عليه توكلت فوضت امري الي الله وهو رب العرش هو اعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء العظيم بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب عز وجل عن ابي رضي الله عنه اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم

الر ونحوه ممال حمزة وعلي وابو عمرو وهو تعديد الحروف على طريق التحدي تلك ايات الكتاب اشارة الي ما تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة الحكيم ذي الحكمة لاشتماله عليها او المحكم عن الكذب والاختلاف والهمزة في اكان للناس عجبا لانكار التعجب والتعجيب منه ان اوحينا اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس يتعلق بمحذوف وهو صفة عجبا فلما تقدم صار حالا الي رجل منهم ان انذر الناس بان انذر او هي مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وبشر الذين امنوا ان لهم ومعنى اللام في الناس انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منه والذي تعجبوا منه ان يوحي الي بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الي الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكرهم البعث وينذر بالنيران

ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين
الي الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب ايضا
لان الله تعالي انما يختار للنبوة من جمع اسبابها والغنا والتقدم في الدنيا
ليس من اسبابها والبعث للجزا على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون
عجبا انما العجب المنكر تعطيل الجزاء قدم صدق عند ربهم اي سابقة و
فضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق بالقدم سمي المسعاة الجميلة
والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعلان صاحبها
يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة
فضل وانه من السوابق العظيمة او مقام صدق او سبق السعادة قال الكافرون
ان هذا الكتاب لسحر مبين مدني وبصري وشامي ومن قرا لساحر فهذا
اشارة الي رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين
في تسميته سحرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش اي استولى فقد تقدس الديان عن المكان والمعبود
عن الحدود يدبر يقضي ويقدر على مقتضى الحكمة الامر امر الخلق كله
وامر ملايكة السموات والارض والعرش ولما ذكر ما يدل على عظمة شانه
وملكه من خلق السموات والارض والاستوى على العرش اتبعها هذه الجملة
لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره
وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على عزته وكبريائه ذلكم
العظيم الموصوف بما وصف به الله ربكم وهو الذي يستحق العبادة فاعبدوه
وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من انسان او ملك فضلا عن جماد لا يضر
ولا ينفع افلا تذكرون افلا تتدبرون فيستدلون بوجود المصالح والمنافع
على وجود المصلح النافع اليه مرجعكم جميعا حال اي لا ترجعون في العاقبة
الا اليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع او مكان الرجوع وعد الله
مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم حقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه
يبدا الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اي ليحكمه بابتداء الخلق واعادته
وجزاء المكلفين على اعمالهم بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي او ليجزيهم

بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم اي بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا
حين امنوا والشرك ظلم عظيم وهذا اوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ولوجه كلامي هو الذي
جعل الشمس ضياء الياء فيه منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقنبل
من القراء قبيل همزة لانها الحركة اجل والقمر نورا والضياء اقوى من النور
فلذا جعله للشمس وقدره وقدر القمر اي وقدر مسيره منازل او قدره ذا
منازل كقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين اي عدد السنين
والشهور فاكتفا بالسنين لاشتمالها على الشهور والحساب وحساب الاجال
والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور ما خلق الله ذلك المذكور الا
ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا يفصل الايات
مكي وبصري وحفص وبالنون غيرهم لقوم يعلمون فينتفعون بالتامل
فيها ان في اختلاف الليل والنهار في مجيء كل واحد منهما خلف الاخرى
وفي اختلاف لونهما وما خلق الله في السموات والارض من الخلايق لايات
لقوم يتقون خصهم بالذكر لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى
النظر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم
لغفلتهم عن التفطن بالحقايق او لا يأملون حسن لقائنا كما يامله المسعد
او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من
الاخرة واثروا القليل الفاني على الكثير الباقي واطمانوا بها وسكنوا فيها
سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن اياتنا غا فلون
لا يتفكرون فيها فلا وقف عليه لان خبران اولئك ماويهم النار فاولئك
مبتدا وماويهم مبتدا ثاني والنار خبره والجملة خبر اولئك والباء في بما
كانوا يكسبون يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل تجري من
تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول
اليها او يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن
اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له

نوراً وقائداً الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول
له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وهذا دليل على ان الايمان المجرد منجي
حيث قال بايمانهم ولم يضم اليه العمل الصالح في جنات النعيم متعلق
بتجري او حال من الانهار دعويهم فيها سبحانك اللهم اي دعاؤهم لان
اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك اي يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم
تلذذاً بذكره لا عبادة وتحيتهم فيها سلام اي يحيي بعضهم بعضاً بالسلام
او هي تحية الملائكة اياهم واضيف المصدر الى المفعول او تحية الله لهم وآخر
دعويهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان الحمد لله رب العالمين
ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ان مخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله
والضمير للشان قيل اول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدءون بتعظيم الله
وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما ارادوا ولو يعجل
الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله
لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعاراً بسرعة اجابته
لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء اي ولو عجلنا لهم
الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم
لاميتوا واهلكوا لقضي اليهم اجلهم شامي على البناء للفاعل وهو الله عز و
جل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم شركهم وضلالهم يعمهون
يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل
كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي
فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحجة عليهم واذا مس
الانسان اصابه والمراد الكافر الضر دعانا اي دعى الله لازالته لجنبه في
موضع الحال بدليل عطف الحالين اي او قاعداً او قائماً عليه اي دعانا مضطجعاً
وفائدة ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى
يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان مضطجعاً عاجزاً عن النهوض
او قاعداً لا يقدر على القيام او قائماً لا يطيق المشي فلما كشفنا عنه ضره
ازلناه ما به مر كان لم يدعنا الى ضر مسه اي مضى على طريقته الاولى قبل
مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه

كانه لا عهد له والاصل كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كذلك
مثل ذلك التزيين زين للمسرفين للمجاوزين للحد في الكفر زين الشيطان
بوسوسته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر ولقد اهلكنا
القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا اشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو
في وجاءتهم رسلهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات وما كانوا ليؤمنوا ان يقولوا ولم يهلكوا الا ان الله علم منهم انهم
يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا او اعتراض واللام لتاكيد النفي يعني
ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد
ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء الاهلاك نجزي القوم
المجرمين وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب الله ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد عليه الصلوة والسلام
اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون اي
لننظر ايعملون خيراً او شراً فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون
لا بننظر لان معنى الاستفهام يمنع ان يتقدم عليه عامله

لہ اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح
الكيد اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله
فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال فانه ان وجد منه
تبديل فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله
ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله تعالى واظهاره امرا
عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل اي لم يتعلم ولم يشاهد
العلماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا يغلب كل كلام فصيح ويعلوا على كل منثور
ومنظوم مشحونا بعلم الاصول والفروع والاخبار عن الغيوب التي لا يعلمها
الا الله ولا ادريكم به ولا اعلمكم الله بالقرآن على لساني فقد لبثت فيكم عمرا
من قبله من قبل نزول القران اي فقد اقمت فيما بينكم اربعين سنة ولم
تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواضعا بعلم و
بيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من عند الله الا
من مثله وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة
الافتراء عليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء
المشركين على الله في انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه
من الافتراء او كذب باياته بالقرآن فيه بيان ان الكاذب على الله والمكذب
باياته في الكفر سواء انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا
يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها ويقولون هؤلاء اي
الاصنام شفعاؤنا عند الله اي في امر الدنيا ومعيشتها لانهم كانوا لا يقرون
بالبعث واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت او يوم القيمة ان يكن
بعث ونشور قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده
وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم بجميع المعلومات
لم يكن شيئا وقوله في السموات ولا في الارض تاكيدا لنفيه لان ما لم يوجد
فيهما فهو معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون نزه ذاته عن ان يكون له شريك
وبالتاء حمزة وعلي وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم
به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة
واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه الصلوة والسلام الى

اذ قتل

ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان حين لم يذر من الكافرين ديارا
فاختلفوا فصاروا مللا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم
بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا
فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمه وهي ان هذه الدار دار تكليف
وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي آية
من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب فهو
العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير فانتظروا نزول
ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم
الآيات واذا اذقنا الناس رحمة اهل مكة خصبا وسعة من بعد ضراء
مستهم يعني القحط والجوع اذا لهم مكر في آياتنا اي مكروا بآياتنا بدفعها
وانكارها روي ان الله تعالى سلط القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون
رسول الله ويكيدونه فاذا الاولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجاة و
هو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اي وان تصبهم
سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس رحمة مكروا والمكر اخفاء الكيد وطيه من
الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها
فيهم وانما قال قل الله اسرع مكرا ولم يصفهم بسرعة المكر لان كلمة
المفاجاة دلت على ذلك كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤوا وقوع
المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ان رسلنا
يعني الحفظة يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا لا يخفى على
الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل هو الذي يسيركم في البر والبحر يجعلكم
قادرين على قطع المسافة بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار و
يخلق فيكم السير ينشركم شامي حتى اذا كنتم في الفلك اي السفن وجرين
اي السفن بهم فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة بريح طيبة لينة
الهبوب لا ضعيفة ولا عاصفة وفرحوا بها بتلك الريح للينها واستقامتها
جاءتها اي الفلك او الريح الطيبة اي تلقتها ريح عاصف ذات عصف اي
شديدة الهبوب وجاءهم الموج هو ما علا على الماء من كل مكان من البحر او من

جميع ما عليه من الموج وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا اجعل احاطة العدو
مثلا في الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون
حينئذ معه غيره يقولون لئن انجيتنا من هذه الاهوال او من هذا الريح
لنكونن من الشاكرين لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل
الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة
بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحالة وكانت كيت
وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء
وجواب اذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لان دعاهم من لوازم ظنهم للهلاك
فهو ملتبس فلما انجيهم اذا هم يبغون في الارض يفسدون فيها بغير الحق
جهلا باطلا اي مبطلين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم اي ظلمكم
يرجع عليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها متاع الحيوة الدنيا
حفص اي ممتعون متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر لبغيكم وعلى انفسكم صلة
لقوله فبغي عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم او هو خبر ومتاع خبر بعد خبر
او متاع خبر مبتدا محذوف او هو متاع الحيوة الدنيا وفي الحديث اسرع الخير ثوابا
صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما
الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغي
جبل على جبل لدك الباغي وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي و
النكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ثم الينا مرجعكم فننبئكم
بما كنتم تعملون فيخبركم به ويجازيكم عليه انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء من السحاب فاختلط به نبات الارض اي فاشتبك بسببه حتى خالط
بعضه بعضا مما ياكل الناس يعني الحبوب والثمار والبقول والانعام يعني
الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها زينتها بالنبات واختلاف الوانه
وتزينت به وهو اصله فادغمت التاء في الزاء وهو كلام فصيح جعلت الارض
اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون
فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان التزين وظن اهلها اهل الارض انهم
قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها
اتاها امرنا عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم

انه قد

انه قد سلم ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا اي لم يلبث
حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى كان لم تغن
بالامس هو مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن انفا كذلك نفصل
الايات لقوم يتفكرون منتفعون بضرب الامثال وهذا من التشبيه
المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعمتها بعد الاقبال
بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف و
زين الارض بخضرته ورفيفه والتبسه على حكمه التشبيه ان الحيوة صفوها
شبيتها وكدرها شيبتها كما ان صفو الماء في اعلى الماء فقال الم تر ان العمر
كاس سلافة فاوله صفو واخره كدر وحقيقته ترتني جثته الطين بصا
الدنيا والدين كاختلاط الناس على اختلاف التكوين فالطينة الطيبة
تنبت بساتين الانس ورياحين الروح وزهرة الزهر وكرم الكرم وحبوب
الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة يخرج خلاف الخلف وثمام
الاثم وشوك الشرك وشح الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاد
كما يجين المحروث حصاده فتزايله الحيوة مغترا كما يهيج النبات مصفرا فيثبت
جثته في الرمس كان لم تغن بالامس الي ان يعود ربيع البعث وموعد العرض
والبحث وكذلك مال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك
ما زاد لا بد من اخذ الزاد واخذ المال لا يصفوا من ذلة كما ان خايض الماء لا
ينجوا من بلة وجمعه وامساكه تلف صاحبه واهلاكه فما دون النصاب كضحضاح
ماء تجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر لا بل هي المجاز والجواز الي المفاز لا
يمكن الا بقنطرة وهي الزكوة وعمارتها بذل الصلوة ففي اختلت القنطرة
غرقته امواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه الصلوة والسلام الزكوة
قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاد دون الامجاد كما ان الماء يجتمع
في الوهاد دون النجاد وكذا المال لا يجتمع الا بكد البخيل كما ان الماء لا يجتمع
الا بسد المسيل ثم يقضي ويتلف ولا يبقي كالماء في الكف والله يدعو الي
دار السلام هي الجنة اضافها الي اسمه تعظيما لها او السلام السلامة لان
اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم
الا قيلا سلاما سلاما ويهدي من يشاء ويوفق من يشاء الي صراط مستقيم

الي الاسلام اوطريق السنة فالدعوة عامة على لسان الرسول بالدلالة و
الهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والغاية والمعنى يدعو العباد كلهم
الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون للذين احسنوا امنوا بالله ورسله
الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة وزيادة رؤية الرب عز وجل كذا عن ابي
بكر وحذيفة وابن عباس وابي موسى الاشعري وعبادة بن الصامت رضي
الله عنهم وفي بعض التفاسير اجمع المفسرون على ان الزيادة النظر الى الله
تعالى وعن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة
يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا
الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى الله
فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
والعجب من صاحب الكشاف انه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال انه حديث
مرفوع مع انه مرفوع قد اورده صاحب المصابيح في الصحاح وقيل زيادة المحبة
في قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان ولا يرهق وجوههم
ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما
يرهق اهل النار اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا
عطف على للذين احسنوا اي والذين كسبوا السيئات فنون الشرك جزاء سيئة
بمثلها الباء زيادة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او التقدير جزاء سيئة مقدرة
بمثلها وترهقهم ذلة ذل وهوان ما لهم من الله من عقابه من عاصم اي
لا يعصمهم احد من سخطه وعقابه كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما اي جعل عليها غطاء من سواد الليل اي هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة
وهو مفعول ثان لاغشيت قطعا مكي وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة
مظلما صفة لقطع وعلى الاولى حال من الليل والعامل فيه اغشيت لان من الليل
صفة لقطعا وكان افضاؤه للموصوف كافضائه الى الصفة او معنى الفعل في من
الليل اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم اي الكفار
وغيرهم جميعا حال ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم لا
تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم اكد به الضمير لسده مسد قوله الزموا و
شركاؤكم عطف عليه فزيلنا ففرقنا بينهم اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في

الدنيا وقال شركاؤهم من عبدوه من دون الله من اولي العقل او الاصنام
ينطقها الله عز وجل ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين
حيث امروكم ان تتخذوا الله اندادا فاطعتموهم وهو كقوله يوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفى الله شهيدا وهو تمييز ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية هنالك
في ذلك المقام او في ذلك الوقت على المستفادة اسم المكان للزمان
تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل معترف كيف هو اقبيح
ام حسن انافع ام ضار ام مقبول ام مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس
ما قدمت تتلوا حمزة وعلي اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى
طريق الجنة او النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر كذا عن الاخفش
وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون
ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا
يظلم احد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون
انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يفترون ويختلفون من الكذب وشفاعة
الالهة قل من يرزقكم من السماء بالمطر والارض والنبات امن يملك
السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه
من الفطرة العجيبة او من يحميهما من الافات مع كثرتها في المدد الطوال وهما
لطيفان يؤذيهما ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
اي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب و
الكافر والجاهل وعكسها ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير اهل العالم كله جاء
بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فيجيبونك عند سؤالك ان القادر
على هذه هو الله فقل افلا تتقون الشرك في العبودية اذا اعترفتم بالربوبية
فذلكم الله اي من هذه قدرته ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب
فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال اي لا واسطة بين الحق و
الضلال فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى
الضلال ومن التوحيد الى الشرك كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك

اَيّكم

كلمات مدني وشامي اي لما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم
مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا تمردوا في
كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي
حق عليهم انتفاء الايمان او حق عليهم كلمة الله ان ايمانهم غير كائن او
اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل اي لانهم لا يؤمنون
قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده انما ذكر ثم يعيده وهم غير
مقرين بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل امرا مسلما على ان فيهم من يقر
بالاعادة او يحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال
والنبات قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده امر نبيه بان ينوب عنهم في الجواب
يعني انه لا يدعهم مكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم فانى
تؤفكون فكيف يصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي
الى الحق يرشد اليه قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع
امن لا يهدي الا ان يهدى يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين
ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة
حمزة وعلي امن لا يهدي بمعنى يهتدي لا يهدي بفتح الهاء والياء وتشديد
الدال مكي وشامي وورش وباشمام الهاء فتحة ابو عمرو وبكسر الهاء وفتح الياء
عاصم غير يحيى والاصل يهتدي وهو قراءة عبد الله فادغم التاء في الدال
وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء و
تشديد الدال يحيى لاتباع ما بعدها وسكون الهاء وتشديد الدال مدني
غير ورش والمعنى ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين
من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما فهمهم
والهمهم ووفقهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم
اندادا لله يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق احق بالاتباع
ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله و
قيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى
الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله
الى ان يجعله حيا ناطقا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون

انه انداد الله وما يتبع اكثرهم في قولهم للاجسام انها آلهة وانها شفعاء
عند الله والمراد بالاكثر الجميع الا ظنا بغير دليل وهو اقتداؤهم باسلافهم ظنا
منهم انهم مصيبون ان الظن لا يغني من الحق وهو العلم شيئا في موضع
المصدر اي اغناء ان الله عليم بما يفعلون من اتباع الظن وترك الحق وما
كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي افتراء من دون الله والمعنى
وما صح وما استقام ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة وتفصيل الكتاب وتبيين
ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم لا ريب فيه
من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا
وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين فيجوز ان يراد ولكن كان
تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب
العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول
زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتريه بل يقولون اختلقه قل ان كان
الامر كما تقولون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله اي شبيهة به في
البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي بالعربية وادعوا من استطعتم من دون
الله اي وادعوا من استطعتم من خلقه للاستعانة على الاتيان بمثله ان كنتم
صادقين انه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله بل
سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره
وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم على ما يخالف
دينهم وشرايعهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع ولما ياتهم تاويله انهم
كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء وكذبوه
بعد تدبره تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى الكذب قبل العلم به وجاء بكلمة
التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه ولما كرر عليهم التحدي وجربوا قواهم
في المعارضة وعجزهم عن مثله وكذبوا به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب
كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر
في معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا او تقليدا للآباء ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم
تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين

لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن
جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الي التكذيب به قبل ان ينظروا في
نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان تجربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به بالنبي او بالقرآن
اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن
به لا يصدق به ويشك فيه او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم
سيصرّ وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك
وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فقل لي عملي جزاء عملي ولكم عملكم
جزاء اعمالكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون فكل مؤاخذ بعمله
ومنهم من يستمعون اليك ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن
وعلمت الشرايع ولكنهم لا يعودون ولا يقبلون فهم كالصم افانت تسمع
الصم ولو كانوا لا يعقلون اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم
الي صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في
صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر ومنهم
من ينظر اليك ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق و
اعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
اتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الي فقد البصر فقد البصيرة
لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس واما العمي مع الحمق فجهد البلاء
يعني انهم في الناس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول
لهم ولا بصائر ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن انفسهم يظلمون و
لكن الناس حمزة وعلي اي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا
انفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا اجمادا او هم احياء ويوم يحشرهم وبالياء
حفص كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا
او في قبورهم لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم
يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم
لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال منهم اي يحشرهم مشبهين اي بمن لم يلبث
الا ساعة وكان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اي كانهم ويتعارفون

بينهم حال بعد حال او مستأنف على تقدير هم يتعارفون قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او
هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم
الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف
فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذي نعدهم
من العذاب او نتوفينك قبل عذابهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في
الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة ثم الله شهيد
على ما يفعلون ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كانه قيل
ثم الله معاقب على ما يفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو ولكل امة رسول
يبعث اليهم لينبئهم على التوحيد ويدعوهم الي دين الحق فاذا جاء رسولهم
بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم بين النبي ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون او لكل من الامم يوم القيمة رسول
ينسب اليه وتدعى به فاذا جاءهم رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر
والايمان قضي بينهم وهم لا يظلمون لا يعذب احد بغير ذنب وكما قال
واما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب ليستعجلوا لما وعدوا من
العذاب نزل ويقولون متى هذا الوعد اي وعد العذاب ان كنتم
صادقين ان العذاب نازل وهو خطاب منهم النبي والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله
استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر
وجلب العذاب لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لكل امة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فاذا جاء
وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا قل ارأيتم
ان اتيكم عذابه الذي تستعجلونه بياتا نصب على الظرف اي وقت بيات
وهو الليل وانتم ساهون نائمون لا تشعرون او نهارا وانتم مشتغلون
بطلب المعاش والكسب ماذا يستعجل منه المجرمون اي من العذاب والمعنى
ان العذاب كله مكروه موجب للنفور فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء

منه يوجب الاستعجال والاستفهام فيماذا يتعلق بارايتم لان المعني اخبروني
ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا علي الاستعجال
او تعرفوا الخطا فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه اريدت الدلالة علي موجب
ترك الاستعجال وهو الاجرام اوماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط
نحو ان اتيتك ماذا تطعمني ثم يتعلق الجملة بارايتم او اثم اذا ما وقع العذاب
آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراض والمعني ان اتاكم
عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام
علي ثم كدخوله علي الواو والفاء في افامن اهل القري او امن اهل القري الآن
آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون اي بالعذاب تكذيبا واستهزاء الآن
بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها علي اللام نافع ثم قيل للذين
ظلموا عطف علي قيل المضمر قبل الان ذوقوا عذاب الخلد اي الدوام هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب ويستنبئونك و
يستخبرونك فيقولون احق هو هو استفهام علي جهة الانكار والاستهزاء
والضمير للعذاب الموعود قل يا محمد اي وربي نعم والله انه لحق ان العذاب
كائن لامحالة وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لامحالة
ولو ان لكل نفس ظلمت كفرت واشركت وهو صفة لنفس اي ولو ان لكل
نفس ظالمة ما في الارض ما في الدنيا اليوم من خزاينها واموالها لافتدت
به لجعلته فدية لها يقال فاداه فافتدي ويقال افتداه ايضا بمعني فداه واسروا
الندامة لما راوا العذاب واظهروها من قولهم اسر الشي اذا اظهره او
اخفوها عجزا عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد وقضي بينهم بين
الظالمين والمظلومين دل علي ذلك ذكر التظالم بالقسط وهم لايظلمون
ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله الا ان لله ما في السموات و
الارض فكيف يقبل الفداء وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب و
العقاب فهو حق بقوله الا ان وعد الله حق كائن ولكن اكثرهم لا يعلمون
هو يحيي ويميت هو القادر علي الاحياء والاماتة لايتعذر عليهما غيره واليه
ترجعون والي حسابه والي جزائه المرجع فيخاف ويرجي يا ايها الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة

وتنبيه

وتنبيه علي التوحيد والموعظة التي تدعوا الي كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب
اذ المامور يقتضي حسن المامور به اي فيكون مرغوبا وهو يقتضي النهي عن
ضده وهو قبيح وعلي هذا في النهي وشفاء لما في الصدور اي صدوركم
من العقائد الفاسدة وهدي من الضلالة ورحمة للمؤمنين لمن آمن
منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اصل الكلام بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل
بالفرح والرحمة دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة
المذكور عليه والفاء داخلة لمعني الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح
او بفضل وبرحمته فليعتنوا بذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام في
الحديث من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر
بين عينيه الي يوم القيمة يلقاه وقرا الاية هو خير مما يجمعون وبالتاء شامي
فليفرحوا يعقوب قل ارايتم اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوب
بانزل او بارايتم اي اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا فبعضتموه و
قلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم علي ازواجنا نعم الارزاق تخرج من الارض ولما كانت اسبابها متعلقة
بالسماء نحو المطر الذي ينبت به الارض النبات والشمس التي تنضج الانزال و
ينع الثمار اضيف انزالها الي السماء قل الله اذن لكم متعلق بارايتم وقل
تكرير للتوكيد والمعني اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم
تفعلون ذلك باذنه ام علي الله تفترون ام تتكذبون علي الله في نسبة ذلك
اليه او الهمزة للانكار وام منقطعة بمعني بل اتفترون علي الله تقريرا للافتراء
والاية زاجرة عن التجوز فيما يسال عن الاحكام وباعثة علي وجوب الاحتياط
فيه وان لايقول احد في شي جايز او غير جايز الا بعد ايقان واتقان والا فهو
مفتر علي الديان وما ظن الذين يفترون علي الله الكذب ينسبون ذلك
اليه يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه اي اي شي ظن المفترين
في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو
وعيد عظيم حيث ان الله لذو فضل علي الناس حيث انعم عليهم بالعقل
ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لايشكرون هذه النعمة

ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شأن ما نافية والخطاب للنبي عليه
الصلوة والسلام والشأن للامر وما تتلوا منه من التنزيل من قرآن لان
كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او من الله عز وجل ولا تعملون
انتم جميعا من عمل اي عمل الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم
اذ تفيضون فيه تخوضون من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب عن
ربك وما يبعد وما يغيب بكسر الزاء على حيث كان من مثقال ذرة وزن
نملة صغيرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر رفعهما حمزة
على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على
نفي الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفي سبأ قدمت السموات لان العطف
بالواو وحكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة او هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي آتاهم فتولوا القيام
بحقه والرحمة لخلقه او هم المتحابون في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
او هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية لا خوف عليهم اذا خاف الناس
ولا هم يحزنون اذا حزن الناس الذين آمنوا منصوب باضمار اعني او لانه
صفة لاولياء او مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هم الذين وكانوا يتقون
الشرك والمعاصي لهم البشرى في الحيوة الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين
في غير موضع من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يريها
المسلم او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
والرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهذا لان مدة الوحي
ثلاث وعشرون سنة وكان في ستة اشهر منها يؤمر في النوم بالانذار وستة
اشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزءا وهي محبة الناس له
والذكر الحسن او لهم البشرى عند النزع بان يرى مكانه في الجنة وفي الآخرة
هي الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اختلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم وكلتا الجملتين اعتراض
ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما يقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وتنفط
ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك و
ابطال امرك ان العزة لله استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل

ان العزة لله ان الغلبة والقهر في ملكة الله لا يملك احد شيئا منها لا هم
ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا
لننصر رسلنا او به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك واهله والوقف لازم
على قولهم لئلا تصير ان العزة مقول الكفار جميعا هو السميع لما يقولون
العليم بما يريدون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من
في السموات ومن في الارض يعني العقلاء وهم الملائكة والثقلان و
خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له في ملكته ولا يصلح احد منهم للربوبية
ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا ولا
شريكا وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية اي وما يتبعون حقيقة
الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون
الا الظن الا ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون
ان يكون شركاء تقديرا باطلا او استفهامية اي واي شيء يتبعون وشركاء
على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة والمحذوف مفعول
يدعون او موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون
من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته
على عباده بقوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي يجعل لكم الليل
مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار والنهار مبصرا مضيئا لتبصروا
فيه مطالب ارزاقكم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع مذكر معتبر
وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمة
الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لانه انما تطلب الولد ضعيفا ليتقوى به
او فقير ليستغني به او ذليل ليتشرف به والكل امارة الحاجة فمن كان غنيا غير
محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد بعض الوالد فيستدعي ان يكون
مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن محتاج الى الغير وكان حادثا فاستحال
القديم ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض ملكا ولا يجتمع
النبوة معه ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة منهم بهذا القول
ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال اتقولون على الله ما لا

تعلمون قل ان الذين يفترون علي الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون
لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا
منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون برياستهم في الكفر ومناصبة النبي
صلي الله عليه وسلم بالتظاهر به قليل ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب
الشديد المخلد بما كانوا يكفرون بكفرهم واتل عليهم واقرأ عليهم نبأ
نوح خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل لصار اذ ظرفا لقوله واتل
بل التقدير واذكر اذ قال لقومه ان كان كبر عليكم عظم وثقل كقوله
وانها لكبيرة الا علي الخاشعين مقامي مكاني يعني نفسه كقوله ولمن خاف مقام
ربه جنتان اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم الف سنة الا خمسين
عاما او مقامي وتذكيري اياكم بآيات الله لانهم كانوا لو عظفوا الجماعة
قاموا علي ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا فعلي
الله توكلت اي فوضت امري اليه فاجمعوا امركم من اجمع الامر اذا نواه وعزم
عليه وشركاءكم الواو بمعني مع اي فاجمعوا امركم مع شركائكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة اي غما عليكم والغم والغمة كالكرب والكربة او ملتبسا في خفية
والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه الحديث لا غمة في فرائض الله اي لا تستر
ولكن يجاهر بها والمعني ولا يكن قصدكم الي اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا
مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا
الي ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه او اصنعوا ما امكنكم ولا
تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصحي فما سألتكم
من اجر فاوجب التولي او فما سألتكم من اجر ففاتني ذلك بتوليكم ان اجري
الا علي الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لله لا
لغرض من اغراض الدنيا وفيه دلالة منع اخذ الاجر علي تعليم القرآن والعلم الديني
وامرت ان اكون من المسلمين من المستسلمين لاوامره ونواهيه ان اجري مدني
وشامي وابو عمرو وحفص فكذبوه فداموا علي تكذيبه فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق و
اغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين هو تعظيم
لما جري عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم عن مثله

وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الي قومهم اي هودا
وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة
لدعويهم فما كانوا ليؤمنوا فاصروا علي الكفر بعد المجيء بما كذبوا به من
قبل من قبل مجيئهم يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين
بالحق فما وقع فصل علي حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم
احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع نختم علي قلوب المعتدين المجاوزين الحد
في التكذيب ثم بعثنا من بعدهم موسي وهرون من بعد الرسل موسي وهرون
الي فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها واعظم
الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها
وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها و
اجترؤوا علي ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من
عند الله قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد
شيء من السحر قال موسي اتقولون للحق لما جاءكم هو انكار ومقولهم محذوف
اي هذا سحر ثم استأنف انكارا آخر فقال اسحر هذا خبر مبتدأ ولا
يفلح الساحرون اي لا يظفر قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا عما وجدنا
عليه آباءنا من عبادة الاصنام او عبادة فرعون وتكون لكما الكبرياء
اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر او العظمة والعلو في الارض في
ارض مصر وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتنا به ويكون حماد و
يحيي وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم سحار حمزة وعلي فلما جاء السحرة
قال لهم موسي القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسي ما جئتم به
السحر ما موصولة واقعة مبتدأ وجئتم صلتها والسحر اي الذي جئتم به هو
السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله السحر بعد وقف ابو
عمرو وعلي الاستفهام فعلي هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم
به اهو السحر ان الله سيبطله يظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته بل يدمره ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه او يظهر
الاسلام بعدايته بالنصرة ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسي في اول
امره الا ذرية من قومه علي خوف من فرعون الا طائفة من ذراري بني

اسرائيل كانه قيل الاولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طايفة من ابنائهم مع الخوف والضمير في قومه
لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه
وماشطته والضمير في وملائهم يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال
ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له او الى الذرية خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم دليله قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون
وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في
الظلم والفساد وفي الكبر والعتو لادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم
في العصمة من فرعون ان كنتم مسلمين شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا
نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لاحظ للشيطان فيها لان التوكل
لا يكون مع التخليط فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا
مخلصين لا جرم ان الله قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من
كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه فعليه
برفض التخليط الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع
فتنة لهم اي يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا اي يضلوننا والفاتن المضل
عن الحق ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي من تبعيدهم وتعذيبهم
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا تبوأ المكان اتخذه مباءة
لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي
مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى
الكعبة وكانوا اول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة
لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على
ذلك في اول الاسلام بمكة واقيموا الصلوة في بيوتكم حتى تأمنوا وبشر
المؤمنين ثني الخطاب اولا لان الاختيار المواضع للعبادة مما يفوض اليه
الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد والصلوة فيها واجب على الجمهور ثم
خص موسى بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت
فرعون وملأه زينة هي ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث واموالا

نقدا

نقدا ونعما وضيعة في الحيوة الدنيا ليضلوا عن سبيلك ليضلوا الناس
عن طاعتك كوفي ولا وقف على الدنيا لان قوله ليضلوا متعلق
باتيت وربنا تكرارا الاول للالحاح في التضرع قال ابو منصور
رحمه الله اذا علم منهم انهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا
عن سبيله وهو كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما فيكون الاية حجة على المعتزلة
ربنا اطمس على اموالهم اي اهلكها واذهب على آثارها لانهم يستعينون
بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والاهلاك قيل صارت دراهمهم و
دنانيرهم حجارة كهيأتها منقوشة وقيل وسائر اموالهم كذلك واشدد
على قلوبهم اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي
هو اشدد حتى يروا العذاب الاليم اي ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك
فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس فلم يقبل وانما دعا لهم بهذا
لما آيس من ايمانهم وعلم بالوحي انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا
يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء لانه ارسل اليهم ليدعوهم الى الايمان
وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا قال قد اجيبت
دعوتكما قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون عليه السلام يؤمن
فثبت ان التامين دعاء فكان اخفاؤه اولى والمعنى ان دعاءكما مستجاب
وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة
والتبليغ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ولا تتبعا طريق الجهلة الذين
لا يعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة
اربعون سنة ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها
بنون التثنية شامي وخطاه بعضهم لان النون الخفيفة واجبة السكون
وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهي او حال وتقديره فاستقيما غير
متبعين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو دليل لنا على خلق الافعال
فاتبعهم فرعون وجنوده فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته بغيا وعدوا تطاولا
وعدوانا ظلما ونصبا على الحال او على المفعول له حتى اذا ادركه الغرق ولا وقف
عليه لان قال آمنت جواب انه حمزة وعلي على الاستيناف بدل من آمنت
وبالفتح غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الايمان لا اله الا الذي آمنت به

بنو اسرائيل وانا من المسلمين فيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد حيث
قال امنت ثم قال وانا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث
عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وكانت المرة الواحدة
تكفي في حال الاختيار آلآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك
الغرق وايست من نفسك قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه اتؤمن وقد
عصيت قبل وكنت من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان
روي ان جبرئيل عليه السلام اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله
ونعمته وكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول
ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان
يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبرئيل خطه فعرفه فاليوم ننجيك نلقيك
بنجوة من الارض فرماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي
في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص
منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك وكانت
له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه بابدانك وهو مثل
قولهم هوى باجرامه اي ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك لانه ظاهر
بدنها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل
وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وقيل اخبرهم موسى
بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك
لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته وان ما كان
يدعيه من الربوبية محال وانه مع ما كان فيه من عظم الملك آل امره الى ما ترون
لعصيانه ربه فما الظن بغيره وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد
بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو المصر والشام ورزقناهم
من الطيبات فما اختلفوا في دينهم حتى جاءهم العلم اي التوراة وهم
اختلفوا في تاويلها كما اختلف امة محمد صلى الله عليه وسلم في تاويل الايات في
القرآن او المراد العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل
الكتاب اختلافهم في صفته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم انه هو ان
ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون تمييز الحق من المبطل

ويجزي كلا جزاءه فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك لما قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم
لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التورية والانجيل وهم يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم اراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه الصلوة
والسلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من
خالجته شبهة ان يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وادلته او بمباحثة
العلماء فاسأل علماء اهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث
يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالرسوخ
في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال
لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات الواضحة والبراهين اللائحة
ما اتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا
وقف عليه للعطف ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من
الخاسرين اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب
بآيات الله او هو على طريقة التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد
انه الحق او خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد امته اي وان كنتم في
شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا او الخطاب لكل سامع
يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن او ان للنفي اي فما كنت في
شك فاسأل اي لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد
ابراهيم عليه الصلوة والسلام بمعاينة احياء الموتى فان قلت انما يجيء
ان للنفي اذا كان بعده الا كقوله ان الكافرون الا في غرور قلت ذاك غير لازم
الا ترى الى قوله ان امسكهما من احد من بعده فان للنفي وليس بعده الا ان الذين
حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح
واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا او قوله لاملأن جهنم الآية ولا وقف
على لا يؤمنون لان ولو جاءتهم كل آية يتعلق بما قبلها حتى يروا العذاب
الاليم اي عند اليأس فيؤمنون فلا ينفعهم او عند الصحة فلا يقبل منهم

فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها
تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان
اخذ بخنقه فنفعها ايمانها بان تقبل الله منها لوقوعه لا وقت الاختيار الا
قوم يونس استثناء من القرى وهو استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس
او متصل والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم
يونس وانتصابه على اصل الاستثناء لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه الصلوة
والسلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا
فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وبرزوا
الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء و
الصبيان والدواب واولادها فحن بعضها الى بعض واظهروا الايمان والتوبة
فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وبلغ من توبتهم ان ترادوا
المظالم حتى ان الرجل يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل
خرجوا لما نزل بهم العذاب الى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا يا حي حين
لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن
الفضيل قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل افعل بنا ما انت
اهل ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض على وجه
الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطيعين عليه لا يختلفون فيه
اضبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لآمن من في الارض كلهم ولكنه
شاء من يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر لمن علم انه يختار
الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والالجاء اي لو خلق
فيهم الايمان جبرا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في
الايمان انما ذلك الي لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل
بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتاويله عندنا ان الله لطفا لو
اعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون فلم يعطهم
ذلك وهو التوفيق والاستفهام في افانت بمعنى النفي اي لا تملك انت يا محمد

ان تكرههم

ان تكرههم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يكون الاقرار
عن التصديق وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله بمشيئته او بقضائه
او بتوفيقه وتسهيله او بعلمه ويجعل الرجس اي العذاب او السخط او الشيطان
اي ويسلط الشيطان على الذين لا يعقلون لا ينتفعون بعقولهم ويجعل
حماد ويحيى قل انظروا انظر استدلال واعتبار ماذا في السموات والارض
من الايات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار و
ما تغني الايات ما نافية والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن
قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم يعني وقايع الله فيهم كما يقال ايام
العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا
معطوف على كلام محذوف يدل عليه الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه
قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا
ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين اي مثل ذلك الانجاء ننجي
المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض اي حق ذلك علينا
حقا ننجي بالتخفيف علي وحفص قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في
شك من ديني وصحته وسداده وهذا ديني فاسمعوا وصفه ثم وصف
دينه فقال فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي الاصنام و
لكن اعبد الله الذي يتوفيكم يميتكم وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق
بان يخاف ويتقى ويعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين
اي بان اكون يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي
في كتابه وان اقم وجهك للدين اي واوحي الي وان اقم ليشاكل قوله
امرت اي استقم مقبلا بوجهك على ما امرك الله او ليستقم اليه ولا تلتفت
يمينا ولا شمالا حنيفا حال من الدين ولا تكونن من المشركين ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ان دعوته ولا يضرك ان خذلته فان فعلت
فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك
اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال
عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك

وان يمسسك الله يصيبك بضر مرض فلا كاشف له لذلك الضر
الا هو الا الله وان يردك بخير عافية فلا راد لفضله فلا راد لمراده
يصيب به بالخير من يشاء من عباده قطع بهذه الاية على عباده طريق
الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد عليه وهو الغفور المكفر بالبلاء الرحيم
المعافى بالعطاء اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا
تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا
هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذا ان اراد بخير
لم يرد احد ما يريده بك من الفضل والاحسان فكيف بالاوثان فهو الحقيق
اذا بالتوجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وانما ذكر المس في
احدهما والارادة في الاخر لانه كانه اراد ان يذكر الامرين الارادة والاصابة
في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به
منهما فاوجز بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما
ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده
قل يا ايها الناس يا اهل مكة قد جاءكم الحق القران او الرسول من ربكم
فمن اهتدي اختار الهدي واتبع الحق فانما يهتدي لنفسه فما نفع باختياره
الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه ودل
اللام وعلى على معنى النفع والضر وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي
امركم انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر على تكذيبهم وايذائهم
حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم وبالغلبة وهو خير الحاكمين لانه المطلع
على السرائر فلا يحتاج الي بينة وشهود

الر كتاب اي هذا كتاب فهو خبر مبتدا محذوف احكمت اياته صفة
اي نظمت نظما رصينا لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم ثم فصلت
كما تفصل القلائد بالفرايد من دلايل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص
او جعلت فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم ينزل جملة
او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وليس معنى ثم التراخي في الوقت

ولكن في الحال من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او
صلة وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها الا تعبدوا الا الله
مفعول له اي لان لا تعبدوا وان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول
كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه
نذير وبشير اي من الله وان استغفروا ربكم اي امركم بالتوحيد و
الاستغفار ثم توبوا اليه اي استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة
يمتعكم متاعا حسنا بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من
عيشة واسعة ونعمة متتابعة الي اجل مسمى الي ان يتوفيكم ويؤت كل ذي
فضل فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء
فضله لا يبخس منه وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
هو يوم القيمة الي الله مرجعكم رجوعكم وهو على كل شيء قدير فكان
قادرا على اعادتكم الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون
عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثني عنه
صدره وطوي كشحه ليستخفوا منه ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم الا حين يستغشون ثيابهم يتغطون بها
يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله
كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم يعلم
ما يسرون وما يعلنون اي لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا
وجه لتوصلهم الي ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم
واستغشاهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده قيل نزلت في المنافقين انه
عليم بذات الصدور بما فيها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
تفضيلا لا وجوبا ويعلم مستقرها مكانه من الارض ومسكنه ومستودعها
حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في كتاب مبين
كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني
ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والارض اي وما بينهما
في ستة ايام من الاحد الي الجمعة تعليما للتاني وكان عرشه على الماء
اي فوقه يعني ما كان فوقه خلق قبل خلق السموات والارض الا الماء وفيه دليل

انهم

على
ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض قيل بدأ بخلق
ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فاقر الماء على متنه فكان
ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء اعظم اعتبار لاهل الا
ليبلوكم اي خلق السموات والارض وما بينهما ليمتحن فيها ولم يخلق هذه
الاشياء لانفسها ايكم احسن عملا اكثر شكرا وعنه عليه الصلوة والسلام احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فمن شكر واطاع اثابه
ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم اي ليفعل
بكم ما يفعل المبتلي باحوالكم كيف تعملون ولئن قلت انكم مبعوثون من
بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اشاروا بهذا الى
القرآن لان القرآن الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار
ما فيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلي تريدون الرسول والساحر كاذب
مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الاخرة او عذاب يوم بدر الى امة
الى جماعة من الاوقات معدودة معلومة او قلائل والمعنى الى حين معلوم
ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعمالا على وجه التكذيب والاستهزاء
الا يوم ياتيهم العذاب ليس العذاب مصروفا عنهم يوم منصوب بمصروفا
اي ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا
به يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء
ولئن اذقنا الانسان هو للجنس منا رحمة نعمة وصحة وامن وجدة واللام
في لئن لتوطية القسم ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم
انه ليئوس شديد الياس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع
رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه كفور عظيم الكفران
لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساه له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله ليقولن ذهب السيئات عني
اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من
نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا في المحنة والبلاء
وعملوا الصالحات وشكروا في النعمة والرخاء اولئك لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير يعني الجنة كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا

لانهم

لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في ارشادهم
ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون
بالقران ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه لاداء الرسالة وطرح
المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة
ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ولم يقل
ضيق ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لانه عليه الصلوة والسلام
كان افسح الناس صدرا لانه اشكل شاكل تارك ان يقولوا مخافة ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز او جاءه ملك هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز
لننفقه والملائكة لتصدقه ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه انما
انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما
امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا والله على كل شيء قدير
يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك
اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى
استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم ام يقولون ام منقطعة
افتراه الضمير لما يوحى اليك قل فاتوا بعشر سور مثله تحداهم اولا بعشر سور
ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر
نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عنه قال قد اقتصرت منك على سطر
واحد مثله في الحسن والجزالة ويعني مثله امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد
منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القران واختلقته من
عندك وليس من عند الله ارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من
عند نفسي فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب
فصحاء مثلي وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل
بعلم الله وان لا اله الا هو اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم
معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله

وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع على الخطاب بعد
افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل للذين الجمع لتعظيم الرسول اولان
رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم او لان الخطاب للمشركين والضمير
في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون
الله الى المظاهرة على المعارضة لعلمه بالعجز عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي
باذنه او بامره فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة
ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا
يقينا على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون من
كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا
يبخسون نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو
ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار والمنافقون اولئك
الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الاخرة
ما صنعوه او صنيعهم اي يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به
الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في
نفسه باطلا لانه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له افمن كان على بينة
من ربه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي يعقبونهم في المنزلة
ولا يقاربونهم يعني ان بين الفريقين تباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود
كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان
دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد يشهد
بصحته وهو القرآن منه من الله او من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن
قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل
القرآن كتاب موسى اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة
على المنزل اليهم وهما حالان اولئك من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر
به بالقرآن من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فالنار موعده مصيره ومورده فلا تك في مرية شك منه من
القرآن او من الموعد انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم محبوسون في الموقف

ويعرض

ويعرض اعمالهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وتشهد
عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا
وشريكا الا لعنة الله على الظالمين الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد
كاصحاب وصاحب او شهيد كشريف واشراف الذين يصدون عن سبيل
الله يصرفون الناس عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي
مستقيمة او يبغون اهلها ان يعودوا بالارتداد وهم بالاخرة هم كافرون
هم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد
عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء من يتولاهم فينصرهم
منه او يمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم
وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب لانهم اضلوا الناس عن دين
الله يضعف مكي وشامي ما كانوا يستطيعون السمع اي استماع الحق وما
كانوا يبصرون الحق اولئك الذين خسروا انفسهم حيث اشتروا عبادة
الالهة بعبادة الله وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا
يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
للصد والصدود في لا جرم اقوال احدها ان لا رد للكلام السابق اي ليس
الامر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وانهم في الاخرة في محل النصب
والتقدير كسب قولهم خسرانهم في الاخرة وثانيها ان لا جرم كلمتان ركبتا
فصار معناهما حقا وان موضع رفع بانه فاعل حق اي حق خسرانهم وثالثها
ان معناه لا محالة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
واطمانوا اليه وانعطفوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض
المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق
المؤمنين بالبصير والسميع هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها و
هو المنصب على التمييز افلا تذكرون فينتفعوا بضرب المثل وبالتخفيف
حمزة وعلي وحفص ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي باني
والمعنى ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما

فردون

اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وكسر الالف شامي ونافع و
عاصم وحمزة على ارادة القول ألا تعبدوا الا الله ان مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم باليم من
الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فقال الملأ الذين كفروا من قومه
يريد الاشراف انهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام
والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا ارادوا انه كان ينبغي ان يكون
ملكا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع الارذل
بادي وبالهمز ابو عمرو الرأي وبغير همز ابو عمرو اي اتبعوك ظاهر
الراي او اول الراي من بدا يبدو اذا ظهر او بدأ يبدأ اذا فعل الشيء اولا و
انتصابه على الظرف اصله وقت حدوث ظاهر رأيهم او اول رأيهم فحذف
ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك شيء عن لهم بديهة
من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم
وتأخرهم بالاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين
بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل
عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل
يضعه وما نرى لكم علينا من فضل في مال ورأي عنوا نوحا واتباعه بل
نظنكم كاذبين نوحا في الدعوة ومتبعيه في الاجابة والتصديق يعني تواطأتم
على الدعوة والاجابة تسبيبا للرياسة قال يا قوم أرأيتم اخبروني ان كنت
على بينة برهان من ربي وشاهد منه يشهد لصحة دعواي وآتاني رحمة
من عنده يعني النبوة فعميت عليكم خفيف فعميت حمزة وعلي وحفص اي
اخفيت اي فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة
بقوا بلا هاد وحقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى
لا يهتدي ولا يهدي غيره أنلزمكموها اي الرحمة وانتم لها كارهون لا
تريدونها والواو دخلت هنا تتمة للميم وعن ابن عمرو اسكان الميم ووجهه
ان الحركة كانت خفيفة فظنها الراوي سكونا وهو لحن لان الحركة الاعرابية
لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر ويا قوم لا اسئلكم عليه على تبليغ الرسالة

لانه مدلول

لانه مدلول قوله اني لكم نذير مالا اجرا يثقل عليكم ان اديتم او على ان ابيتم
ان اجري مدني وشامي وابو عمرو وحفص الا على الله وما انا بطارد الذين
آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به انفة من المجالسة معهم انهم
ملاقوا ربهم فيشكونني اليه ان طردتهم ولكني اريكم قوما تجهلون
تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل او تجهلون لقاء ربكم او انهم
خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم
افلا تذكرون تتعظون ولا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي
فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي لقولكم وما نرى لكم علينا من
فضل ولا اعلم الغيب حتى اطلع الغيب على ما في نفوس اتباعي وضماير
قلوبهم وهو معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله
ولا اقول انا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا
بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا احكم على من استرذلتهم
من المؤمنين لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه
مساعدة لكم ونزولا من هويكم الله اعلم بما في انفسهم من صدق الاعتقاد
وانما علي قبول ظاهر اقرارهم اذ لا اطلع على خفي اسرارهم اني اذا لمن الظالمين
ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه واصله
تزتري فابدلت التاء دالا قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت
جدالنا فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في وعيدك
قال انما يأتيكم به الله ان شاء اي ليس الاتيان بالعذاب الي وانما هو الى
من كفرتم به وما انتم بمعجزين اي لم تقدروا على الهرب منه ولا ينفعكم نصحي
هو اعلام موضع الغي ليتقى والرشد ليقتفى ولكن اي نصحي مدني وابو عمرو
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وهذا
شرط دخل على شرط ويكون الثاني مقدما في الحكم لما عرف تقديره ان كان
الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وهو دليل بين
في ارادة المعاصي هو ربكم فيتصرف فيكم على قضية ارادته واليه ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه بل اتقولون افتراه قل ان
افتريته فعلي اجرامي اي ان صح اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي

يقال اجرم الرجل اذا اذنب وانا بريء اي ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم و
اوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن اقناط من ايمانهم
وانه غير متوقع وفيه دليل على ان للايمان حكم التجدد لانه قال الا الذي
امن يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادة التي ذكرت في الايمان
في القران فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مسكين والابتئاس
من افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوا من تكذ
وايذائك فقد حان وقت انتقام اعدائك واصنع الفلك باعيننا هو في
موضع الحال اي اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا
تكلاه ان يزيغ في صنعته عن الصواب ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف
تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحي الله اليه ان يصنعها
مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك
واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق
فقد قضي به وجف القلم فلا سبيل الى كفه انهم مغرقون ويصنع الفلك حكاية حال ماضية
وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في
برية في ابعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح قد صرت
ملاحا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم عند رؤية الهلاك
كما تسخرون عند رؤية الفلك روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من
خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع او الفا ومائتي ذراع و
عرضها خمسون ذراعا او ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلثون ذراعا وجعل
لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي الاوسط
الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من
الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء فسوف
تعلمون من يأتيه من في محل النصب تعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه
عذاب يخزيه يعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل
عليه وينزل عليه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هي التي تبتدأ بعدها الكلام
ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله ويصنع الفلك اي فكان يصنعها

الي ادجاء وقت الموعد وما بينهما من الكلام حال من يصنع اي يصنعها
والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف
على تقدير سؤال سائل او قال الجواب وسخروا بدل من مر او صفة لملأ اذا جاء
امرنا عذابنا وفار التنور هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل التنور
وجه الارض قلنا احمل فيها في السفينة من كل زوجين اثنين بغيره في سورة
المؤمنين واهلك الا من سبق عليه القول عطف على اثنين وكذا ومن امن
اي واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثني من اهله من سبق عليه القول
انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لتقديره
وارادته جعل خالق العباد عن ان يقع في الكون خلاف ما اراد وما امن معه
الا قليل قال عليه الصلوة والسلام كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة
ونساؤهم وقيل كانوا سبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال
اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو اي
اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان
المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت
المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها جملة
برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني ان نوحا عليه السلام امرهم
بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها بذكر اسم الله اي باسم الله اجراؤها و
ارساؤها وكان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال
بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى اما مصدرا او وقتا حمزة و
علي وحفص ان ربي لغفور لمن امن منهم رحيم حيث خلصهم وهي تجري بهم
متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله
وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان وهو جمع
موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة
فيه شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها ونادى نوح ابنه كنعان
وقيل يام والجمهور على انه ابنه الصلبي وقيل كان ابن امرأته وكان في معزل
عن ابيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده او في معزل عن دين ابيه

يا بنيّ بفتح الياء عاصم اقتصاراً عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة من
قولك يا بنيا غيره بكسر الياء اقتصاراً عليه من ياء الاضافة اركب معنا في
السفينة اي اسلم واركب ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل
يعصمني من الماء يمنعني من الغرق قال لا عاصم اليوم من امر الله الا
من رحم ربي الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا
من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل
عاصماً من الماء قال له لا يعصمك معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد
وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل
ولكن من رحم الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وحال
بينهما الموج بين ابنه والجبل او بين نوح وابنه فكان من المغرقين فصار
وكان في علم الله وقيل يا ارض ابلعي ماءك انشفي واشربي والبلع النشف
ويا سماء اقلعي امسكي وغيض الماء نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم و
متعد وقضي الامر انجز ما وعد الله نوحاً من اهلاك قومه واستوت واستقرت
السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة اشهر على الجودي وهو جبل بالموصل و
قيل بعداً للقوم الظالمين اي سحقاً لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعداً
وبعداً اذا اراد البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك اختص بدعاء
السوء والنظر في هذه الآية من اربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها
من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول انه تعالى لما اراد ان
يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان
السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضي امر نوح
وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي وان نسوّي السفينة على الجودي
فاستوت وابقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه
لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد في الامر الجزم النافذ في تكوين المقصود
تصويراً لاقتداره العظيم وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيهما ما يشاء
غير ممتنعة لارادته فيهما تغييراً وتبديلاً كانهما عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته
واحاطوا علماً بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم
في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل

المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القايل وجعل قرينة المجاز الخطاب
للجماد وهو الارض والسماء ثم قال مخاطباً لهما يا ارض ويا سماء على سبيل الاستعارة
للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء في الارض من البلع الذي هو اعمال الجاذبة
في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيهاً
له بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات تقوي الآكل بالطعام ثم قال
ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال
الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل
للشبه بينهما في عدم الثاني ثم قال وغيض الماء وقضي الامر واستوت على
الجودي وقيل بعداً ولم يصرح لمن غاض الماء ولا لمن قضى الامر وسوى السفينة
وقال بعداً كما لم يصرح بقايل يا ارض ويا سماء سلوكاً في كل واحد من ذلك
بسبيل الكناية ان تلك الامور العظام لا يكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين
مكوّن قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول
غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يكون الغايض والقاضي والمسوي
غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً
لانفسهم اظهاراً لمكان السخط وان ذلك العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم
ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فايدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم و
تأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يا دون اخواتها لكونها اكثر استعمالاً
ولدلالتها على بعد المنادي الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت
وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادي المؤذن بالتهاون به ولم يقل
يا ارضي لزيادة التهاون اذ الاضافة يستدعي القرب ولم يقل يا ايتها الارض
للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وادور واختير ابلعي
على ابتلعي لكونه اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعي وقيل اقلعي ولم يقل
عن المطر وكذا لم يقل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فاقلعت
اختصاراً فاختير غيض على غيّض وقيل الماء المآء دون ان يقال ماء الطوفان
والامر وان لم يقل امر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف
العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي اي اقرت على نحو قيل وغيض اعتباراً
لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم ارادة للمطابقة ثم قيل

بعدا للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتاكيد مع الاختصار هذا من حيث
النظر الي تركيب الكلم واما من حيث النظر الي ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء
على الامر فقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض واقلعي
يا سماء جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مامورا حقيقة من تقديم التنبيه
ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادي قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم
قدم امر الارض على امر السماء وابتدئ به لابتداء الطوفان منها ثم اتبع
غيض الماء لاتصاله بقصة الماء واخذه بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود من
القصة وهو قوله وقضى الامر اي انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء نوح
ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي
كما ترى نظم المعاني لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر
في طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الي المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية
فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة من التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة
على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل في
الحلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم اطبق المعاندون على ان طوق البشر قاصر
من الاتيان بمثل هذه الاية ولله در شأن التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته
الا ادرك لطايف لا يسع الحصر ولا تظنن الاية مقصورة على المذكور فلعل
المتروك اكثر من المسطور **ونادى نوح ربه فقال رب** نداؤه ربه دعاؤه
له وهو قوله رب ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله **ان ابني من اهلي** اي
من بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله **وان
وعدك الحق** وان كل وعد بعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه
والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي **وانت احكم الحاكمين**
اي اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب
غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة
ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر **قال يا نوح انه ليس من اهلك** ثم
علل لانتفا كونه من اهله بقوله **انه عمل غير صالح** وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة
لقرابة النسب وان نسيبك في دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد
بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمها كقولها فانما هي اقبال

وادبار او التقدير انه ذو عمل وفيه اشعار بانه انما انجي من انجي من اهله
لصلاحهم لا لانهم اهله وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه ابوته عمل
غير صالح علي اي عملا غير صالح قال الشيخ ابو منصور رحمه الله كان عند نوح
عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافق والا لا يحتمل ان يقول ان
ابني من اهلي ويساله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا
تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فكان يسال على الظاهر الذي عنده
كما كان اهل النفاق يظهرون الموافقة لرسولنا عليه الصلوة والسلام ويضمرون
الخلاف له ولم يعلم ذلك حتى اطلعه الله اليه عليه وقوله ليس من اهلك اي
من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر **فلا
تسالن** اجتزاء بالكسرة من الياء كوفي تسالني بصري نسالني مدني تسالن شا
بحذف الياء واجتزاء بالكسرة والنون نون التاكيد تسالن مكي **ما ليس لك
به علم** بجواز مسالته **اني اعظك ان تكون من الجاهلين** هو كما نهي لرسولنا
عليه الصلوة والسلام قوله فلا تكونن من الجاهلين **قال اني اعوذ بك ان
اسئلك ما ليس لي به علم** اي ان اطلب منك في المستقبل ما لا علي بصحته تادبا
بادبك واتعاظا بموعظتك **والا تغفر لي** ما فرط مني **وترحمني** بالعصمة من العود
الي مثله **اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا** بتحية منا او
سلامة من الغرق **وبركات عليك** هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته
واتباعه فقد جعل اكثر الانبياء من ذريته وايمة الدين في القرون الباقية
من نسله **وعلى امم ممن معك** من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه في
السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم يتشعب منهم او لابتدا
الغاية اي على امم ناشية ممن معك وهي الامم الي اخر الدهر وهي الوجه **وامم** رفع
بالابتداء **سنمتعهم** في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة و
الخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان ممن معك
يدل عليه **ثم يمسهم منا عذاب اليم** اي في الاخرة والمعنى ان السلام منا و
البركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشاون ممن معك وممن معك امم ممتعون
بالدنيا منقلبون الي النار وكان نوح اب الانبياء والخلق بعد الطوفان من
منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤ

ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من التابع والعذاب كل كافر تلك اشارة
الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي من انباء
الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك اخبار اي تلك القصة
بعض الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا الوقت
او من قبل الخلق اليك واخبارك بها فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما
صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه ان العاقبة
في الفوز والنصر والغلبة للمتقين عن الشرك والى عاد اخاهم هودا واحدا
منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا اي وارسلنا الى عاد اخاهم هودا
عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحدوه ما لكم من اله غيره بالرفع
صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون
على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ويا قوم لا اسئلكم عليه اجرا
ان اجري الا على الذي فطرني ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول
لان شانهم النصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم
شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا
الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا
ربكم امنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا
حال اي الكثيرة الدرور ويزدكم قوة الى قوتكم انما قصد استمالتهم الى
الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وبساتين و
كانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة البطش والقوة وقيل
اراد القوة في المال او على النكاح وقيل حبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت
ارحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والاولاد على الايمان والا
ستغفار وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج قال له
بعض حجابه اني رجل ذو مال ولا يولد لي علمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال
عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم
قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود
ويزدكم قوة الى قوتكم وقال نوح يمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا

عني

عني وعما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم قالوا يا هود ما
جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته الحصر وما نحن بتاركي الهتنا
عن قولك هو حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين
عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك
فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء ان حرف نفي فنفى جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك اصابك
بعض الهتنا بسوء بجنون وخبل وتقديره ما نقول قولا الا هذه المقالة اي الا
قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه اي من اشراككم الهة من دونه والمعنى اني اشهد الله
اني بريء مما تشركون واشهدوا انتم ايضا اني بريء من ذلك وجيء به على لفظ
الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني
لا احبك تهكما واستهانة بحاله فكيدوني جميعا انتم والهتكم ثم لا تنظرون
لا تمهلون فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي و
كيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف ينتقم مني اذ نلت
منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي اني توكلت على الله
ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي مالكها ولما ذكر توكله
على الله وثقته وكلائته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال
ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره
وسلطانه والاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم
ان ربي على الحق لا يعدل عنه او ان ربي تدل على صراط مستقيم فان تولوا
فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم
ويستخلف ربي قوما غيركم كلام مستأنف اي ويهلككم الله ويجيء بقوم
اخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر
قط اذ لا يجوز عليه المضار وانما تضرون انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ
رقيب عليه مهيمن مما يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان
رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه من

المضاف لم يضع مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا
وكانوا اربعة الآف برحمة منا اي بفضل منا لا بعملهم او بالايمان الذي
انعمنا عليهم ونجيناهم من عذاب غليظ وتكرار نجينا للتاكيد ولئلا
من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه وتلك عاد اشارة الي قبورهم و
اثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف
وصف احوالهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا
رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق احدا من رسله واتبعوا امر كل
جبار عنيد يريد رؤسائهم ودعاتهم الي تكذيب الرسل لانهم الذين
يجبرون الناس علي الامور ويعاندون ربهم ومعني اتباع امرهم طاعتهم
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة لما كانوا تابعين لهم دون
الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين الا ان عادا كفروا ربهم الا
بعدا لعاد تكرار لا مع النداء علي كفرهم والدعاء عليهم بهويل الامرهم
وبعث علي الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد
هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة علي انهم كانوا متاهلين له قوم
هود عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عادا عادان القديمة التي هي قوم هود
والقصة فيهم والاخري ارم والي ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض لم ينشئكم الا هو و
انشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم واستعمركم فيها
وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها واستعمركم من العمر اي اطال اعماركم
فيها وكانت اعمارهم من ثلاثمائة الي الف وكان ملوك فارس قد اكثروا
من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم
فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحي اليه انهم عمروا
بلادي فعاش فيها عبادي فاستغفروه فاسئلوا مغفرته بالايمان ثم توبوا
اليه انه قريب داني الرحمة مجيب لمن دعاه وقالوا يا صالح لقد كنت فينا
فيما بيننا مرجوا من قبل هذا للسيادة والمشاورة في الامور وكنا نرجوا ان
تدخل في ديننا وتوافقنا علي ما نحن عليه اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
حكاية حال ماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد مريب موقع

في الريبة من اراب اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة
قال يا قوم ارايتم ان كنت علي بينة من ربي واتاني منه رحمة نبوة اتي
بحرف الشك مع انه علي يقين انه علي بينة بني علي الحقيقة وانظروا الي ما
بعثكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذاب
الله ان عصيته في تبليغ رسالته ومنعكم من عبادة الاوثان فما تزيدونني
بقولكم اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير تخسير نسبتكم اياي الي
الخسار او نسبتي اياكم الي الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية نصب
علي الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معني الفعل ولكم يتعلق
بانه حال منها مقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب
علي الحال فذروها تاكل في ارض الله اي ليس عليكم رزقها مع ان لكم
نفعها ولا تمسوها بسوء عقر او نحر فياخذكم عذاب قريب عاجل فعقروها يوم
الاربعاء فقال صالح تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمي البلاد
الديار لانه يدار فيها اي يتصرف او في دار الدنيا ثلاثة ايام ثم تهلكون
فهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فاتسع في
الظرف بحذف الحرف واجرائه مجري المفعول به او وعد غير مكذوب علي
ان المكذوب مصدر كالمفعول فلما جاء امرنا بالعذاب او عذابنا نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا قال الشيخ رحمه الله هذا يدل علي ان
من نجي انما نجي برحمة الله لا بعمله كما قال عليه الصلوة والسلام لا يدخل احد
الجنة الا برحمة الله ومن خزي يومئذ باضافة الخزي الي اليوم وانجرار اليوم
بالاضافة وبفتحها مدني وعلي لانه مضاف الي اذ وهو مبني وظروف الزمان
اذا اضيفت الي الاسماء المبهمة والافعال المبهمة والافعال الماضية بنيت
واكتست البناء من المضاف اليه كقوله علي حين عاتبت الشيب علي الصبي والواو
للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذله وفضيحته ولا خزي
اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز ان يريد بيومئذ
يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ان ربك هو القوي
القادر علي تنجية اوليائه العزيز الغالب باهلاك اعدائه واخذ الذين
ظلموا الصيحة اي صيحة جبرئيل عليه السلام فاصبحوا في ديارهم منازلهم

جاثمين ميتين كان لم يغنوا فيها لم يقيموا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم ثمود حمزة وحفص الا بعدا لثمود على فا الصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه التعريف والتأنيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا جبرئيل وميكائيل واسرافيل او جبرئيل مع احدى عشر ملكا ابراهيم بالبشرى هي البشارة بالولد بهلاك قوم لوط والاول اظهر قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام سلم حمزة وعلي بمعنى السلم فما لبث ان جاء بعجل فما لبث في المجي به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالحجارة المحماة فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم نكر وانكر بمعنى وكانت عادتهم انه اذا امس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليهم او لتعذيب قوم دليله واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم خوفا قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهما او على رؤسهم تخدمهم فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب او فحاضت فبشرناها باسحاق وخصت بالبشارة لان النساء اعظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل ومن وراء اسحق ومن بعده يعقوب بالنصب شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه بشرناها او فبشرناها باسحاق ووهبنا له يعقوب من وراء اسحق والرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد قالت يا ويلتا الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين سنة وهذا بعلي شيخا ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلي خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التي دلت عليه ذا ومعنى التنبيه الذي دل عليه ها ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة قالوا أتعجبين من امر الله قدرته وحكمته وانما انكرت الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا

يزدهي

يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارة الملائكة حيث قالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص انه حميد محمود بتعجيل النعم مجيد ظاهر الكرم بتأجيل النقم فلما ذهب عن ابراهيم الروع الفزع وهو ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه وجاءته البشرى بالولد يجادلنا في قوم لوط في معناهم اي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى فرغ للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره اقبل او يجادلنا جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه او كثير الاحتمال ممن اذاه الصفوح عمن عصاه اواه كثير التأوه من خوف الله منيب تائب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لابيه فقالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك انه قد جاء امر ربك قضاؤه وحكمه وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باتيهم الفاعل وهو آتيهم تقديره وانهم يأتيهم عذاب ثم خرجوا من عند ابراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية ابراهيم وبين قوم لوط اربعة فراسخ ولما جاءت رسلنا لوطا لما اتوه ورأى هيآتهم وجمالهم سيء بهم احزن لانه حسبهم انسا فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم

نها

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا تمييز اي ضاق بمكانهم صدره وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
شديد وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط
اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر
هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية من الارض عملا
قال ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك فخرجت امراته فا
بهم قومها وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ يسرعون كانما يدفعون دفعا وَ
مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفوا
حش ومرنوا عليها عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا
حياء قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكر
وكان تزويجات المسلمات من الكفار جايزا في ذلك الوقت كما جاء في
الابتداء في هذه الامة وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه
من عتبة بن ابي لهب وابي العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطا
فاراد لوط ان يزوجهما ابنتيه هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ احل هؤلاء مبتداء وبناتي
وهن اطهر مبتداء وخبر فَاتَّقُوا اللَّهَ بايثارهن عليهم وَلَا تُخْزُونِ ولا تهينو
ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء وبالياء ابو عمرو
في الوصل فِي ضَيْفِي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره خز
الرجل وذلك من عراقة الكرام واصالة المروة أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
اي رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء قَالُوا
لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ حاجة لان نكاح الاناث امر خارج من
مذهبنا فمذهبنا اتيان الذكران وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ عنوا اتيان الذكور
وما لهم فيه من الشهوة قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
جواب لو محذوف اي لفعلت بكم وصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسي
او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز
بالركن من الجبل في شدته ومنعته روي انه اغلق بابه حتى خاف او جعل يراد
ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملايكة ما لقي لوط
من الكرب قَالُوا يَا لُوطُ انك ركنك لشديد إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ فافتح الباب و
دعنا واياهم ففتح الباب ودخلوا واستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن

فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال تعالى فطمسنا
اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط
قوم سحرة لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ جملة موضحة التي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم
يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فَأَسْرِ بالوصل حجازي من سرى بِأَهْلِكَ
بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ طايفة منه او نصفه وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ بقلبه الى
ما خلف او لا ينظر الى ما وراءه او يتخلف منكم احد إِلَّا امْرَأَتَكَ مستثنى
من فاسر باهلك وبالرفع مكي وابو عمرو على البدل من احد وفي اخرا
مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد
الا هي فلما سمعت هذه العذاب التفتت فقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها
وروي انه امر بان يخلفها مع قومها بان هواها اليهم فلم يسر بها واختلا
القراتين لاختلاف الروايتين إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ اي ان الامر وروي
انه قال متى موعد هلاكهم قالوا قال إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ فقال اريد اسرع
من ذلك فقالوا أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَا
جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها اي اسفل قراها ثم رفعها الى
السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديوك ثم قلبها عليهم
واتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ
هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين مَنْضُودٍ اي متتابع
او مجموع معد للعذاب مُسَوَّمَةً نعت لحجارة اي معلمة للعذاب قيل مكتوب
على كل واحد اسم من يرمى به عِنْدَ رَبِّكَ في خزائنه او في حكمه وَمَا هِيَ مِنَ
الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ بشيء بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا
وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة او الضمير للقرى اي هي قريبة
من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا هو اسم
مدينتهم او اسم جدهم مدين بن ابراهيم اي وارسلنا شعيبا اي ساكني مدين
او الى بني مدين قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ المكيل بالمكيال والموزون بالميزان إِنِّي أَرَاكُمْ
بِخَيْرٍ بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف اراكم بنعمة من الله حقها ان

جها

فلما

نقابل بغير ما تفعلون وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ مهلك من قوله
واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستيصال في الدنيا
او عذاب الاخرة وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ اتموهما بِالْقِسْطِ بالعدل
نهوا اولا عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد
الامر في الايفاء الذي هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه وجيء به مقيدا
بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ البخس النقص كانوا ينقصون من اثمان ما
يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
العثي والعيث اشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل فيجوز ان
يجعل البخس والتطفيف عثيا منهم في الارض بَقِيَّتُ اللَّهِ ما يبقى لكم من الحلال
بعد التنزه عما هو حرام عليكم خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بشرط ان تؤمنوا
نعم بقية الله خير للكفرة ايضا لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف
الا ان فايدتها تظهر مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا
يظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان
وتنبيه على جلالة شانه او المراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح
به اياكم وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس قَالُوا
يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ وبالتوحيد كوفي غير ابي بكر تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ كان شعيب عليه السلام
كثير الصلوة وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا وكان يقول انها
من المحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء اصلوتك تامرك
ان تامرنا بترك عبادة ما كان يعبد اباؤنا وان نترك التبسط في اموالنا بما
نشاء من ايفاء ونقص وجاز ان تكون الصلوة آمرة مجازا كما سماها الله تعالى
ناهية مجازا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ اي السفيه الضال وهذه تسمية
على القلب استهزاء او انك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ من لدنه رِزْقًا
حَسَنًا يعني النبوة والرسالة او مالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب
ارايتم محذوف اي اخبروني ان كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة

ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا
يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا عن الماء اذا قصده وانت
مولّ عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا
عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه
واردا وانا ذاهب عنه صادرا وهو قوله وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ
عَنْهُ يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم
إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري
بالمعروف ونهيي عن المنكر مَا اسْتَطَعْتُ ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح
وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ وما كوني موفقا
لاصابة الحق فيما آتي واذر الا بمعونته وتاييده عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ اعتمدت وَ
إِلَيْهِ أُنِيبُ ارجع في السراء والضراء جرم مثل كسب في معدته الى مفعول واحد
والى مفعولين ومنه قوله وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ اي لا
يكسبنكم خلافي اصابة العذاب مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ
قَوْمَ صَالِحٍ وهو الغرق والريح والرجفة وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ لا
في الزمان فهم اقرب الهالكين منكم ولا في المكان فمنازلهم قريبة منكم او
فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر في المساوي وسوى في قريب وبعيد وقليل
وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل و
النهيق ونحوهما وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ يغفر
اهل الجفاء من المؤمنين وَدُودٌ يحب اهل الوفاء من الصالحين قَالُوا يَا شُعَيْبُ
مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ اي لا نفهم صحة ما تقول والا كيف لا يفهم كلامه
وهو خطيب الانبياء وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا
فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ
ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من اهل ملتهم فلذلك
اظهروا الميل اليهم والاكرام لهم وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ اي لا تعز علينا ولا
تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك
لانهم من اهل ديننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع
في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة

علينا ولذلك قال في جوابهم قال يا قوم ارهطي اعز عليكم ولو قيل
ماعززت علينا وجوابهم لم يصح هذا الجواب وانما قال ارهطي اعز عليكم من
الله والكلام واقع فيه وفي رهطه وانه لاعزة عليهم دونه لانه تهاونهم وهو
نبي الله تهاون بالله فحين عزّ عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من
الله الاترى الي قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لايعبا به والظهري
منسوب الي الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الي الامس
امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها
ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني بالمكان يقال مكان ومكانة ومقام و
مقامة او مصدر من مكن مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشيء واستوى عليه
والمعنى اعملوا قادرين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا
متمكنين من العداوة مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من
النصرة والتأييد ويمكنني سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن
هو كاذب من استفهامية متعلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف
تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه اي يفضحه واينا هو كاذب او موصولة قد
عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو
كاذب في زعمكم ودعويكم وادخل الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للو
صل ونزعها وصل تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا
فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون والاتيان
بالوجهين للتفنن في البلاغة وابلغهما الاستيناف وارتقبوا وانتظروا
العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه
كالضريب بمعنى الضارب او بمعنى المراقب كالعشير او بمعنى المرتقب كالرفيع
بمعنى المرتفع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا
واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وانما ذكر
في قصة عاد ومدين ولما جاء في اخر قصة ثمود ولوط فلما جاء لانهما وقعا بعد
ذكر الموعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء
الذي هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان

فقد

فقد وقعتا مبتدأتين وكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما
تعطف قصة على قصة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه
لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو
بغتة كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد
الاترى الي قوله كما بعدت ثمود وقرئ بعدت والمعنى في اللفظين واحد وهو
نقيض القرب الا انهم فرقوا البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا
البناء كما فرقوا بين ضمان الخير والشر فقالوا وعد واوعد ولقد ارسلنا
موسى باياتنا وسلطان مبين المراد بها العصا لانها ابهرها الى فرعون
وملائه فاتبعوا اي الملاء امر فرعون وما امر فرعون برشيد هو تجهيل
لمتبعيه حيث تابعوه على امره وهو في ضلال مبين وذلك انه ادعى الالوهية
وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذي لا ياتي الا من سلطان ومثله
بمعزل من الالهية وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان المبين وعلموا ان
مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد
قط او المراد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه يوم
القيمة اي يقدمهم على عقبه تفسيرا له وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه
عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم
ويقال قدمه بمعنى تقدمه فاوردهم النار ادخلهم وهي بلفظ الماضي لان
الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار
لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الي النار
وهم يتبعونه وبئس الورد المورود الورد المورود الذي وروده شبه بالفارط
الذي يتقدم الواردة الي الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بئس الورد
الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش والنار ضده
واتبعوا في هذه اي الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون
في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وبئس
العطاء المعطى ذلك مبتدا من انباء القرى خبره نقصه عليك خبر
بعد خبر اي ذلك النبي بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها

من القرى قائم وحصيد اي بعضها باق وبعضها في الاثر كالزرع القائم
على ساقه والذي حصد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم
باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت
عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم باس الله التي يدعون يعبدون
وهي حكاية حال ماضية من دون الله من شيء لما جاء امر ربك عذابه
منصوب بما اغنت وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر
وتببه غيره اوقعه في الخسران يعني وما افادتهم عبادة غير الله شيئا بل
اهلكتهم وكذلك محل الكاف الرفع اي مثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ
القرى اي اهلها وهي ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم مولم شديد
صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى
كل ظالم ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ان في ذلك لاية فيما قص الله
من قصص الامم الهالكة لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة اي اعتقد صحته
ووجوده ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له
الناس هو مرفوع لمجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس وانما اوثر
اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع اليوم و
انه اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب
والعقاب وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى
المفعول به اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد وما نؤخره اي اليوم
المذكور الا لاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهيها والعد انما هو للمدة
لا لغايتها ومنتهيها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معدودة بحذف المضاف او ما نؤخر هذا اليوم الا لينتهي المدة التي ضربناها
لبقاء الدنيا يوم يات وبالياء مكي ووافقه ابو عمرو ونافع وعلي في الوصل
واثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها
بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ فاعل يات ضمير يرجع الى قوله يوم
مجموع له الناس لا اليوم المضاف اليه مات ويوم منصوب باذكر او بقوله لا تكلم
اي لا تتكلم نفس الا باذنه اي لا يشفع احد احدا الا باذن الله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه فمنهم الضمير لاهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد

من ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي معذب وسعيد اي ومنهم سعيد
اي منعم فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير هو اول نهيق الحمار
وشهيق هو آخره او هما اخراج النفس ورده والجملة في موضع الحال والعامل
فيها الاستقرار الذي في النار خالدين فيها حال مقدرة ما دامت السموات
والارض في موضع النصب اي مدة دوام السموات والارض والمراد سموات
الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا
قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقيل ما دام فوق وتحت ولانه
لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء او عرش وكل ما اظلك فهو
سماء او عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما لاح كوكب وغير
ذلك من كلمة التابيد الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود في عذاب النار
وذلك لان النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير
وانواع من العذاب سوى عذاب النار او ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون
من النار ويدخلون فيها فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل
الجنة ايضا لمفارقتهم اياها بكونهم في النار اياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من
يدخل النار على التابيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروي
عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم اجمعين ان ربك فعال
لما يريد بالشقي والسعيد واما الذين سعدوا اسعدوا حمزة وعلي وحفص
سعد لازم وسعده يسعده متعد ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك
ان لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه او معناه الا
من شاء ان يعذبه بقدر ذنبه قبل ان يدخله الجنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاستثناء في الايتين لاهل الجنة ومعناه
ما ذكرنا انه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج
منها ولا يكون له ايضا خلود في الجنة لانه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما
لم يروا لخروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الكتاب
وكفى به اثما مبينا عطاء غير مجذوذ ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر
غير ممنون وهو نصب على المصدر اي اعطوا عطاء قبل كون الجهمية بادبع ايات

عطاء غير مجذوذ اكلها دائم وما عند الله باق لامقطوعة ولا ممنوعة لما قص
قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمة وما اعد لهم من عذابه قال
فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلَاءِ اي فلا تشك بعد ما انزل من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ثم قال مَا يَعْبُدُونَ اِلَّا كَمَا
يَعْبُدُ اٰبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم وقد بلغك
ما نزل بابائهم فينزلن بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية
وما في مما وكما مصدرية او موصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون
من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وَاِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ حظهم من
العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم غَيْرَ مَنْقُوصٍ حال من نصيبهم اي كاملا
وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ التورية فَاخْتُلِفَ فِيهِ امن به قوم وكفر به قوم كما
اختلف في القران وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ انه لا يعاجلهم بالعذاب لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بين قوم موسى او قومك بالعذاب
المستاصل وَاِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ من القران او من العذاب مُرِيبٍ من ارابه
الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي وَاِنَّ كُلًّا التنوين عوض من المضاف
اليه يعني وان كلهم اي وان جميع المختلفين فيه وان مشدد لَمَّا مخفف بصري
وعلي ما مزيدة جيء بها ليفصل بها بين لام ان ولام لَيُوَفِّيَنَّهُمْ وهو جواب قسم
محذوف واللام في لما للقسم والمعنى ان جميعهم والله ليوفينهم رَبُّكَ اَعْمَالَهُمْ
اي جزاء اعمالهم من ايمان وجحود وحسن وقبيح بعكس الاول ان كلا لما ابو بكر مخففتان
مكي ونافع وعلي على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل
ولان ان تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا
المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لممت الشيء جمعته
لمّاً ثم وقف فصار لما ثم اجري الوصل مجرى الوقف وجاز ان يكون مثل الدعوى
والثروي وما فيه الف التانيث من المصادر وقراءة الزهري وان كلا لما بالتنوين
كقوله اكلا لما وهو يؤيد ما ذكرنا والمعنى ان كلا ملمومين اي مجموعين كانه قيل
وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقال صاحب الايجاز لما
فيه معنى الظرف وقد دخل الكلام اختصار كانه قيل وان كلا لما بعثوا ليوفينهم

ربك

ربك اعمالهم وقال الكسائي ليس لي بمشدد يد اِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
فَاسْتَقِمْ كَمَا اُمِرْتَ فاستقم استقامة مثل استقامة التي امرت بها غير عادل
عنها وَمَنْ تَابَ مَعَكَ معطوف على المستتر في استقم وجاز للفاصل يعني
فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا وَلَا تَطْغَوْا ولا
تخرجوا من حدود الله اِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فهو مجازيكم فاتقوه قيل ما نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية كانت اشق عليه من هذه الاية ولهذا
قال شيبتني سورة هود وَلَا تَرْكَنُوا اِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ولا تميلوا قال الشيخ
رحمه الله هذا خطاب لاتباع الكفرة اي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم
وفيما يدعونكم اليه فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم وقال
قتادة لا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق انه صلى خلف الامام فلما قرا هذه
الاية غشي عليه فلما افاق قيل له قال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف الظالم
وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان
في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء
ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل عن ظالم اشرف
على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقيل فقال لا فقيل يموت فقال دعه
يموت وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ اَوْلِيَاءَ حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم
النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من اولياء يقدرون
على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ثم لا ينصركم
هو لانه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم للاستبعاد اي النصر من الله مستبعد
وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ غدوة وعشية وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ وساعات
من الليل جمع زلفة وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه و
صلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي
وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان
الى الوقت لقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره
تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس

يكفرها بينهما من الذنوب او الطاعات قال صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة
السيئة تمحها او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ذلك اشارة
الي فاستقم فما بعده او القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين نزل
في عمرو بن غزية بايع التمر قال لامراة في البيت تمر اجود فدخلت فقبلها
فندم فجاء باكيا فنزلت قال صلى الله عليه وسلم هل شهدت معنا العصر
قال نعم قال هي كفارة لك فقيل الرخاص قال للناس عامة واصبر
على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله
لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على جميع الاوامر والنواهي من قوله
فاستقم الي فاصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون من
قبلكم فهلا كان موضوع للتخصيص ومخصوص بالفعل اولوا بقية اولو
فضل وخير سمي الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده
وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي
من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا في الرجال بقايا ينهون عن الفساد
في الارض عجب محمد صلى الله عليه وسلم وامته انه لم يكن في الامم التي
ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة جماعة من اولي العقل والدين ينهون
غيرهم عن الكفر والمعاصي الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي
ولكن قليلا ممن انجينا من القرآن نهوا عن الفساد فنجوا وسايرهم تاركون
للنهي ومن في ممن انجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة المناصحين وحدهم
بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا واتبع الذين
ظلموا اي تاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمر اي قليلا ممن انجينا
منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا ما
اترفوا فيه اي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة
وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و
ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا مجرمين اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم
مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى اللام للتاكيد النفي بظلم حال
من الفاعل اي لا يصح ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون
تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك اي لا يهلك القرى بسبب شرك

اهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما بينهم اي لا يضمون الي شركهم فسادا اخر
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي متفقين على الايمان والطاعات
عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة هي مشية قسر وذلك رافع
للابتلاء فلا يجوز ولا يزالون مختلفين اي متفقين في الكفر والايمان اي
ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك الا من رحم ربك
الا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه
ولذلك خلقهم اي ولما هم عليه من اختلاف او اتفاق ولم يخلقهم لغير
الذي علم انهم يصيرون اليه كذا في شرح التاويلات وتمت كلمة ربك وهي
قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من
يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ
وهو منصوب بقوله نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل و
قوله ما نثبت به فؤادك وقوله وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة
او في هذه الانباء المقتصة ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين ومعنى
تثبيت فؤاده زيادة يقينه لان تكاثر الادلة للقلب وقل للذين لا يؤمنون
من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها
انا عاملون على مكانتنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما اقتص الله تعالى علينا من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات
والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع
الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم يرجع نافع
وحفص فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك وما ربك بغافل
عما يعملون وبالتاء مدني وشامي وحفص اي وانت وهم على تغليب الخطاب
قيل خاتمة التورية هذه الاية وفي الحديث من احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل
على الله

الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الي آيات السورة والكتاب
المسمى المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات
السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله

لامن عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها النزوله بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عند اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف انا انزلناه قرانا عربيا اي انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا وسمي بعض القران لانه اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته نحن نقص عليك احسن القصص نبين لك احسن البيان والقاص التي تاتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج وقيل القصص يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا ويكون فعلا بمعنى المفعول كالنقض فعلى الاول معناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا بنصب المصدر لاضافته اليه والمقصوص محذوف لان بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب فانك لا ترى اقتصاصه في كتب الاولين مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والحكم والعجايب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال فلان اعلم الناس في فن فيه واشتقاق القصص من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا وان كنت من قبله الضمير يرجع الى ما اوحينا لمن الغافلين عنه ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعني وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الجاهلين به اذ قال بدل اشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص او التقدير واذكر اذ يوسف اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف لابيه يعقوب يا ابت ابت شامي وهي تاء التانيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما فان كل واحد منهما زيادة في آخر الاسم ولهذا تنقلب هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التانيث بالمذكر كما في رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة

ومن

ومن فتح التاء فقد حذف الالف من ياء ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام اني رايت من الرؤيا احد عشر كوكبا اسماؤها بيان النبي صلى الله عليه وسلم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والفروع والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين والشمس والقمر هما ابواه او ابوه وخالته والكواكب اخوته وقيل الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر واجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤية لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال او الثانية كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان اباه قال له كيف رايتها فقال رايتهم لي ساجدين اي متواضعين وهو مال وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة او ثمانون قال يا بني بفتح الياء حيث كان حفص لا تقصص رؤياك هي الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربة والقربى على اخوتك فيكيدوا لك كيدا جواب النهي اي ان قصصتها كادوك عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدوني لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ في التخويف نحو فيحتالوا لك الا بدي الى تاكيده بالمصدر وهو كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والكيد وكذلك ومثل ذلك الاجتباء الذي دل عليه رؤياك يجتبيك ربك يصطفيك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا احصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث اي تاويل الرؤيا وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه الصلوة والسلام اعبر الناس للرؤيا او تاويل احاديث الانبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس جمع احدوثة ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة اي جعلهم انبياء في الدنيا

وملوكا في الاخرة وينقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وآل يعقوب اهله
وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن
له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن اهله وانما علم يعقوب
عليه السلام ان يوسف عليه السلام يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب
فلذا قال وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل اراد الجد واب الجد ابراهيم
واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من له الاجتباء حكيم يضع
الاشياء مواضعها لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم
آيات علامات ودلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقدرته وحكمته في
كل شيء آية مكي للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها او آيات على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم من غير سماع من
احد ولا قراءة كتاب واساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي و
ربالون ويشجر امهم ليا ودان ونفتالي وجاد واشر من سريتين
زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اللام لام الابتداء وفيها تاكيد
وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وانما
قالوا اخوه وهم اخوته ايضا لان امهما كانت واحدة وانما قيل احب في الاثنين
لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا
بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف ساغ الامران والواو في ونحن عصبة
للحال اي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال
كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما
ان ابانا لفي ضلال مبين غلط في تدبير امر الدنيا ولو وصفوه بالضلال
في الدين لكفروا والعصبة العشرة فصاعدا اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد
قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر
بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا امرين او اطرحوه ارضا منكرة
مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام
نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة
واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها

فكان

فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه
وجاز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وتكونوا مجزوم معطوف
على يخل لكم من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او
من بعد قتله او طرحه فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين
تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح حالكم عند ابيكم قال قائل منهم هو
يهوذا وكان احسنهم فيه رايا لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في
غيابة الجب في قعر البير وما غاب منه عن عين الناظر غيابات وكذا ما بعده
مدني يلتقطه بعض السيارة بعض القوم الاقوام الذين يسيرون في
الطريق ان كنتم فاعلين به شيئا قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا بالاشمام
وانا له لناصحون اي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه واردنا
بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه
دليل على انه احس منهم ما اوجب ان لا يامنهم عليه ارسله معنا غدا يرتع
في اكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة ويلعب يتفرج بما يباح كالصيد والرمي
والركض بالياء فيهما مدني وكوفي وبالنون فيهما مكي وشامي وابو عمرو و
بكسر العين حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي وانا له لحافظون
من ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به اي يحزنني ذهابكم به
اللام لام الابتداء واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون اعتذر
اليهم ان ذهابهم مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه من عدوة
الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم قالوا لئن اكله الذئب اللام
موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب ونحن عصبة
اي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي
عن جزاء الشرط اي ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن
وخسرناها واجابوا عن عذره الثاني دون الاول لان ذلك كان يغيظهم
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب اي عزموا على القائه في
البير وهي بير على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف وتقديره
فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له
العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق

بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحايط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم ودلوه في البير وكان فيها ماء فسقط فيه ثم
اوي الي صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهودا ياتيه بالطعام ويروي ان
ابراهيم عليه الصلوة والسلام حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبرئيل بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الي اسحق واسحاق الي يعقوب فجعله
يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه واوحينا اليه
قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الي يحيي وعيسى وقيل كان اذ ذلك مدركا لتنبئنهم
بامرهم هذا اي لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وكبرياء سلطانك وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتازين فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني
هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم فقال له يوسف وانكم القيتموه في غيابة
الجب وقلتم لابيه اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس او يتعلق وهم لا يشعرون
باوحينا اي انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك
وجاؤا اباهم عشاء للاستتار والتجري على الاعتذار يبكون حال عن الا
لا نصدق باكية بعد اخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل
اصابكم في غنمكم شي قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا انا ذهبنا نستبق
اي نتسابق في العدو او في الرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء
والترامي وغير ذلك وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت
بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اجل الصدق و
الثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا و
جاؤا على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس
الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روي انهم
ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع
بخبر يوسف صاح باعلى صوته اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكي حتي
خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا
اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه قيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات كان
دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة

يوسف حين قد من دبر ومحل على قميصه النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا
فوق قميصه بدم قال يعقوب عليه السلام بل سولت زينت وسهلت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل خبر ومبتدا لكونه موصوفا اي فامري
صبر جميل او فصبر جميل امثل وهو ما لا شكوي فيه الي الخلق والله المستعان
اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء
فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الي مصر وذلك بعد ثلاثة
ايام من القاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان
الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف
فارسلوا واردهم هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر
الخزاعي فادلى دلوه ارسل الدلو ليملاها فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه
قال يا بشري كوفي نادي يا بشري كانه يقول تعالي فهذا اوانك غيرهم بشرى
اي على اضافتها الي نفسه او هو اسم غلامه فناداه مضافا الي نفسه هذا غلام
قيل ذهب به فلما دنا الي اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد
واصحابه اخفوه من الرفقة او لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا
قد ابق فاشتروه منا فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة حال اي اخفوه
متاعا للتجارة والبضاعة ما يبضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما
يعملون بما يعملوا اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه و
باعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف دراهم
بدل من ثمن معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون
الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما وكانوا فيه
من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف او معني وشروه
واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين اي غير راغبين لانهم
اعتقدوا انه ابق ويروي ان اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يابق
وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا يتقدم على الموصول وانما هو بيان
كانه قيل في اي شي زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر
وهو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن
الوليد وقد امن بيوسف ومات في حيوته واشتراه العزيز بزنته ورقا وحريرا

عظيماً ازنكبغوه

ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره
ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث و
ثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا و
اللام متعلق بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما
اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي وعن الضحاك بطيب معاشه
ولين رياسته و وطي فراشه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور و
فهم مجاريها فنستظهر به على بعض ما نحن بسبيله او نتخذه ولدا او نتبناه
ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك
وكذلك اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب
تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا ليوسف اي انجيناه وعطفنا عليه
العزيز كذلك مكنا له في الارض اي ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها
بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين والله
غالب على امره لا يمنع عما يشاء او على امر يوسف بتبليغه ما اراد له دون ما اراد
اخوته ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما بلغ اشده منتهى اشتداد قوته
وهو ثماني عشرة سنة او احدى وعشرون اتيناه حكما وعلما حكمة وهو العلم
مع العمل واجتناب ما يجهل فيه او حكم بين الناس وفقها وكذلك نجزي
المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه اي طلبت يوسف ان يواقعها والمراودة مفاعلة
من راد يرود اذا جاء و ذهب كان المعنى وخادعته عن نفسه اي فعلت فعل
المخادع لصاحبه عن الشئ الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه و
ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب وكانت سبعة
وقالت هيت لك هو اسم لتعال واقبل وهو مبني على الفتح هيت مكي بناه على
الضم هيت مدني وشامي واللام للبيان كانه قيل لك اقول هذا كما يقول هلم
قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي و
مالكي يريد قطفير احسن مثواي اي حين قال لك اكرمي مثويه فما جزاؤه ان
اخونه في اهله انه لا يفلح الظالمون الخائنون او الزناة او اراد بقوله انه ربي
الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به هم عزم وهم بها هم الطباع

مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ ابو منصور وهم بها هم خطرة ولا صنع
للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مواخذة عليه ولو كان همه كهمتها لما مدحه الله
تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف ان يهم بها يقال هم
بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب لولا ان راى برهان ربه محذوف
اي لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لو لا مقدم عليه
لانه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها
داخلا في حكم القسم في قوله ولقد همت به ويجوز ان يكون خارجا ومن حق
القاري اذا قدم خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على به
ويبتدي بقوله وهم بها وفيه اشعار ايضا بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف
بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر
البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها مرتين فسمع ثالثا اعرض عن هذا
فلم ينجع فيه حتى مثل يعقوب عاضا على انملته وهو باطل ويدل على بطلانه
قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه ايضا لما برى يوسف نفسه عن
ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء
مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ولو كان ذلك لخانه
بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين ولانه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما
كان لادم ونوح وذي النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله تعالى مخلصا
فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة اولوا العزم
ناظر في دلايل التحريم حتى استحق من الله تعالى الثناء محل الكاف في كذلك
نصب اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او رفع اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام
حيث كان مدني وكوفي اي الذين اخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم اي
الذين اخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة
المخلصين واستبقا الباب وتسابقا الى الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف
الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا ابتدرا فر
منها يوسف فاسرع يريد الباب واسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووصل الباب ان

كان جمعه في قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البراني الذي هو المخرج من
الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب
وتبعته تمنعه والفيا سيدها لدى الباب وصادفا بعلها قطفير مقبلا
يريد ان يدخل فلما راته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة
ولتخويف يوسف طمعا في ان يواطيها خيفة منها ومن مكرها حيث قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي
ليس جزاؤه الا السجن او عذاب اليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر
يوسف وانه اراد بها سوءا لانها قصدت العموم اي كل من اراد باهلك سوءا
فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما
عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه قال هي راودتني عن
نفسي ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها وشهد شاهد من اهلها هو ابن
عم لها وانما القى الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة و
اوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهد وسمى قوله
شهادة لانه ادى مؤدى الشهادة فان ثبت به قول يوسف وبطل قولها ان
كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والتقدير وشهد شاهد
فقال ان كان قميصه وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع
خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه
عن نفسها فيتخرق القميص من قبل واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة
يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان الذي هو للاستقبال
وبين كان لان المعنى ان يعلم ان قميصه قد فلما راى قطفير قميصه قد
من دبر وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان هذا من اراد باهلك
سوءا او ان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال قال انه من كيدكن الخطاب
لها ولاخواتها ان كيدكن عظيم لانهن الطف كيدا واعظم حيلة وبذلك يغلبن
الرجال والقصريات منهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء
انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان

كان ضعيفا وقال لهن ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه
منادي قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن
هذا الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال لراعيل واستغفري لذنبك انك
كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب
متعمدا وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للمذكور على الاناث وكان العزيز
رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول وقال نسوة جماعة من
النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب
السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثها غير حقيقي
ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرات
العزيز يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتيها غلامها
يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي عن نفسه لتنال شهوتها منه قد
شغفها حبا تمييز اي قد شغفها حبه يعني خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل
الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب
انا لنريها في ضلال مبين في خطاء بعد طريق الصواب فلما سمعت راعيل
بمكرهن باغتيابهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني و
مقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره
وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن
قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت وهيات
افتعلت من العتاد لهن متكئا ما يتكئن عليها من نمارق قصدت بتلك
الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن عند
رؤيته ويشغلن عن انفسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها
لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده واتت كل واحدة منهن
سكينا وكانوا لا ياكلون في ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم
وقالت اخرج عليهن بكسر التاء بصري وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم فلما
راينه اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وكان فضل
يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار
في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران وكان يشبه ادم يوم خلقه ربه و

قيل ورث الجمال من جدته ساره وقيل اكبرن يعني حضن والهاء للسكت اذ
لا يقال للنساء فحضنه لانه لا يتعدي الي مفعول يقال اكبرت المراة اذا اخاضت
وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكان ابا الطيب
اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع وان لحت حاضت
في الخدور العواتق وقطعن ايديهن وجرحنها كما يقول كنت اقطع اللحم فقطعت
يدي تريد جرحتها اي اردن ان يقطعن الطعام الذي في ايديهن فدهش
لما رايته فخدش ايديهن وقلن حاش لله حاشا كلمة تفيد معني التنزيه
في باب الاستثناء يقول اساء القوم حاشا زيد وهي حرف من حروف الجر فوضعت
موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله وبراءة الله وتنزيه الله وقراءة ابي عمرو
حاشا الله نحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرا وينزه
وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب
من قدرته على خلق جميل مثله اما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من
قدرته في خلق عفيف مثله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نفين عنه
البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية وثبتن بها الحكم لما ركز في الطباع ان
لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان قالت فذلكن الذي
لمتنني فيه تقول ذلك هو العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني
فيه يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع
البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا
بيان جلي على ان يوسف عليه الصلوة والسلام بريء مما فسر به اولئك الفريق الهم
والبرهان ثم قلن له اطع مولاتك فقالت راعيل ولئن لم يفعل ما آمره الضمير
يرجع الي ما وهو موصولة والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير
او ما مصدرية والضمير يرجع الي يوسف اي وان لم يفعل امري اياه اي موجب امري
ومقتضاه ليسجنن ليحبسن والالف في وليكونا بدل من نون التاكيد الخفيفة
من الصاغرين مع السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبي وابق مني وسفك
دمي بالفراق ولا يهنا له الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني هنا كل ذلك
ومن لم يرض بمثلي في الحرير على السرير امير احصل في الحصير على حصير ضرير فلما سمع يوسف

تهديدها قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه لشدة الدعوة اليهن
لانهن قلن لو اجبتيها لانك او اشفقت كل واحدة به في خدعته سرا فالتجا
الي ربه وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية والا تصرف عني
كيدهن فزع منه الي الله في طلب العصمة اصب اليهن امل اليهن والصبوة
الميل الى الهوا ومنه الصبا لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها
واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوي لعلمه
فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء ولما كان في قوله والا تصرف عني كيدهن
معنى طلب الصرف والدعاء قال فاستجاب له ربه اي اجاب الله دعاءه
فصرف عنه كيدهن انه هو السميع بدعوات الملتجين اليه العليم
بحاله وحالهن ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه
والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي والضمير لهم للعزيز واهله من بعد ما
راوا الايات وهي الشواهد على برائته كقد القميص وشهادة الصبي وغير ذلك
ليسجننه لابلاء عذر الحال وارضاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا
باستنزال المراة لزوجها وكان مطواعا لها وجميلا ذليلا لو لا زمامه في يدها
وقد طمعت ان يذلله السجن ويسخره لها او خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون
فالجاها الخجل من الناس والوجل من الياس الي ان رضيت بالحجاب مكان
خوف الذهاب ليشتفي بخبره اذا امنعت من نظره حتي حين الى زمان كانها
اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه ودخل معه السجن فتيان عبدان
للملك خبازه وشرابه بتهمة السم فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف لان مع يدل
على معنى الصحبة تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما
السجن مصاحبين له قال احدهما اي شرابيه اني اراني اي في المنام وهي حكاية
حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه او الخمر بلغة عمان اسم
للعنب وقال الاخر اي خبازه اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير
منه نبئنا بتاويله بتاويل ما راينا انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون
عبارة الرؤيا او من المحسنين الي اهل السجن فانك تداوي المرضي وتعزي
الحزين وتوسع على الفقير فاحسن الينا بتاويل ما راينا قيل انهما تحالما ليمتحناه
فقال الشرابي اني رايت كاني في بستان فاذا باصل حبلة ثلاثة عناقيد من عنب

فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني رأيت كان
فوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير ينهش منها
قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله لبيان ماهيته وكيفيته
لان ذلك يشبه تفسير المشكل قبل الا نبأتكما بتاويله لبيان ماهيته ان
ياتيكما لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه
بما هو موقوف فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما
من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من
صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك وفيه ان العالم اذا جهلت
منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه لم يكن من
باب التزكية قبل ان ياتيكما ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات
مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم لا
يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون يجوز ان يكون كلاما مبتدا
وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك
وهم اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم واتبعت ملة اباءي ابراهيم و
اسحق ويعقوب وهي الملة الحنيفية وتكريرهم للتوكيد وذكر الاباء ليريهما
انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي بما ذكره من اخباره بالغيوب ليقوى
رغبتهما في اتباع قوله والمراد به الترك ابتداء لا انه كان فيه ثم تركه ما كان لنا
ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان صنما او غيره ثم قال
ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
فضل الله فيشركون ولا يتنبهون يا صاحبي السجن يا ساكني السجن كقوله اصحاب
النار واصحاب الجنة ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يريد
التفرق في العدد والتكاثر اي ان تكون ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما
هذا خير لكما ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغلب ولا يشارك في الربوبية وهذا
مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون الخطاب لهما ولمن
على دينهما من اهل مصر من دونه من دون الله الا اسماء سميتموها انتم
واباؤكم اي سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها وكانكم لا

انذ ياتيكما ذلكما

تعبدون الا اسماء لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته
زيدا وسميته بزيد ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان حجة ان الحكم
في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا
اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن اكثر
الناس لا يعلمون وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا
امكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا فقال يا صاحبي السجن اما احدكما
يريد الشرابي فيسقي ربه خمرا اي يعود الى عمله واما الاخر اي الخباز
فيصلب فتاكل الطير من راسه روي انه قال للاول ما رايت الكرمة
هو الملك فحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام
تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلاثة ايام ثم
تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رايت شيئا قضي الامر الذي
فيه تستفتيان اي قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما اي ما
يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الاخر وقال للذي ظن انه
ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد
وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين
اذكرني عند ربك صفني عند الملك وقص عليه بقصتي لعله يرحمني
فيخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان
يذكره لربه يعني ذكره لربه او عند ربه او فانسى يوسف ذكر الله حين وكل
امره الى غيره وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعا فلبث في السجن بضع سنين اي سبعا عند الجمهور
وهو ما بين الثلاث الى التسع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لما دنى
فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف
السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقدت حبها وسبعا اخر يابسات
قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها

فلم يجد من يحسن عبارتها قيل كان ابتداء املاء يوسف في الرؤيا ثم كان
سبب نجاته الرؤيا سمان جمع سمين والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذي
ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمع لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان
على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض
على النقيض وفي الاية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر
لان الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل
الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى
وسبعا اخر يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام في الرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزا
هدين او لان المفعول به اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله
اذا تاخر عنه فعضد بها يقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت او يكون للرؤيا
خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون
خبر اخر او حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما يقول
عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا
اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات
ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر قالوا اضغاث احلام
اي هي اضغاث احلام اي تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس
او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد
ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام وانما
جمع وهو حلم واحد تزيدا في وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص
عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
ارادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تاويل انما التاويل
للمنامات الصحيحة او اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير
وقال الذي نجا من القتل منهما من صاحبي السجن وادكر بالدال هو الفصيح
واصله اذتكر فابدلت الذال دالا والتاء دالا وادغمت الاولى في الثانية
لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه انه قلب التاء ذالا وادغم اي
تذكر يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى

الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك انا انبئكم بتاويله
انا اخبركم به عمن عنده علمه فارسلون وبالياء يعقوب اي فابعثوني اليه لاسئله
فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق
وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا
صاحبه حيث جاء كما اول افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس الى الملك
واتباعه لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك
من محنتك قال تزرعون سبع سنين هو خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون
بالله واليوم الاخر وتجاهدون دليله قوله فذروه في سنبله وانما يخرج الامر
في صورة الخبر للمبالغة في وجود المامور به فيجعل كانه موجود فهو يخبر عنه
دأبا بسكون الهمزة وحفص بحركتها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من
المامورين اي دائبين فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا ياكله السوس الا
قليلا مما تاكلون في تلك السنين ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن
هو من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن ما قدمتم لهن
اي في السنين المخصبة الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبؤون ثم ياتي
من بعد ذلك عام اي بعد اربع عشرة سنة فيه يغاث الناس من الغوث
اي يجاب مستغيثهم او من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت
وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان
تعصرون حمزة وعلي تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب
والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا
بان العام الثاني يجيء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن قال ارجع
الى ربك اي الملك فاسأله ما بال النسوة اي حال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن انما تثبت وتانى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة
ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده
ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين

الا لامر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهمة واجب وجوب انقاء الوقوف في مواقفها وقال عليه الصلوة والسلام لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف و السمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ اي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله وهو المجازي لهن عليه المقطعات فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة ايديهن ودعى امرأة العزيز ثم قال لهن قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ ما شانكن إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ هل وجدتن منه ميلا اليكن قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ذنب قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ظهر واستقر أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به ثم رجع الرسول الى يوسف واخبره بكلام النسوة واقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف ذَلِكَ اي امتناعي من الخروج وتثبيتي لظهور البراءة لِيَعْلَمَ العزيز أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وظهر الغيب في حرمته وبالغيب حال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غايب عنه او وهو غايب عني او ليعلم الملك اني لم اخن العزيز وَأَنَّ اللَّهَ وليعلم ان الله لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ لا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين ان ما فيه من الامانة بتوفيق الله وعصمته فقال وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها في عموم الاحوال او في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ اراد الجنس اي هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي الا البعض الذي

رحمه ربي

رحمه ربي بالعصمة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة او هو استثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل هي من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوء الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهرا الا ان المعنى يقود اليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتاخيره اي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي اجعله خالصا لنفسي فَلَمَّا كَلَّمَهُ وشاهد منه ما لم يحتسب قَالَ الملك ليوسف إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ذو مكانة ومنزلة أَمِينٌ مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعى له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتازون منك و يجتمع لك الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه

قال يوسف اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك يعني ارض مصر
اني حفيظ امين احفظ ما تستحفظنيه عليم عالم بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك
ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله
بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه
ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم
يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة
قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد
كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبي او العالم انه
لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق
فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كلما
راى وكان في حكم التابع له وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف
في الارض ارض مصر وكانت اربعين فرسخا في اربعين والتمكين الاقدار
واعطاء المكنة يتبوا منها حيث يشاء اي كل اراد ان يتخذه منزلا لم يمنع
منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه نشاء مكي نصيب برحمتنا
بعطائنا في الدنيا من الملك والغناء وغيرهما من النعم من نشاء من
اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين في الدنيا ولاجر
الاخرة خير للذين امنوا يريد يوسف وغيره من المومنين الى يوم القيمة
وكانوا يتقون الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المومن يثاب
على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في
الاخرة من خلاق فتلا الاية روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه
بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير
فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي
ولا من لباس ابائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه
امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال
اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايثم وميشا
واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير

من الناس

من الناس وباع من اهل المصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير
في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر في الثانية ثم
بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في
الخامسة ثم باولادهم في السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم
جميعا ثم اعتق اهل مصر عن اخرهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد
من الممتارين اكثر من حمل بعير واصاب ارض كنعان مثل ما اصاب مصر فارسل
يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم
بلا تعرف وهم له منكرون لتبدل الزي ولانه كان من وراء الحجاب و
لطول المدة وهي اربعون سنة روي انه لما راهم وكلمهم بالعبرانية
قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة
اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة
بلادي قالوا معاذ الله نحن بنو ابي حزين لفقد ابن كان احب الينا
اليه وقد امسك اخاله من امه يتانس به فقال ائتوني به ان صدقتم ولما
جهزهم بجهازهم اعطى كل واحد حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذا قال
ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير
المنزلين كان قد احسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع
اليه فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي فلا ابيعكم طعاما ولا
تقربون اي فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء
مجزوم معطوف على محل فلا كيل لكم او هو بمعنى النهي قالوا سنراود عنه
اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا
محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده شمعون
وكان احسنهم رايا في يوسف وقال لفتيانه كوفي غير ابي بكر لفتيته غيرهم
وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه
المكتالين اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اوعيتهم وكانت نعالا وادما
او ورقا وهو اليق لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها وحق التكرم
باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وربما لا يجدون بضاعة

بها يرجعون او ما فيهم من الديانة نفيه هم لرد الامانة او لم يرس الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فلما رجعوا الى ابيهم بالطعام واخبروه بما فعل قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكيل حمزة وعلى اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل معني انكم قلتم في يوسف ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حفظا كوفي غير ابي بكر فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وهو حال او تمييز ومن قرأ حفظا فهو تمييز لا غير وهو ارحم الراحمين فارجوا ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حافظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما للنفي اي ما نبغي في القول او لا نتجاوز الحق وما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد منك بضاعة اخرى او للاستفهام اي اي شيء نطلب وراء هذا هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها اى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك اي نجلب طعام الميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك و نحفظ اخانا في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد كيل بعير وسق بعير ذلك كيل يسير سهل عليه متيسر لا يتعاظمه قال لن ارسله معكم حتى تؤتون بالياء مكي موثقا عهدا من الله والمعنى حتى تعطوني ما اوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله لتأتنني في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم يعني لا تمتنعون

الا

منه

منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي فلما اتوه موثقهم قيل حلفوا بالله رب محمد عليه الصلوة والسلام قال بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع عليه غير ان السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالاولى ان يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله تعالى قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة الجمهور على انه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة امرهم ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة الاولى فالعين حق عندنا وجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وانكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل احب ان لا يفطن بهم اعداؤهم فلا يحتالون لاهلاكهم وما اغني عنكم من الله من شيء اي ان كان الله اراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم دخولهم من ابواب متفرقة من الله من شيء اي شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم من الله من شيء وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر لما علمناه لتعليمنا اياه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال احسنتم فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا

فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وعانقه قَالَ لَهُ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ يوسف فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم عما
اعلمتك وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي
بي فاذا احبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا
تحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم
انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم فقال
افعل فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ هيأ اسبابهم واوفى الكيل لهم جَعَلَ
السِّقَايَةَ هي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت
صاعاً يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة او ذهب فِي رَحْلِ
أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ثم نادي منادٍ اذن اي اعلم واذن اكثر الاعلام ومنه
المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم
امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم أَيَّتُهَا الْعِيرُ هي الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي تذهب وتجي والمراد اصحاب البعير إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ كناية عن سرقتهم
اياه من ابيه قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ
الْمَلِكِ هو الصاع وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ بقوله المؤذن يريد
وانا بحمل البعير كفيل اوديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا
لمن حصله قَالُوا تَاللَّهِ قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا
لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم
وامانتهم حيث دخلوا وافواه رواحلهم مسدودة لئلا يتناول زرعاً او
طعاماً لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في
رحالهم وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ وما كنا نوصف قط بالسرقة قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ الضمير
للصواع اي فما جزاء سرقته إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ في جحودكم وادعائكم البراءة منه
قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق
سنة فلذلك استفتوا في جزائه فهو جزاؤه تقرير للحكم اي يأخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره كَذَلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ اي السراق بالاسترقاق فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ فبدأ
بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما
اظن هذا اخذ شيئاً فقالوا والله ما نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب
لنفسك وانفسنا ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا اي الصواع في وعاء اخيه ذكر ضمير الصواع
مرات ثم انثه لان التانيث يرجع الى السقاية او لان الصواع يذكر ويونث
الكاف في كَذَلِكَ في محل النصب اي مثل ذلك الكيد العظيم كِدْنَا لِيُوسُفَ
يعني علمناه اياه مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ تفسير للكيد وبيان
له لان الحكم في دين الملك اي في سيرته للسارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا
ان يستعبد إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ اي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله وارادته
فيه نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ بالتنوين كوفي مَنْ نَشَاءُ اي في العلم كما رفعنا درجة
يوسف فيه وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق
العلماء كلهم عليم هو هم دونه في العلم والله عز وجل قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ
سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ارادوا يوسف قيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا اصغر
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان في المنزل دجاجة فاعطاها
السائل وقيل كانت منطقة لابراهيم عليه السلام يتوارثها اكابر ولده
فورثها اسحق ثم دفعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي
عمته بعد وفات امه فكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يوسف ان ينتزعها
منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه فقالت فقدت منطقة
اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل
به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروي انهم لما استخرجوا الصاع
من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا فضحتنا و
سودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منك بلاء متى اخذت هذا الصاع
فقال يا بنو راحيل لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه فوضع
هذا الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحلكم فَأَسَرَّهَا اي مقالتهم انه
سرق كانه لم يسمعها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ
مَكَانًا تمييز اي انتم شر منزلة في السرقة لانكم سرقتم اخاكم يوسف من ابيه
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ يقولون او تكذبون قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ

من وعاء اخيه

ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر فخذ احدنا مكانه بدله على وجه
الاسترقاق او الاستعباد فان اباه يتسلى به عن اخيه المفقود انا نريك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عاداتك الاحسان فاجر على
عاداتك ولا تغيرها قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ واضيف المصدر الى المفعول به
وحذف من انا اذا لظالمون اذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله
ظلمنا وهذه الاية وجب على قضية فتويكم اخذ من وجد الصاع في رحله
واستعباده فلو اخذنا غيره كان ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم
لانه ظلم فلما استيئسوا ايئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر
في استعصم منه من يوسف واجابته اياهم خلصوا انفردوا واعتزلوا الناس
خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او قوما نجيا اي مناجيا لمناجاة
بعضهم بعضا او تمحضوا تناجيا لاجتماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد وا
اهتمام كانهم في انفسهم صور التناجي وحقيقته فالنجي يكون بمعنى المناجي
كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم في
تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وماذا يقولون لانهم في شان اخيهم قال
كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل والراي وهو يهودا او رئيسهم و
هو شمعون الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن
قبل ما فرطتم في يوسف ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف
ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره
على الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم ليوسف فلن ابرح
الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم
الله لي بالخروج منها او بالموت او بقتالهم وهو خير الحاكمين لانه لا
يحكم الا بالعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من
سرقته وتيقنا اذ الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين
وما علمنا انه سيسرق حتى اعطيناك الموثق واسئل القرية التي كنا فيها يعني
المصر اي ارسل الى اهلها فاسئلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها

واصحاب

واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام و
انا لصادقون في قولنا فارجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم
قال بل سولت لكم انفسكم امرا والا فمن ادرى ذلك الرجل ان السارق
يسرق لولا فتويكم وتعليمكم فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا
بيوسف واخيه وكبيرهم انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم
الذي لم يبتليني بذلك الا لحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما
جاؤا به وقال يا اسفى على يوسف اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة
الى نفسه والالف واللام بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف
غير متكلف ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه
ويحسبون انهم يحسنون من سبإ بنبإ وانما تاسف على يوسف دون اخيه
وكبيرهم لتمادي اسفه على يوسف دون الاخرين وفيه دليل ان الرزء فيه مع
تقادم عهده كان غضا عنده طريا وابيضت عيناه من الحزن اذا كثرت
الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى البياض كدر قيل قد عمي
بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا من الحزن كان الحزن سبب البكاء
الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب
من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم
على الله من يعقوب عليه السلام ويجوز للنبي ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ
لان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الحزن ولذلك حمد صبره و
لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب
يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك لمحزونون وانما
المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق فهو كظيم
مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله
اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه قالوا تالله تفتؤا
اي لا تفتؤا فحذف حرف النفي لا يلتبس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام
والنون ومعنى تفتؤا لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا او مشفيا على الهلاك
مرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله البث
اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره اي لا اشكوا

الي احد منكم ومن غيره وانما اشكوا الي ذي داعيا له وملتجيا اليه فخلوني و
شكايتي وروي انه اوحي الي يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة
فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشتري جارية مع ولدها وباع ولدها
فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون واعلم من رحمته انه ياتيني بالفرج
من حيث لا احتسب وروي انه راي ملك الموت فسأله هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدايم الذي
لا ينقطع ابدا ولا يحصيه غيره فرج عني يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة
ولا تياسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه انه الامر و
الشان لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون لان من آمن يعلم
انه متقلب في رحمته ونعمته واما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في
رحمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند ابيهم راجعين الي مصر فلما دخلوا
عليه على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من
الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا
لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا فاوف لنا الكيل الذي حقنا
وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة او زدنا
على حقنا او هب لنا اخانا ان الله يجزي المتصدقين ولما قالوا مسنا
واهلنا الضر وتضرعوا اليه وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ارفضت
عيناه ولم يتمالك ان عرفهم نفسه حيث قال هل علمتم ما فعلتم اي هل
علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه او
اداهم في حد السفه والطيش وفعلهم باخيه تعريضهما اياه للغم بافراده
من اخيه لابيه وامه وايذاؤهم له بانواع الاذي قالوا ائنك بهمزتين
كوفي وشامي لانت يوسف اللام لام الابتداء وانت مبتدا ويوسف خبره
والجملة خبر ان قال انا يوسف وهذا اخي وانما ذكر اخاه وهم قد سالوا عن
نفسه لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه قد من الله علينا بالالفة بعد

الفرقة ذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة انه من يتق
الفحشاء ويصبر عن المعاصي وعلى موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين
وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع اجره في دنياه ولا عقباه قالوا تالله
لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك بالعلم والحلم والتقوى والصبر
والحسن وان كنا لخاطئين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم
لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك
قال لا تثريب عليكم اليوم لا تعيير عليكم اليوم متعلق بالتثريب او بيغفر
والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره
من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال
غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل
غفران الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب
الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول
فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا
الي طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان
اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم حيث علم الناس
اني من حفدة ابراهيم وهو ارحم الراحمين اي اذا رحمتكم وانا الفقير القتور
فما ظنكم بالغني الغفور ثم سالهم عن حال ابيه فقالوا انه عمي من كثرة البكاء
قال اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف
وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى
ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يصر بصيرا يقول
جاء البناء محكما اي صار او يات الي وهو بصير قال يهودا انا احمل قميص
الشفا كما ذهبت بقميص الجفا وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الي كنعان
وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا واتوني باهلكم اجمعين لينعموا باثار ملكي كما

جل

اعتموا باخبار هلكي ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل
من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه قال ابوهم لولد ولده
ومن حوله اني لاجد ريح يوسف اوجد الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة
ثمانية ايام لولا ان تفندون التفنيد النسبة الي الفند وهو الخرف و
انكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعني لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني
قالوا اي اسباطه تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب
قدما في افراط محبتك ليوسف او في خطابك القديم من حب يوسف وكان
عندهما انه قد مات فلما ان جاء البشير اي يهودا القاه علي وجهه طرح
البشير القميص علي وجه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد و
ارتده اذا ارجعه قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله
ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون كلام مبتدا
لم يقع عليه القول او وقع عليه والمراد قوله انما اشكو بثي وحزني الي الله و
اعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سئل البشير كيف يوسف فقال هو ملك
مصر قال ما اصنع بالملك علي اي دين تركته قال علي دين الاسلام قال الآن
تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين اي سل الله
مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطائنا قال سوف
استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخر الاستغفار الي وقت السحر
الي ليلة الجمعة او ليتعرف حالهم في صدق التوبة او الي ان يسأل يوسف هل
عفي عنهم ثم ان يوسف وجه الي ابيه جهازا ومائتي راحلة ليجهز اليه بمن
معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند
والعظما واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكا علي يهودا فلما
دخلوا علي يوسف آوي اليه ضم اليه ابويه واعتنقهما قيل كانت امه باقية
وقيل ماتت امه وتزوج خالته والخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله
ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق ومعني دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه
حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او مصر كان له ثم فدخلوا عليه وضم اليه
ابويه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من ملوكها
وكانوا لا يدخلونها الا بجواز او من القحط وروي انه لما لقيه قال يعقوب

عليه السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا ابت بكيت علي حتي
ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلي ولكن خشيت ان تسلب دينك
فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب واولاده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون
ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسي ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعون رجلا سوي الذرية والهرمي وكانت الذرية الف الف ومائتا
الف ورفع ابويه علي العرش وخروا له سجدا قيل لما دخل مصر وجلس في
مجلسه مستويا علي سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما علي السرير وخروا له
يعني الاخوة الاحدي عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجري
التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج كان من
سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم وقيل ما كانت الا انحناء دون
تعفير الجباه وخرورهم سجدا اياه وقيل وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا
وفيه نبوة ايضا واختلف في استنبائهم وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا اي الرؤيا صادقة وكان بين الرؤيا
اربعون سنة او ثمانون او ست وثمانون او اثنان وعشرون وقد احسن بي
يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه اذ اخرجني من السجن ولم يذكر
الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم وجاء بكم من البدو لانهم كانوا اصحاب
المواشي ينتقلون في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني و
بين اخوتي اي افسد بيننا واغري ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير
انه هو العليم الحكيم بتاخير الآمال الي الآجال او حكيم بالايتلاف بعد

حادثة

الاختلاف رب قد اتيتني من الملك ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث
تفسير كتب الله او تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض اذ لم يؤت الا بعض
ملك الدنيا وبعض التاويل فاطر السموات والارض انتصابه علي النداء
انت وليي في الدنيا والآخرة انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين فتوصل
الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب الوفاة علي حال الاسلام كقول
يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التستري
مسلما اليك امري وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف عليه السلام ليقتدي به
قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لان ظواهر الانبياء لنظر الامم عليهم

وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم روي ان يوسف عليه السلام اخذ
بيد يعقوب عليه السلام فادخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب
وخزائن السلاح حتى ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه
القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبرئيل قال او ما تسأله قال
انت ابسط اليه مني فاسئله قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان
يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق عليهما السلام فمضى
بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره
طلب لنفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه
الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم
حتى هموا بالقتال فرأوا ان يعملوا صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل
بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه
السلام بعد اربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد
لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق
بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه ذلك
اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
هو مبتدأ من أنباء الغيب نوحيه اليك خبران وما كنت لديهم لدى بني يعقوب
عليه السلام إذ أجمعوا أمرهم عزموا على ما هموا به من القاء يوسف في البئر
وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل
لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على القائهم
في البئر وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اراد العموم او اهل مكة اي
وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم وما تسألهم عليه
على التبليغ او على القرآن من أجر جعل إن هو إلا ذكر ما القرآن الا عظة من الله للعالمين
وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله وكأين من آية علامة ودلالة
على الخالق وعلى صفاته وتوحيده في السموات والأرض يمرون عليها على الآيات
او على الارض ويشاهدونها وهم عنها عن الآيات معرضون لا يعتبرون
بها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن أكثرهم

بالله إلا وهم مشركون اي وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه
وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن الجمهور على انها
نزلت في المشركين لانهم مقرون بان الله خالقهم ورازقهم واذا حزبهم
امر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك ما يقوله
القدرية من اثبات قدرة التخليق للعبد والتوحيد المحض ما يقوله اهل
السنة وهو ان لا خالق الا الله أفأمنوا أن تأتيهم غاشية عقوبة تغشاهم و
تشملهم من عذاب الله او تأتيهم الساعة القيمة بغتة حال اي فجأة و
هم لا يشعرون باتيانها قل هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة
الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر
سبيله بقوله أدعو إلى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير
عمياء أنا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه اي ادعو الى سبيل
الله انا ويدعو اليها من اتبعني او انا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن
اتبعني عطف على انا يخبر ابتداء به ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى
وسبحان الله وانزهه من الشركاء وما أنا من المشركين مع الله غيره وما
أرسلنا من قبلك إلا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا
لانزل ملائكة او ليست فيهم امرأة نوحي بالنون حفص اليهم من أهل
القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفا أفلم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي ولدار الساعة
ولدار الآخرة خير للذين اتقوا الشرك وآمنوا به أفلا تعقلون وبالياء
مكي وابو عمرو وحمزة وعلي حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد
كذبوا ان قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفي اي وظن المرسل اليهم انهم
كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم
فيه جاءهم نصرنا للانبياء والمؤمنين فجاءة من غير احتساب فنجي بنون
واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامي وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول
والقائم مقام الفاعل من والباقون فننجي من نشاء اي النبي ومن آمن به ولا
يرد بأسنا عذابنا عن القوم المجرمين الكافرين لقد كان في قصصهم
اي في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لأولي الألباب

من عذاب الله أو تأتيهم
الساعة صح

حيث نقل من غاية الحب الي غيابة الجب ومن الحصير الي السرير فصارت عاقبة
الصبر سلامة ونهاية المكر وخامة وندامة ما كان حديثا يفتري ما كان
القرآن حديثا مفتري كما زعم الكفار ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن
كان تصديق الكتب التي تقدمته وتفصيل كل شيء يحتاج اليه لانه القانون
الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس وهدي من الضلال ورحمة
من العذاب لقوم يؤمنون بالله وانبيائه وما نصب بعد لكن معطوف علي
خبر كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف فايما عبد
تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة
ان لا يحسد مسلما قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في ذكر قصة يوسف عليه واخوته
تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اذي قريش كانه يقول ان اخوة يوسف
مع موافقتهم اياه في الدين ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر
وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك في الدين احري ان تصبر على اذاهم و
قال وهب ان الله تعالي لم ينزل كتابا الا وفيه سورة يوسف تامة كما في القرآن

انا الله اعلم واري عن ابن عباس رضي الله عنهما المر اشارة الي ايات السورة تلك
ايات الكتاب اريد بالكتاب السورة اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة
في بابها والذي انزل اليك من ربك القرآن كله الحق خبر والذي ومعناه
هو الحق الذي لا مرية ولكن اكثر الناس لا يؤمنون فيتقولونه محمد ثم ذكر ما يوجب
الايمان فقال الله الذي رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان يكون موضوعة
فرفعها والله مبتدأ والخبر الذي رفع السموات بغير عمد حال وهو جمع عماد او عمود
ترونها الضمير يعود الي السموات اي ترونها كذلك فلا حاجة الي البيان والي
عمد فيكون في موضع جر على انه صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ثم استوي على العرش
استولي بالاقتدار ونفوذ السلطان وسخر الشمس والقمر لمنافع عباده ومصالح
بلاده كل يجري لاجل مسمي وهو انقضاء الدنيا يدبر الامر امر ملكوته وربوبيته
يفصل الايات يبين اياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لعلكم
توقنون بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وهو الذي مد

الارض

الارض بسطها وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت وانهارا جارية ومن
كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين اي الاسود والابيض والحلو و
الحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك يغشي الليل النهار يلبسه
مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا يغشي حمزة وعلي وابو
بكر ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ان لها صانعا عليما
حكيما قادرا وفي الارض قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة
متلاصقة طيبة الي سبخة وكريمة الي دهيدة وصلبة الي رخوة وذلك
دليل علي قادر مريد موقع لافعاله علي وجه دون وجه وجنات معطوفة
علي قطع من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع مكي وبصري
وحفص عطف علي قطع غيرهم بالجر لا عطف علي اعناب والصنوان جمع صنو
وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان
تسقي بماء واحد وبالياء عاصم وشامي ونفضل بعضها علي بعض و
بالياء حمزة وعلي في الاكل في الثمر وبسكون الكاف نافع ومكي ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون عن الحسن مثل اختلاف القلوب في اثارها وانوارها
واسرارها باختلاف القطع في انهارها وازهارها وان تعجب يا محمد من
قولهم في انكار البعث فعجب قولهم خبر ومبتدأ اي فقولهم حقيق بان
يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة اهون
شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب أئذا كنا ترابا أئنا
لفي خلق جديد في محل الرفع بدل من قولهم قراها عاصم وحمزة كل واحدة
بهمزتين اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في
كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصفهم بالاصرار او من جملة الوعيد
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون دل تكرار اولئك علي تعظيم
الامر وقد خلت من قبلهم المثلات بالنقمة قبل العافية وذلك انهم
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم
بانذاره ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة اي عقوبات امثالهم من
المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب
والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها وان ربك لذو مغفرة

للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال اي ظالمين
لانفسهم قال السدي يعني المومنين وهي ارجى اية في كتاب الله حيث ذكر
المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزيلها وترفعها وان
ربك لشديد العقاب على الكافرين اوهما جميعا في المومنين لكنه تعلق بالمشيئة
فيهما اي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا
حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت منذر
انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من
الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة
باية اية كانت والايات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ولكل قوم هاد
من الانبياء عليهم السلام يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله باية خص بها
لا بما يريدون ويتحكمون الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام
وما تزداد ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة اي يعلم ما تحمله من الولد على اي
حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك
وما تغيضه الارحام اي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا وما تزداد
والمراد عدد الولد فانها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة واربعة او جسد الولد فانه
يكون تاما ومخدجا او مدة الولادة فانها تكون اقل من تسعة اشهر وان زيد عليها
الى سنتين عندنا والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك رحمه الله او جسد
اي يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها وكل شيء عنده بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب
ما غاب عن الخلق والشهادة ما شاهدوه الكبير العظيم الشان الذي كل شيء
دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر من صفات المخلوقين
وتعالى عنها وبالياء في الحالين مكي سواء منكم من اسر القول ومن جهر
به اي في علمه ومن هو مستخف بالليل متوار وسارب بالنهار ذاهب في سربه
اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا وسارب عطف على من هو
مستخف لا على مستخف او على مستخف غير ان في معنى الاثنين والضمير في له مردود

على من

على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات
من الملائكة تتعقب في حفظه والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف او
هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم
يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه من بين يديه ومن خلفه اي قدامه ووراءه
يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه
قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم
بحفظه او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ان الله لا يغير
ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة
المعاصي واذا اراد الله بقوم سوءا عذابا فلا مرد له فلا يدفعه شيء وما لهم
من دونه من وال من دون الله من يلي امرهم ويدفع هو الذي يريكم البرق
خوفا وطمعا انتصب على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا
خوف وذا طمع او من المخاطبة او من المخاطبين اي خائفين وطامعين والمعنى
يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق او
يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع
اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له نفع وينشئ السحاب هو اسم جنس
والواحدة سحابة الثقال بالياء وهو جمع ثقيلة يقول سحابة ثقيلة وسحاب
ثقال ويسبح الرعد بحمده قيل يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر
اي يضجون فسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد
ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي تسمع
زجره السحاب حتى ينتهي الى حيث امر والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من
هيبته واجلاله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصاعقة نار تسقط
من السماء لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على
قدرته الباهرة ووحدانيته قال وهم يجادلون يعني الذين كذبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من
القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون
الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الاجسام بقولهم الملائكة بنات الله

والواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جداله وذلك ان اربد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر ابن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد وهو شديد المحال اي المماحلة وهي شدة المماكرة والمكابرة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى سلطان والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون له دعوة الحق اضيف الدعوة الى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله او كانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة اربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما وكانت الدعوة دعوة حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان دعا عليهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دونه من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه الاستثناء من المصدر اي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لان الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واللام في ليبلغ متعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه وما الماء ببالغ فاه وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام

لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض سجود تعبد وانقياد طوعا حال يعني الملائكة والمؤمنين وكرها يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق وظلالهم معطوف على من جمع ظل بالغدو جمع غداة كقنى وقناة والاصال جمع اصل جمع اصيل قيل ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والاصال وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طايع قل من رب السموات والارض قل الله حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود وابي قالوا الله او هو تلقين اي فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب لهم الا قل افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا ضرا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم قل هل يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن او من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء ام هل تستوي الظلمات والنور ملل الكفر والايمان يستوي كوفي غير حفص ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا ومعنى الهمزة للانكار خلقوا كخلقه خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء اي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه الخلق عليهم فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدر واعلى ما يقدر الخالق قل الله خالق كل شيء اي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق افعال العباد وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور انزل اي الواحد القهار وهو الله سبحانه من السماء من السحاب ماء مطرا فسالت اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وانما نكر لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع

للمطورعليهم غير ضار فاحتمل السيل اي رفع زبدًا هو ما علا وجه الارض
من الرغوة والمعنى علاه زبدًا رابيًا منتفخًا مرتفعًا على وجه السيل ومما توقدون
عليه وبالياء كوفي غير ابي بكر ومن للابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد
الماء او للتبعيض اي بعضه زبد في النار حال من الضمير في عليه اي ومما
توقدون عليه ثابت في النار ابتغاء حلية مبتغين حلية فهو موضع مصدر
في موضع الحال من الضمير في عليه وتوقدون عليه ثابت في او متاع من
الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منها الاواني وما يتمتع به في الحضر و
السفر وهو معطوف على حلية اي زينة من الذهب والفضة زبد خبث وهو مبتدا
مثله نعت له ومما توقدون خبره اي لهذه الفلزات اذا اغليت زبد مثل
زبد الماء كذلك يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق والباطل فاما
الزبد فيذهب جفاء حال اي متلاشيًا وهو ما يقذفه القدر عند
الغليان والبحر عند الطغيان والجفوء الرمي وجفات الرجل صرعته واما ما
ينفع الناس فيمكث في الارض فيثبت الماء في العيون والابار والحبوب و
الثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة كذلك يضرب الله الامثال
ليظهر الحق من الباطل قيل هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه فمثل
الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به
وينفعهم انواع المنافع المختلفة وان ذلك ماكث في الارض باقٍ بقاء ظاهر
يثبت الماء في منافعه وكذا الجوهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة
اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفوا
فوقه اذا اذيب وقال الجمهور هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق
والباطل فالماء القرآن نزل لحيوة الجنان كالماء للابدان والاودية للقلوب
ومعنى بقدرها بسعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس
الشيطان والماء الصافي المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى
صفو الماء كذلك يذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما
هو واما حلية الذهب والفضة فمثل الاحوال السنية والاخلاق الزكية واما متاع
الحديد والنحاس والرصاص فمثل للاعمال الممدة بالاخلاص المعدة للخلاص فان
الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما ان تلك الجواهر بعضها اداة النفع في

الكسب وبعضها آلة الدفع في الحروب واما الزبد فالريا والخلل والزلل والملل
والكسل واللام للذين استجابوا اي اجابوا متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله
الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى وهي صفة لمصدر استجابوا اي
الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين وقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين اي لو
ملكوا اموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن انفسهم عذاب
الله والوجه ان الكلام قد تم على الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى
مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم
يستجيبوا مبتدا وخبره ما في حيزه اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه
في الحديث من نوقش في الحساب عذب وبئس المهاد ومرجعهم بعد المحاسبة
النار ومأويهم جهنم المكان الممهد والمذموم محذوف اي جهنم دخلت همزة
الانكار على الفاء في افمن يعلم لانكار ان يقع شبهة بعد ما ضرب من المثل
في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال
الجاهل لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله كمن هو اعمى كبعد الزبد والماء
والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضايا عقولهم
فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدا والخبر ولا ينقضون
الميثاق والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة وقيل هو صفة لاولي
الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من
الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل
فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب
الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم و
الذب عنهم والشفقة عليهم وافشا السلام عليهم وعيادة مرضاهم و
منه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر ويخشون ربهم
اي وعيده كله ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصايب في النفوس والاموال

والذين لم يستجيبوا

ومشاق التكاليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل
واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع واقاموا الصلوة وداوموا على اقامتها
وانفقوا مما رزقناهم اي من الحلال وان كان الحرام رزقا عندنا سرا و
علانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والمجاهرة والفرائض لان المجاهرة بها
افضل نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من شيء غيرهم واذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا و
صلوا واذا اذنبوا تابوا واذا هربوا انابوا واذا رأوا منكرا امروا بتغييره فهذه ثمانية
اعمال تشير الى ثمانية ابواب الجنة اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي
الجنة لانها التي ارادها الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن
بدل من عقبى الدار يدخلونها ومن صلح اي آمن من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم وقرئ صلح قراءة ابن عباس والفتح افصح ومن في محل الرفع
بالعطف على الضمير في يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول
صار فاصلا واجاز الزجاج ان يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم
ان الانساب لا تنفع بنفسها والمراد ابو كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم و
امهاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب في قدر كل يوم وليلة
ثلاث مرات بالهدايا وبشارة الرضا سلام عليكم في موضع الحال اذ المعنى
قائلين سلام عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف تقديره هذا بما
صبرتم اي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات او على امر الله او بسلام
اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول اوجه فنعم عقبى الدار الجنات
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف
والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالكفر
والظلم اولئك لهم اللعنة الابعاد من الرحمة ولهم سوء الدار يحتمل ان يراد
سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوء
عذابها الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي ويضيق لمن يشاء والمعنى
الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وفرحوا بالحيوة الدنيا
بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم
ولم يقابلوه بالشكر حتى يوجروا بنعيم الآخرة وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع

وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة
الراكب وهو ما يتعجله من تميرات او شربة سويق ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه آية من ربه اي الآية المقترحة قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب ويرشد الى دينه من رجع اليه
بقلبه الذين آمنوا هم الذين او محله نصب بدل من من وتطمئن قلوبهم تسكن
بذكر الله على الدوام او بالقرآن او بوعده الا بذكر الله تطمئن القلوب
بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات
مبتدأ طوبى لهم خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك اصبت
خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما
لك واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن
ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة في وحسن مآب مرجع بالرفع والنصب
تدلك على محليها كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني
ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر فقال في
امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة
فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم
الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم
يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء قل هو ربي لا
اله الا هو اي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي
عليكم واليه متاب مرجعي فيثيبني على مصابرتكم متابي وعقابي ومآبي
في الحالين بعقوب ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها فتسمع وتجيب
لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف فجواب
لو محذوف او معناه ولو ان قرآنا سير به تسيير الجبال وتقطيع الارض
وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة الآية بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر
على الآيات التي اقترحوها افلم ييأس الذين آمنوا افلم يعلم وهي لغة قوم
من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن
الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك دليله قراءة

على رضي الله عنه يتبين وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات
وهذه والله فرية ما فيها مرية ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة او تحل
قريبا من دارهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف
البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل قريبا من دارهم
او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم
شرورها حتى يأتي وعد الله موتهم او القيمة او ولا يزال كفار مكة تصيبهم
بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة
لان جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم تغير حول مكة وتختطف منهم او
تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله
اي فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد اي لا خلف في موعده ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من
الزمان في خفض وامان ثم اخذتهم فكيف كان عقاب وهذا وعيد لهم وجواب
لهم عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية
له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني فالله الذي هو رقيب
على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن
ليس كذلك ثم استأنف فقال وجعلوا لله شركاء اي الاصنام قل سموهم
اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم وتنبؤه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه
بما لا يعلم في الارض على ام المنقطعة اي بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء والمراد
نفي ان يكون له شركاء ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من
القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون
من دون الله الا اسماء سميتموها بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للا
سلام بشركهم وصدوا عن السبيل عن سبيل الله بضم الصاد كوفي وبفتحها
غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله ومن يضلل الله فما له من هاد
من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وانواع
المحن ولعذاب الآخرة اشق اشد لدوامه وما لهم من الله من واق من

حافظ من عذابه مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي في غرابة
المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم مثل الجنة والخبر
تجري من تحتها الانهار كما يقول صفة زيد اسمر اكلها دائم ثمرها دائم الوجود
لا ينقطع وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك عقبى الذين
اتقوا اي الجنة الموصوفة عقبى تقويهم يعني منتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كابن سلام و
نحوه ومن النصارى بارض الحبشة يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب
اي واحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه
لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت
في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد عليه الصلوة والسلام وغير ذلك مما
حرفوه وبدلوه من الشرايع قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به هو
جواب للمنكرين اي انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم
له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب
عبادة الله وان لا يشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى
غيره مآب مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه
اي ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه
والى دينه والانذار بذكر الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب
وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يشا
فيها فقيل ولئن اتبعت اهواءهم بعدما جاءك من العلم اي بعد ثبوت
العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ما لك من الله من واق اي لا
ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين
على الثبات في الدين وان لا يزال زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة و
الا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان وكانوا
يعيبونه بالازواج والاولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء و
اولادا وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله اي ليس في وسعهم اتيان

دكم

ولي ولا

الايات على ما يقترحه قومه انما ذلك الى الله لكل اجل كتاب لكل وقت حكم
يكتب على العباد اي يفرض عليه على ما يقتضيه حكمته يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما
يشاء نسخه ويثبت بدله ما يشاء او يتركه غير منسوخ او يمحوا من ديوان الحفظة
ما يشاء ويثبته غيره او يمحوا كفر التائبين ويثبت ايمانهم او يميت من جاء اجله
وعكسه ويثبت مدني وشامي وحمزة وعلي وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب
وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي
نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما
وعدناهم من انزال العذاب عليهم وتوفيناك قبل ذلك فانما عليك البلاغ
فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الحساب وعلينا حسابهم
وجزاؤهم على اعمالهم لا عليك فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم
اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما يفتح على
المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من
آيات النصرة والغلبة والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء
ذلك فنحن نكفيه ونتم ما وعدناك من الظفر والله يحكم لا معقب لحكمه لا
راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي
يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء
والطلب والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار و
الانتكاس ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا
حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا وهو
سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا وقد مكر
الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية بانبيائهم والمكر ارادة المكروه في
خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا فسر
ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار يعني
العاقبة المحمودة لان من علم ما يكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله
لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم الكافر على ارادة الجنس
حجازي وابو عمرو ويقول الذين كفروا لست مرسلا المراد بهم كعب بن
الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا ولهذا قال عطاء هي مكية الا هذه

الآية

الآية قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم لما اظهر الادلة على رسالته و
الباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز ومن عنده علم الكتاب قيل هو
الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم
الكتاب اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علم من فضله ولطفه وقيل
ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم
وقال ابن سلام رضي الله عنه في نزلت هذه الآية وقيل هو جبرئيل عليه السلام
ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله او في موضع الرفع بالعطف على محل
الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر في الظرف
فيكون فاعلا لان الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذي والتقدير من ثبت
عنده علم الكتاب وهذا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت
بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما يقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة
بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء

الر كتاب هو خبر مبتدا محذوف اي هذا كتاب يعني السورة والجملة هي انزلناه
اليك في موضع الرفع صفة للنكرة لتخرج الناس بدعائك اياهم من الظلمات
الى النور من الضلالة الى الهدى باذن ربهم بتيسيره وتسهيله مستعار
من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق الى صراط بدل
من النور بتكرير العامل العزيز الغالب بالانتقام الحميد المحمود على الانعام
الله بالرفع مدني وشامي على هو الله وبالجر غيرهما على انه عطف بيان للعزيز
الحميد الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين
من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل
وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك وويل للكافرين من عذاب شديد وويل
هو مبتدأ وخبر وصفة الذين يستحبون يختارون ويؤثرون الحيوة الدنيا
على الآخرة ويصدون عن سبيل الله دينه ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل
زيغا واعوجاجا والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الذين مبتدأ
خبره اولئك في ضلال بعيد عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الاسناد
المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن ظهور الحق

فوصف به فعله كما يقول جد جده او مجرور صفة للكافرين او منصوب على
الذم او مرفوع على اعني الذين او هم الذين وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه قومه الا متكلما بلغتهم ليبين لهم ما هو مبعوث به وله فلا يكون
لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا عليه
الصلوة والسلام بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة
بلغزهم لحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل لجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة
الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين
ان ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه اولى بالتعيين لانهم اقرب اليه ولانه
ابعد من التحريف والتبديل فيضل الله من يشاء من اثر سبب الضلال ويهدي
من يشاء من اثر سببا للاهتداء وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم
فلا يخذل الا اهل الخذلان ولقد ارسلنا موسى باياتنا التسع ان اخرج
بان اخرج او اي اخرج ان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا
له اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه
التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها
وملاحمها او بايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى
وفلق لهم البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على البلايا شكور على العطايا
كانه قال لكل مؤمن اذ الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب اذ ظرف النعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت
او بدل اشتمال من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم ويذبحون ابناءكم ذكر
في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل
ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل
التذبيح من حيث انه زاد على جنس العذاب كانه جنس آخر ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة او الى الانجاء
والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة واذ تاذن ربكم اي اذن ونظيره تاذن
واذن توعد واوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذا

ربكم

ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك والشبه ومن جملة ما قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم والمعنى واذ تاذن ربكم فقال
لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها لازيدنكم نعمة
الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود واذ قيل اذا سمعت النعمة نعمة
الشكر تاهبت للمزيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد
في الطاعة لازيدنكم بالجد في المثوبة ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به
عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي اما في الدنيا فسلب النعم واما
في العقبى فتوالي النقم وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن
في الارض جميعا والناس كلهم فان الله لغني حميد عن شكركم وان لم
يحمده الحامدون وانتم ضررتم انفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بد
لكم منه الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من
كلام موسى عليه السلام لقومه او ابتداء خطاب لاهل عصر محمد صلى الله عليه
وسلم والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتداء وخبر وقعت
اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض
والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين
عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وروي انه عليه الصلوة والسلام
قال عند نزول هذه الاية كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات فردوا ايديهم في افواههم الضمير ان يعودان الى الكفرة اي اخذوا
انامله باسنانهم تعجبا وعضوا عليها تغيظا او الثاني يعود الى الانبياء
اي رد القوم ايديهم في افواه الرسل لئلا يتكلموا بما ارسلوا به وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان بالله تعالى
والتوحيد مريب موقع في الريبة قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة
الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه
لا يحتمل الشك لظهور الادلة وهو جواب قولهم وانا لفي شك فاطر السموات
والارض يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم اذا امنتم ولم يجيء مع
من الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤ

منين

هل ادلكم على تجارة الى ان قال يغفر لكم مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك
للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد ويؤخركم الى
اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره قالوا اي القوم ان انتم الا
بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة
دوننا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا اباؤنا يعني الاصنام
فاتونا بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وانما
ارادوا بالسلطان المبين انه قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم انهم بشر مثلهم ولكن الله يمن على
من يشاء من عباده بالايمان والنبوة كما من علينا وما كان لنا ان
ناتيكم بسلطان الا باذن الله جواب لقولهم فاتونا بسلطان مبين
والمعنى ان الاتيان بالاية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وانما
هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين
كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا كانهم قالوا ومن حقنا ان
نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم وايذائكم الا ترى الى قوله وما لنا ان
لا نتوكل على الله معناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدينا سبلنا
وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب
عليه سلوكه في الدين قال ابو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق
القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر على البلاء ولنصبرن على ما
اذيتمونا جواب قسم مضمر اي حلفوا على الصبر على اذاهم وان لا يمسكوا عن دعائهم
وعلى الله فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون
تكرارا وقال الذين كفروا لرسلهم سبلنا الرسلهم ابو عمرو لنخرجنكم من
ارضنا من ديارنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اخراجكم
او عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب
او خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد فاوحى
اليهم ربهم لنهلكن الظالمين القول مضمر اي اجرى الايحاء مجرى القول
لانه ضرب منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارض الظالمين وديارهم
في الحديث من اذى جاره ورثه الله داره ذلك الاهلاك والاسكان اي ذلك

الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب المقام مفخم او خاف
قيامي عليه بالعلم كقوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك
حق للمتقين وخاف وعيد عذابي وبالياء يعقوب واستفتحوا واستنصروا
الله على اعدائهم وهو معطوف على اوحى اليهم وخاب كل جبار عنيد وخسر
كل متكبر بطر عنيد مجانب للحق معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل
ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم
يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه جهنم وهذا وصف حاله وهو في
الدنيا لانه مرصد بجهنم وكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله
في الاخرة حين يبعث ويوقف ويسقى معطوف على محذوف تقديره من ورائه
جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد ما يسيل من جلود اهل النار
وصديد عطف بيان لماء لانه مبهم فبين بصديد يتجرعه يتجرعه جرعة جرعة ولا يكاد
يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي
لم يقرب من رؤيتها ويأتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت من كل
جهة او من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الالام اي لو
كان ثمة موت لكان واحد منها مهلكا وما هو بميت لانه لو مات لاستراح
ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى
عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في
الاجساد مثل الذين مبتدأ محذوف الخبر اي فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا
بربهم بالحق والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله كفروا بربهم جملة
مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول مثلهم فقيل اعمالهم كرماد اشتدت
به الريح الرياح مدني في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو
الريح كقولك يوم ماطر واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف وغير ذلك شبهها في
حبوطها لبنائها على غير اساس وهو الايمان بالله برماد طيرته الريح العاصف
لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثر ثواب
كالا من الرماد المط في الريح على شيء ذلك هو الضلال

البعيد اشارة الي بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن الثواب الم تر الم تعلم الخطاب
لكل احد ان الله خلق السموات والارض خالق مضافا حمزة وعلي بالحق بالحكمة
والامر العظيم لم يخلقها عبثا ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي قادر
علي ان يعدم الناس ويخلق خلقا آخر علي شكلهم او علي خلاف شكلهم اعلم بانه
قادر علي اعدام الموجود وايجاد المعدوم وما ذلك علي الله بعزيز بمتعذر
وبرزوا لله جميعا ويبرزون يوم القيمة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر
به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونادي اصحاب الجنة
واصحاب النار وغير ذلك ومعني بروزهم لله والله تعالي لا يتواري عنه شيء
حتي يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون
ان ذلك خاف علي الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان
الله لا يخفي عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فقال
الضعفاء في الراي وهم السفهاء والاتباع وكتب بواو قبل الهمزة علي لفظ من
يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الي الواو للذين استكبروا وهم السادة و
الرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع الي الانبياء عليهم السلام
واتباعهم انا كنا لكم تبعا تابعين جمع تابع كخادم وخدم وغايب وغيب
او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب
الله من شيء فهل تقدرون علي دفع شيء مما نحن فيه ومن الاولي للتبيين و
الثانية للتبعيض اي هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض
بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا علي استغوائهم لانهم
علموا انهم لا يقدرون علي الاغناء عنهم قالوا لهم مجيبين معتذرين قالوا
لو هدينا الله لهديناكم اي هدينا الله الي الايمان في الدنيا لهديناكم اليه او لو
هدينا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم
طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستو بان
علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية وروي انهم يقولون في النار تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
خمسمائة فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون
انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون

ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايدة في الجزع كما لا فايدة في الصبر ما لنا من محيص
منجي ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون هذا من كلام الضعفاء و
المستكبرين جميعا وقال الشيطان لما قضي الامر حكم بالجنة والنار
لاهليهما وفرغ من الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار روي
ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا علي منبر من نار فيقول يا اهل النار
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وهو البعث والجزاء علي
الاعمال فوفي لكم بما وعدكم ووعدتكم بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم من تسلط واقتدار الا ان
دعوتكم لكني دعوتكم الي الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لان
الدعاء ليس من جنس السلطان فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني
لان من تجرد للعداوة لا يلام اذا دعا الي امر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا
يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ولوموا انفسكم حيث اتبعتموني
بلا حجة وبرهان وقول المعتزلة هذا دليل علي ان الانسان هو الذي يختار
الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان
الا التزيين باطل لقوله لو هدينا الله لهديناكم كما مر ما انا
بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا
يغنيه والاصراخ الاغاثة بمصرخي حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا يجتمع
الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ والياء الاولي ياء الجمع والثانية
ضمير المتكلم اني كفرت بما اشركتمون وبالياء بصري وما مصدرية من قبل
متعلق باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم
اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعني كفره باشراكهم اياه تبرؤه
منه واستنكاره له كقوله انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
او من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم
بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل يقول اشركني فلان اي جعلني له شريكا و
معني اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان
وهذا اخر قول الشيطان وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز
وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكي الله عز وجل ما سيقوله في ذلك

الوقت ليكون لطفا للسامعين وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها عطف على برزوا باذن ربهم متعلق
بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره تحيتهم فيها سلام
هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة او تسليم الملائكة عليهم الم تر
كيف ضرب الله مثلا اي وصفه وبينه كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل
كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف
الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس او انتصب مثلا وكلمة بضرب اي
ضرب كلمة طيبة مثلا يعني جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر
مبتدا محذوف اي هي كشجرة طيبة اصلها ثابت اي في الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء والكلمة الطيبة كلمة التوحيد اصلها
تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان واكلها عمل بالاركان فكما ان الشجر
شجر وان لم يكن حاملا فالمومن مومن وان لم يكن عامل ولكن الاشجار لا تراد
الا للثمار فما اقوات النار الا من الاشجار اذا اعتادت الاخفار في عهد الا
ثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك و
الجمهور على انها النخلة فعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي فوقع
الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انها النخلة فقال عمر يا بني لو كنت قلتها كان احب الي من حمر النعم توتي
اكلها كل حين تعطي ثمرتها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير
خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان
في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير المعاني ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة هي كل شجرة لا تطيب ثمارها وفي الحديث انها شجرة الحنظل
اجتثت من فوق الارض استوصلت جثته وحقيقة الاجتثاث اخذ
الجثة كلها وهي في مقابلة اصلها ثابت ما لها من قرار اي استقرار يقال
قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض
غير ثابت يثبت الله الذين امنوا اي يديمهم عليه بالقول الثابت هو قول

لا اله الا الله محمد رسول الله بالقول الثابت حتى اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا
كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود وغير ذلك وفي الاخرة الجمهور ان
المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المومن فقال ثم يعاد روحه في جسده
فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي منادي
من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
ثم يقول الملكان عش سعيدا ومت حميدا نم نومة العروس ويضل الله
الظالمين فلا يثبتهم على القول الثابت في مواقف الفتن وتزل اقدامهم
اول شيء وهم في الاخرة اضل واذل ويفعل الله ما يشاء فلا اعتراض عليه
في تثبيت المومنين واضلال المومنين الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي
شكر نعمة كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم
غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم اهل مكة اكرمهم بنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر واحلوا قومهم
الذين تابعوهم على الكفر دار البوار دار الكفر الهلاك جهنم عطف بيان
يصلونها يدخلونها فبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا امثالا
في العبادة او في التسمية ليضلوا عن سبيله وبفتح الياء مكي وابو عمرو و
قل تمتعوا في الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية قال ذو النون رحمه الله ان
يقضي العبد ما استطاع من شهوته فان مصيركم الى النار مرجعكم اليها
قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة اليه تشريفا وبسكون الياء شامي
وحمزة وعلي والاعشى يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم المقول محذوف
لان قل يقتضي مقولا وهو اقيموا وتقديره قل اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا
الصلوة وينفقوا وقيل انه امر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف
اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام
لم يجز سرا وعلانية انتصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية يعني مسرين ومعلنين
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية
والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال

اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله بفتحهما مكي وبصري الباقون بالرفع والتنوين الله مبتدأ الذي
خلق السموات والارض خبره وانزل من السماء ماء من السحاب مطرا واخرج به
من الثمرات رزقا لكم من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو
ثمرات او من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حال من المفعول وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين دائمين وهو حال من الشمس والقمر اي يدابان في مسيرهما وانارتهما
ودرءهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم واتيكم من
كل ما سالتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض جميع ما سالتموه او واتاكم من
كل شي سالتموه ولم تسالوه فما موصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية
لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر من كل غير ابي عمرو وما
سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه او ما
موصولة اي واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سالتموه وطلبتموه بلسان
الحال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها هذا
اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يعلمه الا الله ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها او ظلوم في
الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار
بالظلم والكفران من يوجد ان يامنه واذ قال ابراهيم واذكر اذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد اي البلد الحرام امنا ذا امن والفرق بين هذه وبين
ما في البقرة انه من صفة الخوف الى الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا
واجنبني وبعدني اي ثبتني وادمني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين
لك اي ثبتنا على الاسلام وبني اراد بنيه من صلبه ان نعبد الاصنام من
ان نعبد رب انهن اضللن كثيرا من الناس جعلن مضلات على طريق التسبب
لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا
مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي ومن عصاني فيما دون الشرك
فانك غفور رحيم او ومن عصاني عصيان شرك فانك غفور رحيم ان تاب

وامن

وامن ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد
منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شي من زرع قط عند
بيتك المحرم هو بيت الله سمي به لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون
به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا يهابه كل جبار او لانه محترم
عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي
عتيقا لانه اعتق منه ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما
اسكنتهم بهذا الوادي البلقع ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه
بذكرك وعبادتك فاجعل افئدة من الناس من افئدة الناس ومن
للتبعيض كما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس
والروم والترك والهند او للابتداء كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي
فكانه قيل افئدة ناس وبكسر المضاف اليه في التمثيل لتنكير افئدة لانها في
الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم
شوقا وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شي منها بان تجلب
اليهم من البلاد الشاسعة لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا
انواع الثمرات في واد ليس فيه شجر ولا ماء ربنا النداء المكرر دليل التضرع
واللجأ الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن وما
يخفى على الله من شي في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا
لابراهيم عليه السلام او من كلام ابراهيم عليه السلام ومن للاستغراق
كانه قيل وما يخفى عليه شي ما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل و
اسحق روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو
ابن مائة وثنتي عشرة سنة وروي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين سنة و
اسحق لتسعين سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم
لانها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل
النعم ولان الولادة في تلك السن الغالية كانت اية لابراهيم ان ربي لسميع
الدعاء لمجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة
والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب
هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته واضافة السميع الى

الدعاء اضافة الصفة الي مفعولها واصله السميع الدعاء فقد ذكر سيبويه فعيلا
من جملة ابنية المبالغة العاملة على الفعل كقولك هذا رحيم اباه رب اجعلني
مقيم الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني
وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار عن ابن عباس رضي
الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الي ان يقوم الساعة ربنا
وتقبل دعاء بالياء في الوصل والوقف مكي وافقه ابو عمرو وحمزة في الوصل
الباقون بلا ياء اي استجب دعائي او عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون
الله ربنا اغفر لي ولوالدي اي آدم وحوي او قاله قبل النهي واليأس عن
ايمان ابويه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يثبت او اسند الي الحساب
قيام اهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول
عليه الصلوة والسلام وان كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان
عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله
الها آخر وكما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا امنوا بالله ورسوله وقيل المراد به
الايذان لانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفي عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله
وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم انما يؤخرهم
اي عقوبتهم ليوم تشخص فيه الابصار اي الابصار لا تقر في اماكنها من هول
ما تري مهطعين مسرعين الي الداعي مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم
طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الي انفسهم وافئدتهم هواء صفر من
الخير لا تعي شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام فوصف
به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة وقيل جوف لا
عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب اي يوم القيمة ويوم مفعول
ثان لانذر لا ظرف اذ الانذار لا يكون في ذلك اليوم فيقول الذين ظلموا
اي الكفار ربنا اخرنا نجب دعوتك ونتبع الرسل اي ردنا الي الدنيا وامهل
الي امد ومدة من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع
رسلك فيقال لهم او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال اي
حلفتم في الدنيا انكم اذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الي

دار اخري يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو
حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال اواريد باليوم هلاكهم بالعذاب
العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الي اجل قريب يقال سكن الدار و
سكن فيها ومنه وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر لان السكنى
من السكون وهو اللبث والاصل تعديه بفي نحو اقر في الدار واقام فيها و
لكنه لما نقل الي سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها و
يجوز ان يكون سكنوا من السكون اي اقروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين
سيرة من قبلهم في الظلم والفساد ولا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام
الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار
والمشاهدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام اي تبين لكم حالهم وكيف
ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما نصب كيف بقوله فعلنا
بهم اي اهلكناهم وانتقمنا منهم وضربنا لكم الامثال اي صفات ما
فعلوا وما فعل بهم وهي القرائن كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا
مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وما فعلوا في تأييد
الكفر وبطلان الاسلام وعند الله مكرهم هو مضاف الي الفاعل كالاول
والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم بمكر هو اعظم منه او الي المفعول
اي وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا
يشعرون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى ونصب
الثانية والتقدير وان وقع امرهم لزوال امر النبي عليه الصلوة والسلام فعبر
عن امر النبي بالجبال المعظم شأنه وكان تامة او ان نافية واللام مؤكدة
لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على
ان الجبال مثل لآيات الله وشرايعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا
دليله قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم وبفتح اللام الاولى ورفع
الثانية على اي وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن
اماكنها فان مخففة من ان واللام مؤكدة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله

يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ومخلف مفعول ثان
لتحسب واضاف مخلف الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله و
التقدير مخلف رسله وعده وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه
لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه
اذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله
عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وانتصاب يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات على الظرف للانتقام او على اضمار اذكر والمعنى
يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وتبدل
السموات غير السموات وانما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير و
قد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك
بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل و
اختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض
جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس
هي تلك الارض وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها
وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر
وقال ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها خطيئة
وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وبرزوا و
خرجوا من قبورهم لله الواحد القهار هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى
غيره كان الامر في غاية الشدة وترى المجرمين الكافرين يومئذ يوم القيمة
مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم
مغللين في الاصفاد متعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد او غير متعلق
به والمعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود والاغلال سرابيلهم قميصهم
من قطران وتغشى وجوههم النار هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيهنا
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال
النار وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه
لها كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم

واللون

واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين فكلما وعد الله او وعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من
جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة
نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطران تعلوها باشتعالها وخص الوجه
لانه اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة
ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس
مجرمة ما كسبت او كل نفس او مطيعة لانه اذا عاقب المجرمين باجرامهم علم
انه يثيب المؤمنين لطاعتهم ان الله سريع الحساب يحاسب جميع العباد في
اسرع من لمح البصر هذا اي ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب
بلاغ للناس كفاية في التذكير والمواعظة ولينذروا به بهذا البلاغ و
هو معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا وليعلموا انما هو اله واحد
لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد
لان الخشية ام الخير كله وليذكر اولوا الالباب ذوو العقول والله اعلم بالصواب

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة
من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك
آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال
والغرابة في البيان ربما بالتخفيف مدني وعاصم وبالتشديد غيرهما وما هي
الكافة لانها حرف يجر ما بعده ويختص بالاسم النكرة فاذا كفت وقع بعده
الفعل الماضي والاسم وانما جاز يود الذين كفروا لان المترقب في اخبار الله
بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ودوا وودادتهم تكون عند
النزع او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين او اذا راوا المسلمين يخرجون
من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما لو كانوا
مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وانما
قلل بربّ لان اهوال يوم القيمة تشغلهم عن التمني فاذا افاقوا من سكرات

الموت العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال ان رب يعني بها الكثير
سهو لانه ضد ما يعرفه اهل اللغة لانها وضعت للتقليل ذرهم امر اهانة
اي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة
وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم املهم و
امانيهم عن الايمان فسوف يعلمون سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار
التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل مليس من اخلاق المؤمنين
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولها كتاب جملة واقعة صفة
لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة
بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تاكيدا لذلك والوجه ان يكون هذه الجملة حالا
لقرية لكونها في حكم الموصوفة كانه قيل وما اهلكنا قرية من القرى لا وصفا
وقوله كتاب معلوم اي كتاب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ و
بين الاثري الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وما يستاخرون
اي عنه وحذف لانه معلوم وانث الامة اولا ثم ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى
وقالوا اي الكفار يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القران انك لمجنون يعنون محمدا
صلى الله عليه وسلم وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه
الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم سائغ ومنه فبشرهم
بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد والمعنى انك لتقول قول المجانين
حيث تدعي ان الله نزل عليك الذكر لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين
لو ركبت مع لا وما لامتناع الشيء لوجود غيره او للتحضيض وهل ركبت مع لا
للتحضيض فحسب والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك او هلا
تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا ما ننزل الملائكة
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم
وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر
عذابهم انا نحن نزلنا الذكر القرآن وانا له القرآن لحافظون وهو رد لانكارهم
واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد

نحن

عليهم

عليهم انه هو المنزل على القطع وانه هو الذي نزل محفوظا من الشياطين وهو
حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب
المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا
فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه وقد جعل قوله و
انا له لحافظون دليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر او غير
آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه او الضمير في
له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين اي ولقد ارسلنا من قبلك رسلا في الفرق الاولين والشيعة
الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا
يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من
رسول الا كانوا به يستهزؤن يعزي نبيه عليه الصلوة والسلام كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين اي كما سلكنا الكفر والاستهزاء في شيع الاولين
نسلكه اي الكفر او الاستهزاء في قلوب المجرمين من امتك من اختار ذلك
يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في
الاصلح وخلق الافعال لا يؤمنون به او بالذكر وهو حال وقد خلت سنة
الاولين مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حتى كذبوا رسله وهو
وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء ولو اظهرنا
لهم اوضح آية وهو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون لقالوا
انما سكرت ابصارنا اخيرت او حبست كما يحبس النهر من الجري والمعنى ان
هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء
ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء
نتخايله لا حقيقة له ولقالوا بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك او
الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا
ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون
وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار
ولقد جعلنا في السماء خلقنا فيها بروجا نجوما او قصورا فيها الحرس او
منازل النجوم وزيناها اي السماء للناظرين وحفظناها اي السماء من

كل شيطان رجيم ملعون او مرمي بالنجوم الا من استرق السمع اي المسموع
ومن في محل النصب على الاستثناء فاتبعه شهاب نجم منقض فيعود مبين
ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه
السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
السموات كلها والارض مددناها بسطناها من تحت الكعبة والجمهور
على انه مدها على وجه الماء والقينا فيها رواسي في الارض جبالا ثوابت
وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار
يقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب المنفعة
والنعمة او ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها
وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن وجعلنا لكم فيها في الارض معايش
ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث
ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ ومن لستم له برازقين من في محل
النصب بالعطف على معايش او محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش
ومن لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين و
اراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون انهم يرزقونهم و
يخطئون فان الله هو الرزاق يرزقكم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب
ونحو ذلك ولا يجوز ان يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور الا باعادة
الجار وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ذكر
الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على
ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره على كل شيء مقدور وارسلنا الرياح لواقح جمع لاقحة اي
وارسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانها لاقحة
بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم الريح حمزة وانزلنا من السماء
ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم
ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون
للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه
بقادرين دلالة على قدرته وعجزهم وانا لنحن نحيي بالايجاد ونميت بالافناء

او غيت عند انقضاء الآجال ونجزي لجزاء الاعمال على التقديم والتأخير
اذ الواو للجمع المطلق ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل
للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من تقدم ولادة وموتا
ومن تأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم
في الاسلام او في الطاعة او في وصف الجماعة او في وصف الحرب ومن تأخر
وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده يقدر على حشرهم والمحيط بحصرهم
انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم ولقد خلقنا الانسان اي آدم
من صلصال طين يابس غير مطبوخ من حمإ صفة لصلصال اي خلقه
من صلصال كائن من حمإ اي طين اسود متغير مسنون مصور وفي
الاول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار
سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا يناقض والجان ابا الجن كآدم
للناس او هو ابليس وهو منصوب بفعل مضمر تفسيره خلقناه من قبل من
قبل آدم من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه
السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق الله منها الجان واذ قال
ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ
مسنون فاذا سويته اتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت
فيه من روحي وجعلت فيه الروح واحييته وليس ثم نفخ وانما هو تمثيل
والاضافة للتخصيص فقعوا له ساجدين هو امر من وقع يقع اي اسقطوا
على الارض يعني اسجدوا له ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على انه يجوز
تقدم الامر على وقت الفعل فسجد الملائكة كلهم اجمعون والملائكة
جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بكلهم وذكر الكل احتمل تأويل
التفرق فقطعه بقوله اجمعون الا ابليس ظاهر الاستثناء يدل على انه كان
من الملائكة لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن ان الاستثناء
يدل على انه منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك
ملعونا وقال في الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم
الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا ابى ان يكون

مع الساجدين امتنع ان يكون معهم وابي استيناف على تقدير قول قائل يقول لهم لا يجد فقيل ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابي قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين اي عرض لك في ابائك السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها من السماء او من الجنة او من جملة الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة و الابعاد منها وان عليك اللعنة الى يوم الدين ضرب يوم الدين حد اللعنة لانه ابعد غاية يضرب بها الناس في كلامهم او المراد به انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما تنسى اللعن معه قال رب فانظرني اخرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن لهم و المعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي ونحو قوله بما اغويتني لازينن فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفة الذات كالقدرة و الثاني بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والقدرة والعزة يمين والحلف صفات الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والاصح ان الايمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا والاية حجة على المعتزلة في خلق الافعال وحملهم على التسبب عدول عن الظاهر في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور واراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين بكسر اللام بصري ومكي وشامي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم من سلطان الا من اتبعك

من الغاوين

من الغاوين اي هذا طريق حق على ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى علي الي على يعقوب من علو الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم اجمعين الضمير للغاوين لها سبعة ابواب لكل باب منهم من اتباع ابليس جزء مقسوم نصيب معلوم مفرز وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين ان المتقين في جنات وعيون وبضم العين مدني وبصري وحفص المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وقال في الشرح ان دخل اهل الكبائر في قوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد به الذين اتقوا الشرك ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها بسلام حال اي سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة آمنين من الخروج منها والآفات فيها وهو حال اخرى آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل هو الحقد الكامن في القلب اي ان كان لاحدهم غل في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسد واعلى الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب اخوانا على سرر متقابلين كذلك قيل يدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا لا يمسهم فيها نصب في الجنة تعب وما هم منها بمخرجين فتمام النعمة بالخلود ولما تم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس قال عليه الصلوة والسلام لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر العذاب لبخع نفسه في العبادة ولما اقدم على ذنب وعطف ونبئهم واخبر امتك على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم اي اضيافه وهو جبريل مع احدى عشر ملكا والضيف يجي واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما

او سلمت سلامًا قال اي ابراهيم انا منكم وجلون خائفون لامتناعهم من الاكل
او لدخولهم بغير اذن بغير وقت قالوا لا توجل لا تخف انا نبشرك استيناف
في معني التعليل للنهي عن الوجل اي انك مبشر فلا توجل وبالتخفيف وفتح
النون حمزة بغلام عليم هو اسحق لقوله تعالي في سورة هود فبشرناها باسحاق
قال ابشرتموني علي ان مسني الكبر اي ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد
لي اي ان الولادة امر مستنكر عادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية
دخلها معني التعجب كانه قيل فباي اعجوبة تبشرون وبكسر النون والتشديد
مكي والاصل تبشرونني فادغم نون الجمع و نون العماد ثم حذفت اليا وبقيت
الكسرة دليلا عليها ما تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني فحذفت
الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين تبشرون بفتح النون
وحذف المفعول والنون نون الجمع قالوا بشرناك بالحق باليقين الذي
لا لبس فيه فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك قال اي ابراهيم
ومن يقنط وبكسر النون بصري وعلي من رحمة ربه الا الضالون الا المخطئون
طريق الصواب او الا الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
اي لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها
قال فما خطبكم فما شانكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الي قوم مجرمين
اي قوم لوط الا آل لوط يريد اهله المؤمنين والاستثناء منقطع لان القوم
موصوفون بالاجرام والمستثني ليس كذلك او متصل فيكون استثناء من
الضمير في مجرمين كانه قيل الي قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم والمعني
يختلف باختلاف الاستثنائين لان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال
يعني انهم ارسلوا الي القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الي آل لوط اصلا و
معني ارسالهم الي القوم المجرمين كارسال السهم الي المرمي في انه في معني
التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم
واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال يعني ان الملائكة ارسلوا اليهم
جميعا ليهلكوا هؤلاء و ينجوا هؤلاء واذا انقطع الاستثناء جري انا لمنجوهم اجمعين
مجري خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعني لكن آل لوط منجون واذا اتصل
كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا

انا لمنجوهم الا امرأته مستثني من الضمير المجرور في لمنجوهم وليس باستثناء
من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد فيه الحكم
بان يقول اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وهنا قد اختلف الحكمان لان
آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته تعلق بمنجوهم فكيف يكون
استثناء من استثناء لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلي قدرنا وبالتخفيف
ابو بكر انها لمن الغابرين الباقين في العذاب قيل لو لم يكن اللام في خبرها
لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة
انهم لمحضرون وانما اسند الملائكة فعل التقدير الي انفسهم ولم يقولوا قدر
الله لقربهم كما يقول خاصة الملك امرنا بكذا والآمر هو الملك فلما جاء آل
لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اي لا اعرفكم اي ليس عليكم زي
السفر ولا انتم من اهل الحضر فاخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك
وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت توعدهم بنزوله فيمترون
فيه اي يشكون ويكذبونك واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا
لصادقون في الاخبار بنزوله بهم فاسر باهلك بقطع من الليل في آخر
الليل او بعد ما يمضي شيء صالح من الليل واتبع ادبارهم وسر خلفهم
لتكون مطلعا عليهم وعلي احوالهم ولا يلتفت منكم احد لئلا يري ما
ينزل بقومهم من العذاب فيرق لهم او جعل النهي عن الالتفات كناية عن
مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من
ادني وقفة وامضوا حيث تؤمرون حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام
او مصر وقضينا اليه ذلك الامر عدي قضينا بالي لانه ضمن معني اوحينا
كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء
مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم آخرهم اي يستأصلون
عن آخرهم حتي لا يبقي منهم احد مصبحين وقت دخولهم في الصبح وهو حال
من هؤلاء وجاء اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور
يستبشرون بالملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال لوط ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الي ضيفه فقد اسيء اليه و

اتقوا الله ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او بالبأ
فيهما يعقوب قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او
تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان عليه السلام يقوم بالنهي
عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته
يا لوط لتكونن من المخرجين او عن اضيافه الغرباء قال هؤلاء بناتي
فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جايز ولا تتعرضوا لهم ان
كنتم فاعلين ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم
فقالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم
التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب
الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف
يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك او الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قسم بحيوته وما اقسم بحيوة احد قط تعليما والعمر والعُمر
واحد وهو البقاء الا انهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف فيه لكثرة
دور الحلف على السنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي فاخذتهم
الصيحة صيحة جبرئيل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق وهو
بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها رفعها جبرئيل عليه السلام الى السماء ثم
قلبها والضمير لقرى قوم لوط عليه السلام وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتوسمين المتأملين كانهم يعرفون باطن
الشيء بسمة ظاهره وانها وان هذه القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم
لتمرون عليهم مصبحين وبالليل ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون
بذلك وان كان اصحاب الايكة وان الامر والشان كان اصحاب الايكة اي الغيضة
لظالمين لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام فانتقمنا منهم فاهلكناهم
لما كذبوا شعيبا وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء لانهما مما يؤتم ولقد كذب
اصحاب الحجر هم ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني
بتكذيبهم صالحا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب

واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل
الخبيبون في ابن الزبير واصحابه واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين
اي اعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا اي ينقبون
في الجبال او يبنون من الحجارة آمنين لوثاقة البيت واستحكامها من ان تهدم
ومن نقب اللصوص والاعداء او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم
منه فاخذتهم الصيحة العذاب مصبحين في اليوم الرابع وقت الصبح فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الاموال النفيسة
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا
وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة اي
القيمة لتوقعها كل ساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك
واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا
لذلك فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل
هو منسوخ باية السيف وان اريد به المخالفة فلا يكون منسوخا ان ربك هو
الخلاق الذي خلقك وخلقهم العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري
بينكم وهو يحكم بينكم ولقد آتيناك سبعا اي سبع آيات وهي الفاتحة او
سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الانفال والبراءة لانهما في
حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس او اسباع القرآن من
المثاني هي التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر في الصلوة او من الثناء
لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور
او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما
فيها من الثناء كانها تثني على الله واذا جعلت السبع المثاني فمن للتبيين واذا
جعلت القرآن مثاني فمن للتبعيض والقرآن العظيم هذا ليس بعطف الشيء
على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن
لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن
يعني سورة يوسف واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع
المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية او الثناء و
العظم ثم قال لرسوله لا تمدن عينيك اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه

يتمنى لا الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار كاليهود والنصارى
والمجوس يعني قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة
وهي القران العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمد عينيك الى متاع الدنيا
ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من
اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم
صغيرا ولا تحزن عليهم اي ولا تمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع
لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني
انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم كما انزلنا
متعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين
وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه
حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل
وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول
الآخر سورة آل عمران لي او اريد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم فقد اقتسموه
فاليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل
وكذبت ببعض ويجوز ان يكون جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر
المعضين الذين يجزؤن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين
وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر
فاهلكهم الله ولا تمدن عينيك على الاوجه الاول اعتراض بينهما لانه لما كان
ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض
بما هو مدد لمعنى التسليم من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم
ومن الامر بان يقبل بكليته على المؤمنين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما
كانوا يعملون اقسم سبحانه بذاته وربوبيته لنسألن يوم القيمة واحدا واحدا
من المقتسمين عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم او في القران او في كتب

الله فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
من الصديع وهو الفجر او فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في
الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر بما تؤمر به من الشرايع فحذف الباء كقوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به واعرض عن المشركين هو امر استهانة بهم انا
كفيناك المستهزئين الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر كانوا يبالغون
في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاهلكهم الله وهو
الوليد بن المغيرة مر بنبال فتعلق به تنفسهم فاصاب عرقا في عقبه فقطع
فمات والعاص بن وائل دخل في اخمصه شوكة فانتفخت رجله ومات والاسود
بن عبد المطلب عمي والاسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات والحارث بن قيس امتخط قيحا ومات الذين يجعلون
مع الله الها اخر فسوف يعلمون فيك او في القران او في الله ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون عاقبة امرهم يوم القيمة فسبح بحمد
ربك وكن من الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو
الذكر الدايم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم واعبد ربك على
عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت يعني ما دمت حيا فاشتغل
بالعبادة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء
وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب
وقوعه فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون
له شريك او عن اشراكهم فما موصولة او مصدرية واتصال هذا باستعجالهم
من حيث ان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك ينزل الملائكة
بالروح وبالتخفيف مكي بالوحي او بالقران لان كلا منهما يقوم في الدين مقام
الروح في الجسد او يحيي القلوب الميتة بالجهل من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا
انه لا اله الا انا فاتقون اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا اعلمته

والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون فخافون وبالياء يعقوب ثم
دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات
والارض وهو قوله خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون و
بالتاء في الموضعين حمزة وعلي وخلق الانسان وما يكون منه وهو قوله خلق
الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين اي فاذا هو منطيق مجادل عن
نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعد ما كان نطفة لا حس به ولا حركة او
فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قايل من يحيي العظام وهي رميم وهو وصف
للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بد منه من خلق البهايم
لاكله وركوبه وجر اثقاله وساير حاجاته وهو قوله والانعام خلقها لكم
هي الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله
والقمر قدرناه او بالعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال
خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم يا جنس الانسان فيها دفء هو اسم ما يدفأ به
من لباس معمول من صوف او وبر او شعر ومنافع وهي نسلها ودرها ومنها
تاكلون قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها كالدجاج
والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ولكم فيها
جمال حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون
ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه
من اغراض اصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة
فزينت بارحتها وتسريحها الافنية وفرحت اربابها وكسبتهم الجاه والحرمة
عند الناس وانما قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت
ملاء البطون حافلة الضروع وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس وبفتح الشين ابو جعفر وهما لغتان في معنى المشقة وقيل المفتوح
مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما
الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد والمعنى وتحمل اثقالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على
ظهوركم اثقالكم او معناه لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم
ابدانكم ومنه الثقلان للجن والانس ومنه اخرجت الارض اثقالها اي بني آدم

ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بهذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب
والزينة ولم يذكر الاكل احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على حرمة اكل لحم الخيل
لانه علّلها خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام
ومنفعة الاكل اقوى والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر
في موضع النعمة ادنى النعمتين ويترك اعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له
عطفا على محل لتركبوها ويخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه وهو قوله
ويخلق ما لا تعلمون ومن هذا وصفه يتعالى عن ان يشرك به غيره وعلى الله
قصد السبيل المراد به الجنس ولهذا قال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى
الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد
الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل
الى الحق عليه كقوله ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء
ولكن يفعل ذلك تفضلا او قيل معناه والى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله
تبيين الطريق المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جائر ومن السبيل مائل عن
الاستقامة ولو شاء لهديكم اجمعين اراد هداية اللطف بالتوفيق والانعام
بعد الهدى العام هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب لكم
متعلق بانزل او خبر لشراب وهو ما يشرب ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه
المواشي فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها
وهو السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم
به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ولم يقل كل
الثمرات لانها كلها لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها
للتذكرة ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته
وحكمته والآية الدالة الواضحة وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره بنصب الكل علي وجعل النجوم مسخرات شامي على الا
بتداء والخبر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لان
الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة
وماذرا لكم في الارض معطوف على الليل والنهار اي ما خلق فيهما من حيوان

وشجر وثمر وغير ذلك مختلفاً حال الوانه ان في ذلك لآيات لقوم يذكرون
يتعظون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً هو السمك وصفه بالطراءة
لان الفساد يسرع اليه فيؤكل سريعاً طرياً خيفة الفساد وانها لا يحنث آكلها
اذا حلف لا يأكل لحماً لان مبني الايمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه
الدراهم لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالانكار وتستخرجوا منه حلية هي اللؤلؤ
والمرجان تلبسونها المراد بلبسهم بلبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها
من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك مواخر جواري تجري
جرياً وتشق الماء شقاً والمخر شق الماء بحيزومها فيه في البحر لتبتغوا من فضله
هو معطوف على محذوف اي لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة و
لعلكم تشكرون الله على ما انعم به عليكم والقى في الارض رواسي جبالاً
ثوابت ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم لكن حذف
الكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها
فاصبحت وقد ارسيت الجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهاراً وجعل فيها
انهاراً لان القى فيه معنى جعل وسبلاً طرقاً لعلكم تهتدون الى مقاصدكم او
الى توحيد ربكم وعلامات هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من
جبل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون المراد بالنجم الجنس او هو الثريا
والفرقدان وبنات النعش والجدي فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج
عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصاً
يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشاً فلهم اهتداء بالنجوم في
مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم و
الاعتبار الزم لهم فخصصوا افمن يخلق اي الله تعالى كمن لا يخلق اي الاصنام
وجيء بمن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فاجروها
مجرى اولي العلم ولان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف
بما لا علم عنده وانما لم يقل افمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره
اياه لكونه الزاماً للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله لانهم حين
جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس
المخلوقات وشبيهاً بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة

على المعتزلة

على المعتزلة في خلق الافعال افلا تذكرون فتعرفوا فساد ما انتم عليه وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلاً
ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه
تنبيهاً على ان وراءها لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم يتجاوز عن
تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم والله يعلم ما
تسرون وما تعلنون من اقوالكم وافعالكم وهو وعيد والذين يدعون
والآلهة الذين يدعون الكفار من دون الله وبالتاء غير عاصم لا يخلقون
شيئاً وهم يخلقون اي هم اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون
نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين
بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون اموات جاهلون
بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء
غير اموات اي غير جائز عليها الموت وامرهم بالعكس من ذلك والضمير في
يبعثون للداعي اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين
وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على
عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث الهكم اله واحد اي ثبت
بما مر ان الالهية لا يكون لغير الله وان معبودكم واحد فالذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار
بها لا جرم حقاً ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي سرهم وعلانيتهم
فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين
واذا قيل لهم لهؤلاء الكفار ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ما
ذا منصوب بانزل اي اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزله
ربكم واساطير خبر مبتدأ محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل
مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير الاولين اي احاديث الاولين
واباطيلهم واحدتها اسطورة واذا رأوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرونهم بصدقه وانه نبي فهم الذين قالوا خيراً ليحملوا اوزارهم كاملة يوم
القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم اي قالوا ذلك اضلالاً للناس فحملوا

اوزار ضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان واللام
للتعليل بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال الا ساء
ما يزرون محلها رفع قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من
القواعد اي من جهة القواعد وهي الاساطين وهذا تمثيل يعني انهم سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات
كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان
ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا والجمهور على ان المراد به نمرود
بن كنعان حين بني الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب
الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فاتى الله اي امره بالاستيصال فخر
عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من
حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم بعذاب
الخزي سوي ما عذبوا به في الدنيا ويقول اين شركاي الذين
كنتم تشاقون فيهم على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم
بها على طريق الاستهزاء بهم للذين كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون
المؤمنين في شانهم تشاقون نافع اي تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها
مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء من اممهم الذين
كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم يقولون
ذلك شماتة او هم الملائكة ان الخزي اليوم الفضيحة والسوء العذاب على
الكافرين الذين تتوفيهم الملائكة وبالياء حمزة وكذا ما بعده ظالمي
انفسهم بالكفر بالله فالقوا السلم اي الصلح او الاستسلام اي اخبتوا وجاؤا
بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا
ما وجد منهم من الكفران والعدوان فرد عليهم اولو العلم وقالوا بلى ان الله
عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك
فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم و
قيل للذين اتقوا الشرك ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وانما نصب هذا و
رفع اساطير لان التقدير هنا انزل خيرا فاطبقوا الجواب على السؤال وثم هو
اساطير الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال للذين احسنوا في هذه الدنيا

ايءامنوا

اي امنوا وعملوا الصالحات وقالوا لا اله الا الله حسنة بالرفع اي ثواب و
امن وغنيمة وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول
فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه او هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل
قولهم من جملة احسانهم ولدار الاخرة خير اي لهم في الاخرة ما هو خير منها
كقوله فاتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار
الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدا محذوف
او هي المخصوص بالمدح يدخلونها حال تجري من تحتها الانهار لهم فيها
ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفيهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام
عليكم قيل اذا اشرف المؤمن جاء ملك فيقول له السلام عليك يا ولي الله
الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال لهم في الاخرة ادخلوا الجنة بما
كنتم تعملون بعملكم هل ينظرون ما ينتظر هؤلاء الكفار الا ان تاتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم وبالياء حمزة وعلي او ياتي امر ربك اي العذاب
المستاصل او القيمة كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل
الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات
اعمالهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاء استهزائهم
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
هذا الكلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادا لكان ايمانا ولا حرمنا
من دونه من شيء يعني البحيرة والسائبة ونحوهما كذلك فعل الذين من
قبلهم اي كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء فهل على
الرسل الا البلاغ المبين الا ان يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله بان وحدوه واجتنبوا
الطاغوت الشيطان يعني طاعته فمنهم من هدى الله لاختياره الهدى
ومنهم من حقت عليه الضلالة اي لزمت لاختياره اياها فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين حيث اهلكهم الله واجلى ديارهم عنهم
ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم واعلمه انهم

من قسم من حقت عليهم الضلالة ان تحرص على هديهم فان الله لا يهدي
من يضل بفتح الياء وكسر الدال كوفي الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه
فيه ان من يضل مبتدء ولا يهدي خبره وما لهم من ناصرين يمنعونهم من
جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي اعده لهم واقسموا
بالله جهد ايمانهم معطوف على وقال الذين اشركوا لا يبعث الله من يموت
بلى هو اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا عليه حقا هو مصدر مؤكد
لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان وعده حق وانهم يبعثون ليبين لهم متعلق بما دل
عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والكافرين الذي
يختلفون فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم
لا يبعث الله من يموت انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
اي فهو يكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود
شيء فليس الا ان يقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن عدم
الايجاد تبين ان مراد الا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود
المأمور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم
والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه
البعث الذي هو بعض المقدورات والذين هاجروا في الله في حقه ولوجهه
من بعد ما ظلموا اهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة
ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين و
منهم من هاجر الى المدينة لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر اي تبوئة حسنة
او لنبوئنهم لنتبئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم
ولاجر الاخرة اكبر الوقف لازم عليه لان جواب لو كانوا يعلمون محذوف والضمير
للكفار اي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين او للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا
او كلاهما مدح اي صبروا على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب
فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله
وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون الامر الى ربهم ويرضون بما اصابهم في

دين الله ولما قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا نزل وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم على السنة الملائكة نوحي حفص فسئلوا
اهل الذكر اي اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا
بشرا او قيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له اي رجالا
ملتبسين بالبينات او بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات
اي بنوحي اي يوحي اليهم بالبينات او بلا تعلمون وقوله فاسئلوا اهل الذكر
اعتراض على الوجوه المتقدمة وانزلنا اليك الذكر القران لتبين للناس
ما نزل اليهم في الذكر مما امروا به فنهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم
يتفكرون في تنبيهاته فيتنبهوا افامن الذين مكروا السيئات وهم
اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخسف الله بهم
الارض كما فعل بمن تقدمهم او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
اي بغتة او يأخذهم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما
هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وهو خلاف قوله من حيث لا
يشعرون او التخوف التنقص اي يأخذهم بهلاك واحد مع واحد حتى يهلكوا
فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم و
المعنى انه اذا لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رافته تقيكم ورحمته تحميكم اولم
يروا وبالتاء حمزة وعلي وابو بكر الى ما خلق الله ما موصولة بخلق الله وهو
مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله اي يرجع من موضع الى موضع وبالتاء
بصري عن اليمين والشمائل اي الايمان جمع يمين والشمائل جمع شمال سجدا لله حال من الظلال عن مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء وهم داخرون
صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من
كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في
جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها
ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة
لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة

ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها غير ممتنعة ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض من دابة بيان لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في
السموات خلقا يدبون فيها كما تدب الاناسي في الارض او بيان لما في الارض
وحده والمراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض
من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم و
بسجود غيرهم الانقياد لارادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فاذا
جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد وجي بما اذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو
جي بمن لتناول العقلاء خاصة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم حال
من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين من فوقهم ان علقته
بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم
حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده
ويفعلون ما يؤمرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على
الامر والنهي وانهم بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
انما هو اله واحد فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد
والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد
الخاص فاما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة
الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد او
التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة
على ان المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه و
العناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده لم يحسن وخيل انك
تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى
التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فاز
فارهبوني يعقوب وله ما في السموات وما في الارض وله الدين اي الطاعة
واصبا واجبا ثابتا لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو
حال عمل فيه الظرف او وله الجزاء دائما يعني الثواب والعقاب افغير الله
تتقون وما بكم من نعمة واي شي اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب فمن
الله فهو من الله ثم اذا مسكم الضر المرض والفقر والجدب فاليه تجأرون

فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون الخطاب في وما بكم
من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان كان الخطاب للمشركين فقوله
منكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان
يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما
اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قالوا جعلوا غرضهم في الشرك كفران
النعمة ثم اوعدهم فقال فتمتعوا فسوف تعلمون هو عدول الى الخطاب على
التهديد ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لالهتهم ومعنى
لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع والضمير في لا
يعلمون للالهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في
انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم تالله
لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون انها الهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون
لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه
لذاته من نسبة الولد او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز
فيما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات وسبحانه اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا اي صار فظل وامسى واصبح
وبات تستعمل بمعنى الصيرورة ولان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره
مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملو حنقا على
المرأة يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يختفي منهم من اجل سوء المبشر
به على هون وذل ام يدسه في التراب ام يئده الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون
الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم على عكس هذا الوصف للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور و
كراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين
والنزاهة من صفات المخلوقين وهو العزيز الغالب في تنفيذ ما اراد الحكيم
في امهال العباد ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن ابي هريرة رضي

رضي الله عنه ان الحباري لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي
الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من دابة من مشرك يدب عليها ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي اجل كل احد
او وقت يقتضيه الحكمة او القيمة فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون ما يكرهونه لانفسهم من
البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له الرذل
اموالهم واصنامهم اكرمها وتصف السنتهم الكذب مع ذلك ويقولون
الكذب ان لهم الحسنى عند الله وهي الجنة ان كان البعث حقا لقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وان لهم الحسنى بدل من الكذب لا جرم
ان لهم النار وانهم مفرطون مفرطون نافع مفرطون جعفر فالمفتوح بمعنى
مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا
قدمته او منسيون متروكون من افرطت فلانا اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف
من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات اي التقصير فيها
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي ارسلنا رسلا الى من تقدمك من
الامم فزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والتكذيب بالرسل فهو وليهم
اليوم اي قرينهم في الدنيا وتولى اضلالهم بالغرور او الضمير لمشركي قريش
اي زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم او هو على حذف
المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا
عليك الكتاب القرآن الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه هو البعث لانه كان
فيهم من يؤمن به وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا
على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه
فعل المخاطب لا فعل المنزل لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيا
به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر
لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما
في بطونه وبفتح النون نافع وشامي وابو بكر وقال الزجاج سقيته واسقيته
بمعنى واحد ذكر سيبويه الانعام في الاسماء المفردة الواردة على افعال ولذا
رجع الضمير اليه مفردا فاما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع وهو

استيناف

استيناف كانه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما في بطونه من بين فرث و
دم لبنا خالصا اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه و
بينه وبينهما برزخ لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص
من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته وكان
اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف
الثلاثة يقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث
في الكرش ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الاخلاص فقال
تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا للشاربين
سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض
لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية لابتداء الغاية ويتعلق ومن ثمرات
النخيل والاعناب بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب
اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا
بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تتخذون ومنه في تكرير الظرف للتوكيد والضمير
في منه يرجع الى المضاف المحذوف الذي هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر
من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان احدهما ان يكون
الآية سابقة على تحريم الخمر فيكون منسوخة وثانيهما ان يجمع بين العتاب والمنة
وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك
حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة وابي يوسف رضي الله عنهما الى حد السكر
ويحتجان بهذه الآية بقوله عليه الصلوة والسلام الخمر حرام لعينها والسكر
من كل شراب وباخبار جمة ورزقا حسنا والخل والرب والتمر والزبيب وغير
ذلك ان في ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل والهم ان
اتخذي من الجبال بيوتا هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول قال
الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا ومن في من الجبال
ومن الشجر ومما يعرشون يرفعون من سقوف البيت او ما يبنون للنحل في
الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي يتعسل فيها للتبعيض لانها لا تبني بيوتها
في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش والضمير فيما يعرشون للناس وبضم الراء شامي
وابو بكر ثم كلي من كل الثمرات اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها

فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك فادخلي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل
العسل او اذا اكلت الثمار في مواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك
راجعة سبل ربك لا تضلين فيها ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان
الله تعالى ذللها وسهلها او من الضمير في واسلكي اي وانت ذلل منقادة
كما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب يريد العسل لانه مما يشرب
يلقيه ما فيها مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر من الشاب والكهول
والشيب او على الوان اغذيتها فيه شفاء للناس لانه من جملة الادوية النافعة
وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء
لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان
فيه بعض الشفاء لان النكرة في الاثبات تخص وشكى رجل استطلاق
بطن اخيه فقال اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل
شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن
والعسل ومن بدع الروافض ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه
قال عند المهدي بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل
الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به
المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهما ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
في عجيب امرها فيعلم ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولي اولي العقل
عقولهم والله خلقكم ثم يتوفيكم بقبض ارواحكم من ابدانكم ومنكم
من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره لكيلا يعلم بعد علم شيئا
لينسى ما يعلم او لئلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم بحكم التحويل
الى الارذل من الاكمل والى الافناء من الاحياء قدير على تبديل ما يشاء كما
يشاء من الاشياء والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين
في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم فما الذين
فضلوا في الرزق يعني الملاك برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فكان
ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى يتساووا في الملبس والمطعم فهم
فيه سواء جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لانه جواب النفي
بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا

مع عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا
تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا
ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء افبنعمة
الله يجحدون وبالتاء ابو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول
القانت واليك نسعى ونحفد واختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات وقيل
اولاد الاولاد والمعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم
ورزقكم من الطيبات اي بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات
الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون هو ما يعتقدون من منفعة
الاصنام وشفاعتها وبنعمة الله اي الاسلام هم يكفرون او الباطل الشيطان
والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم او الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة
والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا اي الصنم جماد لا يملك ان يرزق
شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت
به شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه
اي قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا اي يرزق من
السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا
يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد ما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا
يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم فلا تضربوا لله الامثال
فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له اي فلا تجعلوا له شركاء ان الله يعلم لانه لا مثل
له من الخلق وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم
لا تعلمون ذلك والوجه الاول ثم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا هو
بدل من مثلا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا مصدران في موضع الحال اي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل
من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا
فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء وقيل بالمملوك ليميز من الحر لان اسم العبد

يقع عليهما جميعا احدهما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون
فيهما يقدران على التصرف ومن موصوفة اي وحرا رزقناه ليطابق عبدا او موصولة
هل يستوون جمع الضمير لارادة الجمع اي لا يستوي العبدان الحمد لله بل
اكثرهم لا يعلمون ان الحمد والنعمة لله تعالى ثم زاد في البيان فقال وضرب
الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء الابكم الذي ولد اخرس
فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله
اينما يوجهه لا يات بخير حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم
لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن يامر بالعدل اي ومن هو سليم
الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير
وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل
ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من اثار رحمته ونعمه وللاصنام التي
هي اموات لا تضر ولا تنفع ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم
ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض
يوم القيمة على ان علمه غايب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد
منهم وما امر الساعة في قرب كونها وسرعة قيامها الا كلمح البصر كرجع طرف
وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان اقل منه او هو اي الامر اقرب وليس
هذا لشك المخاطب ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو
اقرب ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق
لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال والله اخرجكم من بطون
امهاتكم وبكسر اللام الالف وفتح الميم على اتباع الكسرة النون وبكسرهما حمزة
والهاء مزيدة في امات للتوكيد كما زيدت في اراق فقال اهراق وشذت زيادتها
في الواحدة لا تعلمون شيئا حال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم
في البطون وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون اي
وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والافئدة في فؤاد كالاغربة
في غراب وهو من جموع القلة التي جرى مجرى الكثرة لعدم السماع في غيرها اولم
يروا وبالتاء شامي الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة

والاسباب

والاسباب المواتية لذلك في جو السماء هو الهواء المتباعد من الارض في
سمت العلو ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته
وفيه نفي لما يصوره الوهم فخاصية الاجنحة القوي الطبيعية ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون بان الخلق لا غنى به عن الخالق والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا هو فعل بمعنى مفعول اي يسكن اليه وينقطع اليه من بيت والف
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي قباب الادم تستخفونها ترونها
خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم بسكون العين كوفي
وشامي وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال ويوم
اقامتكم قراركم في منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم في اوقات السفر و
الحضر على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها اي اصواف الضأن واوبارها
واوبار الابل واشعارها واشعار المعز اثاثا متاع البيت ومتاعا وشيئا
ينتفع به الى حين مدة من الزمان والله جعل لكم مما خلق ظلالا كالا
شجار والسقوف وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما ستر من
كهف وغار وجعل لكم سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان
والقطن تقيكم الحر وهي تقي البرد ايضا الا انه اكتفي باحد الضدين ولان
الوقاية من الحر اهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا وسرابيل تقيكم باسكم
ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم في قتالكم والباس شدة الحرب
والسربال عام يقع على ما كان من حديد او غيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم
تسلمون اي تنظرون في نعمته الفايضة فتؤمنون به فتنقادون له فان تولوا
اعرضوا عن الاسلام فانما عليك البلاغ المبين فلا تبعة عليك في ذلك لان
الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت يعرفون نعمة الله التي عددناها
باقوالهم فانهم يقولون انها من الله ثم ينكرونها بافعالهم حيث عبدوا غير
المنعم او في الشدة ثم في الرخاء واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين
او نعمة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم
الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على ان انكارهم امر مستبعد بعد
حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم انتصابه باذكر
نبعث من كل امة شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب و

الايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل
بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليس بدار عمل والمعنى ثم انهم يمنون
بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون
الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا اداء الحجة واذا راى الذين ظلموا
كفروا العذاب فلا يخفف عنهم اي العذاب بعد الدخول ولا هم ينظرون
يمهلون قبله واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي عبدوها قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا اي الهتنا التي جعلناها شركاء الذين كنا ندعوا من دونك
اي نعبد فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب لانها
كانت جمادا لا تعرف من عبدها ويحتمل انهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة
تنزيها لله من الشريك والقوا يعني الذين الى الله يومئذ السلم القاء السلم
الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم
وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا عن سبيل
الله وحملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب اي عذابا بكفرهم
وعذابا بصدهم عن سبيل الله بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس
بالصد ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه
كان يبعث انبياء الامم فيهم ومنهم وجئنا بك شهيدا يا محمد على هؤلاء على
امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين اما
في احكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة او بالاجماع او بقول الصحابي
او بالقياس لان مرجع الكل الى الكتاب حيث امرنا فيه باتباع رسوله وطاعته
بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحثنا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير
سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه
بقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا
طرق الاجتهاد والقياس مع امرنا به فاعتبروا يا اولي الابصار فكانت السنة
والاجماع وقول الصحابي والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فتبين انه تبيانا
لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ودلالة الى الحق ورحمة لهم وبشارة بالجنة

لهم ان الله يأمر بالعدل بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم و
ايصال كل حق الى ذي حقه والاحسان الى من اساء اليكم او هما الفرض والندب
لان الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب وايتاء ذي القربى و
اعطاء ذي القرابة وهو صلة الرحم وينهى عن الفحشاء عن الذنوب المفرطة
في القبح والمنكر ما ينكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم والكبر يعظكم
حال او مستأنف لعلكم تذكرون تتعظون بمواعظ الله وكانت هذه الاية
سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت اسلمت الا حياء منه عليه الصلوة
والسلام لكثرة ما كان يعرض علي الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه
الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن
اخي اعد فاعدت فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وما هو بقول البشر وقال ابو جهل ان الله ليأمر بمكارم الاخلاق وهي
اجمع آية في القرآن للخير والشر ولذا يقرأها كل خطيب على المنبر في كل خطبة لتكون
عظة جامعة لكل مأمور ومنهي واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم هي البيعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها اي ايمان البيعة بعد توكيدها بعد توثيقها باسم الله
واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل منها وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن
عليه ان الله يعلم ما تفعلون من البر والحنث فيجازيكم به ولا تكونوا في نقض
الايمان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة كالمرأة التي تحت على غزلها بعد
ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة
وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن
ما غزلن تتخذون ايمانكم حال كانكاثا دخلا احد مفعولي التخذ اي ولا
تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة وخيانة ان تكون امة يعني
جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين هي اربى
مبتدأ وخبر موضع الرفع صفة لامة وامة فاعل يكون وهي تامة وهي ليست بفصل
لوقوعها بين نكرتين انما يبلوكم الله به الضمير للمصدر اي انما يختبركم لكونهم
اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم به من ايمان البيعة

لرسول الله صلى الله عليه وسلم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين
وفقرهم وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على
اعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة ولكن يضل من يشاء من علم منه اختيار
الضلال ويهدي من يشاء من علم منه اختيار الهداية ولتسئلن عما كنتم تعملون
يوم القيمة وتجزون به ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا للعظمة فتزل قدم بعد ثبوتها فتزلوا
اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحدت القدم ونكرت الا
ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان يثبت عليه فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا
السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم عن الدين
او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة
لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا ولا تستبدلوا
بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا اعراضا من الدنيا
يسيرا وكان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة
قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد
ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله انما عند
الله ان ما عند الله من ثواب الآخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم
من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من ثواب خزائن رحمته باق لا ينفد
وليجزين وبالنون مكي وعاصم الذين صبروا على اذى المشركين ومشاقهم
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى من مبهم يتناول
النوعين الا ان ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر او انثى ليعم الموعود النوعين
جميعا وهو مؤمن شرط الايمان لان اعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على ان
العمل ليس من الايمان فلنحيينه حيوة طيبة اي في الدنيا لقوله ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون وعد الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا
يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو
القناعة والرضا بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره بالعكس ان كان معسرا فظاهر

دخلا

وان كان

وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وقيل الحيوة الطيبة القناعة
او حلاوة الطاعة والمعرفة بالله وصدق الوقوف على امر الله والاعراض عما سوى
الله فاذا قرات القرآن فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله فعبر عن
ارادة الفعل بلفظ الفعل لانها سبب له والفاء للتعقيب ان القراءة المجدد
بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور من الشيطان يعني ابليس الرجيم المطرود
الملعون قال ابن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام
انه ليس له لابليس سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه انما سلطانه على الذين يتولونه يتخذونه
وليا ويتبعون وساوسه والذين هم به مشركون الضمير يعود الى ربهم او
الى السلطان اي بسببه واذا بدلنا آية مكان آية تبديل الآية مكان الآية
هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرايع بالشرايع لحكمة راها وهو معنى قوله والله
اعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر
وينهاهم عنه غدا فيأتيهم ما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون
والاهون بالاشق بل اكثرهم لا يعلمون بالحكمة في ذلك قل نزله روح القدس
اي جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو المطهر كما يقال حاتم الجود والمراد
الروح القدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من الماثم من ربك من عنده وامره
بالحق اي نزله ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا
قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة لانه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم
بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب وهدى وبشرى مفعول لهما
معطوفان على محل التثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة للمسلمين و
فيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر ارادوا به غلاما كان لحويطب قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش
او يعيش وكان صاحب كتب او هو غلام جبر غلام رومي وعبد ان جبر ويسار كانا
يقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرانه او هو
سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه وبفتح الياء والحاء حمزة وعلي اعجمي
ولسان عربي مبين اي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان

عجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال
لطعنهم وهذه الجملة اعني قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لا محل لها لانها استئنافية
جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال
حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا
الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها
ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي القرآن لا يهديهم الله ما داموا مختارين
الكفر ولهم عذاب اليم في الاخرة على كفرهم انما يفتري الكذب على الله الذين
لا يؤمنون بايات الله اي انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا
عليه وهو رد لقولهم انما انت مفتر واولئك اشارة الى الذين لا يؤمنون اي اولئك
هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب
او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر جوزوا ان يكون من كفر بالله من
بعد ايمانه شرطا مبتدا وحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من
كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ساكن ولكن من
شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم
عذاب عظيم وان يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل و
واولئك هم الكاذبون اعتراضا من البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب
من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم
قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وان يكون بدلا من المبتدا
الذي هو اولئك اي ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي
هو الكاذبون اي واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه وان ينتصب على الذم روي
ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه
وهو معتقد للايمان منهم عمار واما ابواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما اول قتيلين
في الاسلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ
ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل ابو عمار رضي الله عنه افضل لان في الصبر
على القتل اعزازا للاسلام ذلك اشارة الى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب

العظيم بانهم استحبوا اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة اي بسبب ايثارهم الدنيا
على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا مختارين للكفر اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فلا يتدبرون ولا يصغون
الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد واولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهيها لا جرم
انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من
حال اولئك للذين هاجروا من مكة اي انه لهم لا عليهم يعني انه وليهم
وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا
منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه فتنوا شامي اي
بعد ما عذبوا المؤمنين ثم اسلموا اي صبروا ثم جاهدوا المشركين بعد الهجرة
وصبروا على الجهاد ان ربك من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لهم ما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية رحيم
لا يعذبهم على ما قالوا في حالة الاكراه يوم تاتي منصوب برحيم او باذكر
كل نفس تجادل عن نفسها وانما اضيفت النفس الى النفس لانه يقال
لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى
هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن
ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الاية والله ربنا
ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت تعطى جزاء عملها وافيا وهم لا
يظلمون في ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا
لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل بهم نقمته
فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية
كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها كانت امنة
من القتل والسبي مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف ياتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل بلد
فكفرت اهلها بانعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع
او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

الاذاقة واللباس استعارتان والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار
ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا
والشدايد وما تمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه
العذاب شبه ما يدرك من اثر الضر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع
واما اللباس فقد شبه ولاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به
من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه وقع
عبارة عما يغشى منها ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع و
الخوف وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ اي محمد عليه الصلوة والسلام فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ اي في حال التباسهم بالظلم وقالوا انه
القتل بالسيف يوم بدر روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى اهل
مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد ان اذاقهم الجوع
فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ على يدي محمد عليه الصلوة والسلام حَلَالًا طَيِّبًا بدلا
عما كنتم تاكلونه حراما خبيثا من الاموال الماخوذة بالغارات او المغصوب و
خبايث الكسوب وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ تطيعون او ان
صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاء كم عنده ثم عدد
محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوايهم فقال إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ انما للحصر اي المحرم هذا دون البحيرة واخواتها
وما في الآية قد مر تفسيره ولا تقولوا لما تصف السنتكم من نسبة البهائم بالحل و الى
الكذب هو منصوب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من
البهائم بالحل والحرم في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي او الى القياس
المستنبط منه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله
هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف
وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا وهذا حرام بلا تقولوا اي ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي ولا تحللوا ولا تحرموا لاجل
قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة لكن قول ساذج

ودعوى بلا برهان وقوله تصف السنتكم من فصيح الكلام جعل قولهم كانه
عين الكذب فاذا نطقت به السنتهم هل حلت الكذب بحليته وصورته بصورته
كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في لِتَفْتَرُوا عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ من التعليل لانه يتضمن معنى الغرض إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ هو خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم
فيما هو عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ في سورة الانعام يعني و
على الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ بالتحريم وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير متدبرين
للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى ثُمَّ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا من بعد التوبة لَغَفُورٌ
بتكفير ما كان واقيل من الجرايم رَحِيمٌ بتوفيقها وثقوا بعد من الغرايم إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير
كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا
وحده والناس كلهم كفارا او كان امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا
منه الخير قَانِتًا لِلَّهِ هو القائم بما امره الله وقال ابن مسعود ان معاذا كان
امة قانتا لله فقيل له انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير
والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضي الله عنه لو
كان معاذ حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة
الا المرسلون حَنِيفًا مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
نفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم وحذف
النون للتشبيه بحروف اللين شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ روي انه كان لا يتغذى الا مع
ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملايكة في
صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت
مواكلتهم شكرا لله تعالى على انه عافاني وابتلاكم اجْتَبَاهُ اختصه واصطفاه

يكين

للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة
نبوة واموالا واولادا وتنويه الله بذكره فكل اهل دين يتولونه او قول المصلي
منا كما صليت على ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم
اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين في ثم
تعظيم من ابينا عليه السلام واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل
الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه اي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون روي ان موسى عليه السلام امرهم ان
يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد
اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم
قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم
اختاروا عليه الجمعة فاذن لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع
امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد
فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من
الفريقين بما هو اهله ادع الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة الصحيحة
المحكمة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى
عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها او بالقرآن اي ادعهم
بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة او الحكمة المعرفة بمراتب الافعال
والموعظة الحسنة ان تخلط الرغبة بالرهبة والانذار بالبشارة وجادلهم
بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من
غير فظاظة او بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على
من يابى المناظرة في الدين ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اي هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ ومن لا خير فيه عجزت
عنه الحيل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول عقوبة و
العقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية
ليست سيئة والمعنى ان اصنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا
تزيدوا عليه روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا

مذاكيرهم فراى النبي عليه الصلوة والسلام حمزة مبقور البطن فقال اما و
الذي احلف به لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده
ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الضمير في لهو يرجع الى مصدر صبرتم
والمراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع
الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم انهم صابرون على الشدائد
ثم قال لرسوله عليه الصلوة والسلام واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما
صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكفار ان لم
يؤمنوا او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون فانهم وصلوا الى مطلوبهم
ولا تك في ضيق مما يمكرون ضيق مكي والضيق بتخفيف الضيق اي في امر
ضيق ويجوز ان يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيق صدرك
من مكرهم فانه لا ينفذ عليك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
اي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين بالطاعات وقيل من
اتقى في افعاله واحسن في اعماله كان الله معه في احواله ومعينه نصرته في المأمور

سبحان تنزيه الله عن السوء وهو علم التسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل
مضمر متروك اظهاره تقديره يسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل
فسد مسده ودل على التنزيل البليغ الذي اسرى بعبده محمد عليه الصلوة
والسلام وسرى واسرى لغتان ليلا نصب على الظرف وقيده بالليل والاسرى
لا يكون الا بالليل للتاكيد او ليدل لفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء وانه
اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة من المسجد
الحرام قيل اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد
وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فقد قال عليه الصلوة والسلام بينما
انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل
بالبراق وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس

وقد اخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها واحوالهم واخبرهم ايضا بما راي في
السمآء من العجايب وانه لقي الانبيآء وبلغ بيت المعمور وسدرة المنتهي وكان
الاسرآء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت
والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن ميمونة
مثله وعلي الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنايم الي المسجد الاقصي
هو بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات
الدين والدنيا لانه متعبد الانبيآء ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية
والاشجار المثمرة لنريه اي محمدا عليه الصلوة والسلام من اياتنا الدالة علي وحدانية
الله وصدق نبوته برؤية السموات وما فيها من الايات انه هو السميع للاقوال
البصير بالافعال ولقد تصرف الكلام علي لفظ الغايب والمتكلم فقيل اسري
ثم باركنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة واتينا موسي
الكتاب وجعلناه اي الكتاب وهو التورية هدي لبني اسرائيل ان لا تتخذوا اي
لا تتخذوا وباليآء ابو عمرو اي لئلا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه
اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب علي الاختصاص او علي الندآء فيمن قرا
تتخذوا بالتآء علي النهي اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع
نوح انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا في السرآء والضرآء والشكر مقابلة
النعمة بالثنآء علي المنعم وروي انه كان لا ياكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد
لله وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوا اسوتكم كما جعله اباؤكم اسوتهم وانه
رشد الابنآء محنا الاقتدآء بسنة الابآء وقد عرفتم حال الابآء هنالك فكونوا
الابنآء كذلك وقضينا الي بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض واوحينا
اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة والكتاب
التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف اوجري المبتوت مجري القسم فيكون لتفسدن
جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين اوليهما قتل زكريا عليه السلام وحبس
ارميا عليه السلام حين انذرهم سخط الله والاخرة وقتل يحيي بن زكريا وقصد قتل عيسي
عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون
علا في الارض والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين علي المصلحين فاذا جاء وعد
اوليهما اي وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم سلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس

شديد اشدآء علي القتال يعني سنجاريب وجنوده او بخت نصر او جالوت
قتلوا علمآءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا
فجاسوا خلال الديار ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء
بالاستقصآء وكان وعدا مفعولا وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم علي الذين بعثوا عليكم حين
تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل
اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل اعدنا لكم الدولة بملك جالوت
وقتل داود جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم وهو تمييز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها قيل اللام بمعني علي كقوله وعليها ما
اكتسبت والصحيح انها علي بابها لان اللام للاختصاص والعامل مختص
بجزاء عمله حسنة كانت او سيئة يعني ان الاحسان والاساءة مختص بانفسكم
لا يتعدي النفع والضرر الي غيركم وعن علي رضي الله عنه قال ما احسنت الي
احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا اي هؤلاء
وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ليجعلوها بادية اثار المساءة والكابة
فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ليسوء شامي وحمزة وابو بكر والضمير لله
عز وجل او للوعد او للبعث لنسوء علي وليدخلوا المسجد بيت المقدس كما
دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا تتبيرا ما علوا مفعول ليتبروا اي
كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعني مدة علوهم عسي ربكم ان يرحمكم بعد
المرة الثانية ان تبتم توبة اخري وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة
عدنا الي عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة
وضرب الاتاوة عليهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما سلط عليهم المؤمنون
الي يوم القيمة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر
وحصير ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات
واشدها وهي توحيد الله والايمان برسله والعمل بطاعته او للملة او للطريقة
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويبشر حمزة وعلي بان لهم اجرا
كبيرا اي الجنة وان الذين وبان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا اي اعددنا

قلبت تاء لهم عذابا اليما يعني النار والاية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاهم والكافرين وجزاهم ولم يذكر الفسقة ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي ويدعوا الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله وولده كما يدعوهم بالخير او يطلب النفع بالعاجل وان قل بالضرر الآجل وان جل وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كلما يقع في قلبه ويخطر بباله لايتانى فيه تاني المتبصر او اريد بالانسان الكافر وانه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعوا بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب اتية لامحالة كاهذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع في الخط على موافقة اللفظ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اي الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة في اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة او وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين تريد الشمس والقمر فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فيري الاشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا لتتوصلوا ببياض النهار الى التصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب يعني حساب الاجال ومواسم الاعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار وكل شيء مما يفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره عمله في عنقه يعني عمله لان لزوم القلادة او الغل للعنق لاينفك عنه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه هو صفة لكتابا يلقاه منشورا حال من يلقاه يعني غير مطوي لتمكنه قرائته او هما صفتان للكتاب وتقول له اقرأ كتابك اي كتاب اعمالك وكل يبعث قاريا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا الباء زائدة اي كفى نفسك حسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى

متعلق به من قولك حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير اذ الغالب ان يتولى هذه الامور الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا او يؤل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال ولا تزر وازرة وزر اخرى اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لانفس وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا الا ان يعذب قوما عذاب استيصال في الدنيا الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة واذا اردنا ان نهلك قرية اي اهل قرية امرنا مترفيها متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن ابي عمرو والزجاج ففسقوا فيها اي خرجوا عن الامر كقولك امرته فعصى او امرنا كثرنا دليله قراءة يعقوب امرنا ومنه الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النسل فحق عليها القول وجب عليها الوعيد فدمرناها تدميرا فاهلكناها اهلاكا وكم مفعول اهلكنا من القرون بيان لكم من بعد نوح يعني عاد وثمود وغيرهما وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا وان اخفوها في الصدور وان ارخوا عليها الستور من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد بدل من له باعادة الجار وهو بدل البعض من الكل اذ الضمير يرجع الى من اي من كان شاء العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المؤمن التقي فقد اختار غنى الاخرة فان اوتي حظا من الدنيا فبها والا فربما كان الفقر خيرا له ثم جعلنا له جهنم في الاخرة يصليها يدخلها مذموما ممقوتا مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها هو مفعول به اي حقها من السعي وكفاها من اعمال الصالحة وهو مؤمن مصدق لله تعالى في وعده ووعيده فاولئك كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث

لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلي هذه الاية فانه شرط
فيها ثلاث شرايط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة والسعي فيما كلف والايمان
الثابت كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب
بقوله نمد هؤلاء بدل من كلا اي نمد هؤلاء وهؤلاء اي من اراد العاجلة ومن
اراد الاخرة من عطاء ربك رزقه ومن يتعلق بنمد والعطا اسم المعطي اي
يزيدهم عين عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف لانقطعه فنرزق
المطيع والعاصي على وجه التفضل وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن
عباده وان عصوا انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في المال
والجمال في السعة والكمال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا روي ان
قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن
لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا
انهم دعوا ودعينا الى الاسلام فاسرعوا وابطانا فهذا باب عمر فكيف التفاوت
في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر لا تجعل مع
الله الها اخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته فتقعد مذموما
مخذولا جامعا عن نفسك الذم والخذلان بمقابلة النصر وقضى ربك
وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او ثان
لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا
بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر اما هي ان الشرطية زيدت عليها
ما تاكيدا لها ولذا دخلت نون المؤكد في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها
لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما فاعل يبلغن وهو في
قراءة حمزة وعلي اما يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين او كلاهما
عطف على احدهما فاعلا او بدلا فلا تقل لهما اف مدني وحفص اف مكي وشامي
اف غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على اصل التقاء الساكنين والفتح
للتخفيف والتنوين لارادة التنكير اي اتضجر تضجرا او تركه لقصد التعريف اي
اتضجر تضجر المعلوم ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيان مما لا يعجبك والنهي
والنهر اخوان وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لينا احسن
الادب او هو ان يقول يا ابتاه يا اماه ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء ولا

بأس بر في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وفائدة
عندك انهما اذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته و
كنفه وذلك اشق عليه فهو مامور بان يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما
اذا اضجره ما يستقذر منهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في
التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ثم ضيق الامر في
مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع
احوال لا يكاد يصبر الانسان معها واخفض لهما جناح الذل اي اخفض
لهما جناحك الذليل من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما
وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس وقال الزجاج وألن
جانبك متذللا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته
الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب
غيره عليه الصلوة والسلام والدعاء مختص بالابوين المسلمين وقيل اذا كانا
كافرين له ان يسترحم لهما بشرط الايمان وله ان يدعو الله تعالى لهما بالهداية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضا الوالدين وسخطه في
سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق
ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين
فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم
ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين ربكم اعلم بما
في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين ومن النشاط والكراهة
في خدمتهما ان تكونوا صلحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في
حال الغضب وجرح الصدر هنة تؤدي الى اذاهما ثم ابتم الى الله واستغفرتم
منها فانه كان للاوابين غفورا الاواب الذي اذا اذنب بادر الى التوبة و
جاز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني
على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وات ذا القربى حقه عنك
اي النفقة اذا كانوا محارم فقراء والمسكين وابن السبيل اي وآت هؤلاء حقهم
من الزكوة ولا تبذر تبذيرا ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق المال في

غير الحل والمحل فعن مجاهد لو انفق في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم
نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه ولا خير في السرف فقال لا سرف في الخير
إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين امثالهم في الشر وهي غاية المذمة
لانه لا اشر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم
به من الاسراف وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع لانه لا يدعوا
الا الى مثل فعله وإما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين
وابن السبيل حياء من الرد ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا
ميسورا اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فتعطي
الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق
مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع
السبب يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه
فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي
دعاء فيه يسر او ابتغاء مفعول له او مصدر في موضع الحال وترجوها حال ايضا
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط كل نصب على
المصدر لاضافته اليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد
الذي بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف
غير مرضي عنده وعند الناس يقول الفقير اعطى فلانا وحرمني ويقول الغني
ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت
محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا اثر فيه اثرا بليغا او عاريا
من حسر رأسه وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية في محمد عليه الصلوة و
السلام انه اجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنها تسأل له قميصه الذي عليه
فدفع وقعد عريانا فاقيمت الصلوة ولم يخرج للصلوة فنزلت ثم سلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان
بسط الارزاق وقدرها الى الله تعالى فقال إن ربك يبسط الرزق لمن
يشاء فليس البسط اليك ويقدر اي وهو يضيق فلا لوم عليك إنه كان
بعباده خبيرا بمصالحهم فيمضيها بصيرا بحوائجهم فيقضيها ولا تقتلوا
أولادكم قتلهم اولادهم وادهم بناتهم خشية إملاق فقر نحن نرزقهم

وإياكم نهاهم عن ذلك وضمن ارزاقهم إن قتلهم كان خطئا كبيرا اثما
عظيما يقال خطئ خطأ كأثم اثما خطأ ابو يزيد وهو ضد الصواب اسم من اخطأ
وقيل هو الخطأ كالحذر والحذر خطأ مكي ولا تقربوا الزنا القصر فيه
اكثر والمد لغة وقد قرئ به وهو نهي عن دواعي الزنا كالمس والقبلة و
نحوهما ولو اريد النهي عن نفس الزناء لقال ولا تزنوا إنه كان فاحشة معصية
مجاوزة حد الشرع والعقل وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق اي بارتكاب ما يبيح الدم ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا تسلطا على القاتل في الا
قتصاص فلا يسرف في القتل الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا يقتل
اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية او الاسراف المثلة او الضمير للقا
تل الاول فلا يسرف حمزة وعلي على خطاب الولي القاتل المظلوم إنه كان
منصورا الضمير للولي اي حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا
يستزد على ذلك او للمظلوم اي الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله و
نصره في الاخرة بالثواب او للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه
منصور بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الاية يدل على ان القصاص يجري
بين الحر والعبد وبين المسلم والذمي لان انفس اهل الذمة والعبيد داخلة
في الاية لكونها محرمة ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن بالخصلة
او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ أشده اي ثماني
عشرة سنة وأوفوا بالعهد باوامر الله ونواهيه إن العهد كان مسئولا
مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او ان صاحب العهد وأوفوا
الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس وبكسر القاف حمزة وعلي وحفص وهو كل
ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها وهو القرسطون المستقيم
المعتدل ذلك خير في الدنيا وأحسن تأويلا عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع
وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تتبع ما لم تعلم اي لا تقل رأيت
ما رأيت وسمعت ما سمعت وعن ابن الحنيفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لا ترم احدا بما لم تعلم فلا يصح التشبث به لمبطل الاجتهاد لان
ذا نوع من العلم فان علمتموهن مؤمنات واقام الشرع غالب الظن مقام العلم

وامر بالعمل بركما في العمل بخبر الواحد لما ذكرنا ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسؤلا اولئك اشارة الي السمع والبصر والفؤاد لان
اولئك كما يكون اشارة الي العقلاء يكون اشارة الي غيرهم كقول جرير ذم
المنازل بعد منزلة اللوي والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع
بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤلا عنه فسؤل مسند الي الجار والمجرور
كالمغضوب في غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك
سماعه ولم نظرت الي ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت الي ما لم يحل لك العزم
عليه كذا في الكشاف وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقوم مقام
الفاعل اذا تأخر عن الفعل فاما اذا تقدما فلا ولا تمش في الارض مرحا هو
حال اي ذا مرح انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها و
شدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال اولن
تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل او المفعول كل ذلك كان سيئه كوفي و
شامي على اضافة سي الي ضمير كل سيئة غيرهم عند ربك مكروها ذكر مكروها
لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا
اعتبار بتانيثه الا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فان قلت
الخصال المذكورة بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه
بالاضافة اي ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من
قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة
ذلك اشارة الي ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الي هذه الغاية
مما اوحي اليك ربك من الحكمة مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته
ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقي في جهنم ملوما مدحورا مطرودا من
الرحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسي
عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر واخرها مدحورا ولا الهامن عدمه
لم تنفعه حكمة وان بذها الحكماء وحكت بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة
اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة
بنات الله بقوله افاصفيكم ربكم بالبنين الهمزة للانكار يعني اخصكم ربكم
علي وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا

واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد
لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها ويكون اردؤها واد ونها السادات انكم
لتقولون قولا عظيما حيث اضفتم اليه الاولاد وهي من خواص الاجسام
ثم فضلتم عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ولقد صرفنا في
هذا القرآن اي التنزيل والمراد ولقد صرفناه اي هذا المعني في مواضع
من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم ليذكروا وبالتخفيف حمزة وعلي اي
كررناه ليتعظوا وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وكان الثوري اذا قرأها
يقول زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون
وبالياء مكي وحفص اذا لابتغوا الي ذي العرش سبيلا لطلبوا الي من
له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او
لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة واذا
دالة علي ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو سبحانه
وتعالي عما يشركون يقولون وبالتاء حمزة وعلي علوا اي تعاليا والمراد
البراءة من ذلك والنزاهة كبيرا وصف العلو بالكبر مبالغة في معني البراءة
والبعد مما وصفوه به تسبح وبالتاء عراقي عن ابي بكر له السموات السبع و
الارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده اي يقول سبحان الله وبحمده
عن السدي قال عليه الصلوة والسلام ما اصطيد حوت في البحر ولا طير يطير
الا بما يضيع من تسبيح الله تعالي ولكن لا تفقهون تسبيحهم لاختلاف اللغات
او لتعسر الادراك او يسبب للتسبيح الناظر اليه والدال علي الخير كفاعله والوجه
الاول انه كان حليما عن جهل العباد غفورا لذنوب المؤمنين واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
ذا ستر او حجابا لا يري فهو مستور وجعلنا علي قلوبهم اكنة جمع كنان وهو
الذي لا يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا يمنع
من الاستماع واذا ذكرت ربك في القرآن وحده يقال وحد يحد وحدا و
حدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحال اصله يحد وحده
بمعني واحد وحده ولوا علي ادبارهم رجعوا علي ادبارهم رجعوا علي اعقابهم
نفورا مصدر بمعني التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه

لون

المتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون
به اي نحن اعلم بالحال او الطريقة يستمعون القران به فالقران هو المستمع وهو
محذوف وبه حال وبيان لما اي يستمعون القران هازئين لا جادين فالواجب
عليهم ان يستمعوه جادين اذ يستمعون اليك نصب باعلم اي اعلم وقت
استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى
اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن
انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا اي فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه
طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع وقالوا اذا
اي منكروا البعث كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اي
مجددا او مخلوقا حال اي مخلوقين قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما
يكبر في صدوركم اي السموات والارض فانها تكبر عندكم عن قبول الحيوة
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة والمعنى انكم ما
تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة بعد ما كنتم عظاما
يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى سايره فليس
ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة
وهو ان تكونوا حجارة او حديدا لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة فسينغضون
اليك رؤسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو اي
البعث استبعادا له ونفيا قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب وعسى للوجوب
يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيمة فتستجيبون بحمده اي تجيبون حامدين
والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي لبثا قليلا او زمانا قليلا
في الدنيا او في القبر وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وقل للمؤمنين يقولوا
للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم وهي ان يقولوا يهديكم الله
ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع
بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين وقرا طلحة ينزغ بالكسر
وهما لغتان ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة او فسر

التي

التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالهداية والتوفيق
او ان يشأ يعذبكم بالخذلان اي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا
يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم
ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وما ارسلناك
عليهم وكيلا حافظا لاعمالهم وموكولا اليك امرهم وانما ارسلناك بشيرا
ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة وربك اعلم بمن في السموات والا
رض وباحوالهم وبما يستاهل كل واحد منهم ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا
داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء عليهم السلام وان
امته خير الامم لان ذلك مكتوب في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وهم محمد عليه الصلوة والسلام وامته ولم يعرف الزبور
هنا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل
وفضل قل ادعوا الذين زعمتم انها الهتكم من دونه من دون الله وهم
الملائكة او عيسى وعزيرا او نفر من الجن عندهم ناس من العرب ثم اسلم الجن
ولم يشعروا فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اي ادعوهم فهم
لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه
من واحد الى آخر اولئك مبتدأ الذين يدعون صفة اي يدعونهم الهة او يعبدونهم
والخبر يبتغون الى ربهم الوسيلة يعني ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة
وهي القربة الى الله عز وجل ايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو
اقرب منهم الوسيلة الى الله عز وجل فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون
معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة
وازدياد الخير ويرجون رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من عباد الله فكيف
يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد
من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا قبل الهلاك للصالحة والعذاب
للطالحة كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وعن
مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك

المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق
والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب واما بلخ فيصيبهم هدة فيهلك
اهلها واما بدخشان فيخربها اقوام واما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون
واما صغانيان وابجرد فيقتلون بقتل صريع واما سمرقند فيغلب عليها
بنو قنطور فيقتلون اهلها قتلا صريعًا وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب
وخوارزم واما بخاري فهي ارض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعًا واما
مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد واما هراة فيمطرون
بالحيات فياكلهم اكلا واما نيسابور فيصيب اهلها رعد وبرق وظلمة
فيهلك اكثرهم واما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم
واما ارمينية واذربيجان فيهلكهما سنابك الخيول والجيوش والصواعق
والرواجف واما همدان فالديلم يدخلها ويخربها واما حلوان فيمر بها ريح
ساكنة وهم نيام فيصبح اهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة
فيدخل مصر فويل لاهل مصر وويل لاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل
لاهل رملة ولا يدخل بيت المقدس واما سجستان فيصيبهم ريح عاصف اياما
ثم هدة تاتيهم ويموت فيها العلماء واما كرمان واصفهان وفارس فياتيهم
عدو وصاحوا صيحة تخلع القلوب ويموت الابدان وما منعنا ان نرسل بالايات
الا ان كذب بها الاولون استعير المنع لترك ارسال الايات وان الاولى
مع صلتها في موضع النصب لانه مفعول ثان لمنعنا وان الثانية مع صلتها
في موضع الرفع لانه فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب
الاولين والمراد الايات التي اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء
الموتي وعن ذلك وسنة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم لم
يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال والمعنى وما منعنا عن ارسال ما يقترحونه
من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد
وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وعذبوا العذاب المستاصل
وقد حكمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات الا
ان كذب بها تكذيب اولئك وعذبوا العذاب المستاصل وقد حكمنا التي اقترحها
الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان اثارهم هلا

قريبة يبصرها صادرهم وواردهم فقال وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم
مبصرة آية بينة فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات
المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة
والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل
ما نرسل من الايات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة
وهو مفعول له واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس فاذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش
علما وقدرة وكلهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لامرك وبلغ ما ارسلت
به او بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون فجعله كان قد كان ووجد
فقال احاط بالناس على سنة في اخباره ولعل الله تعالى اراه مصارعهم
في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع
القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان
تسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اري في منامه من
مصارعهم وكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء والشجرة
الملعونة في القرآن اي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس
وانهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا
ان محمدا زعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ذلك فانه لا يمتنع ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار
فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت
في النار فتذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة
تبتلع الجمر فلا يضرها وخلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز ان يخلق في النار
شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا
بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم
فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم
التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون
من الايات وقيل الرؤيا هي الاسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه

تعلق من يقول كان الاسري في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا
بالرؤية وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعله رؤيا رأيتها
استبعادا منهم كما سمي الاشياء باساميها عند الكفرة كقوله فراغ الي الهتهم
اين شركائي او هي رؤيا انه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فان
قلت ليس في القران ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون
اكلوها وهم الكفرة لانه قال فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون
فوصفت بلعن اهلها على المجاز وان العرب يقول لكل طعام مكروه وضار
ملعون ولان اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في الاصل الجحيم في ابعد مكان
من الرحمة وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ
لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا هو تمييز او حال من الموصول والعامل فيه اسجد على اسجد له
وهو طين اي اصله طين قَالَ أَرَأَيْتَكَ الكاف لاموضع لها لانها ذكرت للخطاب
تاكيدا هَذَا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ اي فضلته
لم كرمته علي وانا خير منه فحذف ذلك اختصارا لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدا
فقال لَئِنْ أَخَّرْتَنِ وبلا ياء كوفي وشامي واللام توطية للقسم المحذوف
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ لاستاصلنهم باغوائهم إِلَّا قَلِيلًا وهم
المخلصون قيل من الف واحد وانما علم الملعون بالاعلام او لانه رأى انه خلق
شهوانيا قَالَ اذْهَبْ ليس من الذهاب الذي هو ضد المجي وانما معناه امض
لشانك الذي اخترته خذلانا له وتخلية ثم عقبه بذكر ما جر سوء اختياره فقال
فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ والتقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك
ثم غلب المخاطب على الغايب فقيل جزاؤكم وانتصب جَزَاءً مَوْفُورًا اي موفرا
باضمار تجازون وَاسْتَفْزِزْ استنزل او استخف استفزه اي استخفه والفز
الخفيف مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ بالوسوسة او بالغنا او بالمزمار
وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ اجمع وصح بهم من الجلبة وهي الصياح بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ و
تلك راكب وماش من اهل العبث والخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل و
نظيره الركب والصحب ورجلك حفص على ان فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب
ومعناه وجمعك الرجل لان اقصى ما يستطاع في طلب الامور الخيل والرجل
وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

قال

قال الزجاج كل معصية في مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربوا والمكاسب
المحرمة والبحيرة والسائبة وللانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة
والتوصل الي الاولاد بسبب الحرام والتسمية بعبد العزي وعبد شمس وَعِدْهُمْ
المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة و
ايثار العاجل على الاجل ونحو ذلك وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
هو تزيين بما توهم انه صواب إِنَّ عِبَادِي الصالحين لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ بدل بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان وَكَفَى بِرَبِّكَ
وَكِيلًا لهم وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك او حافظا لهم عنك
والكل امر تهديد فتعاقب به او اهانة اي لايخل ذلك بملكي رَبُّكُمُ الَّذِي
يُزْجِي
يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يعني الربح في التجارة
إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ اي خوف الغرق ضَلَّ مَنْ
تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ذهب عن اوهامكم كل من تدعونه فجوادثكم الا اياه
وحده فانكم لاتذكرون سواه او ضل من يدعونه من الالهة عن اعانتكم و
لكن الله وحده هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى
الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن الاخلاص بعد الخلاص وَكَانَ الْإِنْسَانُ اي الكافر كَفُورًا
للنعم أَفَأَمِنْتُمْ الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم
فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ انتصب جانب
بيخسف مفعولا لانه كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال
والمعنى ان يخسف جانب البر اي نقلبه وانتم عليه والحاصل ان الجوانب كلها
في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب من اسباب الهلاك ليس
جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف
وهو تغييب تحت الارض والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوي
خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا هي الريح
التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف
اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا يصرف ذلك عنكم أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوايجكم الي ان ترجعوا فتركبوا

البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا من
الريح وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد او هو الكاسر للفلك
فيغرقكم بما كفرتم بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة والمعنى
انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا
للثار من جهتنا ان نخسف بهم او نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون
مكي وابو عمرو ولقد كرمنا بني ادم بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشيا
وتناول الطعام بالايدي وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعى بالملاعق
وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما
قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق
فردها واكل باصابعه وحملناهم في البر والبحر على الدواب وفي البحر على السفن
ورزقناهم من الطيبات باللذيذات او بما كسبت ايديهم وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي على الكل كقوله واكثرهم كاذبون قال الحسن
اي كلهم وقوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ذكر في الكشاف المراد بالاكثر الجميع
وعنه صلى الله عليه وسلم المؤمن اكرم على الله من الملائكة وهذا لانهم مجبولون
على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفي البهائم شهوة بلا عقل وفي الادمي كلاهما
فمن غلب عقله شهوته فهو اكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر
من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه يوم ندعوا منصوب باذكر كل
اناس بامامهم الباء للحال وتقديره مختلطين بامامهم اي لمن ائتموا به من
نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب
كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر
فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم وانما قيل
اولئك لان من في معنى الجمع ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء
ولم يذكر الكفار وايتاء كتابهم بشمالهم اكتفاء بقوله ومن كان في هذه الدنيا
اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى اي اضل طريقا والاعمى
مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة

اما في

اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد
جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل بدليل عطف واضل ومن ثم قرا ابو
عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه
في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلم يقبل الامالة واما الاول فلم يتعلق
به شيء فكانت الفه في واقعة في الطرف فقبلت الامالة وامالهما حمزة وعلي
وفخمهما الباقون ولما قال قريش اجعل اية رحمة عذاب واية عذاب اية رحمة
حتى نؤمن بك فنزل وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام
فارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك
فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا غيره لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه ومن تبديل الوعد
وعيدا والوعيد وعدا واذا لاتخذوك خليلا اي ولو اتبعت امرهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك وعصمتنا لقد
كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى مكرهم شيئا قليلا ركونا قليلا وفي
هذا تهييج من الله له وفضل تثبيت اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب الاخرة القبر
مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة الاية واصل الكلام لاذقناك عذاب الحياة وعذاب
الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة
الاخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا
في النار اي مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وضعفا
في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت
الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز ان يراد
بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من
عذاب القبر وعذاب النار وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد
الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار
عظم شان فاعله ولما نزلت كان عليه الصلوة والسلام يقول اللهم لا تكلني
الى نفسي طرفة عين ثم لا تجد لك علينا نصيرا معينا لك يمنع عذابنا عنك

وان كادوا اي اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم
من الارض من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون لا يبقون خلفك
اي بعد اخراجك خلافك كوفي غير ابي بكر وشامي بمعناه الا قليلا الا زمانا
قليلا بمعناه فان الله مهلكهم فكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه
بقليل ومعناه ولو اخرجوك استوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر
امر ربه وقيل من ارض العرب او من ارض المدينة سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسوله من بين ظهرانيهم فسنة
الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة
ولا تجد لسنتنا تحويلا تبديلا واقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها
وعلى هذا الاية جامعة للصلوات الخمس او لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر و
العصر الى غسق الليل هو الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقران الفجر
صلوة الفجر سميت قرانا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو
حجة على الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن او سميت قرانا لطول قراءتها و
هو عطف على الصلوة ان قران الفجر كان مشهودا ايشهده ملائكة الليل
والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان
النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة ومن الليل فعليك بعض
الليل فتهجد والتهجد ترك الهجود للصلوة ويقال في النوم ايضا به
نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان
التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان
التهجد زيد لك على الصلوات المفروضات غنيمة لك او فريضة عليك خاصة
دون غيرك لانه تطوع لهم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على
الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك
معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور ويدل عليه الاخبار او هو مقام
يعطى فيه لواء الحمد وقل رب ادخلني مدخل صدق هو مصدر اي ادخلني
القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات واخرجني مخرج صدق اي
اخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من الملامة دليله
ذكره على اثر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج

من مكة

من مكة او هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر او مكان واجعل لي
من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا
ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه وقل جاء الحق الاسلام وزهق ذهب
وهلك الباطل الشرك او جاء القران وهلك الشيطان ان الباطل كان
زهوقا كان مضمحلا في كل اوان وننزل وبالتخفيف ابو عمرو من القران من
للتبيين ما هو شفاء من امراض القلب ورحمة وتفريج للكروب وتطهير للعيوب
وتكفير للذنوب للمؤمنين في الحديث من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله
ولا يزيد الظالمين الكافرين الا خسارا الا ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله او انعمنا بالقران
اعرض ونأى بجانبه تاكيدا للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض
وجهه والنائي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار
لان ذلك من عادة المستكبرين ناء بالامالة حمزة وبكوهما علي واذا مسه الشر
الفقر او المرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله
قل كل اي كل احد يعمل على شاكلته على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في
الهدى والضلالة فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اشد مذهبا وطريقة
ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي الجمهور على ان الروح الذي
في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استاثر بعلمه وعن
ابي بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم الروح ولقد عجزت
الاوايل عن ادراك ماهيته بعد انفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة
في ذلك تعجيز العقل عن ادراك مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه
اعجز ولهذا رد ما قيل في حده انه جسم رقيق هوائي في كل جزء من الحيوان وقيل
هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبرئيل
عليه السلام دليله نزل به الروح الامين على قلبك وعن الحسن القران دليله
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ولانه به حيوة القلوب ومن امر ربي
اي ومن وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروي ان اليهود بعثت الى قريش
ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عن الكل
او سكت عن الكل فليس بنبي وان اجاب بعض وسكت عن بعض فهو نبي فتبين

لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم وقيل
كان السؤال عن خلق الروح يعني اهو مخلوق ام لا وقوله من امر ربي دليل خلق
الروح وكان هذا جوابا وما اوتيتم من العلم الا قليلا الخطاب عام فقد
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون
بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا
قليلا وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله فالقلة و
الكثرة من الامور الاضافية فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها
الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة ثم نبه على نعمة الوحي وغراه
بالصبر على اذى الجدال في السؤال بقوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة
على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور
والمصاحف فلم يترك له اثرا ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي ثم لا تجد
لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا الا ان يرحمك ربك
فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او على الاستثناء المنقطع اي ولكن
رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا لقول النضر لو نشاء
لقلنا مثل هذا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معينا ولا ياتون جواب
قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله لا غائب
مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن
في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله ولقد صرفنا
رددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في
غرابته وحسنه فابى اكثر الناس الا كفورا جحودا وانما جاز فابى اكثر الناس
الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا

كفورا

كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر ولزمتهم الحجة و
غلبوا اقترحوا الايات فعل المبهوت المحجوج المتحير وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا وبالتخفيف كوفي من الارض اي مكة ينبوعا عينا غزيرة من
شانها ان تنبع بالماء لا يقطع مفعول من نبع الماء او تكون لك جنة من
نخيل وعنب فتفجر والتشديد هنا مجمع عليه لقوله الانهار خلالها وسطها و
تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بفتح السين مدني وعاصم
اي قطعا يقال اعطني كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة
كسدرة وسدر يعنون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما يقول شاهدا بصحته و
المعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا او
مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر قالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا
او جماعة حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف ذهب او ترقى في
السماء تصعد اليها ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك حتى تنزل علينا
وبالتخفيف ابو عمرو كتابا اي من السماء فيه تصديقك نقرؤه صفة
كتاب قل قال مكي وشامي اي قال الرسول سبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم
عليه هل كنت الا بشرا رسولا اي انا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان
الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهر الله عليهم من الايات فليس امر الايات
الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي وما منع الناس يعني اهل مكة
ان يؤمنوا نصب بانه مفعول ثان لمنع اذ جاءهم الهدى النبي والقرآن
الا ان قالوا فاعل منع والتقدير وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا اي الا شبهة تمكنت
في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار و
ما انكروه فقضيته حكمة منكرة ثم رد الله تعالى عليهم بقوله قل لو كان
في الارض ملائكة يمشون يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون
باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين حال
اي ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم
الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما يرسل الملك الى المختار منهم للنبوة

فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا حالا من رسولا
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على ان بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم
كذبتم وعاندتم شهيدا تمييز انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا
عالما باحوالهم بصيرا بافعالهم فهو يجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ووعيد للكفرة ومن يهد الله فهو المهتد وباليا يعقوب
وسهل ووافقهما ابو عمرو وسدي في الوصل اي من وفقه الله لقبول
ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله ومن يضلل اي ومن يخذله ولم
يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان فلن تجد لهم اولياء من دونه اي انصارا
ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم اي يسحبون عليها كقوله يسحبون
في النار على وجوههم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على
وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون
بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما تقر
اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم مأويهم
جهنم كلما خبت طفي لهبها زدناهم سعيرا توقدا ذلك جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
اي ذلك العذاب بسبب انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم
ان سلط الله على اجزائهم تاكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد في
تحسيرهم على تكذيبهم البعث اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم من الانس وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابى الظالمون الا كفورا جحودا مع وضوح
الدليل قل لو انتم تملكون تقديره لو تملكون تملكون لان لو تدخل على
الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فاضمر تملك على شريطة التفسير
وابدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل
به من اللفظ فانتم فاعل فعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي
يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة
على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ خزائن رحمة ربي

رحمة

رحمة ربي رزقه وسائر نعمه على خلقه اذا لامسكتم خشية الانفاق اي
لبخلتم خشية ان يغنيه الانفاق وكان الانسان قتورا بخيلا ولقد اتينا
موسى تسع ايات بينات عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد و
الجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني
اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر
والطور فاسأل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون
وقل له ارسل معي بني اسرائيل وقوله اذ جاءهم متعلق بالقول المحذوف اي
فقلنا لهم سلهم حين جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فخولط عقلك قال اي موسى لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء
الايات الا رب السموات والارض خالقهما بصائر حال اي بينات مكشوفات
ولكنك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اعلمت
على اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات
منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه بقوله واني لاظنك
يا فرعون مثبورا كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا وظني
اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك
لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة
امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك فاراد فرعون ان
يستفزهم اي يخرجهم اي موسى وقومه من الارض ارض مصر او ينفيهم
عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فحاق به
مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده من بعد فرعون لبني
اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد
الاخرة اي القيمة جئنا بكم لفيفا جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم
بينكم ويميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى
وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القران الا بالحكمة وما نزل الا ملتبسا
بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق
محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول محفوظا بهم من تخليط الشياطين

قال الراوي اشتكي محمد بن السماك فاخذنا ماءه وذهبنا به الي طبيب نصراني
فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا الي اين فقلنا
الي فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون علي ولي الله
بعدو الله اضربوه علي الارض وارجعوا الي ابن السماك وقولوا له ضع يدك
علي موضع الوجع وقل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا
الي ابن السماك فاخبرناه بذلك فوضع يده علي موضع الوجع وقال ما قال الرجل
وعوفي في الوقت وقال كان الخضر عليه السلام وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
بالجنة وَنَذِيرًا من النار وَقُرْآنًا منصوب بفعل يفسره فَرَقْنَاهُ اي فصلناه
او فرقنا فيه الحق من الباطل لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ علي تؤده وتثبت
وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا علي حسب الحوادث قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا اي اختاروا
لانفسكم النعيم المقيم او العذاب الاليم ثم علل بقوله إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مِنْ قَبْلِهِ اي التورية من قبل القرآن إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ القرآن يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
سُجَّدًا حال وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا لقوله آمنوا
به او لا تؤمنوا اي اعرض عنهم فانهم لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فان
خيرا منهم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب قد امنوا به وصدقوه فاذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره وانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به
من بعثة محمد صلي الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور
ان بمعني انه وهي موكدة الفعل كما ان ان توكد الاسم وكما اكدت ان ان باللام في انهم
لمحضرون اكدت ان باللام في لمفعولا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ومعني
الخرور للذقن السقوط علي الوجه وانما خص الذقن لان اقرب الاشياء من
وجهه الي الارض عند السجود الذقن يقال خر علي وجهه وعلي ذقنه وخر لذقنه
ولوجهه اما معني علي فظاهر واما معني اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور
واختصه به اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين
وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين وَيَزِيدُهُمْ
القرآن خُشُوعًا لين قلب ورطوبة عين قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ لما
سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها اخر نزلت وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله

في التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعني التسمية لا بمعني النداء واو
للتخيير اي سموا بهذا الاسم او بهذا او اذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في
أَيًّا مَا تَدْعُوا عوض من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد وايا نصب بتدعوا و
هو مجزوم باي اي اي هذين الاسمين ذكرتم وسميتم فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
والضمير في فله يرجع الي ذات الله تعالي والفاء لانه جواب الشرط اي ايما
تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسني لانه اذا حسنت اسماؤه
كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعني كونها احسن الاسماء انها مستقلة
بمعاني التمجيد والتقديس وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ بقراءة صلوتك علي حذف
المضاف لانه لا يلبس اذ الجهر والمخافتة يقتضيان علي الصوت لا غير و
الصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يرفع صوته
بقرائته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر ان يخفض من صوته والمعني
ولا تجهر حتي تسمع المشركين وَلَا تُخَافِتْ بِهَا حتي لا تسمع من خلفك وَابْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ بين الجهر والمخافتة سَبِيلًا وسطا ومعناه ولا تجهر بصلوتك
كلها ولا تخافت بها كلها وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا بان تجهر بصلوة
الليل وتخافت بصلوة النهار او بصلوتك بدعائك وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمُلْكِ كما زعمت اليهود والنصاري وهو مليح وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ
كما زعم المشركون اي ولم يذل فيحتاج الي ناصر او لم يوال احدا من اهل مذلة
به ليدفعها بموالاته وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا وعظمه ووصفه بانه اكبر من ان يكون له ولد
او شريك وسمي النبي عليه الصلوة والسلام الاية آية العز وكان اذا افصح الغلام من
بني عبد المطلب علمه هذه الاية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ محمد صلي الله عليه وسلم الْكِتَابَ القرآن
لقن عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه علي اجزل نعمائه وهي عليهم
وهي نعمة الاسلام وما انزل علي محمد صلي الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو
سبب نجاتهم وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا اي شيئا من العوج والعوج في المعاني كالعوج
في الاعيان يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض
عن معانيه وخروج شي منه من الحكمة قَيِّمًا قيما مستقيما انتصابه بمضمر وتقديره

جعله قيما الانه اذا نفي عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة وفائدة الجمع
بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنىً عن الاخر التاكيد فرب
مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلوا من ادنى عوج عند التصفح وقيما
على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها لينذر انذر متعد الى مفعولين
كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا
بأسا عذابا شديدا وانما اقتصر على احد مفعولي انذر لان المنذر به هو
المسوق اليه فاقتصر من لدنه صادرا من عنده ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا اي الجنة ويبشرهم حمزة
وعلى ماكثين ما لامرهم فيه فى الاجر وهو الجنة ابدا وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الاول استغناءً
بتقديم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا
لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال
فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لا
وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه او لانه في نفسه محال ولا
لآبائهم المقلد بن كبرت كلمة نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كانه قيل
ما اكبرها كلمة كما يسمون القصيدة بها تخرج من افواههم صفة لكلمة يفيد
استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما
يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكر لا يتمالكون ان يتفوهوا به بل
يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر ان يقولون الا كذبا ما يقولون ذلك
الا كذبا هو صفة المصدر محذوف اي قولا كذبا فلعلك باخع قاتل نفسك
على آثارهم اي آثار الكفار شبههم واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما
تداخله من الاسف على توليهم برجل فارقه احبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم
ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا في فراقهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن
اسفا مفعول له اي لفرط الحزن والاسف المبالغة في الحزن والغضب انا
جعلنا ما على الارض زينة لها اي ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من
زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل
الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون

ما عليها من هذه الزينة صعيدا ارضا ملساء جرزا يابسا لا نبات فيها
صعيدا بعد ان كانت خضراء معشبة والمعنى يعيدها بعد ما زينها خرابا
باماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من
الآيات الكلية تزيين الارض مما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر
لها وازالة ذلك كله كان لم يكن قال ام حسبت ان اصحاب الكهف و
الرقيم يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة
طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم او قريتهم
او اسم كتاب كتب فيه شانهم او اسم الجبل الذي فيه الكهف كانوا من آياتنا
عجبا اي كانوا آية عجبا من آياتنا عجبا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اي
اذكر اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ
لنا من امرنا رشدا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون
بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك رشدا
او يسر لنا طريق رشدك فضربنا على آذانهم في الكهف اي ضربنا عليها
حجابا من ان يسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا ينبههم فيها الاصوات فحذف
المفعول الذي هو الحجاب سنين عددا ذوات عدد فهو صفة لسنين قال
الزجاج اي تعد عددا لكثرتها لان القليل يعلم مقداره من غير عدد فاذا
كثر عد فاما دراهم معدودة فهي على القلة لانهم كانوا يعدون القليل و
يزنون الكثير ثم بعثناهم ايقظناهم من نومهم لنعلم اي الحزبين المختلفين
منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم
كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان
لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم احصى لما لبثوا امدا
غاية واحصى فعل ماض وامدا ظرف لاحصى او مفعول والفعل الماضي خبر المبتدا
وهو اي والمبتدا مع خبره سد مسد نعلم والمعنى ايهم ضبط امد الاوقات لبثهم
او احاط علما بامد لبثهم ومن قال احصى من الاحصاء والعد فقد ذل لان
المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا وليكونوا

لطفا للمومنين زمانهم وآية بينة لكفاره او المراد لنعلم اختلافهما موجودا
كما علمناه قبل وجوده نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية
جمع فتي والفتوة بذل الندآء وكف الاذي او اجتناب المحارم واستعمال
المكارم وقيل الفتي من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل امنوا
بربهم وزدناهم هدي يقينا وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف في
قلوبهم الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان اثنان منا
فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم علي الايمان وربطنا
علي قلوبهم وقويناها بالصبر علي هجر الاوطان والفرار بالدين الي بعض
الغيران وجسرناهم علي القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام
اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به علي القيام حين عاتبهم
علي ترك عبادة الاصنام فقالوا ربنا رب السموات والارض مفتخرين لن
ندعوا من دونه الها ولئن سميناهم آلهة لقد قلنا اذا شططا قولا ذا
شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا ابعد هؤلاء مبتدأ
قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه الهة خبر وهو اخبار في معني انكار لولا
يأتون عليهم هلا يأتون علي عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين بحجة
ظاهرة وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان علي عبادة الاوثان محال فمن اظلم
ممن افتري علي الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم نصب عطف
علي الضمير اي واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله استثناء متصل
لانهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كاهل مكة او منقطع اي واذ اعتزلتم
الكفار والاصنام التي تعبدونها من دون الله او كلام معترض عن اخبار من
الله تعالي عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فأووا الي الكهف صيروا اليه
واجعلوا الكهف مأويكم ينشر لكم ربكم من رحمته من رزقه ويهيئ لكم
من امركم مرفقا مرفقا مدني وشامي وهو ما يرتفق به اي ينتفع وانما قالوا
ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه وبضوع يقينهم او اخبر
بر في عصرهم وتري الشمس اذا طلعت تزاور بتخفيف الزاي كوفي تزور
شامي تزاور غيرهما واصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها و
الكل من الزور وهو الميل زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق عن

كهفهم

كهفهم اي تميل عنه ولا تقع شعاعها عليهم ذات اليمين جهة اليمين و
حقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم اي تتركهم
وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة منه في متسع من الكهف والمعني
انهم في ظل نهارهم كله لا يصيبهم الشمس في طلوعها وغروبها مع انهم
في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم
وقيل متفسح من غار ينالهم فيه من روح الهوآء وبرد النسيم ولا يحسون
كرب الغار ذلك من ايات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس و
قرضها طالعة وغاربة آية من ايات الله يعني ان ما كان في ذلك السمت يصيبه
الشمس ولا تصيبهم اختصاصا بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل
لبنات نعش فهم في مفيئة ابدا ومعني قوله وذلك من ايات الله ان شانهم
وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتد مثل ما مر في سبحان
وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فارشدهم الي نيل
تلك الكرامة السنية ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا اي من اضله
فلا هادي له وتحسبهم بفتح السين شامي وحمزة وعاصم غير الاعشي وهبيرة
وهو خطاب لكل احد ايقاظا جمع يقظ وهم رقود نيام قيل عيونهم
مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا ونقلبهم ذات اليمين و
ذات الشمال قيل لهم تقليبتان في السنة وقيل تقليبة واحدة في يوم عاشورا
وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان
بمعني المضي بالوصيد بالفناء او العتبة لو اطلعت عليهم لو اشرفت عليهم فنظرت
اليهم لوليت منهم لاعرضت عنهم وهربت منهم فرارا منصوب علي المصدر
لان معني وليت منهم فررت منهم ولملئت منهم وبتشديد اللام حجازي
للمبالغة رعبا تمييز وبضم العين شامي وعلي وهو الخوف الذي يرعب الصدر
اي يملاه وذلك لما البسهم الله من الهيبة او لطول اظفارهم وشعورهم
وعظم اجرامهم وعن معاوية رضي الله عنه انه لما غزا الروم مر بالكهف
فقال اريد ان ادخل فقال ابن عباس لقد قيل لمن هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا فدخلت جماعة بامره فاحرقتهم ريح وكذلك بعثناهم اي وكما انمناهم
تلك النومة كذلك ايقظناهم اظهارا للقدرة علي الانامة والبعث جميعا

ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم
فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم
به عليهم قال قائل منهم رئيسهم كم لبثتم كم مدة لبثكم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب قالوا ربكم اعلم بما لبثتم مدة لبثكم انكار عليهم من بعضهم كانهم
قد علموا بالادلة او بالالهام لان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلمه الا الله
وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم
في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك وقد استدل
ابن عباس رضي الله عنهما على ان الصحيح ان عددهم سبعة لانه قال في الاية قال
قائل منهم كم لبثتم وهذا واحد وقالوا في جوابه لبثنا يوما او بعض يوم وهو
جمع واقله ثلاثة ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخرين فصار سبعة
فابعثوا احدكم كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء
آخر مما يهمكم فابعثوا احدكم اي تمليخا بورقكم هو الفضة مضروبة كانت او
غير مضروبة وبسكون الراء ابو عمرو وحمزة وابو بكر هذه الى المدينة
هي طرسوس وحملهم الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح
المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعن بعض
العلماء انه كان شديد الحنين الى بيت الله ويقول ما لهذا السفر الا شيئان
الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها اي اهلها فحذف كما في واسال القرية واي
مبتدا وخبره ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما تمييز فليأتكم برزق
منه وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن
او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى
الشعور بنا من غير قصد منه فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير
في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها انهم ان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم
يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه والعود بمعنى
الصيرورة كثير في كلامهم ولن تفلحوا اذا ابدا اذ يدل على الشرط اي ولن
تفلحوا ان دخلتم في دينهم ابدا وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم
لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلموا اي الذين اطلعناهم على حالهم ان

وعد الله

وعد الله وهو البعث حق كائن لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال
من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها فانهم يستدلون بامرهم على
صحة البعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازع
اهل ذلك الزمان بينهم امرهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث
فكان بعضهم يقول ببعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول ببعث الاجساد
مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد يبعث حية حساسة فيها
ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا
عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق عليهم الناس ضنا بتربتهم
ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة
ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا
الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك
قالوا ربهم اعلم بهم او من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في ضد
قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم و
بالبناء عليهم لنتخذن عليهم على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون
ويتبركون بمكانهم روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم
حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد
فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان
والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه
الله تعالى ما تريدون مني اني احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا
براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف وضرب الله على آذانهم
وقبل ان يبعثهم الله تعالى ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف
اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه
ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس
رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل
المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك
واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله تعالى على الاية الدالة على البعث ثم

قال الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك من شر الجن والانس ثم رجعوا
الى مضاجعهم وتوفى الله تعالى انفسهم والقى الملك عليهم ثيابه وامر
فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها
من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة و
ثامنهم كلبهم والضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين واهل الكتاب سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزل اخبارا
بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من
يقول سبعة وثامنهم كلبهم ويروى ان السيد والعاقب واصحابهما من
اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف
فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان
نسطوريا كانوا خمسة وسادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم او بما ذكرنا من قبل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم
تمليخا ومكثلينا ومشيلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش
ودبرنوش وسادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي
الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس
واسم كلبهم قطمير وسين الاستقبال وان دخل في الاول دون الاخرين
فهما داخلان في حكم السين كقولك قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في
الفعلين جميعا او اريد بفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له خبر مبتدأ
محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ
وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم رجما بالغيب
رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي يأتون به او وضع الرجم
موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجما بالظن مكان
قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة
الثالثة هي التي يدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما يدخل على الواقعة صفة

حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف
وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها
امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما غيرهم دليله ان الله تعالى
اتبع القولين الاولين قوله قل ربي اعلم بعدتهم اي قل ربي اعلم بعدتهم
وقد اخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم ما يعلمهم الا قليل قال
ابن عباس انا من ذلك القليل وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في
سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا
وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم
فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مراء ظاهرا الا جدالا
ظاهرا غير متعمق وهو ان نقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد
من غير تجهيل لهم او عنف بهم من الناس ليظهر صدقك ولا تستفت فيهم
منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده
عليه وتزيف عنده ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك
قصتهم ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا
اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله ان يقوله
بان يأذن لك فيه او ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع
الحال اي الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وقال الزجاج معناه ولا
تقولن اني افعل ذلك الا بمشيئة الله لان قول القائل انا افعل ذلك ان شاء
الله معناه لا افعله الا بمشيئة الله وهذا نهي تاديب من الله عز وجل لنبيه
عليه الصلوة والسلام حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن
اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقالوا ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله
اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء
ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن ما دام في مجلس الذكر وعن ابن
عباس ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء المغير حكما فلا يصح
الا متصلا وحكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنهما

في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة رضي الله عنه
هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك
فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وامر الطاعن فيه باخراجه من عنده
ومعناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشدّ
في البعث على الاهتمام بها او صل صلوة نسيتها اذا ذكرتها او اذا نسيت شيئا
فاذكره ليذكرك المنسى وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا
يعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان يقول عسى ربي
ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسى اقرب منه رشدا او ادنى خيرا ومنفعة
ان يهديني اي يرني ان يوتيني ان يعلمني مكي في الحالين وافقه ابو عمرو و
ومدني في الوصل وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ لبثهم فيه احياء مضروبا
على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا فسنين عطف بيان لثلاثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلى على
وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وَازْدَادُوا تِسْعًا
اي تسع سنين لدلالة ما دل عليه وتسعا مفعول به لان زاد يقتضي مفعولين
فازداد يقتضي مفعولا واحدا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا اي هو اعلم من الذين
اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به او هو حكاية لكلام اهل الكتاب
وقل الله اعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا اخبار من الله سبحانه انهم لبثوا
في كهفهم كذا مدة لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذكر اختصاصه بعلم ما غاب
في السموات والارض وخفي فيهما من احوال اهلها ومن غيرها أَبْصِرْ بِهِ وَ
أَسْمِعْ اي وابصر به واسمع به والمعنى ما ابصره بكل موجود وما اسمعه لكل مسموع مَا لَهُمْ
لاهل السموات والارض مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ من متول لامورهم وَلَا يُشْرِكُ
فِي حُكْمِهِ في قضائه أَحَدًا منهم ولا يشرك على النهي شامي كانوا يقولون ائت
بقرآن غير هذا او بدله فقيل له وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ اي من
القرآن ولا تسمع لما يهذون من طلب التبديل فانه لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ اي
لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك وحده وَلَنْ تَجِدَ
مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك ولما قال قوم من رؤسا
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار

وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل وَاصْبِرْ نَفْسَكَ
مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ واحبسها معهم وثبتها بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
دائبين على الدعاء في كل وقت او بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي
لطلب عفو التقصير او هما صلوة الفجر والعصر والغدوة شامي يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ رضا الله وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ولا تجاوز يقال عداه اذا
جاوزه وعدي بعن لتضمين عدا معنى نبا في قولك نبت عنه وفائدة
التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذّ تُرِيدُ
زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا في موضع الحال وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى خالق افعال
العباد وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا مجاوزا عن الحق وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ
اي الاسلام او القرآن والحق خبر مبتدأ محذوف اي قل هو الحق فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ
وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ اي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لا
نفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ
الامر والتخيير لانه لما تمكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مأمور بان يتخير
ما شاء من النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال إِنَّا أَعْتَدْنَا هيأنا
لِلظَّالِمِينَ للكافرين فقيد بالسياق كما ترك حقيقة الامر والتخيير بالسياق
وهو قوله انا اعتدنا للظالمين نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا شبه ما يحيط
بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط او هو دخان
يحيط بالكفار قبل دخولهم النار او حائط من نار يطيف بهم وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
من العطش يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ هو دردي الزيت او ما اذيب من جواهر
الارض وفيه تهكم بهم يَشْوِي الْوُجُوهَ اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من
حرارته بِئْسَ الشَّرَابُ ذلك وَسَاءَتْ النار مُرْتَفَقًا متكأ من المرفق
وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار وذكر
جزاء من اختار الايمان فقال إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ كلام مستأنف بيان
للاجر المبهم ذلك ان يجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا والمراد من احسن
منهم كقوله السمن منوان بدرهم ولان من احسن عملا والذين امنوا وعملوا

الصالحات ينتظمها معنى واحد فاقام من احسن مقام المضمر تجري من
تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من للابتدا وتنكر اساور وهي جمع
اسورة او جمع سوار لابهام امرها في الحسن من ذهب للتبيين ويلبسون ثيابا
خضرا من سندس مارق من الديباج واستبرق ماغلظ منه اي يجمعون بين
النوعين متكئين فيها على الارائك حض الاتكاء لانه هيئة المتنعمين و
الملوك على اسرتهم نعم الثواب الجنة وحسنت اي الجنة او الارائك مرتفقا
متكأ واضرب لهم مثلا رجلين ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين
وكان اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مسلم اسمه يهودا
وقيل هما المذكوران في والصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي
قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فجعلاها شطرين فاشتري الكافر
ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشتري ارضا بالف دينار وانا اشتري
منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني
جعلت الفا صداقا للحور ثم اشتري اخوه خدما ومتاعا بالف دينار فقال اللهم
اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة لاخيه
فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله
جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل و
جعلناه محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها
موردة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم
حوله هو متعد الى مفعول فتزيده الباء مفعولا ثانيا وجعلنا بينهما زرعا
جعلنا ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة
لم يتوسطهما ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت
اعطت حملا على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز اكلها ثمرها
ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا وفجرنا خلالهما نهرا كي يدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما ولعل تأخير ذكره على ذكر نقصهما بوفاء الثمار
وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما
يسقى به وهو النهر الجاري فيها وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال من
ثمر ماله اذا كثره اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب
والفضة وغيرهما الثمر واحيط بثمره بفتح الميم والثاء عاصم وبضم الثاء وسكون

الميم ابو عمرو وبضمها غيرهما فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه الكلام
من حار يحور اذا رجع يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين
ويريه ما فيهما ويفاخر بما ملك من المال دونه انا اكثر منك مالا واعز
نفرا انصارا وحشما او اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث ودخل
جنته احدي جنتيه او سماهما جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري
بينهما وهو ظالم لنفسه ضار لها بكفره قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا
اي ان تهلك هذه الجنة شك في بيدودة جنته لطول امله وتمادي غفلته
واغتراره بالمهلة وتري اكثر الاغنياء من المسلمين ينطق السنة احوالهم
بذلك وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه
ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده
منقلبا تمييز اي مرجعا وعاقبة قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان
خلقه خلقا له ثم من نطفة اي خلقك من نطفة ثم سواك رجلا عدلك
وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه في البعث لكنا
بالالف في الوصل الشامي الباقون بغير الف وبالالف في الوقف اتفاقا واصله
لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فادغمت
الاولي في الثانية بعد ان سكنت هو الله ربي هو الضمير الشان الله ربي و
بالجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله اكفرت قال
لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما يقول زيد حاضر غايب لكن عمرا حاضر
وفيه حذف اي قول هو الله بدليل عطف ولا اشرك بربي احدا ولولا وهلا
اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ما موصولة مرفوعة على انها خبر مبتدا
محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف
يعني اي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك
الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله وان
امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وهلا قلت لا قوة الا بالله
اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتأييده من قرأ

ان ترن انا اقل منك مالاً بنصب اقل فقد جعل انا فصلا ومن رفع وهو
الكسائي جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وقوله وولدا
ينصر من فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا فعسى ربي ان يوتين خيرا من
جنتك في الدنيا او في العقبي ويرسل عليها حسبانا مددا بامن السماء
فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضا يلصق بزلوق عليها لملاستها او يصبح ماؤها
غورا غائرا في الارض اي ذاهبا في الارض فلن تستطيع له طلبا فلا يبقى
منك طلبه فضلا عن الوجود والمعني ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع
الله تقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك
ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاك
واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به العدو لانه اذا افقد ملكه واستولى
عليه ثم استعمل في ملك كل اهلاك فاصبح اي الكافر يقلب كفيه يضرب
احديهما على الاخرى ندما وتحسرا وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم و
التحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط
في اليد ولانه معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما
انفق فيها اي في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني كرومها المعرشة
سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم ويقول يا ليتني
لم اشرك بربي احدا يذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة كفره وطغيانه
فتمنى لو لم يكن شركا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني ويجوز ان
يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن له
فئة ينصرونه يقدرون على نصرته من دون الله وما كان منتصرا
وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق بكن الياء و
الولاية بكسر الواو حمزة وعلي فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان و
الملك والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها
غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون
الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب او في مثل تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة
الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها او هنالك

الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني انه نصر
فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان يوتين خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويؤيده قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا اي لاولياء او هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله
كقوله لمن الملك اليوم الحق بالرفع ابو عمرو وعلي صفة الولاية او خبر مبتدا
محذوف اي هي الحق او هو الحق غيرهما بالجر صفة لله عقبا بسكون القاف عاصم
وحمزة وبضمها غيرهما وفي السواد عقبي على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء اي هو كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه
بعضا او اثر في النبات الماء فاختلط به حتى روي فاصبح هشيما يابسا
متكسرا الواحد هشيمة تذروه الرياح ينسفه ويطيره الريح حمزة وعلي
وكان الله على كل شيء مقتدرا من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا شبه
حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال
النبات يكون اخضر ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا لا زاد القبر وعدة العقبي والباقيات الصالحات
اعمال الخير التي يبقى ثمرتها للانسان او الصلوات الخمس او سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا جزاء وخير املا لانه
وعد صادق واكثر الامال كاذبة يعني ان صاحبها تامل في الدنيا ثواب الله
ونصيبه في الاخرة ويوم واذكر يوم نسير الجبال مكي وشامي وابو عمرو اي
تسير في الجو او نذهب بها بان نجعل هباء منبثا وترى الارض بارزة ليس
عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار وحشرناهم اي الموتى فلم نغادر
منهم احدا اي فلم نترك غادره اي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير
ما غادره السيل وعرضوا على ربك صفا مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم
كما يرى واحد لا يحجب احد احدا شبه حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان
يكون عامل النصب في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة اي لقد بعثناكم كما
انشاناكم اول مرة او جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اول مرة وانما قال

دِدْ

وحشرناهم ماضيا بعد تسير وتري للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقيل
البروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم ان
لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء عليهم السلام
من البعث والنشور او مكان وعد للمحاسبة ووضع الكتاب اي صحف الاعمال
فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا من
المعاصي الا احصيها حصرها وضبطها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف
عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما عليه ما لم يعمل او يزيد
في عقابه او يعذبه بغير جرم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية او
سجود تحيات فسجدوا الا ابليس كان من الجن هو مستأنف كان قائلا قال
ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه عما امره به ربه من السجود
وهو دليل على انه كان مأمورا بالسجود مع الملائكة افتتخذونه وذريته الهمزة
للانكار والتعجب كانه قيل عقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من
دوني وتستبدلونهم وذريته لاقيس موسوس الطهارة وولهان موسوس
الصلاة والاعور صاحب الزنا وبتر صاحب المصايب وسوط صاحب الاذا
وواسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى وهم لكم عدو اعداء بئس
للظالمين بدلا بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته
ما اشهدتهم اي ابليس وذريته خلق السموات والارض يعني انكم اتخذتموهم
شركاء لي في العبادة وانما يكون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفي مشار
كتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في
خلقها او اشاورهم فيه اي تفردت بخلق الاشياء فافردوني في العبادة ولا
خلق انفسهم ولا اشهدت بعضهم كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت
متخذ المضلين اي وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع
الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم
شركاء لي في العبادة ويوم يقول الله للكفار وبالنون حمزة نادوا ادعوا
بصوت عال شركائي الذين زعمتم انها شركائي ليمنعوكم من عذابي واريد
الجن واضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم و

جعلنا

جعلنا بينهم موبقا مهلكا من وبق يبق وبوقا اذا هلك ومصدر كالموعد
اي وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد
مشتركا يهلكون فيه جميعا او الملائكة وعزيرا وعيسى عليهما السلام والموبق
البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا لانهم في قعر جهنم وهم في
اعلا الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا ايقنوا انهم مواقعوها مخا
لطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها عن النار مصرفا معدلا ولقد
صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل يحتاجون اليه وكان الانسان
اكثر شيء جدلا تمييز اي اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها
واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعني ان جدل الانسان اكثر من
جدل كل شيء وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي سببه وهو
الكتاب والرسول ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او
يأتيهم العذاب ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف
تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان يأتيهم سنة
الاولين وهي الاهلاك وانتظار ان الا مبشرين ومنذرين يأتيهم العذاب
يعني عذاب الآخرة قبلا كوفي اي انواعا جمع قبيل الباقون قبلا اي عيانا
وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين يوقف عليه ويستأنف بقوله
ويجادل الذين كفروا بالباطل هو قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو
شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا بالجدال
النبوة واتخذوا آياتي القرآن وما انذروا ما موصولة والراجع من الصلة
محذوف اي وما انذروه من العقاب او مصدرية اي وانذارهم هزوا موضع
استهزاء بسكون الزاء والهمزة حمزة وبابدال الهمزة واوا حفص وبضم الزاي
والهمزة غيرهما ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع الضمير
اليها مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر
ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان
المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على
قلوبهم بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو الغطاء
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا عن استماع الحق وجمع بعد الافراد حملا على

لفظ من وان تدعهم الي الهدي الي الايمان فلن يهتدوا فلا يكون منهم
اهتداء اذا ابدا مدة التكليف كلها وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة
الموصوف بالرحمة جزاء وجواب لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
اي ومن رحمته ترك مؤاخذته اهل مكة عاجلا مع فرط عداوتهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه
موئلا منجا وموئلا وملجا يقال وأل اذا نجا ووال اليه اذا لجا وتلك مبتدا
القري لان اسماء الاشارة يوصف باسماء الاجناس والجزاء اهلكناهم
او تلك القري نصب باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعني وتلك
اصحاب القري اهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود لما ظلموا مثل
ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما
لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما ابو بكر اي لوقت هلاكهم او هلاكهم
والموعد وقت او مصدر واذ واذكر اذ قال موسي لفتيه هو يوشع
بن نون وانما قيل لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم
لا ابرح لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه اما الاول
فلانها كانت حال سفر واما الثاني فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين
غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعني لا ابرح
اسير حتى ابلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسي لقاء
الخضر وهو ملتقي بحر فارس والروم وسمي خضرا لانه اينما يصلي يخضر
ما حوله او امضي حقبا اسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة روي انه لما
ظهر موسي عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك
فرعون والقبط سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا
ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوي قال
فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الي علمه عسى ان يصيب كلمة
تدل على هدي او ترده عن ردي فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني
فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند
الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك

فقال

فقال لفتاه اذا فقدت الحوت اخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسي فاضطرب
الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسي فاخبره فتاه بوقوعه
في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجي بثوب فسلم عليه موسي فقال واني بارضنا
السلام فعرفه نفسه فقال يا موسي انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على
علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما بلغا مجمع بينهما مجمع البحرين نسيا حوتهما
اي نسي احدهما وهو يوشع لانه كان صاحب الزاد دليله فاني نسيت الحوت
وهو كقولهم نسوا زادهم وانما ينساه متعهد الزاد قيل كان الحوت سمكة
مملوحة فنزلا ليلا على شاطئ عين الحيوة ونام موسي فلما اصاب السمكة روح
الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء فاتخذ سبيله في البحر اي اتخذ طريقا
له من البر الي البحر سربا نصب على المصدر اي سرب فيه سربا يعني دخل فيه و
استتر به فلما جاوزا مجمع البحرين ثم نزلا وقد ساراما شاء الله قال موسي
لفتيه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا ولم يعي قبل ذلك
قال ارايت اذ اوينا الي الصخرة هي موضع الموعد فاني نسيت الحوت
ثم اعتذر فقال وما انسانيه بضم الهاء حفص الا الشيطان بالقاء
الخواطر في القلب ان اذكره بدل من الهاء في انسانيه وما انساني ذكره الا
الشيطان واتخذ سبيله اتخاذا في البحر وهو ان اثره بقي الي حيث سار
قال ذلك ما كنا نبغ وبالياء مكي ووافقه ابو عمرو وعلي ومدني في الوصل و
بغير ياء فيهما غيرهم اتباعا لخط المصحف وذلك اشارة الي اتخاذه سبيلا اي
ذلك الذي كنا نطلب لان ذهاب الحوت كان علما على لقاء الخضر فارتدا على
اثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان
اثارهما اتباعا قال الزجاج القصص اتباع الاثر فوجدا عبدا من عبادنا
اي الخضر راقدا تحت ثوب او جالسا في البحر اتيناه رحمة من عندنا هي الوحي
والنبوة او العلم او طول الحيوة وعلمناه من لدنا علما يعني الاخبار بالغيوب
وقيل العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الالهام قال له موسي هل اتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا اي علما ذا رشد رشدا بصري فرشدا ابو عمرو
وهما لغتان كالبخل والبخل وفيه دليل على انه لا ينبغي لاحد ان يترك طلب العلم
وان كان قد بلغ نهايته وان يتواضع لمن هو اعلم منه قال انك لن تستطيع

معي صبرا وبفتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه السورة صبرا اي عن
الانكار والسؤال وكيف تصبر علي ما لم تحط به خبرا تمييز نفي استطاعة
الصبر معه على وجه التاكيد وعلل ذلك بانه يتولي امورا هي في ظاهرها مناكير
والرجل الصالح لا يتمالك ان يجزع اذا راي ذلك فكيف اذا كان نبيا قال
ستجدني ان شاء الله صابرا وغير عاص او هو معطوف عن الانكار والا
ولا اعصي لك امرا في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير
عاص او هو عطف ستجدني ولا محل له قال فان اتبعتني فلا تسالني بفتح
اللام وتشديد النون مدني وشامي وبسكون اللام وتخفيف النون غيرهما
والياء ثابتة فيهما اجماعا عن شيء حتي احدث لك منه ذكرا اشرط اتباعك
لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فانكرت
في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتي يكون انا الفاتح عليك
وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتي اذا ركبا
في السفينة خرقها فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها
قال اهلها من اللصوص وقال صاحب السفينة اري وجوه الانبياء فحملوها
بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من
الواحها مما يلي الماء فجعل موسي يسد الخرق بثيابه ثم قال اخرقتها لتغرق
اهلها ليغرق اهلها حمزة وعلي من الغرق لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا
عظيما من امر الامر اذا اعظم قال الخضر الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا فلما راي موسي ان الخرق لا يدخله الماء ولم يضر من في السفينة قال
لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته
ولا مؤاخذة على الناسي او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من
وصيتك اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا رهقه اذا غشيه وارهقه
اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه اي ولا تعسر علي متابعتك
ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة فانطلقا حتي اذا لقيا غلاما فقتله
قيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال
فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها جعل جزاء للشرط وجعل
قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت نفسا وانما خولف

بينهما

بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام
زكية زاكية حجازي وابو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة
عنده لانه لم يرها قد اذنبت او انها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس اي لم
تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري
كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل
الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسي فلك ان
تقتل لقد جئت شيئا نكرا وبضم الكاف حيث مدني وابو بكر وهو
المنكر قيل ان النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق
اهل السفينة او معناه جئت شيئا انكر من الاول لان الخرق يمكن
تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا زاد هنا لك لان النكير فيه اكثر قال ان سالتك عن
شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني قد بلغت من
لدني عذرا اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق وبتخفيف النون مدني
وابو بكر فانطلقا حتي اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية او الابلة وهي
ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها استضافا فابوا ان يضيفوهما
ضيفه انزله وجعله ضيفه قال عليه الصلوة والسلام كانوا اهل
قرية لئاما وقيل شر القري التي يبخل بالقري فوجدا فيها في القرية
جدارا طوله مائة ذراع يريد ان ينقض يكاد يسقط استعيرت
الارادة للمداناة او المشارفة كما استعير الهم والحزن وكذلك فاقامه
بيده او مسحه بيده فقام واستوي او نقضه وبناه وكانت الحال حال
اضطرار وافتقار الي المطعم وقد لزتهما الحاجة الي اخر كسب المرء وهو
المسالة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسي عليه السلام لما
رأي من الحرمان ومساس الحاجة قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا
اي لطلبت على عملك جعلا حتي تستدفع به الضرورة لتخذت بتخفيف
التاء وكسر الخاء وادغام الذال في التاء غيرهم والتاء في تخذ اصل كما في
تبع واتخذ افتعل منه كما اتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء قال هذا
فراق بيني وبينك هذا اشارة الي السؤال الثالث اي هذا الاعتراض

سبب الفراق والاصل فراق بيني وبينك وقد قرئ فاضيف المصدر الي
الظرف كما يضاف الي المفعول به سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه
صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة
اخوة خمسة منهم زمني وخمسة منهم يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك امامهم او خلفهم وكان طريقهم
في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى
ياخذ كل سفينة غصبا اي ياخذ كل صالحة لا عيب فيها غصبا وان
كانت معيبة تركها وهو مصدر او مفعول به فان قلت قوله فاردت ان
اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب قلت
المراد التاخير وانما قدم للعناية واما الغلام وكان اسمه الحسين فكان
ابواه مومنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشى
الوالدين المومنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنعه
ويلحق بهما شرا وبلاء او يعدي بهما بدائه ويضلوا بضلاله فيرتدا بسببه و
هو من كلام الخضر وانما خشي الخضر ذلك لانه تعالي اعلمه بحاله واطلعه
علي سر امره وان كان من قول الله تعالي فمعني فخشينا فعلمنا ان عاش
ان يصير سببا للكفر والدية فاردنا ان يبدلهما ربهما يبدلهما مدني وابو
عمرو خيرا منه زكوة طهارة ونقاء من الذنوب واقرب رحما رحمة و
عطفا زكوة ورحما تمييز روي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت
نبيا او سبعين نبيا او ابدلهما ابنا مومنا مثلهما رحما شامي وهما الغنان وما
الجدار فكان لغلامين يتيمين اصرم وصريم يتيمين في المدينة هي
القرية المذكورة وكان تحته كنز لهما اي لوح من ذهب مكتوب فيه
عجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا
الله محمد رسول الله او مال مدفون من ذهب وفضة او صحف فيها علم
والاول اظهر وعن قتادة احل الكنز لمن كان قبلنا وحرم علينا وحرمت
الغنيمة عليهم واحلت لنا وكان ابوهما وقيل جدهما السابع صالحا
ممن يصحبني وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج

فكلام

فكلام جري بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما فابي
وجدي خير منه فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم ويستخرجا
كنزهما رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في
معني رحمهما من ربك وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري
عن اجتهادي وانما فعلته بامر الله والهاء يعود الي المكان والي الجدار
ذلك اي الاجوبة الثلاثة تاويل ما لم تسطع عليه صبرا حذف التاء
تخفيفا وقد زل اقدام اقوام من الضلال في تفضيل الولي علي النبي وهو
كفر جلي حيث قالوا امر رسول الله موسي صلي الله عليه وسلم بالتعلم من
الخضر وهو ولي والجواب ان الخضر كان نبيا وان لم يكن علي زعم البعض
فهذا ابتلاء في حق موسي عليه الصلوة والسلام علي ان اهل الكتاب يقولون
ان موسي هذا ليس موسي بن عمران انما هو موسي ابن ماثان ومن المحال ان
يكون الولي وليا بايمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي ولا غضاضة في
طلب موسي العلم لان الزيادة في العلم مطلوبة وانما ذكر اولا فاردت لانه
افساد في الظاهر وهو فعله وثالثا فاراد ربك لانه انعام محض وغير مقدور
البشر وثانيا فاردنا لانه فعل له لانه افساد من حيث القتل وانعام من حيث
التبديل وقال الزجاج معني فاردنا فاراد الله عز وجل ومثله في القرآن
كثير بثير ويسئلونك اي اليهود علي جهة الامتحان وابو جهل واشياعه
عن ذي القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مومنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود فقيل
كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة وسخر له النور
والظلمة فاذا سري يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل
نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه انه قال ليس بملك
ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب علي قرنه الايمن في طاعة الله
تعالي فمات ثم بعثه الله فضرب علي قرنه الايسر فمات فبعثه الله تعالي
فسمي ذي القرنين وفيكم مثله اراد نفسه قيل كان يدعوهم الي التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وقال عليه الصلوة والسلام سمي ذي القرنين لانه
طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان

ای
صغيرتان او انقرض في وقته قرنان من الناس لانه ملك الروم
والفارس او الروم والترك او كان لتاجه قرنان او على رأسه ما
يشبه القرنين او كان كريم الطرفين ابًا وامًّا او كان من الروم قل
سأتلوا عليكم منه اي من ذي القرنين ذكرًا انا مكنا له في الارض
جعلنا له فيها مكانة واستيلاء واتيناه من كل شيء اراده من اغراضه
ومقاصده في ملكه سببًا طريقًا موصلا اليه فاتبع سببًا والسبب
ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة فاراد بلوغ المغرب فاتبع
سببا فاتبع ثم اتبع كوفي وشامي الباقون بوصل الالف وتشديد
التاء عن الاصمعي اتبع لحق واتبع اقتفى وان لم يلحق حتى اذا بلغ مغرب
الشمس اي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال عليه الصلوة و
السلام بدؤ امره انه وجد في الكتب ان احدا ولاد سام يشرب من عين
الحيوة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر
فشرب ولم يظفر ذي القرنين وجدها تغرب في عين حمئة ذات
حماة من حميت البير اذا صارت لحمات حامية شامي وكوفي غير حفص
بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر واين تغرب هذه قلت
الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وكان ابن عباس
عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية
لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في
التورية فوافق قول ابن عباس ولا تنافي فجاز ان يكون العين جامعة
للوصفين جميعًا ووجد عندها عند تلك العين قومًا عراة من
الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر وكانوا كفارًا
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنًا ان كان
نبيًّا فقد اوحي اليه بهذا والا فقد اوحي الى نبي فامر بالنبي به ان كان الهاما
خير بين ان يعذبهم بالقتل ان اصروا على امرهم وبين ان يتخذ
فيهم حسنا باكرامهم وتعليم الشرائع ان امنوا والتعذيب القتل و

اتخاذ

اتخاذ الحسن الاسر لانه بالنظر الى القتل احسان قال اي ذي القرنين
اما من ظلم فسوف نعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا
في القيمة يعني اما من دعوته الى الاسلام فابى الا البقاء على الظلم العظيم
وهو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من امن وعمل صالحا
اي عمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى فله جزاء الفعلة التي هي
كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفي غير ابي بكر اي فله الفعلة الحسنى جزاء
وسنقول له من امرنا يسرا اي ذا يسر اي لا يأمره بالصعب الشاق
ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك ثم اتبع سببا
حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم هم الزنج لم
نجعل لهم من دونها من دون الشمس سترا اي ابنية عن كعب
ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها
فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم او الستر اللباس عن مجاهد
من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل
الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره
وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا نصب
على المصدر لان في احطنا معنى خبرنا او بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي
كما بلغ مغربها او تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي
منهم ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وسدا مكي وابو عمرو و
حفص السدين وسدا حمزة وعلي وبضمها غيرهم قيل ما كان مسدودا
خلقة فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح وانتصب بين على انه
مفعول به مبلوغ كما انجر بالاضافة تقطع في هذا فراق بيني وبينك وكما
ارتفع في لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا
وهذا المكان في منقطع اهل الترك مما يلي المشرق وجد من دونهما
من ورائهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه
الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها يفقهون حمزة وعلي اي لا يفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج

وَمَأْجُوجَ هما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وهمزهما عاصم فقط
وهما من ولد يافث او يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون
ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه و
لا يموت احد منهم حتي ينظر الي الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح
وقيل هم علي قسمين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر فَهَلْ
نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا خراجا حمزة وعلي اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيره
النول والنوال عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي بالادغام
وبفكه مكي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ اي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار
خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ بفعلة و
صناع يحسنون البنا والعمل وبالالات أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا جدا
او حاجزا حصينا موثقا والردم اكثر من السد آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ قطع
الحديد والزبرة القطعة الكبيرة قيل حفر الاساس حتي بلغ الماء وجعل الاساس
من الصخر او النحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم
حتي سد ما بين الجبلين الي اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار
صب النحاس المذاب علي الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار
جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
بفتحتين جانبي الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان الصدفين مكي و بصري
وشامي الصدفين ابو بكر قَالَ انْفُخُوا اي قال ذي القرنين العملة انفخوا حَتَّىٰ
إِذَا جَعَلَهُ اي المنفوخ فيه وهو الحديد نَارًا كالنار قَالَ آتُونِي اعطوني
أُفْرِغْ اصب عَلَيْهِ قِطْرًا نحاسا مذابا لانه يقطر وهو منصوب بافرغ
وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول للدلالة
الثاني عليه قال ائتوني بوصل الالف حمزة واذا ابتدي كسر الالف اي
جيئوني فَمَا اسْطَاعُوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من
الطاء أَنْ يَظْهَرُوهُ ان يعلوا السد وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا اي لا حيلة
فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي اي
هذا السد نعمة من الله ورحمة علي عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي فاذا دنى مجيء يوم القيمة وشارف ان يأتي
جَعَلَهُ اي السد دَكَّاءَ اي مدكوكا مبسوطا مسوي بالارض وكلما
استنبط بعد ارتفاع فقد اندك دكا كوفي اي ارضا مستوية وَ
كَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا اخر قول ذي القرنين وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
بعض الخلق يَمُوجُ يختلط فِي بَعْضٍ اي يضطربون ويختلطون انسهم
وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون
حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر
فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفر به من
الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم
يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل في اذانهم فيموتون وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ لقيام الساعة فَجَمَعْنَاهُمْ اي جمع الخلائق للثواب والعقاب
جَمْعًا تاكيدا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا واظهرنا
لهم فراوها وشاهدوها الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي
عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل معانيه
وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا اي وكانوا صما عنه الا انه ابلغ اذ الا صم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولاء كانهم اصمت اسماعهم
فلا استطاعة بهم للسمع أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي
مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ اي افظن الكفار اتخاذهم عبادي يعني الملائكة و
عيسى عليهما الصلاة والسلام نافعهم بئس ما ظنوا وقيل ان بصلتها
سد مسد مفعولي افحسب وعبادي اولياء مفعولا ان يتخذوا وهذا او جه
يعني انهم لا يكونون لهم اولياء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا
هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ
بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا اعمالا تمييز ونافع جمع والقياس ان يكون مفرد التنوع
الاهواء وهم اهل الكتاب او الرهبان الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ ضاع و
بطل وهو في محل الرفع اي هم الذين فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا فلا يكون لهم عندنا

وزن ومقدار ذلك جزاؤهم جهنم في عطف بيان لجزاء بما كفروا و
اتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم باٰيات
الله ورسله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا خالدين حال فيها لا يبغون عنها حولا تحولا الي غيرها رضا بما
اعطوا يقال حال من مكانه حولا اي لا مزيد عليها حتي ينازعهم انفسهم
الي اجمع لاغراضهم واما نيهم وهذا غاية الوصف لان الانسان في الدنيا
في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الي ارفع منه او المراد نفي التحول وتاكيد
الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابو عبيدة المداد
ما يكتب به اي لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان المراد البحر مدادا لها
والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي ولو جئنا بمثله بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافذة
ومدادا تمييز نحو في مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو تاكيد به و
ينفد حمزة وعلي وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا
قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قل انما انا
بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فمن
كان يعمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضي وقبول او فمن كان يخاف سوء
لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ و
الرجاء على هذا يجري على حقيقته فليعمل عملا صالحا خالصا لا يريد به
الا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحيي منه ولا
يشرك بعبادة ربه احدا هو نهي عن الشرك او عن الرياء قال عليه الصلوة
والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا وقال
عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الكهف فهو معصوم ثمانية ايام
من كل فتنة فان خرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال
ومن قرا قل انما انا بشر مثلكم الي اخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ
من مضجعه الي مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتي يقوم من مضجعه
ان كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه الي البيت المعمور

حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له

كهيعص قال السدي هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم للسورة قرا علي ويحيي
بكسر الهاء والياء نافع بين الفتح والكسر والي الفتح اقرب وابو عمرو بكسر الهاء وفتح
الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما ذكر رحمت ربك خبر مبتدا اي هذا ذكر عبده
مفعول الرحمة زكريا بالقصر حمزة وعلي وحفص بدل من عبده اذ ظرف للرحمة
نادي ربه نداء خفيا دعاه دعاء سرا كما هو المامور به وهو ابعد عن الريآء
واقرب الي الصفا او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في اوان الكبر لانه كان
ابن خمس وسبعين سنة او ثمانين سنة قال رب هذا تفسير الدعاء واصله
يا ربي فحذف حرف النداء والمضاف اليه اختصارا اني وهن العظم مني ضعف
وخص العظم لانه عمود البدن وبه قوامه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته
ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد
هو الدال على معنى الجنسية والمراد ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد
ما تركب منه الجسد وقد اصابه الوهن واشتعل الرأس شيبا تمييز اي فشا في
راسي الشيب اشتعال النار اذا تفرقت في التهابها وصارت شعلا فشبه الشيب
بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار
ولا ترى كلاما افصح من هذا الا ترى ان اصل الكلام يا ربي قد شخت اذ الشيخوخة
تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما واقوي منه ضعف بدني و
شاب راسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل واقوي منه وهنت عظام بدني ففيه
عدول عن التصريح الي الكناية فهي ابلغ منه واقوي منه انا وهنت عظام بدني
واقوي منه اني وهنت عظام بدني واقوي منه اني وهنت العظام من بدني
ففيه سلوك طريقي الاجمال والتفصيل واقوي منه اني وهنت العظام مني ففيه
ترك توسيط البدن واقوي منه اني وهن العظم مني لشمول الوهن العظام فردا
فردا باعتبار ترك جمع العظم الي الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون
كل فرد فرد وهكذا تركت الحقيقة في شاب راسي الي ابلغ وهي الاستعارة فحصل
اشتعل شيب راسي وابلغ اشتعل راسي شيبا لاسناد الاشتعال الي مكان الشعر ومنبته

وهو الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس اذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل
رأسي شيبًا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارًا والفرق نيّر ولانّ فيه
الاجمال والتفصيل كما عرف فطريق التمييز وابلغ منه واشتعل الرأس مني شيبًا
لما مرّ وابلغ منه واشتعل الرأس شيبًا ففيه اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا
لقرينة العطف على وهن العظم مني   مصدر مضاف الى المفعول
اي بدعائي اياك   اي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيدا به غير شقي
فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقي اذا خاب ولم ينلها وعن بعضهم
ان محتاجًا سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبًا بمن توسل بنا
الينا وقضى حاجته   هم عصبته اخوته وبنوا عمه وكانوا اشرار بني
اسرائيل فخافهم ان يغيّروا الدين وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا
صالحا من صلبه يقتدى به في احياء الدين   بعد موتي وبالقصر وفتح
الياء مكي اي مكي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لانّ وجود خوفه بعد موته لا
يتصوّر ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم
وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر ورائي
عقيمًا لا تلد   اضرعًا منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة
ابنًا يلي امرك من بعدي   برفعهما صفة لوليًا اي هب لي ولدًا
يرثني العلم ومن آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة العلم انه يصلح لان يوحى اليه
ولم يرد ان نفس النبوة تورث وبجزمهما ابو عمرو وعلي على انه جواب للدعاء
يقال ورثه وورث منه   يعقوب بن اسحق
مرضيًا ترضاه او راضيًا عنك وبحكمك فاجاب الله تعالى دعاءه وقال
تولى الله تعالى تسميته تشريفا له نبشرك
بالتخفيف حمزة   لم يسم احد بيحيى قبله وهذا دليل على انّ الاسم
الغريب جدير بالاثرة وقيل مثلا وشبيهًا ولم يكن له مثل فانه لم يعص ولم يهمّ
يهمّ بمعصية قط وانه وُلِدَ بين شيخ وعجوز وانه كان حصورًا فلما بشرته الملائكة
به   كيف   وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف انه باي
طريق يكون ايوهب له وهو وامرأته بتلك الحال ام يحوّلان شابين
اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل

والعظام كالعود اليابس من اجل الكبر والطعن في السن العالية عتيا وصليا
وجثيا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلي وحفص الا في بكيا   الكاف رفع
اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتداء   او نصب بقال وذلك اشارة
الى مبهم يفسّره   اي خلق يحيى من كبيرين سهل
او جدّتك من قبل يحيى خلقنا حمزة وعلي   لانّ المعدوم ليس بشيء
علامة اعرف بها حبل امرأتي
حال من ضمير تكلم اي حال كونك سوي الاعضاء والّلسان يعني
علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح ما بك خرس ولا
بكم ودل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على انّ المنع من الكلام استمر
به ثلاثة ايام ولياليهن اذ ذكر الايام يتناول ما بازائها من الليالي وكذا
ذكر الليالي يتناول ما بازائها من الايام عرفا   من موضع
صلوته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر ان يتكلم   اشار باصبعه
صلوا وان هي المفسّرة   صلوة الفجر والعصر   اي وهبنا له
يحيى وقلنا له بعد ولادته وان الخطاب يا يحيى   التورية
حال اي بجدّ واستظهار بالتوفيق والتأييد   الحكمة وهو فهم
التورية والفقه في الدين   حال قيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال
ما للعب خلقنا   شفقة ورحمة لابويه وغيرهما عطف على الحكم
من عندنا   طهارة وصلاحًا فلم يعمل بذنب   مسلما مطيعًا
بابويهما لا يعصيهما   متكبرًا   عاصيًا لربه   امان
من الله له   من ان يناله الشيطان   من فتان في القبر
من الفزع الاكبر قال ابن عيينة انها اوحش المواطن   يا محمد
القرآن   اي اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا
ما جرى عليها   بدل من مريم بدل اشتمال اذ الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه
ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع القصة العجيبة فيه
اعتزلت   ظرف   اي تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس
او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
جعلت بينها وبين اهلها حجابًا يسترها لتغتسل وراءه

جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف وانما سمي روحا لان الدين
يحيى به وبوحيه   اي تمثل لها جبريل عليه السلام في صورة ادمي شاب
امرد وضيء الوجه جعد الشعر   مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان
لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر
على استماع كلامه   اي ان كان يرجي منك ان تتقي الله
فاني عائذة به منك   باذن الله تعالي او لاكون سببا في هبة الغلام
بالنفخ في الدرع ليهب لك اي الله ابو عمرو ونافع   طاهرا من
الذنوب او ناميا على الخير والبركة   كيف   ابن
اي لم يباشرني زوج بالنكاح   فاجرة تبغي
الرجال اي تطلب الشهوة من اي رجل كان ولا يكون الولد لعادة الا من احد هذين
والبغي فعول عند المبرد بغوي فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت الغين اتباعا
ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في امراة صبور وشكور وعند غيره هي فعيل
ولم تلحقها الهاء لانها بمعني مفعولة وان كانت بمعنى فاعلة فهو قد تشبه به مثل رجل
ان رحمة الله قريب   جبريل عليه السلام   اي الامر كما قلت لم يمسسك
نكاحا وسفاحا   اي اعطاء الولد بلا اب علي هين
تعليل معلله محذوف اي ولنجعله   فعلنا ذلك او هو معطوف على
تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية اي برهانا على قدرتنا
لمن آمن به   خلق عيسى عليه السلام   مقدرا مسطورا في اللوح فلما
اطمأنت الي قوله دنى منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الي بطنها
اي الموهوب وكان سنها ثلاث عشرة سنة او عشرا او عشرين   اعتزلت
وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال عن ابن عباس رضي الله عنه كانت
حملها به ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل
ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى عليه السلام وقيل حملته في ساعة و
صور في ساعة ووضعته في ساعة   بعيدا من اهلها وراء الجبل
وذلك لانها لما احست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة   جاءها وقيل
الجاها وهو منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الي معنى الالجاء
الا تراك لا تقول جيت المكان واجانيه زيد   وجع الولادة

اصلها

اصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بانها كانت نخلة معروفة
وجاز ان يكون التعريف للجنس اي جذع هذه الشجرة كانه تعالي ارشدها الي
النخلة ليطعمها منها الرطب لانه خرسة النفساء اي طعامها   جزعا مما اصابها
اليوم بكسر الميم مدني وكوفي غير ابي بكر وغيرهم بالضم يقال
مات يموت ومات يمات   شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر
بفتح النون حمزة وحفص وبالكسر غيرهما ومعناهما واحد وهو الشيء الذي حقه
ان يطرح وينسى لحقارته   اي الذي تحتها فمن فاعل وهو
جبريل عليه السلام لانه كان بمكان منخفض عنها او عيسى عليه السلام لانه
خاطبها من تحت ذيلها من تحتها مدني وكوفي سوي ابي بكر والفاعل مضمر و
هو عيسى عليه السلام او جبريل عليه السلام والهاء في تحتها للنخلة ولشدة ما لقيت
سليت بقوله   لا تهتمي بالوحدة وعدم الطعام والشراب وقالة الناس
وان بمعنى اي   بقربك او تحت امرك ان امرته ان يجري جرى
وان امرته ان يقف وقف   نهرا صغيرا عند الجمهور وسئل النبي صلى الله عليه
وسلم عن السري فقال هو الجدول وعن الحسن سيدا كريما يعني عيسى عليه السلام
وروي ان خالد بن صفوان قال له ان العرب تسمي الجدول سريا فقال الحسن
صدقت ورجع الي قوله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب عيسى او جبريل
عليه السلام بعقبه الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت
النخلة واثمرت واينعت ثمرتها فقيل لها   حركي   الي نفسك
قال ابو علي الباء زائدة اي هزي جذع النخلة   بادغام التاء الاولي
في الثانية مكي ومدني وشامي وابو عمرو وعلي وابو بكر وتتساقط باظهار
التائين وتساقط بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين حمزة
ويساقط بفتح الياء والقاف وتشديد السين يعقوب وسهل وحماد ونصير
وتساقط حفص من المفاعلة وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة
والياء للجذع فهي تسع قراءات   تمييز او مفعول به على حسب القراءة   طريا
وقالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا
للمريض من العسل   من الجني   من السري   بالولد الرضي عينا و
تمييز اي طيبي نفسا بعيسى وارفضي عنك ما احزنك   اصله ان ما فضمت

ان الشرطية الي ما وادغمت فيها

اي فان رأيت آدميا يسألك عن حالك فقولي له اني نذرت للرحمن صمتا وامساكا عن الكلام وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الاكل والشرب وقيل صياما حقيقة وكان يلزمهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت وصار ذلك منسوخا فينا وانما امرت ان تنذر السكوت لان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب وما قدع سفيه بمثل الاعراض ولا اطلق عنانه بمثل العراض وانما اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقد تسمي الاشارة كلاما وقولا الا ترى الي قول الشاعر في وصف القبور وتكلمت عن اوجه تبلي وقيل كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام اوسوغ لها هذا القدر بالنطق ادميا بعيسي

بعد ما طهرت من نفاسها حال منها اي اقبلت نحوهم حاملة اياه

فلما رأوه معها بديعا عجيبا والفري القطع كانه يقطع العادة وكان اخاها من ابيها من افضل بني اسرائيل او هو اخو موسي عليه السلام وكانت من اعقابه وبينهما الف سنة وهذا كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم او رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به في الصلاح او شتموها به عمران زانيا حنة زانية

الي عيسى ان يجيبهم وذلك ان عيسى عليه السلام قال لها لا تحزني واحيلي بالجواب علي وقيل امرها جبرئيل عليه السلام بذلك لما اشارت اليه غضبوا وتعجبوا

حدث ووُجِدَ المعهود حال

ولما اسكتت بامر الله لسانها الناطق انطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن اربعين ليلة او ابن يوم روي انه اشارت بسبابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله وفيه رد لقول النصاري الانجيل

عن الحسن كان في المهد نبيا وكلامه معجزة وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه وجد نفاعا

حيث كنت او معلما للخير وامرني ان ملكت مالا وقيل صدقة الفطر او تطهير البدن ويحتمل واوصاني الله بان امركم بالصلوة والزكوة

مادمت

نصب على الظرف اي مدة حياتي عطفا على مباركا اي

بارا بها اكرمها فاعظمها متكبرا عاقا

يوم ظرف والعامل فيه الخبر وهو علي اي ذلك السلام الموجه الي يحيي في المواطن الثلاثة موجه الي ان كان حرف التعريف للعهد وان كان للجنس فللعني وجنس السلام علي وفيه تعريض باللعنة على اعداء مريم وابنها لانه اذا قال وجنس السلام علي فقد عرض بان ضده عليكم اذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض مبتدأ خبره

نعته او خبر ثان اي ذلك الذي قال اني عبد الله وكذا وكذا عيسى بن مريم لا كما قالت النصاري انه آله او ابن الله كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله وقيل له كلمة الله لانه ولد بقوله كن بلا واسطة اب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او بدل ونصبه شامي وعاصم على المدح

يشكون من المرية الشك او يختلفون من المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصاري ابن الله وثالث ثلاثة ماينبغي له

من لتاكيد النفي نزه ذاته عن اتخاذ الولد

بالنصب شامي اي كما قال لعيسى كن فكان من غير اب ومن كان متصفا بهذا كان منزها ان يشبه الحيوان الوالد

بالكسر شامي وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى عليه السلام يعني كما انا عبده فانتم عبيده وعلي وعليكم ان نعبده ومن فتح عطف على بالصلوة اي واوصاني بالصلوة وبالزكوة وبان الله ربي وربكم او علقه بما بعده اي ولان الله ربي وربكم فاعبدوه الذي ذكرت فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا

الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية من بين اصحاب عيسى او من بين قومه او من بين الناس وذلك ان النصاري اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على ان يرجعوا الي قول ثلاثة كانوا عندهم اعلم اهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا فقال يعقوب هو الله هبط الي الارض ثم صعد الى السماء وقال نسطور كان ابن الله اظهره ما شاء ثم رفعه اليه وقال الثالث كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد منهم قوم من الاحزاب اذ الواحد منهم على الحق

هو يوم القيمة اي من مشهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او
من شهادة ذلك اليوم عليهم وان يشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام
وجوارحهم بالكفر او من مكان الشهادة او وقتها او المراد يوم اجتماعهم
للتشاور فيه وجعله عظيما لفظاعة ما شهدوا به في عيسى
الجمهور على ان لفظه امر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب و
لكن المراد ان اسماعهم وابصارهم جدير بان يتعجب منها بعد ما كانوا صما عميا
في الدنيا قال قتادة ان عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما اسمعهم وما ابصرهم
بالهدى يوم لا ينفعهم وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كاكرم بزيد فمعناه كرم
زيد جدا اقيم الظاهر مقام الضمير اي لكنهم اليوم في الدنيا
بظلمهم انفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ووضعوا العبادة
في غير موضعها عن الحق ظاهر وهو اعتقادهم عيسى الها معبودا
مع ظهور اثار الحدوث فيه اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم خوفهم
يوم القيامة لانه يقع فيه الندم على ما فات وفي الحديث اذا رأوا منازلهم
في الجنة ان لو امنوا بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهو مصدر
فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار **وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ** هنا عن
الاهتمام لذلك المقام **وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** لا يصدقون به وهم حالان اي
وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين **اِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْاَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا**
اي ننفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلك والفنا وذكر من لتغليب العقلاء
وَاِلَيْنَا يُرْجَعُونَ بضم الياء وفتح الجيم وفتح الياء يعقوب اي يردون فيجازون
جزاء وفاقا **وَاذْكُرْ** لقومك **فِي الْكِتَابِ** القران **اِبْرٰهِيمَ** قصته مع ابيه **اِنَّهُ**
كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا بغير همز وهمزه نافع قيل الصادق المستقيم في الافعال و
الصديق المستقيم في الاحوال فالصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك
والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله اي
كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه وهذه الجملة وقعت
اعتراضا بين ابرهيم وبين ما هو بدل منه وهو وجاز ان يتعلق اذ بكان
او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب
اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان تلوا ذلك

على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله عز وعلا هو
ذاكره ومورده في تنزيله **لِاَبِيهِ يَا اَبَتِ** بكسر التاء وفتحها ابن عامر والتاء عوض
من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه **لِمَ**
تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ المفعول فيهما منسي غير منوي ويجوز ان يقدر
اي لا يسمع شيئا ولا يبصر شيئا **وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا** يحتمل ان يكون شيئا في
موضع المصدر اي شيئا من الغنى وان يكون مفعولا به من قولك اغن عني
وجهك اي بعد **يَا اَبَتِ اِنِّي قَدْ جَاۤءَنِي مِنَ الْعِلْمِ** الوحي او معرفة الرب **مَا لَمْ**
يَاْتِكَ ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز ان يكون موصولة وموصوفة **فَاتَّبِعْنِي**
اَهْدِكَ ارشدك **صِرَاطًا سَوِيًّا** مستقيما **يَا اَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ** لا تطعه
فيما سول من عبادة الصنم **اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا** عاصيا **يَا اَبَتِ**
اِنِّي اَخَافُ قيل اعلم **اَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**
قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته اباه كيف راعى المجاملة والرفق و
الخلق الحسن كما في الحديث فني الحديث اوحي الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فطلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه
على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان من يعبد اشرف الخلق منزلة وهم الانبياء
كان محكوما بالغي المبين فكيف بمن يعبد شجرا او حجرا لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيئة
عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضي له حاجة ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به
متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي
شيئا من العلم ليس معك وذا علم الدلالة على الطريق السوي فهب اني واياك
في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم
ثلث بنهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه وافقك
في عبادة الصنم وزينها لك فانت عابده في الحقيقة ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة
وما يجره ما هو فيه من مراعات الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العذاب
لاصق به بل قال اخاف ان يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كانه قال اني اخاف
ان يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه
واوليائه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وصدر كل
نصيحة بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا واشعارا بوجوب احترام الاب وان كان

كافر انتم قال آزر توبيخًا اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي ترغب عن عبادتها
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ لانه كان اهم عنده
لئن لم تنته عن شتم الاصنام لارجمنك لاقتلنك بالحجارة او لاضربنك بها حتى
تتباعد او لاشتمنك واهجرني عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره
فاحذرني واهجرني مليًا ظرف اي زمانا طويلا من الملاوة قال سلام عليك
سلام توديع ومتاركة او تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله سأستغفر
لك ربي اي ساسأل الله ان يجعلك من اهل المغفرة بان يهديك للاسلام انه
كان بي حفيًا ملطفا بعموم النعم او رحيما مكرما والحفاوة الرأفة والكرامة و
اعتزلكم اراد بالاعتزال المهاجرة من ارض بابل الى الشام وما تدعون من
دون الله اي ما تعبدون من اصنامكم وادعوا واعبد ربي ثم قال تواضعًا
وهضما للنفس ومعرضا بشقاوتهم بدعاء الهتهم عسى ان لا اكون بدعاء ربي
شقيًا اي كما شقيتم انتم بعبادة الاصنام فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون
الله فلما اعتزل الكفار ومعبوديهم ووهبنا له اسحق ولدا ويعقوب نافلة
ليستانس بهما وكلًا اي وكل واحد منهما جعلنا نبيًا واي لما ترك الكفار الفجار
لوجهه عوضه اولادا مؤمنين انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا هي المال والولد و
جعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا وهو الصلوة على ابراهيم وال ابراهيم في
الصلوات وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي
العطية عليًا رفيعا مشهورا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصًا كوفي غير
المفضل اي اخلصه الله واصطفاه ومخلصا غيرهم اي اخلص هو العبادة لله تعالى فهو
مخلص بما له من السعادة باصل الفطرة ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة
وكان رسولًا نبيًا فالرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن
الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع وناديناه دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة
من جانب الطور هو جبل بين مصر ومدين الايمن من اليمين اي من ناحية اليمين
والجمهور على ان المراد ايمن موسى عليه السلام لان الجبل لا يمين له والمعنى انه حين
اقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى
عليه السلام وقربناه تقريب منزلة ومكانة دون منزل ومكان نجيًا حال اي
مناجيا كنديم بمعنى منادم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترأفنا عليه

اخاه مفعول هرون بدل منه نبيًا حال اي وهبنا له نبوة اخيه والا فهارون
كان اكبر سنا منه واذكر في الكتاب اسمعيل هو ابن ابراهيم وقيل هو ابن حزقيل
في الاصح انه كان صادق الوعد وافيه واعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يعود
اليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح
فوفى وقيل لم يعد ربه موعدا الا انجزه وانما خصه بصدق الوعد وان كان
موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له وكانه المشهور من خصاله وكان رسولًا
الى جرهم نبيًا مخبرا منذرا وكان يأمر اهله امته لان النبي ابو امته واهل
بيته وفيه دليل انه يداهن غيره بالصلوة والزكوة يحتمل انه انما خصهما لانهما
العبادتان لانهما اما العبادات البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيًا
قوي مرضو على الاصل واذكر في الكتاب ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد ادم
عليه السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب
واتخذ الموازين والمكاييل والاسلحة فقاتل بني قابيل وقولهم سمي به لكثرة دراسته
كتاب الله تعالى لا يصح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد
وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة انه كان صديقًا
نبيًا انزل الله عليه ثلاثين صحيفة ورفعناه مكانا عليًا هو شرف النبوة و
الزلفى عند الله وقيل معناه رفعته الملائكة الى السماء الرابعة وقد رآه النبي
عليه الصلوة والسلام ليلة المعراج فيها وعن الحسن الى الجنة لا شئ اعلى من الجنة
وذلك انه حبب لكثرة عبادته الى الملائكة فقال لملك الموت اذقني الموت يهن
علي ففعل باذن الله تعالى فحيي وقال ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال
ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل فقال له اخرج قال قد ذقت الموت ووردت
النار فما انا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل باذني فعل وباذني دخل فدعه
اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله
عليهم من النبيين من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذرية ادم
للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وممن حملنا
مع نوح ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية
ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب واسرائيل اي ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب
وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لان مريم من ذريته وممن

يحتمل العطف على من الاولى والثانية هدينا لمحاسن الاسلام واجتبينا من الانام
اولشرح الشريعة وكشف الحقيقة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن اي اذا تليت عليهم
كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف ان جعلت الذين خبرا لاولئك وان جعلته
صفة له كان خبرا يتلى بالياء قتيبة لوجود الفاصل مع ان التانيث غير حقيقي
خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك
كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث اتلوا القرآن وابكوا فان تبكوا
فتباكوا وعن صالح المري قرات القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء ويقول في سجدة التلاوة سبحان ربي
الاعلى ثلاثا فخلف من بعدهم فجاء بعد هؤلاء المفضلين خلف اولاد سوء وبفتح
اللام لعقب الخير عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود اضاعوا الصلوة
تركوا الصلوة المفروضة واتبعوا الشهوات ملاذ النفوس وعن علي رضي الله عنه
من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة
فسوف يلقون غيا جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وعن ابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وهو واد في جهنم اعد للمصر على الزنا وشارب
الخمر واكل الربوا والعاق وشاهد الزور الا من تاب رجع عن كفره وامن
بشرطه وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون الجنة بضم الياء وفتح الخاء مكي
وبصري وابو بكر ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعون
بل يضاعف لهم او ولا يظلمون شيئا من الظلم جنات بدل من الجنة لان الجنة تشتمل
على جنات عدن لانها جنس او نصب على المدح عدن معرفة لانه علم لمعنى العدن
وهو الاقامة او علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة التي وعد الرحمن عباده
اي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولانه
اضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء اهل الاختصاص بالغيب اي وعدها وهي
غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها انه ضمير الشان او
ضمير الرحمن كان وعده اي موعوده وهو الجنة ماتيا اي هم يأتونها لا يسمعون
فيها في الجنة لغوا فحشا او كذبا او ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطرح منه
وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف
فيها الا تقول لا يعلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور

وقيل

وقيل معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان اهل دار السلام اغنياء عن
الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من
فائدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي يؤتون بارزاقهم على مقدار
طرفي النهار من الدنيا اذ لا ليل ولا نهار ثم لانهم في النور ابدا وانما يعرفون
مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها والرزق بالبكرة والعشي
افضل العيش عند العرب فوصف الله جنته ذلك وقيل اراد دوام الرزق كما تقول
انا عند فلان بكرة وعشيا تريد الدوام تلك الجنة التي نورث من عبادنا
اي نجعلها ميراث اعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها وقيل يرثون المساكن التي كانت
لاهل النار لو آمنوا لان الكفر موت حكما من كان تقيا عن الشرك عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما منعك ان تزورنا
اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك والتنزل على معنيين معنى النزول
على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول اليق هنا يعني ان نزولنا في الاحايين
وقتا غب وقت ليس الا بامر الله له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما
كان ربك نسيا اي له ما قدامنا وما خلفنا من الاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك
ان ننتقل من مكان الى مكان الا بامر الملك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل
حركة وسكون وما يحدث من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فاني لنا ان
نتقلب في ملكوته الا اذا اذن لنا فيه رب السموات والارض وما بينهما بدل من
ربك او خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض ثم قال لرسوله صلى
الله عليه وسلم لما عرفت انه متصف بهذه الصفات فاعبده فاثبت على عبادته
واصطبر لعبادته اي اصطبر على مكافات الحسود لعبادة المعبود او اصطبر على
المشاق لاجل عبادة الخلاق اي لتتمكن من الاتيان بها هل تعلم له سميا شبيها
ومثلا او هل يسمى احد باسم الله غيره لانه مخصوص بالمعبود بالحق اي اذا صح ان لا
معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار
على مشاقها فتابي بن خلف عظما وقال انبعث بعد ما صرنا كذا فنزل ويقول
الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا والعامل في اذا ما دل عليه الكلام وهو
ابعث اي اذا ما مت ابعث وانتصابه باخرج ممتنع لان لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها
فلا يقول اليوم لزيد قايم ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال و

توكد مضمون الجملة فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل
معنى الحال وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانه قال احقا انا سنخرج من القبور
احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد وتقديم
الظرف وايلاءه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة
منكرة ومنه جاء انكارهم أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ خفيف شامي ونافع وعاصم
من الذكر والاستنار بتشديد الذال المعجمة والكاف واصله يتذكر بقراءة
ابي فادغمت التاء في الذال اي اولا يتدبر والواو عطفت لا يذكر على يقول و
سقطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك
ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا تنكر النشأة الاخرى فان تلك ادل على قدرة
الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود واما الثانية فليس
فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق
أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه وَلَمْ يَكُ شَيْئًا هو دليل
على ما بينا وعلى ان المعدوم ليس بشيء خلافا للمعتزلة فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ اي الكفار
المنكرين للبعث وَالشَّيَاطِينَ الواو للعطف وبمعنى مع اوقع اي يحشرون مع
قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة وفي
اقسام الله   باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشان رسوله ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ
حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا حال جمع جاث اي بارك على الركب ووزنه فعول لان اصله
جثوو كسجود وساجد اي يتلون الى شاطئ جهنم من المحشر على حالهم التي كانوا عليها
في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ طائفة
شاعت اي تبعت غاويا من الغواة أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا جراءة او فجورا
اي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي اعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم
في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم وقيل المراد باشدهم عتيا
الرؤسا يتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال سيبويه انهم مبني على
الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو هو من اشد حتى لو جيء به لاعرب بالنصب
وقيل ايهم هو اشد وهذا لان الصلة توضح الموصول وتبينه كما ان المضاف اليه
يوضح المضاف ويخصصه فكما ان حذف المضاف اليه في من قبل يوجب بناء المضاف
وجب ان يكون حذف الصلة او شيء منها موجبا للبناء وموضعها نصب بننزع و

قال الخليل هي معربة وهي مبتدأ واشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره لننزعن
الذين يقال فيهم ايهم اشد على الرحمن عتيا ويجوز ان يكون النزع واقعا على
من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة
وكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وعلى متعلق بافعل اي عتوهم اشد
على الرحمن ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا احق بالنار صِلِيًّا تمييز اي دخولا
والباء يتعلق باولى وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا داخلها والمراد النار والورود
الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور اهل السنة لقوله تعالى
فاوردهم النار ولقوله لو كان هؤلاء الهة ما وردوها ولقوله ثم ننجي الذين
اتقوا اذ النجاة انما يكون بعد الدخول ولقوله عليه الصلوة والسلام الورود
الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما
كانت على ابراهيم وتقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفا لهبي وقيل
الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما وان
منهم ويحمل القراءة المشهورة على الالتفات وعن عبد الله الورود الحضور
لقوله تعالى ولما ورد ماء مدين وقوله اولئك عنها مبعدون واجيب عنه
بان المراد عن عذابها وعن الحسن وقتادة الورود المرور على الصراط لان
الصراط ممدود عليها فيسلم اهل الجنة وتتقاذف اهل النار وعن مجاهد
ورود المؤمن النار وهو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه الصلوة والسلام
الحمى حظ كل مؤمن من النار وقال رجل من الصحابة لآخر ايقنت بالورود قال
نعم وايقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل
اي كان ورودهم واجبا كائنا محكوما به والحتم مصدر حتم الامر
اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم ضرب الامير   وعلى بالتخفيف
عن الشرك وهم المؤمنون   فيه دليل على نقول الكل
لانه قال ونذر ولم يقل وندخل والمذهب ان صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر
ذنبه ثم ينجو لا محالة وقالت المرجئة الخبيثة لا يعاقب لان المعصية لا تضر
مع الاسلام عندهم وقالت المعتزلة يخلد   اي القرآن
ظاهرات الاعجاز او حججا وبراهين حال مؤكدة كقوله وهو الحق اذ ايات
الله لا تكون الا واضحة وحججا   اي مشركوا قريش وقد رجلوا

شعورهم وتكافوا في دبتهم للذين آمنوا للفقراء ورؤسهم شعثة وثيابهم خشنة
اي الفريقين نحن ام انتم خير مقاما بالفتح وهو موضع والمراد المكان والمسكن
وبالضم مكي وهو موضع الاقامة والمنزل واحسن نديا مجلسا يجتمع القوم فيه
للمشاورة ومعنى الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا اية فيها دلائل وبراهين اعرضوا
عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن فكم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من
القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم هم احسن في محل النصب صفة
لكم الاترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا على الوصفية اثاثا هو متاع البيت
او ماجد من الفرش ورئيا منظرا وهيئة فعيل بمعنى مفعول من رأيت وريا
بغير همزة مشددا نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها
ثم الادغام او من الري الذي هو النعمة قل من كان في الضلالة الكفر فليمدد
له الرحمن مدا جواب من لانها شرطية وهذا الامر بمعنى الخبر اي من كفر مد له
الرحمن يعني امهله واملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وانما خرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لامحالة كالمامور
به الممتثل لتقطع معاذير الضلال حتى اذا راوا ما يوعدون هي متصلة بقوله خير
مقاما واحسن نديا وما بينهما اعتراض اي لايزالون يقولون هذا القول الا
ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم
بالقتل والاسر واما الساعة اي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فهما بدل
من ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا منزلا واضعف جندا اعوانا وانصارا اي
فحينئذ يعلمون ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا
خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وجاز ان يتصل بما يليها
والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لاينفكون عن ضلالتهم
الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة وحتى هي التي تحكى بعدها
الجمل الاترى الجملة الشرطية واقعة موقع بعدها وهي قوله تعالى اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون ويزيد الله الذين اهتدوا هدى معطوف على موضع فليمدد لوقوعه
موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد اي يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في
ضلال الضال لخذلانه ويزيد المهتدين المؤمنين هدى ثباتا على الاهتداء

قرن

اويقينا وبصيرة بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها او الصلوات
الخمس او سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا مما يفتخر
به الكفار وخير مردا مرجعا وعاقبة وفي التفضيل تهكم بالكفار لانهم قالوا
للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرايت الذي كفر باياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا ثم وبضم الواو وسكون اللام في اربعة مواضع
هنا وفي الزخرف ونوح حمزة وعلي جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب
في العرب ولما كانت رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا
ارأيت في معنى اخبر والفاء افادة التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر
واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وقوله لاوتين جواب قسم مضمر اطلع الغيب
من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة
اي انظر في اللوح المحفوظ فراي منيته ام اتخذ عند الرحمن عهدا موثقا ان
يؤتيه ذلك او العهد كلمة الشهادة عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة و
المشهور انها في العاص بن وايل فقد روي ان خباب بن الارت صاغ للعاص
بن وايل حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا
وفضة فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على
الخطا اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه فليرتدع سنكتب ما يقول اي قوله والمراد
سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله لانه كما قال كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي
علم وتبين بالانتساب اني لست بابن لئيمة ونمد له من العذاب مدا نزيده من العذاب
كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المدد يقال مده وامده بمعنى مدا اكد بالمصدر
لغضبه تعالى ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة والمعنى مسمى ما
يقول وهو المال والولد ويأتينا فردا حال اي بلا مال ولا ولد لقوله ولقد جئتمونا
فرادى فلا يجدي عليه تمنيه وتاليه واتخذوا من دون الله الهة اي اتخذ هؤلاء
المشركون اصناما يعبدونها ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بالهتهم ويكونوا لهم
شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم عما ظنوا سيكفرون
بعبادتهم الضمير للالهة اي يجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما
عبدتمونا وانتم كاذبون او للمشركين اي ينكرون ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله

ربنا ما كنا مشركين ويكونون اي المعبودون عليهم على المشركين ضدًا خصما لان
الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك و
الضد يقع على الواحد والجمع وهو في مقابلة لهم عزًا والمراد ضد العز وهو الذل
والهوان اي يكونون عليهم ضد ما قصدوه اي يكونون عليهم ذلا لا لهم عزا
وان رجع الضمير في سيكفرون ويكونون الى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم
اي اعدائهم اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه بقوله الم تر
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين خليناهم واياهم من ارسلت البعير اطلقته
او سلطناهم عليهم بالاغواء تؤزهم ازًا تغريهم على المعاصي اغراء والازّ و
الهزّ اخوان ومعناها التهييج وشدة الازعاج فلا تعجل عليهم بالعذاب انما
نعد لهم عدًا اي اعمالهم للجزاء وانفاسهم للفناء وقرأها ابن السماك عند المأمون
فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما ينفد يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدًا ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجايب سروجها
ياقوت ونسوق المجرمين الكافرين سوق الانعام لانهم كانوا اضل من الانعام
الى جهنم وردًا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير
الى الماء فسمي به الواردون قالوا الوفد جمع وافد كركب جمع راكب والورد جمع وارد
ونصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف واذكر يوم
نحشرهم ذكر المتقون بانهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود
على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم يساقون الى النار كانهم نعم عطاش تساق
الى الماء استخفافا بهم لا يملكون الشفاعة حال والواو ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل
عليه ذكر المتقين والمجرمين بانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي
في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل
من واو يملكون او على الفاعلية او نصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة
من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدًا بان
آمن في الحديث من قال لا اله الا الله كان له عند الله عهد وعن ابن مسعود رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل
صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا

اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني
الى نفسك تقربني من الخير وتباعدني من الشر واني لا اثق الا برحمتك فاجعل
لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه
بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين
كان لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة او يكون من عهد الامير الى فلان
بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وقالوا اتخذ
الرحمن ولدًا اي النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله لقد
جئتم شيئا ادًا خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات وامر نبيه
عليه الصلوة والسلام بان يقول لهم الاد العجب او العظيم المنكر والادة و
الشدة واد في الامر اثقلني وعظم علي ادا تكاد السموات تقرب وبالياء نافع
وعلي يتفطرن وبالنون بصري وشامي وحمزة وخلف وابو بكر الانفطار من فطره
اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه منه من عظيم هذا القول وتنشق الارض
تخسف وينفصل اجزاءها وتخر الجبال وتسقط هدًا كسرا او قطعا او هدما
والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر اي تهد هدا من سماع قولهم او مفعول
له او حال اي مهدودة ان دعوا لان سموا ومحله جر بدل من الهاء في منه او نصب
مفعول له علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن او رفع فاعل هدا اي
هدها دعاؤهم للرحمن ولدًا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدًا انبغى مطاوع
بغى اذا طلب اي ما يأتي له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل
تحت الصحة وهذا لان اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما وفي اختصاص
الرحمن وتكريره كرات بيان انه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره لان اصول
النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه
فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم
الرحمن ان كل من نكرة موصوفة صفتها في السموات والارض خبر كل الا
آتي الرحمن ووحد آتي وآتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى وهو مستقبل
اي يأتيه عبدًا حال اي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في السموات والارض
من الملائكة والناس الا وهو يأتي الله يوم القيمة مقرا له بالعبودية والعبودية
والنبوة يتنافيان حتى لو ملك الاب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع اليه نسبة العبد

رع

الى المولى فكيف يكون البعض ولدا والبعض عبدا فقرأ ابن مسعود آتى الرحمن
على الصلة قبل الاضافة لقد احصيهم وعدهم عدا اي حصرهم بعلمه واحاط
بهم وكلهم اتيه يوم القيمة فردا اي كل واحد منهم يأتيه يوم القيمة منفردا
بلا مال ولا ولد وبلا معين وناصر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا مودة في قلوب العباد قال الربيع يحبهم الله ويحببهم الى الناس
وفي الحديث يعطى المؤمن مقة في صدور الابرار ومهابة في قلوب الفجار و
عن قتادة وهرم وما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن
كعب ما يستقر العبد ثناء في الارض حتى يستقر له في السماء فانما يسرناه سهلناه
القرآن بلسانك بلغتك حال لتبشر به المتقين المؤمنين وتنذر به قوما لدا
شدادا في الخصومة بالباطل اي الذين يأخذون في كل لديد اي شق من المراء
والجدال جمع الالد يريد اهل مكة وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم و
انذار هل تحس منهم من احد اي هل تجد او ترى او تعلم والاحساس الادراك
بالحاسة او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا ومنه الركاز اي لما اتاهم عذابنا
لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن
تدبر ما انزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم

طه فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء ابو عمرو وامالهما حمزة وعلي وخلف
وابو بكر وفخمها على الاصل غيرهم وما روي عن مجاهد والحسن والضحاك وغيرهم
انه معناه يا رجل فان صح فظاهر والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة ما
انزلنا عليك القرآن ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام
وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن
ظاهر اوقع موقع المضمر لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم لتشقى لتتعب
بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا او بقيام الليل فانه روي
انه عليه الصلوة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام
ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت
الا بالحنيفية السمحة الا تذكرة استثناء منقطع اي لكن انزلناه تذكرة او حال لمن

يخشى لمن يخاف الله او لمن يؤول امره الى الخشية تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل
حالا ويجوز ان ينتصب بنزل مضمرا او على المدح او بيخشى مفعولا به اي انزله
الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ممن خلق الارض والسموات من يتعلق بتنزيلا صلة
العلى جمع العليا تأنيث الاعلى ووصف السموات بالعلى دليل ظاهر على عظم
قدرة خالقها الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن على العرش خبر مبتدأ محذوف
استوى استولى عن الزجاج ونبه بذكر العرش وهو اعظم المخلوقات على
غيره وقيل لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه
كناية عن الملك فقالوا استوى على العرش اي ملك وان لم يقعد على السرير على
السرير البتة وهذا كقولك يد فلان مبسوطة اي جواد وان لم يكن له يد رأسا
والمذهب قول علي رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والايمان
به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق
المكان لم يتغير عما كان له ما في السموات وما في الارض خبر مبتدأ ومعطوف
وما بينهما اي ذلك كله ملكه وما تحت الثرى ما تحت الارضين السبع او هو الصخرة
التي تحت الارض السابعة وان تجهر بالقول ترفع صوتك فانه يعلم السر ما
اسررته الى غيرك واخفى منه وهو ما اخطرته ببالك وما اسررته في نفسك وما
ستسره فيها الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اي هو واحد بذاته وان افترقت
عبارات صفاته ردا لقولهم انك تدعو آلهة حين سمعوه يسمي اسماءه تعالى والحسنى
تأنيث الاحسن وهل اي وقد اتيك حديث موسى خبره قفاه بقصة موسى عليه السلام
ليأتي به في تحمل اعباء النبوة والصبر على المكاره لينال الدرجة العليا كما نالها
موسى عليه السلام اذ رأى ظرف لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت
او مفعول به لاذكر روي ان موسى عليه السلام استأذن شعيبا في الخروج الى
امه وخرج باهله فولد له ابن في ليلة مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته
ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك نارا في زعمه وكان نورا
فقال لاهله امكثوا اقيموا في مكانكم اني انست بصرت نارا والايناس رؤية
شيء يؤنس به لعلي اتيكم منها بنى الامر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء
به بقبس بنار مقتبسة في رأس عود او فتيلة او اجد على النار هدى ذوي هدى
اي قوما يهدونني الطريق ومعنى الاستعلاء في على النار اي ان اهل النار يستعلون

المكان القريب منها فلما أتيها اي النار وجد نارا بيضاء تتوقد في شجرة خضراء
من اسفلها الى اعلاها وكانت شجرة العناب او العوسج ولم يجد عندنا اصدا و
روي انه كلما طلبها بعدت عنه فاذا تركها قربت منه فثم نودي موسى يا موسى
إني بكسر الهمزة اي نودي فقيل يا موسى اني ولان ضرب من القول فهو مل معا
وبالفتح مكي وابو عمرو اي نودي باني أنا ربك انا مبتدأ او تاكيد او فصل
وكرر الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال
من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فعرف انه كلام الله عز وجل بانه سمعه
من جميع جهاته الست وسمعه بجميع اعضائه فاخلع نعليك انزعهما لتصيب قد[م]يك
بركة الوادي المقدس او لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ او لان الحفو
تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين والقرآن يدل على ان ذلك احترام
للبقعة وتعظيم لها فخلعهما والقاهما من وراء الوادي إنك بالواد المقدس
المطهر او المبارك طوى حيث كان منون شامي وكوفي لانه اسم علم للوادي وهو
بدل منه وغيرهم بغير تنوين بتاويل البقعة وقرأ ابو زيد بكسر الطاء بلا تنوين
وأنا اخترتك اصطفيتك للنبوة وانا اخترناك حمزة فاستمع لما يوحى اليك
للذي يوحى او للوحي واللام يتعلق باسمع او باخترتك إنني أنا الله لا إله إلا أنا
فاعبدني وحدني واطعني وأقم الصلوة لذكري لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة
على الاذكار او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان ذكرك بالمدح والثناء
او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لتكون لي ذاكرا غير ناس او لاوقات
ذكري وهو مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانه وذا يصح بتقدير حذف المضاف اي لذكر
صلوتي وهذا دليل على انه لا فريضة بعد التوحيد اعظم منها إن الساعة آتية
لا محالة أكاد أريد عن الاخفش وقيل صلة أخفيها قيل هو من الاضداد اي اظهرها
واسترها عن العباد فلا اقول هي آتية لارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها
مع تعميته وقتها من الحكمة وهو انهم اذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في
كل وقت لما اخبرت به لتجزى متعلق بآتية كل نفس بما تسعى بسعيها من خير او شر
فلا يصدنك عنها فلا يصرفنك عن العمل للساعة او اقامة الصلوة او عن الايمان
بالقيمة فالخطاب لموسى فالمراد به امته من لا يؤمن بها لا يصدق بها واتبع

هويه في مخالفة امره فتردى فتهلك وما تلك بيمينك يا موسى ما مبتدأ وتلك خبره
وهي بمعنى هذه وبيمينك حال فيها معنى الاشارة اي قارة او مأخوذة بيمينك او
تلك موصول صلته بيمينك والسؤال للتنبيه ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها
او للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية او للايناس ورفع الهيبة في المكالمة قال
هي عصاي أتوكؤا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند
الطفرة وأهش بها على غنمي اخبط ورق الشجر على غنمي لتأكله ولي فيها حض
مآرب جمع مأربة بالحركات الثلاث وهي الحاجة أخرى والقياس اخر وانما
قال اخرى ردا الى الجماعة او لنسق الآي وكذا الكبرى ولما ذكر بعضها شكرا اجمل
الباقي حياء من التطويل او ليسأل عنها الملك العلام يتزيد في الاكرام والمآرب
انها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول
بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها
فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام
والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكرا او لانها جواب سؤال آخر كانه لما قال
هي عصاي قيل له ما تصنع بها فاخذ يعدد منافعها اطرح
عصاك لتفزع مما تتكأ عليه فلا تسكن الا بنا وترى كنه ما فيها من المآرب فتعتمد
علينا في المطالب فطرحها تمشي سريعا قيل انقلبت
ثعبانا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يتتبع كل شئ خاف وانما وصفت بالحية هنا وبالثعبا[ن]
وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لان الحية اسم جنس يقع
على الذكر والانثى والصغير والكبير وجاز ان ينقلب حية صفراء يتزايد جرمها
حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها او لانها كانت
في عظيم الثعبان وسرعة الجان وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا ولما
له ربتر بلغ من ذهب خوفه ان ادخل يده في فمها واخذ
بلحييها سنرد ها تأنيث الاول والسيرة الحالة
التي يكون عليها الانسان غريزية كانت او مكتسبة وهي في الاصل فعلة من السير
كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة وانتصبت على الظرف اي
سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصا كما
كانت واري ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها اذا انقلبت حية عند

فرعون ثم نبه على آية اخرى فقيل الى جنبك تحت
العضد وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا
جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمعنى ادخلها تحت عضدك
لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر برص لنبوتك
بيضاء وآية حالان معًا ومن غير سوء من صلة بيضاء كقولك ابيضت من غير
سوء وجاز ان ينتصب آية بفعل محذوف يتعلق به لام
اي ضد هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين من
بعض اياتنا الكبرى العظمى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او المعنى فعلنا ذلك
لنريك من اياتنا الكبرى جاوز حد العبودية الى دعوى
الربوبية ولما امره الذهاب الى فرعون الطاغي وعرف انه كلف امرًا عظيما يحتاج الى
الى صدر فسيح ووسعه ليحتمل الوحي والمشاق وردي الاخلاق
من فرعون وجنده وسهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة
الى فرعون واشرح لي صدري اكي من اشرح صدري لانه تكرير للمعنى الواحد من
طريقي الاجمال والتفصيل لانه يقول اشرح لي ويسر لي علم ان ثم مشروحًا وميسرًا
ثم رفع الابهام بذكر الصدر والامر افتح وكان في لسانه
رتة للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك لان موسى اخذ لحية فرعون و لطمه
لطمة شديدة في صغره فاراد قتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لا يعقل
فجعلت في طشت نارًا وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدا موسى فقصد اليواقيت
فامال الملك يده الى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار
لكنة منها وروي ان يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه
قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي فقد عجزت عنها ومن لساني صفة
لعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني وهذا يشعر بانه لم تزل العقدة بكمالها
واكثرهم على ذهاب جميعها عند تبليغ الرسالة
ظهيرًا اعتمد عليه من الوزر الثقل لانه يحتمل من الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر
الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجاء اليه اموره او معينا من الموازرة وهي المعاونة
فوزيرًا مفعول اول لاجعل والثاني اولي وزيرًا مفعولاه وقوله
عطف بيان الوزير وقوله بدل او عطف بيان اخي او وزيرًا وهارون مفعولاه

وقدم

وقدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اشدد به ازري وقو به ظهري
وقيل الازر القوة واشركه في امري اجعله شريكي في النبوة والرسالة واشدد و
اشركه على حكاية النفس شامي على الجواب والباقون على الدعاء والسؤال كي نسبحك
نصلي لك وننزهك تسبيحا كثيرا ونذكرك كثيرا في الصلوات وخارجها
انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا فاجابه تعالى حيث قال قد اوتيت سؤلك
يا موسى اعطيت سؤلك فالسؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز وسؤلك بلا
همز ابو عمرو ولقد مننا انعمنا عليك مرة كرة اخرى قبل هذه ثم فسرها
فقال الهاما او مناما حين ولدت فكان فرعون يقتل
امثالك واذ ظرف لمننا ثم فسرها يوحى بقوله القيه
وان مفسرة لان الوحي بمعنى القول النيل
الجانب وسمي ساحلا لان الماء يسحله اي يقشره والصيغة امر ليناسب ما تقدم
ومعناه الاخبار اي يلقيه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون
والضمائر كلها راجعة الى موسى عليه السلام ورجوع بعضها اليه وبعضها الى
التابوت يفضي الى تنافر النظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل ان كان
هو التابوت لكن موسى عليه السلام في جوف التابوت روي انها جعلت في التابوت
قطنا محلوجا فوضعته فيه وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون
نهر وبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح
فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه فرعون حبا شديدا فذلك قوله والقيت
عليك محبة مني يتعلق مني بالقيت يعني اني احببتك ومن احبه الله احبته
القلوب فما رآه احد الا احبه قال قتادة كانت في عيني موسى ملاحة ما
رآه احد الا احبه معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك لتحب
ولتصنع اي لتربى بمرآ مني واصله من صنع الفرس اي احسن القيام
عليه يعني انا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به و
لتصنع بسكون اللام والجزم يزيد على انه امر اذ تمشي بدل من اذ اوحينا لان
مشي اخته كان منة عليه اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله روي
ان اخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها
وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم على من يضمه الى نفسه فيربيه و

ارادت بذلك المرضعة وتذكير الفعل للفظ من فقالوا نعم فجاءت بالام فقبل

ثديها فذلك قوله فرددناك كما وعدناها بقولنا انا رادوه

اليك لتقامك على فراقك قبطيا كافرا

من القود وقيل الغم القتل بلغة قريش وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من

عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله باستغفاره حين قال رب اني ظلمت

نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون بان ذهبت من مصر الى مدين

ابتلاء بايقاعك في المحن وتخليصك منها والفتون مصدر كالقعود او جمع فتنة

اي فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة

ونبلوكم بالشر فتنة **فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ** هي بلدة شعيب عليه السلام على

ثماني مراحل من مصر قال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها

مهر لصفوراء واقام عنده ثماني عشرة سنة بعدها حتى ولد له اولاد **ثُمَّ جِئْتَ عَلَى**

قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ اي موعد ومقدار للرسالة وهو اربعون سنة **وَاصْطَنَعْتُكَ**

اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي قال

الزجاج اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني

اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم بمعجزاتي تفترا من

الونى وهو الفتور والتقصير اي اتخذ ذكري جناحا تطيران به

اواريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة

من اعظمها كرر لان الاول مطلق والثاني مقيد

جاوز الحد بادعاء الربوبية الطفالة في القول لما له

من حق تربية موسى او كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد

وابو مرة اوعداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه الا بالموت او هو قوله

هل لك الى ان تزكي واهديك الى ربك فتخشى فظاهره الاستفهام والمشورة

اي يتعظ ويتامل فيذعن للحق اي يخاف ان يكون الامر

كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لا يتذكر لان

الترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يطمع ان يثمر عمله

وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة وقيل معناه

لعله يتذكر متذكر او يخشى خاشي وقد كان ذلك من كثير من الناس وقيل لعل من الله

واجب

واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر وقيل تذكر فرعون وخشي فاراد

اتباع موسى فمنعه هامان وكان لا يقطع امرا دونه وتليت عند يحيى ابن معاذ

فبكى وقال هذا رفقك بمن يقول انا اله فكيف بمن قال انت الاله وهذا

رفقك بمن قال انا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى **قَالَا رَبَّنَا**

إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه

اي عجل **أَوْ أَن يَطْغَىٰ** يجاوز الحد في الاساءة الينا **قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا**

اي حافظكما وناصركما **أَسْمَعُ** اقوالكم **وَأَرَىٰ** افعالكم قال ابن عباس اسمع دعاءكما

فاجيبه واري ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما **فَأْتِيَاهُ** اي فرعون

فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ اليك **فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** اي اطلقهما عن

الاستعباد والاسترقاق **وَلَا تُعَذِّبْهُمْ** بتكليف المشاق **قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ** بحجة **مِّن**

رَّبِّكَ على صدق ما ادعينا وهذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك

مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا يثبت الا ببينتها وهي المجيء بالاية

فقال فرعون وما هي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس **وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ**

اتَّبَعَ الْهُدَىٰ اي سلم من العذاب من اسلم وليس بتحية وقيل وسلام الملائكة الذين

هم خزنة الجنة على المهتدين **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ** في الدنيا والعقبى

عَلَىٰ مَن كَذَّبَ بالرسل **وَتَوَلَّىٰ** اعرض عن الايمان وهي ارجى اي القران لانه جعل

جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء

فاتياه وادياالرسالة وقالا له ما امرا به **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ** خاطبهما ثم نادى

احدهما لان موسى هو الاصل في النبوة وهارون تابع **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ**

شَيْءٍ خَلْقَهُ خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه و

يرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة

المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق

الاستماع وكذا الانف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة

بها وقرا نصير خلقه صفة للمضاف والمضاف اليه اي اعطى كل شيء مخلوق عطاءه

ثُمَّ هَدَىٰ عرف كيف يرتفق بما اعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ فما حال الامم الخالية والرمم البالية سأله

عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد **قَالَ**

موسى مجيبًا علمها عند ربي مبتدا وخبر في كتاب اي اللوح خبر ثان اي هذا
سؤال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد لا اعلم منه
الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح
المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطي شيئا يقال ضللت الشي اذا اخطاته في مكانه
فلم تهتد له اي لا يخطي في سعادة الناس وشقاوتهم ولا ينسى ثوابهم
وعقابهم وقيل لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة ان معمول
الخلق يوافق معلومه الذي مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب
على المدح جعل لكم الارض مهدا كوفي وغيرهم مهادا وهما لغتان لما يبسط
ويفرش وسلك اي حصل لكم فيها سبلا طرقا وانزل من السماء ماء مطرا
فاخرجنا به بالماء نقل الكلام من الغيبة الى لفظ المتكلم المطاوع للافتنان
وقيل تم كلام موسى عليه السلام ثم اخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فاخرجنا
به وقيل هذا كلام موسى اي فاخرجنا نحن بالحراثة والغرس ازواجا اصنافا من
نبات هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع شتى صفة للازواج او
للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى اي انها مختلفة النفع والطعم واللون و
الرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم ونعمته تعالى ان ارزاقنا بعمل
الانعام وقد جعل الله تعالى علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا يقدر على اكله قائلين
كلوا وارعوا انعامكم حال من الضمير في فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات
اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان كلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك
في الذي ذكرت لايات لدلالات لاولي النهى لذوي العقول واحدها نهية لانها
تنهى عن المحظور او ينتهى اليها في الامور منها من الارض خلقناكم اي اباكم آدم
عليه السلام وقيل يعجن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة
معا او لان النطفة الاغذية وهي من الارض وفيها نعيدكم اذا امتم فدفنتم
ومنها نخرجكم عند البعث تارة مرة اخرى والمراد باخراجهم انه يؤلف اجزاءهم
المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر عدد
الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون
عليها وسوى لهم فيها سبلا يترددون فيها كيف شاؤا وانبت فيها اصناف
النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا و

امهم التي منها ولدوا وهي كفاتهم اي جامعهم اذا ماتوا ولقد اريناه اي
فرعون اياتنا كلها وهي تسع ايات العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد و
القمل والضفادع والدم ونتق الجبل فكذب الايات وابى قبول الحق قال
فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا مصر بسحرك يا موسى فيه دليل على انه
خاف منه خوفا شديدا وقوله بسحرك تعلل والا فاي ساحر يقدر ان يخرج ملكا
من ارضه فلناتينك بسحر مثله فلنعارضنك بسحر مثل سحرك فاجعل بيننا
وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف اي مكان موعد
والضمير في لا نخلفه للموعد قرا يزيد بالجزم على جواب الامر وغيره بالرفع على
الوصف للموعد نحن ولا انت مكانا هو بدل من المكان المحذوف ويجوز ان
لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا
بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر سوى بالكسر حجازي وابو عمرو وعلي وغيرهم
بالضم وهو نعت لمكانا او منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لان المسافة
من الوسط الى الطرفين مستوية قال موعدكم يوم الزينة مبتدا وخبر وهو
يوم عيد كان لهم او يوم نيروز او يوم عاشوراء وانما استقام الجواب بالزمان
وان كان السؤال عن المكان على التاويل لان اجتماعهم يوم الزينة يكون في
مكان لا محالة فذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم
الزينة وان يحشر الناس اي يجمع في موضع رفع او جر عطفا على يوم او الزينة
ضحى اي وقت الضحوة ليكون ابعد عن الريبة وابين لكشف الحق وليشيع في جميع
اهل الوبر والمدر فتولى فرعون ادبر عن موسى معرضا فجمع كيده مكره وحيله
سحرته وكانوا اثنين وسبعين او اربعمائة او سبعين الفا ثم اتى للموعد قال
لهم موسى اي للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا اياته ومعجزاته
سحرا فيسحتكم كوفي غير ابي بكر يهلككم وغيرهم بفتح الياء والحاء والسحت والا
سحات بمعنى الاعدام وانتصب على جواب النهي بعذاب عظيم وقد خاب من افترى
من كذب على الله اختلفوا اي السحرة فقال بعضهم هو ساحر مثلنا و
قال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة اي لا تفتروا على الله كذبا الاية
اي تشاوروا في السر وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان
من السماء فله امر والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعني

ان هذان لساحران يعني موسى وهارون قرا ابو عمرو ان هذين لساحران وهو
ظاهر ولكنه مخالف للامام وابن كثير وحفص والخليل وهو اعرف بالنحو واللغة
ان هذان لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة
بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقيل هي بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران
دليله قراءة ابي ان ذان الا ساحران وغيرهم ان هذان لساحران قيل هي لغة
بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالالف ابدا فلم يقلبوها
ياء في الجر والنصب كعصا وسعدي قال ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها
وقال الزجاج ان بمعنى نعم قال الشاعر ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت
انه اي نعم والهاء للوقف وهذان مبتدا وساحران خبر مبتدا محذوف واللام
داخلة على المبتدا المحذوف تقديره هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها
الموضوع لها وهو الابتداء او قد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدا قال
خالي لانت ومن جرير خاله قال وعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه ابو علي
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم بدينكم
وشريعتكم المثلى الفضلى تانيث الامثل وهو الافضل فاجمعوا فاحكموا اي اجعلوه
مجمعا عليه حتى لا يختلفوا فاجمعوا ابو عمرو ويعضده فجمع كيده كيدكم هو ما يكاد
به ثم ائتوا صفا مصطفين حال امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الراهبين
وقد افلح اليوم من استعلى وقد فاز من غلب وهو اعتراض قالوا اي السحرة
يا موسى اما ان تلقي عصاك اولا واما ان نكون اول من القى ما معنا وموضع من
ان مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر او رفع بانه خبر مبتدا محذوف ومعناه اختر
احد الامرين او الامر القاءك او القاؤنا وهذا التخيير فيهم استعمال ادب حسن معه
وكانه تعالى الهمهم ذلك وقد وصل اليهم بركته وعلم موسى عليه السلام اختيار
القائهم اولا حتى قال بل القوا انتم اولا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله
سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فيمحقه فيصير
اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يقال
في اذا هذه المفاجاة والتحقيق انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها
وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم

وعصيهم

وعصيهم والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي يخيل وبالتاء
ابن ذكوان اليه الى موسى من سحرهم انها تسعى رفع بدل اشتمال من الضمير في
يخيل اي يخيل الملقى روي انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
واهتزت فخيلت ذلك فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر في فلا يتبعوه قلنا
لا تخف انك انت الاعلى الغالب القاهر وفي ذكر ان وانت وحرف التعريف و
لفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا
بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف حفص تلقف ابن ذكوان الباقون تلقف
ما صنعوا ما زوروا وافتعلوا اي اطرح عصاك يبتلع عصيهم وحبالهم ولم
يقل عصاك تعظيما لها اي لا تحتفل بما صنعوا فان ما في يمينك اعظم منها او تحقيرا
اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الذي في يمينك فانه بقدرة
ربك يتلقفها على وحدته وكثرتها انما صنعوا كيد ساحر سحر كوفي غير عاصم
بمعنى ذي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر وكيد بالرفع على القراءتين وما
موصولة او مصدرية وانما وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى
معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله
ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اينما كان فالقى موسى عصاه فتلقفت
ما صنعوا فلعظيم ما راوا من الاية دفعوا الى السجود بذلك قوله فالقي السحرة
سجدا قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم القوا فما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما
اعظم الفرق بين الالقائين روي انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا
رؤسهم ثم قالوا امنا برب هرون وموسى وانما قدم هارون هنا واخر في
الشعراء محافظة للفاصلة ولان الواو لا توجب ترتيبا قال امنتم بغير مد
حفص وبهمزة ممدودة بصري وشامي وحجازي وبهمزتين غيرهم له قبل
ان اذن لكم اي بموسى يقال امن له وامن به انه لكبيركم الذي علمكم السحر
لعظيمكم او لمعلمكم بقول اهل مكة للمعلم امري كبيري فلاقطعن ايديكم و
ارجلكم من خلاف القطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان
كل واحد من العضوين يخالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذا
شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدا وناشئ من مخالفة العضو العضو

ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها
بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في
الظرف فلذا قال ولاصلبنكم في جذوع النخل وخص النخل لطول جذوعها
ولتعلمن اينا اشد عذاباً انا على ايمانكم به او رب موسى على ترك الايمان وقيل يريد
نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان في
كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك
لن نختارك على ما جاءنا من البينات القاطعة الدالة على صدق موسى والذي
فطرنا عطف على ما جاءنا اي لن نختارك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا او
قسم وجوابه لن نؤثرك مقدم على القسم فاقض ما انت قاض فاصنع ما انت
صانع من القطع والصلب قال وعليهما مسرودتان قضاهما اي صنعهما او احكم
ما انت حاكم انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي في هذه الحيوة فانتصبت على
الظرف اي انما تحكم فينا مدة حيوتنا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا
عليه من السحر ما موصولة منصوبة بالعطف على خطايانا من السحر حال من ما روي انهم قالوا
لفرعون ارنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر
اذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فاكرههم فرعون على الاتيان
بالسحر انظر كيف نفعهم علمهم بالسحر وضر فرعون جهله به فكيف بعلم الشرع والله
خير ثواباً لمن اطاعه وابقى عقاباً لمن عصاه وهو رد لقول فرعون ولتعلمن اينا
اشد عذاباً وابقى انه هو ضمير الشان من يأت ربه مجرماً كافراً فان له جهنم
لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمناً مات
على ايمانه قد عمل الصالحات بعد الايمان فاولئك لهم الدرجات العلى جمع
العليا جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين دائمين
فيها وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك بقوله لا اله الا الله قيل هذه الايات
الثلاث حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو الظاهر
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون و
قومه امر موسى ان يخرج بهم من مصر ليلاً ويأخذ بهم طريق البحر فاضرب لهم طريقاً
في البحر اي اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهماً يبساً اي يابساً وهو مصدر
وصف به يقال يبس يبساً ويبساً لا تخاف حال من الضمير في فاضرب اي اضرب

لهم طريقاً غير خائف لا تخف حمزة على الجواب دركاً هو اسم من الادراك اي لا يدركك
فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى الغرق وعلى قراءة حمزة ولا تخشى استيناف
اي وانت لا تخشى او يكون الالف للاطلاق كما في وتظنون بالله الظنونا فخرج
بهم موسى من اول الليل وكانوا سبعين الفاً وقد استعاروا حليهم فركب فرعون
في ست مائة الف من القبط فقص اثرهم فذلك قوله فاتبعهم فرعون بجنوده
وهو حال اي خرج خلفهم ومعه جنوده فغشيهم من اليم اصابهم من البحر
ما غشيهم هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم
ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل واضل فرعون قومه عن سبيل الرشاد وما
هدى وما ارشدهم الى الحق والسداد وهذا رد لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
ثم ذكر منته على بني اسرائيل بعد ما انجاهم من البحر واهلك فرعون وقومه
بقوله يا بني اسرائيل اي اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وقلنا يا بني اسرائيل قد
انجيناكم من عدوكم اي فرعون وواعدناكم باتياء الكتاب جانب الطور الايمن
وذلك ان الله تعالى وعد موسى ان يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلاً يحضرون
معه لنزول التورية وانما نسب اليهم المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم و
اليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم والايمن نصب لانه صفة و
قرئ بالجر على الجوار ونزلنا عليكم المن والسلوى في التيه وقلنا لكم كلوا
من طيبات ما رزقناكم انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم
ولا تطغوا فيه ولا تعدوا حد الله فيه بان تكفروا النعم وتنفقوها في
المعاصي او لا يظلم بعضكم بعضاً فيه فيحل عليكم غضبي عقوبتي ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى هلك او سقط سقوطاً لا نهوض بعده واصله ان يسقط
من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف الايمان الى حفر النيران فيحل
ويحلل علي والباقون بكسرهما فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب
ادائه والمضموم في معنى النزول واني لغفار لمن تاب عن الشرك وامن وصدق
الله تعالى وصدقه فيما انزل وعمل صالحاً ادى الفرائض ثم اهتدى ثم استقام
وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح وما اعجلك واي
شيء عجل بك عن قومك يا موسى اي عن السبعين الذين اختارهم وذلك انه مضى
معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقاً الى كلام ربه وامرهم ان

يتبعوه فقال الله تعالى وما اعجلك اي شيء اوجب عجلتك استفهام انكار وما مبتدأ واعجلك الخبر قال هم اولاء على اثري اي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم الا مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال وعجلت اليك رب اي الى الموعد الذي وعدت لترضى لتزداد عني رضا وهذا دليل على جواز الاجتهاد قال فانا قد فتنا قومك القيناهم في فتنة من بعدك من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون واضلهم السامري بدعائه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال العلج الكافر اسم السامرة وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى من مناجات ربه الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب او حزينا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور وكانت الف سورة وكل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا ولا وعد احسن من ذلك افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم والعهد الزمان يقال طال عهدي بك اى طال زماني بسبب مفارقتك ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده باتخاذ العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم مدني وعاصم وبضمها حمزة وعلي وبكسرها غيرهم اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده ولكنا حملنا بالضم والتشديد حجازي وشامي وحفص وبفتح الحاء والميم مع التخفيف غيرهم اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلي القبط او ارادوا بالاوزار انها اثام وتبعات لانهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة ان غدا لنا عيد فقال السامري انما احتبس موسى لشؤم حرمتها لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها لخبثها في حفرة النار قالب عجل فانصاغ عجلا مجوفا فخار بدخول الريح في مجاز منه اشباه العروق وقيل فيه نفخ في تراب من قوائم فرس جبرائيل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس الحيوة فحيي فخار ومال طباعهم الى الذهب فعبدوه فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة

وامرنا ان نطرح فيها الحلي فكذلك القى السامري ما معه من الحلي في النار او ما معه من التراب الذي اخذه من اثر حافر فرس جبرئيل عليه السلام فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء جسدا مجسدا له خوار صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل فقالوا اي السامري وتبعه هذا الهكم واله موسى فاجاب ما تبعه الا اثنى عشر الفا فنسي اي فنسي موسى ربه هنا وذهب يطلبه وعند الطور او هو ابتداء كلام من الله عز وجل اي نسي السامري ربه وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر او نسي السامري الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بدليل قوله افلا يرون ان لا يرجع اي انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة اليهم قولا اي لا يجيبهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف يتخذونه الها فقيل انه ما خار الا مرة ولقد قال لهم لمن عبدوا العجل هارون من قبل من قبل رجوع موسى اليهم يا قوم انما فتنتم به ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني كونوا على ديني الذي هو الحق واطيعوا امري في ترك عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين لن نزال مقيمين على العجل وعبادته حتى يرجع الينا موسى فينظر هل يعبده كما عبدنا وهل صدق السامري ام لا فلما رجع موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن بالياء في الوصل والوقف مكي ووافقه ابو عمرو ونافع في الوصل وغيرهم بلا ياء اي ما دعاك الا ان تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى اي شيء منعك ان تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني او ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا افعصيت امري الذي امرتك به من القيام بمصالحهم ثم اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة في الله ملكته قال يا بن ام وبخفض الميم شامي وكوفي غير حفص وكان اخاه لابيه وامه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا وترقيقا لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ثم ذكر عذره فقال اني خشيت ان تقول اذا قاتلت بعضهم ببعض فرقت بين بني اسرائيل او خفت ان تقول ان فارقتهم واتبعتك ولحقني فريق وتبع

السامري فريق فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب ولم تحفظ قولي واخلفني في قومي
واصلح وفيه دليل لجواز الاجتهاد ثم اقبل موسى على منكرا عليه حيث قال فما خطبك
ما امرك الذي تخاطب عليه يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به وبالتاء
حمزة وعلي قال الزجاج بصر علم وابصر نظر اي علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل قال
موسى وما ذاك قال رأيت جبريل على فرس الحيوة فالقي في نفسي ان اقبض من
اثره فما القيته على شيء الا صار له روح ولحم ودم فقبضت قبضة القبضة المرة
من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير
وقرئ فقبصت قبصة فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع من اثر
الرسول اي من اثر فرس الرسول وقرئ بها فنبذتها فطرحتها في جوف العجل
وكذلك سولت زينت لي نفسي ان افعله ففعلته اتباعا لهواي وهو اعتراف
بالخطأ واعتذار منه قال له موسى فاذهب من بيننا طريدا فان لك في الحيوة ما عشت
ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا بحالك لا مساس اي لا يمسني احد ولا امسه
فمنع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم مخالطته ومكالمته ومبايعته و
اذا اتفق ان يماس احدا حم الماس والممسوس وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس
ويقال ان ذلك موجود في اولاده الى الآن وقيل اراد موسى عليه السلام ان يقتله
فمنعه الله منه لسخائه وان لك موعدا لن تخلفه لن يخلفك الله موعده الذي وعدك
على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا لن
تخلفه مكي وابو عمرو وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه واصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا عاكفا مقيما لنحرقنه
بالنار ثم لننسفنه لنذرينه في اليم نسفا فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم
من مائه حبا له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب انما الهكم الله الذي لا اله الا
هو وسع كل شيء علما تمييز اي وسع علمه كل شيء ومحل الكاف في كذلك اي مثل ما
اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار
الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وقد آتيناك اعطيناك
من لدنا من عندنا ذكرا قرآنا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن اقبل عليه وهو
مشتمل على الاقاصيص والاخبار الحقيقية وبالتفكر والاعتبار من اعرض عنه
عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة سماها

وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض
ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم خالدين حال من الضمير في
يحمل وانما جمع على المعنى ووحد في فانه حملا على لفظ من فيه في الوزر اي في جزاء
الوزر وهو العذاب وساء لهم يوم القيمة حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير
مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام في لهم للبيان كما في هيت لك والمخصوص بالذم
محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملا وزرهم يوم ينفخ
بدل من يوم القيمة ننفخ ابو عمرو في الصور في القرن او هو جمع صورة اي ننفخ
الارواح فيها دليله قراءة قتادة في الصور بفتح الواو جمع صورة ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا حال اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهذا
لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون يتسارون بينهم اي يقول
بعضهم لبعض لهول ذلك اليوم ان لبثتم ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال
يستقصرون مدة لبثهم في القبور او في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي
تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور
قصار او لانها ذهبت عنهم والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء او لا
ستطالتهم الآخرة لانها ابد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها
بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد رجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم بقوله
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما
وهو كقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين ويسألونك عن الجبال
سألوا النبي عليه الصلوة والسلام ما يصنع بالجبال يوم القيمة وقيل لم يسألوا و
تقديره ان سألوك فقل ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله و يسألونك
يسألونك عن المحيض قل هو اذى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير يسألونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها
يسألونك عن الروح قل الروح يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو لانها
سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم تذكر الفاء ينسفها
ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذري الطعام وقال
الخليل يقلعها فيذرها فيذر مقارها او يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله
ما ترك على ظهرها قاعا صفصفا مستوية ملساء لا ترى فيها عوجا انخفاضا

ولا امتا ارتفاعا والعوج بالكسر وان كان في المعاني كالمفتوح في الاعيان و
الارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها اعوجاج بوجه
ما وان دقت الحيلة ولطفت جرى مجرى المعاني يومئذ اضاف اليوم الى وقت
نسف الجبال اي يوم اذ انسفت وجاز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة
يتبعون الداعي الى المحشر اي صوت الداعي وهو اسرافيل حين ينادي على صخرة بيت
المقدس ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى عرض
الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون عنه لا عوج له اي لا يعوج له
مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته وخشعت وسكنت الاصوات
للرحمن هيبة واجلالا فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا لتحريك الشفاه وقيل هو من
هميس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها
الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن محل من رفع على البدل
من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا ينفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له
الرحمن اي اذن للشافع في الشفاعة ورضي له قولا اي رضي قوله لاجله بان يكون
المشفوع له مسلما او نصب على انه مفعول لا ينفع يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما اي بما احاط
به علم الله فيرجع الضمير الى ما او يرجع الضمير الى الله تعالى لان الله تعالى ليس
بمحاط وعنت خضعت وذلت ومنه قيل للاسير عان الوجوه اي اصحابها للحي
الذي لا يموت وكل حيوة يتعقبها الموت فهي كان لم تكن القيوم الدائم القائم
على كل نفس بما كسبت او القائم بتقدير الخلق وقد خاب يئس من رحمة الله من
حمل ظلما من حمل الى موقف القيمة شركا لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا
ظلم اشد من جعل المخلوق شريك من خلقه ومن يعمل من الصالحات الطاعات
وهو مؤمن مصدق بما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام وفيه دليل انه يستحق اسم
الايمان بدون الاعمال الصالحات فان الايمان شرط قبولها فلا يخاف اي فهو لا
يخاف فلا تخف عن النهي مكي ظلما اي يزاد في سيئاته ولا هضما ولا ينقص من
حسناته واصل الهضم النقص والكسر وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك
الانزال انزلناه قرانا عربيا بلسان العرب وصرفنا كررنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون يجتنبون الشرك او يحدث لهم الوعيد او القران ذكرا عظة او شرفا

بايمانهم

بايمانهم به وقيل او بمعنى الواو فتعالى الله ارتفع عن فنون الظنون واوهام
الافهام وتنزه عن مضاهات الانام ومشابهة الاجسام الملك الذي احتاج
اليه الملوك الحق المحق في الالوهية ولما ذكر القران وانزاله قال استطرادا
واذا القنك جبريل ما يوحى اليك من القران فتان عليك ريث ما يسمعك و
يفهمك ولا تعجل بالقران بقراته من قبل ان يقضى اليك وحيه من قبل ان
يفرغ جبريل من الابلاغ وقل رب زدني علما بالقران ومعانيه وقيل ما امر
الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ولقد عهدنا الى ادم اي اوصينا
اليه ان لا ياكل من الشجرة يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى
فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه فعطفت قصة ادم على صرفنا فيه
من الوعيد والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب
الشجرة من قبل من قبل وجودهم فخالف الى ما نهي عنه كما انهم يخالفون يعني ان
اساس امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فنسي العهد اي النهي والانبياء
عليهم السلام يواخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه ولم نجد له عزما
قصدا الى الخلاف لامره او لم يكن من اولي العزم والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له
عزما او بمعنى نقيض العدم اي وعدمنا له عزما وله متعلق بنجد واذ منصوب
باذكر قلنا للملائكة اسجدوا لادم قيل هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع و
التذلل او كان ادم كالقبلة لضرب تعظيم فيه له فسجدوا الا ابليس عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان ابليس كان ملكا من جنس المستثنى منهم وقال الحسن
الملائكة لباب الخليقة من الارواح لا يتناسلون وابليس من نار السموم وانما
صح استثناؤه منهم لانه كان يصحبهم ويعبد الله معهم ابى جملة مستانفة كانه
جواب لمن قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه
بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف فقلنا يا ادم ان هذا عدو
لك ولزوجك حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك فلا يخرجنكما من الجنة
فلا يكونن سببا لاخراجكما فتشقى فتتعب في طلب القوت ولم يقل فتشقيا اكتفاء
لرؤس الاي او دخلت تبعا ولان الرجل هو الكافل لنفقة المراة وروي انه اهبط
الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق بجبينه ان لك الا تجوع فيها
في الجنة ولا تعرى عن الملابس لانها معدة ابدا فيها وانك بالكسر نافع وابو بكر عطفا

على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطفا على الا تجوع ومحله نصب بان وجاز للفصل
كما تقول ان في على انك جالس لا تظمؤا فيها لا تعطش لوجود الاشربة فيها ولا
تضحى ولا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهله في ظل ممدود فوسوس
اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة كاسر اليه قال يا آدم هل ادلك على شجرة
الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه ولا يموت
وملك لا يبلى لا يفنى فاكلا اي آدم وحواء منها فبدت لهما سوآتهما عوراتهما
وطفقا طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو ككاد في وقوعه في وقوع الخبر
فعلا مضارعا الا انه للشروع في اول الامر وكاد للدنو منه يخصفان عليهما
من ورق الجنة اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى
آدم ربه فغوى ضل عن الرأي وعن ابن عيسى خاب والحاصل ان العصيان وقوع
الفعل على خلاف الامر والنهي وقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد لا يكون عمدا فيكون
زلة ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من ان يكون رشدا فكان غيا لان الغي
خلاف الرشد وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله
وزل مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف
نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط
منكم من الصغائر فضلا عن الكبائر ثم اجتباه ربه قربه اليه واصطفاه و
قربه واصل الكلمة الجمع يقال جبى الى كذا فاجتبيه فتاب عليه قبل توبته و
هدى وهداه الى الاعتذار والاستغفار قال اهبطا منها جميعا يعني آدم و
حواء بعضكم يا ذرية آدم لبعض عدو بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في
الدين فاما يأتينكم مني هدى كتاب وشريعة فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في العقبى قال ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعني ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في
الدنيا على طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجى من
الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري عن القرآن فان له معيشة ضنكا
وهو مصدر يستوي به المذكر والمؤنث عن ابن جبير نسلبه القناعة حتى لا يشبع
فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فيكون حيوته طيبة ومع الاعراض الحرص
والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر

دني الا اظلم عليه وقته ويشوش عليه رزقه ونحشره يوم القيمة اعمى عن
الحجة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وهو الوجه قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في
الدنيا قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسره فقال اتتك آياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى اي اتتك آياتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين المعتبر و
تركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك
وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى
لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى
في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى اي وللحشر على
العمى الذي لا يزول ابدا اشد من العيش المنقضي افلم يهد لهم اي الله بدليل
قراءة زيد عن يعقوب بالنون كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون حال
من الضمير المجرور في لهم في مساكنهم يريد ان قريشا يمشون في مساكن عاد و
ثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى
لذوي العقول اي اذا تفكروا وعلموا ان استيصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل
ما فعلوا ولولا كلمة سبقت من ربك اي الحكم بتأخير العذاب عن امة محمد
عليه الصلوة والسلام لكان لزاما لازما فاللزام مصدر للزم فوصف به واجل
مسمى القيمة وهو معطوف على كلمة والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب
عنهم واجل مسمى وهو القيمة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون
الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون فيك وسبح وصل بحمد ربك في موضع
الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه قبل طلوع
الشمس يعني صلوة الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في
النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ومن آناء الليل فسبح
واطراف النهار اي وتعمد آناء الليل اي ساعاته واطراف النهار مختصا لها
بصلوتك وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار
صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار اي ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله
والصلوة الوسطى عند البعض وانما جمع واطراف النهار وهما طرفان لامن الا
وهو عطف لعلك ترضى لعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات رجاء ان

ينال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وترضى على وابو بكر ان يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا
للمنظور اليه واعجابا به وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك ان يباده الشيء
بالنظر ثم يغض الطرف ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية
الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا الى دقدقة
هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا لانهم
انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ومغر لهم
على اتخاذها الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا
من هاء الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف
بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا زينتها وبهجتها وانتصب على الذم او
على ابداله من محل به او على ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة لنفتنهم
فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الاخرة
بسببه ورزق ربك ثوابه وهو الجنة او الحلال الكافي خير وابقى مما رزقوا وامر
اهلك امتك او اهل بيتك بالصلوة واصطبر انت دوام عليها لا نسألك رزقا
اي لا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم فلا تهتم لامر
الرزق وفرغ بالك لامر الاخرة لان من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة
بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الاية ثم
ينادي الصلوة الصلوة رحمك الله وكان بكر بن عبد الله المزني اذا اصاب
اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله وعن مالك بن دينار مثله
وفي بعض المسانيد انه عليه الصلوة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلوة وتلا هذه الاية والعاقبة للتقوى اي وحسن العاقبة لاهل التقوى
بحذف المضافين قالوا اي الكافرون لولا يأتينا باية من ربه هلا يأتينا محمد
عليه الصلوة والسلام باية من ربه تدل على صحة نبوته اولم تأتهم مدني وبصري و
حفص بينة ما في الصحف الاولى اي الكتب المتقدمة يعني انهم اقترحوا على
عادتهم في التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم تأتكم اية هي ام الايات واعظمها
في باب الاعجاز يعني القران من قبل ان القران برهان ما في سائر الكتب المنزلة
دليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها

ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل الرسول او القران لقالوا ربنا
لولا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع بالنصب لانه جواب الاستفهام بالفاء
اياتك من قبل ان نذل بنزول العذاب ونخزى في العقبى قل كل كل واحد منا
ومنكم متربص منتظر للعاقبة ولما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا انتم فستعلمون
اذا جاءت القيمة من اصحاب مبتداء وخبر ومحلهما نصب الصراط السوي
المستقيم ومن اهتدى الى النعيم المقيم قال عليه الصلوة والسلام لا يقرأ اهل
الجنة الا طه ويس

اقترب دني للناس اللام صلة لاقترب عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
المراد بالناس المشركون لان ما يتلوه بعده من صفات المشركين حسابهم وقت
محاسبة الله اياهم ومجازاته على اعمالهم يعني يوم القيمة وانما وصف بالاقتراب
لقلة ما بقي بالاضافة الى ما مضى ولان كل ات قريب وهم في غفلة عن حسابهم و
عما يفعل بهم ثم معرضون عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة
والاعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في
دنياه واعراضه عن مولاه ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه واعراضه
عن دنياه فهو لا يفيق الا برؤية المولى والاول انما يفيق في عسكر الموتى فالاولى
عليك ان تحاسب نفسك قبل ان تحاسب وتنتبه للعرض قبل ان تنبه وتعرض
عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق اجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين ما
يأتيهم من ذكر من ربهم شيء من القران محدث في التنزيل اتيانه مبتدأ تلاوته
قريب عهده باستماعهم والمراد به الحروف المنظومة ولا خلاف في حدوثه الا
استمعوه من النبي عليه الصلوة والسلام او غيره ممن يتلوه وهم يلعبون يستهزؤن
به لاهية حال من ضمير يلعبون او وهم يلعبون ولاهية حالان من الضمير في
استمعوه ومن قرأ لاهية بالرفع لا يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم وارتفعت
قلوبهم بلاهية وهي من لهي عنه اذا ذهل وغفل والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد
بها ومنها وقال ابو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها
الغافل عن الاخرة واهوالها واسروا وبالغوا في اخفاء النجوى وهي اسم من التناجي
ثم ابدل الذين ظلموا من واو اسروا ايذانا بانهم الموسومون بالظلم فيما اسروا

بر وجاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو مجرور المحل لكونه صفة او بدلا
عن الناس او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتداء خبره واسروا النجوى مقدم
عليه اي والذين ظلموا اسروا النجوى هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر
وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا
هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا والمعنى انهم اعتقدوا ان الرسول
لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر
ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون
وتعاينون انه سحر قال ربي حمزة وعلي وحفص اي قال محمد وغيرهم قل ربي
اي قل يا محمد للذين اسروا النجوى يعلم القول في السماء والارض اي يعلم
قول كل قائل هو في السماء والارض سرا كان او جهرا وهو السميع لاقوالهم
العليم بما في ضمائرهم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضربوا
عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام راها في نومه فتوهمها وحيا من الله اليه
ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل
رجاع غير ثابت على قول واحد ثم قالوا ان كان صادقا في دعواه وليس الامر
كما نظن فليأتنا باية بمعجزة كما ارسل الاولون كما ارسل من قبله باليد البيضاء
والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون
من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان
بالايات الا ترى انه لا فرق بين قولك ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة
فرد الله عليهم قولهم بقوله ما امنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها صفة
لقرية عند مجيء الايات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا افهم يؤمنون اي اولئك
لم يؤمنوا بالايات لما اتيتهم افيؤمنون هؤلاء المقترحون لو اتيناهم بما اقترحوا
مع انهم اعتى منهم والمعنى ان اهل القرى المهلكة اقترحوا على انبيائهم الايات
وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو
اعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا ايضا وما ارسلنا قبلك الا رجالا هذا جواب
قولهم هل هذا الا بشر مثلكم يوحى اليهم نوحي اليهم حفص فاسألوا اهل الذكر
العلماء بالكتابين فانهم يعرفون ان الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا
ملائكة وكان اهل مكة يعتمدون على قولهم ان كنتم لا تعلمون ذلك ثم بين انه

لكن

كمن تقدمه من الانبياء بقوله وما جعلناهم جسدا وحد الجسد لارادة الجنس
لا يأكلون الطعام صفة لجسدا يعني وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد
غير طاعمين وما كانوا خالدين كانهم قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد
معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين بقائهم الممتد وحيوتهم المتطاولة
خلودا ثم صدقناهم الوعد بانجائهم والاصل في الوعد مثل واختار موسى
قومه اي من قومه فانجيناهم مما حل بقومهم ومن نشاء هم المؤمنون واهلكنا
المسرفين المجاوزين الحد بالكفر ودل الاخبار باهلاك المسرفين على ان من
نشاء غيرهم لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم شرفكم ان عملتم
او لانه بلسانكم او فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة اي فيه ذكركم صفة لكتابا افلا
تعقلون ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنون وكم نصب بقوله قصمنا اي اهلكنا
من قرية اي اهلها بدليل قوله كانت ظالمة كافرة وهي واردة عن غضب شديد و
سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم
فانه كسر بلا ابانة وانشانا خلقنا بعدها قوما اخرين فسكنوا مساكنهم فلما احسوا
باسنا عذابنا اي علموا علم حس ومشاهدة اذا هم منها من القرية واذا للمفاجات
وهم مبتداء والخبر يركضون يهربون مسرعين والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز
ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب
او شبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم
لا تركضوا والقائل بعض الملائكة وارجعوا الى ما اترفتم فيه نعمتم فيه من الدنيا
ولين العيش قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ومساكنكم و
لعلكم تسألون اي يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم
تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة
او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم
ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين
او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب او يسألكم الوافدون
عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم او قال بعضهم لبعض لا تركضوا
وارجعوا الى منازلكم واموالكم لعلكم تسألون مالا او خراجا فلا تقتلون فنودي
من السماء يا لثارات الانبياء واخذتهم السيوف ثم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين

اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك هي اشارة الي يا ويلنا دعواهم
دعاءهم وتلك مرفوع على انه اسم زالت ودعواهم الخبر ويجوز العكس حتى
جعلناهم حصيدا مثل الحصيد اي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدّر
خامدين ميتين خمود النار وحصيدا خامدين مفعول ثان لجعل اي جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود كقولك جعلته حلوا حامضا اي جعلته
جامعا للطعمين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اللعب فعل
يروق اوله ولا ثبات له ولاعبين حال من فاعل خلقنا والمعنى وما سوينا
هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلق للهو
واللعب وانما سويناها ليستدل بهما على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء
على ما يقتضيه حكمتنا ثم نزه ذاته سبحانه عن سمات الحدث بقوله لو اردنا
ان نتخذ لهوا اي ولدا وامرأة كانه رد على من قال عيسى ابن الله ومريم صاحبته
لاتخذناه من لدنا من الولدان والحور ان كنا فاعلين اي ان كنا ممن يفعل
ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا وقيل هو نفي كقوله وان ادري اي
ما كنا فاعلين بل نقذف بل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كانه قال
سبحاننا ان نتخذ اللهو بل من سنتنا ان نقذف اي نرمي ونسلط بالحق بالقرآن
على الباطل الشيطان او بالاسلام على الشرك او بالجد على اللعب فيدمغه فيكسره
ويمحق الحق الباطل وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال القذف والدمغ
في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل
فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكانه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي
على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم القوي الضعيف
فاذا هو اي الباطل زاهق هالك ذاهب ولكم الويل مما تصفون الله من الولد
ونحوه وله من في السموات والارض خلقا وملكا فاني يكون شيء منه ولدا او
بينهما تناف ويوقف على الارض ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا يعني
الملائكة مبتدأ خبره لا يستكبرون ولا يتعظمون عن عبادته ولا يستحسرون ولا
يعيون يسبحون الليل والنهار لا يفترون حال من فاعل يسبحون اي تسبيحهم
متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل اخر فتسبيحهم جار مجرى
التنفس منا ثم اضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بام التي بمعنى بل والهمزة

فقال ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون يحيون الموتى ومن الارض صفة
لآلهة لان آلهتهم كانت متخذة من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر
وتعبد في الارض فنسب اليها كقولك فلان من المدينة اي مدني او متعلق
باتخذوا ويكون فيه بيان ابتداء غاية الاتخاذ وفي قوله هم ينشرون زيادة توبيخ
وان لم يدعوا ان اصنامهم تحيي الموتى وكيف يدعون ومن اعظم المنكرات
ان ينشر الموتى بعض الموات لانه يلزم من دعوى الالوهية لها دعوى الانشار
لها لان العاجز عنه لا يصح ان يكون الها اذ لا يستحق هذا الاسم الا القادر على
مقدور والانشار من جملة المقدورات وقرأ الحسن ينشرون بفتح الياء و
هما لغتان انشر الله الموتى ونشرها اي احياها لو كان فيهما آلهة الا الله
اي غير الله وصفت آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل آلهة غير الله ولا يجوز رفعه
على البدل لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في
الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك ولا يجوز
نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز ان يستثنى منه عند المحققين
لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لو لا الاستثناء والمعنى لو كان يدبر امر
السموات والارض آلهة شتى غير الواحد الذي فاطرهما لفسدتا لخربتا لوجود
التمانع وقد قررنا في اصول الكلام ثم نزه ذاته سبحانه فسبحان الله رب العرش
عما يصفون من الولد والشريك لا يسأل عما يفعل لانه المالك على الحقيقة ولو
اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم
الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفها فمن هو مالك الملوك ورب الارباب
وفعله صواب كله اولى بان لا يعترض عليه وهم يسألون لانهم مملوكون خطاؤن
كما خلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه في كل شيء فعلوه وقيل وهم يسألون
يرجع الى المسيح والملائكة اي هم مسؤلون فكيف يكونون آلهة والالوهية ينافي
المسئولية ام اتخذوا من دونه آلهة الاعادة لزيادة الافادة فالاول للانكار
من حيث العقل والثاني من حيث النقل اي وصفتم الله بان له شريكا فقيل لمحمد
قل هاتوا برهانكم حجتكم على ذلك وذا عقلي وهو يأباه كما مر او نقلي وهو الوحي
وهو ايضا يأباه فانكم لا تجدون كتابا من الكتب السماوية الا وفيه توحيده وتنزيهه
عن الانداد هذا اي القرآن ذكر من معي يعني امته وذكر من قبلي يعني امم الانبياء

من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه معي حفص فلما لم يمتنعوا
عن كفرهم اضرب عنهم فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق اي القرآن وهو نصب بيعلمون
وقرئ الحق اي هو الحق فهم لاجل ذلك معرضون عن النظر فيما يجب عليهم وما ارسلنا
من رسول الا يوحي اليه الا نوحي كوفي غير ابي بكر وحماد انه لا اله الا انا فاعبدون
وحدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك
ثم اخبر عنهم بانهم عباد بقوله بل عباد مكرمون اي بل هم عباد مكرمون مشرفون
مقربون ليسوا باولاد اذ العبودية تنافي الولادة لا يسبقونه بالقول اي بقوله
فانيب اللام مناب الاضافة والمعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله
ولا يتقدمون قوله بقولهم وهم بامره يعملون اي كما ان قولهم تابع لقوله فعلهم
ايضا مبني على امره لا يعملون عملا لم يؤمروا به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي ما قدموا واخروا من اعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى اي لمن رضي الله
عنه او قال لا اله الا الله وهم من خشيته مشفقون خائفون ومن يقل
منهم من الملائكة اني اله من دونه من دون الله اني مدني وابو عمرو فذلك
مبتدأ اي فذلك القائل خبر نجزيه جهنم وهما جواب الشرط كذلك نجزي
الظالمين الكافرين الذين وضعوا الالهية في غير موضعها وهذا على سبيل
الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم وقال ابن عباس وقتادة والضحاك قد تحقق
الوعيد في ابليس فانه ادعى الالهية لنفسه ودعا الى طاعة نفسه وعبادته اولم ير
الذين كفروا الم ير مكي ان السموات والارض كانتا اي جماعة السموات وجماعة
الارض فلذا لم يقل كن رتقا بمعنى المفعول اي كانتا مرتوقتين وهو مصدر
فلذا صلح ان يقع موقع مرتوقتين ففتقناهما فشققناهما والفتق الفصل بين
الشيئين والرتق ضد الفتق فان قيل متى رأوها رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك
قلنا انه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد ولان الرؤية
بمعنى العلم وتلاصق الارض والسماء وتباينهما جائزان في العقل فالاختصاص
بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله ثم قيل ان
السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهواء وقيل
قيل كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها الله وجعلها سبع سموات وكذلك

الارض

الارض كانت مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع ارضين وقيل كانت
السماء رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات
وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق
كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره
عنه كقوله خلق الانسان من عجل افلا يؤمنون يصدقون بما يشاهدون وجعلنا
في الارض رواسي جبالا ثوابت من رسا اذا ثبت ان تميد بهم لئلا تضطرب
بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد كذلك لئلا يعلم
اهل الكتاب وجعلنا فيها فجاجا طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصبت
على الحال سبلا مقدمة فان قلت اي الفرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا
فجاجا وبين هذه قلت الاول للاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني
لبيان انه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثم لعلهم يهتدون
اي ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة وجعلنا السماء سقفا محفوظا منعه في مو
عن السقوط كما قال ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه او محفوظا بالشهب
عن الشياطين كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم وهم اي الكفار عن
آياتها عن الادلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم معرضون غير متفكرين
فيها فيؤمنون وهو الذي خلق الليل لتسكنوا فيه والنهار لتتصرفوا فيه و
الشمس لتكون سراج النهار والقمر ليكون سراج الليل كل التنوين فيه عوض
عن المضاف اليه اي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع وجمع
جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة في فلك عن ابن عباس رضي الله
عنهما الفلك السماء والجمهور على ان الفلك موج مكفوف تحت السماء يجري فيه
الشمس والقمر والنجوم وكل مبتدأ خبره يسبحون يسيرون او يدورون والجملة
في محل النصب على الحال من الشمس والقمر وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد البقاء
الدائم افان مت بكسر الميم مدني وكوفي غير ابي بكر فهم الخالدون فالفاء الاولى
لعطف جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط كانوا يقدرون انه سيموت فنفى الله
عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فان مت انت لا يبقى هؤلاء
كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم ونختبركم سمي ابتلاء وان كان عالما بما سيكون
من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار بالشر بالفقر والضر

والخير الغني والنفع فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون
فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وعن ابن ذكوان ترجعون
واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك ما يتخذونك الا هزوا مفعول ثان ليتخذونك
نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف
اهذا الذي يذكر آلهتكم يعيب آلهتكم والذكر يكون بخير وبخلافه فان كان الذاكر
صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم وهم بذكر الرحمن اي بذكر الله وما يجب ان
يذكر به من الوحدانية هم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا
هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل بذكر الرحمن اي بما انزل عليك من
القرآن هم كافرون جاحدون والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا
وهم على حال هي اصل الهزؤ والسخرية وهي الكفر بالله وكرر هم للتاكيد او لان
الصلة حالت بينه وبين الخبر فاعيد المبتدأ خلق الانسان من عجل فسر
بالجنس وقيل نزلت حين كان نضر بن الحارث يستعجل بالعذاب والعجل و
العجلة مصدران وهو تقديم الشيء على وقته والظاهر ان المراد الجنس وانه ركب
فيه العجلة فكانه خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه
الكرم خلق من الكرم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها
ثم منع وزجر كانه قال ليس ببدع منه ان يستعجل فانه مجبول على ذلك و
هو طبعه وسجيته وقد ركب فيه وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم
والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل تنبت بين الماء والعجل وانما منع عن
الاستعجال وهو مطبوع عليه كما امره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه لانه اعطاه القدرة
التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ومن عجل حال اي عجلا فلا تستعجلون
نقماتي سأريكم آياتي بالاتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعباس
في الوصل ويقولون متى هذا الوعد اتيان العذاب او القيمة ان كنتم صادقين
قيل هو اصد وجهي استعجالهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وجواب لو محذوف وحين مفعول به
ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت
يحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم
فلا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال

ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم بل تاتيهم الساعة بغتة فجأة فتبهتهم
فتحيرهم اي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم فلا يستطيعون ردها فلا
يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون ولقد استهزئ برسل من
قبلك فحاق فحل ونزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزءون سلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم بان له في الانبياء اسوة وان ما
يفعلونه به يحيق بهم كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم
يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اي من عذابه ان اتاكم ليلا او نهارا
بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه
ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ
فصلحوا للسؤال والمعنى انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون
لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بقوله ام لهم آلهة
من دوننا لما في ام من معنى بل فقال الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
وحفظنا ثم استانف بقوله لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر و
التأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال
عليهم العمر اي ما كانوا فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم
من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا و
امهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد فقست
قلوبهم فظنوا انهم دائمون على ذلك وهو امل كاذب افلا يرون انا نأتي
الارض ننقصها من اطرافها اي ننقص ارض الكفر ونحذف اطرافها بتسليط
المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار الاسلام وذكر نأتي يشير بان
الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها
غالبة عليها ناقصة من اطرافها افهم الغالبون ام كفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا
من اطراف ارضهم اي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله واصحابه بنصرنا قل انما
انذركم بالوحي اخوفكم من العذاب بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء بفتح
الياء والميم ورفع الصم ولا تسمع الصم شامي على خطاب النبي صلى الله عليه و
سلم اذا ما ينذرون يخوفون واللام في الصم للعهد وهو اشارة الى هؤلاء المنذرين

والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
تصامهم وسدهم اسماعهم اذا ما انذروا ولئن مستهم نفحة دفعة يسيرة
من عذاب ربك صفة لنفحة ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مستهم من هذا
الذي ينذرون به ادنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على انفسهم واقروا بانهم ظلموا
انفسهم حين تصاموا واعرضوا وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لان النفح يدل
على القلة نفحة تبطية رضخة بها مع ان بناءها للمرة ونضع الموازين جمع ميزان و
هو ما يوزن به الشيء فيعرف به كميته وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وانما
جمع الموازين لتعظيم شانها كما في قوله يا ايها الرسل والوزن لصحائف الاعمال
في قوله القسط صفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط
او على حذف المضاف اي ذوات القسط ليوم القيمة لاهل يوم القيمة اي
لاجلهم فلا تظلم نفس شيئا من الظلم وان كان مثقال حبة اي وان كان الشيء
مثقال حبة مثقال بالرفع مدني وكذا في لقمان على كان التامة من خردل
صفة لحبة اتينا بها احضرناها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت
بعض اصابعه وكفى بنا حاسبين عالمين حافظين عن ابن عباس رضي الله عنهما
لان من حسب شيئا علمه وحفظه ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء
وذكرا قيل هذه الثلاثة هي التورية فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء يستضاء
به ويتوصل به الى سبيل النجاة وذكر اي شرف او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج الناس
اليه في مصالح دارينهم ودخلت الواو على الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا
ونبيا ويقول مررت بزيد الكريم والعالم والصالح ولما انتفع بذلك المتقون
خصهم بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع
عليه يخشون ربهم يخافونه بالغيب حال اي يخافونه في الخلاء وهم من الساعة
القيمة واهوالها مشفقون خائفون وهذا اي القرآن ذكر مبارك كثير الخير غزير
النفع انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ اي جاحدون انه منزل من
عند الله ولقد اتينا ابراهيم رشده هداه من قبل من قبل موسى وهارون ومن
قبل محمد عليه السلام وكنا به بابراهيم او برشده عالمين اي علمنا انه اهل لما
اتيناه اذ اما ان يتعلق باتينا او برشده قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل اي الاصنام
المصورة على صور السباع والطيور والانسان وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه

بتعظيمهم

بتعظيمهم لها التي انتم لها عاكفون لاجل عبادتها مقيمون فلما عجزوا عن الاتيان
بالدليل على ذلك قالوا وجدنا اباءنا لها فقلدناهم قال ابراهيم لقد كنتم انتم
عابدين
واباؤكم في ضلال مبين اراد ان المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال
ظاهر لا يخفى على عاقل واكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير هو في حكم
بعض الفعل ممتنع قالوا اجئتنا بالحق بالجد ام انت من اللاعبين اي اجاد انت
فيما تقول ام لاعب استعظاما منهم انكاره عليهم واستبعادا ان يكون ما هم عليه
ضلالا فثم اضرب عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب مثبتا الربوبية للملك
العلام وحدوث الاصنام بقوله قال بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن اي التماثيل فاني بعبد المخلوق ونجحد الخالق وانا على ذلكم المذكور
من التوحيد شاهد من الشاهدين وتالله اصله والله وفي التاء معنى التعجب
كانه تعجب من تسهل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطانه نمرود
لاكيدن اصنامكم لاكسرنها بعد ان تولوا مدبرين بعد ذهابكم عنها الى
عيدكم قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم اي
ساقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام فجعلهم جذاذا قطعا من الجذ وهو
القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذا بالكسر على جمع جذيذ اي مجذوذ
كخفيف وخفاف الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار اي فكسرها كلها بفاس في يده
الا كبيرها فعلق الفاس في عنقه لعلهم اليه الى الكبير يرجعون فيسالونه عن
كاسرها فتبين لهم عجزه او الى ابراهيم ليحتج عليهم او الى الله لما راوا عجز آلهتهم قالوا
اي الكفار حين رجعوا من عيدهم وراوا ذلك من فعل هذا بالهتنا انه لمن
الظالمين اي ان من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرأته على الآلهة الحقيقية
عندهم بالتوقير والتعظيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الجملتان
صفتان لفتى الا ان الاولى وهو يذكرهم اي يعيبهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول
سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف الثاني وارتفاع ابراهيم بانه
فاعل يقال فالمراد الاسم لا المسمى اي الذي يقال له هذا الاسم قالوا اي نمرود
واشراف قومه فاتوا به اي احضروا ابراهيم على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا
مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما فعله كانهم
كرهوا عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبتنا له فلما احضروه قالوا ءانت فعلت

هذا بالهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله عن الكسائي انه يقف عليه اي فعله
من فعله وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز وجاز ان يكون الفعل مسندا الى الفتى
المذكور في قوله سمعنا فتى يذكرهم او الى ابراهيم في قوله يا ابراهيم ثم قال كبيرهم هذا
وهو مبتدا وخبر والاكثر على انه لا وقف والفاعل كبيرهم وهذا وصف او بدل
ونسب الفعل الى كبيرهم وقصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي
تبكيتا لهم والزاما للحجة عليهم لانهم اذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم و
انه لا يصلح الها وهذا كما قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق انت
كتبت هذا وصاحبك امي فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب
تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي لان اثباته للعاجز
منكما والامر دائر بينكما استهزاء به واثبات للقادر ويمكن ان يقال غاظته
تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها اشد لما راى من
زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لان الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى
الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقول الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم
ما تنكرون ان يفعل كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا
ويحكى انه قال غضب ان تعبد هذه الصغار معه وهو اكبر منها فكسرهن او هو
معلق بشرط لا يكون وهو نطق الاصنام فيكون نفيا للمخبر به اي بل فعله كبيرهم
ان كانوا ينطقون وقوله فاسألوهم اعتراض وقيل عرض بالكبير نفسه وانما اضاف
نفسه اليهم لاشتراكهم في الحضور فاسألوهم عن حالهم ان كانوا ينطقون
وانتم تعلمون عجزهم عنه فرجعوا الى انفسهم فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم
لما اخذ بمخانقهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق
لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين فان من لا يدفع عن
راسه الفاس كيف يدفع عن عابده الباس ثم نكسوا على رؤسهم قال اهل
التفسير اجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة اي ردوا
الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم يقال نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه
اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك
الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فكيف تأمرنا بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولي علمت والمعنى لقد علمت عجزهم عن

النطق

النطق فكيف نسألهم قال محتجا افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا هو في موضع المصدر اي نفعا ما ولا يضركم ان لم تعبدوه اف لكم ولما
تعبدون من دون الله افصوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره
ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتافف
بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف اف مدني و
حفص اف مكي وشامي اف غيرهم افلا تعقلون ان من هذا وصفه لا يجوز ان
يكون الها فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه بالنار لانها اهول
ما يعاقب به وافظع وانصروا الهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين اي ان
كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي الاحراق
والا فرطتم في نصرتها والذي اشار باحراقه نمرود رجل من اكراد فارس
وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا بكوثى وجمعوا شهرا اصناف
الخشب ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه
في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل وقال
له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من
سؤالي علمه بحالي وما احرقت النار الا وثاقه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انما
نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل قلنا يا نار كوني بردا وسلاما اي ذات برد
وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام على ابراهيم اراد ابردي فيسلم منك
ابراهيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها والمعنى
ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها الله عليه من الحر والاحراق وابقاها
على الاضاءة والاشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير وارادوا به كيدا احراقا
فجعلناهم الاخسرين فارسل على نمرود وقومه البعوض واكلت لحومهم
وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فاهلكته ونجيناه اي ابراهيم
ولوطا ابن اخيه هاران من العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
اي ارض الشام وبركتها ان اكثر الانبياء منها فانتشرت في العالمين اثارهم
الدينية وهي ارض خصب يطيب فيه عيش الغني والفقير وقيل ما من ماء عذب
في الارض الا وينبع اصله من صخرة بيت المقدس روي انه نزل بفلسطين
ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة وقال عليه الصلوة والسلام انها

شكوت هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة قيل هي مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق اي وهبنا
له هبة وقيل هي ولد الولد وقد سال ولدا فاعطيه واعطى يعقوب نافلة اي
زيادة وفضلا من غير سؤال وهي حال من يعقوب وكلا اي ابراهيم واسحق
ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله جعلنا والثاني صالحين في الدين
او للنبوة وجعلناهم ائمة يقتدي بهم في الدين يهدون الناس بامرنا واوحينا
اليهم فعل الخيرات وهي جميع الاعمال الصالحة اصله ان تفعل
الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذلك واقام الصلوة وايتاء الزكوة والاصل
واقامة الصلوة الا ان المضاف اليه جعل بدلا من الهاء وكانوا لنا عابدين
لا للاصنام فانتم يا معشر العرب اولاد ابراهيم فاتبعوه في ذلك ولوطا
انتصب بفعل يفسره اتيناه حكما حكمة وهي ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم
او نبوة وعلما فقها ونجيناه من القرية من اهلها وهي سدوم التي كانت
تعمل الخبائث اللواط والضراط وحذف المارة بالحصا وغيرها انهم كانوا
قوم سوء فاسقين خارجين عن طاعة الله وادخلناه في رحمتنا في اهل
رحمتنا او في الجنة انه من الصالحين اي جزاء له على صلاحه كما اهلكنا قومه عقابا
على فسادهم ونوحا اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعى على قومه بالهلاك من قبل
من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه فنجيناه واهله اي المؤمنين به من
ولده ومن قومه من الكرب العظيم من الطوفان وتكذيب اهل الطغيان
ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا منعناه منهم اي من اذاهم انهم
كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم وداود
وسليمان اي واذكرهما اذ بدل منهما يحكمان في الحرث الزرع او الكرم اذ ظرف ليحكما
نفشت دخلت فيه غنم القوم ليلا فاكلته وافسدته والنفش انتشار الغنم ليلا
بلا داع وكنا لحكمهم ارادهما والمتحاكمين اليهما شاهدين اي كان ذلك بعلمنا و
مرادنا ففهمناها اي الحكومة او الفتوى سليمان وفيه دليل على ان الصواب
كان مع سليمان صلوات الله عليه وقصته ان الغنم رعت الحرث وافسدته بلا راع
ليلا فتحاكما الى داود فحكم بالغنم لاهل الحرث وقد استوت قيمتاهما اي قيمة الغنم
كانت على قدر النقصان في الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا

ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى رب الغنم حتى يصلح الحرث
ويعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم
بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم واما في شريعتنا فلا
ضمان عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم بالليل او بالنهار الا ان يكون مع
البهيمة سائق او قائد وعند الشافعي رحمه الله تعالى يجب عليه الضمان بالليل و
قال الجصاص انما ضمنوا لانهم ارسلوها ونسخ الضمان بقوله عليه الصلوة و
السلام العجماء جبار وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود حكما والصلح
خير وكلا من داود وسليمان اتيناه حكما ونبوة وعلما معرفة بموجب الحكم و
سخرنا وذللنا مع داود الجبال يسبحن هو حال بمعنى مسبحات او استيناف كان
قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير معطوف على الجبال او مفعول معه و
قدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب واغرب وادخل في الاعجاز لانها
جماد روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار
وكنا فاعلين بالانبياء مثل ذلك وان كان عجبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس
لكم اي عمل الدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع لتحصنكم شامي وحفص
اي الصنعة وبالنون ابو بكر وحماد اي الله عز وجل وبالياء غيرهم اي اللبوس
او الله عز وجل من باسكم من حرب عدوكم فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى
الامر اي فاشكروا الله على ذلك ولسليمان الريح اي وسخرنا الريح عاصفة حال
اي شديدة الهبوب ووصفت في موضع اخر بالرخاء لانها تجري باختياره فكانت
في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم ارادته تجري بامره بامر سليمان
الى الارض التي باركنا فيها بكثرة الانهار والاشجار والثمار والمراد الشام وكان
منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء عالمين وقد احاط
علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا ومن الشياطين اي وسخرنا
منهم من يغوصون له في البحار بامره لاستخراج الدر وما يكون فيها ويعملون عملا
دون ذلك اي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور
والجفان وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يوجد منهم فساد فيما هم
مسخرون فيه وايوب اي واذكر ايوب اذ نادى ربه اني اي دعاه باني مسني الضر

الضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال وأنت
أرحم الراحمين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية
الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم
فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه عن أنس رضي الله عنه أخبر عن ضعفه حين
لم يقدر على النهوض للصلوة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل إنا وجدناه
صابرا نعم العبد وقيل إنما اشتكى إليه تلذذا بالنجوى لا منه تضجرا بالشكوى
والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد فاستجبنا له أجبنا دعاءه
فكشفنا ما به من ضر فكشفنا ضره إنعاما وآتيناه أهله ومثلهم معهم
روي أن أيوب عليه السلام كان روميا من ولد إسحق بن إبراهيم عليهما السلام
وله سبعة بنين وسبعة بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة
فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده و
ماله وبمرض في بدنه ثماني عشر سنة أو ثلاث عشر سنة أو ثلاث سنين وقالت له
امرأته يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة
فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله
عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقهم مثلهم معهم رحمة من عندنا هو مفعول
له وكذلك وذكرى للعابدين يعني رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه وإسمعيل بن إبراهيم وإدريس ابن شيث بن آدم و
ذا الكفل أي اذكرهم وهو إلياس أو زكريا أو يوشع بن نون وسمي به لأنه ذو الحظ
من الله والكفل الحظ كل من الصابرين أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون
بالصبر وأدخلناهم في رحمتنا نبوتنا أو النعمة في الآخرة إنهم من الصالحين
أي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد وذا النون أي اذكر صاحب الحوت والنون
الحوت فأضيف إليه إذ ذهب مغاضبا حال أي مراغما لقومه ومعنى مغاضبته لقومه
أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وروي أنه برم بقومه
لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم فظن أن ذلك يسوغ حيث
لم يفعله إلا غضبا لله وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن
من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت فظن أن لن نقدر عليه لن نضيق عليه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة

ففرقت

ففرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ الآية وقال
أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة فنادى في
الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت أن أي بأنه لا إله
إلا أنت أو بمعنى أي سبحانك إني كنت من الظالمين لنفسي في خروجي من قومي
قبل أن تأذن لي في الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب
له وعن الحسن ما نجاه إلا إقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من
الغم غم الزلة والوحشة والوحدة وكذلك ننجي المؤمنين إذا دعونا واستغاثوا
بنا نجي شامي وأبو بكر بإدغام النون في الجيم عند البعض لكن النون لا تدغم
في الجيم وقيل تقديره نجي النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفا وأسند الفعل
إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود
المفعول وهذا لا يجوز وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات وقيل أصله ننجي
من التنجية فحذف النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التائين
في تنزل الملائكة وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا سأل ربه أن
يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال
وأنت خير الوارثين أي فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث
أي باق فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه جعلناها صالحة
للولادة بعد عقرها أو حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق إنهم أي الأنبياء المذكورين
كانوا يسارعون في الخيرات أي إنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم
أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها ويدعوننا رغبا ورهبا أي طمعا وخوفا
كقوله يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول
له أي للرغبة فينا والرهبة منا وكانوا لنا خاشعين متواضعين خائفين والتي
واذكر التي أحصنت فرجها حفظته من الحلال والحرام فنفخنا فيها من روحنا
أي أجرينا فيها روح المسيح وأمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك
النفخ عيسى في بطنها وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى وجعلناها وابنها
آية مفعول ثان للعالمين وإنما لم يقل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار
آيتين لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل والتقدير

وجعلناها آية وابنها آية كذلك فاية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من
قراء آيتين إن هذه أمتكم أمة واحدة الامة الملة وهي إشارة الى ملة الاسلام
وهي ملة جميع الانبياء وامة حال اي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه
اسم الاشارة اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها
يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وأنا ربكم فاعبدون اي ربيتكم اختيارًا
فاعبدوني شكرًا وافتخارًا والخطاب للناس كافة وتقطعوا أمرهم بينهم
اصل الكلام وتقطعتم الآن الكلام صرف الى الغيبة على طريق الالتفات
والمعنى وجعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا فصاروا فرقا واحزابا ثم توعدهم بان
هؤلاء الفرق المختلفة كل إلينا راجعون فنجازيهم على اعمالهم فمن يعمل من الصا
لحات شيئا وهو مؤمن بما يجب الايمان به فلا كفران لسعيه اي فان سعيه مشكور
مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه وقد نفي
نفي الجنس ليكون ابلغ وإنا له للسعي اي الحفظة بامرنا كاتبون في صحيفة عمله
فيثيبه به وحرام وحرم كوفي غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال وزنا
وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده على قرية أهلكناها اي اهلها أنهم
لا يرجعون والمعنى وممتنع على كل مهلك غير ممكن ان لا يرجع الى الله بالبعث
او وحرام على قرية اهلكناها اي قدرنا اهلاكها او حكمنا باهلاكهم ذاك وهو
المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور انهم
لا يرجعون اي لانهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام حتى هي التي يحكى بعدها الكلام
والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني إذا وما في حيزها فتحت يأجوج و
مأجوج اي فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى قرية فتحت شامي و
قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج
وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين
يفتح السد من كل حدب نشز من الارض اي ارتفاع ينسلون يسرعون واقترب
الوعد الحق اي القيمة وجواب اذا فإذا هي وهي اذا للمفاجات وهي تقع في المجازاة
ساد مسد الفاء كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على
وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهي شاخصة او اذا هي شاخصة كان سديدا
وهي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره شاخصة أبصار الذين كفروا اي

مرتفعة الاجفان لا يكاد تطرف من هول ما هم فيه يا ويلنا متعلق بمحذوف
تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون حال من الذين كفروا قد كنا في غفلة من
هذا اليوم بل كنا ظالمين بوضعنا العبادة في غير موضعها إنكم وما تعبدون
من دون الله يعني الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم حصب حطب وقرئ حطب جهنم أنتم لها واردون
فيها داخلون لو كان هؤلاء آلهة كما زعمتم ما وردوها ما دخلوا النار وكل
اي العابد والمعبود فيها في النار خالدون لهم للكفار فيها زفير انين و
بكاء وعويل وهم فيها لا يسمعون شيئا لانهم صاروا صما وفي السماع نوع فلم
يعطوا إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث
الاحسن وهي السعادة والبشرى بالثواب او التوفيق للطاعة نزلت جوابا لقول
ابن الزبعري عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش انكم وما تعبدون
من دون الله الى قوله خالدون اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح و
بنو مليح الملائكة على ان قوله وما تعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل الا
انهم اهل عناد فزيد في البيان أولئك يعني عزيرا والمسيح والملائكة عنها عن
جهنم مبعدون لانهم لا يرضوا بعبادتهم وقيل المراد بقوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى جميع المؤمنين لما روي ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال
انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف
وقال الجنيد سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية
لا يسمعون حسيسها صوتها الذي يحس وحركت تلهبها وهذه مبالغة في
الابعاد عنها اي لا يقربونها حتى يسمعوا صوتها وصوت من فيها وهم فيما اشتهت
أنفسهم من النعيم خالدون مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة لا يحزنهم
الفزع الأكبر اي النفخة الاخيرة وتتلقاهم الملائكة اي يستقبلهم الملائكة مهنئين
على ابواب الجنة يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي هذا وقت ثوابكم
الذي وعدكم ربكم في الدنيا العامل في يوم نطوي السماء لا يحزنهم او تتلقاهم
تطوى السماء يزيد وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها وهو ضد النشر اي نجمعها او
نطويها كطي السجل اي الصحيفة للكتب حمزة وعلي وحفص اي المكتوب بمعنى اي
لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وغيرهم للكتاب اي كما يطوي الطومار للكتابة اي ليكتب

فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم توقع على المطلوب وقيل
السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله عليه
الصلوة والسلام والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي مضاف الى
الفاعل وعلى الاول الى المفعول كما بدأنا اول خلق نعيده انتصب الكاف بفعل
مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأنا نعيده واول خلق ظرف
لبدأنا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في
المعنى واول الخلق ايجاده اي فكما اوجده اولا يعيده ثانيا تشبيها للاعادة بالابداء
في تناول القدرة لهما على السواء والتنكير في خلق مثله في قولك هو اول رجل جاءني
تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك
معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع وعدا مصدر
مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اي وعدا كائنا لا محالة انا كنا فاعلين
ذلك اي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الاعمال للخلاص من
هذه الاهوال ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر
التورية ان الارض اي المنتظر ثمها عبادي ساكنة الياء حمزة غيره بفتح الياء الصا
لحون اي امة محمد عليه الصلوة والسلام او الزبور بمعنى المزبور اي المكتوب يعني
ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح لان الكل اخذ منه
دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاء على جميع الزبر بمعنى المزبور والارض ارض
الجنة ان في هذا في القرآن او في المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد
والوعيد والمواعظ لبلاغا لكفاية واصله ما تبلغ به البغية لقوم عابدين
موحدين وهم امة محمد عليه الصلوة والسلام وما ارسلناك الا رحمة قال عليه الصلو
والسلام انما انا رحمة مهداة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم
يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها وقيل هو رحمة للمومن في الدارين
وللكافر في الدنيا بتاخير عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ورحمة مفعول له
او حال اي ذا رحمة قل انما انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد
قائم وانما يقوم زيد وفاعل يوحى الي انما الهكم اله واحد والتقدير يوحى الي
الي وحدانية الهي فيجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فيكون ما موصولة فهل
انتم مسلمون استفهام بمعنى الامر اي اسلموا فان تولوا عن الاسلام فقل آذنتكم

اعلمتكم

اعلمتكم ما امرت به على سواء حال اي مستوين في الاعلام به ولم اخصص بعضكم
وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
اي لا ادري متى يكون يوم القيمة لان الله لم يطلعني عليه ولكني اعلم بانه كائن
لا محالة او لا ادري متى يحل بكم العذاب ان لم تومنوا انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون اي انه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرون به من الطعن في
الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحقاد وهو مجازيكم عليه وان ادري
لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم
لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع لكم الى الموت ليكون ذلك حجة
عليكم قل رب احكم بالحق اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل او بما
يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال اشدد وطأتك على
مضر قال رب حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب احكم
يزيد ربي احكم زيد عن يعقوب وربنا الرحمن العاطف على خلقه المستعان
المطلوب منه المعونة على ما تصفون وعن ابن ذكوان بالياء كانوا يصفون الحال
على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان يكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله
ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وخذلهم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر
الساعة ووصفها باهول صفة بقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم لينظروا الى
تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها
من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى
الذي يومنهم من تلك الافزاع والزلزلة شدة التحريك والازعاج واضافة الزلزلة
الى الساعة اضافة المصدر الى فاعله كانها هي التي تزلزل الارض على المجاز الحكمي
او الى الظرف لانها تكون فيها كقوله بل مكر الليل والنهار ووقتها يكون يوم
القيمة او عند طلوع الشمس من مغربها ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم
شيئا فان هذا اسم لها حال وجودها وانتصب يوم ترونها اي الزلزلة او الساعة
بقوله تذهل تغفل والذهول الغفلة كل مرضعة عما ارضعت عن ارضاعها

اوعن الذي ارضعته وهو الطفل وقيل مرضعة لبيد لعلي ان ذلك الهول اذا
حدث وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة اذ المرضعة
هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان
لم تباشر الارضاع في حال وصفها به وتضع كل ذات حمل اي حبلى حملها ولدها
قبل تمامه عن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما
في بطنها لغير تمام وترى الناس ايها الناظر سكارى على التشبيه لما شاهدوا
بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي نفسي نفسي
وما هم بسكارى على التحقيق ولكن عذاب الله شديد فخوف عذاب الله هو الذي
اذهب عقولهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وعن الحسن وترى
الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب سكرى فيهما بالامالة
حمزة وعلي وهو كعطشى في عطشان روي انه نزلت الايتان ليلا في غزوة
بني المصطلق فقرأهما النبي عليه الصلوة والسلام فلم نر اكثر باكيا من تلك
الليلة ومن الناس من يجادل في الله في دين الله بغير علم حال نزلت في النضر
بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
والله غير قادر على احياء من بلي او هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى
ويتبع في ذلك كل شيطان مريد عات مستمر في الشر ولا وقف على مريد لان
ما بعده صفة كتب عليه قضي على الشيطان انه ان الامر والشان وهو فاعل
كتب من تولاه تبعه اي تبع الشيطان فانه فان الشيطان يضله عن سواء السبيل
ويهديه الى عذاب السعير في النار قال الزجاج الفاء فانه للعطف وانه مكرر
للتاكيد ورد عليه ابو علي وقال ان من ان كان للشرط فالفاء دخلت لجزاء الشرط
وان كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتداء او التقدير فالامر انه يضله
قال والعطف والتاكيد يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال
من تولاه وهدايته الى النار ثم الزم الحجة على منكري البعث فقال يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث يعني ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا
في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابا وماء وليس سبب انكاركم البعث الا
هذا وهو صيرورة الخلق ترابا وماء فانا خلقناكم اي اباكم من تراب ثم خلقتم
من نطفة ثم من علقة اي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة

المخلقة

المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة
منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما على عكس ذلك فيتبع ذلك
التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم و
نقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم
بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا
ثم من نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر ان يجعل النطفة علقة
والعلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه ونقر بالرفع عند
غير المفصل مستانف بعد وقف اي نحن نثبت في الارحام ما نشاء ثبوته الى
اجل مسمى اي وقت الولادة وما لم نشاء ثبوته اسقطته الارحام ثم نخرجكم
من الرحم طفلا حال واريد به الجنس فلذا لم يجمع او اريد به ثم يخرج كل واحد
منكم طفلا ثم لتبلغوا تقديره ثم نربيكم لتبلغوا اشدكم كمال عقلكم وقوتكم و
هو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد
او قبله او بعده ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني اخسه يعني الهرم والخرف
لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي لكيلا يعلم شيئا من بعد ما كان يعلمه او لكيلا
يستفيد علما وينسى ما كان عالما به ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال وترى الارض
هامدة ميتة يابسة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وربا نبت حيث كان يزيد ارتفعت وانبتت من كل زوج صنف بهيج حسن سار
للناظر اليه ذلك مبتدا خبره بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني
آدم واحياء الارض معما في تضاعف ذلك من اصناف الحكم حاصل بهذا وهو ان الله
هو الحق اي الثابت الموجود وانه يحيي الموتى كما احيا الارض وانه على كل شيء
قدير قادر وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي انه
حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ومن
الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير
علم اي ضروري ولا هدى اي استدلالي لانه يهدي الى المعرفة ولا كتاب منير اي
وحي والعلم للانسان من احد هذه الوجوه الثلاثة ثاني عطفه حال اي لاويا
عنقه عن طاعة الله كبرا وخيلاء ليضل تعليل للمجادلة مكي وابو عمرو عن سبيل
الله دينه له في الدنيا خزي اي القتل يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق

اي جمع له عذاب الدارين ذلك بما قدمت يداك اي السبب في عذاب الدارين
هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد لان اليد آلة الكسب و
ان الله ليس بظلام للعبيد فلا يأخذ احدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف
على بما اي وبان الله وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو
العبيد ولان قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا ومن الناس
من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم
على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة وهو حال اي مضطربا فان
اصابه خير صحة في جسمه وسعة في معيشته اطمان به سكن واستقر بالخير
الذي اصابه وبالدين فيعبد الله وان اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق في
معيشته انقلب على وجهه جهته اي ارتد ورجع الى الكفر كالذي يكون على
طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه
قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة مهاجرين فكان احدهم اذا صح بدنه و
نتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال
ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال
ما اصبت الا شرا وانقلب على دينه خسر الدنيا والآخرة حال وقد مقدرة دليله
قراءة روح وزيد خاسر الدنيا والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود
في النار ذلك اي خسران الدارين هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى
على احد يدعو من دون الله يعني الصنم فانه بعد الردة يفعل ذلك ما لا يضره
ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده ذلك هو الضلال البعيد عن الصواب
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه والاشكال انه تعالى نفى الضر والنفع عن
الاصنام قبل هذه الآية واثبتهما لها هنا والجواب ان المعنى اذا فهم ذهب هذا
الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو
يعتقد فيه انه ينفعه ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين
يرى استضراره بالاصنام ولا يرى اثر الشفاعة لمن ضره اقرب من نفعه لبئس
المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب وكرر يدعو كانه قال يدعو من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه
شفيعا ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها

الانهار

الانهار ان الله يفعل ما يريد هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد
الله على حرف من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة المعنى ان
الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من اعاديه غير ذلك فليمدد بسبب
الى السماء اي سماء بيته ثم ليقطع ثم ليختنق به وسمي الاختناق قطعا لان
المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وبكسر اللام بصري وشامي فلينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ اي يغيظه او ما مصدرية اي غيظه والمعنى فليصور في نفسه
انه اذا فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي فعله كيدا على سبيل
الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما
ليس بمذهب لما يغيظ وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن
كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي من يريد اي ولان الله يهدي به
الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا او يزيدهم هدى انزله كذلك مبينا
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع
من النصارى فلا يكون ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيمة في الاحوال
والاماكن فلا يجازيهم جزاء واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر ان الذين
امنوا ان الله يفصل بينهم كما يقول ان زيدا ان اباه قائم ان الله على كل شيء شهيد
عالم به حافظ فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم
تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان ان الله يسجد له من في السموات ومن في
الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل ان الكل
يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقيل سميت مطاوعته غير المكلف له فيما يحدث
فيه من افعاله وتسخيره له سجودا له تشبيها لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل
خضوع دونه وكثير من الناس اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
او هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه
قوله وكثير حق عليه العذاب اي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود
ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم بالسعادة ان الله يفعل ما يشاء
من الاكرام والاهانة وغير ذلك وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة

قولهم لانهم يقولون شاء اشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء هذان
خصمان اي فريقان مختصمان فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله اختصموا
للمعنى وهذان للفظ والمراد المؤمنون والكافرون قال بن عباس رضي الله عنهما
رجع الي اهل الاديان المذكورة بالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم في ربهم
في دينه وصفاته ثم بين جزاء كل خصم بقوله فالذين كفروا وهو فصل الخصومة
المعني بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم ثياب من نار كان الله
يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما يقطع الثياب الملبوسة و
اختير لفظ الماضي لانه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق يصب من فوق
رؤسهم بكسر الهاء والميم بصري وبضمهما حمزة وعلي وخلف وبكسر الهاء و
ضم الميم غيرهم الحميم الماء الحار عن بن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه
نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر به يذاب بالحميم ما في بطونهم و
الجلود اي يذيب امعائهم واحشائهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر و
الباطن ولهم مقامع سياط مختصة بهم من حديد يضربون بها كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من النار من غم بدل الاشتمال من منها باعادة الجار او الاولى
لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل يعني كلما ارادوا الخروج من النار من
اجل غم يلحقهم فخرجوا والعامل في كلما اعيدوا فيها بالمقامع ومعنى الخروج
عند الحسن ان النار يضربهم بلهبها فتلقيهم الي اعلاها فضربوا بالمقامع
فهووا فيها سبعين خريفا فالمراد اعادتهم الي معظم النار لا انهم ينفصلون
عنها بالكلية ثم يعودون اليها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق
هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ثم ذكر جزاء الخصم الاخر فقال
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
يحلون فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب ولؤلؤا بالنصب
مدني وعاصم وعلي ويؤتون لؤلؤا او بالجر غيرهم عطفا على من ذهب ويترك
الهمزة الاولى في كل القران ابو بكر ولباسهم فيها حرير ابريسم وهدوا الى الطيب
من القول وهدوا الى صراط الحميد اي ارشد هؤلاء في الدنيا الي كلمة التوحيد
والي صراط الحميد الاسلام او هديهم الله في الاخرة والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وهداهم الي طريق الجنة والحميد الله المحمود بكل لسان ان الذين كفروا

ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن الدخول في الاسلام ويصدون حال
من فاعل كفروا اي وهم يصدون اي الصد منهم مستمر دائم كما يقال فلان
يحسن الي الفقراء فانه يراد به استمرار وجود الاحسان منه لا الحال والاستقبال
والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه الذي جعلناه للناس
مطلقا من غير فرق بين حاضر و باد فان اريد بالمسجد الحرام مكة وفيه دليل
على انه لا يباع دور مكة وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس سواء
حفص مفعول ثان لجعلناه اي جعلناه مستويا العاكف المقيم فيه والباد
وغير المقيم بالياء مكي وافقه ابو عمرو و في الوصل وغيره بالرفع على انه خبر
والمبتدأ مؤخر اي العاكف فيه والباد سواء والجملة مفعول ثان وللناس حال
ومن يرد فيه في المسجد الحرام بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك
ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما
فالالحاد العدول عن القصد نذقه من عذاب اليم في الاخرة وخبر ان محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام
نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت واذكر يا محمد حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا
يرجع اليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الي السماء ايام الطوفان وكان م
من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها فكنست مكان البيت فبنا
على ابنية القديم ان هي المفسرة للقول المقدر اي قائلين له لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي من الاصنام والاقذار وبفتح الياء مدني وحفص للطائفين لمن
يطوف به والقائمين والمقيمين بمكة والركع السجود اي المصلين جمع راكع و ساجد
واذن في الناس بالحج نادفيهم والحج هو القصد البليغ الي مقصد منيع روي
انه صعد ابي قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من يدل له ان يحج
من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلي
الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع والاول اظهر وجواب الامر ياتوك
رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وعلي كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قال
رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة
المشاة كما ورد في الحديث ياتين صفة لكل ضامر لانه في معني الجمع وقرا عبد الله ياتون

يأتو نصفة للرجال والركبان مِن كُلِّ فَجٍّ طريق عَمِيقٍ بعيد قال محمد بن ياسين
قال لي شيخ في الطواف من اين انت قلت من خراسان قال كم بينكم وبين البيت
قلت مسيرة شهرين او ثلاثة قال فانتم جيران البيت فقال انت من اين جئت
قال من مسيرة خمس سنوات خرجت وانا شاب فاكتهلت قلت هذه والله هي
الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فضحك وقال زر من هويت وان شطت
بك الدار وحال من دونه حجب واستار لا يمنعنك بعد من زيارته ان المحب
لمن يهواه زوار واللام في لِيَشْهَدُوا ليحضروا متعلق باذن او بياتونك
مَنَافِعَ لَهُمْ نكرها لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية لا توجد في غيرها
من العبادات وهذا لان العبادة شرعت للابتلاء بالنفس كالصلوة والصوم
او بالمال كالزكوة وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال وركوب الاهوال
وبخلع الاسباب وقطيعة الاصحاب وهجرة البلاد والاوطان وفرقة الاولاد
والخلان والتنبيه على ما يستمر عليه اذا انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فالحاج
اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده ولا يأكل الا من زاده فكذا المرء اذا
خرج من شاطئ الحيوة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته الا ما سعى في معاشه
لمعاده ولا يونس وحشة الاماكن بانس به من او راده وغسل من يحرم وتاهبه
ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سياتي عليه من وضعه على سرير لغسله و
تجهيز مطيبا بالحنوط ملفقا في كفن غير مخيط ثم المحرم يكون اشعث بحيران
فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغبا و
رهبا سائلين خوفا وطمعا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات لا
تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد والافاضة الى المزدلفة بالمساء هو
السوق لفصل القضاء ومنا هو موقف المنى للمذنبين الى شفاعة الشافعين
وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف والبيت
الحرام الذي من دخله كان آمنا من الايذاء والقتال   لدار السلام التي
من نزلها بقي سالما من الفناء والزوال غير ان الجنة حفت بمكاره النفس العادية
كما ان الكعبة حفت بمتالف البادية فرحبا بمن جاوز مهالك البوادي شوقا الى
اللقاء يوم التنادي وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عند الذبح فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ هي عشر ذي
الحجة عند ابي حنيفة رضي الله عنه واخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنه

واكثر المفسرين وعند صاحبيه هي ايام النحر وهو قول ابن عمر عَلَى مَا رَزَقَهُمْ
مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ اي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل
ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز
فَكُلُوا مِنْهَا من لحومها والامر للاباحة ويجوز الاكل من هدي التطوع و
المتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية ولا يجوز الاكل من بقية
الهدايا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الذي اصابه بؤس اي شدة الْفَقِيرَ الذي اضعفه الاعسار
ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ثم ليزيلوا عنهم ادرانهم كذا قاله نفطويه وقيل قضاء التفث
قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ والمراد
قضاء ازالة التفث وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم قضاء التفث
مناسك الحج كلها   مواجب حجهم والعرب يقول لكل من خرج
عما وجب عليه وفا بنذره وان لم ينذره او ما ينذرونه من اعمال البر في حجهم
وليوفوا بسكون اللام والتشديد ابو بكر   طواف الزيارة الذي هو
ركن الحج ويقع به تمام الحج التحلل اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عامر
وابي عمرو   القديم لانه اول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده
ابراهيم او الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق الخروج من ذل
العبودية الى كرم الحرية او لانه اعتق من الغرق لانه رفع من الطوفان او من
ايدي الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله او من الملاك فلم يملك
قط وهو مطاف اهل الغبراء كما ان العرش مطاف اهل السماء فان الطالب اذا
هاجته مبيعة الطرب وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الارض ويعلو
ويتخذ مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت لم يزده التسلي به الا اشتياقا
ولم يهده التشفي باستلام الحجر الا احتراقا فيذبه الاسف لهفان ويرده
اللهف حوله في الدوران وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث واولها
الاحرام وهو عقد التزام تشبيه الاعتصام بعروة الاسلام حتى لا يرفض
بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عهده مع ما يفسد وينافيه كما ان عقد الاسلام
لا ينحل بازدحام الاثام ويرتفع المغفرة بتوبة وثانيها الوقوف بعرفات
بسمة الابتهال في صفة الاهتبال فصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مرآة
الاعمال وشواهد الاحوال   خبر مبتداء محذوف اي الامر ذلك او تقديره

حل

ليفعلوا ذلك ومن يعظم حرمات الله ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز و
جل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه
ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر
الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام فهو اي التعظيم خير له
عند ربه ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والمقام بمراعاتها
واحلت لكم الانعام اي اكلها الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله حرمت
عليكم الميتة الاية والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام الا ما بين في كتابه
فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئا مما احل كتحريم البعض البحيرة ونحوها
ولا تحلوا ما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغيرهما ولما حث على تعظيم
حرماته اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور بقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان واجتنبوا قول الزور لان ذلك من اعظم الحرمات واسبقها
ومن الاوثان بيان للرجس لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا
الرجس الذي هو الاوثان وسمى الاوثان رجسا على طريق التشبيه يعني انكم
كما تنفرون بطباعكم من الرجس فعليكم ان تنفروا عنها وجمع بين الشرك
وقول الزور اي الكذب والبهتان او شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف
لان الشرك من باب الزور اذ المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة حنفاء لله
مسلمين غير مشركين به حال كحنفاء ومن يشرك بالله فكانما خر سقط من
السماء الى الارض فتخطفه الطير اي تستلبه بسرعة فتخطفه اي يتخطفه مدني
او تهوي به الريح اي تسقط والهوي السقوط في مكان سحيق بعيد يجوز ان يكون
هذا تشبيها ويجوز ان يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك
بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من
السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت
به في بعض المهالك البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء
والذي اشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة
والشيطان الذي يوقعه في الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في المهاوي
المتلفة ذلك اي الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله تعظيم الشعائر وهي الهدايا
لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان فانها

من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت
هذه المضافات وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى لكم فيها منافع
من الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند الضرورة الى اجل مسمى الى ان
تنحر ثم محلها الى وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت العتيق والمراد
نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت اذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع
قولك بلغت البلد وانما اتصل مسيرك بحدوده وقيل الشعائر المناسك كلها
وتعظيمها اتمامها ومحلها الى البيت العتيق يا باه ولكل امة جماعة مؤمنة
قبلكم جعلنا منسكا حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة اي موضع
قربان وغيرهما بالفتح على المصدر اي اراقة الدماء وذبح القرابين ليذكروا
اسم الله دون غيره على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند نحرها وذبحها
فالهكم اله واحد اي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد وفيه
دليل ان ذكر اسم الله شرط للذبح يعني ان الله شرع لكل امة ان ينسكوا له اي
يذبحوا له على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه
على المناسك فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالما اي خالصا
لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين المطمئنين بذكر الله او المتواضعين خاشعين
من الخبث وهو المطمئن من الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين لا
يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقيل تفسيره ما بعده الذين اذا ذكر الله وجلت
خافت قلوبهم منه هيبة والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب
والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والبدن
جمع بدنة سميت لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل والبقر وقرئ برفعها
وهو كقوله والقمر قدرناه جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام الشريعة
التي شرعها الله واضافتها الى اسم الله تعظيم لها ومن شعائر الله ثاني مفعولي
جعلنا لكم فيها خير النفع في الدنيا والاجر في العقبى فاذكروا اسم الله عليها
عند نحرها صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن
فاذا وجبت جنوبها وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط اذا سقط
جنوبها على الارض بعد نحرها وسكنت حركتها فكلوا منها ان شئتم واطعموا
القانع السائل من قنعت اليه اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر الذي يريك

نفسه ولا يتعرض ولا يسال وقيل القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير
سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال كذلك سخرناها لكم
اي كما امرنا بنحرها سخرناها لكم وهو كقوله ذلك ومن يعظم ثم استانف فقال
سخرناها لكم ذللناها لكم مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها لعلكم
تشكرون لكي تشكروا انعام الله عليكم لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم اي لن يتقبل الله اللحم والدماء ولكن يتقبل التقوى
او لن يصيب رضاء الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد
اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون الا بمراعاة
النية والاخلاص ورعاية شروط التقوى وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا
البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوا بالدم فلما حج المسلمون ارادوا امثال ذلك
فنزلت كذلك سخرناها لكم اي البدن لتكبروا الله لتسموا الله عند الذبح
او لتعظموا الله على ما هديكم على ما ارشدكم اليه وبشر المحسنين الممتثلين اوامره
بالثواب ان الله يدافع مكي وبصري وغيرهما يدافع اي يبالغ في الدفع عنهم عن
الذين امنوا اي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه انا لننصر رسلنا والذين
امنوا ثم علل ذلك بقوله ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمة الله
اي لانه لا يحب اضدادهم الخونة الكفرة يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم
ويكفرون نعم الله ويغمطونها اذن مدني وبصري وعاصم للذين يقاتلون
بفتح التاء مدني وشامي وحفص والمعنى اذن لهم في القتال فحذف الماذون
فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا
يأتون رسول الله من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا
فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي اول آية اذن فيها بالقتال
بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم على نصر المؤمنين لقدير
قادر وهي بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين امنوا
الذين في محل جر بدل من الذين او نصب باعني او رفع باضمارهم اخرجوا من ديارهم
بمكة بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله اي بغير موجب سوى التوحيد الذي
ينبغي ان يكون موجب التمكين لا موجب الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا ان

امنا بالله ومحل ان يقولوا جر بدلا من حق والمعنى ما اخرجوا من ديارهم الا بسبب
قولهم ولولا دفع الله دفاع مدني ويعقوب الناس بعضهم ببعض لهدمت
وبالتخفيف حجازي صوامع وبيع وصلوات ومساجد اي لولا اظهاره و
تسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة
في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات اي كنائس وسميت الكنيسة صلوة لانها يصلى فيها
ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون في امة محمد عليه الصلوة والسلام على
المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقدم غير
المساجد عليها لتقدمها وجودا او لقربها من التهديم يذكر فيها اسم الله
كثيرا في المساجد او في جميع ما تقدم ولينصرن الله من ينصره اي ينصر
دينه واولياءه ان الله لقوي على نصر اوليائه عزيز على انتقام اعدائه الذين
محله نصب بدل من من ينصره او جر تابع للذين اخرجوا ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هو اخبار
من الله عما سيكون عليه سيرة المهاجرين ان مكنهم في الارض وبسط لهم في
الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وفيه دليل صحة خلافة الخلفاء الراشدين
لان الله تعالى اعطاهم التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة وعن الحسن
هم امة محمد عليه الصلوة والسلام ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه و
تقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك
هذه تسلية لمحمد عليه الصلوة والسلام من تكذيب اهل مكة اياه اي لست باوحدي
في التكذيب فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا وعاد هودا وثمود
صالحا وقوم ابراهيم ابراهيم وقوم لوط لوطا واصحاب مدين شعيبا وكذب
موسى كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لان قوم موسى بنو اسرائيل
وانما كذبه غير قومه او كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب
موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين امهلتهم
واخرت عقوبتهم ثم اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف كان نكير انكاري و
تغييري حيث ابدلتهم بالنعم نقما وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا نكيري بالياء
في الوصل والوقف في الوصل والوقف يعقوب فكاين من قرية اهلكناها اهلكها

بصري وهي ظالمة حال اي واهلها مشركون فهي خاوية ساقطة من خوي النجم اذا
سقط على عروشها يتعلق بخاوية والمعني انها ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها
على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ولا محل لفهي خاوية
من الاعراب لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وهذا اذا
جعلنا كاين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القري اهلكناها وبئر معطلة
اي متروكة لفقد دلوها ورشايها ورفض تفقدها او هي عاملة فيها الماء
ومعها الآت للاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقي منها لهلاك اهلها
وقصر مشيد مجصص من الشيد الجص او مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه
والمعني كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن
ساكنيه اي اهلكنا البادية والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها والابار
عن ورادها والاظهر ان البئر والقصر على العموم افلم يسيروا في الارض
حث على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا
فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها اي يعقلون ما يجب
ان يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور الضمير في فانها ضمير القصة
او ضمير مبهم يفسره الابصار اي فما عميت ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم عن
الاعتبار ولكل انسان اربعة اعين عينان في رأسه وعينان في قلبه فان ابصر
ما في القلب وعمي ما في الراس لم يضره وان ابصر ما في الرأس وعمي ما في القلب
لم ينفعه وذكر الصدور لبيان ان محل العلم القلب ولئلا يقال ان القلب
يعني به غير هذا العضو كما يقال القلب لب لكل شيء ويستعجلونك بالعذاب
الاجل استهزاء ولن يخلف الله وعده كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون
الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله لا يخلف الميعاد
وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
يعدون مكي وكوفي غير عاصم اي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام
واحد من ايام عذابه في طوله الف سنة من سنيكم لان ايام الشدايد طوال
وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين
قد انظرتهم حينا ثم اخذتها بالعذاب والي المصير اي المرجع الي فلا يفوتني

شي

٢٧٢

شي وانما كانت الاولي اي فكاين معطوفة بالفاء وهذه اي وكاين بالواو
لان الاولي وقعت بدلا عن فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها
من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند
ربك قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين وانما لم يقل بشير ونذير
لذكر الفريقين بعده لان الحديث مسوق الي المشركين ويا ايها الناس نداء
لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون
وثوابهم ليغاظوا او تقديره نذير مبين وبشير فبشر اولا فقال فالذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي حسن ثم انذر
فقال والذين سعوا سعي في امر فلان اذا افسده بسعيه في اياتنا اي القرآن
معاجزين حال معجزين حيث كان مكي وابو عمرو وعاجزه سابقه لان كل واحد
منهما في طلب اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه فالمعني
سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا او شعرا واساطير
مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم اولئك
اصحاب الجحيم اي النار الموقدة وما ارسلنا من قبلك من لابتداء الغاية من
رسول من زيادة لتاكيد المنفي ولا نبي هذا دليل بين على ثبوت التغاير
بين الرسول والنبي بخلاف ما يقوله البعض انهما واحد وسئل النبي عليه
الصلوة والسلام عن الانبياء عليهم السلام فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر والفرق بينهما ان الرسول
من جمع الي المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي من لم ينزل عليه كتاب وانما امر
ان يدعو الي شريعة من قبله وقيل الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره
الا اذا تمني قرأ قال تمني كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل القى
الشيطان في امنيته تلاوته قالوا انه عليه الصلاة والسلام نادي قومه يقرأ
والنجم فلما بلغ قوله ومنات الثالثة الاخري جري على لسانه تلك الغرانيق
العلى فان شفاعتهن لترتجي ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه
قيل نبهه جبرائيل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان وهذا القول
غير مرضي لانه لا يخلو اما ان تكلم النبي عليه الصلوة والسلام بها عمدا وانه لا
يجوز لانه كفر ولانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها او اجري الشيطان ذلك

منون

على لسان النبي عليه الصلوة والسلام جبراً بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهو
ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره بقوله ان عبادي ليس لك
عليهم ففي حقه اولي او جري ذلك على لسانه سهواً او غفلة وهو مردود ايضا
لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل
الاعتماد على قوله ولانه تعالي قال في صفة المنزل عليه لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما
بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه عليه الصلوة والسلام
سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخري فتكلم الشيطان بهذه الكلمات
متصلا بقراءة النبي عليه الصلوة والسلام فوقع عند بعضهم انه عليه الصلوة
والسلام هو الذي تكلم بها ويكون هذا القا في قراءة النبي عليه الصلوة و
السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه الصلوة والسلام ويسمع
كلامه فقد روي انه نادي يوم احد الا ان محمداً قد قتل وقال يوم بدر
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فينسخ الله ما يلقي الشيطان
اي يذهب به ويبطله ويخبر انه من الشيطان ثم يحكم الله اياته اي يثبتها و
يحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان والله عليم بما اوحي الي نبيه وبقصد
الشيطان حكيم لا يدعه حتي يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالي
به قوماً بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في قلوبهم
مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم هم المشركون المكذبون فيزدادوا
به شكا وظلمة وان الظالمين اي المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر
موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق وليعلم
الذين اوتوا العلم بالله وبدينه وبالايات انه ان القران الحق من ربك
فيؤمنوا به بالقران فتخبت فتطمئن له قلوبهم وان الله لهادي الذين
امنوا الي صراط مستقيم فيتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة
ويطلبوا لما اشكل منه المحتمل الذي يقتضيه الاصول المحكمة حتي لا يلحقهم حيرة
ولا يعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا في مرية شك منه من القران او
من الصراط المستقيم حتي تاتيهم الساعة بغتة فجاءة او ياتيهم عذاب
يوم عقيم يعني يوم بدر فهو عقيم عن ان يكون للكافرين فيه فرح او راحة

كالريح العقيم لا تاتي بخير او شديد لا رحمة فيه او لا مثل له في عظم امره
لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد بالساعة مقدماته
الملك يومئذ اي يوم القيمة والتنوين عوض عن الجملة اي يوم يؤمنون
او يوم يزول مريتهم لله فلا منازع له فيه يحكم بينهم اي يقضي ثم بين
حكمه فيهم بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم و
الذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ثم خص قوماً من
الفريق الاول بفضيلة فقال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا من اوطانهم
مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد قتلوا شامي او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم
الله رزقاً حسناً قيل الرزق الحسن الذي لا ينقطع ابداً وان الله لهو خير الرازقين
لانه المخترع للخلق بلا امثال المتكفل للرزق بلا املال ليدخلنهم مدخلاً
وبفتح الميم مدني والمراد الجنة يرضونه لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وان الله لعليم باحوال من قضي نحبه مجاهداً واحوال من مات وهو ينتظر
معاهداً حليم بامهال من قاتلهم معانداً روي ان طوايف من اصحاب النبي عليه
الصلوة والسلام قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من
الخير ونحن نجاهد كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين
ذلك اي الامر ذلك وما بعده مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به سمي الابتداء
بالجزاء للملابسة له من حيث انه سبب وذلك مسبب عنه ثم بغي عليه لينصرنه
الله اي من جازي بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق علي الله ان ينصره
ان الله لعفو يمحو اثار الذنوب غفور بستر انواع العيوب وتقريب الوصفين
بسياق الاية ان المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله
فمن عفي واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوي فحين لم يؤثر ذلك و
انتصر فهو تارك للافضل فكانه مذنب ومعني العفو انه لا يلومه على ترك
الافضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي
عليه وعرض ذلك بما كان اولي به من العفو بذكر هاتين الصفتين او دل
بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر
على ضده لما قيل العفو عند القدرة ذلك بان الله يولج الليل في النهار و
يولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اي ذلك النصر للمظلوم بسبب

انه قادر على ما يشاء ومن آيات قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل اي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا او بسبب انه خالق الليل
والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير و
الشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وان
اختلفت في النهار الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستتر
عنه شيء بشيء في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو الحق وان ما
يدعون عراقي غير ابي بكر من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير
اي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار واحاطته بما يجري فيهما وادراكه كل قول
وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة
وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء
مطرا فتصبح الارض مخضرة بالنبات بعد ان كانت مسودة يابسة وانما
صرف الى لفظ المضارع ولم يقل فاصبحت ليفيد بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان
كما يقول انعم علي فلان فاروح واغدو شاكرا له فلو قلت فرحت وغدوت لم
يقع ذلك الموقع وانما رفع فتصبح ولم ينصب جوابا للاستفهام لانه لو نصب
لبطل الغرض وهذا لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي
الاخضرار كما يقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته نفيت
شكره فشكرت من تفريطه فيه وان رفعته اثبت شكره ان الله لطيف واصل علمه
او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم او اللطيف المختص بدقيق
التدبير الخبير المحيط بكل قليل وكثير له ما في السموات وما في الارض ملكا
وملكا وان الله لهو الغني المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في السموات وما
في الارض الحميد المحمود بنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الارض الم تر
ان الله سخر لكم ما في الارض من البهائم مذللة للركوب في البر والفلك
تجري في البحر بامره اي ومن المراكب جارية في البحر ونصب الفلك عطفا على
ما وتجري حال لها وسخر لكم الفلك في حال جريها ويمسك السماء ان تقع على
الارض اي يحفظها من ان تقع الا باذنه اي بامره او بمشيته ان الله بالناس
لرءوف بتسخير ما في الارض رحيم بامساك السماء لئلا يقع على الارض عدد
الاء مقرونة باسمائه ليشكروه على الآية ويذكروه باسمائه وعن ابي حنيفة رضي

الله

الله عنه ان اسم الله الاعظم في الايات الثماني يستجاب بقاريها البتة وهو
الذي احياكم في ارحام امهاتكم ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم
لايصال الجزاء كمان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم
ودفع عنه صنوف النقم او لا يعرف نعمة الانشاء المبدي للوجود ولا الافناء
المقرب الى الموعود ولا الاحياء الموصل الى المقصود لكل امة اهل دين جعلنا
منسكا مر بيانه وهو رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة
كل امة هم ناسكوه عاملوه به فلا ينازعنك فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت
الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك في الامر امر الذبائح او الدين حين نزلت
قال المشركون للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعني
الميتة وادع الناس الى ربك الى عبادة ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق
قويم ولم يذكر الواو في لكل امة بخلاف ما تقدم لان تلك وقعت مع ما يناسبها
من الاي الواردة في امر النسايك فعطفت على اخواتها وهذه وقعت مع ما بعد
عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك مراء وتعنتا كما يفعله السفهاء بعد
اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فقل الله اعلم بما تعملون
اي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول فالمعنى ان الله اعلم باعمالكم وبما تستحقون
عليها من الجزاء فهو يجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين وتاديب
يجاب به كل متعنت الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون
هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب
وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم الم تعلم ان الله يعلم
ما في السماء والارض اي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه
يعلم كل ما يحدث في السموات والارض ان ذلك الموجود فيهما في كتاب في
اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اي علمه بجميع ذلك عليه يسير ثم اشار
الى جهالة الكفار بعبادتهم غير المستحق لها بقوله ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به ينزل مكي وبصري سلطانا حجة وبرهانا وما ليس لهم به علم
اي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها
دليل عقلي وما للظالمين من نصير وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من
احد ينصرهم ويصوب مذهبهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران

تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار بالعبوس والكراهة والمنكر
مصدر يكادون يسطون يبطشون والسطو الوثب والبطش بالذين
يتلون عليهم اياتنا هم النبي واصحابه قل افانبئكم بشر من ذلكم من
غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب
ما تلي عليكم النار خبر مبتداء محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار اي
هو النار وعدها الذين كفروا استيناف كلام وبئس المصير النار ولما كانت
دعواهم بان الله تعالى شريكا جارية في الغرابة والشهرة مجرى الامثال المسيرة
قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل بين فاستمعوا له لضرب هذا المثل ان
الذين تدعون يدعون سهل ويعقوب من دون الله آلهة لن يخلقوا ذبابا
ذبابا لن لتاكيد نفي المستقبل وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب
منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه
واستقذاره وسمي ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره ولو
اجتمعوا له لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كانه قال مستحيل منهم ان
يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا
من ابلغ ما انزل اليه في تجهيل قريش حيث وصفوا بالالهية الذي يقتضي
الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا و
تماثيل يستحيل منها ان يقدروا على اقل ما خلقه الله واذله ولو اجتمعوا لذلك
وان يسلبهم الذباب شيئا شيئا ثاني مفعولي يسلبهم لا يستنقذوه منه اي هذا
الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا
عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فاذا
سلبه الذباب عجز الاصنام عن اخذه ضعف الطالب اي الصنم يطلب ما سلب منه
والمطلوب الذباب يطلب ما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو
حققت وجدت الطالب اضعف واضعف فالذباب حيوان وهو جماد وهو غالب
وذلك مغلوب ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا
الصنم الضعيف شريكا له ان الله لقوي عزيز اي ان الله قادر غالب فكيف يتخذ
العاجز المغلوب شبيها به او لقوي بنصر اوليائه عزيز ينتقم من اعدائه الله
يصطفي يختار من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل واسرافيل وغيرهم ومن

الناس

الناس رسلا كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام هذا
رد لمن انكروا من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين
ملك وبشر وقيل نزلت حين قالوا ءانزل عليه الذكر من بيننا ان الله سميع
لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته او سميع لاقوال الرسل فيما يقبله العقول بصير
باحوال الامم في الرد والقبول يعلم ما بين ايديهم ما مضى وما خلفهم ما لم يأت
او ما عملوه وما سيعملونه او امر الدنيا وامر الآخرة والى الله ترجع الامور اي اليه مرجع
الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض
عليه في حكمه وتدبيره واختيار رسله يرجع شامي وحمزة وعلي يا ايها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا في صلوتكم وكانوا اول ما اسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فامروا
ان يكون صلوتهم بركوع وسجود وفيه دليل على ان الاعمال ليست من الايمان وان
هذه السجدة للصلوة لا للتلاوة واعبدوا ربكم واقصدوا بركوعكم وسجودكم
وجه الله لا الصنم وافعلوا الخير قيل لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات
دعي المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى واقم الصلوة لذكري
ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج وغيرهما ثم عم بالحث على سائر الخيرات و
قيل اريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي كي تفوزوا و
افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلمون على اعمالكم و
جاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر او هو كلمة حق
عند امير جائر في الله اي في ذات الله ومن اجله حق جهاده ان لا يخاف في الله لومة
لائم يقال هو حق عالم وجد عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده وكان القياس حق
الجهاد فيه او حق جهادكم فيه لكن الاضافة تكون ادنى ملابسة واختصاص فلما
كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه
ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم
لدينه ونصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم
من الطهارة والصلوة والصوم والحج بالتيمم والايماء والقصر والافطار بعذر
والمرض وعدم الراحلة ملة ابيكم ابراهيم اي اتبعوا ملة ابيكم او نصب على
الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم سماه ابا وان لم يكن ابا للامة كلها لانه
ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده

قال عليه الصلوة والسلام انما انا لكم مثل الوالد هو سماكم المسلمين اي
الله بدليل قراءة ابي الله سماكم من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في
القرآن اي فضلكم على سائر الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول عليكم
شهيدا انه قد بلغكم رسالة ربكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل رسالات
الله اليهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاقيموا الصلوة بواجباتها وآتوا
الزكوة بشرائطها واعتصموا بالله وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلوة والزكوة هو
مولاكم مالككم وناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى حيث لم يمنعكم رزقكم
بعصيانكم ونعم النصير اي الناصر هو حيث اعانكم على طاعتكم وقد افلح من
هو مولاه وناصره

قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه وكان المؤمنون
يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على
ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب اي فازوا بما طلبوا
ونجوا عما هربوا والايمان في اللغة التصديق والمؤمن المصدق لغة وفي الشرع كل من
نطق بالشهادتين مواطيا قلبه لسانه فهو مؤمن قال عليه الصلوة والسلام خلق
الله تعالى الجنة فقال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون ثلاثا انا حرام على كل بخيل
مراء لانه بالرياء ابطل العبادات البدنية وليس له عبادة مالية الذين هم في صلو
تهم خاشعون خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح وقيل الخشوع في الصلوة
جمع الهمة لها والاعراض عما سواها وان لا يجاوز بصره مصلاه وان لا يلتفت ولا
يعبث ولا يسدل ولا يفرقع اصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك وعن ابي الدردا
رضي الله عنه هو اخلاص المقال واعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام
واضيفت الصلوة الى المصلين لا الى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته
وذخيرته واما المصلى له فغني عنها والذين هم عن اللغو معرضون اللغو كل كلام
ساقط حقه ان يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل
ولما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل
والترك الشاقين على الانفس الذين هما قاعدتا بناء التكليف والذين هم للزكوة
فاعلون مؤدون ولفظ فاعلون يدل على المداومة بخلاف مؤدون وقيل الزكوة

اسم

اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير
وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا فجعل المزكين فاعلين
له لان لفظ الفعل يعم جميع الافعال كالضرب والقتل ونحوهما فيقول للضارب
والقاتل والمزكي فاعل الضرب والقتل والتزكية ويجوز ان يراد بالزكوة العين
ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم
الفاعل في العمل فانك تقول هذا ضارب لزيد ولا تقول ضرب لزيد والذين هم
لفروجهم حافظون الفرج يشمل سوءة الرجال والمرأة الا على ازواجهم في موضع
الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان زياد على البصرة
اي واليا عليها والمعنى انهم لفروجهم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم
وتسريهم او يعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على
ازواجهم اي يلامون على كل مباشرة الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه قال
الفراء الا من ازواجهم اي زوجاتهم او ما ملكت ايمانهم اي امائهم ولم يقل من
لان المملوك يجري مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما يباع البهائم فانهم غير
ملومين اي لا لوم عليهم ان لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وامائهم فمن ابتغى
وراء ذلك طلب قضاء شهوة من غير هذين فاولئك هم العادون الكاملون في
العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمناء بالكف لارادة الشهوة والذين هم
لاماناتهم وعهدهم لاماناتهم مكي سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة
وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وانما يؤدي
العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ايتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله
عز وجل ومن جهة الخلق راعون حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ و
اصلاح كراعي الغنم والذين هم على صلواتهم صلوتهم كوفي غير عاصم يحافظون يداومون
في اوقاتها واعادة ذكر الصلوة لانها اهم ولان الخشوع فيها غير المحافظة عليها
ولانها وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا
ليفاد المحافظة على انواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل اولئك
الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من
عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون من الكفار في الحديث ما منكم من
احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات فدخل الجنة ورث

اهل النار منزله وانما ت دخل النار ورث اهل الجنة منزله الفردوس هو
البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وقال قطرب هو اعلى الجنان هم فيها خالدون
انث الفردوس بتأويل الجنة ولقد خلقنا الانسان اي آدم عليه السلام من سلالة من
للابتدآء والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وقيل انما سمي الذي خلق
آدم منه سلالة لانه سل من كل تربة من طين من للبيان كقوله من الاوثان ثم
جعلناه اي نسله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لان آدم عليه السلام
لم يصير نطفة وهو كقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين وقيل الانسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمي النطفة
سلالة اي ولقد خلقنا الانسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من طين اي من
مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام نطفة ماء قليلا في قرار مستقر يعني
الرحم مكين حصين ثم خلقنا النطفة اي صيرناها بدلالة تقديره الى مفعولين و
الخلق يتعدى الى مفعول واحد علقة قطعة دم والمعنى احلنا النطفة البيضاء
علقة حمرآء فخلقنا العلقة مضغة لحما قدر ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما
فصيرناها عظاما فكسونا العظام لحما فانبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس
عظما العظم شامي وابو بكر عظما العظام زيد عن يعقوب عظاما العظم عن
ابي زيد وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس اذ الانسان ذو عظام كثيرة ثم
انشأناه الضمير يعود الى الانسان او الى المذكور خلقا آخر اي خلقا مباينا
للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا او ناطقا وسميعا وبصيرا وكان بضد هذه
الصفات ولهذا قلنا اذا غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد
الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه
احسن بدل او خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان
المضاف اليه عوض من من الخالقين المقدرين اي احسن المقدرين تقديرا و
ترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل ان عبد الله بن ابي سرح كاتب النبي
عليه الصلوة والسلام نطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب هكذا نزلت
فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فارتد ولحق بمكة
ثم اسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لان ارتداده كان بالمدينة و
السورة مكية وقيل القائل عمر او معاذ رضي الله عنهما ثم انكم بعد ذلك بعد

ماذكرنا

380

ماذكرنا من امركم لميتون عند انقضاء آجالكم ثم انكم يوم القيمة تبعثون
تحيون للجزاء ولقد خلقنا فوقكم سبع جمع طريقة وهي السموات لانها طرق الملائكة
ومتقلباتهم وما كنا عن الخلق غافلين اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم
وما كنا عنها غافلين وعن حفظها او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح
عليهم الارزاق والبركات منها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم وانزلنا من
السماء ماء بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او
بمقدار ما علمنا انا ما حاجتهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل
جعلناه ثابتا في الارض كله من السماء ثم استادي شكرهم بقوله وانا على
ذهاب به لقادرون اي كما قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه فقيدوا هذه النعمة بالشكر صح
فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة سوى النخيل والاعناب
ومنها تاكلون اي من الجنات اي من ثمارها ويجوز ان يكون هذا من قولهم فلان
ياكل من حرفة يحترفها ومن صنيعة يغتلها اي انها طعمة وجهته التي منها يحصل رزقه
كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون
وشجرة عطف على جنات وهي شجرة الزيتون تخرج من طور سيناء طور سيناء وطور
سينين لا يخلو اما ان يضاف الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون
اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرء القيس وهو جبل فلسطين وسيناء
غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وابي عمرو للتعريف والعجمة
او مفتوحها بغيرهم لان الالف للتأنيث كصحراء تنبت بالدهن قال الزجاج الباء
للحال اي تنبت ومعها الدهن تنبت مكي وابو عمرو واما لان انبت بمعنى نبت كقوله
اذا انبت البقل او لان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الدهن وصبغ
للآكلين اي ادام لهم قال مقاتل جعل الله تعالى في هذه اداما ودهنا فالادام الزيتون
والدهن الزيت وقيل هي اول شجرة تنبت بعد الطوفان وخص هذه الانواع الثلاثة
لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع وان لكم في الانعام جمع نعم وهو الابل و
البقر والغنم لعبرة نسقيكم وبفتح النون شامي ونافع وابو بكر سقى واسقى لغتان
مما في بطونها اي يخرج لكم من بطونها لبنا سائغا ولكم فيها منافع كثيرة سوى
الالبان وهي منافع الاصواف والاوبار والاشعار ومنها تاكلون اي لحومها وعليها
وعلى الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في اسفاركم وهذا يشير الى ان المراد
بالانعام الابل لانها هي المحمول عليها في العادة ولذا قرنها بالفلك التي هي السفاين

طرائق

لانها سفاين البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها يريد ناقته ولقد
ارسلنا نوحا الي قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحدوه ما لكم من اله معبود غيره بالرفع
على المحل وعلى بالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجري التعليل للامر بالعبادة
افلا تتقون افلا تخافون عقوبته الذي هو ربكم وخالقكم اذا عبدتم غيره مما
ليس من استحقاق العبادة في شي فقال الملاء الذين كفروا من قومه اي اشرافهم
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم ياكل ويشرب يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب
الفضل عليكم ويترأس ولو شاء الله ارسال رسول لانزل ملائكة لارسل ملائكة
ما سمعنا بهذا اي بارسال بشر رسولا او بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا
والعجب منهم انهم رضوا بالالوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة في اباءنا الاولين ان
هو الا رجل به جنة جنون فتربصوا به حتى حين فانتظروا واصبروا عليه الي زمان
حتى يتجلى امره فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون لما
آيس من ايمانهم دعي الله بالانتقام منهم والمعنى اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي
اذ في نصرته اهلاكهم او انصرني بدل ما كذبوني كقولك هذا بذاك اي بدل
ذلك والمعنى ادركني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم فاوحينا اليه اي
اجبنا دعائه واوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي تصنعه وانت واثق بحفظ
الله لك ورؤيته اياك او بحفظنا وكلائتنا كان معك من الله حفاظا يكلؤنك
بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم عليه من
الله عين كالية ووحينا امرنا وتعليمنا اياك صنعتها روي انه اوحي اليه ان يصنعها
على مثال جؤجؤ صدر الطاير فاذا جاء امرنا اي عذابنا بامرنا وفار التنور اي فار
الماء من تنور الخبز اي اخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ في الانذار
والاعتبار روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب
انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب وكان تنور
آدم عليه فصار الي نوح وكان من حجارة واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة
وقيل بالشام وقيل بالهند فاسلك فيها فادخل في السفينة من كل زوجين اثنين
من كل امتين زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن و
الرماك اثنين واحدين من زوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه
لم يحمل الا ما يلد ويبيض من كل صنف اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة

بيان واهلك ونساءك واولادك الا من سبق عليه القول من الله بهلاكه
وهو ابنه واحدي زوجتيه فجي بعلى مع سبق الضار كما جي باللام مع سبق النافع
في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه لها ما كسبت وعليها ما
اكتسبت منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولا تسألني نجاة
الذين كفروا فاني اغرقهم فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا
تمكنتم عليها راكبين فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين امر بالحمل
على هلاكهم والنجاة منهم ولم يقل فقولوا وان كان فاذا استويت انت ومن
معك في معنى فاذا استويتم لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه
من الاشعار بفضل النبوة وقل حين ركبت على السفينة او حين خرجت منها رب
انزلني منزلا اي انزالا او موضع انزال منزلا ابو بكر اي مكانا مباركا وانت
خير المنزلين فالبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها لكثرة النسل
وتتابع الخيرات ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات لعبر ومواعظ وان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان
والقصة كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعتاب شديد او مختبرين
بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من
مدكر ثم انشأنا خلقنا من بعدهم من بعد قوم نوح قرنا قوما آخرين هم
عاد وقوم هود ويشهد له قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
ومجي قصة هود على اثر قصة نوح في الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم
الارسال يعدي بالي ولم يعد بفي هنا وفي قوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا
في قرية ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كقوله رؤبة ارسلت فيها مصعبا
ذا اقحام رسولا هو هود منهم من قومهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
افلا تتقون ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقال
الملاء من قومه ذكر مقال قوم هود في جوابه في الاعراف وهود بغير واو لانه على
تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه وقيل له كيت وكيت وههنا مع الواو لانه عطف
لما قالوه على ما قاله الرسول ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل و
ليس بجواب النبي عليه الصلوة والسلام متصل بكلامه فلم يكن بالفاء وجي بالفاء
في قصة نوح لانه جواب لقوله واقع عقيبه الذين كفروا صفة للملاء او لمن قومه وكذبوا

فع

بلقاء الآخرة اي بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك
واترفناهم فنعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا اي
النبي الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون اي منه فحذف
لدلالة ما قبله عليه اي من اين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ولئن
اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه انكم اذا لخاسرون اذا واقع
في جزاء الشرط وجواب للذين تاولوهم من قومهم لخاسرون بالانقياد لمثلكم
ومن حمقهم انهم ابوا اتباع مثلهم وعبدوا اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم بالكسر
نافع وحمزة وعلي وحفص وغيرهم بالضم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثني انكم للتوكيد وحسن ذلك
لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او التقدير ايعدكم
انكم مخرجون اذا متم وكنتم ترابا وعظاما هيهات هيهات وبكسر التاء يزيد
وروي عنه بالكسر والتنوين فيهما والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم
للفعل واقع موقع بعد وفاعلها مضمر اي بعد التصديق او الوقوع لما توعدون
من العذاب او فاعلها ما توعدون واللام زائدة اي بعد ما توعدون من
البعث ان هي هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة
الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها والمعنى
لا حيوة الا هذه الحيوة التي نحن فيها ودنت منا وهذا لان ان النافية دخلت على
هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي لنفي الجنس نموت
ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر او فيه تقديم
وتأخير اي نحيى ونموت وهو قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما وما نحن
بمبعوثين بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اي ما هو الا مفتر على
الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين
قال رب انصرني بما كذبون فاجاب الله دعاء الرسول بقوله قال عما قليل ما
زائدة او بمعنى شيء او زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين
اذا عاينوا ما يحل بهم فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبرئيل عليه السلام صاح عليهم
فدمرهم بالحق بالعدل من الله يقال فلان يقضي بالحق اي بالعدل فجعلناهم
غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق و

والعيدان فبعدا فهلاكا يقال بعد بعدا بعدا اي هلك وهو من المصادر
المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها للقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد
نحو هيت لك ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم ما تسبق من امة من صلة اي ما تسبق امة اجلها المكتوب لها والوقت
الذي حد لهلاكها وكتب وما يستأخرون لا يتأخرون عنه ثم ارسلنا رسلنا
تترا فعلى والالف للتأنيث كسكرى لان الرسل جماعة ولذا لا ينون لانه غير
منصرف تترا مكي وابو عمرو ويزيد على ان الالف للالحاق كارطى وهو
نصب على الحال في القراءتين اي متتابعين واحد بعد واحد وتاؤها فيهما بدل
من الواو والاصل وترى من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كتراث كلما
جاء امة رسولها كذبوه الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه والاضافة تكون
بالملابسة ويصح اضافته اليهما فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الهلاك
وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع
للحديث ومنه احاديث النبي عليه الصلوة والسلام ويكون جمعا للاحدوثة و
هي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا فبعدا لقوم لا يؤمنون به
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بدل من اخاه بآياتنا التسع وسلطان مبين
وحجة ظاهرة الى فرعون وملائه فاستكبروا عن قبول الايمان ترفعا وتكبرا و
كانوا قوما عالين متكبرين مترفعين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا البشر يكون
واحدا وجمعا ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجميع والمذكر والمؤنث وقومهما
اي بنو اسرائيل لنا عابدون خاضعون مطيعون وكل من دان لملك وهو عابد
له عند العرب فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد آتينا موسى اي
قوم موسى الكتاب التورية لعلهم يهتدون يعملون بشرائعها ومواعظها و
جعلنا ابن مريم وامه آية تدل على قدرتنا على ما نشاء لانه خلق من غير نطفة
ووحد لان الاعجوبة فيهما واحدة والمراد جعلنا ابن مريم آية وامه آية فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما جعلنا مأويهما اي منزلهما الى ربوة شامي
وعاصم ربوة غيرهما اي ارض مرتفعة وهي بيت المقدس او دمشق او الرملة او مصر
ذات قرار مستقر من ارض مستوية منبسطة او ذات ثمار وماء يعني لاجل الثمار
يستقر فيها ساكنوها ومعين وماء ظاهر جار على وجه الارض وانه مفعول اي مدرك

بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه او فعيل لانه نفاع لظهوره وجريه
من الماعون وهي المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات هذا النداء
والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى
الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع ان
امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يوخذ به ويعمل عليه وهو خطاب
لمحمد عليه الصلوة والسلام بفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان ياكل من
الغنائم او لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان ياكل من غزل امه و
هو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب و
يستلذ والامر للترفيه والاباحة واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون
عليم فاجازيكم على اعمالكم وان هذه كوفي على الاستيناف وان حجازي وبصري
بمعنى ولان اي فاتقون لان هذه او هو معطوف على ما قبله اي بما تعملون عليم وبان
هذه او تقديره واعلموا ان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي انتم عليها امة
واحدة ملة واحدة وهي شريعة الاسلام وانتصاب امة على الحال والمعنى و
ان الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله ان الدين عند الله الاسلام وانا
ربكم وحدي فاتقون فخافوا عقابي في مخالفتكم امري فتقطعوا امرهم بينهم
تقطع بمعنى قطع اي قطعوا امر دينهم زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني
جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم فرقا كل ينتحل كتابا وعن الحسن قطعوا
كتاب الله قطعا وحرفوه وقرئ زبرا جمع زبرة اي قطعا كل حزب كل فرقة من
فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم بما لديهم من الكتاب والدين او من الهوى
والراي فرحون مسرورون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم
جهالتهم وغفلتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين ما بمعنى الذي وخبر ان نسارع لهم في الخيرات والعايد
من خبر ان الى اسمها محذوف اي نسارع لهم به والمعنى ان هذا الامداد ليس
الا استدراجا لهم الى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة
بالثواب جزاء على حسن صنيعهم وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح لانهم
يقولون ان الله تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح له في الدين وقد اخبر
ان ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا اصلح بل لا يشعرون بل استدراك لقوله ايحسبون

اي بل هم اشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتاملوا في ذلك انه استدراج او مسارعة
في الخير ثم بين ذكر اوليائه فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
خائفون والذين هم بايات ربهم يؤمنون اي بكتب الله كلها لا يفرقون بين
كتبه كالذين تقطعوا امرهم بينهم وهم اهل الكتاب والذين هم بربهم
لا يشركون كمشركي العرب والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوا من الزكوة
والصدقات وقرئ ياتون ما اتوا بالقصر اي يفعلون ما فعلوا وقلوبهم
وجلة خائفة ان تقبل منهم لتقصيرهم انهم الى ربهم راجعون الجمهور
على ان التقدير لانهم وخبر ان الذين اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون
في الطاعات فيبادرونها وهم لها سابقون اي لاجل الخيرات سابقون الى
الجنات او لاجلها سبقوا الناس ولا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها يعني
ان الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك
كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق ولدينا كتاب اي
اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق وهم لا يظلمون لا يقرؤن منه يوم
القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم احد منهم
بزيادة عقاب او نقصان ثواب او بتكليف ما لا وسع له بل قلوبهم في غمرة
من هذا بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من
المؤمنين ولهم اعمال من دون ذلك اي ولهم اعمال خبيثة متجاوزة متخطية
لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها عاملون وعليها مقيمون لا يفطمون
عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب
عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعى عليهم النبي عليه الصلوة و
السلام او قتلهم يوم بدر وحتى هي التي يبتدا بعدها الكلام والكلام الجملة
الشرطية اذا هم يجارون يصرخون استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة ثم قيل
لهم حينئذ لا تجاروا اليوم فان الجوار غير نافع انكم منا لا تنصرون اي
من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت اياتي تتلى عليكم اي القرآن
فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون القهقرى والنكوص ان يرجع
القهقرى وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه مستكبرين متكبرين على المسلمين
حال من تنكصون به بالبيت او بالحرم لانهم يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل

الحرم والذي سوغ هذه الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت او باياتي لانها
في معني كتابي ومعني استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين
معنى مكذبين فعدي تعديته او يتعلق الباء بقوله سامرا اي تسمرون بذكر
القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة
سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على
الجمع وقرئ سمارا او بقوله تهجرون هو من الهجر الهذيان تهجرون نافع من اهجر
في منطقه اذا افحش افلم يدبروا القول افلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه
الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
بل اجاءهم ما لم يات اباءهم الاولين فلذلك انكروه واستبدعوه ام لم يعرفوا
رسولهم محمدا بالصدق والامانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الاخلاق
اي عرفوه بهذه الصفات فهم له منكرون بغيا وحسدا ام يقولون به جنة
جنون وليس كذلك لانهم يعلمون انه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا بل جاءهم
بالحق الابلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم واهواءهم وهو التوحيد
والاسلام ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا فلذلك نسبوه الى الجنون واكثرهم للحق
كارهون وفيه دليل على ان اقلهم ما كان كارها للحق بل كان تاركا للايمان
برانفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صباء وترك دين اباءه كابي طالب
ولو اتبع الحق اي الله اهواءهم فيما يعتقدون من الالهة لفسدت السموات
والارض كما قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ومن فيهن خص العقلاء
بالذكر لان غيرهم تبع بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم
او شرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين الآية فهم عن ذكرهم معرضون بسوء اختيارهم ام
تسالهم خرجا فخراج ربك خير حجازي وبصري وعاصم خرجا فخرج شامي خراجا
فخراج علي وحمزة وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته
وجعله والخرج اخص من الخراج يقول خراج القرية وخرج الكردة فزيادة اللفظ
لزيادة المعني فلذا حسنت القراءة الاولى يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من
عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وهو خير الرازقين افضل المعطين
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام فحقيق ان يستجيبوا

لك وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون لعادلون
عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم ولو رحمناهم وكشفنا ما
بهم من ضر لما اخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك
بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع
فنزلت الاية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذي اصابهم
برحمته عليهم ووجدوا الخصب للجوا التمادوا في طغيانهم يعمهون يترددون
يعنى لعادوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين و
لذهب عنهم هذا التملق بين يديه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون استشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف
بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت بعد ذلك منهم
استكانة اي خضوع ولا تضرع وقوله وما يتضرعون عبادة عن دوام حالهم اي
وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا ووزن استكان استفعل من
الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال
حتى اذا فتحنا فتحنا بزيد عليهم بابا ذا عذاب شديد اي باب الجوع الذي
هو اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير
وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من
القتل والجوع كما روي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ
يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وهو الذي انشا لكم السمع
والابصار والافئدة خصها بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية و
الدنيوية ما لا يتعلق بغيرها قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا
وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا والمعنى انكم لم تعرفوا عظم هذه النعمة وضيعتموها
عن مواضعها فلم تعملوا ابصاركم واسماعكم في ايات الله وافعاله ولم تستدلوا
بقلوبكم فيعرفوا المنعم ولا يشركوا به شيئا وهو الذي ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل
في الارض واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي
ويميت اي يحيي النسم بالانشاء ويميتها بالافناء وله اختلاف الليل و
النهار اي مجيء احدهما عقيب الاخر واختلافهما في الظلمة والنور او في الزيادة

دون

والمقصور وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره أفلا تعقلون فتعرفوا
قدرتنا على البعث او فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا بل قالوا اي اهل مكة
مثل ما قال الأولون اي الكفار قبلهم ثم بين ما قالوا بقوله قالوا أئذا متنا و
كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون متنا نافع وحمزة وعلي وحفص لقد وعدنا
نحن وآباؤنا هذا اي البعث من قبل من قبل مجيء محمد عليه الصلوة والسلام
إن هذا إلا أساطير الأولين جمع اسطار جمع سطر وهي ما كتبه الأولون مما
لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق ثم امر نبيه عليه الصلوة والسلام باقامة
الحجة على المشركين بقوله قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون فانهم
سيقولون لله لانهم مقرون بانه الخالق فاذا قالوها قل لهم أفلا تذكرون
فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها كان قادرا على اعادة الخلق فكان حقيقا
بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية افلا يذكرون بالتخفيف حمزة وعلي
وحفص وبالتشديد غيرهم قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به او فلا
تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الاشياء
قل من بيده ملكوت كل شيء الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فينبئ
عن عظم الملك وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون اجرت فلانا
على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث
احد منه احدا سيقولون لله قل فأنى تسحرون تخدعون عن الحق او عن توحيده
وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى الاول لله بالاجماع اذ السؤال بمن و
كذا الثاني والثالث عند غير اهل البصرة على المعنى لانك اذا قلت من رب هذا
فمعناه لمن هذا فيجاب لفلان كقول الشاعر اذا قيل من رب المزالف والقرى
ورب الجياد الجرد قيل لخالد اي لمن المزالف ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر
لانك اذا قلت من رب هذا فجوابه فلان بل أتيناهم بالحق بان نسبة الولد اليه
محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون في قولهم اتخذ الله ولدا وادعائهم الشريك
ثم اكذبهم بقوله ما اتخذ الله من ولد لانه منزه عن النوع والجنس وولد
الرجل من جنسه وما كان معه من إله وليس معه شريك في الالوهية إذا لذهب
كل إله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بالذي خلقه واستبد به ولتميز ملك

كل واحد منهم عن الآخر ولعلا بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما
ترون حال ملوك الدنيا وممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا
اثر التمايز للممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء ولا
يقال اذا لا يدخل الا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع لذهب جزاء وجوابا
ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لان الشرط محذوف تقديره ولو كان معه
آلهة لدلالة وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن حاجه من المشركين سبحان
الله عما يصفون من الانداد والاولاد عالم بالجر صفة لله وبالرفع مدني
وكوفي غير حفص خبر مبتدا محذوف الغيب والشهادة السر والعلانية
فتعالى عما يشركون من الاصنام وغيرها قل رب إما تريني ما يوعدون
ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في
الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني قرينا لهم فلا تعذبني
بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره وقتها فامره ان يدعوا
بهذا الدعاء ويجوز ان يسأل النبي عليه الصلوة والسلام المعصوم ربه ما علم
انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه
واستغفاره عليه الصلوة والسلام اذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك
والفاء في فلا لجواب الشرط ورب اعتراض بينهما للتأكيد وإنا على أن
نريك ما نعدهم لقادرون وكانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل
لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي
بالخلة التي هي أحسن السيئة هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه
من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها
بما امكن من الاحسان وعن ابن عباس رضي الله عنه هي شهادة ان لا اله الا الله
والسيئة الشرك او الفحش بالاسلام او المنكر بالموعظة وقيل هي منسوخة بآية
السيف وقيل محكمة اذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين نحن أعلم
بما يصفون من الشرك او بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه وقل رب
أعوذ بك من همزات الشياطين من وساوسهم ونخساتهم والهمزات والنخس جمع المرة
منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما تهمز
الراضة الدواب حثا لها على المشي وأعوذ بك رب أن يحضرون امر بالتعوذ

من نخشاتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكور لنداء به بالتعوذ من ان يحضروه
اصلا او عند تلاوة القرآن او عند النزاع حتى اذا جاء احدهم الموت حتى
يتعلق بيصفون اي لا يزالون يشركون الى وقت مجيء الموت او لا يزالون على
سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض والتاكيد
للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على
الانتصار منهم قال رب ارجعون ردوني الى الدنيا خاطب الله بلفظ
الجمع للتعظيم كخطاب الملوك لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الموضع
الذي تركت وهو الدنيا لانه ترك الدنيا وصار الى العقبى قال قتادة ما
تمنى ان يرجع الى اهل ولا الى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط لعلي ساكنة الياء
كوفي وسهل ويعقوب كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد انها كلمة
المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها
استيلاء الحسرة والندم عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير للجماعة برزخ
حائل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا الى يوم يبعثون ولم يرد انهم يرجعون
يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم ان لا رجوع بعد البعث الا الى الآخرة فاذا
نفخ في الصور قيل انها النفخة الثانية فلا انساب بينهم يومئذ وبالادغام
ابو بكر لاجتماع المثلين وان كانا من كلمتين يعني التقاطع بينهم حيث يتفرقون
مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالانساب ان يفر المرء من اخيه و
امه وابيه وصاحبته وبنيه وانما يكون الاعمال ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا
يتساءلون في الدنيا لان كلا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله ولا تناقض بين هذا
وبين قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فللقيامة مواطن ففي موطن يشتد
عليهم الخوف فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون فيتساءلون فمن ثقلت موازينه
جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله
تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
بالسيئات والمراد الكفار فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها في
جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة
لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف تلفح اي تحرق وجوههم

النار وهم فيها كالحون عابسون فيقال لهم الم تكن آياتي اي القرآن تتلى
عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وتزعمون انها ليست من الله قالوا ربنا غلبت
علينا اي ملكتنا شقوتنا شقاوتنا حمزة وعلي وكلاهما مصدران اي شقينا
باعمالنا السيئة عملناها وقول اهل التاويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة
لا يصح لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب غير الذي علم
انه يختاره فلا يكون مغلوبا ومضطرا في الفعل وهذا لانهم انما يقولون ذلك
القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في امره فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم
عذرا فيما كان منهم وكنا قوما ضالين عن الحق والصواب ربنا اخرجنا منها من
النار فان عدنا الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا
فيها اسكتوا سكوت ذلة وهوان ولا تكلمون في دفع العذاب عنكم فانه لا يرفع
ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير
ان يحضرون في ارجعوني لا تكلموني بالياء في الوصل والوقف يعقوب وغيره
بلا ياء انه انه الامر والشان كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا مفعول ثان وبالضم
مدني وحمزة وعلي وكلاهما مصدر سخر كالسخر الا ان ياء النسبة مبالغة قيل هم
الصحابة رضي الله عنهم وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا
وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه
اي كان التشاغل بهم سببا لنسيانكم ذكري وكنتم منهم تضحكون استهزاء
بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا بصبرهم انهم اي لانهم هم الفائزون
ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا اي جزيتهم اليوم فوزهم لان جزى يتعدى
الى اثنين وجزاهم بما صبروا جنة انهم حمزة وعلي على الاستيناف اي انهم هم الفائزون
لا انتم قال اي الله او المأمور بسؤالهم من الملائكة قل مكي وحمزة وعلي امر للملك
ان يسألهم كم لبثتم في الارض الدنيا عدد سنين اي كم عدد سنين لبثتم فكم
نصب بلبثتم وعدد بكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم
في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام
محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة فاسأل العادين الحساب او الملائكة
الذين يعدون اعمار العباد واعمالهم فسل بلا همز مكي وعلي قال ان لبثتم

الا قليلا اي ما لبثتم الا زمنا قليلا او لبثا قليلا لو انكم كنتم تعلمون
صدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم
التي كانوا عليها قل ان حمزة وعلي افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين
او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي
ويعقوب وهو معطوف على انما خلقناكم او على عبثا اي للعبث ولترككم غير
مرجوعين بل خلقناكم للتكليف ثم للرجوع من دار التكليف الى دار الجزاء
فيثيب المحسن ويعاقب المسيء فتعالى الله عن ان يخلق عبثا الملك الحق الذي
يحق له الملك لان كل شيء منه واليه والثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه لا
اله الا هو رب العرش الكريم وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه
او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ شاذا برفع الكريم صفة للرب ومن يدع
مع الله الها اخر لا برهان له به اعتراض بين الشرط والجزاء
كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه او صفة لازمة
جيء بها للتوكيد كقوله يطير بجناحيه لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم
عليه برهان فانما حسابه اي جزاؤه وهذا جزاء الشرط عند ربه اي فهو يجازيه
لا محالة انه لا يفلح الكافرون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون وخاتمتها
انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة
والرحمة بقوله وقل رب اغفر وارحم ثم قال وانت خير الراحمين لان رحمته اذا
ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا يغنيه عن رحمته

سورة خبر مبتداء محذوف اي هذه سورة انزلناها صفة لها وقرا طلحة سورة
على زيدا ضربته او على اتل سورة السورة الجامعة بجملة آيات الفاتحة لها وخاتمة
واشتقاقها من سورة المدينة وفرضناها اي فرضنا احكامها التي فيها واصل
الفرض القطع اي جعلناها مقطوعا بها وبالتشديد مكي وابو عمرو للمبالغة
في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى او لكثرة المفروض عليهم من السلف
ومن بعدهم وانزلنا فيها آيات بينات اي لائحات واضحات لعلكم تذكرون
لكي تتعظوا وبتخفيف الذال حمزة وعلي وخلف وحفص ثم فصل احكامها فقال

الزانية والزاني ورفعهما على الابتداء والخبر محذوف اي فيما فرض عليكم الزانية
والزاني اي جلدهما او الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى
الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما
تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم وقرا عيسى بن عمرو بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر
وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة الجلد ضرب الجلد وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب
للائمة لان اقامة الحد من الدين وهي على الكل الا انه لا يمكنهم الاجتماع
فينوب الامام منابهم وهذا حكم حر ليس بمحصن اذ حكم المحصن من الرجم
وشرائط احصان الرجم الحرية والعقل والبلوغ والاسلام والتزوج بنكاح
صحيح والدخول وهذا دليل على ان التغريب غير مشروع لان الفاء انما تدخل
على الجزاء وهو اسم للكافي والتغريب المروي منسوخا بالاية كما نسخ الحبس
والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فاذوهما بهذه الاية ولا تاخذكم
بهما رافة رحمة والفتح لغة وهو قراءة مكي وقيل الرافة في دفع المكروه والرحمة
في ايصال المحبوب والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ولا
ياخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود او يخففوا الضرب في
دين الله اي في طاعته او حكمه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب الشرط مضمر اي فاجلدوا
او لا تعطلوا الحد وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما وتسميته عذابا
دليل على انه عقوبة طائفة فرقة يمكن ان تكون حلقة ليعتبروا وانزجر هو و
اقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اربعة الى اربعين رجلا من المؤمنين من
المصدقين بالله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان
اي الخبيث الذي من شانه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب
في خبيثة من شكله او في مشركة والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء
من الرجال وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين فالاية
تزهيد في نكاح البغايا اذ الزنا عديل الشرك في القبح والايمان قرين العفاف

كم

او مشرك

والمحصن وهو نظير قوله الخبيثات للخبيثين وقيل كان نكاح الزانية محرما
في اول الاسلام ثم نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل المراد بالنكاح الوطي
لان غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يفضي الى قولك
الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وسئل النبي عليه الصلوة و
السلام عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال اوله سفاح وآخره نكاح ومعنى الجملة
الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية
صفة الزانية لكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان
مختلفان وقدمت الزانية على الزاني اولا لان تلك الآية سيقت لعقوبتهما
على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لانها لو لم تطمع
الرجل ولم ترمض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في
ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه
الخاطب ومنه مبدأ الطلب وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي وفي المرفوع ايضا
معنى النهي ولكن ابلغ واكد ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية
على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها **وحرم
ذلك على المؤمنين** اي الزنا او نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا ولما فيه
من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة
ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتران الآثام فكيف بمزاوجة الزواني
والقحاب **والذين يرمون المحصنات** بكسر الصاد علي اي يقذفون بالزنا الحرائر
العفائف المسلمات المكلفات والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن
بالزنا بان يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط اربعة شهداء
بقوله **ثم لم يأتوا باربعة شهداء** اي ثم لم يأتوا باربعة شهود يشهدون
على الزنا لان القذف بغير الزنا بان يقول يا فاسق يا آكل الربوا يكفي فيه شاهدان
وعليه التعزير وشروط احصان القذف الحرية والعقل والبلوغ والاسلام
والعفة عن الزنا والمحصن كالمحصنة في وجوب القذف **فاجلدوهم ثمانين
جلدة** ان كان القاذف حرا ونصب ثمانين نصب المصادر كما نصب مائة جلدة
وجلدة نصب على التمييز **ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا** نكر شهادة في موضع النفي
فتعم كل شهادة ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد او بعضه

على ما عرف

على ما عرف وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف فعندنا
جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة على التأبيد وهو مدة حيوتهم
واولئك هم الفاسقون كلام مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه
حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية وقوله **الا الذين
تابوا من بعد ذلك** اي القذف **واصلحوا** احوالهم استثناء من الفاسقين
ويدل عليه **فان الله غفور رحيم** اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم وحق الاستثناء
ان يكون منصوبا عندنا لانه عن موجب وعند من جعل الاستثناء متعلقا بالجملة
الثانية ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم ما ذكر حكم قذف الاجنبيات وهذا
بيان حكم قذف الزوجات فقال **والذين يرمون ازواجهم** اي يقذفون زوجاتهم
بالزنا **ولم يكن لهم شهداء** اي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به
الا انفسهم رفع على البدل من شهداء **فشهادة احدهم اربع** بالرفع كوفي
غير ابي بكر على انه خبر المبتدأ فشهادة احدهم وغيرهم بالنصب لانه في حكم
المصدر بالاضافة الى المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم
وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة احدهم اربع **شهادات بالله
انه لمن الصادقين** فيما رماها به من الزنا **والخامسة** لا خلاف في رفع الخامسة
هنا في المشهور والتقدير والشهادة الخامسة **ان لعنة الله عليه** في مبتدأ
وخبر **ان كان من الكاذبين** فيما رماها به من الزنا **ويدرؤا عنها العذاب**
ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرؤا **ان تشهد اربع شهادات بالله انه** اي الزوج
لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا **والخامسة ان غضب الله عليها ان كان**
اي الزوج **من الصادقين** فيما رماني به من الزنا نصب حفص الخامسة عطفا
على اربع وغيره رفعها بالابتداء وان غضب الله خبره وخفف نافع ان لعنة الله
وان غضب الله بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة وان غضب الله سهل ويعقوب
وخص الغضب في جانبها لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث
فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جري اللعن على السنتهن وسقوط وقعه
عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن والاصل ان اللعان عندنا
شهادات مؤكدات بالايمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف في حقه و
مقام حد الزنا في حقها لان الله تعالى سماه شهادة فاذا قذف الزوج زوجته

بالزنا وهما من اهل الشهادة صح اللعان بينهما واذا التعنا كما بين في النص لا
يقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما وعند زفر رحمه الله يقع بتلاعنهما والفرقة
تطليقة بائنة وعند ابي يوسف وزفر والشافعي رحمهما الله تحريم مؤبد و
نزلت آية اللعان في هلال او عويمر حيث قال وجدت على بطن امرأتي خولة
شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبي بينهما ولولا فضل الله تفضله عليكم
ورحمته نعمته وان الله تواب حكيم جواب لولا محذوف اي لفضحكم او
لعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك هو ابلغ ما يكون من الكذب و
الافتراء واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما
افك به على عايشة رضي الله عنها قالت عايشة فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق
فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي فلما ارتحلوا اناخ لي صفوان بن المعطل
بعيره وساقه حتى اتاهم بعد ما نزلوا فهلك في من هلك فاعتللت شهرا وكان
عليه الصلوة والسلام يسأل كيف انت ولا ارى منه لطفا كنت اراه مني عرفت
خالة ابي ام مسطح فقالت تعس مسطح فاخبرتني بالافك فلما سمعت ازددت
مرضا وبت عند ابوي لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم وهما يظنان ان الدمع فالق
كبدي حتى قال عليه الصلوة والسلام ابشري يا حميراء فقد انزل الله برائتك فقلت
بحمد الله لا بحمدك عصبة جماعة من العشرة الى الاربعين واعصوصبوا وهم عبد الله
ابن ابي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة
بنت جحش ومن ساعدهم منكم من جماعة المسلمين او هم ظنوا ان الافك وقع
من الكفار دون من كان من المؤمنين لا تحسبوه اي الافك شرا لكم عند الله
بل هو خير لكم لان الله اثابكم عليه وانزل في البراءة عنه ثماني عشر آية
والخطاب لرسول الله وابي بكر وعايشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي على كل امرء من العصبة جزاء اثمه
على مقدار خوضه فيه وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت
والذي تولى كبره اي عظمه عبد الله بن ابي منهم من العصبة له عذاب
عظيم اي جهنم يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال
من هذه فقالوا عايشة فقال والله ما نجت منها ولا نجي منها ثم وبخ الخائضين
فقال لولا هلا اذ سمعتموه اي الافك ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم

بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله ولا تلمزوا انفسكم
عفافا وصلاحا وذلك نحو ما يروى ان عمر رضي الله عنه قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انا قاطع بكذب المنافقين لان الله عصمك عن وقوع
الذباب على جلدك لانه يقع على النجاسات فيتلطخ بها فلما عصمك عن
ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة من يكون متلطخة بمثل هذه
الفاحشة فقال عثمان رضي الله عنه ايضا ان الله ما اوقع ظلك على الارض لئلا
يضع انسان قدمه على ذلك الظل فلما لم يمكن احدا من وضع القدم على
ظلك فكيف يمكن احدا من تلويث عرض زوجتك وكذا قال علي رضي الله عنه
ان جبريل اخبرك على ان نعلك قذرا وامرك باخراج النعل عن رجلك بسبب
ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك باخراجها بتقدير ان يكون متلطخة
بشيء من الفواحش وروي ان ابا ايوب الانصاري قال لامرأته الا ترين ما
يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اخنت اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا
قال لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله فعايشة
خير مني وصفوان خير منك وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى
الظاهر ولم يقل ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات
وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن
على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول غائب ولا طاعن وهذا من الادب الحسن قل
القائم به وليتك تجد من يسمع ويسكت ولا يشيعه باخوات وقالوا هذا
افك مبين كذب ظاهر لا يليق بهما لولا جاؤا عليه باربعة شهداء هلا
جاؤا على القذف لو كانوا صادقين باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء
الاربعة فاولئك عند الله اي في حكمه وشريعته هم الكاذبون اي القاذفون
لان الله تعالى جعل التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عايشة رضي الله عنها لم يكن لهم على
قولهم فكانوا كاذبين ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره
بخلاف ما تقدم اي ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة

لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث
وخاض واندفع اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه يأخذه بعضكم من بعض
يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه بالسنتكم اي ان بعضكم كان يقول لبعض هل
بلغك حديث عايشة حتى فيما بينهم وانتشر فلم يبق ولا ناد الا طار فيه وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم
لان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك
ليس الا قولا يدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله يقولون
ما ليس في قلوبهم وتحسبونه اي خوضكم في عايشة رضي الله عنها هينا
صغيرة وهو عند الله عظيم كبيرة وجزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك
فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم ولولا وهلا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا فصل بين لولا وقلتم بالظرف
لان للظروف شانا وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها وانها لا
ينفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفائدة تقديم الظرف انه كان
الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر
الوقت اهم قدم والمعنى هلا قلتم اذ سمعتم اي يتباعد والافك ما يصح لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك للتعجب من عظم الامر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح ان
الاصل ان يسبح الله عند رؤية العجب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او
لتنزيه الله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة وانما جاز ان تكون امراة النبي كافرة
كامرأة نوح ولوط فلم يجز ان تكون فاجرة لان النبي مبعوث الى الكفار ليدعوهم
فيجب ان لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم واما الكشخنة فمن
اعظم المنفرات هذا بهتان زور يبهت من يسمع عظيم وذكر فيما تقدم هذا
افك مبين فيجوز ان يكون امروا بهما مبالغة في التبري يعظكم الله ان تعودوا
في ان تعودوا لمثله لمثل هذا الحديث من القذف واستماع حديثه ابدا ما دمتم
احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك
العود وهو الايمان الصاد عن كل قبيح ويبين الله لكم الايات الدلالات الواضحات
او الاحكام والشرائع والاداب الجميلة والله عليم بكم وباعمالكم حكيم يجزي على
وفق اعمالكم او علم صدق نزاهتها وحكم ببرآئتها ان الذين يحبون ان تشيع

الفاحشة

390

الفاحشة اي ما قبح جدا والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد من الاشاعة
ومحبة لها في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد ولقد ضرب
النبي عليه الصلوة والسلام ابن ابي وحسانا ومسطحا الحد والاخرة بالنار
وغيرها ان لم يتوبوا والله يعلم بواطن الامور وسرائر الصدور وانتم لا تعلمون
اي انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقب عليها ولولا فضل الله
عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
مع حذف الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم وان الله رؤف
حيث اظهر براءة المقذوف واثاب رحيم بغفرانه جناية القاذف اذا تاب
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثاره ووساوسه
بالاصغاء الى الافك والقول به ومن يتبع خطوات الشيطان فانه فان
الشيطان يامر بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه
ولا ترتضيه ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد اخر الدهر من
دنس اثم الافك ولكن الله يزكي من يشاء يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا
محضوها والله سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا يأتل ولا يحلف
من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية او لا يقصر من الالو اولو الفضل منكم
في الدين والسعة في الدنيا ان يؤتوا اي لا يؤتوا ان كان من الالية اولي
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله اي لا يحلفوا على ان يحسنوا الى
المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم
شحناء لجناية اقترفوها وليعفوا وليصفحوا العفو الستر والصفح الاعراض
اي وليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة الا تحبون ان يغفر الله لكم
فليفعلوا بهم ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم والله غفور
رحيم فتادبوا بادب الله واغفروا وارحموا نزلت في ابي بكر رضي الله تعالى
عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها
وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قراها النبي عليه الصلوة والسلام على ابي بكر
قال بلى احب ان يغفر الله لي ورد الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات
العفائف الغافلات السليمات الصدور والنقيات القلوب اللاتي ليس فيهن

دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور المؤمنات بما يجب الايمان به عن ابن عباس
رضي الله عنهما هن ازواجه عليه الصلوة والسلام فقيل هن جميع المؤمنات
اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وقيل اريدت عايشة رضي الله
عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلوة و
السلام فكانه قد قذفهن لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم
جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة
ان لم يتوبوا والعامل في يوم تشهد عليهم يعذبون وبالياء حمزة وعلي
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون اي بما افكوا وبهتوا والعامل
في يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء اي
يوفيهم جزاءهم الحق الثابت الذي هم اهله وقرء مجاهد بالرفع صفة لله
كقراءة ابي يوفيهم الله الحق دينهم وعلى قراءة النصب يجوز ان يكون الحق وصفا
لله بان ينتصب على المدح ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين لارتفاع
الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من
المعاصي تغليظه في افك عايشة فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد و
كرر وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اذنب ذنبا ثم تاب منه
قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله عنها وهذا منه مبالغة وتعظيم
لامر الافك ولقد برا الله تعالى اربعة باربعة برا يوسف عليه الصلوة والسلام
بشاهد من اهلها وموسى عليه الصلوة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي
ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة رضي الله عنها بهذه الاي العظام
في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة
اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على انافة محله صلى الله
عليه وسلم الخبيثات من القول تقال للخبيثين من الرجال والنساء و
الخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون اي فيهم واولئك اشارة
الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام
جار مجرى المثل لعايشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في
النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن

مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبايث يتزوجن
الخباث والخباث الخبايث وكذلك اهل الطيب لهم مغفرة مستانف او
خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة ودخل ابن عباس رضي الله عنه على عايشة رضي
الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله فقال لا تخافي فانك لا تقدمين
الا على مغفرة ورزق كريم وتلى الاية فغشي عليها فرحا بما تلى وقالت عايشة رضي الله
عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة نزل جبريل عليه السلام بصورتي
في راحته حين امر عليه الصلوة والسلام ان يتزوجني وتزوجني بكرا وما تزوج
بكرا غيري وتوفي عليه الصلوة والسلام وراسه في حجري وقبر في بيتي وينزل عليه
الوحي وانا في لحافه وانا ابنة خليفته وصديقه رضي الله عنه ونزل عذري من
السماء وخلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وقال حسان يعتذر
في حقها حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثا من لحوم الغوافل حليلة خير
الناس دينا ومنصبا نبي الهدى والمكرمات الفواضل عقيلة حي من لوي بن غالب
كرام المساعي مجدها غير زائل مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل شين وباطل
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اي بيوتا لستم تملكونها ولا
تسكنونها حتى تستانسوا تستاذنوا عن ابن عباس رضي الله عنه وقد قرء به والاستيناس
في الاصل الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا
مكشوفا اي تستعلموا امطلق لكم الدخول ام لا وذلك بتسبيحة او تكبيرة او تحميدة
او تنحنح وتسلموا على اهلها والتسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث مرات
فان اذن له والا رجع وان تلاقيا يقدم التسليم والا فالاستيذان ذلكم اي الاستيذان
والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن وكان الرجل
من اهل الجاهلية اذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل
فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد لعلكم تذكرون اي قيل لكم هذا لكي
تذكروا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان فان لم تجدوا فيها في البيوت احدا
من الاذنين فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى تجدوا من ياذن لكم او فان لم
تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها لان
التصرف في ملك الغير لا بد من ان يكون برضاه وان قيل لكم ارجعوا اي اذا
كان فيها قوم وقالوا ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا في

تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب لان هذا مما يجلب الكراهة فاذا نهي عن
ذلك لادائه الي الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب
بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك وعن ابي عبيد ما قرعت بابا على
عالم قط **هو ازكى لكم** اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور
والبعد عن الريبة او انفع وانمى خيرا **والله بما تعملون عليم** وعيد للمخاطبين
بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه **ليس عليكم
جناح ان تدخلوا** في ان تدخلوا **بيوتا غير مسكونة** استثنى من البيوت التي
يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط و
حوانيت التجار **فيها متاع لكم** اي منفعة كالاستكنان من الحر والبرد و
ايذاء الرجال والسلع والشري والبيع وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور
الخالية من اهل الريبة **قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم** من للتبعيض و
المراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل **ويحفظوا فروجهم** عن
الزنا ولم يدخل من هنا لان الزنا لا رخصة فيه بوجه ويجوز النظر الي وجه
الاجنبية وكفيها وقدميها في رواية والي رأس المحارم والصدر والساقين
والعضدين **ذلك** اي غض البصر وحفظ الفرج **ازكى لهم** اي اطهر عن دنس
الاثم **ان الله خبير بما يصنعون** فيه ترغيب وترهيب يعني انه خبير باحوالهم
وافعالهم وكيف يخيلون ابصارهم ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن امرن بغض
الابصار فلا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبي الي ما تحت سرته الي ركبته وان اشتهت
غضت بصرها رأسا ولا تنظر الي المرأة الا الي مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب
اصلا اولى بها وانما قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا
ورائد الفجور فبذر الهوي طموح العين **ولا يبدين زينتهن** الزينة ما تزينت
به المرأة من حلي او كحل او خضاب والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة اذ اظهار
عين الزينة وهو الحلي ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها او اظهارها وهي في
مواضعها لاظهار اعيانها ومواضعها الرأس والاذن والعنق والصدر والعضد

والذراع والساق فهي للاكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار
والخلخال **الا ما ظهر منها** اي الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه
والكفان والقدمان ففي سترها حرج بين فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة
الاشياء بيديها ومن الحاجة الي كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
والنكاح وتضطر الي المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات
منهن **وليضربن** وليضعن من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها
عليه **بخمرهن** جمع خمار **على جيوبهن** بضم الجيم مدني وبصري وعاصم كانت
واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن
فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها **ولا يبدين
زينتهن** اي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها
الا لبعولتهن لازواجهن جمع بعل **او آبائهن** ويدخل فيهم الاجداد
او آباء بعولتهن فقد صاروا محارم **او ابنائهن** فيدخل فيهم **او ابناء
بعولتهن** فقد صاروا محارم ايضا **او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن**
ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة **او نسائهن**
اي الحرائر لان مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر **او ما ملكت ايمانهن** اي
امائهن ولا يحل لعبدها ان ينظر الي هذه المواضع منها خصيا كان او فحلا و
قال سعيد بن المسيب لا يغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور
وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها **او التابعين غير**
بالنصب شامي ويزيد وابو بكر على الاستثناء او الحال وغيرهم بالجر على البدل
او على الوصفية **اولي الاربة** الحاجة الي النساء وقيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من
فضل طعامكم ولا حاجة لهم الي النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن
او شيوخ صلحاء او العنين او الخصي او المخنث وفي الاثر انه المجبوب والاول الوجه
من الرجال حال **او الطفل الذين** هو جنس فصلح ان يراد به الجمع **لم يظهروا على
عورات النساء** اي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه او لم
يبلغوا اوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوي عليه وقدر عليه **و
لا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** كانت المرأة تضرب
الارض برجلها اذا مشت ليسمع قعقعة خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فنهين

عن ذلك اذا سماع صوت الزينة كاظهارها ومنه سمي صوت الحلي وسواسا
وتوبوا الي الله جميعا ايها المؤمنون ايه شامي اتباعا للضمة قبلها بعد
حذف الالف لالتقاء الساكنين وغيره على فتح الهاء لان بعدها الفا في التقدير
لعلكم تفلحون العبد لا يخلوا عن سهو وتقصير اوامره ونواهيه وان اجتهد
فلذا وصي المؤمنون جميعا بالتوبة وبتاويل الفلاح اذا تابوا وقيل احوج الناس
الي التوبة من توهم انه ليس له حاجة الي التوبة فظاهر الاية يدل على العصيان
لا ينافي الايمان وانكحوا الايامى منكم الايامى جمع ايم وهو من لا زوج له
رجلا كان او امراة بكرا كان او ثيبا واصله ايايم والصالحين اي الخيرين او
المؤمنين والمعنى زوجوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه
صلاح من عبادكم وامائكم اي من غلمانكم وجواريكم والامر للندب اذ
النكاح مندوب اليه ان يكونوا فقراء من المال يغنهم الله من فضله بالكفاية
والقناعة او باجتماع الرزقين وفي الحديث التمسوا الرزق بالنكاح وعن عمر
رضي الله عنه مثله والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق عليم
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقيل في الاية دليل على ان تزويج النساء الايامى
الي الاولياء كما ان تزويج العبيد والاماء الي الموالي قلنا الرجل لا يلي على الرجل
الايم الا باذنه فكذا لا يلي على المراة الا باذنها لان الايم ينتظمها وليستعفف
الذين وليجتهد في العفة كان المستعفف طالب من نفسه العفاف لا يجدون
نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله حتى
يقدرهم على المهر والنفقة قال عليه الصلوة والسلام يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجاء فانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم من
الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين
المغني عن الحرام ثم بعزف النفس الامارة بالسوء عن الطموح الي الشهوة عند
العجز عن النكاح الي ان يقدر عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
اي والمماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء او منصوب
بفعل يفسره فكاتبوهم وهو للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب
والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان

اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال فكتبت لي
على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال فكتبت علي العتق ويجوز
حالا او مؤجلا ومنجما وغير منجم لاطلاق الامر ان علمتم فيهم خيرا قدرة على
الكسب او امانة وديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط واتوهم من مال الله
الذي اتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم
من الزكوة لقوله وفي الرقاب وعند الشافعي رحمه الله معناه حطوا عنهم من بدل الكتابة
ربعا وهذا عندنا على وجه الندب والاول الوجه لان الايتاء هو التمليك فلا
يقع على الحط سال صبيح مولى حويطب ان يكاتبه فابى فنزلت واعلم ان العبيد
اربعة قن مقتنى للخدمة ومأذون في التجارة ومكاتب وابق فمثال الاول ولي
العزلة الذي حصل العزلة بايثار الخلوة وترك العشرة والثاني ولي العشرة وهو
نجي الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر اليهم بالعبرة ويامرهم بالغيرة فهو
خليفة رسول الله يحكم بحكم الله وياخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن الله ويتكلم
مع الله فالدنيا سوق تجارته والعقل راس بضاعته والعدل في الغضب والرضا
ميزانه والقصد في الفقر والغنى عنوانه والعلم مفزعه ومنجاه والقران كتاب الاذن
من مولاه فهو كائن في الناس بظواهره باين منهم بسرائره فقد هجروا فيما لا يعنيهم
في الله بالمناتم وصلهم فيما الهم عليه لله ظاهرا وما هو منهم بالعيش فيهم ولكن
معدن الذهب الرغام ياكل ما ياكلون ويشرب مما يشربون ما يديهم انه ضيف
الله يري السموات والارض قائمات بامره فكانه قيل فيه فان تفق الانام
وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فحال ولي العزلة له اصفى واحلى
وحال ولي العشرة اوفى واعلى ونزل الاول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة
النديم من الوزير عند السلطان اما النبي عليه الصلوة والسلام فهو كريم
الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين فباطن احواله
مهتدي ولي العزلة وظاهر اعماله مقتدي ولي العشرة والثالث المجاهد الحاذق
العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب في اليوم والليلة خمس وفي الما ئتين
خمسة وفي السنة شهر وفي العمر زورة فكانه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم
المرتبة فيسعى في فكاك رقبته خوفا من البقاء في ربقة العبودية وطمعا في
فسحة الحرية ليسرح في رياض الجنة فيتمتع بمناه ويفعل ما يشاء ويهواه والرابع

الاباق فما اكثرهم فمنهم القاضي الجاير والعالم غير العامل والقراء المرائي و
الواعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون اكثر اقواله فضول وعلى كل من لا ينفقه
نصول فضلا عن السارق والزاني والغاصب ففيهم اخبر النبي عليه الصلوة
والسلام ان الله لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الاخرة ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء كان لابن ابي ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة
واروي وقتيلة يكرههن على البغاء فضرب عليهن الضرايب فشكت
ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يكنى بالفتى والفتاة
عن العبد والامة والبغاء الزنا للنساء خاصة وهو مصدر والبغي ان
اردن تحصنا تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا الشرط لان الاكراه لا يكون
الا مع ارادة التحصن فامر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها ولا
نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة وفيه توبيخ بالموالي اذا رغبن
في التحصن فانتم احق بذلك لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا اي لتبتغوا
باكراههن على الزنا اجورهن واولادهن ومن يكرههن فان الله من
بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن وفي مصحف ابن مسعود كذلك و
كان الحسن يقول لهن والله ولعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة في
هو الذي يخاف منه التلف فكانت اثمة اولهم اذا تابوا ولقد انزلنا اليكم
ايات مبينات بفتح الياء حجازي وبصري وابو بكر وحماد والمراد الاية
التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود وجاز ان
يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وبكسرها غيرهم اي بينت هي الاحكام
والحدود جعل الفعل لها مجازا ومن بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي
عينين ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي
قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم عليهما السلام يعني قصة عائشة
رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به من الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم
بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا للمتقين
اي هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل نظير قوله الله نور السموات
والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره وقولك زيد كريم وجود ثم يقول
فيعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات والارض الحق شبهه بالنور

في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
اي من الباطل الى الحق واضاف النور اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو
اضاءته حتى يضيء له السموات والارض وجاز ان يراد اهل السموات والارض
وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة
كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج
ضخم ثاقب المصباح في زجاجة في قنديل من زجاج شامي ازهر الزجاجة كانها
كوكب دري مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه
وصفائه وبالكسر وبالهمز ابو بكر وعلي كانه يدرأ الظلام بضوئه وبالضم
ابو بكر وحمزة شبهوا في زهرته باحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة و
نحوها توقد بالتخفيف حمزة وعلي وابو بكر اي الزجاجة وتوقد بالتخفيف شامي
ونافع وحفص وتوقد مكي وبصري اي هذا المصباح من شجرة اي ابتداء
توقده من زيت شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع
او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا
منهم ابراهيم عليه السلام زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية
اي منبتها الشام يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو
الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت
شروقها او غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية
يكاد زيتها يضيء دهنها ولو لم تمسسه نار وصف الزيت بالصفاء والوبيص
فانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا النور الذي شبه به الحق
نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق
بقية مما يقوي النور وهذا لان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكوة
كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه والقنديل اعون
شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدني محسوس
معهود لعلي غير معاين ولا مشهود فابو تمام لما قال في المأمون اقدام عمرو في
سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس وقيل له ان الخليفة فوق من مثلته بهم
فقال مرتجلا لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس ضرب
الاقل لنوره مثلا من المشكوة والنبراس يهدي الله لنوره اي لهذا النور الثاقب

مَن يَشَآءُ من عباده اي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله او
بنظره في الدليل ويضرب الله الامثال للناس تقريبًا الي افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا
والله بكل شيء عليم فيبين كل شيء مما يمكن ان يعلم به فقال ابن عباس رضي الله عنهما
مثل نوره اي نور الله الذي هدى به المؤمن وقرا ابن مسعود رضي الله عنه مثل نوره
في قلب المؤمن كمشكوة وقرا ابي مثل نور المؤمن في بيوت يتعلق بمشكوة اي
كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في نور المشكاة
التي من صفتها كيت وكيت او بيوقد في بيوت او بيسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها
تكرير فيه توكيد نحو زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف اي سبحوا في بيوت أذن
الله اي امر ان ترفع تبني واذ يرفع ابراهيم القواعد او تعظيم من الرفعة وعن
الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه يتلى فيها كتابه
وهو عام في كل ذكر يسبح له فيها بالغدو والآصال اي يصلي له فيها بالغداة صلوة
الفجر وبالآصال صلوة الظهر والعصر والعشائين وانما وحد الغداة لان صلوتها
واحدة وفي الآصال صلوات والآصال جمع اصل جمع اصيل وهو العشي رجال فاعل
يسبح يسبح شامي وابو بكر ويسند الي احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو
ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح اي يسبح له لا تلهيهم لا تشغلهم تجارة في
السفر ولا بيع في الحضر وقيل التجارة الشري اطلاقا لاسم الجنس على النوع او
خص البيع بعد ما عم لانه اوغل في الالهاء من الشري لان الربح في البيعة الرابحة
يقين وفي الشري مظنون عن ذكر الله باللسان والقلب واقام الصلوة اي وعن
اقامة الصلوة والتاء في اقامة عوض من الالف الساقطة للاعلال اذ الاصل
اقوام فلما قلبت الواو الفا اجتمع الفان فحذف احدهما لالتقاء الساكنين فبقي
اقاما فادخلت التاء عوضا عن المحذوف فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام التاء
فاسقطت وايتاء الزكوة اي وعن ايتاء الزكوة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم
كاولياء العزلة او يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك واذا حضرت
الصلوة قاموا اليها غير متثاقلين كاولياء العشرة يخافون يوما اي يوم القيمة
ويخافون حال من الضمير في تلهيهم او صفة اخرى لرجال تتقلب فيه القلوب
ببلوغها الي الحناجر والابصار بالشخوص والزرقة او بقلب القلوب الي الايمان بعد
الكفران والابصار الي العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطاءك

فبصرك اليوم حديد ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله اي يسبحون و
يخافون ليجزيهم الله احسن جزاء اعمالهم اي ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على
الثواب الموعود على العمل تفضلا والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يثيب من يشاء ثوابا
لا يدخل في حساب الخلق هذه صفات المهتدين بنور الله فاما الذين ضلوا عنه
فالمذكورون في قوله والذين كفروا اعمالهم كسراب هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس
وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري بقيعة بقاع او جمع
قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار يحسبه الظمآن يظنه
العطشان ماء حتى اذا جاءه اي جاء الي ما توهم انه ماء لم يجده شيئا اي لم
يجده كما ظنه ووجد الله اي جزاء الله كقوله يجد الله غفورا رحيما اي يجد مغفرته
ورحمته عنده عند الكافر فوفاه حسابه اعطاه جزاء عمله وافيا كاملا ووحد
بعد تقدم الجمع حملا على كل واحد من الكفار والله سريع الحساب لانه لا
يحتاج الي عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب او قريب حسابه لانه ما هو آت قريب
شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها
تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر
بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا
يجد ما رجاه ويجد زبانية الله ياخذونه فيعتلونه الي جهنم فيسقونه الحميم و
الغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا
قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان يترهب ملتمسا للدين في الجاهلية فلما
جاء الاسلام كفر او كظلمات في بحر او هنا كاو في او كصيب لجي عميق كثير الماء
منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر يغشاه يغشى البحر او من فيها اي يعلوه ويغطيه
موج هو ما ارتفع من الماء من فوقه موج اي من فوق الموج موج آخر من فوقه
سحاب من فوق الموج الاعلى سحاب ظلمات اي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة
الامواج وظلمة البحر بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج
وظلمة السحاب على الموج اذا اخرج يده اي الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم
يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها و
حضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم تلفه خيبة كخيبته من
السراب بمني ووجد عنده الزبانية تعتله الي النار وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها

لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج و
السحاب ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اي لم يهده الله لم يهتد عن
الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك
النور اهتدي ومن اخطاه ضل الم تر الم تعلم يا محمد علما يقوم مقام العيان
في الايقان ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير عطف على من صافات
حال من الطير اي يصففن اجنحتهن في الهواء كل قد علم صلوته وتسبيحه الضمير
في علم لكل او لله وكذا في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله
الطير وتسبيحه كما الهمه سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها
والله عليم بما يفعلون لا يعزب عن علمه شئ ولله ملك السموات والارض لانه
خالقهما ومن ملك شيئا فتمليكه اياه والى الله المصير مرجع الكل الم تر ان
الله يزجي يسوقه الى حيث يريد سحابا جمع سحابة دليله ثم يؤلف بينه وتذكيره
للفظ اي يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى
الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وينزل
وينزل مكي وبصري من السماء لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السماء من جبال
للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء فيها من برد للبيان
او للاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من
جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال اي بعض جبال ومعني من جبال فيها
من برد ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر او يريد الكثرة
بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب فيصيب به بالبرد من يشاء
اي يصيب الانسان وزرعه ويصرفه عمن يشاء فلا يصيبه او يعذب به من يشاء و
يصرفه عمن يشاء فلا يعذب به يكاد سنا برقه ضوءه يذهب بالابصار يخطفها
يذهب يزيد على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في الاختلاف طولا و
قصرا والتعاقب ان في ذلك في ازجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقليب الليل
والنهار لعبرة لاولي الابصار لذوي العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته
حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب
الى اخر ما ذكر فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر
ثم بين دليلا آخر فقال والله خلق كل خالق كل حمزة وعلي دابة كل حيوان يدب

على وجه

على وجه الارض من ماء اي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او من ماء
مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة منها هوام ومنها
بهايم ومنها اناسي وهو كقوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها في الاكل وهذا دليل
على ان لها خالقا مدبرا والا لم يختلف لاتفاق الاصل وانما عرف الماء في قوله و
جعلنا من الماء كل شئ حي لان المقصود ثم ان اجناس الحيوان مخلوقة من جنس
الماء وانه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا ان اول ما خلق الله الماء
فخلق منه النار والريح والطين فخلق من النار الجن ومن الريح الملائكة ومن
الطين آدم ودواب الارض ولما كانت تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فا
عطي
ما ورائه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فقيل فمنهم من يمشي على بطنه
كالحية والحوت وسمي الزحف على البطن مشيا استعارة كما يقال في الامر المستمر
قد مشى هذا الامر او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين ومنهم من
على رجلين كالانسان والطير ومنهم من يمشي على اربع كالبهائم وقدم ما هو
اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او غيرها ثم الماشي على اربع
يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شئ قدير لا يتعذر عليه شئ لقد انزلنا
آيات مبينات والله يهدي من يشاء بلطفه ومشيئته ومنته الى صراط مستقيم
دين الاسلام الذي يوصله الى جنته فالايات لالزام حجته ولما ذكر انزال الايات
ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلاث فرق فرقة صدقت ظاهرا وكذبت باطنا
وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت ظاهرا
وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب وبدا بالمنافقين فقال ويقولون آمنا
بالله وبالرسول بالسنتهم واطعنا الله والرسول ثم يتولى يعرض عن الانقياد
لحكم الله ورسوله فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول
واطعنا وما اولئك بالمؤمنين اي مخلصين وهو اشارة الى القائلين آمنا واطعنا
لا الى الفريق المتولي وحده وفيه اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان
لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والاعراض وان كان من بعضهم فالرضاء بالاعراض
من كلهم واذا دعوا الى الله ورسوله اي الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم
زيد ليحكم الرسول بينهم اذا فريق منهم معرضون اي فاجاء من فريق منهم
الاعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل

اليهودي ويحرم الي رسول الله والمنافق الي كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا

يحيف علينا وان يكن لهم الحق اي اذا كان الحق لهم علي غيرهم يأتوا اليه الي

الرسول عليه الصلوة والسلام مذعنين حال اي مسرعين في الطاعة طلبا لحقهم

لا رضي بحكم رسوله وقال الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة والمعني انهم

لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحث الخالص يمتنعون عن

المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا ينتزع من احداقهم بقضايك عليهم

لخصومهم وان ثبت لهم حق علي خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا بحكومتك لتا خذهم

ما وجب لهم في ذمة الخصم في قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف

الله عليهم ورسوله قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بان يكونوا

مرضي القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم

ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم

لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين

وعن الحسن قول بالرفع والنصب اقوي لان اولي الاسمين بكونه اسما لكان او

غلهما في التعريف وان يقولوا اوغل بخلاف قول المؤمنين اذا دعوا الي الله و

رسوله ليحكم اي النبي يريد ليفعل الحكم بينهم بحكم الله الذي انزل عليه ان يقولوا

سمعنا قوله واطعنا امره واولئك هم المفلحون الفائزون ومن يطع الله في

فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله علي ما مضي من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل

فاولئك هم الفائزون وعن بعض الملوك انه سال عن اية كافية فتليت له هذه

الاية وهي جامعة لاسباب الفوز ويتقه بسكون الهاء ابو عمرو وابو بكر بنية الوقف

وبسكون القاف وكسر الهاء مختلسة حفص وبكسر القاف والهاء غيرهم واقسموا

بالله جهد ايمانهم اي حلف المنافقون بالله وهو جهد اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم

وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصي وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين

وبلغ غاية شدتها وكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد

يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم بجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر

فوضع موضعه مضافا الي المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب

حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن اي ولئن امرنا محمد عليه

الصلاة والسلام بالخروج الي الغزو لغزونا او بالخروج من ديارنا لخرجنا قل لا

تقسموا

تقسموا لا تحلفوا كاذبين لانه معصية طاعة معروفة امثل واولي بكم من هذه

الايمان الكاذبة مبتدا محذوف الخبر او خبر مبتدا محذوف اي الذي يطلب

منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين

لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم علي خلافها ان الله خبير بما تعملون

يعلم ما في ضمائركم ولا يخفي عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم

علي نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول صرف الكلام عن الغيبة الي الخطاب علي

طريق الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما

حملتم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس

عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادي فقد خرج عن عهدة

تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم عن التلقي بالقبول والاذعان فان لم

يفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم سخط الله وعذابه وان تطيعوه تهتدوا

اي فان اطعتموه فيما يامركم وينهيكم فقد احرزتم نصيبكم من الهدي فالضرر

والنفع عائدان اليكم وما علي الرسول الا البلاغ المبين وما علي الرسول الا

ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليتكم والبلاغ بمعني التبليغ كالاداء

بمعني التادية والمبين الظاهر لكونه مقرونا بالايات والمعجزات ثم ذكر المخلصين

فقال وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب للنبي عليه

الصلوة والسلام ولمن معه ومنكم للبيان وقيل المراد به المهاجرين ومن للتبعيض

ليستخلفنهم في الارض اي ارض الكفار وقيل ارض المدينة والصحيح

انه عام لقوله عليه الصلوة والسلام ليدخلن هذا الدين علي ما دخل عليه الليل

كما استخلف استخلف ابو بكر الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم

وليبدلنهم وليبدلنهم بالتخفيف مكي وابو بكر من بعد خوفهم امنا

وعدهم الله ان ينصر الاسلام علي الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء

كما فعل بني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن

الدين المرتضي وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم

ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم

واصحابه رضوان الله تعالي عليهم مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا و

كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتي قال رجل ما ياتي علينا يوم

نأمن فيه ونضع الاسلاح فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام لاتغبرون الا
يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم ليس فيه حديدة فانجز الله وعده
واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك
الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا والقسم المتلقى باللام والنون
في ليستخلفنهم محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد
الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم
يعبدونني ان جعلته استينافا فلا محل له كانه قيل مالهم يستخلفون ويؤمنون
فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال
عبادتهم فمحله النصب لا يشركون بي شيئا حال من فاعل يعبدونني اي
يعبدونني موحدين ويجوز ان يكون حالا اي بدلا من الحال الاولى ومن كفر
بعد ذلك اي بعد الموعد والمراد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فا
فاولئك هم الفاسقون هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة
وجسروا على غمطها قالوا اول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا
بعدما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف والآية اوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء
الراشدين رضي الله عنهم لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم
واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا يضر الفصل و
ان طال واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فيما يدعوكم اليه وكررت طاعة الرسول
لوجوبها لعلكم ترحمون لكي ترحموا فانها من مستجلبات الرحمة ثم ذكر الكافرين
فقال لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض اي فائتين الله بان لا يقدر عليهم فيها
فالتاء خطاب للنبي عليه الصلوة والسلام وهو الفاعل والمفعول لان الذين
كفروا معجزين وبالياء شامي وحمزة والفاعل النبي عليه الصلوة والسلام لتقدم
ذكره والمفعولان الذين كفروا معجزين وماويهم النار معطوف على لا تحسبن الذين
كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله وماويهم النار ولبئس المصير
اي المرجع النار يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم بان
يستاذن العبيد او العبيد والاماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم و
الاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وقرئ بسكون اللام تخفيفا ثلث مرات
في اليوم والليلة وهي من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع و

مختبئاً

طرح

طرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم من
الظهيرة وهي نصف النهار في القيظ لانها وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد
صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات
لكم اي هن اوقات ثلث عورات فحذف المبتدأ والمضاف وبالنصب كوفي غير
حفص بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وسمي كل واحد من هذه الاحوال
عورة لان الانسان يختل تستره فيها والعورة الخلل ومنها الاعور المختل العين
دخل غلام من الانصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت
الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه وددت ان
الله تعالى نهى عن الدخول في هذه الساعة الا باذن فانطلق الى النبي عليه الصلوة
والسلام وقد نزلت عليه الآية ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات
بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي لا اثم عليكم ولا على المذكورين في
الدخول بغير استيذان بعدهن ثم بين العلة في ترك الاستيذان في هذه الاو
بقوله طوافون عليكم اي هم طوافون لحوائج البيت بعضكم مبتدأ خبره
على بعض تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة طوافون عليه
فيجوز ان يكون للجملة بدلا من التي قبلها وان يكون مبينة مؤكدة يعني ان بكم وبهم
حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام
فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لافضى الى الحرج وهو مدفوع في الشرع
بالنص كذلك يبين الله لكم الآيات اي كما بين حكم الاستيذان يبين لكم غيره
من الآيات التي تحتاجون الى بيانها والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان مراده
واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الحلم الاحتلام اي اذا
بلغوا وارادوا الدخول عليكم فليستاذنوا في جميع الاوقات كما استاذن الذين
من قبلهم اي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا
في قوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى
ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا
اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك
العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا
الدخول عليكم الا باذن والناس عن هذا غافلون وعن ابن عباس رضي الله عنه

قات

ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقوله
واذا حضر القسمة وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة والله ماهي بمنسوخة
كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم فيما يبين من الاحكام حكيم فيما شرع بمصا
الانام والقواعد جمع قاعد لانها من الصفات المختصة بالنساء كالطالق و
الحائض اي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن من النساء حال
اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه وهي في محل الرفع صفة للمبتداء وهي
القواعد والخبر فليس عليهن جناح اثم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط
بسبب الالف واللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اي الظاهرة كالملحفة
والجلباب الذي فوق الخمار غير حال متبرجات بزينة اي غير مظهرات زينة
يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك اي لا يقصدن لو ضعها
التبرج ولكن التخفيف وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه وان
يستعففن اي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيتسترن وهو مبتداء خبره خير
لهن والله سميع لما يقلن عليم بما يقصدن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج قال سعيد بن مسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي
عليه الصلوة والسلام وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والمريض والاعرج
وعند اقاربهم و يأذنوهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون من ذلك يقولون
نخشى ان لا يكون انفسهم طيبة نزلت الاية رخصة لهم ولا على انفسكم اي
حرج ان تاكلوا من بيوتكم اي من بيوت اولادكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم
نفسه رخصة لهم ولذا لم يذكر الاولاد في الاية وقد قال عليه الصلوة والسلام
انت ومالك لابيك او بيوت ازواجكم لان الزوجين صارا كنفس واحدة فصار
بيت المرأة كبيت الزوج او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم
او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاذن من
هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح الغلق قال ابن عباس رضي
الله عنهما هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان ياكل من ثمر ضيعته ويشرب
من لبن ماشيته واريد بملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل اريد به بيت عبده
لان العبد وما في يده لمولاه او صديقكم يعني او بيوت اصدقائكم والصديق يكون
واحدا وجمعا وهو من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك وكان الرجل من

السلف

السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فاذا
حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا
يوكل الا باذن ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا مجتمعين او اشتاتا متفرقين جمع شت نزلت
في بني ليث بن عمرو كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره
الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة او في قوم من الانصار اذا نزل
بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم او تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف
الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت
لتاكلوا فسلموا على انفسكم اي فابدؤا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا و
قرابة او بيوتا فارغة او مسجدا فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية
نصبت بسلموا لانها في معنى تسليما نحو قعدت جلوسا من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة
من لدنه ولان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيي من عند الله
مباركة طيبة وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله
زيادة الخير وطيب الرزق كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون
لكي تعقلون وتفهموا انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا
معه على امر جامع اي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل
اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين لم يذهبوا حتى يستاذنوه اي ويأذن ولما اراد
عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسوله بغير اذنه اذا كانوا
معه على امر جامع جعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان
برسوله وجعلهما كالتسبب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما
وايقاع المؤمنين مبتداء مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذلك الايمانين
ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان
الذين يستاذنونك اولئك يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل
الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا
فاذا استاذنوك في الانصراف لبعض شانهم امرهم فأذن لمن شئت منهم
فيه رفع شانه عليه الصلوة والسلام واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم و
ذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الافضل ان لا يستاذنوه قالوا وينبغي
ان يكون الناس كذلك مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم

ولا يفرقون عنهم الا باذن قيل نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون
الى منازلهم من غير استيذان لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
اي اذا احتاج رسول الله الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا
باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير
اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه
باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع
التوقير والتعظيم والصوت المخفوض قد يعلم الله الذين يتسللون يخرجون قليلا
قليلا منكم لواذا حال اي لاوذين واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك و
ذاك بهذا اي يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة فاستتار
بعضهم لبعض فليحذر الذين يخالفون عن امره اي الذين يصدون عن امره
دون المومنين وهم المنافقون يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ونزه
الضمير في امره لله سبحانه او للرسول عليه الصلوة والسلام والمعنى عن طاعته
ودينه ومفعول يحذر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او قتل او زلزال و
اهوال او تسليط سلطان جائر او قسوة القلب عن معرفة الرب او اسباغ النعم
استدراجا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة والاية تدل على ان الامر للايجاب الا
ان لله ما في السموات والارض الا تنبيه على ان لا يخالفوا امر من له ما في السموات والار
قد يعلم ما انتم عليه ودخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين
والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد والمعنى ان جميع ما في السموات
والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا
مجتهدين في سترها ويوم يرجعون اليه وبفتح الياء وكسر الجيم اي ويعلم يوم يردون
الى جزائه وهو يوم القيمة والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم
يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون
ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين فينبئهم يوم القيمة بما عملوا بما
من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم والله بكل شيء عليم فلا يخفى
عليه خافية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قرء سورة النور على المنبر في الموسم
وفسرها على وجه انه سمعته الروم لاسلمت

تبارك تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله تزايد
خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وهي كلمة تعظيم لم
تستعمل الا لله وحده والمستعمل الماضي فحسب الذي نزل الفرقان هو مصدر فرق
بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القران لفصله بين الحق والباطل والحلال
والحرام او لانه لم ينزل جملة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال
الى قوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا على عبده محمد
عليه الصلوة والسلام ليكون العبد او الفرقان للعالمين الجن والانس وعموم
الرسالة من خصائصه عليه الصلوة والسلام نذيرا اي منذرا او انذارا كالنكير
بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى عذابي ونذر الذي يرفع على انه خبر مبتدا محذوف
او على الابدال من الذي نزل وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون
لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به او نصب
على المدح له ملك السموات والارض على الخلوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى
عزير والمسيح عليهما السلام ولم يكن له شريك في الملك كما زعمت الثنوية وخلق
كل شيء اي احدث كل شيء وحده لا كما يقول المجوس والثنوية من النور والظلمة
ويزدان واهرمن لا شبهة فيه لمن يقول ان الله شيء ولا لمن يقول بخلق الله
القران لان الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولا له على ان لفظ شيء اختص بما
يصح ان يخلق بقرينة وخلق وهذا اوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق افعال
العباد فقدره تقديرا فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما انه خلق الانسان على هذا الشكل
الذي نراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا او تقديره
للبقاء الى ابد معلوم واتخذوا الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين
ولدلالة نذيرا عليهم لانهم المنذرون من دونه الهة اي الاصنام لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون اي انهم اثروا على عبادة من هو منفرد بالالوهية
والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شيء وهم مخلوقون
ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها
ولا جلب نفع اليها ولا يملكون موتا اي اماتة ولا حيوة احياء ولا نشورا احياء
بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها وقال الذين كفروا ان هذا ما

هذا القرآن إلا إفك كذب افتراه اختلقه واخترعه محمد عليه الصلوة والسلام
من عند نفسه وأعانه عليه قوم آخرون أي اليهود أو عداس ويسار وأبو فكيهة
الرومي قاله النضر بن الحارث فقد جاءو ظلماً وزوراً هذا إخبار من
الله تعالى ورد للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدى
تعديته أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وجور وظلمهم أن جعلوا العربي
يتلقن من العجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور
أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه وقالوا أساطير الأولين أي هو أحاديث
المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة اكتتبها
كتبها لنفسه فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه بكرة أول النهار وأصيلاً آخره
فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا قل يا محمد أنزله أي القرآن الذي يعلم السر
في السموات والأرض أي يعلم كل سر يخفى في السموات يعني أن القرآن لما اشتمل
على علم الغيوب التي يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلوة والسلام من غير
تعليم دل ذلك على أنه من عند علام الغيوب إنه كان غفوراً رحيماً فيمهلهم
ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم وقالوا مال هذا الرسول وقعت
اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا يغير وتسميتهم
إياه بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا أي شيء لهذا الزاعم أنه رسول الله عليه
الصلوة والسلام يأكل الطعام ويمشي في الأسواق حال والعامل فيها هنا
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل
منها أي إن صح أنه رسول الله عليه الصلوة والسلام فما باله يأكل الطعام كما
نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن
يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش ثم تنزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون
إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم تنزلوا إلى أن يكون مرفوداً
بكنز فيلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم تنزلوا إلى أن
يكون رجلاً له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة علي وحمزة ويحيى
عطف المضارع وهو يلقى ويكون على أنزل وهو مما من دخول المضارع وهو فيكون
بينهما وتنصب فيكون على القراءة المشهورة لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم
الاستفهام وأراد بالظالمين وقال الظالمون أي إياهم بأعيانهم غير أنه وضع

الظاهر

الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش إن
تتبعون إلا رجلاً مسحوراً سحر فجن أو ذا سحر وهو الرتة أي لكن عنوا أنه بشر لا ملك
انظر كيف ضربوا بينوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك
تلك الصفات والأحوال من المفتري والمملى عليه والمسحور فضلوا عن الحق
فلا يستطيعون سبيلاً فلا يجدون طريقاً فيه تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً
من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً أي تكاثر خير
الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك
في الآخرة من الجنات والقصور وجنات بدل من خيراً ويجعل بالرفع مكي وشامي
وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع بل كذبوا بالساعة عطف
على ما حكي عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة أو متصل
بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون
بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها وأعتدنا لمن كذب بالساعة
سعيراً وهيأنا للمكذبين بها ناراً شديدة الاستعار إذا رأتهم أي النار أي
قابلتهم من مكان بعيد إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا لها
تغيظاً وزفيراً أي سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر
أو إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار وإذا ألقوا منها من
النار مكاناً ضيقاً ضيقاً مكي الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذا
وصفت الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين أي وهم مع ذلك الضيق
مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال أو يقرن
مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد دعوا هنالك حينئذ ثبوراً
هلاكاً أي قالوا واثبوراه أي تعالى يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم
ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً أي إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو
ثبور كثير قل أذلك خير أي المذكور من صفة النار خير أم جنة الخلد التي وعد
المتقون أي وعدها فالراجع إلى الموصول محذوف وإنما قال أذلك خير ولا خير
في النار توبيخاً للكفار كانت لهم جزاء ثواباً ومصيراً مرجعاً وإنما قيل كانت لأن
ما وعده الله تعالى كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوباً في اللوح قبل أن خلقهم

لهم فيها ما يشاؤن اي ما يشاؤنه خالدين حال من ضمير يشاؤن والضمير في كان لما يشاؤن على ربك وعدًا موعودًا مسئولًا مطلوبًا او حقيقًا ان يسأل او قد سأل المسلمون والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم للبعث عند الجمهور وبالياء مكي ويزيد ويعقوب وحفص وما يعبدون من دون الله يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي يعني الاصنام ينطقها الله وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لان اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم فيقول وبالنون شامي ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل والقياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وضل مطاوع اضله والمعنى انتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بادخال الشبه ام ضلوا عنه بانفسهم وانما لم يقل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل وزيد انتم وهم لان السؤال ليس عن وجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام ليعلم انه المسئول عنه وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسئول عنه ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فتزيد حسرتهم قالوا سبحانك تعجب منهم مما قيل لهم او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي او ملك او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء اي ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك نتخذ يزيد واتخذ يتعدى الى مفعول واحد نحو اتخذ وليا والى مفعولين نحو اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدى الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد النفي والقراءة الثانية من المتعدي الى مفعولين فالمفعول الاول ما بني له الفعل والمفعول الثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء لان من لا تزاد في المفعول الثاني بل في الاول يقول ما اتخذت من احد وليا ولا يقول ما اتخذت احدا من ولي ولكن متعتهم وآباءهم بالاموال والاولاد وطول العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر اي ذكر الله والايمان به والقرآن

والرابع

والرابع وكانوا قوما بورا هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفار بطريق الخطاب عدولا عن الغيبة اليه فقد كذبوكم وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيرها يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا بما تقولون بقولكم فيهم انهم آلهة والياء على هذا كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما يقولون وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء والباء على هذا كقولك كتبت بالقلم فما تستطيعون صرفا ولا نصرا اي فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب ولا ان ينصروكم ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله ومن يظلم منكم اي يشرك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم ويؤيده قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم نذقه عذابا كبيرا فسر بالخلود في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لاجل اللام في الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اي من المرسلين ونحوه وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد وقيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وتسلية للنبي عليه الصلوة والسلام وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما عيروه به من الفقر ومشيه في الاسواق يعني انه جعل الاغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء اتصبرون على هذه الفتنة فتؤجروا ام لا تصبرون فيزداد غمكم وحكي ان بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجرا فرأى خصيا في مراكب ومراكب فخطر بباله شيء فاذا بقارئ يقرأ هذه الآية فقال بلى نصبر ربنا وجعلناك فتنة لهم لانك لو كنت صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لنا وكان ربك بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به او عن

الاسواق

يصبر ويجزع وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة لا
يؤمنون بالبعث او لا يخافون عقابنا اما لان الراجي قلق فيما يرجوه كالخايف او لان
الرجاء في لغة تهامة الخوف لولا هلا انزل علينا الملائكة رسلا دون البشر
او شهودا على نبوته ودعوي رسالته او نري ربنا جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه
لقد استكبروا في انفسهم اي اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم
وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا وصف العتو بالكبير فبالغ
في افراطه اي انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار
واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف يوم يرون الملائكة اي يوم
الموت او يوم البعث ويوم منصوب بما دل عليه لا بشري اي يوم يرون
الملائكة يمنعون البشري وقوله يومئذ مؤكدا ليوم يرون او باضمار اذكر
اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم اخبر فقال لا بشري بالجنة يوم لا ينتصب بيرون
لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا ببشري لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما
قبله ولان المنفي بلا لا يعمل فيما قبل لا للمجرمين ظاهر في موضع ضمير او عام متناول
بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لان مطلق الاسماء
يتناول اكمل المسميات ويقولون اي الملائكة حجرا محجورا حراما محرما عليكم
البشري اي جعل الله ذلك حراما عليكم انما البشري للمؤمنين والحجر مصدر والفتح
والكسر لغتان وقري بهما وهو من حجره اذا منعه وهو من المصادر المنصوبة بافعال
متروك اظهارها ومحجورا لتاكيد معني الحجر كما قالوا موت مائت وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا هو صفة لهباء ولا قدوم هنا ولكن مثلت
حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقري ضيف
ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم على اشيائه وقصد الى ما تحت
يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا والهباء ما يخرج من الكوة
مع ضوء الشمس شبه بالغبار والنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا
يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع ثم بين فضل اهل الجنة على اهل النار فقال
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا تمييز والمستقر المكان الذي يكونون
فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون واحسن مقيلا مكانا يأوون
اليه للاسترواح الى ازواجهم ولا نوم في الجنة ولكنه سمي مكان استرواحهم الى

الحور مقيلا على طريق التشبيه وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك
اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي لفظ الاحسن
تهكم به ويوم واذكر يوم تشقق السماء والاصل تتشقق فحذف كوفي وابو عمرو
والتاء وغيرهم ادغمها في الشين بالغمام لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام
منها جعل الغمام كانه يشق به السماء كما يقال شق السنام بالشفرة وانشق بها
ونزل الملائكة تنزيلا وننزل الملائكة تنزيلا وعلى هذا مصدر من غير لفظ
الفعل والمعني ان السماء تنفتح بغمام ابيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة
ينزلون وفي ايديهم صحايف اعمال العباد الملك مبتداء يومئذ ظرفه الحق
نعته ومعناه الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ولا يبقى الا ملكه للرحمن
خبره وكان ذلك اليوم يوما على الكافرين عسيرا شديدا يقال عسر عليه فهو
عسير وعسر فهو عسر ويفهم منه يسره على المؤمنين وفي الحديث يهون يوم
القيمة على المؤمنين حتى يكون عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها في الدنيا
ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من
روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام في طبقة الفصاحة
ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكني عنه واللام
في الظالم للعهد واريد به عقبة لما نبين او للجنس فيتناول عقبة وغيره من
الكفار يقول ياليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول محمد عليه الصلوة والسلام
سبيلا طريقا الي النجاة او الجنة وهو الايمان ياويلتا وقري ياويلتي بالياء
وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعال فهذا اوانك
وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
فلان كناية عن الاعلام فان اريد بالظالم عقبة لما روي انه اتخذ ضيافة
فدعي اليها رسول الله صلي الله عليه وسلم فابي ان ياكل من طعامه حتى ينطق
بالشهادتين ففعل فقال له ابي بن خلف وجهي من وجهك حرام الا ان يرجع
فارتد فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكني عن اسمه وان اريد به الجنس فكل
من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه و
قيل هو كناية عن الشيطان لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او القرآن
او الايمان بعد اذ جاءني من الله وكان الشيطان اي خليله سماه شيطانا لانه

اضله كما يضله الشيطان او ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول
عليه الصلوة والسلام للانسان المطيع له خذولا هو مبالغة من الخذل لانه اي
من عادته ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الله تعالى او كلام الظالم وقال
الرسول اي محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا يارب ان قومي قريشا اتخذوا هذا
القرآن مهجورا متروكا اي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لا
فهذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا اليه قومهم حل
بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك اي كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى
بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك
عليهم والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا والباء زائدة اي وكفى ربك هاديا
وهو تمييز وقال الذين كفروا اي قريش او اليهود لولا نزل عليه القرآن حال من
القرآن اي مجتمعا واحدة يعني هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما
انزلت الكتب الثلاثة وماله انزل على التفاريق وهذا فضول من القول ومماراة
بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة
او مفرقا ونزل هنا بمعنى انزل والا كان متدافعا بدليل جملة واحدة وهذا اعتراض
فاسد لانهم جدوا بالاتيان بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم
حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة وبدلوا المهج وما مالوا الى الحجج كذلك
جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا في عشرين سنة او في ثلاث وعشرين وذلك
في كذلك اشارة الى مدلول قوله لولا انزل عليه القرآن جملة لان معناه لم انزل عليه
القرآن مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت به فؤادك لنقوي بتفريقه فؤادك حتى
تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا
عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه او لنثبت فؤادك عن الضجر بتواتر
الوصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ورتلناه ترتيلا
معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه اي قدرناه
آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة وامرناك بترتيل قرآته وذلك قوله ورتل القرآن
ترتيلا اي اقرأه بترتل وتثبت او بيناه تبيينا والترتيل التبيين في ترتل وتثبت
ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا

هاديا ونصيرا

جئناك بالحق الا اتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه واحسن تفسيرا ولما
هو احسن معنى ومؤدا من مثلهم اي من سؤالهم وانما حذف من مثلهم لان في
الكلام دليلا عليه كما لو قلت رأيت زيدا وعمروا وكان عمرو احسن وجها فيه دليل
على انك تريد من زيد ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع
موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا يأتونك
بحال وصفة عجيبة يقولون هلا انزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على
صحته يعني ان تنزيله تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما
نزل شيء فيها ادخل في الاعجاز من ان ينزل كله جملة الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اولئك شر الذين مبتدأ واولئك مبتدأ ثان وشر خبر اولئك
واولئك مع شر خبر الذين او التقدير هم الذين او اعني الذين واولئك مستأنف
مكانا اي مكانة ومنزلة او مسكنا ومنزلا واضل سبيلا ولخطأ طريقا وهو
من الاسناد المجازي والمعنى ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله
وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على
وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله
وفي طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه
الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف
على الدواب وصنف على ارجلهم وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون
على وجوههم فقال عليه الصلوة والسلام الذي مشاهم على اقدامهم يمشيهم
على وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التورية كما آتيناك القرآن وجعلنا معه
اخاه هارون بدلا او عطف بيان وزيرا وهو في اللغة من يرجع اليه و
يتحصن برأيه من الوزر وهو الملجأ والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في
الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم
الذين كذبوا باياتنا اي فرعون وقومه وتقديره فذهبا اليهم وانذرا
فكذبوهما فدمرناهم تدميرا التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد اختصار القصة
فذكر اولها واخرها لانهما المقصود من القصة اعني الزام الحجة ببعثة الرسل و
استحقاق التدمير بتكذيبهم وقوم نوح اي ودمرنا قوم نوح لما كذبوا الرسل

نك

يعني نوحا وادريس وشيثا عليهم السلام او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا
للجميع اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس اية
عبرة يعتبرون بها واعتدنا وهيأنا للظالمين لقوم نوح عليه السلام واصله
واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم فاظهر او هو عام لكل من ظلم ظلم شرك و
يتناولهم بعمومه عذابا اليما اي النار وعادا اي ودمرنا عادا وثمود حمزة و
حفص على تاويل القبيلة وغيرهما وثمودا على تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر
واصحاب الرس هم قوم شعيب يعبدون الاصنام وكذبوا شعيبا فبيناهم حول
الرس وهو البير غير المطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس
قرية قتلوا نبيهم فهلكوا وهم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا و
اهلكنا امما بين ذلك المذكور كثيرا لا يعلمها الا الله ارسل اليهم الرسل فكذبوهم
فاهلكوا وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له
الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني تبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعني
اهل مكة على القرية سدوم وهي اعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك اربعا
مع اهلها وبقيت واحدة التي امطرت مطر السوء اي امطر الله عليها الحجارة يعني
ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة
من السماء ومطر السوء مفعول ثان والاصل امطرت القرية مطرا او مصدر محذوف
الزوائد اي امطار السوء افلم يكونوا يرونها اما شاهدوا ذلك بابصارهم
عند سفرهم الى الشام فيتفكروا فيؤمنوا بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا قوما
كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون
لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم واذا راوك ان يتخذونك ان نافية الا هزوا
اتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي
بعد القول المضمر وهذا استصغار واستهزاء اي قائلين اهذا الذي بعث الله
رسولا والمحذوف حال والعايد الى الذي محذوف اي بعثه ان كاد ليضلنا
عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو
دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا
بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم

وسوف

وسوف يعلمون حين يرون العذاب هو وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه
وان طالت مدة الامهال من اضل سبيلا هو كالجواب عن قولهم ان كاد
ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال اذ لا يضل غيره
الا من هو ضال في نفسه ارايت من اتخذ الهه هواه اي من اطاع هواه
فيما ياتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسول الله هذا الذي لا
يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى يروى ان الواحد من
اهل الجاهلية كان يعبد الحجر فاذا مر بحجر احسن منه ترك الاول وعبد الثاني
وعن الحسن هو في كل متبع هواه افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا تحفظه عن متابعة
هواه وعبادة ما يهواه او افانت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى
عرفه ان اليه التبليغ فقط ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم
الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة
اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع
والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام
التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الا
ستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من
يعلفها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما
يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذي
هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون
للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي فقالوا للملائكة روح وعقل وللبهائم
نفس وهوى والادمي مجمع الكل ابتلاء فان غلبته النفس فضلته الانعام وان غلبته
الروح والعقل فضل الملائكة الكرام وانما ذكروا الاكثر لان فيهم من لم يصده عن
الاسلام الا حب الرياسة وكفى به داء عضالا ولان فيهم من امن الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل اي بسطه فعم الارض و
ذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لانه ظل ممدود
لا شمس معه ولا ظلمة وهو كما قال في ظل الجنة وظل ممدود اذ لا شمس معه ولا ظلمة
ولو شاء لجعله ساكنا اي دايما لا يزول ولا يذهبه ثم جعلنا الشمس عليه على الظل

دليلاً لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء تعرف
باضدادها ثم قبضناه اي اخذنا ذلك الظل الممدود الينا الي حيث اردنا
قبضا يسيرا سهلا غير عسير اي قليلا قليلا اي جزءا اجزاء بالشمس التي تاتي عليه
وجاء بثم لتفاضل ما بين الامور فكان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم
من الثاني شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت وهو
الذي جعل لكم الليل لباسا جعل الظلام الساتر كاللباس والنوم سباتا راحة لابدانكم لا
وقطعا لاعمالكم والسبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته وقيل
السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة وهو كقوله وهو الذي يتوفيكم
بالليل ويعضده ذكر النشور في مقابلته وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انبعاث
من النوم كنشور الميت او ينشر فيه الخلق للمعاش وهذه الاية مع دلالتها على قدرة
الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية
وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحيوة عبرة لمن اعتبر وقال لقمان لابنه
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح الريح مكي والمراد
به الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور بين يدي رحمته قدام المطر لانه ريح ثم
سحاب ثم مطر وهذه استعارة مليحة وانزلنا من السماء ماء طهورا
بليغا في طهارته والطهور صفة كقولك ماء طهورا اي طاهر واسم كقولك لما
يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضا به وتوقد به النار ومصدر بمعنى
التطهر كقولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا صلوة الا
بطهور اي بطهارة وما حكى عن ثعلب هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره وهو
مذهب الشافعي رحمه الله ان كان هذا زيادة بيان لطهارته فحسن ويعضده قوله
تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في
شيء وقياسه على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لان
بناء الفعول للمبالغة فان كان الفعل متعديا فالفعول متعد وان كان لازما فلازم
لنحيي به بالمطر بلدة ميتا ذكر ميتا على ارادة البلد او المكان ونسقيه مما
خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي ونسقي الماء البهائم والناس ومما خلقنا حال
من انعاما واناسي اي انعاما مما خلقنا وسقى واسقى لغتان وقراء المفضل والبرجمي
ونسقيه والاناسي جمع انسي على القياس ككرسي وكراسي او انسان واصله اناسين

كرهان

كرهان وسراحين فابدلت النون ياء وادغمت وقدم احياء الارض على سقي الانعام
والاناسي لان حيوتها سبب لحيوتهما فقدم ما هو سبب حيوتهما على سقيهما وتخصيص
الانعام من بين الحيوان الشارب لان عامة منافع الاناسي متعلقة بها فكان
الانعام بسقي الانعام كالانعام بسقيهم وتنكير الانعام والاناسي ووصفها
بالكثرة لان اكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية والانهار فيهم غنية عن
سقي السماء واعقابهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته وتنكير البلاد
لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان الاناسي من
جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يؤثروا
الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط للاحياء ولقد صرفناه
بينهم ليذكروا حمزة وعلي يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القران
وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليتفكروا
ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا
فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وصرفنا المطر بينهم
في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل
وجود وديمة فابوا الا الكفور وان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع
الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله
يصرفه حيث يشاء وقرء الاية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره
في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هنا جواب في تنكير
البلدة والانعام والاناسي ومن نسب الامطار الى الانواء وجحد ان تكون هي والانواء
من خلق الله تعالى كفر وان راى ان الله خالقها وقد نصب الانواء امارات ودلالات
عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين اي ولو
شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها
ولكن شئنا ان نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة الى كافة العالمين
فقصرنا الامر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم ولذا خوطب بالجمع
يا ايها الرسل فقابل ذلك بالشكر والتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما
يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وكما اثرتك على جميع الانبياء فاثر رضاي
على جميع الاهواء واريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم وجاهدهم به

اي بالله يعني بعونه وتوفيقه او بالقرآن اي جادلهم وقرعهم بالعجز عند جهادا
كبيرا عظيما موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق فيجوز ان يرجع الضمير في به
الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو
بعث في كل قرية نذيرا يوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك
المجاهدات فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك
نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين كلاهما
متجاوزين متلاصقين يقول مرجت الدابة اذا اخليتها ترعى وسمى الماءين الكثيرين
الواسعين بحرين هذا اي احدهما عذب فرات صفة لعذب اي شديد العذوبة
حتى يقرب الى الحلاوة وهذا ملح اجاج صفة الملح اي شديد الملوحة وجعل
بينهما برزخا حائلا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر
مختلطان وفي الحقيقة منفصلان وحجرا محجورا وسترا ممنوعا عن الاعين
كقوله حجابا مستورا وهو الذي خلق من الماء اي النطفة بشرا انسانا فجعله نسبا
وصهرا اراد فقسم البشر قسمين من ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم ويقال فلان
بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن وهو كقوله فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة
بشرا نوعين ذكرا وانثى وقيل فجعله نسبا اي قرابة وصهرا اي مصاهرة يعني الوصلة
بالنكاح من باب الانساب لان التواصل يقع بها وبالمصاهرة لان التوالد يكون بها
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان
الكافر على ربه ظهيرا على معصية ربه ظهيرا معينا ومظاهرا وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز
والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة والمعنى ان الكافر يعبد
الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين
ونذيرا منذرا للكافرين قل ما اسألكم عليه على التبليغ من اجر جعل مثال الا من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا والمراد الا فعل من شاء واستثناء عن الاجر قول ذي
شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ
هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره
بصورة الثواب كانه يقول ان حفظك مالك بمنزلة الثواب لي ورضاي به رضا
المثاب بالثواب ولعمري انه عليه الصلوة والسلام مع امته بهذا الصدد ومعنى اتخاذهم

الى الله

الى الله سبيلا وتقربهم اليه بالايمان والطاعة او بالصدقة والنفقة وقيل المراد
لكن من شاء ان يتخذ بالانفاق الى رضا ربه سبيلا فليفعل وقيل تقديره لا
اسألكم على ما ادعوكم اليه اجرا الا اتخاذ المدعو سبيلا الى ربه بطاعته فذلك
اجري لان الله ياجرني عليه وتوكل على الحي الذي لا يموت اتخذ من لا يموت
وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا يعني ثق به واسند امرك اليه في استكفاء شرورهم
ولا تتكل على حي يموت وقرأ بعض الصالحين فقال لا يصح لذي عقل ان يثق
بعدها بمخلوق والتوكل الاعتماد عليه في كل امر وسبح ونزهه عن ان يكل الى غير
من توكل عليه بحمده بتوفيقه الذي يوجب الحمد او قل سبحان الله وبحمده او نزهه
من كل العيوب بثناء يثني عليه وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي كفى الله خبيرا
بذنوب عباده يعني انه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام اي في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ
ليل ولا نهار وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة وانما خلقها في
ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبيت
ثم استوى على العرش الرحمن اي هو الرحمن فالرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل من
الضمير في استوى او الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره فاسأل وبلا همز مكي وعلي
به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما يكون عن صلته في قوله ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث
عنه وفتش عنه او صلته خبيرا ويكون خبيرا مفعول سل اي فاسأل عنه رجلا عارفا
يخبرك برحمته او فاسأل رجلا خبيرا به وبرحمته او الرحمن اسم من اسماء الله
مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فاسأل هذا الاسم من يخبرك
من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن
الا الذي باليمامة يعني مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اي اذا
قال محمد عليه الصلوة والسلام للمشركين اسجدوا للرحمن صلوا لله واخضعوا له
قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم ما كانوا
يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما او عن معناه لانه لم يكن مستعملا في
كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم انسجد لما تامرنا للذي تامرنا بالسجود
له او لامرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به يامرنا علي وحمزة كان بعضهم قال

لبعض اسجد لما يامرنا محمد عليه الصلوة والسلام او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ماهو وقد عاندوا لان معناه عند اهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية في الرحمة لان فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل عطشان اذا كان في نهاية العطش وزادهم قول اسجدوا للرحمن نفورًا تباعدًا عن الايمان تبارك الذي جعل في السمآء بروجًا هي منازل الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب بيتان يقوي حاله فيهما وللشمس بيت وللقمر بيت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزآء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبايع الاربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج فالحمل والاسد والقوس ومثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزآء و الميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها و اشتقاق البرج من التبرج لظهوره وعنه قال الحسن وقتادة ومجاهد البروج هي النجوم الكبار لظهورها وجعل فيها في السمآء سراجًا يعني الشمس لتوقدها سرجًا حمزة وعلي اي نجومًا وقمرًا منيرًا مضيئًا بالليل وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة يخلف احدهما الاخر عند مضيه او يخلفه في قضآء ما فاته من الورد لمن اراد ان يذكر يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما يذكر حمزة وخلف ويذكر الله او المنسي فيقضي او اراد شكورًا اي يشكر نعمة ربه عليه فيهما وعباد الرحمن مبتدأ خبره الذين يمشون او اولئك يجزون والذين يمشون وما بعده صفة والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وصفهم اوليآء بعدما وصف اعدآئه على الارض هونًا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيًا هينًا و الهون الرفق واللين اي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرًا وبطرًا ولذا كره بعض العلمآء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اى السفهآء بما يكرهون قالوا سلامًا سدادًا من القول يسلمون فيه من الايذآء و الاثم او تسلمًا منكم نتارككم ولا نجاهلكم فاقيم السلام مقام التسليم وقيل

خلفة

نسختها

نسختها اية القتال ولا حاجة الى ذلك فالاغضآء عن السفهآء مستحسن شرعًا ومروة وهذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين يبيتون لربهم سجدًا جمع ساجد وقيامًا جمع قايم فالبيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت اولم تنم وقالوا من قرأ شيئًا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدًا وقائمًا وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشآء والظاهر انه وصف لهم باحيآء الليل او اكثره والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غرامًا هلاكًا لازمًا ومنه الغريم لملازمته وصفهم باحيآء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانًا بانهم مع اجتهادهم خايفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم انها سآءت مستقرًا ومقامًا اي ان جهنم وسآءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرًا والمخصوص بالذم محذوف معناه سآءت مستقرًا ومقامًا هي و هذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرًا لها او بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرًا حال او تمييز ويصح ان يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا الحد في النفقة او لم ياكلوا للتنعم ولم يلبسوا للتصلف وعن ابن عباس رضي الله عنه لم ينفقوا في المعاصي فالاسراف مجاوزة حد الامر لا لمجاوزة القدر وسمع رجل رجلًا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وقال عليه الصلوة و السلام من منع حقًا فقد قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا بضم التآء كوفي وبضم اليآء وكسر التآء مدني وشامي وبفتح اليآء وكسر التآء مكي وبصري والقتر والاقتار والتقتير والتضييق الذي هو نقيض الاسراف وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والاقتار قوامًا عدلًا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان اي بين ذلك قوامًا خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر عليه الصلوة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الاية وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية وقيل اولئك اصحاب محمد عليه الصلوة والسلام كانوا لا ياكلون طعامًا للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابًا للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة

دفين
يُسرفوا

ودفع الحرو والقرو قال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لايشتهي رجل شيئا الا اكله
والذين لايدعون مع الله الها اخر اي لايشركون ولايقتلون النفس التي
حرم الله اي حرمها يعني حرم قتلها الا بالحق بقود او رجم او ردة او شرك او سعي
في الارض بالفساد وهو متعلق بالقتل المحذوف او بلايقتلون ولايزنون و
نفي هذه الكباير عن عباده الصالحين تعريض بما كان اعداءهم من قريش و
غيرهم كانوا قبل والذين طهرهم الله مما انتم عليه ومن يفعل ذلك اي المذكور
يلق اثاما جزاء الاثم يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة
العذاب هي لقي الاثام كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا و
نارا تاججا فجزم تلمم يعني تاتنا اذ الاتيان هو الالمام يضعف مكي ويزيد و
يعقوب يضعف شامي يضاعف ابو بكر على الاستيناف او على الحال ومعنى يضاعف
له العذاب يوم القيمة اي يعذب على مرور الايام في الاخرة عذابا على عذاب
وقيل اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا
فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه ويخلد جزمه جازم يضاعف ورفعه
رافعه لانه معطوف عليه فيه في العذاب فيهي مكي وحفص بالاشباع وانما
خص حفص الاشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد والعرب تمد للمبالغة
مع ان الاصل في هاء الكناية الاشباع مهانا حال اي ذليلا الا من تاب
عن الشرك وهو استثناء من الجنس في موضع النصب وامن بمحمد عليه الصلوة
والسلام وعمل صالحا بعد توبته فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
اي يوفقهم للمحاسن بعد القبايح او يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الا
والطاعة ولم يرد به ان السيئة بعينها تصير حسنة ولكن المراد ما ذكرنا يبدل
مخففا البرجمي وكان الله غفورا يكفر السيئات رحيما يبدلها بالحسنات ومن
تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فانه
بذلك تايب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب والذين
لايشهدون الزور اي الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين
فلايقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله اذ مشاهدة الباطل شركة فيه و
لذلك قيل في النظارة الى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان
حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى

عليه الصلوة والسلام اياكم ومجالسة الخطائين او لايشهدون شهادة الزور
على حذف المضاف وعن قتادة المراد مجالس الباطل وعن ابن الحنفية لايشهدون
اللهو والغناء واذا مروا باللغو بالفحش وكل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا
مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن
التلوث به كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وعن الباقر اذا ذكروا الفروج كنوا
عنها والذين اذا ذكروا بايات ربهم اي قرئ عليهم القران او وعظوا بالقران
لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفي للخرور بل هو اثبات له ونفي للصمم
والعمى ونحوه لايلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء يعني انهم اذا ذكروا
بها خروا سجدا وبكيا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية وامروا به
ونهوا عنه لا كالمنافقين واشباههم دليله قوله وممن هدينا واجتبينا اذا
تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله
من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رأيت
منك اسدا اي انت اسد او للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا
من طاعة وصلاح وذرياتنا ابو عمرو وكوفي غير حفص لارادة الجنس وغيرهم
ذرياتنا قرة اعين وانما نكر لاجل تنكير القرة لان المضاف لاسبيل الى تنكيره
الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين على
القلة دون عيون لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين
خاصة وهي اعين المتقين والمعنى انهم سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا
عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وقيل ليس شيء اقر لعين المؤمن من
ان زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا راه
يكتب الفقه واجعلنا للمتقين اماما اي ائمة يقتدي بنا في الدين فاكتفى بالواحد
لدلالته على الجنس ولعدم اللبس او واجعل كل واحد منا اماما وقيل في الاية ما يدل
على ان الرياسة في الدين يجب ان يطلب ويرغب فيها اولئك يجزون الغرفة اي
الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله
قوله وهم في الغرفات امنون بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات

وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك ويلقون فيها و
تلقون كوفي غير حفص تحية دعاء بالتعمير وسلاما ودعاء بالسلامة يعني
ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه
خالدين فيها حال حسنت اي الغرفة مستقرا ومقاما موضع قرار واقامة
وهي في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم
ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي
لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام او لولا عبادتكم له اي انه خلقكم لعبادته كقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم
او ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم فقد كذبتم رسولي يا اهل مكة فسوف يكون لزاما العذاب لزاما اي
ذا لزام او ملازما وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل وقال الضحاك ما يعبأ
ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه الها آخر

طسم وبيس وحم امال كوفي غير الاعشى والبرجمي وحفص ويظهر النون عند
الميم يزيد وحمزة وغيرهما يدغمهما تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة
انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذه المؤلف من الحروف
المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع قاتل ولعل للاشفاق
نفسك من الحزن يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة وحزنا على ما فاتك
بالاسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او الامتناع ايمانهم او خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ايمانهم ننزل عليهم من السماء آية دلالة واضحة فظلت
اي فتظل لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل يقول ان زرتني
اكرمتك اي اكرمك كذا قال الزجاج اعناقهم رؤساؤهم ومقدموهم او جماعاتهم
يقال جاء عنق من الناس لفوج منهم لها خاضعين منقادين وعن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت فينا وفي بني امية فستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا
اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزتهم وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين اي وما يجدد الله لهم بوحيه موعظة وتذكيرا الا
جددوا اعراضا عنه وكفرا عنه فقد كذبوا محمدا فيما اتاهم به فسيأتيهم فسيعلمون

انباء اخبار ما كانوا به يستهزؤن وهذا وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون
اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزؤن
به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم اولم يروا
الى الارض كم انبتنا كم نصب بانبتنا فيها من كل زوج صنف من النبات كريم محمود
كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام كالرجل الكريم الذي نفعه عام وفائدة
الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات
على سبيل التفصيل وكم يدل على ان المحيط متكاثر مفرط الكثرة وبه نبه على كمال
قدرته ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين اي ان في انباء تلك الاصناف
لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على
قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن
آمن منهم ووحد آية مع الاخبار بكثرتها لان ذلك مشار به الى مصدر انبتنا
لان المراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية واذ مفعول به اي اذكر اذ نادى
دعا ربك موسى ان ائت بان بمعنى اي القوم الظالمين انفسهم بالكفر وبني
اسرائيل بالاستعباد وذبح الاولاد سجل عليهم بالظلم ثم عطف قوم فرعون
عليهم عطف بيان كان معنى القوم الظالمين وترجمة قوم فرعون وكانهما
عبارتان يعتقبان على مؤدى واحد الا يتقون اي ائتهم زاجرا فقد ان لهم ان
يتقوا وهي كلمة حث واغراء ويحتمل انه حال من الضمير في الظالمين اي يظلمون
غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال قال رب اني اخاف
الخوف غم يلحق الانسان لامر سيقع ان يكذبون ويضيق صدري بتكذيبهم
اياي مستأنف او عطف على اخاف ولا ينطلق لساني بان يغلبني الحمية على ما ارى من
المحال واسمع من الجدال وينصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق
بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع فارسل الى
هرون اي ارسل اليه جبرائيل واجعله نبيا يعينني على الرسالة وكان هرون
بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام
توقفا في الامتثال في تبليغ الرسالة وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ
الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم علي ذنب اي
تبعة ذنب بقتل القبطي فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما يسمى جزاء

السيئة سيئة فاخاف ان يقتلون ان يقتلوني به قصاصا وليس هذا تعللا انما
بل استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة ولذا وعده
بالكلاءة والدفع بكلمة الردع وجمع له الاستجابتين معا في قوله قال كلا
فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه
رسالة اخيه فاجابه بقوله اذهبا اي جعلته رسولا معك فاذهبا وعطف فاذهبا
على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهارون
باياتنا مع اياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك انا معكم اي معكما بالعون و
النصرة ومع من ارسلتما اليه بالعلم والقدرة مستمعون خبر لان ومعكم لغو
او هما خبران اي سامعون فالاستماع في غير هذا الاصغاء للسماع يقال استمع الى
حديثه اي اصغى اليه ولا يجوز حمله هاهنا على ذلك فحمل على السماع فاتيا فرعون
فقولا له انا رسول رب العالمين ولم يثن الرسول كما ثني في قوله انا
رسولا ربك لان الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل
فلم يكن بد من تثنيته وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوي في الوصف به الواحد
والتثنية والجمع ولانهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كانهما رسول واحد
او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
وفيه معنى القول معنا بني اسرائيل يريد خلهم يذهبوا الى فلسطين وكانت
مسكنهما فاتيا بابه فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم
انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة
فعرف فرعون موسى فعند ذلك قال الم نربك فينا وليدا وانما حذف
فاتيا فرعون فقالا له ذلك اختصارا والوليد الصبي لقرب عهده من الولادة
اي الم تكن صغيرا فربيناك ولبثت فينا من عمرك سنين قيل ثلثين سنة
وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي فعرض اذ كان ملكا وانت من
الكافرين بنعمتي حيث قتلت خبازي او كنت على ديننا الذي تسميه كفرا وهذا
افتراء منه عليه لانه معصوم من الكفر وكان يعايشهم بالتقية قال فعلتها
اذا اي اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين بانها تبلغ القتل والضال عن
الشيء هو الذاهب عن معرفته او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى فدفع وصف الكفر عن نفسه ووضع الضالين موضع الكافرين واذا جواب

وجزاء وهذا الكلام وقع جوابا لفرعون وجزاء له لان قول فرعون وفعلت
فعلتك معناه انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا
لك تسليما لقوله لان نعمته كانت جديرة بان يجازي نحو ذلك الجزاء ففررت
منكم الى مدين لما خفتكم ان يقتلون وذلك حين قال له مؤمن من آل
فرعون ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج الاية فوهب لي ربي حكما
نبوة وعلما وزال عني الجهل والضلالة وجعلني من المرسلين من جملة رسله
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل كر امتنانه عليه بالتربية فابطله
من اصله وابى ان تسمى نعمته لا نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد
بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده
وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان فرعون امتن على موسى بتعبيد قومه
واخراجه من حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا و
وحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان الخوف والفرار
لم يكونا منه وحده لكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملا يأتمرون بك
ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد وتلك اشارة الى خصلة
شنعاء مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان
لتلك اي تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي قال فرعون وما رب العالمين
اي انك تدعي انك رسول رب العالمين فما صفته لانك اذا اردت السؤال
عن صفة زيد تقول ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب نص عليه
صاحب الكشاف وغيره قال موسى مجيبا له على وفق سؤاله رب السموات و
الارض وما بينهما اي وما بين الجنسين ان كنتم موقنين اي ان كنتم تعرفون
الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا او ان كان يرجى منكم الايقان
الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان
العلم الذي يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال اي فرعون
لمن حوله من اشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك
خاصة الا تستمعون معجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمهما اي السموات و
الارض وينكرون ان لهما ربا فاحتاج الى ان يستدل لما شاهد وا حدوثه وفناءه
فاستدل حيث قال ربكم ورب ابائكم الاولين اي هو خالقكم وخالق ابائكم

فان لم تستدلوا بغيركم ففي انفسكم وانما قال ورب ابائكم لان فرعون كان يدعي
الربوبية على اهل عصره دون من تقدمهم قال اي فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون حيث يزعم ان في الوجود الها غيري وكان ينكر الالهية
غيره قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم فتستدلون بما اقول فتعرفون
ربكم وهذا غاية الارشاد حيث عمم اولا خلق السموات والارض وما بينهما ثم خصص
من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه
ومن ولد منه وما شاهد من احواله من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم
خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في
الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل
به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة
على نمرود بن كنعان وقيل سأله الفرعون عن الماهية جاهلا عن حقيقة سؤاله
فلما اجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده ان موسى حاد عن الجواب حيث
سأله عن الماهية وهو يجيب عن ربوبيته وآثار صنعه فقال تعجبا لهم من جواب
موسى الا تستمعون فعاد الى موسى مثل قوله الاول فجننه فرعون زاعما انه حاد
عن الجواب فعاد ثالثا الى مثل كلامه الاول لمبينا ان الفرد الحقيقي انما يعرف
بالصفات وان السؤال عن الماهية محال واليه الاشارة في قوله ان كنتم تعقلون
اي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون
ولم يتهيأ له ان يدفع ظهور آثار صنعه قال لئن اتخذت الها غيري اي غيري
الها لاجعلنك من المسجونين اي لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني
كان من عادته ان تاخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة
العمق فردا لا يبصر ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل واشد ولو قيل
لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان اخصر قال اولو جئتك الواو للحال دخلت
عليها همزة الاستفهام اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا
بالمعجزة قال فأت به بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين
ان لك بينة لا شيء يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر
وروي انها ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت
تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها

فاخذها

فاخذها فعادت عصا فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فيه دليل على ان بياضها
كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نورانيا
روي ان فرعون لما ابطل الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال لفرعون
ما هذه قال فرعون يدك فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي
الابصار ويسد الافق قال اي فرعون للملإ حوله هو منصوب نصبين نصب
في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على
الحال من الملإ اي كائنين حوله والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم
بالسحر ثم اغرى قومه على موسى بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا
منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك الخير تأمرون تشيرون في امره
من حبس او قتل من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي لما
تحير فرعون برؤية الآيتين وزل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه
كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفا طفق يؤامر قومه وهم بزعمه عبيده وهو
الههم او جعلهم امرين ونفسه مأمورا قالوا ارجه واخاه اخر امرهما ولا تأت
قتلهما خوفا من الفتنة وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا
قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم يأتوك بكل سحار عليم فجاؤوا بكلمة الاحاطة
وصفة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اي
يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من
يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به
اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم
مجتمعون اي اجتمعوا وهو استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا
نتبع السحرة في دينهم ان كانوا هم الغالبين ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى
في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا
الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وبكسر العين على بدو وهما
لغتان وانكم اذا لمن المقربين اي قال فرعون نعم لكم اجر عندي ويكونون
مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه فيكونون اول من يدخل علي وآخر
من يخرج ولما كان قوله ائن لنا لاجرا جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم

ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين صح

قال نعم

في معنيه

اذا المن المقربين معطو فا عليه دخلت اذا فارة في مكانهما الذي يقتضيه من الجواب
والجزاء قال لهم موسي القوا ما انتم ملقون من السحر فسوف ترون عاقبته فالقوا حبالهم سبعين الف حبل وعصيهم سبعين الف عصا وقيل كانت الجبال ٢١
وسبعين وكذا العصي وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته وقوته
وهي ايمان في الجاهلية فالقي موسي عصاه فاذا هي تلقف تبتلع ما يافكون ما يقبلون عن وجهه
وحقيقته بسحرهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعي
فالقي السحرة ساجدين عبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر
مع الالقاآت ولانهم بسرعة ما سجدوا صاروا كانهم القوا قالوا امنا برب العالمين
عن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء رب موسي وهرون عطف بيان لرب العالمين
لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه وقيل ان فرعون لما سمع منهم
امنا برب العالمين قال اياي عنيتم قالوا رب موسي وهرون قال امنتم له
قبل ان اذن لكم بذلك انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقد تواطيتم علي امر ومكر فلسوف
تعلمون وبال ما فعلتم ثم صرح فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
من اجل خلاف ظهر منكم ولاصلبنكم اجمعين كانه اراد به ترهيب العامة لئلا
يتبعوهم في الايمان قالوا لا ضير لا ضرر وضير لا محذور في ذلك وعلينا
انا الي ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لان كنا اول المومنين
من اهل الشهداء او من رعية فرعون اراد والاضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم
النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا او لا ضير علينا فيما
تتوعدنا به انه لا بد لنا من الانقلاب الي ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل
اهون اسبابه وارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك قتلتنا انقلبنا الي ربنا
انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الي الايمان واوحينا
الي موسي ان اسر وبوصل الهمزة حجازي بعبادي ببني اسرايل وسماهم
عباده لايمانهم بنبيه اي سر بهم ليلا وهذا بعد سنين من ايمان السحرة انكم
متبعون يتبعكم فرعون وقومه علل الامر بالاسرآء باتباع فرعون وجنوده اثارهم
يعني اني بنيت تدبير امركم وامرهم علي ان يتقدموا ويتبعوكم حتي تدخلوا مدخلكم
من طريق البحر فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد
فاشتغلوا بموتاهم حتي خرج موسي بقومه وروي ان الله اوحي الي موسي ان اجمع الي بني

اسرايل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها علي ابوابكم
فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا علي بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط
واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتي تنتهي الي البحر فياتيك
امري فارسل فرعون في المداين حاشرين جامعين الناس بعنف فلما اجتمعوا
قال ان هولاء لشرذمة قليلون الشرذمة الطايفة القليلة ذكرهم بالاسم
الدال علي القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب
منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة او اراد بالقلة الذلة
لا قلة العدد اي انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وانما استقل
قوم موسي وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه فعن الضحاك
كانوا سبعة الاف الف وانهم لنا لغايظون اي انهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا وهو خروجهم من مصرنا وحملهم حلينا وقتلهم ابكارنا
وانا لجميع حاذرون حذرون شامي وكوفي وغيرهم حذرون فالحذر اليقظ والحاذر
الذي يجدد حذره وقيل الموذي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا
لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور
فاذا خرج علينا خارج سارعنا الي حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الي
اهل المداين لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم من جنات بساتين وعيون
وانهار جارية وكنوز واموال ظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا
لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالي ومقام ومنزل كريم بهي بهيج
وعن ابن عباس رضي الله عنهما المنابر كذلك يحتمل النصب علي اخرجناهم
مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والرفع علي انه خبر مبتدا محذوف اي الامر
كذلك واورثناها بني اسرايل عن الحسن لما عبروا النهر رجعوا واخذوا ديارهم
واموالهم فاتبعوهم فلحقوهم فاتبعوهم زيد مشرقين حال اي داخلين في وقت
شروق الشمس وهو طلوعها اي ادرك قوم فرعون موسي وقومه وقت طلوع
الشمس فلما تراءى الجمعان اي تقابلا بحيث يري كل فريق صاحبه والمراد بنو اسرايل
والقبط قال اصحاب موسي انا لمدركون اي قرب ان يلحقنا عدونا
وامامنا البحر قال موسي ثقة بوعد الله اياه كلا ارتدعوا عن سوء الظن بالله
فلن يدرككم ان معي ربي حفص سيهدين اي سيهديني طريق النجاة

من ادراكهم واصرارهم سيهديني بالياء يعقوب فاوحينا الي موسي ان
اضرب بعصاك البحر اي القلزم هو الذي يسلك الناس فيه من اليمن الي مصر
او النيل فانفلق اي ضرب فانفلق فانشق فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط
فكان كل فرق اي كل جزء يفرق منه كالطود كالجبل المنطاد في السماء العظيم
وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او من
البحر وانجينا موسي ومن معه اجمعين من الغرق ثم اغرقنا الاخرين فرعون وقومه
وفيه ابطال القول بتاثير الكواكب في الاجال وغيرها من الحوادث فانهم اجتمعوا
في الهلاك مع اختلاف طوالعهم روي ان جبرئيل كان بين بني اسرائيل وبين
آل فرعون وكان يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط ويقول
رويدا ليلحق اخركم فلما انتهي موسي الي البحر قال يوشع لموسى اين امرت فهذا
البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال موسى هاهنا فخاض يوشع الماء و
ضرب موسي بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسي عليه السلام قال عند ذلك
يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ان في ذلك
اي فيما فعلنا بموسى وفرعون لاية لعبرة عجيبة لا توصف وما كان اكثرهم
اي المصريين مؤمنين قالوا لم يؤمن منهم الا آسية وحزبيل مؤمن آل فرعون
ومريم التي دلت موسي على قبر يوسف وان ربك لهو العزيز بالانتقام من اعدائه
الرحيم بالانعام على اوليائه واتل عليهم على مشركي قريش نبأ ابراهيم خبره
اذ قال لابيه وقومه قوم ابراهيم او قوم الاب ما تعبدون اي شيء تعبدون
وابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه
ليس بمستحق للعبادة قالوا نعبد اصناما وجواب ما تعبدون اصناما فيسألون
ماذا ينفقون قل العفو بماذا قال ربكم قالوا الحق لانه سؤال عن المعبود لا عن
العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها ولذا عطفوا
على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار وانما قالوا فنظل
لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ومعناه الدوام قال اي ابراهيم
هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف فحذف لدلالة اذ
تدعون عليه او ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون ان تركتم عبادتها قالوا
بل اضراب اي لا يسمع ولا يضر ولا نعبدها لشيء من ذلك ولكن وجدنا

آباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم و
آباؤكم الاقدمون فانهم الاولون عدو لي اي الاصنام الا رب العالمين العدو والصديق
يجيئان في معني الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء لي يوم القيمة
كقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من
المقلوب اي فاني عدو لهم وفي قوله عدو لي دون لكم زيادة نصح ليكون
ادعى لهم الي القبول ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة الا رب
العالمين استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت الاعداء كانه قال لكن رب
العالمين الذي خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناجح
الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال في يهديني مع سبق العناية بالهداية لا
يحتمل يهديني الي الهمة الافضل والاتم الاكمل والذي خلقني لاسباب خدمته
فهو يهدين الي اداب خلته والذي هو يطعمني اضاف الاطعام الي ولي نعمته لا
لان الركون الي الاسباب عادة الانعام ويسقين قال ابن عطا هو الذي يحييني
بطعامه ويرويني بشرابه واذا مرضت وانما لم يقل امرضني لانه قصد الذكر
بلسان الشكر ما لم يضف اليه ما يقتضي الصبر ابن عطاء اذا مرضت برؤية
الخلق فهو يشفين بمشاهدة الحق الصادق اذا مرضت برؤية الافعال فهو
يشفين يكشف منه الافضال والذي يميتني ثم يحيين ولم يقل اذا مت
لانه الخروج من جنس البلاء ودار الفناء الي روض البقاء لوعد اللقاء و
ادخل ثم في الاحياء لتراخيه عن الافناء وادخل الفاء في الهداية والشفاء
لانهما يعتقبان الخلق والمرض لا معا معا والذي اطمع طمع العبيد في المولي
بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال ان يغفر لي خطيئتي قيل هي قوله
اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا ربي للبازغ هي اختي لسارة وما هي الا معاريض
جائزة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار واستغفار الانبياء تواضع
منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة يوم الدين
يوم الجزاء رب هب لي حكما حكمة او حكما بين الناس بالحق او نبوة لان النبي
ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والحقني بالصالحين اي الانبياء ولقد اجابه
حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين
اي ثناء حسنا وذكرا جميلا في الامم التي تجيء بعدي فاعطي ذلك فكل اهل دين يتولونه

ويثنون عليه و وضع اللسان موضع القول لان القول يكون به واجعلني من
من يتعلق بمحذوف اي وارثا من ورثة جنة النعيم اي من الباقين و
اغفر لابي اجعله اهل المغفرة باعطاء الاسلام وكان وعده الاسلام يوم
فارقه انه كان من الضالين الكافرين ولا تخزني الاخزاء من الخزي وهو
الهوان او من الخزاية وهي الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بينا يوم يبعثون
الضمير فيه للعباد لانه معلوم او للضالين وان يجعل من جملة الاستغفار
لابيه اي ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع مال هو
بدل من يوم الاول ولا بنون احدا الا من اتى الله بقلب سليم عن الكفر
والنفاق وقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض
اي ان المال اذا صرف في وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم
القلب او جعل المال والبنون في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا
غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه
في دنياه بماله وبنيه فقد جعل من مفعول لا ينفع اي لا ينفع مال ولا بنون
الا رجلا سليم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم
الى الدين وعلمهم الشرايع ويجوز هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة
المال والبنين وقد صوب الجليل استثناء الخليل اكراما له ثم جعل صفة له
في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وما احسن ما رتب
عليه الصلوة والسلام كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون سؤال
مقرر لا مستفهم ثم اقبل على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا
وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فاخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون
حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فعظم
شانه واعد نعمته من حين انشائه الى وقت وفاته مع ما يرجى في الاخرة من
رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين والتبهل اليه لابتهال الاوابين
ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ
من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا
ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين اي قربت عطف جملة اي تزلف بين موقف
السعداء فينظرون اليها وبرزت الجحيم اي اظهرت حتى يكاد ياخذهم لهبها

للغاوين

للغاوين للكافرين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله
هل ينصرونكم او ينتصرون يوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين
الهتكم هل ينفعونكم بنصرهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
لانهم والهتهم وقود النار فكبكبوا فيها انكسوا وطرح بعضهم على بعض
في الجحيم هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة
تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا
القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى استقر في قعرها نعوذ بالله منها و
جنود ابليس اجمعون شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن قالوا
وهم فيها يختصمون ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم
ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين تالله ان كنا لفي ضلال مبين
اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في العبادة وما
اضلنا الا المجرمون اي رؤساهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده ومن
سن الشرك فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء والملائكة
ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء اذ لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون واما
اهل النار فبينهم التعادي الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء
لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء
من شياطين الانس والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه
ما يهمك ومن الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع
ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة واما الصديق وهو الصادق
في ودادك الذي يهمه ما اهمك فقليل وسئل حكيم عن الصديق فقال اسم
لا معنى له وجاز ان يراد بالصديق الجمع فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا
فنكون من المؤمنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ولو في مثل
هذا التمني كانه قيل فليت لنا كرة ما بين معنى لو وليت من التلاقي ان في ذلك
فيما ذكر من الانبياء لاية لعبرة لمن اعتبر وما كان اكثرهم مؤمنين فيه ان فريقا
منهم امنوا وان ربك لهو العزيز المنتقم ممن كذب ابراهيم بنار الجحيم
الرحيم المسلم كل ذي قلب سليم الى جنة النعيم كذبت قوم نوح المرسلين

القوم يذكر ويؤنث قيل ولد نوح في زمن آدم عليه السلام ونظير قوله
المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس
البرود وماله الا دابة او برد اي كانوا ينكرون بعث الرسل اصلا فلذا
جمع ولان كل من كذب واحدا منهم فقد كذب الكل لان كل رسول يدعو
الناس الى الايمان بجميع الرسل وكذا جميع ما في هذه السورة اذ قال
لهم اخوهم نسبا لا دينا نوح الا تتقون خالق الانام فتتركوا عبادة
الاصنام اني لكم رسول امين كان مشهورا بالامانة فيهم كمحمد عليه الصلوة
والسلام في قريش فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به وادعوكم اليه من الحق وما
اسألكم عليه على هذا الامر من اجر اجرا ان اجري بالفتح مدني وشامي
وابو عمرو وحفص الا على رب العالمين فكذلكم اريد فاتقوا الله واطيعون
كرر ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فعلة الاول كونه
امينا فيما بينهم وعلة الثاني حسم طمعه منهم كانه قال اذا عرفتم رسالتي و
امانتي فاتقوا الله واذا عرفتم احترازي عن الاجر فاتقوا قالوا انؤمن لك و
اتبعك الواو للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة يعقوب واتباعك جمع تابع
كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال الارذلون السفلة والرذالة الخسة
والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا و
قيل كانوا من اهل الصناعات الدنية والصناعة لا تزري بالديانة فالغنى
غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز ان يسمى المؤمن رذلا وان كان
افقر الناس واوضعهم نسبا وما زالت اتباع الانبياء عليهم السلام كذلك
قال وما علمي واي شيء علمي بما كانوا يعملون من الصناعات انما اطلب منهم
الايمان وقيل انهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم فقالوا ان الذين امنوا
بك ليس في قلوبهم ما يظهرونه فقال وما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش
عن السرائر ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون ان الله يحاسبهم على ما
في قلوبهم وما انا بطارد المؤمنين اي ليس من شأني ان اتبع شهواتكم بطرد
المؤمنين طمعا في ايمانكم ان انا الا نذير مبين ما علي الا ان انذركم انذارا بينا
بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم قالوا لئن لم
تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المقتولين بالحجارة قال رب

انّ قومي

انّ قومي كذبون ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب اعلم و
لكنه اراد انهم كذبون بوحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم
بيني وبينهم حكما والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق
كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ونجني ومن معي حفص من المؤمنين
من عذاب عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك السفينة وجمعه فلك
فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد المشحون المملو ومنه شحنة البلد اي الذي
يملؤه كفاية ثم اغرقنا بعد بعد انجاء نوح ومن آمن معه الباقين من قومه
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
المنتقم باهانة من جحد واصر الرحيم المنعم باعانة من وحد واقر كذبت
عاد المرسلين هي قبيلة وفي الاصل اسم رجل وهو ابو القبيلة اذ قال لهم
نسبا هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله في تكذيب الامين
واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون
بكل ريع مكان مرتفع اية برج حمام او بناء يكون لارتفاعه كالعلامة تعبثون
لمن مر بهم تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع مأخذ الماء او قصورا
مشيدة او حصونا لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا واذا بطشتم
اخذتم باخذ العقوبة بطشتم جبارين قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار
الذي يقتل ويضرب على الغضب فاتقوا الله في البطش واطيعون فيما ادعوكم
اليه واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها عليهم فقال
امدكم بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها
والقيام عليها وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ان عصيتموني قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي لا
نقبل كلامك ودعوتك وعظت ام سكت ولم يقل ام لم تعظ لرؤس الاي
ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت واتخاذ الابنية
الا عادة الاولين او ما نحن عليه دين الاولين الا خلق الاولين مكي وبصري
ويزيد وعلي اي ما جئت به اختلاق الاولين وكذب المتنبين قبلك كقولهم
اساطير الاولين او خلقنا كخلق الاولين نموت ونحيي وما نحن بمعذبين
في الدنيا ولا بعث ولا حساب فكذبوه اي هودا فاهلكناهم بريح صرصر عاتية

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ انكار لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون
عنه فِيمَا هَاهُنَا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم آمِنِينَ من
العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وهذا ايضاً
اجمال ثم تفصيل وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ وعطف نخل على جنات مع ان الجنة تتناول
النخل اول شيء تفضيلاً للنخل على سائر الشجر طَلْعُهَا هو ما يخرج من النخلة كنصل
السيف هَضِيمٌ لين نضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وَتَنْحِتُونَ تنقبون
مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ شامي وكوفي حاذقين حال وغيرهم فرهين
اشرين والفراهة الكيس والنشاط فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا
أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الكافرين او التسعة التي عقروا الناقة جعل الامر مطاعاً على
المجاز الحكمي والمراد الامر وهو كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه
في العقل لضرب من التأول كقولهم انبت الربيع البقل الَّذِينَ يُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ بالظلم والكفر وَلَا يُصْلِحُونَ بالايمان والعدل والمعنى ان فسادهم
فساد مضمن ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين
مخلوطة ببعض الصلاح قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ المسحر الذي سحر كثيراً
حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في دعوى الرسالة قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا
شِرْبٌ نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ لا تزاحمكم
هي فيه روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقباً
فقعد صالح يتفكر فقال له جبرائيل عليه السلام صل ركعتين واسأل ربك
الناقة ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقباً مثلها في العظم ومصدرها ستون
ذراعاً واذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله واذا كان يوم شربهم لا تشرب
منه الماء وهذا دليل على جواز المهايات لان قوله لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم من المهايات وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ بضرب او عقر او غير ذلك فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من

وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد
فَعَقَرُوهَا عقرها قدار ولكنهم راضون به فاضيفت اليهم روي ان عاقرها
قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها
فيقولون لها اترضين فتقول لهم نعم وكذلك صبيانهم فَأَصْبَحُوا
نَادِمِينَ على عقرها خوفاً من نزول العذاب بهم لا ندم توبة او ندموا حين
لا ينفع الندم وذلك عند معاينة العذاب او على ترك الولد فَأَخَذَهُمُ
الْعَذَابُ المتقدم ذكره إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ
مِنَ الْعَالَمِينَ اراد بالعالمين الناس اي تطئون الذكور من الناس مع كثرة
الاناث او تطئون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران اي انتم
مخصوصون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما ينكح من الحيوان
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ من تبيين لما خلق او تبعيض
والمراد بما خلق العضو المباح منهن وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم
وفيه دليل تحريم ادبار الزوجات والمملوكات ومن اجازه فقد اخطأ
خطاء عظيماً بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ العادي المتعادي في ظلمه المتجاوز فيه الحد
اي بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه
العظيمة قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ عن انكارك علينا وتقبيح امرنا لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمُخْرَجِينَ من جملة من اخرجنا من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا و
لعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ
الْقَالِينَ هو ابلغ من ان يقول قال فقولك فلان عالم لانك تشهد بانه
مساهم لهم في العلم والقلى لشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد
وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاه من حيث الدين رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي
مِمَّا يَعْمَلُونَ من عقوبة عملهم فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ يعني بناته ومن آمن معه
إِلَّا عَجُوزًا هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم
العاصي واستثناء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا

الاسم وان لم يشاركهم فى الايمان في الغابرين صفة لها اى فى الباقين فى العذاب
فلم تنج منه والغابر فى اللغة الباقى كانه قيل الا عجوزا غابرة اى مقدرا لها
غبورها اذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم ثم دمرنا الاخرين
والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم وامطرنا عليهم مطرا عن قتادة
امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وقيل لم يرض
بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة فساء فاعله قوله مطر المنذرين
والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم
بل المراد جنس الكافرين ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة بالهمز والجر هى غيضة
تنبت ناعم الشجر عن الخليل وليكة حجازى وشامى وكذا فى ص علم لبلد
قيل اصحاب الايكة اهل مدين التجاؤا الى غيضة اذ الح عليهم الوهج والاصح
انهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وشجرهم المقل بدليل انه لم
يقل ههنا اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل
مدين ففى الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة
المرسلين اذ قال لهم اخوهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على
رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين ولا تنقصوا
حقوقهم بالكيل واف وهو مأمور به وطفيف وهو منهى عنه وزائد
وهو مسكوت عنه فتركه دليل على انه فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا
شئ عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم وبكسر القاف كوفى غير ابى بكر
الميزان او القبان فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين
مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى ولا تبخسوا الناس يقال بخسته
حقه اذا نقصته اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم بقطع اطرافها ولا
تعثوا فى الارض مفسدين ولا تبالغوا فى الافساد وذلك نحو قطع
الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك فنهوا عن
ذلك يقال عثى فى الارض اذا افسد وعثا فى الارض لغة فى عثى واتقوا الذى خلقكم والجبلة الخلق عطف على كم اى واتقوا الذى خلقكم

وخلق

وخلق الجبلة الاولين الماضين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا
بشر مثلنا ادخال الواو ههنا ليفيد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم
التسخير والبشرية وتركها فى قصة ثمود ليفيد معنى واحدا وهو كونه
مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم وان نظنك لمن الكاذبين ان مخففة
من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية وانما تفرقتا
على فعل الظن وثانى مفعوليه لان اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر
كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان بابا كان وظننت من جنس باب المبتدا
والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلق وان ظننته لمنطلقا
فاسقط علينا كسفا وكسفا حفص وهما جمعا كسفة وهى القطعة وكسفه
قطعه من السماء اى السحاب والمظلة ان كنت من الصادقين اى ان كنت
صادقا انك نبى فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء اى قطعة
من السماء عقوبة قال ربى بفتح الياء حجازى وابو عمرو ويسكونها
غيرهم اعلم بما تعملون اى ان الله اعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من
العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد
عقابا اخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
هى سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام فاجتمعوا
تحتها مستجيرين مما نالهم من الحر فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم ومذكور فى هذه السورة فى اول كل قصة و
اخرها ما كرر تقريرا لمعانيها فى الصدور ليكون ابلغ فى الوعظ والزجر
ولان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها
فكانت جديرة بان يفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت
به فانه يعنى القران لتنزيل رب العالمين منزل منه نزل به مخففا الفاعل
الروح الامين اى جبريل عليه السلام لانه امين على الوحى الذى فيه
الحياة حجازى وابو عمرو وزيد وحفص وغيرهم بالتشديد ونصب
الروح والفاعل هو الله تعالى اى جعل الله الروح نازلا به والباء على
القراءتين للتعدية على قلبك اى حفظك وفهمك اياه واثبته فى قلبك

اثبات ما لا ينسى كقوله سنقرئك فلا تنسى لتكون من المنذرين بلسان
عربي بلغة قريش وجرهم مبين فصيح مصحح عما صحفته العامة والباء اما ان
يتعلق بالمنذرين اى ليكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم هود و
صالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام او نزل اى نزله بلسان عربي لتنذر
به لو نزله بلسان اعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه
فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك
ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان
اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف
لا يفهم معناها ولا تعيها وقد يكون الرجل بعدة لغات فاذا كلم بلغته
التي نشأ عليها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام وان كلم بغيرها كان
نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها وان كان ماهرا بمعرفتها فهذا
تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي وانه وان القران لفي زبر
الاولين يعني ذكره ثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه
فيها وفيه دليل على ان القران قران اذا ترجم بغير العربية فيكون دليلا
على جواز قراءة القران بالفارسية في الصلوة اولم يكن لهم اية شامي
جعلت اية اسم كان وخبره ان يعلمه اى القران لوجود ذكره في القران
وقيل كان تامة والفاعل اية وان يعلمه بدل منها او خبر مبتدا محذوف
اى اولم يحصل لهم اية وغيره يكن بالتذكير واية بالنصب على انها
خبره وان يعلمه هو الاسم وتقديره اولم يكن لهم علم علماء بنى
اسرائيل علمؤا بني اسرائيل كعبد الله ابن سلام رضى الله عنه وغيره قال
الله تعالى واذا تتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من
قبله مسلمين وخط في المصحف علمؤا بواو وقيل الالف ولو نزلناه على
بعض الاعجمين جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وكذلك الاعجمي
الا ان فيه لزيادة النسبة زيادة تاكيد ولما كان من يتكلم بلسان
غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوا بمن لا
يفصح ولا يبين والعجمي الذي من جنس العجم افصح اولم يفصح و
قرء الحسن الاعجمين بتخفيف الاعجميين كما قالوا الاشعرون اى

الاشعريون بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع
السلامة لان مؤنثه عجماء فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين والمعنى انا
انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين فقهموه وعرفوا فصاحته
وانه معجز وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتب قبله على ان البشارة
بانزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك
انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وسموه شعرا
تارة وسحرا اخرى وقالوا هذا من افتراء محمد صلى الله عليه وسلم ولو
نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على
نظم مثله فقراه عليهم هكذا معجزا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا في الجحود
عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اى ادخلنا التكذيب او
الكفر وهو مدلول قوله ما كانوا به مؤمنين في قلوب المجرمين الكافرين
الذين علمنا منهم اختيار الكفر والاصرار عليه يعني مثل هذا السلك
سلكناه في قلوبهم وقررناه فيها فكيف ما فعل بهم وعلى اي وجه دبر
امرهم فلا سبيل الى ان يتغير واعماهم عليه من الكفر به والتكذيب
له كما قالوا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وهو حجتنا على المعتزلة في خلق
افعال العباد خيرها وشرها وموقع قوله لا يؤمنون به بالقران من
قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته
مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون
على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا
اى سلكناه فيها غير مؤمن به حتى يروا العذاب الاليم والمراد به معاينة
العذاب عند الموت ويكون ذلك ايمان ياس فلا ينفعهم فياتيهم
بغتة فجاة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا فياتيهم متعطوفان على يروا هل
نحن منظرون يسالون النظرة والامهال طرفة عين ولا يجابون
اليها افبعذابنا يستعجلون توبيخ لهم وانكار عليهم قولهم فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قال يحيى ابن معاذ
اشد الناس غفلة من اغتر بحيوته واشد عبراته وسكن الى امالوفها

والله يقول أفرأيت ان متعناهم سنين قبل وسعة الدنيا ثم جاءهم ما
كانوا يوعدون من العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون به في تلك السنين
والمعنى ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق
بهم وانما يمتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال تعالى افبعذابنا يستعجلون
اشرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون
من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ
ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه
لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال عظني فلم يزده على تلاوة
هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز
رحمه الله انه كان يقرأها عند جلوسه للحكم وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون رسل ينذرونهم ولم يدخل الواو على الجملة بعد الا كما
في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو و
الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف ذكرى
منصوبة بمعنى تذكرة لان انذر واذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون
تذكرة او حال في من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة
او مفعول له اي ينذرون لاجل التذكرة والموعظة او مرفوعة
على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى ذكرى والجملة اعتراضية او صفة
بمعنى منذرون ذوو ذكرى او يكون متعلقة باهلكناه مفعولا له
والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة
بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا
يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين ولما
قال المشركون ان الشيطان يلقي القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم
وما تنزلت به بالقران الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون
وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه انهم عن السمع عن استراقه لمعزولون
لممنوعون بالشهب فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين
تهديد لغيره على التعريض وتحريك له على زيادة الاخلاص وانذر
عشيرتك الاقربين خصهم لنفي التهمة اذ الانسان يساهل قرابته او

ليعلموا

ليعلموا انه لا يغني عنهم من الله شيئا وان النجاة في اتباعه دون قربه ولما نزلت
صعد الصفا ونادى الاقرب فالاقرب فقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك
لكم من الله شيئا واخفض جناحك والن جانبك وتواضع واصله ان
الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض
للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع
ولين الجانب لمن اتبعك من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم فان
عصوك فقل اني بريء مما تعملون يعني انذر قومك فان اتبعوك و
اطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم
ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على العزيز الرحيم على الذي
يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته يكفيك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على
نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو
معصية لله قال الجنيد التوكل ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما
دونه فان حاجتك اليه في الدارين فتوكل مدني وشامي عطف على فقل او فلا
تدع الذي يراك حين تقوم متهجدا وتقلبك اي ويرى تقلبك في الساجدين
في المصلين اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان
يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين
من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون وليعلم انهم كيف يعبدون
الله ويعملون لاخرتهم وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة
وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده
اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلوة بالجماعة
في القران فقال لا يحضرني فتلا له هذه الاية انه هو السميع لما يقوله العليم
بما ينويه وتعمله هون عليه معاناة مشاق العبادات حيث اخبره برؤيته اذ
مشقة على من يعلم انه يعمل بمرأى مولاه وهو كقوله بعيني ما يتحمل المتحملون من
اجلي ونزل جوابا لقول المشركين ان الشياطين تلقي السمع على محمد هل انبئكم
هل اخبركم ايها المشركون على من تنزل الشياطين ثم نبأ فقال تنزل

كل افاك كذاب اثيم مرتكب للاثام وهو الكهنة والمتنبية كسطيح وطليحة و
سيلمة ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتم الافاكين ويذمهم فكيف ينزل الشياطين
عليه يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون
الي الملاء الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب
ثم يوحون به الي اوليائهم ويلقون نصال اي ينزل ملقين السمع او صفة لكل
افاك لانه في معنى الجمع فيكون في محل الجزاء واستيناف فلا يكون له محل كانه
قيل لم ينزل على الافاكين وقيل يفعلون كيت وكيت واكثرهم كاذبون
فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الي اوليائهم
السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين
ويتلقون وحيهم اليهم او يلقون السمع من الشياطين الي الناس واكثر
الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والافاك الذي
يكثر الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء
الافاكين قل من تصدق منهم فيما يحكى عن الجني واكثرهم مفتر عليه وعن
الحسن فكلهم وانما فرق بين وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين
هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهن اخوات لانه اذا فرق بينهن ايات
ليست منهن ثم رجع اليهن مرة بعد مرة دل ذلك على شدة العناية بهن كما
اذا احدثت بحديث في صدرك اهتمام بشيء فتعيد ذكره ولا ينفك عن
الرجوع اليه ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد عليه
الصلوة والسلام واتبعهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم والشعراء
مبتدا خبره يتبعهم الغاوون اي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الا
والقدح في الانساب ومدح من لا يستحق المدح والهجاء ولا يستحسن ذلك منهم
الا الغاوون اي السفهاء او الراوون او الشياطين او المشركون قال الزجاج
اذا مدح او هجا شاعر بما لا يكون واحب ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون
يتبعهم نافع الم تر انهم في كل واد يهيمون خبران اي في كل فن من الكذب
يتحدثون او في كل لغو وباطل يخوضون والهايم الذاهب على وجهه لا مقصد
له وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القرآن واعتسافهم حتى يفضلوا اجبن
الناس على عنترة وابخلهم على حاتم حكي عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك

من الكلام

سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد
وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما
لا يفعلون حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد ثم استثنى المؤمنين
الصالحين بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات كعبد الله بن رواحة
وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وذكروا الله كثيرا
اي كان ذكر الله وتلاوة القرآن اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه
في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب ومدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين و
صلحاء الامة رحمهم الله ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب وقال ابو يزيد الذكر
الكثير ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور وانتصروا وهجوا من بعد ما
ظلموا هجوا اي ردوا هجاء من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
واحق الخلق بالهجاء من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وعن
كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي
نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس
معك ختم السورة بما يقطع اكباد المتدبرين وهو قوله وسيعلم وما فيه
من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون
وابهامه وقد تلا ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف
يتواعظون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عنا ما فاته منا واي منصوب
بينقلبون على المصدر لا بسيعلم لان اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها
اي ينقلبون اي انقلاب

طس تلك ايات القرآن وكتاب مبين اي وايات كتاب مبين وتلك
اشارة الي ايات السورة والكتاب المبين اللوح وابانته انه قد خط فيه كل
ما هو كاين فهو تنبيه للناظرين فيه ابانته او القرآن وابانته انه يبين ما
اودع من العلوم والحكم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف احد الصفتين
على الاخرى نحو هذا فضل السخي والجواد ونكر الكتاب ليكون افخم له وقيل انما
نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكره ثم لان القرآن والكتاب

اسمان علمان للمنزل على محمد عليه الصلوة والسلام وصفان له لانه يقرأ ويكتب
فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف
هُدًى وَبُشْرَى في محل النصب على الحال من ايات اي هادية ومبشرة والعامل
فيهما ما في تلك من معنى الاشارة او الجر على انه بدل من كتاب او صفة له او
الرفع على هي هدى وبشرى وعلى البدل من ايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر
لتلك اي تلك ايات وهادية من الضلالة ومبشرة بالجنة وقيل هدى لجميع
الخلق وبشرى لِلْمُؤْمِنِينَ خاصة الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ يديمون على فرايضها
وسننها وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ يؤدون زكوة اموالهم وَهُمْ بِالْآخِرَةِ يُوقِنُونَ
من جملة صلة الموصول ويحتمل ان يتم الصلة عنده وهو استيناف كانه قيل
هؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
هم الموقنون بالاخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي
هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون
بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق إِنَّ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ بخلق الشهوة فيهم حتى رأوا
ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فَهُمْ يَعْمَهُونَ يترددون
في ضلالتهم كما يكون حال الضال عن الطريق أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
القتل والاسر يوم بدر بما كان منهم من سوء الاعمال وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ
الْأَخْسَرُونَ اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع
الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ لتؤتاه
وتلقنه مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى تنكيرهما
وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما
في ذلك من لطايف حكمته ودقايق علمه إِذْ منصوب باذكر كانه قال على اثر
ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ لزوجته ومن
معه عند مسيره من مدين الى مصر إِنِّي آنَسْتُ ابصرت نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا
بِخَبَرٍ عن حال الطريق لانه كان قد ضله أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ بالتنوين كوفي
اي شعلة مضيئة قَبَسٍ نار مقبوسة بدل او صفة وغيرهم بشهاب قبس على
الاضافة لانه يكون قبسا وغير قبس ولا تدافع بين قوله ساتيكم هنا ولعلي

اتيكم

اتيكم في القصص مع ان احدهما ترج والاخر تيقن لان الراجي اذا قوي
رجاؤه يقول سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ومجيئه بسين
التسويف عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة وباو
لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية
الطريق واما اقتباس النار ولم يدر انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين
وهما عز الدنيا والاخرة واختلاف الالفاظ في هاتين السورتين والقصة
واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز الصلوة بالفارسية وجواز
النكاح بغير لفظ النكاح والتزويج لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ يستدفئون بالنار
من البرد الذي اصابكم والطاء بدل من تاء افتعل لاجل الصاد فَلَمَّا جَاءَهَا
اي النار التي ابصرها نُودِيَ موسى أَنْ بُورِكَ مخففة من الثقيلة وتقديره
موسى بانه بورك والضمير ضمير الشان وجاز ذلك من غير عوض وان منعه
الزمخشري لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في احكام كثيرة او
مفسرة لان في النداء معنى القول اي قيل له بورك اي قدس او جعل فيه البركة
والخير مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا اي بورك من في مكان النار وهم الملائكة
ومن حول مكانها اي موسى عليه السلام لحدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله
موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
هو من جملة ما نودي فقد نزه ذاته عما لا يليق به من التشبيه وغيره يَا مُوسَىٰ
إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الضمير في انه للشان والشان انا الله مبتدأ وخبر
والعزيز الحكيم صفتان للخبر او يرجع الى ما دل عليه ما قبله اي ان مكلمك انا
والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهو تمهيد لما اراد ان يظهره
على يده من المعجزة وَأَلْقِ عَصَاكَ لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف
على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما
تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك ويدل
عليه ما ذكره في سورة القصص وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا
الله على تكرير حرف التفسير فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ حال من الهاء في رآها كَأَنَّهَا
جَانٌّ حية صغيرة حال من الضمير في تهتز وَلَّىٰ موسى عليه السلام مُدْبِرًا
ادبر عنها وجعلها يلي ظهره خوفا من وثوب الحية عليه وَلَمْ يُعَقِّبْ ولم يلتفت

اولم يرجع يقال قد عقب فلان اذا رجع يقاتل بعد ان ولي فنودي يا موسي
لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا يخاف عندي المرسلون حال
خطابي اياهم او لا يخاف لدي المرسلون من غيري الا من ظلم اي لكن
من ظلم من غيرهم لان الانبياء عليهم السلام لا يظلمون او لكن من ظلم
منهم اي من زل من المرسلين فجاء منه غير ما اذنت له مما يجوز علي الانبيا
عليهم السلام كما فرط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام
ثم بدل حسنا اي اتبع توبة بعد سوء زلة فاني غفور رحيم اقبل
توبته واغفر زلته وارحمه فاحقق امنيته وكانه تعريض بما قال موسي حين
قتل القبطي رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك
جيب قميصك واخرجها تخرج بيضاء نيرة تغلب نور الشمس من غير سوء
اي برص وقوله بيضاء ومن غير سوء حالان في تسع ايات كلام مستأنف
وفي متعلق بمحذوف اي اذهب في تسع آيات او الق عصاك وادخل يدك
في جملة تسع ايات الي فرعون وقومه الي متعلق بمحذوف اي مرسلا الي فرعون
انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن امر الله كافرين فلما جاءتهم اياتنا معجزاتنا
مبصرة حال اي ظاهرة بينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها للملابستهم
اياها بالنظر والتفكر فيها او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا يقدر علي
الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عوراء لان الكلمة الحسنة
ترشد والسيئة تغوي قالوا هذا سحر مبين ظاهر لمن تامله وقد قوبل بين المبصرة
والمبين وجحدوا بها قيل الجحود لا يكون الا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح
لان الجحود هو الانكار وقد يكون الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة
تعنتا كذا في شرح التاويلات وذكر في الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى
والواو في واستيقنتها للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من
الايقان انفسهم اي جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم ظلما
حال من الضمير في جحدوا واي ظلم افحش من ظلم من استيقن انها ايات من
عند الله ثم سماها سحرا وعلوا تكبرا وترفعا عن الايمان بما جاء موسي عليه السلام
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق هنا والاحراق ثم ولقد
اتينا اعطينا داود وسليمان علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا والمراد

علم الدين والحكم وقالا الحمد لله الذي فضلنا علي كثير من عباده
المؤمنين والاية حجة لنا علي المعتزلة في ترك الاصلح وهنا محذوف ليصح عطف
الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك اعطيته فشكر
وتقديره اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله ولولا
تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك اعطيته فشكر وتقديره اتيناهما
علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير
المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا علي كثير
وفضل عليهما كثير وفي الاية دليل علي شرف العلم وتقدم حملته واهله وان
نعمة العلم من اجل النعم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا علي كثير من عباده
المؤمنين وما سماهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم
لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه
النعمة الفاضلة ان يحمدوا الله علي ما اوتوه وان يعتقد العالم انه ان فضل علي
كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من
عمر وورث سليمان داود ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه و
كانوا تسعة عشر قالوا او تي النبوة مثل ابيه فكانه ورثه والا فالنبوة لا تورث
وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير تشهيرا لنعمة الله واعترافا بمكانها
ودعاء للناس الي التصديق بذكر المعجزة التي علم منطق الطير والمنطق كل ما
يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان يفهم عنها
كما يفهم بعضها من بعض روي انه صاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت
ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد
فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح خطاف فقال يقول قدموا
خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربي الاعلي ملا سمائه وارضه
وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلي وقال الحدا يقول كل شيء
هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والديك يقول اذكروا الله
يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب
يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
واوتينا من كل شيء المراد به كثرة ما اوتي كما يقول فلان يعلم كل

شيءٍ ومثله واوتيت من كل شيءٍ **إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ** قول وارد على
سبيل الشكر كقوله انا سيد آدم ولا فخر اي اقول هذا شكرا ولا اقوله فخرا والنون
في علمنا واوتينا نون الواحد المطاع وكان سليمان ملكا مطاعا فكلم اهل
طاعته على حاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك **وَحُشِرَ** وجمع
لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ روي ان معسكره كان مائة
فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير
على الخشب منها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا
من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في الوسط وهو من ذهب
وفضة فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبياء
على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس
الجن والشياطين وتظلله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع
ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروي انه كان يأمر الريح العاصف
تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد
زدت في ملكك ان لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر
بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى
الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي آل داود **فَهُمْ يُوزَعُونَ** نحبس اولهم على آخرهم اي
يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين وذلك للكثرة
العظيمة والوزع المنع ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما يزع السلطان اكثر مما
يزع القرآن **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ** يعني سار ولحق اذا بلغوا وادي
النمل وهو واد بالشام كثير النمل وعدي بعلى لان اتيانهم كان من فوق فاتي
بحرف الاستعلاء **قَالَتْ نَمْلَةٌ** عرجاء تسمى طاخية او منذرة وعن قتادة انه
دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فسأله ابو حنيفة رضي الله
عنهما وهو شاب عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فافحم فقال ابو حنيفة
رحمه الله كانت انثى فقيل له بم عرفت فقال بقوله قالت نملة ولو كان ذكرا
لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز

بينهما

بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي **يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا**
مَسَاكِنَكُمْ ولم يقل ادخلن لانه لما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في
اولي العقل اجري خطابهم مجرى خطابهم **لَا يَحْطِمَنَّكُمْ** لا يكسرنكم وهو نهي
مستأنف وهو في الظاهر نهي لسليمان عليه السلام عن الحطم وفي الحقيقة
نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقه لا ارينك هاهنا اي لا تحضر هنا
للوضع وقيل هو جواب للامر وهو ضعيف يدفعه نون التاكيد لانه من ضرورات
الشعر **سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ** قيل اراد لا يحطمنكم جنود سليمان عليه السلام
فجاء بما هو ابلغ **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** لا يعلمون بمكانكم اي لو شعروا لم يفعلوا
قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان عليه السلام وجنوده بالعدل
فسمع سليمان عليه السلام قولها من ثلاثة اميال **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا**
متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل او فرحا لظهور عدله
وضاحكا حال مؤكدة لان تبسم بمعنى ضحك واكثر ضحك الانبياء عليهم السلام
التبسم كذا قاله الزجاج **وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي** الهمني وحقيقته كفني عن الاشياء
الا عن شكر نعمتك **أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ** من النبوة والملك
والعلم **وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ** لان الانعام على الوالدين انعام على الولد **وَأَنْ أَعْمَلَ**
صَالِحًا تَرْضَاهُ في بقية عمري **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ** وادخلني الجنة برحمتك
لا بصالح عملي اذ لا يدخل الجنة احد الا برحمته كما جاء في الحديث **فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**
اي في زمرة انبيائك المرسلين او مع عبادك الصالحين روي ان النملة احست
بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت
لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ**
مَا لِيَ مكي وعلي وعاصم وغيرهم بسكون الياء والتفقد طلب ما غاب عنك
لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ام بمعنى بل والمعنى انه تعرف الطير
فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا اراه على انه لا يراه وهو حاضر بساتر ستره
او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول بل هو غائب وذكر
ان سليمان عليه السلام لما حج خرج الى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل
ليصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى من تحت الارض كما
يرى الماء في الزجاجة فيستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك وذكر انه وقفت

نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال
فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير
وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها
الله فتركته فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرها
الى الارض وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان عليه
السلام وعفا عنه لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا بنتف ريشه والقائه في الشمس
او بالتفريق بينه وبين الفه خدمة اقرانه او بالحبس مع اضداده وعن
بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد او بايداعه القفص او بطرحه بين
يدي النمل ليأكلنه وحل له تعذيب الهدهد لما راي فيه من المصلحة كما
حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم
التسخير الا بالتاديب حل له التاديب والسياسة أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي
بنون الثقيلة ليشاكل قوله لاعذبنه حذفت نون العماد للتخفيف ليأتينني
بنونين مكي الاولى للتاكيد والثانية للعماد بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ بحجة له فيها
عذر ظاهر على غيبته والاشكال انه حلف على احد ثلاثة اشياء اثنان منها فعله
ولا مقال فيه والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لانه من اين دري انه يأتي
بسلطان حتى قال والله ليأتيني بسلطان والجواب ان معنى كلامه ليكونن
احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم
يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية فَمَكَثَ الهدهد بعد تفقد سليمان
عليه السلام اياه وبضم الكاف غير عاصم وسهل ويعقوب وهما لغتان
غَيْرَ بَعِيدٍ اي مكثا غير طويل او غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف
مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان عليه السلام فلما رجع
سأله عما لقي في غيبته فَقَالَ أَحَطْتُ علمت شيئا من جميع جهاته بِمَا لَمْ تُحِطْ
بِهِ الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام مع ما اوتي من فضل النبوة
والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه وفيه بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى
عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ غير منصرف
جعله اسما للقبيلة او المدينة وغيره بالتنوين جعله اسما للحي او الاب الاكبر بِنَبَإٍ
يَقِينٍ النبأ الخبر الذي له شان وقوله من سبأ بنبأ من محاسن الكلام ويسمى البديع

وقد حسن وبدع لفظا ومعنى ههنا الا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر
لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها
وصف الحال إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً هي بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك
ارض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها
مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تَمْلِكُهُمْ راجع الى سبأ على تاويل القوم
او اهل المدينة وَأُوتِيَتْ حال وقد مقدرة مِن كُلِّ شَيْءٍ من اسباب الدنيا ما
يليق بحالها وَلَهَا عَرْشٌ سرير عَظِيمٌ كبير قيل كان ثمانين ذراعا وطوله في
الهواء ثمانون ذراعا وكان من ذهب وفضة وكان مرصعا بانواع الجواهر
وقوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت
باب مغلق واستصغر حالها الى حال سليمان عليه السلام فاستعظم عرشها
لذلك وقد اخفى الله تعالى على سليمان عليه السلام ذلك لمصلحة رآها كما اخفى
مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ اي سبيل
التوحيد فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ الى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدي الى معرفة
الله ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهاما له كما الهمه وغيره من
الطيور المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون
لها أَلَّا يَسْجُدُوا بالتشديد اي فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف
الجار مع ان وادغمت النون في اللام ويجوز ان يكون لا مزيدة ويكون المعنى
فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا وبالتخفيف يزيد وعلي وتقديره الا يا هؤلاء
اسجدوا فالا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف فمن شدد لم يقف
الا على العرش العظيم ومن خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الا
يسجدوا او وقف على الا ثم ابتدأ اسجدوا وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين
بخلاف ما يقوله الزجاج انه لا يجب السجود مع التشديد لان مواضع السجدة
اما امر بها او مدح للآتي بها او ذم لتاركها واحدى القراءتين امر والاخرى
ذم للتارك لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ سمي المخبو بالمصدر فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
قتادة خبء السماء المطر وخبء الارض النبات وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
بالتاء فيهما علي وحفص اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وصف الهدهد

عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الي سائر ما خلق من السموات والارض
ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالاضافة الي عروش ابناء جنسها من الملوك
الي ههنا كلام الهدهد فلما فرغ من كلامه قال سليمان عليه السلام للهدهد
سننظر من النظر الذي هو التامل أصدقت فيما اخبرت أم كنت من الكاذبين
وهذا ابلغ من ام كذبت لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين
كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر فلم يوثق به ثم
كتب سليمان عليه السلام كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الي بلقيس
ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدي اما بعد فلا
تعلوا علي وأتوني مسلمين وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد
اذهب بكتابي هذا فالقه بسكون الهاء تخفيفا ابو عمرو وعاصم وحمزة و
يختلسها كسرا ليدل الكسرة على الياء المحذوفة يزيد وقالون ويعقوب فالقهي
باثبات الياء غيرهم اليهم الي بلقيس وقومها لانه ذكرهم معها في قوله وجدتها
وقومها يسجدون للشمس وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك ثم
تول عنهم تنح عنهم الي مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما
يقولونه بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون ما الذي يردونه من الجواب فاخذ
الهدهد الكتاب بمنقاره ودخل عليها من كوة فطرح الكتاب على نحرها وهي
راقدة وتواري في الكوة فانتبهت فزعة او اتاها والجنود حواليها فرفرف
ساعة فالقي الكتاب في حجرها وكانت قارية فلما رأت الخاتم قالت لقومها
خاضعة خائفة يا أيها الملأ اني بفتح الياء مدني القي الي كتاب كريم
حسن مضمونه وما فيه او مختوم قال عليه الصلوة والسلام كرم الكتاب ختمه
وقيل من كتب الي اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به او مصدر ببسم الله الرحمن
الرحيم أو لانه من عند ملك كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
تبيين لما القى كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو
فقالت انه من سليمان وانه كيت كيت وان في الا تعلوا لا انه مفسرة تعلوا علي ولا
تتكبروا كما يفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا يعني اي
امشوا وأتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وكتب الانبياء عليهم السلام
مبنية على الايجاز والاختصار قالت يا أيها الملأ افتوني في امري اشيروا

علي

علي الامر الذي نزل بي والفتوي الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الا

ستعارة

من الفتا في السن والمراد ههنا الاشارة عليها بما عندهم من الراي و
قصدها بالرجوع الي استشارتهم تطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا
معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة او ممضية حكما حتى تشهدون بكسر النون
والفتح لحن لان النون انما يفتح في موضع الرفع وهذا موضع النصب واصله
تشهدونني فحذف النون الاولي للنصب والياء لدلالة الكسر عليها وبالياء
في الوصل والوقف يعقوب اي تحضروني او تشيروا بي وتشهدوا انهم
اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
كل واحد علي عشرة الاف قالوا مجيبين لها نحن اولو قوة واولو بأس شديد
ارادوا بالقوة قوة الاجساد والالات وبالباس النجدة والبلاء في الحرب و
الامر اليك فانظري ماذا تأمرين اي هو موكول اليك ونحن مطيعون
لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال وارادوا
ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري
ماذا ترين نتبع رايك فلما احست منهم الميل الى المحاربة مالت الي المصالحة
ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واوقعتهم الخطأ فيه حيث قالت ان
الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اخربوها وجعلوا اعزة
اهلها اذلة اذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم سوء
مغبة الحرب ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة
التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت
ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد وقيل هو
تصديق من الله لقولها واحتج الساعي في الارض بالفساد بهذه الاية ومن
استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين
كفرين واني مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون
اي بما الان الالف يحذف مع حرف الجر في ما الاستفهامية
بقبولها ام ردها لانها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا
عندهم فان كان ملكا قبلها وانصرف وان كان نبيا ردها ولم يرض منا
الا ان نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم الجواري وحليهن راكبي

خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسلاح بالذهب المرصع بالجواهر وخمسما
جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا
وامرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله بم يرجع المرسلون وكتبت كتابا
فيه نسخة الهدايا وقالت فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفا والوصايف
واخبرني بما في الحقة وانقب الدرة ثقبا مستويا ثم قالت للمنذر ان
نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وان رايته بشاشا
لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان الخبر كله فامر سليمان عليه
السلام الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان
بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب
والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان و
يساره على اللبنات وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين و
اليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا
فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك
فلما دنا القوم وراوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا
ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم سليمان عليه السلام بوجه طلق فاعطوه كتاب
الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
في الدرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت
الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام
كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فلما جاء
رسولها المنذر بن عمرو سليمان قال أتمدونن بمال بنونين واثبات
الياء في الوصل والوقف مكي وسهل وافق مدني وابو عمرو في الوصل اتمدوني
حمزة ويعقوب في الحالين وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما والخطاب للرسل
فما آتاني الله من النبوة والملك والنعمة وبفتح الياء مدني وابو عمرو و
حفص خير مما آتاكم من زخارف الدنيا بل انتم بهديتكم تفرحون
الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فيضاف الى المهدي والمهدى له
يقول هذه هدية فلان هي التي اهداها او اهديت اليه والمعنى انما عندي خير مما عند

وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني
من الدنيا مالا كثيرا وعليه فكيف يكون مثلي بان يمد بمال بل انتم قوم لا تعلمون
الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان
ذلك مبلغ همكم وحالي خلاف حالكم ولا ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا
بالايمان وترك المجوسية والفرق بين قولك امدونني بمال وانا اغنى منكم
وبين ان يقوله بالفاء اني اذا قلت بالواو جعلت مخاطبي عالما بزيادتي
عليه في الغنى وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن
خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول
له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد فلما آتاني الله ووجه
الاضراب انه لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى
بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرحا
الا ان يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ارجع خطاب
للرسول او للهدهد محملا كتابا آخر اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم
بجنود لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا
يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها من سبا اذلة وهم صاغرون
الذل ان يذهب عنه ما كانوا فيه من العز والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد
فلما رجع اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو نبي وما لنا
به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة ابيات وغلقت الابواب ووكلت به
حرسا يحفظونه وبعثت الى سليمان عليه السلام اني قادمة اليك لانظر
ما الذي تدعوا اليه وشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف
فلما بلغت على راس فرسخ من سليمان قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها
قبل ان ياتوني مسلمين اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله به
من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله تعالى وعلى
ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام او اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه
انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها وهذا بعيد عند اهل التحقيق او اراد
ان يؤتى به فينكر ويغير ثم انتبه ام تنكره اختبارا لعقلها قال عفريت
من الجن وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك

مجلس حكمك وقضايك وَإِنِّي عَلَيْهِ على حمله لَقَوِيٌّ أَمِينٌ اتي به كما هو لا اخزل
منه شيئا ولا ابدله فقال سليمان عليه السلام اريد اعجل من هذا قَالَ الَّذِي
عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ اي ملك بيده كتاب المقادير ارسله الله تعالى عند قول
عفريت او جبرئيل عليه السلام والكتاب على هذا اللوح المحفوظ او الخضر
واصف بن برخيا كاتب عليه السلام وهو الاصح وعليه الجمهور وكان عنده
اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب فهو يا حي يا قيوم او يا ذا الجلال
والاكرام او يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل كان له علم
بمجاري الغيوب الهاما أَنَا آتِيكَ بِهِ بالعرش وآتيك في الموضعين يجوز ان يكون
فعلا واسم فاعل ومعنى قوله قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قبل ان ترسل طرفك
الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك وروي ان اصف قال لسليمان
عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن فدعا اصف
فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بقدرة الله تعالى
قبل ان يرتد طرفه فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ثابتا لديه غير مضطرب قَالَ
هَذَا اي حصول مرادي وهو العرش في مدة ارتداد الطرف مِنْ فَضْلِ رَبِّي
علي واحسانه الي بلا استحقاق مني بل هو فضل خال عن العوض صاف عن الغرض
لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ليمتحنني اشكر انعامه أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويستجلب بها المزيد
ويرتبط به النعمة فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي
كلام بعضهم ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع
شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص
عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا اي لم تشكر لله نعمة وَمَنْ كَفَرَ بترك
الشكر على النعمة فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ عن الشكر كَرِيمٌ بالانعام على من يكفر
نعمه قال الواسطي ما كان من مناس الشكر فهو لنا وما كان منه من النعمة فهو
لينا فله المنة والفضل علينا قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا اي غيروا اي اجعلوا
مقدمه مؤخره واعلاه اسفله نَنْظُرْ بالجزم على الجواب أَتَهْتَدِي
اي معرفة عرشها او للجواب الصواب اذا سئلت عنه أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ
فَلَمَّا جَاءَتْ بلقيس قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا

اسم الاشارة ولم يقل اهذا عرشك ولكن اهكذا مثل عرشك لئلا يكون
تلقينا قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ فاجابت احسن جواب فلم يقل هو هو ولا ليس
به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم يقطع في المحتمل للامرين او لما شبهوا عليها
بقولهم اهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت عرشها
وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا من كلام بلقيس اي واوتينا العلم بقدرة
الله وبصحة نبوتك بالآيات المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبل هذه
المعجزة اي احضار العرش او من قبل هذه الحالة وَكُنَّا مُسْلِمِينَ منقادين
لك مطيعين لامرك او من كلام سليمان عليه السلام وملائه عطفوا على
كلامها قولهم واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاءت من عنده قبل
علمها او اوتينا العلم باسلامها ومجيئها طايعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين
موحدين خاضعين وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ متصل بكلام
سليمان عليه السلام اي صدها عن العلم بما علمناه او عن التقدم الى الاسلام
عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة ثم بين نشأتها بين الكفرة بقوله
إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ او كلام مبتدأ اي قال الله وصدها
قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل او وصدها الله او سليمان
عليه السلام عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل قِيلَ لَهَا
ادْخُلِي الصَّرْحَ القصر او صحن الدار فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ماء
عظيما وَكَشَفَتْ الثوب عَنْ سَاقَيْهَا سأقيها بالهمزة مكي روي ان
سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني على طريقها قصر من زجاج ابيض
واجري من تحتها الماء والقي فيه السمك وغيره ووضع سريره في صدره
فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها
استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وقيل ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي
اليه اسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له ولد منها يجمع
فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام الى ملك هو
اشد فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار
فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت
عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء فصرف عنه بصره

ثم قال لها انه صرح ممرد مملس مستو ومنه الامرد من قوارير من
الزجاج واراد سليمان ان يتزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة
فازالته فنكحها سليمان عليه السلام واحبها واقرها على ملكها وكان يزورها
في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له قالت رب اني ظلمت
نفسي بعبادة الشمس واسلمت مع سليمان لله رب العالمين قال
المحققون لا يحتمل ان يحتال سليمان عليه السلام لينظر الى ساقيها وهي اجنبية
فلا يصح القول بمثله ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا
بدل ان اعبدوا الله بكسر النون في الوصل عاصم وحمزة وبصري وبضم
النون غيرهم اتباعا للباء والمعنى بان اعبدوا الله اي وحدوه فاذا للمفاجاة
هم مبتدا فريقان خبر يختصمون صفة وهي العامل في اذا والمعنى
فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق
معي وهو مبين في قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا
لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون وقال الفريق الكافر
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
بالعذاب الذي توعدون به قبل الحسنة قبل التوبة لولا هلا تستغفرون
الله تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب
بكم لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا اطيرنا بك تشاءمنا بك لانهم
قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل تطيرنا وقرئ به
فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء وبمن معك من المؤمنين
قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله
وهو قدره وقسمته او عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة وفتنة
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واصله ان المسافر اذا مر بطائر فيزجره
فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الله تعالى
الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد
الذي هو السبب في الرحمة والنقمة بل انتم قوم تفتنون تختبرون
او تعذبون بذنبكم وكان في المدينة مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط

هو جمع لا واحد له فلذلك جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة انفس وهو
من الثلاثة الى العشرة عن ابن دريد رئيسهم قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا ابناء اشرافهم يفسدون في الارض ولا
يصلحون يعني ان شأنهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح
كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وعن الحسن يظلمون الناس
ولا يمنعون الظالمين من الظلم وعن ابن عطاء يتبعون معايب الناس ولا
يسترون عوراتهم قالوا تقاسموا بالله تحالفوا خبر في محل الحال
باضمار قد اي قالوا متقاسمين او امر اي امر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه
لنقتلنه بياتا اي ليلا واهله ولده وتبعه ثم لنقولن لوليه لولي
دمه لتبيتنه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء وضم اللام حمزة
وعلي ما شهدنا ما حضرنا مهلك اهله حفص مهلك ابو بكر وحماد
والمفضل من هلك فالاول موضع الهلاك والثاني المصدر ومهلك غيرهم
من اهلك وهو الاهلاك او مكان الاهلاك اي لم نتعرض لاهله فكيف
تعرضنا له او ما حضرنا موضع هلاكه فكيف تولينا وانا لصادقون
فيما ذكرنا ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام واهله ومكر الله
اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة
روي انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا
زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث ونحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم
فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب
فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في
مكانه ونجى صالحا عليه السلام ومن معه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا دمرناهم بفتح الالف كوفي وسهل وبكسرها غيرهم على الاستئناف
ومن فتحه رفعه على انه بدل من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره هي
تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم
الدمار وقومهم اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة

متهدمة من خوي بالنجم اذا سقط او خالية من الخوي وهي حال عمل فيها ما دل
عليه تلك بما ظلموا بظلمهم ان في ذلك فيما فعل بثمود لآية لقوم
يعلمون قدرتنا فيتعظون وانجينا الذين آمنوا بصالح عليه السلام
وكانوا يتقون ترك اوامره وكانوا اربعة آلاف بجوامع صالح عليه السلام
من العذاب ولوطا اذ قال اي واذكر لوطا واذ بدل من لوطا اي واذكر
وقت قول لوط لقومه أتأتون الفاحشة اي اتيان الذكور وانتم
تبصرون تعلمون انها فاحشة لم يسبقوا اليها من بصر القلب او يرى
ذلك بعضهم من بعض لانهم كانوا يرتكبونها في ناديهم معالنين بها
لا يستتر بعضهم من بعض وانهما كانوا في المعصية او يبصرون آثار العصاة
قبلكم وما نزل بهم ثم صرح فقال أئنكم بهمزتين كوفي وشامي لتأتون
الرجال شهوة للشهوة من دون النساء اي ان الله انما خلق الانثى
للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله تعالى في
حكمته بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة
مع علمكم بذلك او اريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد
اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل انتم قوم تجهلون وبل انتم قوم تفتنون فغلب
الخطاب على الغيبة لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين فما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط اي نوحا ومتبعيه
فخبر كان جواب واسمه ان قالوا من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن القاذورات فينكرون هذا العمل المقذر ويغيظنا انكارهم
وقيل هو استهزاء كقوله انك لانت الحليم الرشيد فانجيناه فخلصناه
من العذاب الواقع بالقوم واهله الا امرأته قدرناها بالتشديد سوى
حماد وابا بكر اي قدرنا كونها من الغابرين من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا حجارة مكتوبا على كل حجارة اسم صاحبه فساء
مطر المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى امر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتحميده ثم بالسلام
على عباده المصطفين توطية لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته
على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في امر ذي بال بان يتبرك بهما ويستظهر

لمكانهما

لمكانهما او هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه
ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم الله خير
اما يشركون بالياء بصري وعاصم ولا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن
بينه وبين من خالق كل شيء وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم وذلك انهم
آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء
الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم
بانه لا خير فيما آثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ
المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد
وكان عليه السلام اذا قرأها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم ثم عدد
سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال امن خلق السموات
والارض والفرق بين ام وامن في اما يشركون وامن خلق اي تلك متصلة
اذ المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة ولما قال الله خير ام
الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على
خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم من السماء ماء
مطرا فانبتنا صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تاكيد المعنى اختصاص
الفعل بذاته وايذانا بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان
والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده
به بالماء حدائق بساتين والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق
وهو الاحاطة ذات ولم يقل ذوات لان المعنى جماعة حدائق كما يقول
النساء ذهبت بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم رشح معنى الاختصاص
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد
ان تاتي ذلك محال من غيره أإله مع الله اغير الله يقرن به ويجعل
شريكا له بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد
وبل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رأيهم امن جعل الارض وما بعده
بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحيها وسويها للاستقرار
عليها وجعل خلالها ظرف اي وسطها وهو المفعول الثاني والاول
انهارا وبين البحرين مثله وجعل لها للارض رواسي جبالا يمنعها

عن الحركة وجعل بين البحرين العذب والمالح حاجزا مانعا ان يختلطا أإله
مع الله بل أكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون أمن يجيب المضطر
إذا دعاه الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى اللجاء
يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر الذي احوجه مرض
او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله او المذنب اذا
استغفر او دعوة المظلوم او رفع يديه لم ير لنفسه حسنة غير التوحيد
وهو منه على خطر ويكشف السوء الضر والجور ويجعلكم خلفاء الارض
اي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد
بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله قليلا ما تذكرون
وبالياء ابو عمرو وبالتخفيف حمزة وعلي وحفص وما مزيدة اي تذكرون
تذكرا قليلا أمن يهديكم يرشدكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر
ليلا وبعلامات في الارض نهارا ومن يرسل الرياح الريح مكي وحمزة
وعلي بشرا من البشارة وقدم بين يدي رحمته قدام المطر أإله
مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم
ينشئ الخلق ثم يعيده وانما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة لانه
ازيحت علتهم بالتمكن من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن
يرزقكم من السماء والارض المطر والارض ومن الارض النبات أإله مع
الله قل هاتوا برهانكم حجتكم على اشراككم ان كنتم صادقين في دعويكم
ان مع الله الها اخر قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
من فاعل يعلم والغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع عليه مخلوق مفعوله
بدل من من والمعنى لا يعلم احد الغيب الا الله ثم ان الله تعالى ان يكون
ممن في السموات والارض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء
المنقطع مجرى المتصل ويجوزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل يقولون
ما في الدار احد الا حمار قالت عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما
في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة وما يشعرون وما يعلمون أيان

متى يبعثون ينشرون بل ادارك مكي وبصري ويزيد والمفضل
اي انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت نضجا بل ادرك عن الاعشى
افتعل بل ادارك غيرهم واصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد
الف الوصل ليمكن التكلم بها علمهم في الاخرة في شأن الاخرة ومعناها
والمعنى ان اسباب العلم وتكامله بان القيامة كائنة قد حصلت لهم
ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها
بل هم منها عمون والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم
وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة
كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة
بما هو اسوأ حالا وهو العمى وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذا
عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبر
والتفكر ووجه ملاءمة مضمون هذه الاية وهو وصف المشركين بانكارهم
البعث مع استحكام العلم والتمكن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه
تعالى بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه انه لما ذكر ان العباد
لا يعلمون الغيب كان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به
ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد من كونه
وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه
واستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لاجهل الناس ما اعلمك
على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه
مسلوك فضلا عن ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته
ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان
تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم وتدارك
من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقال الذين كفروا أئذا
كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون من قبورنا احياء وتكرير
حرف الاستفهام في اذا وان في قراءة عاصم وحمزة وخلف انكار بعد
انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والعامل في
اذا ما دل عليه لمخرجون وهو نخرج لان اسم الفاعل او المفعول بعد

همزة الاستفهام او ان او لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف اذا اجتمعن والضمير
في انا لهم ولابائهم ولان كونهم ترابا قد تناولهم واباءهم لكنه غلبت
الحكاية على الغائب واباؤنا عطف على الضمير الغائب في كنا لان المفعول
جرى مجرى التوكيد ولقد وعدنا هذا اي البعث نحن واباؤنا من قبل
من قبل محمد عليه السلام قدم هنا هذا على نحن واباؤنا وفي المؤمنين قدم
نحن واباؤنا على هذا البدل على ان المقصود بالذكر هو البعث هنا وثمه
المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي عاقبة
الكافرين وفي ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لاجل
انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما
يمكرون من مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق
الشيء ضيقا بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير وبالكسر قراءته ويقولون متى هذا
الوعد اي وعد العذاب ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بالمكذبين
قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود
فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام
للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او ضمن معنى فعل
يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وعسى
ولعل في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده فعلى ذلك جرى
وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل اي افضال على الناس بترك
المعاجلة بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون اي اكثرهم لا يعرفون
حق النعمة فيه ولا يشكرونه فيستعجلون العذاب بجهلهم وان ربك
ليعلم ما تكن تخفي صدورهم وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه وقرئ
تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته وما من غائبة في السماء
والارض الا في كتاب مبين سمي الشيء الذي يغيب ويخفى خافية
والتاء فيهما كالتاء في العافية والعاقبة ونظائرها الرمية والذبيحة

والنطيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة
كالرواية كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة الا وقد علمه الله واحاط به
واثبته في اللوح المحفوظ والمبين الظاهر البين لمن نظر فيه من الملائكة
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اي يبين لهم اكثر الذي
هم فيه يختلفون فانهم اختلفوا في المسيح عليه السلام فتحزبوا فيه
احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل
القران ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا يريد اليهود والنصارى وانه
وان القران لهدى ورحمة للمؤمنين لمن انصف منهم وامن اي
من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم وان ربك يقضي بينهم بين من
امن بالقران ومن كفر به او بينهم بحكمه اي بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل
فسمي المحكوم به حكما او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه
جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم لمن يقضي له ولمن يقضي عليه
او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين
فتوكل على الله امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين
انك على الحق المبين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح
الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق على الله
وبنصرته انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لما كانوا لا يعون ولا يسمعون ولا به
ينتفعون شبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس وبالصم الذين ينعق بهم
فلا يسمعون وبالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك
عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل ثم اكد حال الاصم بقوله
اذا ولوا مدبرين لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد
عن ادراك صوته ولا يسمع الصم مكي وكذا في الروم وما انت تهدي
العمي وكذا في الروم حمزة ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما
يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون بها
فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما
لله خالصا له واذا وقع القول عليهم سمي معنى القول ومؤداه بالقول

وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة
الساعة وظهور اشراطها وحين لا ينفع التوبة اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم هي الجساسة في الحديث طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا
يفوتها هارب ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها راس ثور
وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة
هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنى عشر ذراعا وتخرج من الصفا
فتكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
اي لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على
الظالمين او تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام او بان هذا
مؤمن وهذا كافر وفتح ان كوفي وسهل على حذف الجار اي تكلمهم بانه
غيرهم كسروا لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة
ذلك ويكون المعنى بايات ربنا لا يوقنون او حكاية لقول الله تعالى عند
ذلك ثم ذكر قيام الساعة فقال ويوم نحشر من كل امة فوجا من
للتبعيض اي واذكر يوم نجمع من كل امة من الامم زمرة ممن يكذب من
للتبيين باياتنا المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس اولهم على
اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد
وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة حتى اذا جاءو حضروا موقف
الحساب والسؤال قال تعالى لهم تهديدا اكذبتم باياتي بالايات
المنزلة على رسلي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كانه قال اكذبتم بها
بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها
حقيقة بالتصديق او بالتكذيب اما ذا كنتم تعملون حيث لم
تتفكروا فيها فانكم لم تخلقوا عبثا ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا
ينطقون اي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات
الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا
جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا حال جعل الابصار للنهار وهو لاهله
والتقابل مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طريق التقلب
في المكاسب ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يصدقون فيعتبرون

وفيه دليل

وفيه دليل على صحة البعث لان معناه الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما
لمعاشهم في الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند
ذلك من ثواب وعقاب فاذا لم يكونوا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى
للثواب والعقاب ويوم واذكر يوم ينفخ في الصور هو قرن او جمع
صورة والنافخ اسرافيل عليه السلام ففزع من في السموات ومن في
الارض واختير فزع على يفزع للاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا
محالة فالمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله
الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وقيل الحور وخزنة النار وحملة العرش
وعن جابر منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه حمزة و
حفص وخلف واتوه غيرهم واصله اتيوا داخرين حال اي صاغرين
ومعنى الاتيان حضورهم الموقف او رجوعهم الى امره وانقيادهم وترى
الجبال تحسبها بفتح السين شامي وحمزة ويزيد وعاصم وبكسرها
غيرهم حال من المخاطب جامدة واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في
مكانه اذا لم يبرح وهي تمر حال من الضمير المنصوب في تحسبها مر السحاب
اي مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رايت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة
في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح
وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا يكاد يتبين حركتها
كما قال النابغة في صفة جيش، بارعن مثل الطود تحسب انهم، وقوف لحاج
والركاب تهملج صنع الله مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها
كمر السحاب من صنع الله فكانه قيل صنع ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكر
قبل الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه انه خبير بما يفعلون
مكي وبصري غير سهل وابو بكر غير يحيى وغيرهم بالتاء اي انه عالم بما يفعل
العباد فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة اي
بقول لا اله الا الله عند الجمهور فله خير منها اي فله خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وعلى هذا لا يكون بمعنى افضل ويكون منها في موضع

امنون

دفع صفة لجبر وهم من فزع كوفي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف
النار او من فزع ما وان قل وبغير تنوين غيرهم يومئذ كوفي مدني وبكسر
الميم غيرهم والمراد يوم القيمة آمنون امن يعدي بالجار وبنفسه كقوله افامنوا
مكر الله ومن جاء بالسيئة بالشرك فكبت القيت وجوههم في النار
يقال كببت الرجل القيته على وجهه اي القوا على رؤسهم في النار او عبر عن
الجملة بالوجه كما يعبر بالراس والرقبة عنها اي القوا في النار ويقال لهم
تبكيتا عند الكب هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك
والمعاصي انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة التي حرمها
جعلها حراما آمنا يامن فيها اللاجي اليها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها حرم
ولا ينفر صيدها وله كل شيء مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والا
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له وان اتلو القرآن من التلاوة
او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك امر رسوله عليه السلام بان
يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش
وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام فان اتلو القرآن لاعرف
الحلال والحرام وما يقتضيه الاسلام وخص مكة من سائر البلاد باضافة
اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واعظمها عنده واشار اليها بقوله هذه
اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه عليه السلام ومهبط
وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت
ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما فمن اهتدى باتباعه اياي
فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملة الحنيفية
واتباع ما انزل علي من الوحي فانما يهتدي لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة
اليه لا الي ومن ضل فانما انا من المنذرين ومن ضل ولم يتبعني فلا
علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله
سيريكم آياته فتعرفونها ثم امره ان يحمد الله تعالى على ما خوله من نعمة
النبوة التي لا يوازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته في
الآخرة فيستيقنون بها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نقمات
الله تعالى في الدنيا وما ربك بغافل عما تعملون بالتاء مدني وشامي

وحفص

وحفص ويعقوب خطاب لاهل مكة وبالياء غيرهم اي كل عمل تعملونه فان الله عالم به
غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه

سورة القصص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين يقال بان الشيء وابان بمعنى واحد ويقال
ابنته فابان لازم ومتعد اي مبين خيره وبركته او مبين للحلال والحرام والوعد
والوعيد والاخلاص والتوحيد نتلوا عليك نقرأ عليك اي يقرأه جبريل
عليه السلام بامرنا ومفعول نتلوا من نبإ موسى وفرعون اي
نتلوا عليك بعض خبرهما بالحق حال اي محقين لقوم يؤمنون لمن سبق
في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون
جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كان قائلا يقول وكيف كان نبأهما فقال
ان فرعون علا طغى وجاوز الحد في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية
في الارض ارض مملكته يعني مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه
على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه او فرقا مختلفة يكرم
طائفة ويهين اخرى فاكرم القبطي واهان الاسرائيلي يستضعف طائفة
منهم هم بنو اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم اي يترك
البنات احياء للخدمة وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في
بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حمق فرعون فانه ان صدق
الكاهن لم ينفعه القتل وان كذب فما معنى القتل ويستضعف حال من الضمير
في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف انه كان
من المفسدين فبين ان القتل ظلما انما هو فعل المفسدين اذ لا طائل تحته
صدق الكاهن او كذب ونريد ان نمن نتفضل وهو دليل لنا في مسئلة
الاصلح وهذه جملة معطوفة على ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك
في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى عليه السلام وفرعون واقتصاصا له او حال من
يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وارادة الله تعالى
كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم الوارثين اي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان
لهم ونمكن مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد ومعنى التمكين

لهم في الارض اي ارض مصر والشام ان نجعلها بحيث لا ننوئهم ونسلطهم وننفذ
امرهم ونري فرعون وهامان وجنودهما بضم النون ونصب فرعون
وبالياء ورفع فرعون وما بعده وقراءة حمزة اي نريهم منهم ما حذروه من
ذهاب ملكهم على يد مولود منهم ونري نصب عطف على المنصوب قبله
كقراءة او رفع على الاستيناف منهم من بني اسرائيل ويتعلق بنري
دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول ما كانوا يحذرون
الحذر التوقي من الضرر واوحينا الى ام موسى بالالهام او بالرؤيا
او باخبار ملك كما كانت لمريم رضي الله عنها وليس هذا وحي رسالة فلا تكون
هي رسولا ان ارضعيه ان بمعنى اي او مصدرية فاذا خفت عليه من
القتل بان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه في اليم البحر وقيل هو
نيل مصر ولا تخافي من الغرق والضياع ولا تحزني بمفارقته انا رادوه اليك
بوجه لطيف لتربيه وجاعلوه من المرسلين وفي هذه الاية امران ونهيان
وخبران وبشارتان والفرق بين الخوف والحزن ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع
والحزن غم لواقع يلحقه وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما وبشرت برده
اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعون الف
وليد وروي انها ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل
مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض نور بين عينيه ودخل قلبها فقالت
ما جئتك لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت
مثله فاحفظيه فلما خرجت القابلة جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته
في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا
وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاه في التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله
النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحي اليها بالقائه
في اليم فالقته في اليم بعد ان ارضعته ثلاثة اشهر فالتقطه آل فرعون
اخذه قال الزجاج كان فرعون من اهل فارس من اصطخر ليكون ليكون
لهم عدوا اي ليصير الامر الى ذلك لا انهم اخذوه لهذا كقولهم
للموت ما تلد الوالدة وهي لم تلد لان يموت ولدها ولكن المصير الى ذلك
كذا قاله الزجاج وعن هذا قال المفسرون ان هذه لام العاقبة والصيرورة

وقال

وقال صاحب الكشاف هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني ولكن
معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له
شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء وحزنا
وحزنا علي وحمزة وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين وخاطين بتخفيف خاطئين ابو جعفر اي كانوا مذنبين
فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم او كانوا خاطئين
في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع وقالت امرات فرعون قرت
عين لي ولك روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا
عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت اسية رضي الله عنها فرات في جوف التابوت
نورا فعالجته ففتحته فاذا ابصرت نوره بين عينيه فاحبوه وكانت لفرعون
بنت برصاء فنظرت الى وجهه فبرات فقالت الغواة من قومه هو الذي تحذر
منه فائذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت اسية رضي الله عنها قرت عين لي ولك
فقال فرعون لك لا لي وفي الحديث لو قال كما قالت لهداه الله كما هداها وهذا على
سبيل الفرض اي لو كان غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها
ولاسلم كما اسلمت وقرت خبر مبتدا محذوف اي هو قرت لي ولك صفتان لقرت لا
تقتلوه خاطبته خطاب الملوك او خاطبت الغواة عسى ان ينفعنا فان
فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور وبرء البرصاء
او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل لان يكون ولد الملوك وهم
لا يشعرون حال وذو الحال آل فرعون وتقدير الكلام آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امرات فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطا
عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة
اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما
احسن نظم هذا الكلام عند اصحاب المعاني والبيان واصبح وصار
فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت
بوقوعه في يد فرعون ان كادت لتبدي به لتظهر به والضمير
لموسى عليه السلام والمراد بامره وقصته وانه ولدها قيل لما رات الامواج
يلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول يا ابناه وقيل لما سمعت ان فرعون

اخذ التابوت لم يشك انه يقتل فكادت تقول وا ابناه شفقة عليه وان
مخففة من الثقيلة اي انها كادت لولا ان ربطنا على قلبها لولا ربطنا
على قلبها والربط على القلب تقويته بالهام الصبر لتكون من المؤمنين
من المصدقين بوعدنا وهو انا رادوه اليك وجواب لولا محذوف اي لابدت
او فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون تبناه وان كادت لتبدي بانه ولدها
لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا اطمانا قلبها وسكنا
قلقها الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد
الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين امرت ام موسى عليه السلام و
بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله
حياطتها وربط على قلبها وقالت لاخته قصيه اتبعي اثره لتعلمي خبره فبصرت
به اي ابصرته عن جنب عن بعد حال من الضمير في به او من الضمير في بصرت
وهم لا يشعرون انها اخته وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم
شرع اي معناه ان يرضع ثديا غير ثدي امه وكان لا يقبل ثدي غير مرضع
حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع
وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصها
اثره او قبل ان يردوها على امه فقالت اخته وقد دخلت دارا من المراضع
ورأته لا يقبل ثديا هل ادلكم ارشدكم على اهل بيت يكفلونه اي
موسى عليه السلام لكم وهم له ناصحون النصح اخلاص العمل من شائب
الفساد روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف
اهله فخذوها حتى تخبر بقصة هذا الغلام فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون
فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة
عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها
فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة
طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها
وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في
علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها
بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق اي ولتثبت

علمها

علمها مشاهدة كما علمت خبرا وقوله ولا تحزن معطوف على تقر وانما حل لها ما
تاخذه من الدينار كل يوم كما قال السدي لانها مال حربي لا انها اجرة على
ارضاع ولدها ولكن اكثرهم لا يعلمون هو داخل تحت علمها اي لتعلم
ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيرتابون ويشبه التعريض
بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى عليه السلام فجزعت ولما بلغ اشده
بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وانعم عند سيبويه
واستوى واعتدل وتم استحكامه وهو اربعون سنة وروي انه
لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة اتيناه حكما نبوة وعلما فقها
وعلما بمصالح الدارين وكذلك نجزي المحسنين اي كما فعلنا بموسى عليه
السلام وامه نفعل بالمؤمنين قال الزجاج قال الله تعالى مجازات ابناء العلم
والحكمة مجازاة على الاحسان لانهما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين
والعالم الحكيم من يعمل بعلمه لانه تعالى قال ولبئسما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون فجعلهم جهالا اذ لم يعملوا بالعلم ودخل المدينة اي مصر على حين
غفلة من اهلها حال من الفاعل اي مختفيا وهو ما بين العشائين او وقت القايلة
يعني انتصاف النهار وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه
فلا يدخل المدينة الا على تغفل فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعته من شايعه على دينه من بني اسرائيل وهو السامري وهذا من
عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وقيل فيهما هذا وهذا وان كانا
غائبين على جهة الحكاية اي اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا
من عدوه فاستغاثه فاستنصره الذي من شيعته على الذي من عدوه
فوكزه موسى ضربه بمجمع كفه او باطراف اصابعه فقضى عليه فقتله
قال هذا اشارة الى القتل الحاصل بغير قصد من عمل الشيطان وانما
جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه
كان مستامنا فيهم فلا يحل له قتل الكافر الحربي او لانه قتله قبل ان يؤذن
له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر انه عدو مضل مبين
ظاهر العداوة قال رب يا رب اني ظلمت نفسي بفعل صار قتلا فاغفر
لي زلتي فغفر له زلته انه هو الغفور باقالة الزلل الرحيم

باذاله المجمل قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين للكافرين
وبما انعمت علي قسم جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن
فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت
علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين
صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه
كالولد مع الوالد فاصبح في المدينة خائفا على نفسه من قتل القبطي
ان يوخذ يترقب حال اي يتوقع المكروه وهو الاستقادة منه او الاخذ
وما يقال فيه وقال ابن عطاء خائفا على نفسه يترقب نصرة ربه وفيه
دليل على انه لا باس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقول بعض الناس انه
لا يسع الخوف من دون الله فاذا الذي اذا للمفاجاة وما بعدها مبتدأ
استنصره اي موسى عليه السلام بالامس يستصرخه يستغيثه والمعنى
ان الاسرائيلي الذي خلصه موسى عليه السلام ثانيا من قبطي اخر قال له
موسى اي للاسرائيلي انك لغوي مبين اي ضال عن الرشد ظاهر
الغي فقد قاتلت بالامس رجلا بسببك والرشيد في التدبير لا يفعل فعلا
يفضي الى البلاء على نفسه وعلى من يريد نصرته فلما ان اراد موسى
عليه السلام ان يبطش بالذي بالقبطي الذي هو عدو لهما لموسى
عليه السلام والاسرائيلي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني
اسرائيل قال الاسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توهم انه اراد اخذه
لا اخذ القبطي اذ قال انك لغوي مبين يا موسى اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسا يعني القبطي بالامس ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا
قتالا بالغضب في الارض ارض مصر وما تريد ان تكون من المصلحين
ولما تريد ان تكون من المصلحين في كظم الغيظ وكان قتل القبطي
بالامس قد شاع ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى علم القبطي ان قاتله موسى
عليه السلام فاخبر فرعون فهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة
هو مؤمن ال فرعون فكان ابن عم فرعون يسعى صفة لرجل او حال من
رجل لانه وصف بقوله من اقصى المدينة قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك اي يأمر بعضهم بعضا بقتلك ويتشاورون بسببك والائتمار

التشاور

التشاور ويقال الرجلان يتأمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء
او يشير عليه بامر فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين لك بيان وليس
بصلة الناصحين لان الصلة لا تتقدم على الموصول كانه قال اني من الناصحين
ثم اراد ان يبين فقال لك كما يقال سقيا لك ومرحبا بك فخرج موسى
عليه السلام منها من المدينة خائفا يترقب التعرض له في الطريق او ان
يلحقه من يقتله قال رب نجني من القوم الظالمين اي قوم فرعون
ولما توجه تلقاء مدين نحوها والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية
شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم عليه السلام لم يكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس رضي الله عنهما
خرج ولم يكن له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل اي وسطه ومعظم نهجه تجاه مدين فانطلق به الى مدين
فلما ورد وصل ماء مدين ماءهم الذي يسقون منه وكان بئرا وجد
عليه على جانب البئر امة جماعة كثيرة من الناس من اناس مختلفة
يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم
امراتين تذودان تطردان غنمهما عن الماء لان على الماء من هو اقوى
منهما فلا يتمكنان من السقي او لئلا يختلط اغنامهما باغنامهم والذود الطرد
والدفع قال ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما
من الذياد فسمي المخطوب خطبا قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء
مواشيهم يصدر شامي ويزيد وابو عمرو اي يرجع والرعاء جمع راع كقائم
وقيام وابونا شيخ لا يمكنه سقي الاغنام كبير في حاله او في السن
لا يقدر على رعي الغنم ابدتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فسقى
لهما فسقى غنمهما لاجلهما رغبة في المعروف واعانة للملهوف روي انه
نحى القوم عن راس البئر وسألهم دلوا فاعطوه دلوهم وقالوا استق
بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا
بالبركة وترك المفعول في يسقون وتذودان ولا نسقي وسقى لان الغرض
هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد
وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذا

لا ينبغي وهنيئ المقصود هو السقي لا المسقي ووجه مطابقة جوابهما سؤاله
انه سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان مستورتان
ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحيي من الاختلاط بهم فلا بد لنا
من تأخر السقي الى ان يفرغوا وانما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه سقي
الماشية لان الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروءة فعادات
الناس في ذلك متباينة واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل
البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة
ثم تولى الى الظل اي ظل سمرة وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا
بخلاف ما يقوله بعض المتقشفة ولما طال البلاء عليه انس بالشكوى
اذ لا نقص في الشكوى الى المولى **فقال رب اني لما** لاي شيء **انزلت**
الي من خير قليل او كثير غث او سمين **فقير** محتاج وعدي فقير باللام لانه
ضمن معنى سائل وطالب قيل كان لم يذق طعاما منذ سبعة ايام وقد لصق
ظهره ببطنه ويحتمل اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدارين وهو
النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضي بالبدل
السني وفرحا به وشكرا له وقال ابن عطا نظر من العبودية الى الربوبية
وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سره من الانوار **فجاءته احداهما تمشي**
على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا على استحياء
في موضع الحال اي مستحيية وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرهما
لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم ايجيبها ام لا فاتته مستحيية قد
استترت بكم درعها وما في سقيت مصدرية اي جزاء سقيك روي انهما
لما رجعتا الى ابيهما واغنامهما حفل قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها
موسى عليه السلام فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها
امشي خلفي وانعتي لي الطريق **فلما جاءه وقص عليه القصص**
اي قصته واحواله مع فرعون فالقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص
قال له **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** اذ لا سلطان لفرعون بارضنا
وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدا او انثى والمشي مع الاجنبية

مع ذلك

مع ذلك الاحتياط والتورع واما اخذ الاجر على البر والمعروف فقيل لانه
لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام على انه روي انها لما قالت
ليجزيك كره ذلك وانما اجابها لئلا يخيب قصدها لان للقاصد حرمة ولما
وضع شعيب عليه السلام الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب عليه السلام
الست جائعا قال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل
بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فأكل **قالت احداهما يا ابت استأجره**
اتخذه اجيرا لرعي الغنم روي ان كبراهما كانت صفورا والصغرى صفيرا
هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها **ان خير**
من استأجرت القوي الامين فقال وما علمك بقوته وامانته
فذكرت نزع الدلو وامرها بالمشي خلفه وورود الفعل للدلالة على ان
امانته وقوته امران متحققان وقولها ان خير من استأجرت القوي
الامين كلام جامع لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والامانة
في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقيل القوي في دينه الامين
في جوارحه وقد استغنت بهذا الكلام الجاري مجرى المثل على ان تقول
استأجره لقوته وامانته وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس
ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر
رضي الله عنهما **قال اني اريد ان انكحك** ازوجك **احدى ابنتي**
هاتين قوله هاتين يدل على انه كانت له غيرهما وهذه مواعدة
منه ولم يكن ذلك عقد النكاح اذ لو كان عقدا لقال قد انكحتك **على**
ان تأجرني تكون لي اجيرا من اجرته اذا كنت له اجيرا **ثماني حجج** والحجة
السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب
القيام على امور الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة **فان**
اتممت عشرا فمن عندك اي فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك
او فاتمامه من عندك ولا احتمه ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل
وتبرع **وما اريد ان اشق عليك** بالزام اتم الاجلين وحقيقة قولهم
شققت عليه وشق عليه الامر ان الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك

ظنك تعول تارة المطيقة وطورا لا المطيقة ستجدني إن شاء الله من الصالحين
في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز ان يكون يراد الصلاح على العموم
ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله تعالى فيما وعد
من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه ان شاء فعل وان
شاء لم يفعل ذلك قال موسى عليه السلام ذلك مبتدا وهو اشارة
الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام والخبر بيني وبينك يعني ذلك الذي
قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا
عما شرطت ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت
اي اي اجل قضيت من الاجلين يعني العشر او الثمان واي نصب بقضيت وما
زائدة مؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان
اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه قال المبرد وقد علم انه لا عدوان
عليه في اتمهما ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكما ان
طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الاقل والله على
ما نقول وكيل هو من وكل اليه الامر وعدي بعلى لانه استعمل في
موضع الشاهد والمعين روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء عليهم
السلام فقال لموسى عليه السلام بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك
العصي فاخذ عصا هبط آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء عليهم
السلام يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا
فظن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له
شانا ولما اصبح قال له شعيب عليه السلام اذا بلغت مفرق الطريقين
فلا تاخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه
عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى
على اثرها فاعشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل
فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية
فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب
عليه السلام من الغنم فاوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى
عليه السلام ففرح فعلم ان لموسى والعصا شانا وقال اني وهبت لك

من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك
مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه
فلما قضى موسى الاجل قال عليه السلام قضيت اوفاهما وتزوج صغراهما
وهذا خلاف الرواية التي مرت وسار باهله بامرأته نحو مصر قال ابن عطاء
لما اجل المحنة ودنا ايام الزلفة وظهر انوار النبوة سار باهله ليشترك
معه في لطائف صنع ربه آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق لانه قد ضل الطريق او جذوة
من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن
بالنسبة الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة بتكليم الله فيها
من الشجرة العناب او العوسج ان يا موسى مفسرة او مخففة من الثقيلة
اني انا الله رب العالمين قال جعفر ابصر نارا دلته على الانوار لانه راى النور على
هيئة النار فلما دنى منه شملته على نوار القدس واحاطت به جلابيب الانس
فخاطب بالطف خطاب واستدعى منه احسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا
اعطي مما سال وامن مما خاف الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن فعاصم بفتح
الجيم وحمزة وخلف بضمها وغيرهم بكسرها العود الغليظ كانت في رأسه
نار او لم تكن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ
الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من شاطئ الوادي بدل الاشتمال
لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ اي الجانب وان الق عصاك ونودي
ان الق عصاك فالقاها فقلبها الله تعالى ثعبانا فلما رآها تهتز تتحرك
كانها جان حية في سعيها وهي ثعبان في جثتها ولى مدبرا ولم يعقب
يرجع فقيل له يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اي امنت من ان
ينالك مكروه من الحية اسلك ادخل يدك في جيبك جيب قميصك تخرج
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس من غير سوء برص واضمم اليك
جناحك من الرهب مجازي ويصري الرهب حفص الرهب غيرهم ومعنى الكل
الخوف والمعنى واضمم يدك الى صدرك يذهب ما بك من فرق اي لاجل الحية
عن ابن عباس رضي الله عنهما كل خائف اذا وضع يده على صدره زال خوفه
وقيل معنى ضم الجناح ان الله تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى عليه السلام

واتقاها بيدك كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة واظهار معجزة اخرى فالمراد بالجناح اليد لان يد الانسان بمنزلة جناح الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه او تجلد وضبط نفسه عند انقلاب العصى حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمرا ومعنى الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به في ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك واسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين اذ الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب ومعنى واضمم يدك الى جناحك فيطرد اذ ادخل يمناك تحت يسراك **فذانك** مخففا مثنى ذاك ومشددا مكي وابو عمرو ومثنى ذلك فاحدى النونين عوض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا **برهانان** حجتان نيرتان بينتان وسميت الحجة برهانا لانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة **من ربك الى فرعون وملائه** اي ارسلناك الى فرعون وملائه بهاتين الآيتين **انهم كانوا قوما فاسقين** كافرين **قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون** به وبالياء يعقوب **واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي** حفص **ردءا** حال اي عونا يقال ردأته اعنته وبلا همز مدني **يصدقني** عاصم وحمزة صفة اي ردءا مصدقا لي وغيرهما بالجزم جواب لارسله ومعنى تصديقه موسى عليه السلام اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج اليه ليثبت دعواه لا ان يقول له صدقت الا ترى الى قوله هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت فسحبان وباقل فيه يستويان **اني اخاف ان يكذبون** يكذبوني في الحالين يعقوب **قال سنشد عضدك باخيك** سنقويك

به اذ اليد تشتد بشدة العضد لانه قوام اليد يقوى لشدة اليد على مزاولة الامور **ونجعل لكما سلطانا** غلبة وتسلطا وهيبة في قلوب الاعداء **فلا يصلون اليكما بآياتنا** الباء تتعلق بيصلون اي لا يصلون اليكما بسبب آياتنا وتم الكلام او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما بآياتنا او بمحذوف اي اذهبا بآياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة او قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه **انتما ومن اتبعكما الغالبون** **فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات** واضحات **قالوا ما هذا الا سحر مفترى** اي سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله **وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين** في آبائنا حال منصوب عن هذا اي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم **وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون** اي ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين فلا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى والغفران قال موسى بغير واو مكي وهو حسن لان الموضع موضع السؤال وبحث عما اجابهم موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات العظام سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول وينظر فساد احدهما وصحة الآخر ربي اعلم حجازي وابو عمرو ومن يكون حمزة وعلي **وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري** قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده اي ما لكم من اله غيري او هو على ظاهره وان اله غيره غير معلوم عنده **فاوقد لي يا هامان على الطين** اي اطبخ لي الآجر واتخذه وانما لم يقل مكان هذا لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة افصح واشبه بكلام الجبابرة اذ امر هامان وهو وزيره بالايقاد على الطين منادا باسمه في وسط الكلام دليل

التعظم والتجبر فاجعل لي صرحا قصرا عاليا لعلي اطلع اصعد فالطلوع
والاطلاع الصعود الى اله موسى حيث انه في مكان كما كان هو في مكان
واني لاظنه اي موسى عليه السلام من الكاذبين في دعواه ان له
الها وانه ارسله الينا رسولا وقد تناقض المخذول فانه ما علمت لكم من اله
غيري ثم اظهر حاجته الى هامان واثبت لموسى عليه السلام الها واخبر انه
غير متيقن بكذبه وكانه تحصن من عصى موسى عليه السلام فلبس وقال
لعلي اطلع الى اله موسى روي ان هامان جمع خمسين الف بنا وبنى صرحا
لم يبلغه بناء احد من الخلق فضرب الصرح جبرئيل عليه السلام بجناحه
فقطعه ثلاث قطع ووقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل
وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم احد من عماله الا هلك واستكبر
هو وجنوده تعظم في الارض ارض مصر بغير الحق اي الباطل فالاستدرا
استكبار بالحق لله وهو المتكبر على الحقيقة اي المبالغ في كبرياء الشان
كما حكى رسولنا عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون لا يرجعون نافع وحمزة وعلي ويعقوب وخلف
فاخذناه وجنوده فنبذناهم من الكلام الفخم الذي دل به على
عظمة شانه شبههم استقلالا لعددهم وان كانوا الجم الغفير بحصيات
اخذ اخذ بين اخذ بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد كيف كان
عاقبة الظالمين وحذر يا محمد قومك فانك منصور عليهم وجعلنا
ائمة قادة يدعون الى النار الى عمل اهل النار قال ابن عطا انزع عن اسرارهم
التوفيق وانوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلون على سبيل
الرشاد وفيه دلالة خلق الافعال ويوم القيمة لا ينصرون من العذاب
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة الزمناهم طردا وابعادا عن الرحمة
وقيل هو ما يلحقهم من لعن الناس اياهم بعدهم ويوم القيمة من المقبوحين
المطرودين المبعدين او المهلكين او المواهين بسواد الوجوه وزرقة
العيون ويوم ظرف للمقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب التورية
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط

بصائر للناس حال من الكتاب والبصيرة التي يبصر به الرشد والسعادة
كما ان البصر نور العين الذي يبصر به يريد اتيناه التورية انوار للقلوب
لانها كانت عمياء لا يستبصر ولا يعرف حقا من باطل هدى وارشادا
لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لمن اتبعها لانهم اذا عملوا بها
وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون يتعظون وما كنت يا محمد
بجانب الجبل الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي
وقع فيه ميقات موسى عليه السلام اذ قضينا الى موسى الامر اي
كلمناه وقربناه نجيا وما كنت من الشاهدين من جملة الشاهدين للوحي اليه
حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى عليه السلام في
ميقاته ولكنا انشانا بعد موسى عليه السلام قرونا فتطاول
عليهم العمر اي طالت اعمارهم وفترت النبوة وكادت الاخبار تخفى
واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير فارسلناك مجددا لتلك الاخبار
مبينا ما وقع فيه التحريف واعطيناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى
كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر
سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب اختصارا فاذن
هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا
مقيما في اهل مدين وهم شعيب عليه السلام والمؤمنون به تتلوا
عليهم اياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة
شعيب عليه السلام وقومه وتتلوا في موضع نصب خبر ثان او حال من
الضمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين ولكنا ارسلناك واخبرناك
بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى عليه السلام ان
خذ الكتاب بقوة في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهو خمسمائة
وخمسون سنة لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة
عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر والظلم ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي
نسب الاعمال الى الايدي وان كانت من اعمال القلوب تغليبا للاكثر على
الاقل فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية

تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر
اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء يدخل
في جواب الامر والمعنى لولا انهم قايلون اذا عوقبوا بما قدموا هلا ارسلت
الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول
اليهم انما ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس حجة
بعد الرسل فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة
هي السبب في الارسال القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه
قلت القول هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة
لما ارسلنا **فلما جاءهم الحق من عندنا** اي القرآن او الرسول المصدق
بالكتاب المعجز **قالوا** كفار مكة **لولا اوتي** هلا اعطي **مثل ما اوتي**
موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة **اولم يكفروا** يعني ابناء جنسهم
ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه
السلام **بما اوتي موسى من قبل** من قبل القرآن **قالوا** في موسى وهارون
سحران تظاهرا تعاونا سحران كوفي اي ذوو سحر او جعلوهما سحرين مبالغة
في وصفهما بالسحر **وقالوا انا بكل** بكل واحد منهما **كافرون**
وقيل ان اهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا
بموسى والتورية وقالوا في موسى ومحمد عليهما السلام سحران تظاهرا
وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسئلونهم عن محمد
عليه السلام فاخبروهم انه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم
بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهران **قل فاتوا بكتاب من عند**
الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى عليهما السلام ومما نزل على **اتبعه**
جواب فاتوا **ان كنتم صادقين** في انهما سحران **فان لم يستجيبوا لك فاعلم**
انما يتبعون اهواءهم فان لم يستجيبوا دعاك في الاتيان بالكتاب الاهدى
فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى **ومن اضل ممن اتبع**
هواه بغير هدى من الله اي لا احد اضل ممن اتبع في الدين هواه بغير
هدى حال اي مخذولا مخلى بينه وبين هواه **ان الله لا يهدي القوم الظالمين**
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون التوصيل تكثير الوصل وتكريره

يعني

يعني ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ
ليتذكروا فيفلحوا **الذين آتيناهم الكتاب من قبله** من قبل القرآن وخبر
الذين **هم به** بالقرآن **يؤمنون** نزلت في مؤمني اهل الكتاب **واذا يتلى**
عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله من قبل نزول القرآن
مسلمين كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله
انه تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا
بيان لقوله آمنا لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا
بان ايمانهم متقادم **اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا** بصبرهم
على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن وبصبرهم على الايمان بالقرآن
قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب **ويدرؤن**
بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية او بالحلم الاذى **ومما**
رزقناهم ينفقون يزكون **واذا سمعوا اللغو** الباطل والشتم من المشركين
اعرضوا عنه وقالوا للاغين **لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم**
امان منا لكم بان نقابل لغوكم بمثله **لا نبتغي الجاهلين** لا نريد مخالطتهم
وصحبتهم **انك لا تهدي من احببت** ان تدخل فيه من قومك وغيرهم
ولكن الله يهدي من يشاء يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء **وهو اعلم**
بالمهتدين بمن يختار الهداية ويقبلها ويتعظ بالدلايل والايات قال
الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت في ابي طالب وذلك انه قال عند
موته يا معشر بني هاشم صدقوا محمدا تفلحوا فقال صلى الله عليه وسلم يا عم
تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد
منك ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال ابن اخي قد علمت
انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وان كانت الصيغة عامة
والاية حجة على المعتزلة لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس
اجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدل ان وراء البيان يسمى
هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة **وقالوا ان نتبع**
الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا قالت قريش نحن نعلم
انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك ان يتخطفونا

بارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي امن بحرمة البيت وامن وطانه بحرمته والثمرات يجبى اليهم من كل اوب وهم كفرة واني يستقيم ان يعرضهم للتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم مجاز **يجبى اليه** وبالتاء مدني ويعقوب وسهل اي يجلب ويجمع **ثمرات كل شيء** ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء **رزقا من لدنا** مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق او مفعول له او حال من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما تنتصب على النكرة والمتخصصة بالصفة **ولكن اكثرهم لا يعلمون** متعلق بمن لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا امنوا به **وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها** هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بانعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فاهلكوا وكم نصب باهلكنا ومعيشتها نصب باهلكنا ومعيشتها نصب بحذف الجار وايصال الفعل اي في معيشتها والبطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه والعامل فيها الاشارة **من بعدهم الا قليلا** من السكنى اي لا يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة **وكنا نحن الوارثين** لتلك المساكن من ساكنيها اي لا يملك التصرف فيها غيرنا **وما كان ربك مهلك القرى** في كل وقت **حتى يبعث في امها** وبكسر الهمزة حمزة وعلي اي في القرية التي هي امها اي اصلها ومعظمها **رسولا** لالزام الحجة وقطع المعذرة او ما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة لان الارض دحيت من تحتها رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **يتلوا عليهم اياتنا** اي القرآن **وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون** اي وما اهلكناهم بالانتقام الا واهلها مستحقون للعذاب بظلمهم وهو اصرارهم على كفرهم وعنادهم ومكابرتهم بعد الاعذار اليهم **وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها** واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة ايام قلائل وهي مدة الحيوة الفانية **وما عند الله** هو ثوابه **خير** في نفسه

من ذلك

من ذلك **وابقى** لانه دائم **افلا تعقلون** ان الباقي خير من الفاني وخير ابو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم قرأ هذه الاية بقوله **افمن وعدناه وعدا حسنا** اي الجنة فلا شيء احسن منها لانها دائمة ولذا سميت الجنة بالحسنى **فهو لاقيه** اي رائيه ومدركه ومصيبه **كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين** من الذين احضروا النار ونحوه فكذبوه فانهم لمحضرون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل لعنه الله او في علي وحمزة رضي الله عنهما وابي جهل لعنه الله او في المؤمن والكافر ومعنى الفاء الاولى انه لما ذكر التفاوت بين متاع حيوة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله افمن وعدناه اي ابعد هذا التفاوت الجلي يسوى بين ابناء الدنيا وابناء الاخرة والفاء الثانية للتسبب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا هو على كما قيل عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل **ويوم يناديهم** ينادي الله الكفار نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر **فيقول اين شركائي** بناء على زعمهم **الذين كنتم تزعمون** ومفعولا يزعمون محذوفان تقديره كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يجوز الاقتصار على احدهما **قال الذين حق عليهم القول** اي الشياطين او ائمة الكفر ومعنى حق عليهم وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين **ربنا هؤلاء** مبتداء **الذين اغوينا** اي دعوناهم الى الشرك وسولناه لهم الغي صفته والراجع الى الموصول محذوف والخبر **اغويناهم** والكاف في **كما غوينا** صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغوا الا باختيارنا فهؤلاء كذا غووا باختيارهم لان اغواءنا لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله الى الايمان بما وضع فيه من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب وهو كقوله فقال السلطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق

الى قوله ولوموا انفسكم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر ما كانوا
ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين
من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا
شركاءكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
فلم يجيبوهم بحجة ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون وجواب لو محذوف
لما رأوا العذاب ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
الذين ارسلوا اليكم حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله
الشياطين او ائمة الكفر عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة
اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم ثم ما يشبه الشماتة من
استغاثتهم الهتهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكون من الاحتجاج اليهم
بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ
فخفيت عليهم الحجج او الاخبار وقيل خفي عليهم الجواب فلم يدروا بما يجيبون
اذ لم يكن عندهم جواب فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا
عن العذر والحجة رجاء ان يكون عنده عذر وحجة لانهم متساوون في
العجز عن الجواب فاما من تاب من الشرك وآمن بربه وبما جاء من عنده
وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي فعسى ان يفلح عند الله وعسى
من الكرام تحقيق وفيه بشارة للمسلمين على الاسلام وترغيب للكافرين على
الايمان ونزلت جوابا لقول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم يعني نفسه وابا مسعود وربك يخلق وفيه دلالة
خلق الافعال ويوقف على ويختار اي وربك يخلق ما يشاء وربك
يختار ما يشاء ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم ان يختاروا على الله شيئا
ما وله الخيرة عليهم ولم يدخل العاطف فيما كان لهم الخيرة لانه بيان لقوله
ويختار لان المعنى ان الخيرة لله وهو اعلم بوجوه الحكمة في افعاله فليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه ومن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه
الخيرة فقد ابعد بل ما لنفي اختيار الخلق تقريرا لاختيار الحق ومن
قال معناه ويختار للعباد ما هو خير لهم واصلح فهو مائل الى الاعتزال
والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم

محمد

محمد خيرة الله من خلقه سبحان الله وتعالى عما يشركون اي الله بريء
من اشراكهم وهو منزه عن ان يكون لاحد عليه اختيار وربك يعلم ما تكن
صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما
يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير غيره في النبوة وهو الله
وهو المستأثر بالالهية المختص بها لا اله الا هو تقرير لذلك
كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي وله الحمد في الاولى الدنيا
والآخرة هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين ثم على وجه اللذة لا الكلفة وله الحكم
القضاء بين عباده واليه ترجعون بالبعث والنشور وبفتح التاء
وكسر الجيم يعقوب قل أرأيتم وارايتم بحذف الهمزة علي ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا هو مفعول ثان لجعل اي دائما من السرد
وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم
مزيدة ووزنه فعمل الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء
افلا تسمعون والمعنى اخبروني من يقدر على هذا قل ارأيتم ان جعل
الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه ولم يقل بنهار تتصرفون كما قال بليل تسكنون فيه بل ذكر
الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس مجرد التصرف
في المعاش والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن الضياء بقوله افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن
بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصره
انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضل الله
في النهار فيكون من باب اللف والنشر ولعلكم تشكرون الله على نعمه وقال
الزجاج يجوز ان يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما
ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلا ونهارا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون
كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ليؤذن بان لا شيء اشد لغضب الله من الاشراك

افلا تبصرون نسخه

كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده ونزعنا فاخرجنا من كل امة شهيدا يعني نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق التوحيد لله وضل عنهم غاب عنهم غيبة الشيء الضايع ما كانوا يفترون من الوهية غير الله والشفاعة لهم ان قارون لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف كان من قوم موسى كان اسرائيليا ابن عم لموسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وكان يسمى النور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل التورية ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى عليهم من البغي الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم او من البغي الكبر تكبر عليهم بكثرة ماله وولده او زاد عليهم في الثياب شبرا وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه ما بمعنى الذي في موضع نصب باتينا وان واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت ان والمفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو الخزانة والاصوب انها المقاليد لتنوء بالعصبة لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود اولي القوة الشدة اذ قال له قومه اي المؤمنون وقيل القايل موسى عليه السلام ومحل اذ نصب بتنوء لا تفرح لا تبطر بكثرة المال كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم ولا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه يتركها عن قريب فلا يفرح بها ان الله لا يحب الفرحين البطرين بالمال وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف الى ابواب الخير ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو ان تاخذ ما يكفيك ويصلحك وقيل معناه اطلب بدنياك اخرتك فان ذلك حظ المؤمن منها واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لخالق الانام كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بالظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين

قال

قال انما اوتيته اي المال على علم عندي اي على استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التورية او علم الكيميا وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا اي العلم بوجوه المكاسب من التجارة ومن الزراعة وعندي صفة لعلم قال سهل ما نظر احد الى نفسه فافلح والسعيد من صرف بصره من افعاله واقواله فافتخر بها وادعاها لنفسه فشؤمه يهلكه يوما كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا اولم يعلم قارون ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة هو اثبات لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قراه في التورية كانه قيل او لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته او نفي لعلمه بذلك لانه قال اوتيته على علم عندي قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب او يعترفون بها بغير سؤال او يعرفون بسيماهم فلا يسئلون ولا يسئلون ليعلم من جهتهم بل يسئلون سؤال توبيخ او لا يسأل عن ذنوب الماضين المجرمين من هذه الامة فخرج على قومه في زينته في الحمرة والصفرة وقيل خرج يوم السبت على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وفي زينته حال من فاعل خرج اي متزينا قال الذين يريدون الحيوة الدنيا قيل كانوا مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر وقيل كانوا كفارا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من ان تزول عنه كهذه الاية والحاسد هو الذي يتمنى ان يكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا كما يضر العضاه الخبط انه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين

اوتوا العلم بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطي
قارون ويلكم اصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع
والبعث على ترك ما لا يرتضى وفي التبيان في اعراب القرآن هو مفعول فعل
محذوف اي الزمكم الله ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا
ولا يلقيها اي ولا يلقى هذه الكلمة وهي ثواب الله خير الا
الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا على ما قسم الله من
القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الارض كان قارون يؤذي موسى
عليه السلام كل وقت وهو يداريه بالقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة
فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه واستكثره
فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى يريد ان يأخذ اموالكم
فقالوا انت كبيرنا فأمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها
فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وطشت ذهب او حكمها فلما كان
يوم عيد قام موسى عليه السلام فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن
افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال
قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها بالذي فلق البحر وانزل التورية ان
تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا ان اقذفك بنفسي فخر موسى عليه
السلام ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه
ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك قال يا بني اسرائيل ان الله بعثني
الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي
فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم
الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه
بالله وبالرحم وموسى عليه السلام لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال
خذيهم فانطبقت عليهم فقال تعالى لموسى استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم
فوعزتي لو استرحمني مرة لرحمته فقال بعض بني اسرائيل انما اهلكه ليرث
ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه فما كان له من فئة جماعة

ينصرونه

ينصرونه من دون الله يمنعونه من عذاب الله وما كان من المنتصرين
من المنتقمين من موسى عليه السلام او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره
من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع واصبح وصار الذين تمنوا مكانه
منزلته من الدنيا بالامس ظرف لتمنوا ولم يرد اليوم الذي قبل يومك
ولكن اراد الوقت استعارة يقولون ويكأن الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر وي منفصلة عن كان عند البصريين قال سيبويه
وي كلمة تنبه على الخطأ وتندم يستعملها النادم باظهار ندامته يعني ان القوم
قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وقولهم يا ليت مثل ما اوتي قارون وتندموا
لولا ان من الله علينا بصرف ما كنا تمنيناه بالامس لخسف بنا
بفتحتين حفص ويعقوب وسهل وفيه ضمير الله ويكأنه لا يفلح الكافرون
اي تندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين
لا ينالون الفلاح تلك الدار الآخرة تلك تعظيم وتفخيم لشأنها يعني
تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله خير خبر تلك والدار نعتها
للذين يريدون علوا في الارض بغيا قال ابن جبير وظلما قال
الضحاك ولا فسادا عملا بالمعاصي او قتل النفس او دعاء الى عبادة
غير الله ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما يعني
ميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد
بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود
من شراك صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت
الاماني هاهنا وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كان يرددها حتى
قبض وقال بعضهم حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثا
بقوله علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض والعاقبة المحمودة للمتقين
من جاء بالحسنة فله خير منها مر في النمل ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات
موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين
لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون
الا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم ان لا يجزي السيئة الا بمثلها

ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة كما قال فله خير منها إِنَّ الَّذِي فَرَضَ
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لَرَادُّكَ
بعد الموت إِلَىٰ مَعَادٍ اي معاد والي معاد ليس لغيرك من البشر وكذا
نكرة او المراد به مكة والمراد رده اليها يوم الفتح وانما نكرة لانها كانت
في ذلك اليوم معاد الم شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد جرت لاهله ولظهور عز الاسلام واهله وذل اهل الشرك
وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة
حين اشتاق الى مولده ومولد ابائه ولما وعد رسوله عليه السلام الرد
الى معاد قال قُلْ للمشركين رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ يعني
نفسه وما له من الثواب في معاد وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ يعني المشركين
وما يستحقونه من العقاب في معادهم من في محل نصب بفعل مضمر اي يعلم
وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ يوحى إِلَيْكَ الْكِتَابُ القرآن إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
هو محمول على المعنى اي وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك او الا بمعنى
لكن للاستدراك اي ولكن الرحمة من ربك القي اليك فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا
لِلْكَافِرِينَ معينا لهم على دينهم وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ هو على الجمع
اي لا يمنعنك هؤلاء عن العمل بايات الله عن القرآن بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ
الايات اي بعد وقت انزاله واذ يضاف اليه باسماء الزمان كقولك
حينئذ ويومئذ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ الى توحيده وعبادته وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ قال ابن عباس رضي
الله عنهما الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل
دينه ولان العصمة النهي والوقف على اخر لانه لو وصل لصار لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ صفة لا له اخر وفيه من الفساد ما فيه كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ
الا اياه والوجه يعبر به عن الذات وقال مجاهد يعني علم العلماء اذا اريد
به وجه الله لَهُ الْحُكْمُ القضاء في حكمه وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وبفتح التاء وكسر
الجيم يعقوب

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

الحسبان

الحسبان قوة احد النقيضين على الاخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف
بينهما والعلم فهو القطع على احدهما ولا يصح تعليقهما بمعاني المفردات ولكن
بمضامين الجمل فلو قلت حسبت زيدا او ظننت الفرس جوادا لان قولك زيد
عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاذا اردت الاخبار عن ذلك
المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين ادخلت على شطري الجملة
فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك والكلام الدال على المضمون الذي
يقتضيه الحسبان هنا ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك
ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول
مفعولي حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك
لانه من الترك الذي بمعنى التصيير كقول عنترة ٥ فتركته جزر السباع
ينشنه ٥ يقضمن حسن بنانه والمعصم ٥ الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان
تقديره ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر
قبل اللام وهو استفهام توبيخ والفتنة الامتحان بشدائد التكليف
من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر
الشهوات وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة
الكفار على اذاهم وكيدهم وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قد جزعوا من اذى المشركين او في
عمار وكان يعذب في الله وَلَقَدْ فَتَنَّا اي اختبرنا وهو موصول باحسب
او بلا يفتنون الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بانواع الفتن فمنهم من يوضع المنشار
على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ومنهم من يمشط بامشاط
الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ بالامتحان الَّذِينَ
صَدَقُوا في الايمان وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فيه ومعنى علمه تعالى وهو
عالم بذلك فيما لم يزل ان يعلمه موجودا عند وجوده كما علمه قبل وجوده
كما علمه قبل وجوده انه يوجد والمعنى ليتميزن الصادق من الكاذب
قال ابن عطاء يبين صدق العبد من كذبه في اوقات الرخاء والبلاء فمن
شكر في ايام الرخاء وصبر في ايام البلاء فهو من الصادقين ومن
بطر في ايام الرخاء وجزع في ايام البلاء فهو من الكاذبين أَمْ حَسِبَ

الذين يعملون السيئات اي الشرك والمعاصي ان يسبقونا اي يفوتونا يعني
ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمل صلة ان على مسند ومسند اليه سد
مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى
قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان
الاول لان ذلك يقدر ان لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه
وقالوا الاول في المؤمنين وهذا في الكافرين ساء ما يحكمون في موضع
رفع على معنى ساء الحكم حكمهم او نصب على معنى ساء حكما يحكمون والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجوا لقاء
الله اي يامل ثوابه او يخاف حسابه فالرجاء يحتملها فان اجل الله
المضروب للثواب والعقاب لات لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي
يصدق رجاءه ويحقق امله وهو السميع لما يقوله عباده العليم بما يفعلونه
فلا يفوته شيء ما وقال الزجاج من للشرط ويرتفع بالابتدا وجواب
الشرط فان اجل الله لات كقولك ان كان زيد في الدار فقد صدق
الوعد ومن جاهد نفسه بالصبر على طاعة الله او الشيطان بدفع وساوسه
او الكفار فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك ترجع اليها ان الله
لغني عن العالمين وعن طاعتهم ومجاهدتهم وانما امر الله ونهى رحمة
لعباده والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
اي الشرك والمعاصي بالايمان والتوبة ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون اي احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان
يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم
بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وكقولك وصيت زيدا بعمرو
معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله
ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناه بايتاء والديه حسنا او
بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه
كقوله وقولوا للناس حسنا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا
باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه اولهما او افعل بهما

لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا
ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف
بوالديه وابتدا احسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول
معناه قلنا وان جاهداك ايها الانسان لتشرك بي ما ليس لك
به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك
بي شيئا لا يصح ان يكون الها فلا تطعهما في ذلك فلا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق الي مرجعكم مرجع من امن منكم ومن اشرك فانبئكم
بما كنتم تعملون فاجازيكم حق جزائكم وفي ذكر المرجع والوعد تحذير
من متابعتهما على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في الدين روي
ان سعد بن ابي وقاص لما اسلم نذرت امه ان لا تاكل ولا تشرب حتى يرتد
فشكى الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والتي في لقمان
والتي في الاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات هو مبتدا والخبر
لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين
وهو متمنى الانبياء عليهم السلام فقال سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين
او في مدخل الصالحين وهو الجنة ونزلت في المنافقين ومن الناس من يقول
امنا بالله فاذا اوذي في الله اي اذا مسهم اذى من الكفار جعل فتنة
الناس كعذاب الله اي جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولئن
جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اي واذا جاء
نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم
في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فاعطونا نصيبنا من المغنم اوليس الله باعلم
بما في صدور العالمين اي هو اعلم بما في صدور العالمين بما في صدورهم
ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من
الاخلاص ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين بقوله وليعلمن الله الذين
امنوا وليعلمن المنافقين اي حالهما ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا

انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا الجمع بين هذين الامرين
في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الامر الحمل
بالاتباع اي ان تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم وهذا قول صناديد قريش
كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان كان ذلك فانا نحمل
عنكم الاثم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون
لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين بعد وما التمني وفي قلوبهم
نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم بعينها واوزارهم بسبب كفرهم
اخر غير الخطايا التي ضمنوا حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم
وهو كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون يختلقون من
من الاكاذيب والاباطيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما كان عمره الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث
في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش
الف واربعمائة سنة فقال له ملك الموت يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت
الدنيا قال كدار لها بابان دخلت وخرجت ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة
لانه لو قيل كذلك لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم
زايل هنا وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان
ذلك احضر واعذب لفظا واملأ بالفائدة ولان القصة لذكر ما ابتلي
به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذكر الالف افخم واوصل الى الغرض وجيء
بالمميز اولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق
بالاجتناب في البلاغة فاخذهم الطوفان هو ما اطاف واحاط بكثرة
وغلبة من سيل وظلام ليل ونحوهما وهم ظالمون انفسهم
بالكفر فانجيناه اي نوحا عليه السلام واصحاب السفينة وكانوا ثمانية
وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح عليه السلام
سام وحام ويافث ونساؤهم وجعلناها اي السفينة والحادثة والقصة
آية عبرة وعظة للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب باضمار

نصب باضمار اذكر وابدل عنه اذ قال بدل اشتمال لان الاحيان تشتمل
على ما فيها او معطوف على نوحا اي وارسلنا ابراهيم عليه السلام واذ ظرف
لارسلنا يعني ارسلنا حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه
ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة رضي الله عنهما
وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم عليهم السلام لقومه اعبدوا
الله واتقوه ذلكم خير لكم من الكفر ان كنتم تعلمون ان كان
فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم انما تعبدون من دون الله
اوثانا اصناما وتخلقون وتكذبون او تصنعون وقرأ ابو حنيفة
والسلمي رضي الله عنهما وتخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق افكا
وقرئ افكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك كالكذب واللعب من
اصلهما واختلافهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء لله ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق
وحده لا يرزق غيره واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون فاستعدوا
للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وبفتح التاء وكسر الجيم يعقوب وان تكذبوا
فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
اي وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم
وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما
الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو
اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر
الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق
ويكذب وهذه الاية والايات التي بعدها الى قوله فما كان جواب
قومه محتملة ان يكون من جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه والمراد بالامم
قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم عليهم السلام وان يكون
آيات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وشان قريش
بين اول قصة ابراهيم عليه السلام وآخرها فان قلت فالجملة الاعتراضية
لا بد لها من اتصال بها وقعت معترضة فيه فلا يقول مكة وزيد قايم

خبر بلاد الله قلت نعم وبيانه ان ايراد قصة ابراهيم عليه ليس الا ارادة للتنفيس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون مسلاة له بان اباه ابراهيم
عليه السلام كان مبتلا بنحو ما ابتلا من شرك قومه وعبادتهم الاوثان
بقوله وان يكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد
كذب ابراهيم عليه السلام قومه وكل امة بينها لان قوله فقد كذب
امم من قبلكم لابد من تناوله لامة ابراهيم عليه السلام وهو كما ترى
اعتراض متصل ثم سائر الايات بعدها من توابعها لكونها ناطقة بالتوحيد
ودلايله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه
ووضوح حجته وبرهانه **اولم يروا** وبالتاء كوفي غير حفص **كيف يبدئ
الله الخلق** اي قد راوا ذلك وعلموه وقوله **ثم يعيده** ليس
بمعطوف على يبدؤ وليست الروية واقعة عليه وانما هو اخبار على حاله
بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله فانظروا كيف بدا الخلق ثم
الله ينشئ النشاة الاخرى على البدء دون الانشاء بل هو معطوف على جملة
قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق **ان ذلك** اي الاعادة **على الله
يسير** سهل **قل** يا محمد وان كان من كلام ابراهيم فتقديره واوحينا
اليه ان قل **سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق** على كثرتهم
واختلاف احوالهم لتعرفوا عجايب فطرة الله وبدوا ابتداء بمعنى **ثم الله ينشئ
النشاة الاخرة** اي البعث وبالمد حيث كان مكي وابو عمرو وهذا دليل
على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج
من العدم الى الوجود غير ان الاخرة انشاء مثله والاولى ليست كذلك
والقياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الاخرة وانما قيل
كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة لان الكلام معهم وقع في الاعادة
فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء
فاذا لم يعجزوا الابداء وجب ان لا يعجزوا الاعادة فكانه قال ثم ذلك الذي
انشا النشاة الاولى هو الذي ينشئ الاخرة فللتنبيه على هذا المعنى
ابرز اسمه واوقعه مبتدا **ان الله على كل شيء قدير** قادر **يعذب
من يشاء** بالخذلان **ويرحم من يشاء** بالهداية وبالحرص وبالقناعة او

بسوء الخلق

بسوء الخلق وحسنه او بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه او بمتابعة البدع
وبملازمة السنة **واليه تقلبون** تردون وترجعون **وما انتم
بمعجزين** ربكم اي لا تعجزونه اي تهربون من حكمه وقضائه **في الارض**
الفسيحة **ولا في السماء** التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها **وما
لكم من دون الله من ولي** يتولى اموركم **ولا نصير** ولا ناصر يمنعكم من
عذابي **والذين كفروا بايات الله** بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته
ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي جنتي **واولئك لهم عذاب اليم
فما كان جواب قومه** قوم ابراهيم عليه السلام حين دعاهم الى الايمان
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم
وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القايلين فاتفقوا على
تحريقه **فانجاه الله من النار** حين قذفوه فيها **ان في ذلك** فيما
فعلوه به وفعلنا **لايات لقوم يؤمنون** روي انه لم ينتفع في ذلك
اليوم يعني يوم القي ابراهيم عليه السلام في النار وذلك لذهاب حرها
وقال ابراهيم عليه السلام لقومه **انما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم في الحيوة الدنيا** حمزة وحفص مودة بينكم مدني وشامي
وحماد ويحيى وخلف مودة بينكم مكي وبصري وعلي مودة بينكم الشمني والبرجمي
والبرجمي فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك
سبب تحابهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه وما كافة
اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها
مودة بينكم اي مودودة بينكم كقوله ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان وما
موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف اي هي مودة بينكم والمعنى ان
الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة ومن اضاف المودة
جعل بينكم اسما لا ظرفا كقوله شهادة بينكم ومن نون مودة ونصب
بينكم فعلى الظرف **ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض** يتبرا
الاصنام عن عابديها **ويلعن بعضكم بعضا** اي يوم القيمة يقوم بينكم

التلاعن فيلعن الاتباع القادة ومأويكم النار اي مأوي العابد والمعبود
والتابع والمتبوع وما لكم من ناصرين ثم فآمن له لابراهيم عليه
السلام لوط هو ابن اخت ابراهيم عليه السلام وهو اول من آمن له
حين راي النار لم تحرقه وقال ابراهيم عليه السلام اني مهاجر
من كوثي وهي من سواد الكوفة الي حران ثم منها الي فلسطين وهي من برية
الشام ومن ثم قال لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط
وسارة وقد تزوجها ابراهيم عليه السلام الي ربي الي حيث امرني ربي
بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا
يأمرني الا ما هو خير ووهبنا له اسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده ولم
يذكر اسماعيل عليه السلام لشهرته وجعلنا في ذريته النبوة اي ذرية
ابراهيم عليه السلام فانه شجر الانبياء والكتاب والمراد به الجنس يعني
التورية والانجيل والزبور والفرقان وآتيناه ابراهيم عليه السلام
اجره اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر ومحبة اهل الملل له
او هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره في الدنيا فيه دليل على
انه تعالى يعطي الاجر في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
اي من اهل الجنة عن الحسن ولوطا اي واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم
لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وهي اللواط ما سبقكم بها من
احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا
قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها قالوا لم ينز ذكر
على ذكر قبل قوم لوط ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
بالقتل واخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة
بالفاحشة وتأتون في ناديكم مجلسكم ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما دام فيه
اهله المنكر اي المضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح و
الحذف في الحصا ومضغ العلك والفرقعة والسواك بين الناس فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب ائنكم ائنكم شامي وحفص وهو
الموجود في الامام وكل واحد بهمزتين كوفي غير حفص اينكم اينكم بهمزة

ممدودة

ممدودة بعدها ياء مكسورة ابو عمرو آنكم اينكم بهمزة مقصورة بعدها
ياء مكسورة مكي ونافع غير قالون ويعقوب غير زيد قال رب انصرني
بانزال العذاب على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما
كانوا عليه من المعاصي والفواحش ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
بالبشارة لابراهيم بالولد والنافلة يعني اسحاق ويعقوب عليهم السلام
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اضافة مهلكوا لم يعد تعريفا
لانها بمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم
وقوله وهذه القرية يشعر انها قريبة من موضع ابراهيم عليه السلام قالوا
انها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع ابراهيم عليه السلام ان اهلها
كانوا ظالمين اي الظلم قد استمر منهم في الايام السالفة وهم عليه مصرون
وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال ابراهيم عليه السلام ان فيها لوطا
اي اتهلكونهم وفيهم من هو بري من الظلم وهو لوط عليه السلام قالوا
اي الملائكة نحن اعلم منك بمن فيها لننجينه لننجينه يعقوب
وكوفي واهله الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب
ثم اخبر عن مسير الملائكة الى لوط بعد مفارقتهم ابراهيم عليه السلام
بقوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم وان
صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا احدهما على الآخر كانهما وجدا في جزء
واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاءته المساءة من غير ريث
خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور سيء بهم مدني وشامي وعلي
وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد
جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع
اذا كانوا مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله
القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز
وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وبالتخفيف مكي وكوفي غير
حفص واهلك الكاف في محل الجر فنصب اهلك بفعل محذوف اي وننجي اهلك
الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون منزلون شامي على اهل
هذه القرية رجزا عذابا من السماء بما كانوا يفسقون بفسقهم

وخروجهم عن طاعة الله ورسوله **ولقد تركنا منها** من القرية **آية بينة** هي اثار منازلهم الخربة وقيل الماء الاسود على وجه الارض **لقوم** يتعلق بتركنا او ببينة **يعقلون وإلى مدين** وارسلنا الى مدين **أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر** وافعلوا ما ترجون به الثواب وخافوا **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** قاصدين الفساد **فكذبوه فأخذتهم الرجفة** الزلزلة الشديدة او صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت لها **فأصبحوا في دارهم جاثمين** في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين **وعادا** منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لان في معنى الاهلاك **وثمودا** حمزة وحفص وسهل ويعقوب **وقد تبين لكم** ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم **من مساكنهم** من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها **وزين لهم الشيطان أعمالهم** من الكفر والمعاصي **فصدهم عن السبيل** الذي امروا بسلوكه وهو الايمان بالله ورسله **وكانوا مستبصرين** عقلاء متمكنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا **وقارون وفرعون وهامان** اي واهلكناهم **ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين** اذ ادركهم امرهم فلم يفوتوه **فكلا أخذنا بذنبه** فيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا** هي ريح عاصف فيها حصباء وهي لقوم لوط **ومنهم من أخذته الصيحة** هي لمدين وثمود **ومنهم من خسفنا به الأرض** يعني قارون **ومنهم من أغرقنا** يعني قوم نوح وفرعون **وما كان الله ليظلمهم** ليعاقبهم بغير ذنب **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** بالكفر والطغيان **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء** اي آلهة يعني مثل من اشرك بالله الاوثان في الضعف وسوء الاختيار **كمثل العنكبوت اتخذت بيتا** اي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك البيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يبقى ما يبقى البيوت فكذلك الاوثان لا تنفعهم في الدنيا

والاخرة جعل ما تراتخذت حالا **وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت** لا بيت اوهن منها وعن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه يورث الفقر **لو كانوا يعلمون** ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وقيل معنى الاية مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون وقال الزجاج في جماعة تقدير الاية مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت **إن الله يعلم ما يدعون** بالياء بصري وعاصم غير الاعشى والبرجمي وما بمعنى الذي هو مفعول يعلم ومفعول يدعون مضمر اي يدعونه يعني يعبدونه **من دونه من شيء** من في من دونه للتبيين **وهو العزيز** الغالب الذي لا شريك له **الحكيم** في ترك المعاجلة بالعقوبة وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير **وتلك الأمثال** الامثال نعت والخبر **نضربها للناس** نبينها كان سفهاء قريش وجهلتهم يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال **وما يعقلها إلا العالمون** به وباسمائه وصفاته اي لا يعقل صحتها وحسنها ولا يفهم فائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشركين وحال الموحدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه دلت الاية على فضل العلم **خلق الله السماوات والأرض بالحق** اي محقا يعني لم يخلقها باطلا بل لحكمة وهي ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله **إن في ذلك لآية للمؤمنين** وخصهم لانتفاعهم بها **اتل ما أوحي إليك من الكتاب**

تقربا الى الله بقراءة كلامه وليقف على ما امر به ونهي عنه **وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ**
اي دم على اقامة الصلوة **إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ** اي
الفعلة القبيحة كالزناء مثلا **وَالْمُنكَرِ** وما ينكره العقل والشرع
قيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما
ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي
بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي ان فتى من الانصار
كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف
له عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث
ان تاب وقال ابن عوف ان الصلوة تنهى اذا كنت فيها فانت في معروف
وطاعة وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلاة وهي وبال
عليه **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** اي وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وانما
قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه
بطاعته وقال ابن عطاء ذكر الله لكم اكبر من ذكركم له لان ذكره بلا علة
وذكركم مشوب بالعلل والاماني ولان ذكره لا يفنى وذكركم لا يبقى
قال سلمان ذكر الله اكبر من كل شيء وافضل فقد قال عليه السلام الا
انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير
من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا
اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وسئل اي الاعمال
افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وذكر الله
اكبر من ان تحوي به افهامكم وعقولكم او ذكر الله اكبر من ان يبقى معه
معصية او ذكر الله اكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره **وَاللَّهُ يَعْلَمُ**
مَا تَصْنَعُونَ من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ**
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم كما قال ادفع بالتي هي احسن **إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا**
مِنْهُمْ فافرطوا بالاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم
الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين اذوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم والا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة او معناه
ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين
ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلهم بالسيف والاية تدل
على جواز المناظرة مع الكفرة في الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذي
به يتحقق علم المجادلة وقوله **وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ**
إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
من جنس المجادلة بالاحسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل
الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان
كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم **وَكَذَٰلِكَ** ومثل ذلك
الانزال **أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ** اي انزلناه مصدقا لكتبنا الكتب السماوية
او كما انزلت الكتب الى من قبلك انزلناه اليك الكتاب **فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ**
الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ هم عبد الله بن سلام ومن امن معه **وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ**
اي ومن اهل مكة **مَن يُؤْمِنُ بِهِ** او اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين
تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء
الذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم **وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا**
مع ظهورها وزوال الشبهة عنها **إِلَّا الْكَافِرُونَ** الا المتوغلون في الكفر
المصممون عليه ككعب بن الاشرف واضرابه **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ**
من قبل القرآن **مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ** وخص اليمين لان الكتابة
غالبا يكون باليمين اي ما كنت قرأت كتابا من الكتب ولا كنت كاتبا **إِذًا**
لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط **لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** من اهل
الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب
مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده وسماهم مبطلون لانكارهم
نبوته وعن مجاهد والشعبي ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب
وقرأ **بَلْ هُوَ** اي القرآن **آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**
اي في صدور العلماء وحفاظه وهما من خصائص القرآن اي كونه اياته
بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور بخلاف سائر الكتب فانها
لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف **وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا**

الواضحة الا الظالمون المتوغلون في الظلم وقالوا لولا انزل عليه ايات
من ربه اية بغير الف مكي وكوفي غير حفص وارادوا هلا انزل عليه
اية مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى ونحو ذلك قل انما الايات عند الله
ينزل ايتها شاء ولست املك منها شيئا وانما انا نذير مبين
كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الايات وليس لي ان اقول انزل علي اية
كذا مع علمي ان المراد من الاية ثبوت الدلالة والايات كلها في حكم اية
واحدة في ذلك اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
اي الم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين
هذا القران الذي يدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال
معهم اية ثابتة لا تزول كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان
دون مكان ان في ذلك اي مثل هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان
الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون
دون المتعنتين قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي شاهدا
بصدق ما ادعيه من الرسالة وانزال القران علي وبتكذيبكم يعلم ما في
السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين
امنوا بالباطل باليهودية او بالشرك او بابليس وكفروا بالله
وباياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا
الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين روي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا
يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب
بقولهم امطر علينا حجارة من السماء الاية ولولا اجل مسمى وهو
القيمة او يوم بدر او وقت فنائهم باجالهم والمعنى ولولا اجل قد
سماه الله وبينه في اللوح المحفوظ لعذابهم والحكمة تقتضي تاخيره الى
ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب في الاجل
المسمى بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن

تحتهم

ومن تحتهم ظلل ولا وقف على بالكافرين لان يوم ظرف احاطة النار بهم ويقول
بالياء كوفي ونافع ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء اعمالكم يا عبادي
وبسكون الياء بصري وكوفي غير عاصم الذين امنوا ان ارضي واسعة
وبفتح الياء شامي يعني ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم
يتمش له امر دينه فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا
واكثر عبادة والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا وقالوا لم نجد على
اهون على قهر النفس واجمع للقلب واحث على القناعة واطرد للشيطان
وابعد من الفتن واضبط للامر الديني من مكة حرسها الله وعن سهل
اذا ظهرت المعاصي والبدع في ارض فاخرجوا منها الى ارض المطيعين وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان
شبرا من الارض استوجب الجنة فاياي فاعبدون وبالياء يعقوب
وتقديره واياي فاعبدون وجيء بالفاء في فاعبدون لانه جواب شرط
محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول
مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع المهاجر بقوله
كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق
طعم المذوق لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها ثم الينا
ترجعون بعد الموت للثواب والعقاب يرجعون يحيى ترجعون يعقوب
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا
لننزلنهم من الجنة علالي لنثوينهم كوفي غير عاصم من الثواء وهو النزول
للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة الهمزة لم يتجاوز مفعولا
واحدا والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف واما اجراؤه
مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف
الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
ويوقف على العاملين على الذين صبروا خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين
صبروا على مفارقة الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب
وعلى الطاعات وعن المعاصي والوصل اجود ليكون الذين نعتا للعاملين

وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله ولما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اسلم بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت وكاين
من دابة اي وكم من دابة وكاين بالمد والهمز مكي والدابة كل نفس
دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله
لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف
الا الله ولا يرزقكم ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم
وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز
من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها
الله وقيل لا يدخر شيء من الحيوان قوتا الا ابن ادم والفارة والنملة وهو
السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر اي
سالت هؤلاء المشركين من خالق السموات والارض على كبرهما وسعتهما ومن
الذي سخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون فكيف
يصرفون عن توحيد الله مع اقرارهم بهذا كله الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له اي يقدر لمن يشاء من عباده فوضع الضمير موضع
من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله قدر الرزق
وقتره بمعنى اذا ضيقه ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما
يفسدهم في الحديث ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته
لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده
ذلك ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ليقولن الله اي هم مقرون بذلك قل الحمد لله على انزاله الماء لاحياء الارض
او على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الشركاء
عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين بل اكثرهم لا يعقلون لا
يتدبرون بما فيهم من العقول فيما اريهم من الايات ونقيم عليهم من الدلالات
او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب
اي ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة
ثم يتفرقون وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها

وهي لا تزن عنده جناح بعوضة واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة
ثم ينقضي وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحيوة ليس فيها الا حيوة
مستمرة دائمة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه
حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهي الحيوة لما في بناء فعلان من معنى
الحركة والاضطراب والحيوة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على
معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذا اختير على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو
كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي
ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فاذا
ركبوا في الفلك هو متصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من
امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله
من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر فلما
نجاهم الى البر وامنوا اذا هم يشركون عادوا الى حال الشرك
ليكفروا بما اتيناهم من النعمة قيل هي لام كي وكذا في وليتمتعوا فيمن
قراها بالكسر اي لكي يكفروا وكي يتمتعوا والمعنى يعودون الى شركهم
كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف عادة
المؤمنين المخلصين على الحقيقة فانهم يشكرون نعمة الله اذا انجاهم ويجعلون
نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وعلى هذا
لا وقف على يشركون ومن جعله لام الامر متشبثا بقراءة ابن كثير وحمزة
وعلي وليتمتعوا بسكون اللام على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر وتحقيقه في اصول الفقه يقف عليه فسوف
يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا اي اهل مكة انا
جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا امنا يامن داخلوه ويتخطف
الناس من حولهم يستلبون قتلا وسبيا افبالباطل يؤمنون
اي بالشيطان والاصنام وبنعمة الله يكفرون اي محمد عليه السلام
والاسلام ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان جعل له شريكا
او كذب بالحق بنبوة محمد عليه السلام والكتاب لما جاءه اي لم

سيعلموا في تكذيبه حين سمعوه أليس في جهنم مثوى للكافرين
هذا تقرير لثوائهم في جهنم لان همزة الانكار اذا دخلت على النفي صار
ايجابا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على
الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب او لم يصح عندهم ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة وذكر المثوى في مقابلة لنبوئنهم
يؤيد قراءة الثاء والذين جاهدوا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول
ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس والشيطان واعداء الدين فينا
في حقنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا سبلنا ابو عمرو اي لنزيدنهم
هداية لسبل الخير وتوفيقا وعن الداراني والذين جاهدوا
فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا فقد قيل من عمل بما علم وفق لما لم
يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو لتقصيرنا فيما نعلم
وعن فضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وعن
سهل والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وعن ابن
عطاء والذين جاهدوا في رضانا لنهدينهم الوصول الى محل الرضوان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا
وعن الجنيد قدس الله تعالى روحه جاهدوا في التوبة لنهدينهم سبل
الاخلاص وجاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا
والانس بنا وجاهدوا في طلبنا تحريا لرضانا لنهدينهم سبل الوصول
الينا بالنصرة والمعونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العقبى والله اعلم

سورة الروم مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم اي غلبت فارس الروم في ادنى الارض اي في
اقرب ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى
غلبوا في ادنى الارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم
على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم
وهم اي الروم من بعد غلبهم اي غلبة فارس اياهم فالغلب والغلبة
مصدران وقد اضيف المصدر الى المفعول سيغلبون فارس ولا

وقف عليه لتعلق قوله في بضع سنين به وهو ما بين الثلاث الى العشر قيل
احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم والملك
بفارس يومئذ كسرى ابرويز فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل
كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب
ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم
فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه والله ليظهرن الروم على فارس
بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت فناحبه على عشر قلائص
من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رضي الله عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له زد في الخطر وابعد في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية او يوم بدر فاخذ ابو بكر
رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي فقال عليه السلام تصدق به وهذه
آية بينة على صحة نبوته وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم
الغيب وكان ذلك قبل تحريم القمار عن قتادة ومن مذهب ابي حنيفة
ومحمد رضي الله عنهما ان العقود الفاسدة كعقد الربوا وغيرها جائزة
في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بهذه القصة
لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل كل شيء وحين غلبوا وحين يغلبوا
كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد
كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني كونهم مغلوبين اولا
وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس
ويومئذ ويوم يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم
يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له
وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين
فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم والباء متصل بيفرح فيوقف على الله
على المؤمنين ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب على اعدائه الرحيم
العاطف على اوليائه ثم قال وعد الله لان قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون

وعد من الله للمؤمنين فقوله وعد الله بمنزلة وعد الله المؤمنين وعداً لا يخلف
الله وعده بنصر الروم على فارس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك
يعلمون بدل من لا يعلمون وفيه بيان انه لا فرق بين عدم العلم الذي
هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يجاوز تحصيل الدنيا وقوله ظاهراً من
الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال
من التمتع بزخارفها وباطنها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالاعمال
الصالحة وتنكير الظاهر يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهراً واحداً من جملة
ظواهرها وهم عن الآخرة هم غافلون هم الثانية مبتدأ وغافلون
خبره والجملة خبر هم الاولى وفيه بيان انهم معدن الغفلة عن الآخرة
ومقرها أولم يتفكروا في أنفسهم يحتمل ان يكون ظرفاً كأنه قيل أولم
يحدثوا التفكر في انفسهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في
القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك
وان يكون صلة للتفكر نحو تفكر في الامر واجال فكره ومعناه على هذا
أولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم
اعلم باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهراً
وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد
لها من انتهاء الى وقت يجازي فيه على الاحسان احساناً وعلى الاساءة
مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة
والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا
هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلاً عليه الا بالحق وأجل
مسمى اي ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما
خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان
تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا
ترى الى قوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى
تركهم غير راجعين اليه عبثاً وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم
بالبعث والجزاء لكافرون لجاحدون وقال الزجاج اي لكافرون بلقاء

ربهم

ربهم أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من
الامم العاتية ثم وصف حالهم فقال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وحرثوها وعمروها اي المدمرون اكثر صفة مصدر محذوف وما مصدرية
في مما عمروها اي من عمارة اهل مكة وجاءتهم رسلهم بالبينات وتقف
عليها بحق الحذف اي فلم يؤمنوا فاهلكوا فما كان الله ليظلمهم فما
كان تدميره اياهم ظلماً لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم ثم كان عاقبة بالنصب شامي وكوفي
الذين اساؤا السوءى هي تأنيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث
الاحسن ومحلها رفع على انها اسم كان عند من نصب عاقبة على الخبر ونصب عند
من رفعها والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوءى
الا انه وضع المظهر وهو الذين اساؤا موضع المضمر اي العقوبة التي هي
اسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي اعدت للكافرين ان كذبوا لان
كذبوا او بان وهو يدل على ان معنى اساؤا كفروا بآيات الله وكانوا بها
يستهزؤن يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها
الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يحييهم بعد الموت ثم اليه ترجعون
وبالياء ابو عمرو وسهل ويوم تقوم الساعة يبلس ييأس ويتحير يقال
ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج المجرمون المشركون ولم يكن
لهم من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكتب شفعؤا في المصحف
بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتب السوأى بالالف قبل
الياء اثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها وكانوا بشركائهم
كافرين اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها او كانوا في الدنيا كافرين
بسببهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون الضمير في يتفرقون
للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فهم في روضة اي بستان وهو الجنة والتنكير لابهام امرها
وتفخيمه يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سروراً تهلل له وجهه
وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه لاحتماله وجوه المسار وقيل يكرمون وقيل

يحلون وقيل السماع في الجنة واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
اي البعث فاولئك في العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف
عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل
الى الوعد وينجي من الوعيد فقال فسبحان الله والمراد بالتسبيح ظاهره الذي
هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها
من نعمة الله الظاهرة والصلوة فقيل لابن عباس رضي الله عنهما هل تجد
الصلوات الخمس في القرآن فقال نعم وتلا الآية وهو نصب على المصدر والمعنى
نزهوه عما لا يليق به او صلوا لله حين تمسون صلوة المغرب والعشاء
وحين تصبحون صلوة الفجر وله الحمد في السموات والارض اعتراض ومعناه
ان على المميزين كلهم من السموات والارض ان يحمدوه في السموات حال من الحمد
وعشيا صلوة العصر وهو معطوف على حين تمسون وحين تظهرون
صلوة الظهر اظهر اي دخل في وقت الظهر والقول الاكثر ان الصلوة الخمس
فرضت بمكة يخرج الحي من الميت الطائر من البيضة او النطفة من
الانسان او الكافر من المؤمن والميت في التخفيف فيهما مكي وشامي وابو بكر
وابو عمرو وحماد وبالتشديد غيرهم ويحي الارض بالنبات بعد موتها
يبسها وكذلك تخرجون وتخرجون حمزة وعلي وخلف اي ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم والكاف في محل النصب بتخرجون والمعنى ان الابداء و
الاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحي وعكسه
روي ان ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ فسبحان الله
حين تمسون الى الثلاث وآخر سورة والصافات دبر كل صلوة كتب له
من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الامطار وورق الاشجار وتراب
الارض فاذا مات اجري بكل حرف عشر حسنات في قبره وعنه عليه السلام
من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن آياته ومن علامات ربوبيته وقدرته
ان خلقكم اي اباكم من تراب ثم اذا انتم بشر اي آدم عليه السلام
وذريته تنتشرون تتصرفون فيما فيه معاشكم واذا للمفاجأة وتقديره
ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم

من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها اي خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها
خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك
لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين
من التنافر يقال سكن اليه اذا مال اليه وجعل بينكم مودة ورحمة اي
جعل بينكم التوادد والتراحم بسبب الزواج عن الحسن المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد وقيل المودة للشابة والرحمة للعجوز وقيل ان المودة
والرحمة من الله والفرك من الشيطان اي بغض المرأة زوجها وبغض
المرأة الزوج ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ان قوام الدنيا
بوجود التناسل ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم
اي اللغات او اجناس النطق واشكاله والوانكم كالسواد والبياض وغيرهما
ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل
والالتباس ولتعطلت المصالح وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد
وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون ان في ذلك لآيات للعالمين
جمع عالم وبكسر اللام حفص جمع عالم ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها
الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله
هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل
والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين او
المراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والجمهور على الاول
لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن ان في ذلك
لآيات لقوم يسمعون اي يسمعون سماع تدبر باذان واعية ومن آياته
يريكم البرق في يريكم وجهان اضمار ان كما في حرف ابن مسعود رضي
الله عنه وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه اي تسمع او سماعك خوفا من الصاعقة او من الاخلاف
وطمعا في الغيث او خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على
المفعول له على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
اي ارادة خوف او ارادة طمع او على الحال اي خائفين وطامعين وينزل
من السماء وبالتخفيف مكي وبصري ماء مطرا فيحيي به الارض بعد

مونها أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يتفكرون بعقولهم ومن آياته
أن تقوم تثبت بلا عمد السماء والأرض بأمره اي بإقامته وتدبيره
وحكمته ثم إذا دعاكم للبعث دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون
من قبوركم هذا كقوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه
قال ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكها بغير عمد ثم خروج
الموتى من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد
سرعة وجود ذلك من غير توقف وانما عطف على قيام السموات والارض
بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول
يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت
ينظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى للشرط
والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط ومن الارض متعلق
بالفعل لا بالمصدر وقولك دعوته من مكان يجوز ان يكون مكانك ويجوز
ان يكون مكان صاحبك وله من في السموات والأرض كل له قانتون
منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه او مقرون بالعبودية
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده اي ينشئهم ثم يعيدهم للبعث
وهو اي البعث أهون ايسر عليه عندكم لان الاعادة عندكم اسهل من
الانشاء فلم انكرتم الاعادة واخر الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت
في قوله هو علي هين لقصد الاختصاص هناك واما هنا فلا معنى للاختصاص
فقال ابو عبيدة والزجاج وغيرهما الاهون بمعنى الهين فيوصف به الله عز
وجل وكان ذلك على الله يسيرا كما قالوا الله اكبر اي كبير والاعادة في
نفسها عظيمة ولكنها اهون بالقياس الى الانشاء او وهو اهون على الخلق
من الانشاء لان قيامهم بصيحة واحدة اسهل من كونهم نطفا ثم علقا ثم
مضغا الى تكميل خلقهم وله المثل الأعلى في السموات والأرض
اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره وقد عرف به ووصف في السموات والارض
اي على السنة الخلائق وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء
واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز اي القادر
لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه

وعن ابن عباس

وعن ابن عباس رضي الله عنهما المثل الاعلى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وعن مجاهد هو قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الارفع الذي هو
الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم فهذا مثل
ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه ومن للابتداء كأنه قال اخذ
مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم هل لكم معاشر الاحرار
من ما ملكت أيمانكم عبيدكم ومن للتبعيض من شركاء من مزيدة لتأكيد
الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم
امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم
من الاموال وغيرها فأنتم معاشر الاحرار والعبيد فيه في ذلك
الرزق سواء من غير تفضلة بين حر وعبد يحكم مماليككم في اموالكم
كحكمكم تخافونهم حال من ضمير الفاعل في سواء اي مستويا وخائفا
بعضكم بعضا مشاركته في المال والمعنى تخافون معاشر السادة عبيدكم
فيها لا تمضون فيها حكما دون اذنهم خوفا من لائمة تلحقكم من جهتهم
كخيفتكم أي خيفة كخيفتكم أنفسكم يعني كما يخاف بعض الاحرار
بعضا فيما هو مشترك بينهم فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون
لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان يجعلوا بعض عبيده له شركاء
كذلك موضع الكاف نصب اي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات
نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يتدبرون
في ضرب الامثال فلما لم ينزجروا اعرض عنهم فقال بل اتبع الذين
ظلموا انفسهم بما اشركوا ان الشرك لظلم عظيم أهواءهم بغير علم
اي اتبعوا اهواءهم جاهلين فمن يهدي من أضل الله اي اضله
الله وما لهم من ناصرين من العذاب فأقم وجهك للدين فقوم وجهك
له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين
واستقامته عليه واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه
طرفه وسدد عليه نظره وقوم له وجهه حنيفا حال من المأمور او
من الدين فطرة الله اي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة الا ترى الى
قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام

يميز بابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل صادقا للنظر الصحيح
حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين
الانس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم
الشيطان عن دينهم وامرهم ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود
يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه قال
الزجاج معناه ان الله تعالى فطر الخلق على الايمان به على ما جاء في الحديث
ان الله جل ذكره اخرج من صلب ادم عليه السلام كالذر واشهدهم على
انفسهم بانه خالقهم فقال واذ اخذ ربك الى قوله قالوا بلى فكل مولود
هو من تلك الذرية التى شهدت بان الله خالقها يعنى فطرة الله دين الله
التى فطر الناس عليها اى خلق لا تبديل لخلق الله اي ما
ينبغي ان يبدل تلك الفطرة او تغير قال الزجاج معناه لا تبديل لدين الله
ويدل عليه ما بعده وهو قوله ذلك الدين القيم اى الدين المستقيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون حقيقة ذلك منيبين اليه راجعين وهو
حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على
هذا المضمر او من قوله فاقم وجهك لان الامر له عليه السلام امر لامته
فكانه قال فاقيموا وجوهكم منيبين اليه او التقدير كونوا منيبين دليله
قوله ولا تكونوا واتقوه واقيموا الصلوة اي ادوها في اوقاتها ولا
تكونوا من المشركين ممن يشرك به غيره في العبادة من الذين بدل من المشركين
باعادة الجار فرقوا دينهم جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم فارقوا
حمزة وعلي وهو قراءة علي رضي الله عنه اي تركوا دين الاسلام وكانوا
شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم بما
لديهم فرحون فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا واذا مس الناس
ضر شدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك دعوا ربهم منيبين
اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من الشدة اذا فريق منهم
بربهم يشركون في العبادة ليكفروا هذه لام كي وقيل لام الامر للوعيد
بما اتيناهم من النعم فتمتعوا بكفركم قليلا امر وعيد فسوف تعلمون
وبال تمتعكم ام انزلنا عليهم سلطانا حجة فهو يتكلم وتكلمه مجاز كما

تقول

تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الشهادة كانه
قال فهو يشهد بشركهم وبصحته بما كانوا بما كانوا به يشركون ما
مصدرية اي بكونهم بالله يشركون او موصولة ويرجع الضمير اليها فهو
يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ومعنى الاية ام انزلنا عليهم ذا سلطان
اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون
واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها
بطروا بسببها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض بما
قدمت ايديهم بسبب شوم معاصيهم اذا هم يقنطون من الرحمة
واذا للمفاجاة الشرط نائب عن الفاء لتآخيهما في التعقيب اولم يروا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في انكر عليهم بانهم قد علموا انه
الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين
من المعاصي التى عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته ولما
ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل
وما يجب ان يترك فقال فآت ذا القربى اعط قريبك حقه من
البر والصلة والمسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما
وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا ذلك اي ايتاء حقوقهم
خير للذين يريدون وجه الله اي ذاته اي يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا واولئك هم المفلحون وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس
ربا وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربوا في اموالهم اي ليزيدوا او
يزكوا في اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكوا عند الله ولا يبارك
فيه وقيل هو من الربا الحلال اي وما تعطونه من الهدية لتاخذوا
اكثر منها فلا يربوا عند الله لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله وما اتيتم
من زكوة من صدقة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا
لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون
ذووا الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي
القوة واليسار اتيتم بلا مد مكي اي وما غشيتموه اعطاء ربا ليربوا لتربوا
وضمها مدني اي لتزيدوا في اموالهم وقوله فاولئك هم المضعفون

ذلك لآيات لقوم
يؤمنون صح

التفات حسن لانه يفيد التعميم كانه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين
والمعنى المضعفون به لانه لابد من ضمير يرجع الى ما الموصولة وقال
الزجاج في قوله فاولئك هم المضعفون اي فاهلها هم المضعفون اي
هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر امثالها ثم اشار
الى عجز الهتهم فقال الله الذي خلقكم مبتدا وخبر ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هو المختص بالخلق والرزق والاماتة والاحياء هل
من شركائكم اي اصنامكم التي زعمتم انهم شركاء من يفعل من ذلكم
اي الخلق والرزق والاماتة والاحياء من شيء اي شيئا من تلك الافعال
فلم يجيبوا عجزا فقال استبعادا سبحانه وتعالى عما يشركون ومن الاولى
والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد العجز لتعجيز شركائهم
وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر نحو القحط وقلة الامطار
والريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب
وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات من كل شيء بما كسبت ايدي الناس
بسبب معاصيهم وشركهم كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ليذيقهم بعض الذي عملوا اي ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا
قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة وبالنون عن قنبل لعلهم يرجعون عما هم
عليه من المعاصي ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين حيث امرهم
بان يسيروا فينظروا كيف كان اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه
عوج من قبل ان ياتي يوم لا مرد له مصدر بمعنى الرد من الله
يتعلق بياتي والمعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا
يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد
له من جهته يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق
في السعير كقوله يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ثم اشار الى غناه
عنهم فقال من كفر فعليه كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه

لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقده من نتو او غير ذلك والمعنى انه
يمهد له الجنة بسبب اعمالهم فاضيف اليهم وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة
على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح
ترجع الى المؤمن لا يتجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير
الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه
لا يفلح عنده الا المؤمن من فضله اي عطائه وقوله انه لا يحب الكافرين
تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن اياته اي ومن ايات قدرته
ان يرسل الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما
الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وقد عدد الفوائد في ارسالها فقال مبشرات اي ارسلها
للبشارة بالغيث وليذيقكم من رحمته ولاذاقة الرحمة وهي نزول
المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والريح الذي مع هبوب الريح وزكاء
الارض وغير ذلك وليذيقكم معطوف على مبشرات على المعنى كانه قيل
ليبشركم وليذيقكم ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها بامره اي
بتدبيره وتكوينه كقوله انما امره اذا اراد شيئا الاية ولتبتغوا من فضله
يريد تجارة البحر ولعلكم تشكرون لتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا
من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات اي فامن بهم قوم وكفر
بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله فانتقمنا من الذين اجرموا اي
كفروا بالهلاك في الدنيا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اي وكان نصر
المؤمنين حقا علينا بانجائهم مع الرسل وقد يوقف على حقا وكان الانتقام
منهم حقا ثم يبتدا علينا نصر المؤمنين والاول اصح الله الذي يرسل
الرياح الريح مكي فتثير سحابا فيبسطه اي السحاب في السماء اي في
سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء كيف يشاء من ناحية
الشمال او الجنوب او الدبور او الصبا ويجعله كسفا قطعا جمع كسفة
اي يجعله منبسطا ياخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعا متفرقة غير منبسطة
مرة كسفا يزيد وابن ذكوان فترى الودق المطر يخرج في التارتين جميعا
من خلاله وسطه فاذا اصاب به بالودق من يشاء من عباده يريد

اصابة بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون يفرحون وان كانوا من قبل ان
ينزل عليهم المطر من قبله كرر للتاكيد كقوله فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول
فاستحكم ياسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك لمبلسين
ايسين فانظر الى اثار شامي وكوفي غير ابي بكر وغيرهم اثر رحمة الله
اي المطر كيف يحيي الارض بالنبات وانواع الثمار بعد موتها ان ذلك
اي الله لمحيي الموتى يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها
هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا الاستدلال باحياء الاموات
على احياء الموات وهو على كل شيء قدير اي وهو على كل شيء من المقدورات
قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا
اي الدبور فراوه اي اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها
النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى اثار الرحمة النبات
يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت مصفرا بعد اخضراره
وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لان
السحاب الاصفر لا يمطر واللام في لئن موطئة للقسم دخل على حرف الشرط
والساد مسد جواب القسم والشرط لظلوا لظلوا ومعناه ليظللن من
بعده يكفرون من بعد اصفراره ومن بعد الاستبشار ذمهم الله بانه
اذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين
فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا فاذا ارسل ريحا فضرب
بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة
المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمه
ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه
فكفروا فانك لا تسمع الموتى اي موتى القلوب او هؤلاء في حكم الموتى
فلا تطمع ان يقبلوا منك ولا تسمع الصم الدعاء ولا يسمع الصم مكي اذا
ولوا مدبرين فان قلت الاصم لا يسمع مقبلا او مدبرا فما فائدة هذا التخصيص
قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا ولى فلا يفهم ولا
يسمع بالاشارة وما انت بهادي العمي اي عمي القلوب وما انت تهدي

العمي حمزة عن ضلالتهم اي لا يمكنك ان تهدي الاعمى الى طريق قد ضل عنه بانما
منك لله اليه ان تسمع ما تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون
منقادون لاعلام الله الله الذي خلقكم من ضعف من النطف لقوله
من ماء مهين ثم جعل من بعد ضعف قوة يعني حال الشيخوخة والهرم يخلق
ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيبة وهو العليم باحوالهم القدير
على تغييرهم وهذا الترديد في الاحوال بين دليل على الصانع العليم القدير وفتح
الضاد في الكل عاصم وحمزة وضم غيرهما وهو اختيار حفص وهما لغتان والضم اقوى
في القراءة لما روي ابن عمر رضي الله عنهما قال قراتها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقراني من ضعف ويوم تقوم الساعة اي
القيمة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
كما يقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا يقسم المجرمون
يحلف الكافرون فلا وقف عليه لان ما لبثوا في القبور او في الدنيا غير ساعة
جواب القسم استقلوا مدة لبثهم في القبور او في الدنيا لهول يوم القيمة وطول
مقامهم في شدائدها او ينسون او يكذبون كذلك كانوا يؤفكون اي
مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق الى الكذب في الدنيا ويقولون ان
ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وقال الذين اوتوا العلم والايمان
هم الملائكة او الانبياء عليهم السلام والمؤمنون لقد لبثتم في كتاب الله
في علم الله المثبت في اللوح او في حكم الله وقضائه الى يوم البعث ردوا
ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على
انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم في الدنيا لا تعلمون
انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه والفاء جواب شرط يدل عليه الكلام
تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي انكرتموه فيومئذ
لا ينفع بالياء كوفي الذين ظلموا كفروا معذرتهم عذرهم ولا هم يستعتبون
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي
استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم ولقد وصفنا لهم كل صفة
كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين

الا مبطلون ٥٨

يوم القيمة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم
ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم اذا جئتهم باية من ايات القران
قالوا اجيئتنا بزور وباطل كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون
اي مثل ذلك الطبع وهو الختم يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم
اختيار الضلال حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة
فاصبر على اذاهم وعداوتهم ان وعد الله بنصرتك على اعدائك واظهار
دين الاسلام على كل دين حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون اي لا يحملنك هؤلاء الذين لا يوقنون بالاخرة على الخفة
والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب او ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا
مما يقولون ويفعلون فانهم ضلال شاكون لا يستبعد منهم ذلك ولا
يستخفنك بسكون النون يعقوب والله اعلم واحكم جل جلاله وعظم نواله

سورة لقمان عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك ايات الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل
على الاسناد المجازي هدى ورحمة حالان من الايات والعامل معنى الاشارة
في تلك وقراءة حمزة هدى ورحمة بالرفع هو او هي هدى ورحمة للمحسنين
للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون ونظيره قول اوس الالمعي الذي
يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا او للذين يعملون جميع ما يحسن ثم خص
منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها اولئك على هدى مبتدا وخبر من
ربهم صفة لهدى واولئك هم المفلحون عطف عليه ومن الناس من يشتري
لهو الحديث نزلت في النضر بن الحارث وكان اخبار الاكاسرة من فارس و
يقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود فانا احدثكم بحديث الاكاسرة
فيميلون الى حديثه ويتركون استماع القران واللهو كل باطل الهى عن الخير
وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي لا اصل لها والغناء وكان
ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يحلفان انه الغناء وقيل الغناء مفسدة
للقلب منفدة للمال مسخطة للرب وعن النبي عليه السلام ما من رجل يرفع صوته

بالغناء

بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب
فلا يزالان يضربانه حتى يكون هو الذي يسكت والاشتراء من الشراء كما روي
من النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه
عليه اي يختار حديث الباطل على حديث الحق واضافة اللهو الى الحديث للتبيين
بمعنى من لان اللهو يكون من الحديث وغيره فبين بالحديث والمراد بالحديث
الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل
البهيمة الحشيش او للتبعيض كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي
هو اللهو منه ليضل اي ليصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع
القران ليضل مكي وابو عمرو اي ليثبت على ضلالته الذي كان عليه ويزيد
فيه عن سبيل الله دين الاسلام او القران بغير علم اي جهلا منه
بما عليه من الوزر به ويتخذها اي السبيل بالنصب كوفي غير ابي بكر
عطفا على ليضل ومن رفع عطف على يشتري هزوا بسكون الزاء والهمز
حمزة وبضم الزاي بلا همز حفص وغيرهما بضم الزاي والهمزة اولئك
لهم عذاب مهين اي يهينهم ومن لابهامه يقع على الواحد والجمع اي النضر
وامثاله واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اعرض عن تدبرها متكبرا
رافعا نفسه عن الاصغاء الى القران كان لم يسمعها اي يشبه حاله في ذلك حال
من لم يسمعها وهو حال من مستكبرا والاصل كانه والضمير ضمير الشان كان
في اذنيه وقرا ثقلا وهو حال من لم يسمعها واذنيه نافع فبشره بعذاب
اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ولا وقف عليه
لان خالدين فيها حال من الضمير في لهم وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول
مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره اذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم
الله جنات النعيم فاكد الوعد بالوعد وحقا يدل على معنى الثبات فاكد به
معنى الوعد ومؤكدهما جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيهين
اعداءه بالعذاب الاليم الحكيم فيما يفعل فيثيب اولياءه بالنعيم المقيم
خلق السموات والارض بغير عمد جمع عماد ترونها الضمير للسموات وهو
استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما يقول لصاحبك
انا بلا سيف ولا رمح تراني ولا محل من الاعراب لانها مستانفة او في محل

الجر صفة لعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمد ها بعمد وهي امسا كها بقدرته
والقى في الارض رواسي جبالا ثوابت ان تميد بكم لئلا تضطرب بكم
وبث ونشر فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا به
من كل زوج صنف كريم حسن هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته
خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه يعني الهتهم
تكبتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله فاروني ما خلقته الهتكم
حتى استوجبوا عندكم العبادة بل الظالمون في ضلال مبين اضرب
من تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد
اتينا لقمان الحكمة هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل
كان من اولاد آزر عاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه
العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل
له فقال الا اكتفي اذ اكفيت وقيل كان خياطا وقيل كان نجارا وقيل راعيا
وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقال عكرمة والشعبي كان نبيا والجمهور
على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة
وهي الاصابة في القول والعمل وقيل تلمذ لالف نبي وتلمذ له الف نبي وان في
ان اشكر لله مفسرة والمعنى اي اشكر لله لان ايتاء الحكمة في معنى القول
وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العلم بهما
وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالحث على الشكر وقيل لا
يكون الرجل حكيما حتى يكون حكيما في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته وقال
السري رحمه الله الشكر ان لا يعصي الله بنعمه وقال الجنيد رحمه الله ان لا يرى
معه شريكا في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز عن الشكر والحاصل ان شكر
القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الاركان الطاعة ورؤية العجز
في الكل دليل قبول الكل ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان منفعته تعود
اليه فهو يريد المزيد ومن كفر النعمة فان الله غني غير محتاج الى
الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد واذ اي واذكر قال لقمان
لابنه انعم او اشكر وهو يعظه يا بني مكي يا بني حفص بفتحة في
كل القرآن لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من

من لا نعمة منه اصلا ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن
اي تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد
ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا فوق ضعف اي يتزايد وفصاله
في عامين اي فطامه عن الرضاع في تمام عامين ان اشكر لي ولوالديك
هو تفسير لوصينا اي وصيناه بشكرنا وشكر والديه وقوله وحملته امه
وهنا على وهن وفصاله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر لانه لما وصى
بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق في حمله وفصاله هذه
المدة الطويلة تذكيرا بحقها العظيم مفردا وعن ابن عيينة من صلى الصلوة
الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوة فقد شكرهما
الي المصير اي مصيرك الي وحسابك علي وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد
الاصنام فلا تطعهما في الشرك وصاحبهما في الدنيا معروفا صفة
مصدر محذوف اي صحابا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة
واتبع سبيل من اناب الي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما
فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا قال ابن عطا صاحب من ترى
عليه انوار خدمتي ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما فانبئكم
بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما وقد اعترض
بهما بين الايتين على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي
عن الشرك يعني انا وصينا بوالديه وامرناه ان لا يطيعهما في الشرك وان
جهدا كل الجهد يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل بالرفع مدني
والضمير للقصة وانث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر
القناة من الدم وكان تامة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الاساءة
او الاحسان اي كانت مثلا في الصغر كحبة خردل فتكن في صخرة او في
السموات او في الارض اي فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه
كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي والاكثر على انها
الصخرة التي عليها الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وليست من
الارض يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها يا بني اقم الصلوة

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك في ذات الله اذا امرت
بالمعروف ونهيت عن المنكر او على ما اصابك من المحن فانها تورث المنح ان ذلك
الذي اوصيتك به من عزم الامور اي مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب والزام اي امرهم به امرا حتما وهو من تسمية المفعول بالمصدر
واصله من المعزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا
دليل على ان هذه الطاعات كانت مامورا بها في سائر الامم ولا تصعر خدك
للناس ولا تعرض عنهم تكبرا تصاعر ابو عمرو ونافع وحمزة وعلي وهو
بمعنى تصعر والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس
بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحتك كما يفعل المتكبرون
ولا تمش في الارض مرحا اي لا تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال
اي مرحا او لا تمش لاجل المرح والاشر ان الله لا يحب كل مختال متكبر
فخور من يعدد مناقبه تطاولا واقصد القصد التوسط في مشيك
اي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا
تثب وثيب الشطار قال عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما
قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى
ولكن مشيا بين ذلك وقيل وانظر موضع قدميك متواضعا واغضض
من صوتك وانقص منه اي اخفض صوتك ان انكر الاصوات اوحشها لصوت
الحمير لان اوله زفير واخره شهيق كصوت اهل النار وعن الثوري صياح كل شيء
تسبيح الا الحمار فانه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله منكرا وفي
تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق تنبيه على ان رفع
الصوت في غاية الكراهة يؤيده ما روي انه عليه السلام كان يعجبه ان
يكون الرجل خفيض الصوت ويكره ان يكون مجهور الصوت وانما وحد صوت
الحمير ولم يجمع لانه لم يرد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى
يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس
صوت هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض يعني
البحار والانهار والمعادن والدواب وغير ذلك واسبغ واتم عليكم نعمه

مدني وابو عمرو وسهل وحفص نعمة غيرهم والنعمة كل نفع قصد به الاحسان
ظاهرة بالمشاهدة وباطنة ما لا يعلم الا بالدليل ثم قيل الظاهرة
السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل
والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني
على اخفى خالص نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس وقيل تخفيف
الشرائع وتضعيف الذرائع والخلق والخلق ونيل العطا وصرف البلايا
وقبول الخلق ورضاء الرب وقال ابن عباس رضي الله عنهما الظاهرة ما
سوى من خلقك والباطنة ما ستر من عيوبك ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير نزلت في النضر بن الحارث وقد
مر في الحج واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا او لو كان الشيطان يدعوهم معناه اتتبعونهم ولو
كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اباهم الى العذاب ومن يسلم
وجهه الى الله عدي هنا بالى وفي بلى من اسلم وجهه لله باللام فمعناه
مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه
الى انه اسلم نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا رفع اليه ومعناه الى انه
اسلم نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والتوكل عليه والتفويض
اليه وهو محسن فيما يعمل فقد استمسك تمسك وتعلق بالعروة وهو ما
يتعلق به الشيء الوثقى تانيث الاوثق مثل حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى
من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون
انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه فيجازي عليها ومن كفر
ولم يسلم وجهه لله فلا يحزنك كفره من حزن يحزنك نافع من احزن اي
لا يهمنك كفر من كفر الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا فنعاقبهم على اعمالهم
ان الله عليم بذات الصدور ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم
على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم نلجئهم الى عذاب
غليظ شديد شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر
الى الشيء والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على
المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله

الى عذاب السعير

الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب
ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا لله ما في السموات والارض ان
الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمدوه قال المشركون
ان هذا اي الوحي كلام سينفد فاعلم ان كلامه لا ينفد بقوله ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت والبحر ابو عمرو
ويعقوب عطفا على اسم ان وهو والرفع على محل ان ومعمولها اي ولو ثبت
كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو
للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وقرئ يمده
وكان يقتضي الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد ولكن اغنى عن
ذكر المداد قوله يمده لانه من قوله مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم
بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مدادا فيه تصب فيه مدادها ابدا
صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة
ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت
الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس
فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقولك جئت والجيش مصطف وما
اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف وانما ذكر شجرة على التوحيد
لانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا
واحدة الا قد بريت اقلاما واوثر الكلمات وهي جمع قلة على الكلم وهي
جمع كثرة لان معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه ان الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته فلا تنفد كلماته وحكمه
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس
واحدة فحذف للعلم به اي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شان
عن شان ان الله سميع لقول المشركين انه لا بعث بصير باعمالهم
فيجازيهم الم تر ان الله يولج الليل في النهار يدخل ظلمة الليل في ضوء
النهار اذا اقبل الليل ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر لمنافع

كلمات الله صح

العباد كل كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى اجل
مسمى الى يوم القيامة او الى وقت معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى
اخر الشهر وان الله بما تعملون خبير وبالياء عباس دل ايضا بتعاقب
الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما على تقدير
وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وكمال حكمته ذلك بان
الله هو الحق وان ما تدعون بالياء عراقي غير ابي بكر من دونه الباطل وان الله
هو العلي الكبير اي ذلك الذي وصف من عجايب قدرته وحكمته التي يعجز
عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون
الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الهيته وان من دونه باطل الالهية
وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان الم تر ان الفلك وقرئ الفلك
وكل فعل يجوز فيه فعل في كل فعل فعل تجري في البحر بنعمت الله باحسانه ورحمته
او بالريح لان الريح من نعم الله تعالى ليريكم من اياته عجايب قدرته في البحر
اذا ركبتموها ان في ذلك لايات لكل صبار على بلائه شكور على نعمائه
وهما صفتا المؤمن فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر فكانه
قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن واذا غشيهم اي الكفار موج كالظلل
الموج يرتفع فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او
غيرهما دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
اي باق على الايمان والاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص
الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وما يجحد باياتنا
اي بحقيقتها الا كل ختار غدار والختر اقبح الغدر كفور لربه يا ايها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي عنه
شيئا والمعنى لا يجزي فيه فحذف ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية
اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك
ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر فاريد حسم اطماعهم
ان ينفعوا اباءهم بالشفاعة في الاخرة ومعنى التاكيد في لفظ المولود
ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته

فضلا ان يشفع لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك كذا في الكشاف إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ بالبعث والحساب والجزاء فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بزينتها فان نعمها دانية ولذتها فانية وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ الشيطان او الدنيا او الامل إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ اي وقت قيامها وَيُنَزِّلُ بالتشديد شامي ومدني وعاصم وعطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره ان الله يثبت عنده علم الساعة وينزل الْغَيْثَ في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ اذكر ام انثى اتام ام ناقص وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ برة او فاجرة مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا او عازمة على شر فعملت خيرا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ اي اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روي ان ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدني وسأل سليمان عليه السلام ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان عليه السلام كان دوام نظري تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يختص بها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد واما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث فانه يقول بالقياس والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبا على انه مجرد الظن والظن غير العلم وعن النبي عليه الصلوة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب وراى المنصور في منامه صورة ملك وسأله عن مدة عمره فاشار باصابعه الخمس فعبرها المعبرون بخمس سنين وخمسة اشهر وبخمسة ايام فقال ابو حنيفة رضي الله عنه هو اشارة الى هذه الاية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بالغيوب خَبِيرٌ بما كان وبما يكون وعن الزهري اكثروا قراءة سورة لقمان فان فيها اعاجيب ۝

سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم على انها اسم السورة مبتدا خبره تَنزِيلُ الْكِتَابِ وان جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لَا رَيْبَ فِيهِ او يرتفع بالابتداء خبره مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين لانه معجز للبشر ومثله ابعد شيء من الريب ثم اضرب عن ذلك الى قوله أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ اي اختلقه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل يقولون افتراه انكارا لقولهم وتعجبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه بَلْ هُوَ الْحَقُّ ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق مِن رَّبِّكَ ولم يفتره محمد عليه الصلاة والسلام كما قالوا تعنتا وجهلا لِتُنذِرَ قَوْمًا اي العرب مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ما للنفي والجملة صفة لقوما لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعل على الترجي من موسى وهارون عليهما السلام اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ استولى باحداثه مَا لَكُم مِّن دُونِهِ من دون الله مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ اي اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ تتعظون بمواعظ الله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ امر الدنيا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الى ان تقوم الساعة ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ وهو يوم القيمة من ايام الدنيا ولا تمسك للمشبهة بقوله اليه في اثبات الجهة لان معناه الى حيث يرضاه او امره كما لا تثبت له بقوله اني ذاهب الى ربي اي مهاجر الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اي الموصوف بما مر عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه الْعَزِيزُ الغالب امره وتدبيره الرَّحِيمُ البالغ لطفه وتيسيره وقيل لا وقف عليه لان الذي صفته الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ اي حسنه لان كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة خَلَقَهُ كوفي ونافع وسهل

سورة السجدة

على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه خلقه غيرهم على البدل اي احسن خلق
كل شيء وبدأ خلق الانسان آدم من طين ثم جعل نسله ذريته من سلالة
من نطفة من ماء اي مني وهو بدل من سلالة مهين ضعيف حقير ثم
سواه قومه كقوله في احسن تقويم ونفخ وادخل فيه من روحه الاضافة
للاختصاص كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبعلمه وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون اي
تشكرون قليلا وقالوا القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم
أئذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا
نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها وقرئ ضللنا
بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وانتصب الظرف في ائذا ضللنا بما يدل
عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث بل هم بلقاء ربهم كافرون
جاحدون لما ذكر كفرهم بالبعث اضرب عنه الى ما هو ابلغ وهو انهم كافرون
بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم ثم الى ربكم ترجعون اي يتوفى ملك الموت الذي يقبض وكل بقبض ارواحكم
ثم ترجعون الى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله
والتوفي استيفاء النفس وهي الروح اي يقبض ارواحكم اجمعين من قولك
توفيت حقي من فلان اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان وعن مجاهد حويت
لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل
ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها والله تعالى هو
الامر بذلك كله وهو الخالق لافعال المخلوقات فهذا وجه الجمع بين هذه
الاية وبين قوله توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها ولو
ترى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ولو امتناعية
والجواب محذوف اي لرأيت امرا عظيما اذ المجرمون وهم الذين قالوا
أئذا ضللنا في الارض ولو واذ للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله
بمنزلة الموجود ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو يكون منك
الرؤية واذ ظرف له ناكسوا رؤسهم من الذل والحياء والندم عند
ربهم عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف اذ التقدير يقولون

ربنا ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا
عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان
والطاعة انا موقنون بالبعث والحساب الان ولو شئنا لآتينا كل نفس
في الدنيا هداها اي ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي
لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا ولكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم
اختيار الكفر وايثاره وهو حجة على المعتزلة فان عندهم انه شاء الله ان يعطي
كل نفس ما به اهتدت وقد اعطاها ولكنهم ما اهتدوا وهم اولوا الاية بمشيئة
الجبر وهو تاويل فاسد لما عرف في تصنيف الادلة ولكن حق القول مني لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين ولكن وجب القول مني بما علمت
انه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون
الرد والتكذيب وقيل لو شئنا لهديناهم الى طريق الجنة ولم ينقص ذلك
من ملكنا ولكن عذبنا لنظهر العدل كما انعمنا لنظهر الفضل وفي تخصيص الانس
والجن اشارة الى انه عصم ملائكته من عمل يستوجبون به جهنم فذوقوا العذاب
بما نسيتم لقاء يومكم هذا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا وهو الايمان انا نسيناكم
تركناكم في العذاب كالمنسي وذوقوا عذاب الخلد اي العذاب الدائم الذي
لا انقطاع له بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي انما يؤمن باياتنا
الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها خروا سجدا سجدوا تواضعا وخشوعا
وشكروا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا
الله عما لا يليق به واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون عن الايمان
به والسجود تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع عن الفرش ومواضع
النوم وقال سهل وهب لقوم هبة وهو ان اذن لهم في مناجاته وجعلهم
من اهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
داعين ربهم عابدين له خوفا وطمعا مفعول له اي لاجل خوفهم من سخطه
وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن النبي عليه السلام في تفسيرها
قيام العبد من الليل وعن ابن عطاء ابت جنوبهم ان تسكن على بساط الغفلة
وطلبت بساط القربة يعني صلوة الليل وعن انس كان اناس من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة

العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لاينامون
عنها ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم ما بمعنى الذي اخفي على حكاية النفس حمزة ويعقوب من قرة اعين
اي لايعلم احد ما اعد لهؤلاء من الكرامة جزاء جزاء مصدر اي جوزوا جزاء
بما كانوا يعملون عن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت وفيه دليل ان المراد الصلوة في جوف الليل ليكون
الجزاء وفاقا ثم بين ان من كان في بصيرة الطاعة والايمان لايستوي مع
من هو في ظلمات الكفر والعصيان بقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
اي كافرا وهما محمولان على لفظ من وقوله لايستوون على المعنى بدليل قوله
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى هي نوع
من الجنان تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش نزلا بما
كانوا يعملون عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما واما الذين
فسقوا فمأواهم النار اي ملجأهم ومنزلهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها وقيل لهم اي يقول لهم خزنة النار ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذ التكذيب
يقابل الايمان ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا من الاسر
وما محنوا به من السنة سبع سنين دون العذاب الاكبر اي عذاب
الدنيا الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة وعن الدارا
العذاب الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود في النيران وقيل العذاب
الادنى عذاب القبر لعلهم لعل المعذبين بالعذاب الادنى يرجعون
يتوبون عن الكفر ومن اظلم ممن ذكر وعظ بايات ربه اي القرآن
ثم اعرض عنها اي فتولى عنها ولم يتدبر فيها وثم للاستبعاد اي
الاعراض عن مثل هذه الايات في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء
السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكر بها مستبعد في العقل
كما يقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا للتركه
الانتهاز انا من المجرمين منتقمون ولم يقل منه لانه اذا جعله اظلم كل ظالم
ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب

الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد اتينا موسى
الكتاب التورية فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقاء موسى
عليه السلام الكتاب او من لقائك موسى عليه السلام ليلة المعراج او من
لقاء موسى عليه السلام ربه في الاخرة كذا عن النبي عليه الصلوة والسلام
وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه
السلام وجعلنا منهم ائمة بهمزتين كوفي وشامي يهدون الناس
ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك
لما صبروا حين صبروا على الحق وطاعة الله او عن المعاصي لما حمزة
وعلي اي لصبرهم عن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر ثمرته امامة الناس
وكانوا باياتنا التورية يوقنون يعلمون علما لايخالجه شك ان ربك
هو يفصل يقضي بينهم بين الانبياء عليهم السلام واممهم او بين المؤمنين
والمشركين فيما كانوا فيه يختلفون فيظهر المحق من المبطل اولم الواو للعطف
على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف اي الم يدع يهد يبين والفاعل
الله بدلالة قراءة زيد عن يعقوب نهد لهم لاهل مكة كم لايجوز
ان يكون فاعل يهد لان كم للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله
اهلكنا من قبلهم من القرون كعاد وثمود يمشون في مساكنهم اي اهل
مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون
المواعظ فيتعظون اولم يروا انا نسوق الماء بجري المطر والانهار الى الارض
الجرز اي الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء او لانه رعي
ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ بدليل قوله فنخرج به بالماء زرعا تأكل منه
من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه افلا يبصرون باعينهم
فيستدلوا به على قدرته باحياء الموتى ويقولون متى هذا الفتح النصر
او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون
ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا
متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن
قل يوم الفتح اي يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم
نصرهم عليهم او يوم بدر او يوم فتح مكة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم

ولاهم ينظرون وهذا الكلام لا ينطبق جوابا على سؤالهم ظاهرا ولكن لما كان غرضهم في السؤال من وقت الفتح استهزاء لا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره بيوم الفتح ويوم بدر فهو يريد المقتولين منهم فانه لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لا ينفع فرعون ايمانه عند الغرق فاعرض عنهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ الم السجدة وتبارك الملك وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سورة الم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الاحزاب مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابي بن كعب لزر رضي الله عنهما كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين قال فو الذي يحلف به ابي ان كانت لتعدل سورة البقرة ولقد قرأنا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان من ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الدواجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض يا ايها النبي بالهمز نافع اي يا ايها المخبر عنا المأمون على اسرارنا المبلغ خطابنا الى احبابنا وانما لم يقل يا محمد كما قال يا ادم يا موسى تشريفا وتنويها بفضله وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحوه لتعليم الناس بانه رسول الله اتق الله اثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك مداه ولا تطع الكافرين والمنافقين ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم فانهم اعداء الله والمؤمنين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابي واعطاهم الامان على ان يكلموه فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع ووازرهم

المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة ان الله كان عليما بخبث اعمالهم حكيما في تأخير الامر بقتالهم واتبع ما يوحى اليك من ربك في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين اي اتبع الله الذي يوحي اليك ان الله كان بما تعملون خبيرا اي لم يزل عالما باحوالهم باعمالهم واعمالكم وقيل انما جمع لان المراد بقوله اتبع هو واصحابه وبالياء ابو عمرو اي بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومية في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى انه تعالى كما لم يجعل لانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما فعلا من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما موقنا شاكا في حالة واحدة لم يحكم ايضا ان تكون المرأة الواحدة اما للرجل وزوجا له لان الام مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب وكانت تحت زيد رضي الله عنه قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع اصحابه وقيل كان ابو معمر احفظ العرب فقيل له ذو القلبين فاكذب الله قولهم وضرب به مثلا في الظهار والتبني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين وذكر الجوف

للتأكيد اللائي بياء بعد الهمزة حيث كان كوفي وشامي اللاء نافع وسهل ويعقوب
وهي جمع التي تظاهرون شامي من اظاهر بمعنى تظاهر غيرهم تظهرن من اظهر
بمعنى تظهر وعدي بمن لتضمنه معنى البعد لانه كان طلاقا في الجاهلية
ونظيره الي من امرأته ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فالي في اصليه
الذي هو معنى حلف واقسم ليس بحكمه والدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي
يدعى ولدا وجمع على افعلاء شاذ لان بابه ما كان منه بمعنى فاعل يجمع
على افعلاء كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في رمي لانها
بمعنى مفعول وسمي لتشبيه اللفظي ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ اي ان
قولكم للزوجة هي ام وللدعي هو ابن قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقة له
اذ الابن يكون بالولادة وكذا الام وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ اي ما هو حق ظاهره
وباطنه وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ اي سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى
ما هو سبيل الحق وهو قوله ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ اعدل عِندَ
اللَّهِ وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وقيل
كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل ضمه الى نفسه وجعل له مثل
نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان
ثم انظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجمل الطلبية ثم فصل الخبرية
عنها ووصل بينها ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية فَإِن لَّمْ
تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فان لم تعلموا لهم اباء ينسبونهم اليه فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ اي فهم
اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا
اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ اي لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود
النهي وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا
اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا
قلتموه متعمدين وما في موضع الجر عطفا على ما الاولى ويجوز ان يراد العفو
من الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده
واذا وجد التبني فان كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا منه ثبت نسبه منه
وعتق ان كان عبدا له وان كان اكبر سنا منه لم يثبت النسب وعتق عند ابي حنيفة

رحمه الله

رحمه الله واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني ان كان عبدا وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا لا يؤاخذكم الله بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمد النَّبِيُّ أَوْلَىٰ
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ اي احق بهم في كل شيء من امور الدين والدنيا وحكمه انفذ عليهم
من حكمها فعليهم ان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه او هو اولى بهم اي اراف
واعطف عليهم وانفع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفي قراءة ابن
مسعود رضي الله عنهما النبي اولى بالمؤمنين وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي
فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي عليه السلام ابوهم في الدين
وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ في تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك
كالارث وغيره كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن وَأُولُو الْأَرْحَامِ
وذووا القرابات بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ في التوارث وكان المسلمون في صدر
الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة ثم نسخ ذلك وجعل
التوارث بحق القرابة فِي كِتَابِ اللَّهِ في حكمه وقضائه او في اللوح او فيما
فرض الله مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي
الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب وان يكون
لابتداء الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
اي الانصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ
أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا الاستثناء من خلاف الجنس لكن فعلكم الى اوليائكم معروفا
جائز وهو ان توصوا لمن احببتم من هؤلاء بشيء فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث
وعدي تفعل بالى لانه في معنى تسروا او المراد بالاولياء والمؤمنون والمهاجرون
للولاية في الدين كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا اي التوارث بالارحام كان
مسطورا في اللوح وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ واذكر حين اخذنا
من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم وَمِنكَ خصوصا
وقدم رسول الله على نوح عليهما السلام فمن بعده لان هذا العطف لبيان فضيلة
هؤلاء لانهم اولوا العزم واصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم
افضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه وَمِن نُّوحٍ
وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا وثيقا واعاد
ذكر الميثاق لانضمام الوصف اليه وانما فعلنا ذلك لِّيَسْأَلَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ فنز

اي الانبياء عليهم السلام عن صدقهم عما قالوه لقومهم او ليسأل المصدقين
للانبياء عليهم السلام عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا
في قوله او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وهو قوله يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم واعد للكافرين بالرسل عذابا اليما وهو عطف
على اخذنا لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة
المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين
كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اي ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق وكان بعد
حرب احد بسنة اذ جاءتكم جنود اي الاحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة
والنظير فارسلنا عليهم ريحا اي الصبا قال عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم ريحا
باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة
فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور
وماجت الخيل بعضها ببعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في
جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة
الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري
والنسوان فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وكانت قريش قد اقبلت في عشرة
من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان
في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل
في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين شهر
لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر وكان الله بما تعملون
اي بعملكم ايها المؤمنون من التحصن بالخندق والثبات على معاونة النبي
عليه السلام بصيرا وبالياء ابو عمرو اي بما يعمل الكفار من البغي والسعي
في اطفاء نور الله اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب
واذ زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها او عدلت عن كل شيء فلم

يلتفت الا الى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر الحنجرة رأس الغلصمة
وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة
الفزع او الغضب ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وقيل هو
مثل في اضطراب القلوب وان لم يبلغ الحنجرة حقيقة روي ان المسلمين قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال
نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وتظنون بالله الظنونا
خطاب للذين آمنوا ومنهم المثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب
والمنافقون فظن الاولون بالله انه يبتليهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم قرأ ابو عمرو وحمزة الظنون بغير
الف في الوصل والوقف وبالالف في الوقف فقط مكي وعلي وحفص ومثله
الرسولا والسبيلا زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال شعرا
اقلي اللوم عاذل والعتابا ، وهن كلهن في الامام ، بالالف هنالك
ابتلي المؤمنون امتحنوا بالصبر على الايمان وزلزلوا زلزالا شديدا حركوا
بالخوف تحريكا بليغا واذ يقول المنافقون عطف على الاولى والذين في قلوبهم
مرض قيل وصف المنافقين بالواو كقوله ، الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم ، وقيل هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان المنافقون
يستميلونهم بادخال الشبه عليهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
روي ان معتب بن قشير حين رأى الاحزاب يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم من
المنافقين وهم عبد الله بن ابي واصحابه يا اهل يثرب هو اسم المدينة لا مقام
لكم وبضم الميم حفص اي لا قرار لكم هاهنا ولا مكان تقومون فيه او
تقيمون فارجعوا الى الكفر او من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة ويستأذن فريق منهم النبي اي بنو حارثة يقولون ان بيوتنا
عورة ذات عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا العورة الخلل والعورة
ذات العورة وهي قراءة ابن عباس يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل
يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان
بيوتهم عرضة للعدو والسراق لانها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها

ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار من القتال
ولو دخلت عليهم المدينة او بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها
من جوانبها اي ولو دخلت هذه العساكر التي يفرون خوفا منها مدينتهم
او بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سالبين
ثم سئلوا عند ذلك الفزع الفتنة الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة
المسلمين لاتوها لاعطوها لاتوها بالمد مجازي اي لجاؤها وفعلوها
وما تلبثوا بها باجابتها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير
توقف او ما لبثوا في المدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى
انهم يتعللون باعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين عن مصادقة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء
الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر
وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا
لمقتهم الاسلام وحبهم الكفر ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي بنوا
حارثة من قبل الخندق او قبل نظرهم الى الاحزاب لا يولون الادبار
منهزمين وكان عهد الله مسؤلا اي مطلوبا مقتضى حتى يوفى به
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا
قليلا اي ان كان حضر اجلكم لن ينفعكم الفرار وان لم يحضره وفررتم
لم تمتعوا في الدنيا الا قليلا وهو مدة اعماركم وذلك قليل وعن بعض المروانية
انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب
قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي مما اراد الله انزاله بكم ان اراد
بكم سوءا في انفسكم من قتل وغيره او اراد بكم رحمة اي اطالة عمر
في عافية وسلامة او من يمنع الله من ان يرحمكم ان اراد بكم رحمة لما في
العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا
نصيرا ناصرا قد يعلم الله المعوقين منكم اي من يعوق عن نصرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي يمنع وهم المنافقون والقائلين
لاخوانهم في الظاهر من المسلمين هلم الينا اي قربوا انفسكم الينا ودعوا
محمدا وهي لغة اهل الحجاز فانهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما

تميم

تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل
احضر وقرب ولا يأتون البأس الحرب الا قليلا الا اتيانا قليلا يحضرون
ساعة رياء ويقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون اشحة
جمع شحيح وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في يأتون اي يأتون
الحرب بخلاء عليكم بالظفر والغنيمة فاذا جاء الخوف من قبل العدو او منه
عليه الصلاة والسلام رأيتهم ينظرون اليك في تلك الحالة تدور
اعينهم يمينا وشمالا كالذي يغشى عليه من الموت كما ينظر المغشي عليه
من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف
زال ذلك الخوف وامنوا وحيزت الغنائم سلقوكم بالسنة حداد خاطبوكم
مخاطبة شديدة واذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ
في الكلام اي يقولون وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا
غلبتم عدوكم اشحة على الخير اي خاطبوكم اشحة على المال والغنيمة واشحة
حال من فاعل سلقوكم اولئك لم يؤمنوا في الحقيقة بل بالالسنة فاحبط الله
اعمالهم ابطل باضمارهم الكفر ما اظهروه من الاعمال وكان ذلك الاحباط
اعمالهم على الله يسيرا هينا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي لجبنهم
يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع انهم قد انصرفوا وان
يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب البادون جمع
البادي اي يتمنى المنافقون لجبنهم انهم خارجون من المدينة الى البادية
حاصلون بين الاعراب ليأمنوا على انفسهم ويعتزلوا مما فيه من القتال
يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن انبائكم عن اخباركم وعما
جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا
الا قليلا رياء وسمعة لقد كان لكم في رسول الله اسوة بالضم
حيث كان عاصم اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما يقول في البيضة
عشرون منا حديدا اي في نفسها هذا المبلغ من الحديد او فيه خصلة من
حقها ان يؤتسى بها حيث قاتل بنفسه لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر
اي يخاف الله ويخاف اليوم الاخر او يرجو ثواب الله ونعيم اليوم الاخر
قالوا لمن بدل من لكم وفيه ضعف لانه لا يجوز البدل من ضمير المخاطب

وقيل لمن يتعلق بحسنة اي اسوة حسنة كائنة لمن كان وذكر الله كثيرا
نعت لمصدر محذوف اي ذكرا الله في الخوف والشدة والرخاء ولما رأى المؤمنون
الاحزاب وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب
فلما جاء الاحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وعلموا ان الجنة والنصر وجب لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم
في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا
اشارة الى الخطب او البلاء وما زادهم ما رأوا من اجتماع الاحزاب
عليهم ومجيئهم الا ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي فيما عاهدوه عليه
فحذف الجار كما في المثل صدقني سن بكره اي صدقني في سن بكره بطرح جار
وايصال الفعل نذر رجال من الصحابة رضي الله عنهم انهم اذا لقوا حربا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم
عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب رضي الله عنهم وغيرهم
فمنهم من قضى نحبه اي مات شهيدا كحمزة وقضاء النحب صار عبارة عن
الموت لان كل حي من المحدثات لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته
فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره ومنهم من ينتظر الموت على الشهادة كعثمان
وطلحة رضي الله عنهما وما بدلوا العهد تبديلا ولا غيروا لا المستشهد
ولا من ينتظر الشهادة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرضى القلوب
كما مر في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ليجزي
الله الصادقين بصدقهم بوفائهم بالعهد ويعذب المنافقين ان شاء
اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم ان تابوا ان الله كان غفورا بقبول التوبة
رحيما بعفو الحوبة جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء واراد وها
بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين
مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي
لتحصيلها ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم حال اي مغيظين

كقوله

كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا ظفرا اي لم يظفروا بالمسلمين وسماه خيرا لزعمهم
وهو حال اي غير ظافرين وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا عزيزا قادرا غالبا وانزل الذين ظاهروهم عاونوا
الاحزاب من اهل الكتاب يعني بني قريظة من صياصيهم من حصونهم والصيصة
ما يتحصن به روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم
على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس على السرج فقال ما هذا يا جبريل
قال من متابعة قريش فقال يا رسول الله ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة
وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن
في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزلون على حكمي
فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل
مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد
حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة اي سموات واحدها رقيع ثم استنزلهم
ففعل بهم ما قال سعد وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب
اعناقهم وهم من ثمانمائة الى ستمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وبضم العين شامي وعلي ويصب فريقا
بقوله تقتلون وهم الرجال وتأسرون فريقا وهم النساء والذراري
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم اي المواشي والنقود والامتعة
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار
وقال لهم انكم في منازلكم وارضا لم تطؤها لقصدها لقتال وهي
مكة او فارس او الروم او خيبر او كل ارض يفتح الى القيمة وكان الله على
كل شيء قديرا قادرا يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة
الدنيا اي السعة في الدنيا وكثرة الاموال فتعالين اصل تعالى
ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في
استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن ارادتكن واختياركن لاحد امرين
ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كقولك قام يهدد ني امتعكن اعطكن

متعة الطلاق وأسرحكن واطلقكن سراحا جميلا لا اضرار فيه اردن شيئا من
الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فروي الفرح في وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها وروي انه قال لعائشة رضي الله
عنها اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرأ
عليها القرآن فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار
الآخرة وحكم التخيير في الطلاق انه اذا قال لها اختاري فقالت اخترت
نفسي ان تقع تطليقة بائنة واذا اختارت زوجها لم يقع شيء وعن علي رضي الله
عنه انه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة
بائنة وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد
للمحسنات منكن للبيان لا للتبعيض اجرا عظيما يا نساء النبي من يأت
منكن بفاحشة سيئة بليغة في القبح مبينة ظاهرة فحشها من بين بمعنى تبين
وبفتح الياء مكي وشامي يضعف ابو عمرو ويزيد ويعقوب وابو بكر وقيل
هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وقيل الزنا والله
عاصم رسوله من ذلك يضاعف لها العذاب يضعف لها العذاب
مكي وشامي نضعف ابو عمرو ويزيد ويعقوب ضعفين ضعفي عذاب
غيرهن من النساء لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن فزيادة قبح
المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي عم
ولذا كان الذم للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من
العالم اقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد ولا يرجم الكافر وكان ذلك
اي تضعيف العذاب عليهن على الله يسيرا هينا ومن يقنت منكن لله
ورسوله القنوت الطاعة وتعمل صالحا نؤتها وبالياء فيهما حمزة وعلي
اجرها مرتين مثلي ثواب غيرها واعتدنا لها رزقا كريما جليل القدر
وهو الجنة يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اي لستن كجماعة واحدة
من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة
واحدة تساويكن في الفضل واحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم

وضع

وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ان اتقيتن
ان اردتن التقوى وان كن متقيات فلا تخضعن بالقول اي اذا كلمتن الرجال
من وراء حجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات فيطمع
بالنصب على جواب النهي الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقلن قولا
معروفا حسنا مع كونه خشنا وقرن مدني وعاصم وغير هبيرة واصله اقررن
فحذفت الراء تخفيفا والقيت فتحتها على ما قبلها او من قار يقار اذا اجتمع والباقون
قرن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن فرارا من
التكرير ونقلت كسرتها الى القاف في بيوتكن بضم الباء بصري ومدني
وحفص ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى اي القديمة والتبرج التبختر في
المشي او اظهار الزينة والتقدير ولا تبرجن تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية
الاولى وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم او ما بين ادم ونوح او زمن داود
وسليمان عليهم السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام
والجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق والفجور في الاسلام واقمن الصلاة وآتين الزكوة واطعن الله
ورسوله خص الصلوة والزكوة بالامر ثم عم الامر بجميع الطاعات تفضيلا
لهما او من واظب عليهما جرتاه الى ما وراءهما انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس الاثم اهل البيت نصب على النداء او على المدح وفيه دليل على ان
نساءه من اهل بيته وقال عنكم لانه اريد الرجال والنساء من آله ويطهركم
تطهيرا من نجاسة الآثام ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا
يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا بالتقوى
واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات
يتلوث بها كما يتلوث بالارجاس واما المحسنات فالعرض منها نقي كالثوب
الطاهر وفيه تنفير لاولي الالباب عن المناهي وترغيب لهم في الاوامر واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله القرآن والحكمة اي السنة او بيان
معاني القرآن ان الله كان لطيفا عالما بغوامض الاشياء خبيرا
عالما بحقائقها اي هو عالم بافعالكن واقوالكن فاحذرن مخالفة امره
ونهيه ومعصية رسوله عليه السلام ولما نزل في نساء النبي عليه السلام

ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ المسلم
الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله
المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله وَالْمُؤْمِنِينَ المصدقين بالله ورسوله
وبما يجب ان يصدق به وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ القائمين بالطاعة وَالْقَانِتَاتِ
وَالصَّادِقِينَ في النيات والاقوال والاعمال وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
على الطاعات وعن السيئات وَالْخَاشِعِينَ المتواضعين لله بالقلوب والجوارح
او الخائفين وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ فرضا ونفلا وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ فرضا ونفلا وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين
ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ عن ما لا
يحل وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا بالتسبيح والتحميد والتهليل
والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات
فروجهن وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير
وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر والمعنى والحافظات وَالذَّاكِرَاتِ
الله فحذف لدلالة ما تقدم عليه والفرق بين عطف الاناث على الذكور وبين
عطف الزوجين ان الاول نظير قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان
واشتركا في حكم واحد فلم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما الثاني
فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه ان الجامعين والجامعات
لهذه الطاعات أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة على مولاه زيد بن حارثة
فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ اي
وما صح لرجل مؤمن ولا لامراة مؤمنة إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ اي رسول
الله عليه السلام أَمْرًا من الامور أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ اي
يختارون من امرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم
تلو الاختياره وانما جمع الضمير في لهم وان كان من حقه ان يوحد لان المذكورين
وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ
وان يكون بالياء كوفي والخيرة ما يتخير ودل ذلك على ان الامر للوجوب
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا وَإِذْ تَقُولُ فان كان

العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان
فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطاء وفسق وَإِذْ تَقُولُ
لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بالاسلام الذي هو اجل النعم وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
بالاعتاق والتبني فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن
حارثة رضي الله عنه أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ يعني زينب بنت جحش
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت
في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها
قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب رضي الله عنها بالتسبيحة فذكرتها لزيد
ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اريد افارق صاحبتي فقال ما لك
لا اريبك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها
وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك وَاتَّقِ اللَّهَ فلا تطلقها وهو نهي
تنزيه اذ الاولى ان لا يطلق او اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى
الزوج وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ اي تخفي في نفسك نكاحها ان طلقها
زيد وهو الذي ابداه الله وقيل الذي اخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة
مفارقة زيد اياها والواو في وتخفي وَتَخْشَى النَّاسَ اي قالة الناس
بانه نكح امراة ابنه وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ واو الحال اي تقول لزيد
امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا
قالة الناس وتخشى حقيقا في ذلك بان تخشى الله وعن عائشة رضي الله عنها
لو كتم رسول الله شيئا مما اوحى الله اليه لكتم هذه الاية فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ
مِنْهَا وَطَرًا الوطر الحاجة فاذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة
قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها
همته وطلقها وانقضت عدتها زَوَّجْنَاكَهَا روي انها لما اعتدت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب
على زينب قال زيد فانطلقت وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك
ففرحت وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم
على امراة من نسائه مثل ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم

في نفسك

حتى امتد النهار لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا قيل قضاء الوطر ادراك الحاجة وبلوغ المراد منه
وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل
لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له احل له وامر له وهو نكاح
زينب امراءة زيد او قدر له من عدد النساء سنة الله اسم موضوع موضع
المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه
قيل من الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام
على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاير
والسرايي وكانت لداود عليه السلام مائة امراءة وثلثمائة سرية ولسليمان
عليه السلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية في الذين خلوا من قبل في
الانبياء الذين مضوا من قبله وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا
وحكما مبتوتا ولا وقف عليه ان جعلت الذين يبلغون رسالات الله
بدل الذين الاول ووقف على ان جعلته في محل الرفع او النصب على المدح اي هم
الذين يبلغون او اعني الذين يبلغون ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
وصف الانبياء عليهم السلام بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح
في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف
او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بان يخشى منه ما كان محمد ابا
احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم حقيقة حتى تثبت بينه وبينه ما ثبت
بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين
والحسن والحسين رضي الله عنهما لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم
توفوا صبيانا ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب
التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر
احكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا
بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والتبني من باب الاختصاص والتقريب
لا غير وخاتم النبيين بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع اي اخرهم يعني لا ينبأ
احد بعده وعيسى ممن نبأ قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد عليه السلام كا

من بعض امته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم ويقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا اثنوا عليه بضروب الثناء واكثروا ذلك وسبحوه بكرة
اول النهار واصيلا اخر النهار وخصا بالذكر لان ملائكة الليل وملائكة
النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والفعلان اي اذكروا الله وسبحوه متوجهان
الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما
اختص من بين انواعه اختصاص جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة ابانة
لفضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات
وجاز ان يراد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة
الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر واصيلا وهي صلاة الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وصلوة الفجر والعشائين هو الذي يصلي عليكم
وملائكته لما كان من شأن المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن
ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمراءة في
حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله
عليك اي ترحم عليك وترأف والمراد بصلوة الملائكة اللهم صل على المؤمنين
جعلوا لكونهم مستجاب الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذي
يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر
على الصلوة والطاعة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات المعصية
الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما هو دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة
وروي انه لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله
عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فنزلت تحيتهم
من اضافة المصدر الى المفعول اي تحية الله لهم يوم يلقونه يرونه سلام
يقول الله تعالى السلام عليكم واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا
قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال
مقدرة كما تقول مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد

عدا اي معتدا به الصيد عدا وَمُبَشِّرًا للمؤمنين بالجنة وَنَذِيرًا للكافرين بالنار
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ بامره او بتيسيره والكل منصوب على الحال وَسِرَاجًا
مُنِيرًا جلي به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج
سراجا منيرا ووصف بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت
فتيلته او شاهدا بوحدانيتنا ونذيرا بنقمتنا وداعيا الى عبادتنا وسراجا
وحجة ظاهرة لحضرتنا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا
ثوابا عظيما وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ والمراد به التهييج او الدوام والثبات
على ما كان عليه وَدَعْ أَذَاهُمْ بمعنى الايذاء فيحتمل ان يكون مضافا الى الفاعل
اي اجعل ايذاءهم اياك في جانب ولا تبال بهم ولا تخف من ايذائهم او الى
المفعول اي دع ايذائك اياهم مكافاة لهم وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فانه يكفيكم وَكَفَى
بِاللَّهِ وَكِيلًا وكفى به مفوضا اليه وقيل انه وصفه بخمسة اوصاف وقابل
كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون
شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير
والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع
اقباله على المؤمنين وهو مناسب البشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك
اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين في
المستقبل وقابل الداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل
على الله يسر عليه كل عسير وقابل السراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان
من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ اي تزوجتم والنكاح هو الوطي
في الاصل وتسمية العقد نكاحا لملابسته له حيث انه طريق اليه كتسمية
الخمر اثما لانه سببه وكقول الراجز اسنمة الآبال في سحابة سمى الماء باسنمة
الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب
الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطي من باب التصريح به ومن اداب
القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان
وفي تخصيص المؤمنات مع ان الكتابيات تساوي المؤمنات في هذا الحكم
اشارة الى ان الاولى بالمؤمن ان ينكح مؤمنة ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ

ان

أَنْ تَمَسُّوهُنَّ والخلوة الصحيحة كالمس فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا
فيه دليل على ان العدة تجب على النساء للرجال ومعنى تعتد ونها تستوفون
عددها تفتعلون من العد فَمَتِّعُوهُنَّ والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول
بها ولم يسم لها مهرا دون غيرها وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا اي لا تمسكوهن
ضرارا او اخرجوهن من منازلكم اذ لا عدة لكم عليهن يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ مهورهن اذ المهر اجر على البضع
ولهذا قال الكرخي رحمه الله ان النكاح بلفظ الاجارة جائز وقلنا التأبيد
من شرط النكاح والتاقيت من شرط الاجارة وبينهما منافاة وايتاؤها
واعطاؤها عاجلا وفرضها وتسميتها في العقد وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا
أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وهي صفية وجويرية رضي الله عنهما فاعتقهما وتزوجهما
وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي
هَاجَرْنَ مَعَكَ ومعنى القران مع النبي في الهجرة بل لوجودها كقوله
واسلمت مع سليمان وعن ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت
اليه فعذرني فانزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه وَامْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها
ولم تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده احد منهن بالهبة
وقيل الواهبة نفسها ميمونة بنت الحارث او زينب بنت خزيمة او ام شريك
بنت جابر او خولة بنت حكيم وقرا الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف
اللام وقرا ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
استنكاحا طلب نكاحها والرغبة فيه وقيل نكح واستنكح بمعنى والشرط
الثاني تقييد للشرط الاول شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة
استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت
لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها او ارادته هي قبول الهبة وما به تتم
وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل خَالِصَةً بلا مهر حال من الضمير
في وهبت او مصدر مؤكد اي خلص لك حلالا ما احللنا لك خالصة بمعنى

خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعاقبة والكاذبة لك من دون
المؤمنين. بل يجب المهر لغيرك وان لم يسمه او نفاه عدل عن الخطاب الى الغيبة
في قوله للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب ليؤذن ان الاختصاص تكرمة
له لاجل النبوة وتكرير تفخيم له قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
اي ما اوجبنا من المهور وعلى امتك في زوجاتهم او ما اوجبنا عليهم في ازواجهم
من الحقوق وما ملكت ايمانهم بالشري وغيره من وجوه الملك وقوله
لكيلا يكون عليك حرج ضيق متصل بخالصة لك من دون المؤمنين
وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم جملة اعتراضية
وكان الله غفورا رحيما بالتوسعة على عباده ترجي بلا همز مدني
وحمزة وعلي وحفص وبهمز غيرهم تؤخر من تشاء منهن وتؤوي اليك
من تشاء تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن من شئت وتقسم لمن شئت
او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وهذه قسمة جامعة
لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك
وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها روي انه
ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكانت ممن آوى
اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه
كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة
رضي الله عنهما وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ومن ابتغيت
ممن عزلت فلا جناح عليك اي ومن دعوت الى فراشك وطلبت
صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك في ذلك اي ليس اذا
عزلتها لم يجز لك ردها الى نفسك ومن رفع بالابتداء وخبره فلا جناح ذلك
التفويض الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما
آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لانهن اذا علمن ان هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب
التغاير وحصل الرضاء وقرت العيون قوله كلهن بالرفع تاكيد لنون يرضين
وقرئ ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ شاذا كلهن بالنصب

تاكيد

تاكيد لهن في آتيتهن والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما
دبر من ذلك وفوض الى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله
عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق ان يتقى وعد
لا يحل لك النساء بالتاء ابو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير لان تأنيث
الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قال نسوة فمع الفصل اجوز من بعد
من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج
كما ان الاربع نصاب امته ولا ان تبدل بهن من ازواج وهو بالطلاق
والمعنى ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا آخر بكلهن او بعضهن
كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة وحفصة وام حبيبة
وسودة وام سلمة وصفية وميمونة وزينب بنت جحش وجويرية ومن في
قوله من ازواج لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم ولو
اعجبك حسنهن في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل اي تبدل
لا من المفعول الذي هو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك
بهن وقيل هي اسماء بنت عميس امراة جعفر بن ابي طالب فانها ممن اعجبه حسنهن
وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
احل الله له ان يتزوج من النساء ما شاء يعني ان الاية نسخت ونسخها اما
بالسنة او بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب
المصحف الا ما ملكت يمينك استثنى ممن حرم عليه الاماء ومحل ما رفع
بدل من النساء وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا وهو تحذير عن مجاوزة
حدوده يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين اناه ان يؤذن لكم في موضع الحال اي لا تدخلوا
لا تدخلوا الا ماذونا لكم او في معنى الظرف تقديره الا وقت ان يؤذن
لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا الا غير ناظرين اي غير منتظرين
وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون
ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون
للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه واني الطعام ادراكه

يقال اني الطعام اي كقولك قلاه فقلي وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت
الطعام وساعة اكله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اولم على زينب
بخبز وسويق وشاة وامر انسا رضي الله عنه ان يدعوا بالناس فترادفوا
افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت
حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي
ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله عليه السلام ليخرجوا وطاف
بالحجرات وسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما راه متوليا
خرجوا ونزلت ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
فتفرقوا ولا مستأنسين لحديث هو مجرور معطوف على ناظرين او منصوب
اي ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم
ببعض لاجل حديث يحدثه به ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم
من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى
منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق
ان لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء
وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال
فاذا طعمتم واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي عليه السلام لدلالة بيوت
النبي صلى الله عليه وسلم لان فيها نساءه متاعا عارية او حاجة فاسألوهن
المتاع من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من خواطر
الشيطان وعوارض الفتن وكانت النساء قبل نزول هذه الاية يبرزون
للرجال وكان عمر رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويود ان ينزل
فيه وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المؤمنين بالحجاب فنزلت وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا
الا من وراء حجاب لان مات محمد لاتزوجن فلانة فنزل ما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي وما صح لكم
ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعده من
بعد موته ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ذنبا عظيما ان تبدوا

شيئا من اذى النبي عليه السلام او من نكاحهن او تخفوه في انفسكم من
ذلك فان الله كان بكل شيء عليما فيعاقبكم به ولما نزلت اية الحجاب قال
الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب
فنزلت لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء
اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت
ايمانهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال
لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله
ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق واسماعيل عم يعقوب وعبيد من عند
الجمهور كالاجانب ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل
فضل تشديد كانه قيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل
فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه ان الله كان على كل شيء شهيدا عالما
قال ابن عطاء الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
اي قولوا اللهم صل على محمد وصلى الله على محمد وسلموا تسليما اي قولوا
اللهم سلم على محمد وانقادوا لامره وحكمه انقيادا وسئل عليه الصلوة والسلام
عن هذه الاية فقال ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي
الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذلك الملكين
امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله
لك وقال الله وملائكته لذلك الملكين امين ثم هي واجبة مرة عند الكرخي
وكلما اذكر اسمه عند الطحاوي وهو الاحتياط وعليه الجمهور وان صلى
على غيره على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي واله فلا كلام فيها واما
اذا افرد غيره من اهل البيت فمكروه وهو من شعار الروافض ان الذين
يؤذون الله ورسوله اي يؤذون رسول الله وذكر اسم الله للتشريف او عبر
بايذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى الله ورسوله كالكفر وانكار
النبوة مجازا وانما جعل مجازا وحقيقة الايذاء يتصور في رسول الله لئلا
يجتمع المجاز والحقيقة تحت لفظ واحد لعنهم الله في الدنيا والاخرة
طردهم عن رحمته في الدارين واعد لهم عذابا مهينا في الاخرة والذين

يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اطلق ايذاء الله ورسوله وقيد
ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان ذاك يكون غير حق ابدا واما هذا فمنه كالحد
والتعزير ومنه باطل قيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا ويسمعونه
وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان
تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف فقد احتملوا بهتانا تحملوا كذبا عظيما
واثما مبينا ظاهرا يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ما يستر الكل مثل الملحفة عن المبرد
ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين وجوههن واعطافهن
يقال اذا زال الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك على وجهك ومن للتبعيض اي
ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها فتتقنع حتى يتميز من الامة وذلك ان النساء
في اول الهجرة كن على هجيراهن في التبذل لان تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة
والامة وكان الفتيان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخل
والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بحساب الامة فامرن ان يخالفن بزيهن
عن زي الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع
وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي اولى واجدر بان يعرفن
فلا يتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بتعليمهن
اداب المكارم لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن نيتهم
فجورهم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة
هم ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب
المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا
غير ثابت من الرجفة هي الزلزلة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم او
لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها في المدينة وهو عطف
على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به والقسم لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا
يجاورونك ولما كان الجلاء عن الوطن اعظم من جميع ما اجيبوا به عطف
بثم لبعد حاله عن حال المعطوف عليه الا قليلا زمانا قليلا والمعنى
لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون

عنها

عنها يؤلفون من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافعال التي تسوءهم بان يضطروا
الى طلب الجلاء عن المدينة فان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا ريثما يرتحلون
فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين نصب على الشتم
او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين فالاستثناء دخل على الظرف والحال
معا كما مر ولا ينتصب على اخذوا لان ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها
اينما ثقفوا وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا والتشديد يدل على
التكثير سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون
الانبياء اي يقتلوا اينما وجدوا في الذين خلوا مضوا من قبل ولن تجد
لسنة الله تبديلا اي لا يبدل الله سنته بل يجريها مجرى واحدا في الامم يسألك
الناس عن الساعة كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله
عمى وقتها في التورية وفي كل كتاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يجيبهم بانه قد استاثر الله به ثم بين لرسوله عليه السلام انها قريبة
الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين بقوله قل انما علمها عند الله
وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يكون شيئا قريبا او لان الساعة
في معنى الزمان ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد
خالدين فيها ابدا هذا رد مذهب الجهمية لانهم يزعمون ان الجنة والنار
يفنيان ولا يقف على سعيرا لان قوله خالدين حال عن الضمير في لهم ولا يجدون
وليا ولا نصيرا ناصرا يمنعهم اذكر يوم تقلب وجوههم في النار تصرف
في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت وخصت الوجوه لان اكرم
موضع على الانسان من جسده او يكون الوجه عبارة عن الجملة يقولون
حال يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فنتخلص من هذا العذاب فيتمنون
حين لا ينفع التمني وقالوا ربنا انا اطعنا ساداتنا جمع سيد ساداتنا
شامي وسهل ويعقوب بجمع الجمع والمراد رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم وكبراءنا ذوي الاسنان منا او علماءنا فاضلونا السبيلا
يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل
الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع

وانما بعده مستانف ربنا اتهم ضعفين من العذاب للضلال والاضلال والعنهم لعنا كبيرا وبالباء عاصم ليدل على اشد اللعن واعظمه وغيره بالثاء تكثيرا لاعداد اللعاين ونزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ما مصدرية او موصولة وايهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الامر المعيب واذى موسى هو حديث الوسنة التي ارادها قارون على قذفها بنفسها او اتهامهم اياه بقتل هارون عليهما السلام فاحياه الله تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما اخبر ببراءة نبينا عليه السلام بقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة مستجاب الدعوة وقرأ ابن مسعود والاعمش يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قاصدا صدقا وصوابا او قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل والمراد نهاهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله ولا يقف على سديدا لان جواب الامر قوله يصلح لكم اعمالكم يقبل طاعاتكم او يوفقكم لصالح الاعمال ويغفر لكم ذنوبكم اي يمحها والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله عليه السلام وهذه على الامر باتقاء الله وحفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد في قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوي الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اتبعه قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وهو يريد بالامانة الطاعة لله وبحمل الامانة الخيانة يقال فلان حامل للامانة ومحتمل لها اي لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته اذ الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم يبق

راكبة له وهو حامل لها يعنيان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله انقياد امثالها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي يليق بها حيث لم يمتنع على مشيته وارادته تكوينا وتسويته على هيئة مختلفة واشكال متنوعة كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وكما اخبر ان الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله وان من الحجارة لما يهبط من خشية الله واما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لاوامر الله تعالى ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع وهذا معنى قوله فابين ان يحملنها اي ابين الخيانة فيها وان لا يؤديها واشفقن منها وخفن من الخيانة فيها وحملها الانسان اي خان فيها وابى الا ان لا يؤديها انه كان ظلوما لكونه تاركا لاداء الامانة جهولا لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها قال الزجاج الكافر والمنافق حملا الامانة اي خاناها ولم يطيعا ومن اطاع من الانبياء عليهم السلام والمؤمنين فلا يقال كان ظلوما جهولا وقيل معنى الاية ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه انه لو عرض على اعظم ما خلق من الاجرام واقواه فابى حمله واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القران الا على اساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب فقال اسوي العوج واللام ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات للتعليل لان التعذيب نتيجة حمل الامانة نظيرا للتأديب في قولك ضربته للتأديب فلا يقف الى جهولا ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان نوعا من عذاب الغادر او للعاقبة اي حملها الانسان فآل الامر الى تعذيب الاشقياء وقبول توبة السعداء وكان الله غفورا للتائبين رحيما بعباده

المؤمنين قال الحسن وسعوا دورهم وضيقوا قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا
دينهم وانصبوا انفسهم الى باب السلطان بالغدو والرواح مع العمائم
الرقاق والقلوب المملوة بالنفاق يتعرضون للبلاء ويتكئ احدهم على شماله
ويأكل من غير ماله يقول لغلامه اذا بلغ به الكظة ونزل به البطنة ايتنا
بهضم الطعام اتهضم طعامك ام دينك يا احمق اين انت من قول الله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان الم يهمك اداء الامانة التي حملتها حتى اخذت
تنظر في عطفيك وتتبختر في مشيتك هيهات ما ابعدك عن طريق المتقين وسيرة
المؤمنين

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد ان اجري على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود وان اجري على الاستغراق
فله اجل المحامد الاستحقاق لله بلام التمليك لانه خالق ناطق الحمد اصلا
فكان بملكه مآل الحمد اهلا للتحميد الذي له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وقهرا فكان حقيقا بان يحمد سرا وجهرا وله الحمد في الآخرة
كما في الدنيا اذ المنعم في الدارين هو المولى غير ان الحمد واجب لان الدنيا دار تكليف
وثم لا لعدم التكليف وانما يحمد اهل الجنة سرورا بالنعيم وتلذذا بما نالوا
من الاجر العظيم بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن وهو الحكيم بتدبير ما في السماء والارض الخبير بضمير من يحشر
ليوم الجزاء والعرض يعلم مستأنف ما يلج يدخل في الارض من الاموات
والدفائن وما يخرج منها من النبات وجواهر المعادن وما ينزل من السماء
من الامطار وانواع البركات وما يعرج فيها يصعد اليها من الملائكة
والدعوات وهو الرحيم بانزال ما يحتاجون اليه الغفور لما يجترؤن عليه
وقال الذين كفروا اي منكروا البعث لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار
لمجيء الساعة قل بلى اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا
اتيانها وربي لتأتينكم ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد
والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا
المقسم به من الوصف بقوله عالم الغيب عالم بالجر صفة لربي او بدل

وهو قراءة عاصم وابي عمرو ومكي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال
المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر
وكلما كان المستشهد به ارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد
عليه اثبت وارسخ ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في
الحقيقة كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب اولى واحق علام الغيب حمزة وعلي على
المبالغة لا يعزب عنه وبكسر الزاي علي يقال عزب يعزب ويعزب اذا غاب
وبعد مثقال ذرة وان مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض ولا
اصغر من ذلك من مثقال ذرة ولا اكبر من مثقال ذرة الا في كتاب
مبين الا في اللوح المحفوظ ولا اصغر ولا اكبر بالرفع عطف على مثقال
ذرة ويكون الا بمعنى لكن او رفعا بالابتداء والخبر في كتاب واللام في ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة لما قصروا
من مدارج الايمان ورزق كريم لما صبروا عليه من مناهج الاحسان متعلق
بلتأتينكم تعليلا له والذين سعوا في آياتنا جاهدوا في رد القرآن
معاجزين مسابقين ظانين انهم يفوتوننا معجزين مكي وابو عمرو اي
مثبطين الناس عن اتباعها وتأملها او ناسبين الله الى العجز اولئك لهم
عذاب من رجز اليم مكي وحفص ويعقوب صفة لعذاب اي عذاب اليم من سيء
العذاب قال قتادة الرجز سوء العذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز ويرى
في موضع الرفع بالاستيناف اي ويعلم الذين اوتوا العلم يعني اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ومن يطأ اعقابهم من امته
او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار رضي
الله عنهما والمفعول الاول ليرى الذي انزل اليك من ربك يعني
القرآن هو الحق اي الصدق وهو فصل والحق مفعول ثان او في موضع
النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق
علما لا يزاد عليه في الايقان ويهدي الله او الذي انزل اليك الى صراط
العزيز وهو دين الله وقال الذين كفروا قال قريش بعضهم لبعض هل ندلكم
على رجل يعنون محمدا عليه السلام وانما نكروه مع انه كان مشهورا
علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم تجاهلا به وبامره وباب

البتاهل في البلاغة والى سحرها ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق
جديد اي يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب فانكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا
بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلا كل ممزق اي يفرقكم
كل تفريق فالممزق مصدر بمعنى التمزيق والعامل في اذا ما دل عليه انكم
لفي خلق جديد اي تبعثون والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين يقول
جد فهو جديد كقل فهو قليل ولا يجوز انكم بالفتح للام في خبره افترى على
الله كذبا اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب من ذلك والهمزة للاستفهام
وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها ام به جنة جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب
والضلال البعيد ثم قال سبحانه ليس محمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء
والجنون في شيء وهو مبرؤ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون
في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك
وذلك اجن الجنون جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال
كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه
جعلا كانهما مقترنان ووصف الضلال بالبعيد من الاسناد المجازي
لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة افلم يروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم وبالادغام
علي للتقارب بين الفاء والباء وضعفه البعض لزيادة ضعف الفاء على الباء
الارض او نسقط الثلاثة بالياء كوفي غير عاصم لقوله افترى على الله
كذبا عليهم كسفا كسفا حفص من السماء اي اعموا فلم ينظروا الى السماء
والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم
لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارها وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت
الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات
وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك
النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لآية
لدلالة لكل عبد منيب راجع بقلبه الى ربه مطيع له اذ المنيب لا يخلو
من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفره

ولقد

ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال بدل من فضلا او من آتينا بتقدير قولنا
يا جبال او قلنا يا جبال اوبي معه من التأويب اي رجعي معه التسبيح
ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع
منها كما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام والطير عطف على محل
الجبال والعطف الطير عطف على لفظ الجبال وفي هذا النظم من الفخامة
التي لا تخفى جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذا دعاهم
اجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد الا وهو منقاد لمشيئته ولو
قال آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير لم يكن فيه هذه
الفخامة والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين يصرفه بيده
كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من
شدة القوة ان اعمل ان بمعنى اي امرناه ان اعمل سابغات دروعا
واسعة تامة من السبوغ وهو اول من اتخذها وكان يبيع الدرع باربعة
الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج
متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول ما تقولون في داود فيثنون عليه
فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا
خصلة فيه وهو انه يطعم عياله من بيت المال فسأل ربه ان يسبب له ما
يستغني عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر في السرد لا تجعل المسامير
دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا الضمير
لداود عليه السلام واهله صالحا خالصا يصلح للقبول اني بما تعملون
بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا
ورفع الريح ابو بكر وحماد والمفضل اي ولسليمان الريح مسخرة غدوها
شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وكان
يغدو من دمشق فيقيل باصطخر فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من اصطخر
فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدى بالري
ويتعشى بسمرقند واسلنا له عين القطر اي معدن النحاس فالقطر
النحاس وهو الصفر ولكنه اساله فكان يسيل في الشهر ثلاثة ايام كما يسيل
الماء وكان قبل سليمان لا يذوب وسماه عين القطر باسم ما آل اليه ومن

الجن من يعمل من في موضع نصب اي وسخرنا لهم من الجن من يعمل بين يديه
باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من
طاعة سليمان عليه السلام نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة وقيل
كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته
يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد او مساكن وتماثيل اي صور السباع
والطيور وروي انهم اعملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا
اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وكان التصوير مباحا حينئذ وجفان جمع جفنة كالجواب جمع
جابية وهو الحياض الكبار وقيل كان يقعد على الجفنة الف رجل كالجوابي
في الوصل والوقف مكي ويعقوب وسهل ووافق ابو عمرو في الوصل الباقون
بغير ياء اكتفاء بالكسرة لقوله يوم يدع الداع وقدور راسيات ثابتات
على الاثافي لا ينزل عنها لعظمها وقيل انها باقية باليمن وقلنا لهم اعملوا
آل داود شكرا اي ارحموا اهل البلاء وسلوا ربكم العافية عن الفضيل
وشكرا مفعول له او حال اي شاكرين واشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى
اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر او مفعول به يعني انا سخرنا لكم الجن
يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا وسئل الجنيد قدس الله روحه عن
الشكر فقال بذل المجهود بين يدي المعبود وقليل من عبادي الشكور بسكون
الياء حمزة وغيره بفتحها الشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه
فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الشكور من يشكر على احواله كلها وقيل من يشكر على
الشكر او من يرى عجزه عن الشكر وعن داود عليه السلام جزا ساعات الليل
والنهار على اهله فلم يكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود
عليه السلام قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان عليه السلام
ما دلهم اي الجن او آل داود على موته الا دابة الارض اي الارضة
وهي دويبة يقال لها سرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت
الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة تاكل منساته المنساة العصا لانه ينسأ
بها اي يطرد ومنساته بغير همز مدني وابو عمرو فلما خر سقط سليمان

عليه السلام

عليه السلام تبينت الجن علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا بعد موت سليمان عليه السلام في
العذاب المهين روي ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس في موضع
فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان عليه السلام
فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ان يعمي عليهم موته حتى
يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان عليه السلام ثلثا وخمسين
سنة وملك وهو ابن ثلث عشر سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ
بيت المقدس لاربع مضين من ملكه وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه
فلما دنى ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر بعد ان يدنوا منه لقد
كان لسبأ بالصرف بتاويل الحي وبعدمه ابو عمرو بتاويل القبيلة في
مسكنهم حمزة وحفص مسكنهم علي وخلف وهو موضع سكناهم وهو بلدهم
وارضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن او مسكن كل واحد منهم غيرهم مساكنهم
آية اسم كان جنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية
جنتان ومعنى كونهما آية ان اهلهما لما اعرضوا عن الشكر اسلبهم النعمة
ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا من الكفر وغمط المنعم او جعلهما
آية اي علامة دالة على قدرة الله واحسانه ووجوب شكره عن يمين وشمال
اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالهم او كل واحدة
من الجماعتين في تقاربهما وتضامهما كانها جنة واحدة كما يكون بساتين
البلاد العامرة او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كلوا
من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم انبياء الله عليهم السلام
المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك
ولما امرهم بذلك اتبعه بلدة طيبة ورب غفور اي هذه البلدة التي
فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن
شكره قال ابن عباس رضي الله عنهما على ثلاث فراسخ من صنعاء وكانت اخصب
البلاد تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر
فيمتلئ المكتل بما يتساقط من الثمر واطيبها ليس فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث
ولا عقرب ولا حية ومن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها فاعرضوا

عن دعوة انبيائهم وكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فأرسلنا عليهم سيل
العرم اى المطر الشديد او العرم اسم الوادي او هو الجرذ الذي نقب
عليهم السكر قالوا لما طغوا سلطه الله عليهم فنقبه من اسفله فغرقهم
وبدلناهم بجنتيهم المذكورتين جنتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة وازدواج
الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ذواتى اكل خمط الاكل الثمر
يثقل ويخفف وهو قراءة نافع ومكي والخمط شجرة الاراك او كل شجر ذي شوك
واثل وشيء من سدر قليل الاثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود
عودا ووجه من نون الاكل وهو غير ابي عمرو ان اصله ذواتى اكل خمط
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل
ذواتى اكل بشع ووجه ابي عمرو ان اكل الخمط في معنى البرير فكانه قيل
ذواتى برير والاثل والسدر معطوفان على الاكل لا على خمط لان الاثل
لا اكل له وعن الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا لانه يكون في الجنان ذلك
جزيناهم بما كفروا اى جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثان مقدم
وهل نجازي الا الكفور كوفي غير ابي بكر وهل يجازى الا الكفور غيرهم
يعني وهل يجازى بمثل هذا الجزاء الا من كفر النعمة ولم يشكرها او كفر
بالله او هل يعاقب لان الجزاء وان كان عاما يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى
الاثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب وعن الضحاك كانوا في الفترة التي
بين عيسى ومحمد عليهما السلام وجعلنا بينهم بين سبا وبين القرى التي
باركنا فيها بالتوسعة على اهلها في النعم والمياه وهي قرى الشام قرى
ظاهرة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او
ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهي اربعة الاف وسبعمائة
قرية متصلة من سبا الى الشام وقدرنا فيها السير اى جعلنا هذه
القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر في قرية ويروح في اخرى الى ان يبلغ الشام
سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت
لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك ليالي واياما امنين اى سيروا
فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف
الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وان

تطاولت

تطاولت مدة سفرهم وامتدت اياما وليالي فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
قالوا ليتها كانت بعيدة فنسير على نجائبنا ونربح في التجارات ونفاخر في
الدواب والاسباب بطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب بعد
مكي وابو عمرو وظلموا انفسهم بما قالوا فجعلناهم احاديث يحدث
الناس بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم تفريقا
اتخذه الناس مثلا يقولون ذهبوا ايادي سبا فلحق غسان بالشام وانمار
بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
للنعم او لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه بتشديد الدال كوفي اى حقق عليهم ظنه او وجده
صادقا وبالتخفيف غيرهم اى صدق في ظنه فاتبعوه الضمير في عليهم واتبعوه
لاهل سبا او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا من المؤمنين
لقلتهم بالاضافة الى الكفار ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم
لابليس على الذين صار ظنه فيهم صدقا من سلطان من تسليط واستيلاء
بالوسوسة الا لنعلم موجودا ما علمناه معدوما والتغير على المعلوم
لا على العلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء
حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل لمشركي قومك ادعوا
الذين زعمتم من دون الله اي زعمتموهم الهة من دون الله فالمفعول الاول
الضمير الراجع الى الموصول وحذف كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله
استخفافا لطول الموصول بصلته والمفعول الثاني الهة وحذف لانه
موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة
مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين
والمعنى ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة
وسميتموهم باسمه والتجئوا اليه فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا
استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون
مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات ولا في الارض
وما لهم فيهما من شرك في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك
وما له تعالى منهم من الهتهم من ظهير من عوين يعينه على تدبير خلقه

يريد انهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصح ان يدعوا كما يدعي ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له الله يعني الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهي
اللام الثابتة في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وهذا تكذيب لقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله اذ ذلك كوني غير عاصم الا الاعشى حتى اذا فزع
عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم
بها رب العزة في اطلاق الاذن وفزع شامي اي الله تعالى والتفزيع ازالة
الفزع وحتى غاية لما فهم من ان ثم انتظارا الاذن وتوقفا وفزعا من الراجين
للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن لهم كانه قيل يتربصون
ويتوقفون فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا سال بعضهم بعضا
ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن
ارتضى وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك قال ولا نبي ان
يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى
الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم معترفون به
بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم
لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من
لا يقدر على الرزق وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم
يزد على اقرارهم بالسنتهم لا يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الموحدين ومن المشركين
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من كلام المنصف الذي كل
من سمعه من موال ومناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي
درجه بعد تقدمه ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على ما هو من
الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض اوصل
بالمجادل الى الغرض ونحوه قولك الكاذب ان احدنا لكاذب وخولف بين
حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كانه مستعل
على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام لا يدري
اين يتوجه قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف

من الاول

من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين وهو مامور به مشكور والعمل
الى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة
ثم يفتح يحكم بيننا بالحق بلا جور وميل وهو الفتاح العليم بالحكم
قل اروني الذين الحقتم اي الحقتموهم به بالله شركاء في العبادة
معه ومعنى قوله اروني وكان يراهم ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء
بالله وان يطلعهم على احالة الاشراك به كلا كلا ردع وتنبيه اي ارتدعوا
عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالكم بل هو الله العزيز الغالب فلا يشاركه
احد وهو ضمير الشان الحكيم في تدبيره وما ارسلناك الا كافة للناس
الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها
احد منهم وقال الزجاج معنى الكافة في اللغة الاحاطة والمعنى ارسلناك
جامعا للناس في الانذار والابلاغ فيكون حالا من الكاف والتاء على هذا
للمبالغة كتاء الرواية والعلامة بشيرا بالفضل لمن اقر ونذيرا بالعدل
لمن اصر ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون
متى هذا الوعد اي القيمة المشار اليها في قوله قل يجمع بيننا ربنا ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد يوم الميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هنا
الزمان ويدل عليه قراءة من قرا ميعاد يوم فابدل منه اليوم واما الاضافة
فاضافة تبيين كما تقول بعير سانية لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
اي لا يمكنكم التاخر عنه بالاستمهال والتقدم اليه بالاستعجال ووجه
انطباق هذا الجواب على سؤالهم انهم سالوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتا
لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا للسؤال على الانكار
والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا
تقدما عليه وقال الذين كفروا ابو جهل وذووه لن نؤمن بهذا
القران ولا بالذي بين يديه اي ما نزل قبل القران من كتب الله او القيمة والجنة
والنار يعني انهم جحدوا ان يكون القران من الله وان يكون لما دل عليه
من الاعادة للجزاء حقيقة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون محبوسون
عند ربهم يرجع يرد بعضهم الى بعض القول في الجدال اخبر عن
عاقبة امرهم ومالهم في الاخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب

ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها
بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب يقول الذين استضعفوا أي الأتباع
للذين استكبروا أي للرؤوس والمقدمين لولا أنتم لكنا مؤمنين
أي لولا دعاؤكم إيانا إلى الكفر لكنا مؤمنين بالله ورسوله قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى أولي الاسم أي نحن حرف
الإنكار لأن المراد إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات
أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم من قبل اختيارهم بعد إذ جاءكم
إنما وقعت إذ مضافا إليها وإن كانت إذ وإذا من الظروف
اللازمة للظرفية لأنه قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف
إليها الزمان بل كنتم مجرمين كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال على
الهدى لا لقولنا وتسويلنا وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
لم يأت بالعاطف في قال الذين استكبروا وأتى في وقال الذين استضعفوا
لأن الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف
على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول
بل مكر الليل والنهار بل مكركم بنا في الليل والنهار فاتسع في الظرف
بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين
على الإسناد المجازي أي الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا
أنكم على حق إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا أشباها والمعنى أن المستكبرين
لما أنكروا بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين
وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون
بقولهم بل مكر الليل والنهار فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا
ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم
إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد وأسروا الندامة أضمروا وأظهروا
وهو من الأضداد وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون يندم
المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم
المضلين لما رأوا العذاب أي الجحيم وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا
أي في أعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به من الأغلال

هل يجزون إلا ما كانوا يعملون في الدنيا وما أرسلنا في قرية من نذير
ينجح إلا قال مترفوها متنعموها ورؤساؤها إنا بما أرسلتم به كافرون
هذه تسلية للنبي عليه السلام مما مني من قومه من التكذيب والكفر بما
جاء به وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا مثل ما قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد
كما قال وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين أرادوا
أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا وظنوا أنهم
لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم
فأبطل الله ظنهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء فربما وسع
على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما
أمر الثواب بقوله قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قدر الرزق
تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى أي وما
جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير
عقلائه سواء في حكم التأنيث والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها
النصب أي يقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا إلا من آمن وعمل
صالحا الاستثناء من كم في تقربكم يعني أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن
الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير
وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة وعن ابن عيسى الأبعثي لكن
ومن شرط جوابه أولئك لهم جزاء الضعف وهو من إضافة المصدر
إلى المفعول أصله فأولئك أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى
جزاء الضعف أن يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرأ يعقوب جزاء
الضعف على معنى فأولئك لهم الضعف جزاء بما عملوا بأعمالهم وهم في
الغرفات أي غرف منازل الجنة وفي الغرفة حمزة آمنون من كل هائل
وشاغل والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب
محضرون قل إن ربي يبسط الرزق يوسع لمن يشاء من عباده ويقدر
له وما أنفقتم ما شرطية في موضع النصب من شيء بيانه فهو يخلفه

يعوضه لا معوض اما عاجلا بالمال او آجلا بالثواب جواب الشرط وهو خير
الرازقين المعطين لان كل ما رزق غيره من سلطان او سيد او غيرهما
فهو من رزق الله اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب
التي ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني
ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ويوم يحشرهم جميعا
ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون وبالياء فيهما حفص ويعقوب
هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني فاسمعي
يا جارة ونحو قوله أأنت قلت للناس اتخذوني الآية قالوا اي الملائكة
سبحانك تنزيها لك ان يعبد معك غيرك انت ولينا الموالاة
خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي يقع على
الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة
بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا
بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك
بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة
غير الله او كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها او صورت
لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صورت لهم الشياطين صور
قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها اكثرهم اكثر الانس
او الكفار بهم بالجن مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا
ضرا لان الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا
مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت
حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون
ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة
الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا بوضع العبادة في غير موضعها معطوف
على لا يملك ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا واذا
تتلى عليهم آياتنا اي اذا قرئ عليهم القرآن بينات واضحات قالوا اي المشركون
ما هذا اي محمد صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم وقالوا ما هذا اي القرآن الا افك مفترى وقال الذين كفروا اي

وقالوا

وقالوا والعدول عنه دليل على انكار عظيم وغضب شديد للحق للقرآن او لامر
النبوة كله لما جاءهم وعجزوا عن الاتيان بمثله ان هذا اي الحق الا سحر
مبين بتوه على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا وما
آتيناهم من كتب يدرسونها اي ما اعطينا مشركي مكة كتبا يدرسونها فيها
برهان على صحة الشرك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ولا
ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله
وكذب الذين من قبلهم اي وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون
الخالية الرسل كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم اي وما
بلغ اهل مكة عشر ما اوتي الاولون من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة
الاموال فكذبوا رسلي فكيف كان نكير للمكذبين الاولين فليحذروا
من مثله وبالياء في الوصل والوقف يعقوب اي فحين كذبوا رسلهم جاءهم
انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم مستظهرون
فما بال هؤلاء وانما قال فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب
الذين من قبلهم وفعل الذين التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل
مسببا عنه وهو كقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه
وسلم قل انما اعظكم بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان
تقوموا على انه عطف بيان لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين هو في
محل الجر وقيل هو في محل الرفع على تقدير هي ان تقوموا على انه عطف بيان
لها وقيل هو بدل وعلى هذين الوجهين والنصب على تقدير اعني واراد
بقيامهم القيام على مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجمعهم
عنده او قيام القصد الى الشيء دون النهوض والانتصاب والمعنى انما
اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله
اي لوجه الله خالصا لا لحمية ولا عصبية بل لطلب الحق مثنى اثنين اثنين
وفرادى فردا فردا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران
فيه نظر الصدق والاخلاص والانصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح الى
الحق وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله

ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصاير
ويمنع من الروية ويقل فيه الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج
التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب ويتفكروا معطوف على تقوموا
ما بصاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون والمعنى
ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي
عذاب شديد وهو عذاب الاخرة وهو كقوله عليه السلام بعثت بين يدي
الساعة ثم بين انه لا يطلب اجرا على الانذار بقوله قل ما سألتكم من اجر
على انذاري وتبليغي الرسالة فهو لكم جزاء الشرط تقديره اي شيء سألتكم
من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة ومعناه نفي مسئلة الاجر راسا
نحو ما لي في هذا فهو لك اي ليس لي فيه شيء ان اجري مدني وشامي
وابو عمرو وحفص وبسكون الياء غيرهم الا على الله وهو على كل شيء
شهيد فيعلم اني لا اطلب الاجر على نصحكم ودعائكم اليه الا منه قل ان
ربي يقذف بالحق بالوحي والقذف توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد
ويستعار لمعنى الالقاء ومنه وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت
ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه عليهم السلام ويرمي به
الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب مرفوع على البدل من الضمير
في يقذف او على خبر مبتدا محذوف قل جاء الحق الاسلام او القران وما
يبدئ الباطل وما يعيد اي زال الباطل وهلك لان الابداء والاعادة
من صفات الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنى جاء الحق وهلك الباطل
كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنهما دخل النبي
صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة اصنام فجعل يطعنها بعود بيده
ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد وقيل الباطل الاصنام وقيل ابليس لانه صاحب
الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك اي لا يخلق
الشيطان ولا الصنم احدا ولا يبعثه فالمنشئ والباعث هو الله ولما قالوا
قد ضللت بترك دين ابائك قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
اي ان ذلك عني وعلي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اي فتسديد بالوحي

الى

الى وكان قياس التقابل ان يقال وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله فمن
اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولكن هما متقابلان معنى
لان النفس كل ما عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء
وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف
وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة
محله وسداد طريقته كان غيره اولى انه سميع لما اقوله لكم قريب
مني ومنكم يجازيني ويجازيكم ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا
عظيما وحالا هائلة اذ فزعوا عند البعث او عند الموت او يوم بدر
فلا فوت فلا مهرب او فلا يفوتون الله ولا يسبقونه واخذوا
عطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت او على لا فوت على معنى اذ فزعوا
فلم يفوتوا واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من
ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب وقالوا
حين عاينوا العذاب امنا به بمحمد عليه السلام لمروره ذكره في قوله ما بصاحبكم
من جنة او بالله وانى لهم التناوش من مكان بعيد التناوش التناول
اي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم يريد ان التوبة كانت تقبل
عنهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت عن الاخرة وقيل تمثيل لطلبهم
ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم
في الدنيا مثلت حالهم بحال من يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الاخر من
قيس ذراع والتناؤش بالهمز ابو عمرو وكوفي غير حفص همزة الواو لان
كل واو مضمومة ضمتها لازمة ان شئت ابدلتها همزة وان شئت لم تبدل
نحو قولك ادور وتقاوم وان شئت قلت ادؤر وتقاؤم وعن تغلب التناؤش
من بعد وبغير همز التناول من قرب وقد كفروا به من قبل من قبل
العذاب او في الدنيا ويقذفون بالغيب معطوف على قد كفروا على حكاية
الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب اي بالشيء الغائب يقولون
لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار من مكان بعيد عن الصدق وعن
الحق والصواب او هو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر
ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا

ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء
مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب
ويقذفون مجهول عن ابي عمرو على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم
ويلقنونهم اياه. وان شئت فعلقه وقالوا امنا به على انه مثلهم في طلب
تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم امنا في الاخرة وذلك مطلب
مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد
ان يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا ويجوز ان يكون الضمير في امنا به
للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن
بمعذبين ان كان كما يصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن
اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الاخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفا
بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا ينقاس
على دار التكليف وَحِيلَ وحر بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ من نفع الايمان
يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى
عنهم بقوله ارجعنا نعمل صالحا والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل
كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لتحقق وقوعه كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ
مِنْ قَبْلُ باشباههم من الكفرة إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ في امر الرسل والبعث
مُرِيبٍ موقع للريبة من اراب به اذا اوقعه في الريبة وهذا رد على من
زعم ان الله لا يعذب على الشك

سورة الملائكة خمس واربعون اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حمد ذاته تعظيما وتعليما فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ مبدعها ومبتدعها قال ابن
عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري معناه حتى اختصم الي اعرابيان في بئر
فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
الى عباده أُولِي اي ذوي اسم جمع لذو وهو بدل من رسلا او نعت له
أَجْنِحَةٍ جمع جناح مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ صفات لاجنحة وانما لم ينصرف
لتكرار العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى
صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير الى غير تكرير وقيل للعدل والوصف
والتعويل عليه والمعنى ان من الملائكة طائفة اثنان اثنان اي لكل واحد منهم

جناحان وطائفة اجنحتهم ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة وطائفة اجنحتهم اربعة اربعة يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ اي يزيد
في خلق الاجنحة وغيره مَا يَشَاءُ وقيل هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر
الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين والاية مطلقة تتناول كل زيادة
في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وجزالة في الراي وذلاقة في اللسان
ومحبة في قلوب المؤمنين وما اشبه ذلك إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
قادر مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ نكر الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال
من اي رحمة رزق او مطر او صحة او غير ذلك فَلَا مُمْسِكَ لَهَا فلا احد
يقدر على امساكها وحبسها واستعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى
الى قوله وَمَا يُمْسِكْ يمنع ويحبس فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مطلق له مِنْ بَعْدِهِ
من بعد امساكه وان الضمير الراجع الى الاسم المتضمن معنى الشرط على معنى
الرحمة ثم ذكر حملا على لفظ المرجوع اليه اذ لا تانيث فيه ولان الاول فسر
بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير
وعن معاذ رضي الله عنه مرفوعا لا يزال يد الله مبسوطة على هذه الامة ما لم
يرفق خيارهم لشرارهم ويعظم برهم فاجرهم وتعن قراؤهم امراءهم على معصية
الله فاذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم وَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب القادر على الارسال
والامساك الْحَكِيمُ الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا باللسان والقلب نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وهي التي تعدت
من بسط الارض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وارسال الرسل لتبيان السبل
دعوة اليه وزلفة لديه والزيادة في الخلق وفتح ابواب الرزق لترتبه
على ياس النعم وهو ايجاد المنعم بقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ برفع
غير على الوصف لفظا يَرْزُقُكُمْ يجوز ان يكون مستانفا ويجوز ان يكون صفة
لخالق مِنَ السَّمَاءِ بالمطر وَالْأَرْضِ بانواع النبات لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ جملة مفصولة
لا محل لها فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ يعني به على قريش سولهم
لايات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله عليه السلام بان له في الانبياء عليهم
السلام اسوة ولهذا نكر رسل اي رسل ذو واعدد كثير واولو ايات ونذر

واهل اعمار طوال واصحاب عزم لانه اسلى له وتقدير الكلام وان يكذبوك
فتأس بتكذيب الرسل من قبلك لان الجزاء يتعقب الشرط ولو اجري على
الظاهر يكون سابقا عليه فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع
فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اي بالتكذيب عن التأسي والى الله ترجع
الامور كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة
المكذب والمكذب ترجع بفتح التاء شامي وحمزة وعلي وخلف ويعقوب
وسهل يا ايها الناس ان وعد الله بالبعث والجزاء حق كائن فلا
تغرنكم الحيوة الدنيا فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ
بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
اي الشيطان فانه يمنيكم الاماني الكاذبة ويقول ان الله غني عن عبادتك
وعن تعذيبك ان الشيطان لكم عدو فعل بابيكم ما فعل وانتم تعاملونه
معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا
يوجدون منكم الا ما يدل على معاداته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره
وخطا من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته هو ان يوردهم
مورد الهلاك بقوله انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير
ثم كشف الغطاء فبني الامر كله على الايمان وتركه فقال الذين كفروا لهم
عذاب شديد اي فمن اجابه حين دعاه فله عذاب شديد لانه صار من حزبه
اي اتباعه والذين امنوا وعملوا الصالحات ولم يجيبوه ولم يصيروا من حزبه
بل عادوه لهم مغفرة واجر كبير لكبر جهادهم ولما ذكر الفريقين قال لنبيه
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء
عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب عليه او افمن زين له سوء
عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك زيد اي لا تهلكها وقوله حسرات مفعول له يعني فلا
تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات
عليه حزنا ولا يجوز ان يكون يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته

ان الله

فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت بالتشديد مدني وحمزة وعلي وحفص

ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل
الرياح الريح مكي وحمزة وعلي وحفص وبالتخفيف غيره فاحيينا به
بالمطر لتقدم ذكره ضمنا الارض بعد موتها بيبسها وانما قيل فتثير لتحكي
الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدالة
على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال
تستغرب وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر
بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقناه واحيينا
معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه كذلك
النشور الكاف في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات قيل يحيي
الله الخلق بما يرسله من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد
العزة فلله العزة جميعا اي العزة كلها مختصة بالله عز وجل عزة الدنيا
وعزة الاخرة وكان الكافرون يتعززون بالاصنام واتخذوا من دون الله
الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم
كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا موضعه استغنا
عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره
قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك
اقمت ما يدل عليه مقامه وفي الحديث ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن
اراد عز الدارين فليطع العزيز ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان
والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
ومعنى قوله اليه الى محل القبول والرضا وكلما اتصف بالقبول وصف بالرفعة
والصعود والى حيث لا ينفذ فيه الا حكمه والكلم الطيب كلمات التوحيد
اي لا اله الا الله وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده
الا التاء يذكر ويؤنث والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني يرفعه
والعمل يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل الا
من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل اي العمل الصالح اي يرفعه
الله وفيه اشارة الى ان العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه

وقيل العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه اي من اراد العزة فليعمل عملا صالحا
فانه هو الذي يرفع العبد والذين يمكرون السيئات هي صفة لمصدر
محذوف اي المكرات السيئات لان مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله
والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا في دار الندوة كما قال الله
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية لهم عذاب شديد في الاخرة
ومكر اولئك مبتدا هو فصل يبور خبر اي مكر اولئك الذين مكروا
خاصة يبور اي يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم
في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله والله خلقكم
اي اباكم من تراب ثم انشاكم من نطفة ثم جعلكم ازواجا اصنافا
او ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه هو في موضع
الحال اي الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يعمر من احد وانما سماه معمرا
لما هو صائر اليه ولا ينقص من عمره الا في كتاب يعني اللوح او صحيفة الانسان
ولا ينقص زيد فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر
قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا
على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر
في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق
وما سمعت بلدا ولا احوتيه الا قل فيه ثوابي او ثاوي وقيل الاية انه يكتب
في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوما ذهب يومان حتى
ياتي على اخره فكذلك نقصان عمره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة
والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة ان ذلك اي احصاؤه و
زيادة العمر ونقصانه على الله يسير سهل وما يستوي البحران هذا اي
احدهما عذب فرات سائغ شرابه شديد العذوبة وقيل هو الذي يكسر العطش سائغ
شرابه مري سهل الانحدار لعذوبته وبه ينتفع شرابه وهذا ملح
اجاج شديد الملوحة وقيل هو الذي يحرق بملوحته ومن كل ومن واحد
منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية تلبسونها وهي
اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال

عذب فرات

مخرت السفينة الماء اي شقته وهي جمع ماخرة لتبتغوا من فضله من فضل الله
ولم يجر ذلك في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه
ولعلكم تشكرون الله على ما اتاكم ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن
والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته
وعطائه ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل
البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ
وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يدخل من ساعات احدهما
في الاخر حتى يصير الزائد منهما خمسة عشر ساعة والناقص تسع ساعات
وسخر الشمس والقمر اي ذلك اضؤ صوته لاسوة سيره كل يجري لاجل مسمى
اي يوم القيمة ينقطع جريها ذلكم مبتدا الله ربكم له الملك اخبار
مترادفة اي الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة واقعة في قران قوله
والذين تدعون من دونه يعني الاصنام التي تعبدونهم من دون الله
يدعون قتيبة ما يملكون من قطمير هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة
ان تدعوهم اي الاصنام لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا
على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لانهم يدعون ما تدعون لهم من الالهية
ويتبرؤن منها ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك ايها المفتون باسباب
الغرور كما ينبئك الله الخبير بخبايا الامور وتحقيقه ولا يخبرك بالامر مخبر
هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامور وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة
دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبركم به من حال الاوثان
هو الحق لاني خبير بما اخبرت به ولا ينبئك مثل خبير قال
ذو النون الخلق محتاجون اليه في كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا
ووجودهم به وبقاؤهم به والله هو الغني عن الاشياء اجمع الحميد
المحمود بكل لسان ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغنا
ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الاغنياء وذكر الحميد ليدل

على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم اذ ليس كل غني نافع
بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم جرح المنعم عليه قال
سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى
حجب عن الله ومن اظهر فقره اليه فينبغي للعبد ان يكون مفتقرا بالسر اليه
ومنقطعا عن الغير حتى يكون عبوديته محضة فالعبودية هو الذل والخضوع
وعلامته ان لا يسئل احدا وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفتقر
ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين بمقدار افتقار العبد الى الله
يكون غناه بالله وكلما ازداد افتقارا ازداد غنى وقال يحيى الفقر خير
للعبد من الغنى لان المذلة في الفقر والكبر في الغنى والرجوع الى الله
بالتواضع والذلة خير من الرجوع اليه بتكثير الاعمال وقيل صفة الاولياء
ثلاثة الثقة بالله في كل شيء والفقر اليه في كل شيء والرجوع اليه من كل شيء
وقال الشبلي الفقر بحر البلاء وبلاؤه كل عز **إن يشأ يذهبكم** كلكم الى
العدم فان غناه لا بكم في العدم **ويأت بخلق جديد** وهو بدونكم
حميد **وما ذلك** الافناء والافناء **على الله بعزيز** بممتنع وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا **ولا تزر وازرة
وزر أخرى** ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى والوزر والوقر اخوان ووزر
الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة
لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا يؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة
الدنيا الولي بالولي والجار بالجار وانما قيل وازرة ولم يقل ولا تزر نفس
وزر اخرى لان المعنى ان الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها
لا وزر غيرها وقوله ليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وارد في
الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع ضلالهم
وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم
الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من
خطاياهم من شيء **وإن تدع مثقلة** اي نفس مثقلة بالذنوب احدا
إلى حملها ثقلها اي ذنوبها ليتحمل عنها بعض ذلك **لا يحمل منه شيء
ولو كان** المدعو وهو مفهوم من قوله وان تدع **ذا قربى** اي ذا قرابة

وتبيته كالاب والولد والاخ والفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان
تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ان الاول دال على عدل الله في حكمه وانه
لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في بيان ان لا غياث يومئذ لمن استغاث
حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم يجب
ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها **إنما تنذر الذين يخشون ربهم**
اي انما ينتفع بانذارك هؤلاء **بالغيب** حال من الفاعل والمفعول اي يخشون
ربهم غائبين عن عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب والسر حيث لا اطلاع للغير
عليه **وأقاموا الصلوة** في مواقيتها **ومن تزكى** تطهر بفعل الطاعات وترك
المعاصي **فإنما يتزكى لنفسه** وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم
الصلوة لانها من جملة التزكي **وإلى الله المصير** المرجع وهو وعد للمتزكين
بالثواب **وما يستوي الأعمى والبصير** مثل للكافر والمؤمن والجاهل
والعالم **ولا الظلمات** مثل الكفر **ولا النور** الايمان **ولا الظل ولا
الحرور** للحق والباطل والجنة والنار والحرور الريح الحارة كالسموم
الا ان السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار عن الفراء **وما يستوي
الأحياء ولا الأموات** مثل الذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا
فيه وزيادة لا لتأكيد معنى النفي والفرق بين هذه الواوات ان بعضها
ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر **إن الله يسمع من يشاء وما
أنت بمسمع من في القبور** يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه
فيهدي من يشاء هدايته اما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص على اسلام
قوم مخذولين شبه الكفار بالموتى حيث لا ينتفعون بمسموعهم **إن أنت إلا
نذير** اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار
نفع وان كان من المصرين فلا عليك **إنا أرسلناك بالحق** حال من احد
الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق
بشيرا بالوعد **ونذيرا** بالوعيد **وإن من أمة** وما من امة قبل امتك
والامة الجماعة الكثيرة وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة
والمراد هنا اهل العصر وقد كانت النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما
السلام فلم تخل تلك الامم من نذير وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام

بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الا خلا مضى فيها نذير يخوفهم وخامة
الطغيان وسوء عاقبة الكفران واكتفى بالنذير عن البشير في اخر الاية بعد
ذكرهما لان النذارة مشفوعة بالبشارة فدل ذكر النذارة على ذكر البشارة
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم جاءتهم رسلهم حال
وقد مضمرة بالبينات بالمعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب اي التورية
والانجيل المنير اي التورية والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء
في جنسهم اسند المجيء اليها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم
وهي بالبينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت الذين كفروا بانواع العقوبة
فكيف كان نكير انكاري عليهم وتعذيبي لهم الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فاخرجنا به بالماء ثمرات مختلفا الوانها اجناسها من الرمان و
التفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة
ونحوها ومن الجبال جدد طرق مختلفة اللون جمع جدة ومدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود جمع غربيب وهو تاكيد للاسود ويقال اسود
غربيب وهو الذي ابعد في السواد واغرب ومنه الغراب وكان من حق التاكيد
ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع الا انه اضمر المؤكد قبله والذي بعده
تفسير للمضمر وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في
قوله ومن الجبال جدد اي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول
الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن
الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه
كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال ولما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان
الله انزل من السماء ماء وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعه
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته
اتبع ذلك اي العلماء انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء
به الذين علموه بصفاته فعظموه به ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا
ومن كان علمه به اقل كان امن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية وتقديم

اسم الله

اسم الله تعالى وتاخيرا للعلماء يؤذن ان معناه ان الذين يخشون الله من بين
عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى انهم لا يخشون الا الله
كقوله ولا يخشون احدا الا الله وبينهما تغاير ففي الاول بيان ان الخاشين
هم العلماء وفي الثاني بيان ان المخشي منه هو الله تعالى وقرا ابو حنيفة
وعمر بن عبد العزيز وابن سيرين رضي الله عنهم انما يخشى الله من عباده
العلماء والخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يعظم الله من عباده
العلماء ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءة القران واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي مسرين النفل والفرض يعني
لا يقنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به يرجون خبر ان تجارة هي طلب
الثواب بالطاعة لن تبور وان تكسد يعني تجارة ينتفي عنها الكساد
وتنفق عند الله ليوفيهم متعلق بلن تبور اي ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم
ثواب اعمالهم ويزيدهم من فضله بتفسيح القبور او بتشفيعهم فيمن احسن
اليهم او بتضعيف حسناتهم او بتحقيق وعد لقائه او يرجون في موضع الحال
اي راجين واللام متعلق بيتلون وما بعده اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة
واقام الصلاة والانفاق لهذا الغرض وخبر ان انه غفور شكور اي غفور
لهم شكور لاعمالهم اي يعطي الجزيل على العمل القليل والذي اوحينا اليك
من الكتاب اي القران ومن للتبيين هو الحق مصدقا حال مؤكدة لان
الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب
ان الله بعباده لخبير بصير فعلمك وابصر احوالك ورآك اهلا لان يوحى
اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا
الكتاب اي اوحينا اليك القران ثم اورثنا من بعدك ومن بعدهم
الى يوم القيمة ان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله
ثم رتبهم على مراتب فقال فمنهم ظالم لنفسه وهو المرجأ لامر الله ومنهم مقتصد
وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهذا
التاويل موافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الاية وقال بعده واخرون اعترفوا الاية وقال بعده واخرون

مرجون لامر الله والحديث فقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر
بعد قراءة هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له وعنه صلى الله عليه وسلم السابق يدخل الجنة
بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم
لنفسه فيحبس حتى يظن انه لن ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة رواه
والاثر فعن ابن عباس رضي الله عنهما السابق المخلص والمقتصد المرائي
والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة
وقول السلف فقال الربيع بن انس الظالم صاحب الكبائر والمقتصد
صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما وقال الحسن البصري الظالم من رجحت
سيئاته والسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته
وسئل ابو يوسف رحمه الله عن هذه الاية فقال كلهم مؤمنون واما
صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كفروا لهم نار جهنم واما الطبقات
الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده لانه قال فمنهم ومنهم ومنهم والكل
راجع الى قوله الذين اصطفينا من عبادنا وهم اهل الايمان وعليه الجمهور
وانما قدم الظالم لئلا ييأس من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان
ذنبه لا يبعده من ربه وقيل لان اول الاحوال معصية ثم توبة ثم
استقامة وقال سهل السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل
وقال ايضا السابق الذي اشتغل بمعاده والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه
عن معاده وقيل الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة والمقتصد الذي
يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق
وقيل الظالم من اخذ الدنيا حلالا كان او حراما والمقتصد من يجتهد
ان لا ياخذها الا من حلال والسابق من اعرض عنها جملة وقيل الظالم
طالب الدنيا والمقتصد طالب العقبى والسابق طالب المولى باذن
الله بامره او بعلمه او بتوفيقه ذلك اي ايراث الكتاب هو الفضل
الكبير جنات عدن خبر ثان لذلك او خبر مبتدا محذوف او مبتدا والخبر
يدخلونها اي الفرق الثلاث يدخلونها ابو عمرو يحلون خبر ثان
او حال مقدرة فيها من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب ولؤلؤا اي

من ذهب

من ذهب مرصع باللؤلؤ ولؤلؤا بالنصب والهمزة نافع وحفص عطفا على محل من اساور
اي يحلون اساور ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير لما فيه من اللذة والزينة
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن خوف النار او خوف الموت
او هموم الدنيا ان ربنا لغفور يغفر الجنايات وان كثرت شكور يقبل
الطاعات وان قلت الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة لا نبرح منها
ولا نفارقها يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله
لا باستحقاقنا لا يمسنا فيها نصب تعب ومشقة ولا يمسنا فيها لغوب
اعياء من التعب وفترة وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لغوب بفتح اللام وهو
شيء يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى
عليهم فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان اي لا يقضى عليهم بموت
ثان فيستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها من عذاب نار جهنم كذلك
مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور يجزى كل ابو عمرو وهم يصطرخون
فيها يستغيثون فهو يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة
واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا يقولون اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي اخرجنا من النار وردنا الى الدنيا
نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية فيجابون بعد قدر عمر الدنيا اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر يجوز ان يكون ما نكرة موصوفة اي
تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح
شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم ثم قيل هو ثماني عشرة
سنة وقيل اربعون وقيل ستون وجاءكم النذير الرسول عليه السلام
او المشيب وهو عطف على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه
اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير فذوقوا العذاب فما
للظالمين من نصير ناصر يعينهم ان الله عالم غيب السموات والارض ما
غاب فيهما عنكم انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في
الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور
مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة
اي ما في بطنها من الحبل لان الحبل يصحب البطن وكذا المضمرات تصحب الصدور

وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة ويجمع خلائف والمعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه ملقي اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فعليه كفره فو بال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسار الاخرة كما قال ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا وهو اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا هلاكا وخسرانا قل ارايتم شركاءكم الذين اشركتموهم في اموالكم او اشركتموهم في العبادة الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قيل اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم شرك في السموات ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاء فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بينات على وابن عامر ونافع وابو بكر بل ان يعد ما يعد الظالمون بعضهم بدل من الظالمون وهم الرؤساء بعضا اي الاتباع الا غرورا هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا على سبيل الفرض ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتدا انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا لعظم الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم نصب على المصدر اي اقساما بليغا او على الحال اي جاهدين في ايمانهم لئن جاءهم نذير لنكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول الله لنكونن اهدى من احدى الامم اي من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال للداهية

العظيمة

العظيمة هي احدى الدواهي فلما جاءهم نذير فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تباعدا عن الحق وهو اسناد مجازي استكبارا في الارض مفعول له وكذا ومكر السيئ والمعنى ما زادهم الا نفورا للاستكبار ومكر السيئ او حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله عليه السلام والمؤمنين واصل قوله ومكر السيئ وان مكروا السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق يحيط وينزل المكر السيئ الا باهله ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فهل ينظرون الا سنة الاولين وهي انزال العذاب على من كذبوا رسلهم من الامم قبلهم فالمعنى فهل ينتظرون بعد تكذيبك الا ان ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا بين ان سنته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن اوقاتها وان ذلك مفعول له لا محالة اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامة هلاكهم ودمارهم كانوا اشد منهم قوة اقتدارا فلم يتمكنوا من الفرار وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته من شيء اي شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما بهم قديرا قادرا عليهم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا بما اقترفوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض لانه جرى ذكر الارض في قوله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض من دابة من نسمة تدب عليها ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى الى يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اي لم يخف عليه حقيقة امرهم وحكمه حكمهم والله اعلم

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي وعن ابن الحنفية

رضي الله عنه يا محمد وفي الحديث ان الله سماني في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد
وطه ويس والمزمل والمدثر وقيل يا سيد يس بالامالة علي وحمزة وخلف
وحماد ويحيى والقرآن الحكيم قسم ذي الحكمة اولانه دليل ناطق بالحكمة
اولانه دليل ناطق بالحكمة اولانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به
انك لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا
على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين اي الذي ارسلوا على
صراط مستقيم اي طريقة مستقيمة وهو الاسلام تنزيل بنصب اللام شامي
وكوفي غير ابي بكر على اقرأ تنزيل او على انه مصدر اي نزل تنزيل وغيرهم
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول
العزيز الغالب بفصاحة نظم كتابه اوهام ذوي العناد الرحيم
الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام اولي الرشاد واللام في لتنذر
قوما متصل بمعنى المرسلين اي ارسلت لتنذر ما انذر اباؤهم ما
نافية عند الجمهور اي قوما غير منذر اباؤهم بدليل قوله لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير او موصولة
منصوبة على المفعول الثاني اي العذاب الذي انذره اباؤهم كقوله انا
انذرناكم عذابا قريبا او مصدرية اي لتنذر قوما انذار اباءهم
اي مثل انذار اباءهم فهم غافلون ان جعلت ما نافية فهو متعلق
بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين
لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل لقد
حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون يعني قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين اي تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم لانهم
يموتون على الكفر ثم مثل بصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم
بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطأطؤن رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون
ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون
عن النظر في ايات الله بقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى
الاذقان معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها فهم مقمحون

مرفوعة

مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه وهذا لان طوق الغل
الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود
خارجا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ راسه فلا يزال مقمحا وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا بفتح السين حمزة وعلي وحفص وقيل ما كان
من عمل الناس بالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم فاغشيناهم
فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون الحق
والرشاد وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لان راى محمدا صلى
الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما
رفع يده اثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه
فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره وسواء
عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اي سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى
من اضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار روي ان عمر ابن عبد العزيز
قرأ الاية على غيلان القدري فقال كاني لم اقرأها اشهدكم اني تائب
عن قولي في القدر فقال عمر رضي الله عنه اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب
فسلط عليه من لا يرحمه فاخذه هشام بن عبد الملك من غده فقطع يديه
ورجليه وصلبه على باب دمشق انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
اي انما ينتفع بانذارك من اتبع القرآن الرحمن بالغيب وخاف عقاب الله ولم يره
فبشره بمغفرة وهي العفو عن ذنوبه واجر كريم اي الجنة انا نحن
نحي الموتى نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم من الشرك الى الايمان
ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها واثارهم
وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس او رباط
او مسجد صنعوه او سيء كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة
او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر
اي قدم من اعماله واخر من اثاره وقيل هي خطاهم الى الجمعة او الى الجماعات
وكل شيء احصيناه عددناه وبيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ
لانه اصل الكتب ومقتداها واضرب لهم مثلا اصحاب القرية
ومثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه

الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل
اصحاب القرية اي انطاكية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية
والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية جاءها
المرسلون رسل عيسى عليه السلام بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان
اذ بدل من اذ الاولى ارسلنا اليهم ارسل عليه السلام اثنين
صادقا وصدوقا فلما قربا الى المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب
النجار فسال عنهما فقالا نحن رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم من عبادة
الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ
الاكمه والابرص وكان له ابن مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب
وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق فدعاهما الملك فقال لهما النا اله
سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما
الناس فضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل
متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به
فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما
فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء ورزق كل حي وليس
له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما
ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام اكمه فدعوا الله فابصر الغلام فقال
له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال
ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام
فقام وقال اني دخلت في سبعة اودية من النار لما مت عليه من الشرك وانا
احذركم ما انتم فيه فامنوا فقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه
يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب
الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن قومه ومن لم
يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا فكذبوهما فكذب اصحاب
القرية الرسولين فعززنا فقويناهما وقرا ابو بكر فعززنا من عزه يعزه
اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث وترك ذكر المفعول به لان المراد

ذكر المعزز

ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل
واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه
اليه كان ما سواه مرفوضا فقالوا انا اليكم مرسلون اي قال الثلاثة
لاهل القرية قالوا اي اصحاب القرية ما انتم الا بشر مثلنا رفع بشر
هنا ونصب في ما هذا بشرا لانتقاض النفي فلم يبق لما شبه بليس وهو النفي
لعمله وما انزل الرحمن من شيء اي وحيا ان انتم الا تكذبون
ما انتم الا كذبة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اكد الثاني باللام
دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار فيحتاج الى
زيادة تاكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد
الله وعلم الله وما علينا الا البلاغ المبين اي التبليغ الظاهر المكشوف
بالايات الشاهدة لصحته قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك
انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا
اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا منه وكرهوه فان اصابهم بلاء
او نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك
لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم لنقتلنكم او لنطردنكم او
لنشتمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم وليصيبنكم منا عذاب الحريق وهو
اشد عذاب قالوا طائركم اي سبب شؤمكم معكم وهو الكفر ائن بهمزة
الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي ذكرتم وعظتم ودعيتم الى الاسلام
وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة
ابو عمرو واين بهمزة مقصورة وبعدها ياء مكسورة مكي ونافع ذكرتم
بالتخفيف يزيد بل انتم قوم مسرفون مجاوزون الحد بالعصيان فمن ثم
اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم
وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله وجاء من اقصى
المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه
خبر الرسل اتاهم واظهر دينه فقال اتسالون على ما جئتم به اجرا قالوا
لا قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا على تبليغ الرسالة
وهم مهتدون اي الرسل فقالوا وانت على دين هؤلاء فقال وما لي لا اعبد

الذي فطرني خلقني واليه ترجعون واليه مرجعكم ومالي حمزة ءاتخذ
بهمزتين كوفي من دونه الهة يعني الاصنام ان يردن الرحمن بضر شرط
جوابه لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون من مكروه ولا ينقذوني
فاسمعوني في الحالين يعقوب اني اذا اي اذا اتخذت لفي ضلال مبين
ظاهر بين ولما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل
فقال لهم اني امنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني لتشهدوا لي
به ولما قتل قيل له ادخل الجنة وقبره في سوق انطاكيه ولم يقل قيل
له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه
دلالة على ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله
اليه وهو في الجنة لا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة وراى
نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بمغفرة ربي لي او بالذي
غفر لي وجعلني من المكرمين بالجنة وما انزلنا ما نافية على قومه
قوم حبيب من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لتعذيبهم وما
كنا منزلين وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا
من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون
بعض لحكمة اقتضت ذلك ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة
صاح جبرئيل عليه السلام صيحة واحدة فاذا هم خامدون ميتون كما تخمد
النار والمعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من
جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق يا حسرة على العباد ما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزءون الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليه
كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذا من احوالك التي حقك ان تحضري فيها
وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون
او يتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين
من الثقلين الم يروا الم يعلموا كم اهلكنا قبلهم كم نصب باهلكنا ويروا
معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر
لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة وقوله انهم اليهم
لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة

من القرون انهم

اهلكنا

اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وان كل لما جميع لدينا
محضرون لما بالتشديد شامي وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم
بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام
لا محالة والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون
محضرون للحساب ومعنى نونه وانما اخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد الاحاطة
والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعني ان المحشر يجمعهم واية
لهم مبتدا وخبر اي وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى احياء الارض
الميتة ويجوز ان يرتفع اية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها الارض الميتة
اليابسة وبالتشديد مدني احييناها بالمطر وهو استيناف بيان
لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل
بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا
معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني
واخرجنا منها حبا اريد به الجنس فمنه ياكلون وقدم الظرف ليدل على ان
الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح
الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل
البلاء وجعلنا فيها في الارض جنات بساتين من نخيل واعناب
وفجرنا فيها من العيون من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف
تقديره ما ينتفعون به ليأكلوا من ثمره والضمير لله تعالى اي
ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلي وما عملته ايديهم اي مما
عملته ايديهم من الغرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ
الثمر منتهاه يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد
بني ادم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم
الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل وترك الاعناب
غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل مما علق به من اكل ثمره ويجوز
ان يراد من ثمر المذكور كما قال روبة فيها خطوط من سواد وبلق
كانه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذلك وقوله وما
عملت كوفي وغير حفص وهي مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف

اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على ان الثمر خلق الله
ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه افلا يشكرون استبطاء و حث
على شكر نعمه سبحان الذي خلق الازواج الاصناف كلها مما تنبت
الارض من النخل والشجر والزرع والثمر ومن انفسهم الاولاد ذكورا واناثا
ومما لا يعلمون اي ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى
معرفتها في الاودية والبحار واشياء لا يعلمها الناس واية لهم الليل
نسلخ منه النهار نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى من ضوء النهار او نزع عنه
الضوء نزع القميص الابيض فيعري نفس الزمان كشخص زنجي اسود لان اصل
ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم
اسرج فيه فاذا غاب السراج اظلم والشمس تجري واية لهم الشمس تجري
لمستقر لها لحد لها موقت مقدر ينتهي اليه من فلكها في اخر السنة
شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لحد لها من مسيرها كل يوم في
مرائي عيوننا وهو المغرب او لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا ذلك
الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق تقدير العزيز الغالب بقدرته
على كل مقدور العليم بكل معلوم والقمر نصب بفعل يفسره قدرناه
وبالرفع مكي ونافع وابو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه
او على واية لهم القمر منازل وهي ثماني وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة
المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر
ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس
القمر منازل اي قدرنا نوره فيزيد وينقص او قدرنا مسيره منازل
فيكون ظرفا فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس حتى عاد كالعرجون
هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو
الانعطاف القديم العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به
من ثلاثة اوجه لا الشمس ينبغي لها اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم
ان تدرك القمر فيجتمع معه في وقت واحد من النيرين سلطانا على حاله
فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ولا الليل سابق النهار

ولا يسبق الليل النهار اي اية الليل اية النهار وهما النيران ولا يزال الامر
على هذا الترتيب الا ان يقوم الساعة ويجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس
من مغربها وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي وكلهم والضمير
للشموس والاقمار في فلك يسبحون يسيرون واية لهم انا حملنا ذريتهم
ذرياتهم مدني وشامي في الفلك المشحون المملو والمراد بالذرية الاولاد
ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات برا وبحرا او الاباء لانها
من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام ومعنى حمل الله
ذرياتهم فيها انه حمل اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم
وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وخلقنا لهم
من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وان نشا
نغرقهم في البحر فلا صريخ لهم فلا مغيث او فلا اغاثة ولا هم ينقذون
لا ينجون الا رحمة منا ومتاعا الى حين اي ولا ينقذون الا لرحمة
منا وليتمتع الحيوة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم اي ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر مما انتم تعملون
من بعد او من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائهم
وما خلفكم من امر الساعة او فتنة الدنيا وعقوبة الاخرة لعلكم ترحمون
لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر اي اعرضوا وجاز حذفه لان
قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين يدل عليه ومن
الاولى لتاكيد النفي والثانية للتبعيض اي وداءبهم الاعراض عند كل اية
وموعظة واذا قيل لهم لمشركي مكة انفقوا مما رزقكم الله اي
تصدقوا على الفقراء قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء
الله اطعمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا امروا
بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن ان انتم الا
في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم وهو من جملة جوابهم
للمؤمنين ويقولون متى هذا الوعد اي وعد البعث والقيمة ان كنتم
صادقين فيما تقولون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي
الله عنهم ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى

تاخذهم وهم يخصمون حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه
اذا غلبه في الخصومة وشدد الباقون الصاد اي يختصمون بادغام التاء في الصاد
لكنه مع فتح الخاء مكي بنقل حركة التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء
مدني وبكسر الياء والخاء يحيى ونافع فاتبع الياء الخاء في الكسر وبفتح
الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تاخذهم وبعضهم يخصم بعضا في معاملاتهم
فلا يستطيعون توصية فلا يستطيعون ان يوصوا بشئ من امورهم توصية
ولا الي اهلهم يرجعون ولا يقدرون على الرجوع الي منازلهم بل يموتون
حيث يسمعون الصيحة ونفخ في الصور هي النفخة الثانية والصور
القرن او جمع صورة فاذا هم من الاجداث القبور الي ربهم ينسلون
يعدون قالوا اي الكفار يا ويلنا من بعثنا من انشرنا من مرقدنا
مضجعنا وقف عن حفص هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كلام الملائكة
او المتقين او الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم
او بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق
المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق او موصولة
وتقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون اي والذي
صدق فيه المرسلون اي والذي صدق فيه المرسلون ان كانت اي النفخة
الاخيرة الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون للحساب ثم ذكر ما يقال
لهم في ذلك اليوم فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل بضمتين كوفي وشامي وبضمة وسكون
مكي ونافع وابو عمرو والمعنى في اي شغل وفي شغل لا يوصف وهو افتضاض
الابكار على شط الانهار تحت الاشجار او ضرب الاوتار او ضيافة
الجبار فاكهون خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ
ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به والفكاهة هم مبتدأ وازواجهم
عطف عليه في ظلال حال جمع ظل وهي ما سترك عن الشمس على الارائك
جمع اريكة وهي السرير او الحجلة او الفراش فيها متكئون خبر او في
ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
يفتعلون من الدعاء اي كل ما يدعوا به اهل الجنة يأتيهم او يتمنون من

قولهم ادع على ما شئت اي تمنه او يتمنون تفاعل الغزاة وهو من الدعوى ولا
يدعون ما لا يستحقون سلام بدل لما يدعون كانه قال لهم سلام
يقال لهم قولا من رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا
يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب
العالمين وامتازوا اليوم ايها المجرمون اعتزلوا اليوم او انفردوا عن
المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الي
الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى
ابدا او يقول لهم يوم القيمة الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين العهد الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم
ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان
طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وان اعبدوني وحدوني والمعنى
هذا اشارة الي ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن
صراط مستقيم اي صراط بليغ في استقامته لا صراط اقوم منه ولقد اضل
منكم جبلا بكسر الجيم والباء والتشديد مدني وعاصم وسهل جبلا
بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامي وابو عمرو جبلا
بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات في معنى الخلق كثيرا افلم
تكونوا تعقلون استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل هذه
جهنم التي كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
ادخلوها بكفركم وانكاركم لها اليوم نختم على افواههم اي نمنعهم عن الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون روي انهم يجحدون
ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا
مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث
يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه
ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لاعميناهم
وازهبنا ابصارهم والطمس تعمية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا

الصراط على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط فانى يبصرون فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا اعينهم ولو نشاء لمسخناهم قردة وخنازير او حجارة على مكاناتهم على مكانتهم ابو بكر وحماد والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اى لمسخناهم في منازلهم حيث يجترحون المآثم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يقدروا على ذهاب ولا مجئ او مضيا امامهم ولا يرجعون خلفهم ومن نعمره ننكسه عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشئ اعلاه اسفله الباقون ننكسه في الخلق اى نقلبه فيه يعنى من اطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال الله عز وجل يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا افلا يعقلون ان من قدر على ان ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكاناتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدني ويعقوب وسهل وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل وما علمناه الشعر اى وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعر وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت وما ينبغى له وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدى للخط ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله انا النبي لا كذب، انا ابن عبد المطلب، وهل انت الا اصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت فما هؤلاء من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق في خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء

موزونة

موزونة ولا يسميها احد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على انه عليه السلام قال لقيت وفتح الباء في كذب وخفض الباء في المطلب ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو اى المعلم الا ذكر وقرآن مبين اى ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشياطين لينذر القرآن او الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل ويعقوب من كان حيا عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او حيا بالقلب ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون وهم في حكم الاموات اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما اى مما تولينا احداثه ولم يقدر على توليته غيرنا فهم لها مالكون اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها او فهم لها ضابطون قاهرون وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم وهو ما يركب ومنها يأكلون اى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها ولهم فيها منافع من الجلود والاوبار وغير ذلك ومشارب من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب افلا يشكرون الله على انعام الانعام واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لعل اصنامهم تنصرهم اذا حزبهم امر لا يستطيعون اى الهتهم نصرهم نصر عابديهم وهم لهم اى الكفار للاصنام جند اعوان وشيعة محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم او اتخذوهم لينصروا عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار فلا يحزنك قولهم وبضم الياء وكسر الزاى نافع من حزنه واحزنه يعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاهم انا نعلم ما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر

في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن
ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلوته وان اعتقد معناه كفر
فقد اخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر
وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة
لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي رضي الله عنهما وكلاهما تعليل فان قلت
ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون
وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها
مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدور
على كسر ان وفتحها وانما يدور على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى
التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا
كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم
فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهي عن حزنه ليس اثباتا لحزنه
بذلك كما في قوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تدع
مع الله الها آخر ونزل في ابي بن خلف حين اخذ عظما باليا ففته بيده وقال
يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك
ويدخلك جهنم أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ مذرة خارجة
من الاحليل الذي هو قناة النجاسة فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ بين الخصومة
اي فهو جار على مهانة اصله ودناءة اوله يتصدى لمخاصمة ربه وينكر قدرته
على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصق
به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية
المكابرة وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا بفته العظم وَنَسِيَ خَلْقَهُ من المني فهو
اغرب من احياء العظم والمصدر مضاف الى المفعول اي خلقنا اياه قَالَ
مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ هو اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة
والرفات فلذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحيوة في العظام ويقول
ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها فلا يؤثر
فيها الموت والمراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة

رطبة

رطبة في بدن حساس قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا خلقها أَوَّلَ مَرَّةٍ اي ابتداء وَهُوَ
بِكُلِّ خَلْقٍ مخلوق عَلِيمٌ لا يخفى عليه اجزاؤه وان تفرقت في البر والبحر فيجمعه
ويعيده كما كان الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ
تُوقِدُونَ تقدحون ثم ذكر من بدايع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر
مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي يوري بها الاعراب
واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب لمصلحة الدق
في الثياب فمن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت
والحيوة في البشر واجراء احد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل في العقل
من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين
ان من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي
اقدر بقوله أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
في الصغر بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا
وليس به بَلَى اي قل بلى هو قادر على ذلك وَهُوَ الْخَلَّاقُ الكثير المخلوقات
الْعَلِيمُ الكثير المعلومات إِنَّمَا أَمْرُهُ شانه إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ
لَهُ كُنْ اي تكون فَيَكُونُ فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل
ان المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير
ان كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل
قول كن عليكم فكذا لا يثقل على ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامي وعلي
عطف على يقول واما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون
معطوفة على مثلها وهي قوله امره ان يقول له كن فَسُبْحَانَ تنزيه
مما وصفه به المشركون وتعجب من ان يقولوا فيه ما قالوا الَّذِي بِيَدِهِ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ اي ملك كل شيء وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو
مالك كل شيء وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون يعقوب
قال عليه السلام ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد

بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنين وعشرين
مرة وقال عليه السلام من قرا سورة يس امام حاجة قضيت له وقال عليه
السلام من قراها ان كان جائعا اشبعه الله وان كان عريانا البسه الله
وان كان خائفا امنه الله وان كان مستوحشا انسه الله وان كان فقيرا
اغناه الله وان كان في السجن اخرجه الله وان كان اسيرا خلصه الله وان
كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى
الرافعة والقاضية تدفع عن قاريها كل سوء وتقضي له كل حاجة صدق رسول الله

سورة الصافات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم سبحانه
بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلاة فالزاجرات
السحاب سوقا او عن المعاصي بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب
المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد رضي الله عنهم
او بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات
فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه
او بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد
وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل
على ترتب الصفات بالتفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة
او على العكس وجواب القسم ان الهكم لواحد قيل هو جواب قولهم اجعل
الآلهة الها واحدا رب السموات والارض خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
اي هو رب وما بينهما ورب المشارق اي مطالع الشمس وهي ثلثمائة وستون
مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب
ولا تغرب ولا تطلع في واحد يومين واما رب المشرقين ورب المغربين
فانه اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما واما رب المشرق فاراد
به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة انا زينا السماء الدنيا
القربى منكم تأنيث الادنى بزينة الكواكب حمزة وحفص على البدل من
الزينة والمعنى زينا السماء الدنيا بالكواكب غيرهم باضافة المصدر الى

الفاعل بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول
اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها واصله بزينة
الكواكب كقراءة ابي بكر وحفظا محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب
زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين او الفعل المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل
شيطان زيناها بالكواكب او معناه حفظناه حفظا من كل شيطان مارد
خارج من الطاعة والضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى
الشياطين يسمعون كوفي غير ابي بكر واصله يتسمعون تطلب السماع يقال
تسمع فسمع وينبغي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال
المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا
وقيل اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في جئتك ان تكرمني فبقي
ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول الشاعر، الا ايها الزاجري
احضر الوغى، وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد
من الحذفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت
فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى
حديثه ان المعدى بنفسه يفيد الادراك الى الملأ الاعلى لانهم
يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض ويقذفون
يرمون بالشهب من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا
للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين
على الحال او على المصدر لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه
قيل يدحرون او قذفا ولهم عذاب واصب دائم من الوصوب اي انهم
في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم
غير منقطع ومن في الا من في محل الرفع من الواو في لا يسمعون اي لا
يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة اي سلب السلبة
يعني شيئا من كلامهم بسرعة فاتبعه لحقه شهاب نجم رجم ثاقب مضيء
فاستفتهم فاستخبر كفار مكة اهم اشد خلقا اي اقوى خلقا من قولهم
شديد الخلق وفي شدة او اصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم

البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلايقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما ومن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد انا خلقناهم من طين لازب لاصق او لازم وقرئ به وهذا استشهاد عليهم بالضعف لان من يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث بل عجبت من تكذيبهم اياك او من نزول الوحي عليك ويسخرون هم منك ومن تعجبك او عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث بل عجبت حمزة وعلي اي استعظمت والعجب روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء تجرد لمعنى الاستعظام في حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة او معناه قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون اي ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا راوا اية معجزة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها او يبالغون في السخرية وقالوا ان هذا ما هذا الا سحر مبين ظاهر ءاذا استفهام انكار متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون اي انبعث اذا كنا ترابا وعظاما او اباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل اوءاباؤنا بسكون الواو مدني وشامي اي ايبعث واحد منا على المبالغة في الانكار الاولون الاقدمون قل نعم تبعثون نعم على وهما لغتان وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فانما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل والغنم اذا صاح عليها فاذا هم احياء بصراء ينظرون الى سوء اعمالهم او ينتظرون ما يحل بهم وقالوا يا ويلنا الويل يقولها القائل وقت الهلكة هذا يوم الدين اي اليوم الذي ندان فيه

اي يجازي

اي يجازي باعمالنا هذا يوم الفصل يوم القضاء والفرق بين الهدى والضلال الذي كنتم به تكذبون ثم يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم احشروا خطاب الله للملائكة الذين ظلموا كفروا وازواجهم واشباههم او قرناؤهم من الشياطين او نساؤهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا وما كانوا يعبدون من دون الله اي الاصنام فاهدوهم دلوهم عن الاصمعي هديته في الدين هدى وفي طريق هدايته الى صراط الجحيم طريق النار وقفوهم احبسوهم انهم مسئولون عن اقوالهم وافعالهم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وفي موضع النصب على الحال اي ما لكم غير متناصرين بل هم اليوم مستسلمون منقادون او قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز وكلهم مستسلم غير منتصر واقبل بعضهم على بعض اي التابع على المتبوع يتساءلون يتخاصمون قالوا اي الاتباع للمتبوعين انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش اي انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه قالوا اي الرؤساء بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان تسلط فنسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما طاغين بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا جميعا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قوله شعر لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك فاغويناكم فدعوناكم الى الغي انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية

إنا كذلك نفعل بالمجرمين بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكلام
مجرم إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون انهم
كانوا اذا سمعوا كلمة التوحيد استكبروا عنها وابوا الا الشرك ويقولون
أئنا بهمزتين شامي وكوفي لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين
كقوله مصدقا لما بين يديه إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون
إلا ما كنتم تعملون بلا زيادة إلا عباد الله المخلصين بفتح اللام
كوفي ومدني وما بعده اي لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع أولئك
لهم رزق معلوم فواكه فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به
ولا يقوت لحفظه الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه وهي ما يتلذذ به ولا
يقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة
بالاقوات لان اجسامهم مخلوقة للابد فما ياكلونه للتلذذ ويجوز ان يراد
رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن
منظر وقيل معلوم الوقت بخصائص خلق عليها كقوله ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا والنفس اليه اسكن وهم مكرمون معظمون في جنات النعيم
يجوز ان يكون ظرفا وان يكون حالا وان يكون خبرا بعد خبر وكذا قوله
على سرر متقابلين التقابل اتم للسرور وآنس يطاف عليهم بكاس
بغير همز ابو عمرو وحمزة في الوقف وغيرهم بالهمز يقال للزجاجة فيها الخمر
كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا وعن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا
في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او نهر معين وهو الجاري
على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة
في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس
لذة وصفت باللذة كانها نفس اللذة وعينها او ذات لذة للشاربين
لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا
اذا اهلكه وافسده ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب
اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون علي وحمزة اي
لا يسكرون او لا ينفد شرابهم من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه

وعندهم

وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمدون طرفا
على غيرهم عين جمع عيناء نجلاء واسعة العين كأنهن بيض مكنون
مصون شبههن ببيض النعام المكنون في الصفا وبها تشبه العرب النساء
وتسميهن بيضا بالحذف وعطف فأقبل بعضهم يعني اهل الجنة على بعض
يتساءلون على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب
كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على
المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى عليهم في الدنيا الا انه
جيء به ماضيا على ما عرف في اخباره قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول
أئنك بهمزتين شامي وكوفي لمن المصدقين بيوم الدين أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء قال ذلك القائل
هل أنتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى
ينظر اهلها منها الى النار او قال الله تعالى لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا
الى النار فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار فاطلع المسلم فرآه
اي قرينه في سواء الجحيم في وسطها قال تالله إن كدت لتردين ان مخففة
من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية والارداء الاهلاك بالياء في الحالين يعقوب ولولا نعمة ربي
وهي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام لكنت من المحضرين
من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك أفما نحن
بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين الفاء للعطف على
محذوف تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين
والمعنى ان هذه حال المؤمنين وهو ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى
بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم
ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت وهذا قول المؤمن
تحدثا بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب
وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل تقديره لا نموت
الا مرة او منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت في الدنيا
ثم قال لقرينه تقريعا له إن هذا الامر الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم

ثم قال الله عز وجل لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ وقيل هو ايضا من كلامهم
أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا تمييز أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ اى ايهم الجنة وما فيها من
اللذات والطعام والشراب خير نزلا شجرة الزقوم خير نزلا والنزل
ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامه
إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء
في الدنيا وذلك قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار يحرق الشجر
فكذبوه إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ قيل منبتها في قعر جهنم
واغصانها ترتفع الى دركاتها طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ الطلع
للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس
الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشياطين
مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض وقيل الشيطان
حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا من الشجر اى
من طلعها فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فمالؤن بطونهم لما يغلبهم من الجوع
الشديد ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا على اكلها لَشَوْبًا لخلطا ولمزاجا مِنْ حَمِيمٍ
ماء حار يشوى وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل
اهل الجنة ومزاجه من تسنيم ومعناه انهم يملؤن البطون من شجرة
وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا
بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم
ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ اى انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم
فياكلون الى ان يملؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم
ومعنى التراخي ذلك ظاهر إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ
عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدايد
بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك
اتباع الدليل والاهراع اسراع الشدايد كانهم يحثون حثا
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ قبل قومك قريش أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ يعنى الامم
الاليه بالتقليد وترك النظر والتامل وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

فيهم

فِيهِمْ مُنْذِرِينَ انبياء حذروهم العواقب فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنْذَرِينَ الذين انذروا وحذروا اى هلكوا جميعا إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلَصِينَ اى الا الذين امنوا منهم واخلصوا لله دينهم واخلصهم
الله لدينه على القرائتين ولما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية
وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس
من قومه بقوله وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ دعانا لننجيه من الغرق وقيل
اراد به قوله انى مغلوب فانتصر فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ اللام الداخلة
على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة
والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه
وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ومن امن به واولاده
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ هو الغرق وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وقد فنى
قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلثة
اولاد سام وحام ويافث وهو ابو العرب وفارس والروم وحام
وهو ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث وهو ابو الترك
وياجوج وماجوج وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ من الامم هذه الكلمة
وهي سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ اى ثبت هذه التحية فيهم جميعا
ولا يخلوا احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه
في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه كان محسنا
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك
جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ثُمَّ أَغْرَقْنَا
الْآخَرِينَ اى الكافرين وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ اى من شيعة نوح
اى ممن شايعه على اصول الدين او شايعه على التصلب في دين الله
ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون
سنة وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح إِذْ جَاءَ رَبَّهُ اذ تعلق بما في
الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه

جنح جاء ربه بقلب سليم من الشرك او من آفات القلوب لابراهيم او بمحذوف
وهو اذكر ومعنى المجيء ربه انه اخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء
مثلا لذلك اذ بدل من الاول قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة
دون الله تريدون مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله
افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به
لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك باطل في شركهم ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به اى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها
افك في نفسها او حالا اى اتريدون آلهة من دون الله افكين فما ظنكم
اى شيء ظنكم برب العالمين وانتم تعبدون غيره فما رفع بالابتداء والخبر
ظنكم او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنعم
على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة فنظر نظرة في النجوم اى نظر في النجوم راميا ببصره
الى السماء متفكرا في نفسه كيف يحتال او اراهم انه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم
النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة على انه يسقم فقال انى سقيم اى مشارف للسقم
وهو الطاعون وكان اغلب اسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه
فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام
ما فعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الا
اذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معاريض من الكلام اى سأسقم او من
في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجاءة فقالوا
مات وهو صحيح فقال الاعرابى اصحيح من الموت في عنقه او اراد انى سقيم النفس
لكفركم كما يقال انا مريض القلب من كذا فتولوا فاعرضوا عنه مدبرين مولين الادبار
فراغ الى آلهتهم فمال اليهم سرا فقال استهزاء ألا تأكلون وكان عندها
طعام ما لكم لا تنطقون والجمع بالواو والنون لانه خاطبها خطاب من يعقل
فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى
ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا اى ضاربا باليمين اى ضربا
شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما او بالقوة والمتانة او بسبب
الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم
يزفون يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من ازف اذا دخل في الزفيف

ازفافا وكانه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فاقبل من رآه وسرع نحوه
ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه
على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها
وانت تكسرها فاجابهم بقوله قال أتعبدون ما تنحتون بايديكم والله خلقكم وما تعملون
اى وخلق ما تعملونه من الاصنام او ما مصدرية اى وخلق اعمالكم وهو دليل على خلق
الافعال اى ان الله خالقكم وخالق اعمالكم فلم تعبدون غيره قالوا ابنوا له اى لاجله
بنيانا من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا فالقوه في الجحيم في النار
الشديد وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم فارادوا به كيدا بالقائه في النار
فجعلناهم الاسفلين المقهورين عند الالقاء فخرج من النار وقال انى ذاهب
الى ربى الى موضع امرنى بالذهاب اليه سيهدين سيرشدنى الى ما فيه صلاح
دينى ويعصمنى ويوفقنى سيهدينى فيما يعقوب رب هب لى من الصالحين
بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد فبشرناه بغلام حليم
انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لان الصبى
لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما واى حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك فلما بلغ معه السعى بلغ ان يسعى
مع ابيه في اشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى
ولا بالسعى لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فبقى ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ
السعى اى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع ابيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث
عشرة سنة قال يا بنى حفص والباقون بكسر الياء انى ارى في المنام انى اذبحك
وبفتح الياء فيهما حجازى وابو عمرو وقيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء
وحى كالوحى في اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل
رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما
اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحكم ام من الشيطان فمن ثمه
سمى التروية امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثمه سمى يوم عرفة ثم رأى مثله
في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر فانظر ماذا ترى من الرأى على وجه
المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم اجزع
ام يصبر ترى على وحمزة اى ماذا تبصر من رأيك وتبديه قال يا ابت افعل ما تؤمر

اى ما تؤمر به وقرئ به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على الذبح روى
انّ الذبيح قال لابيه يا ابت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لا اوذيك
اذا اصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وانت تنظر فى وجهى عسى ان ترحمنى
واجعل وجهى الى الارض ويروى اذبحنى وانا ساجد واقراء على امّى سلامى
فان رايت ان تردّ قميصى على امّى فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها فلمّا
اسلما انقادا لامر الله وخضعا وعن قتاده اسلم هذا ابنه وهذا نفسه
وتلّه للجبين صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين
على قفاه فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا وروى انّ ذلك
المكان عند الصخرة التى بمنى وجواب لمّا محذوف تقديره فلمّا اسلما وتلّه للجبين
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا اى حقّقت ما امرناك به فى
المنام فى تسليم الولد للذبح كان ما كان ما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف
من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء
العظيم بعد حلوله او الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه انّا كذلك
نجزى المحسنين تعليل لتحويل ما خوّلهما من الفرج بعد الشدّة انّ هذا لهو البلاء
المبين الاختبار البيّن الذى يتميّز فيه المخلصين من غيرهم او المحنة البيّنة
وفديناه بذبح هو ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قرّبه هابيل فتقبّل منه
وكان يرعى فى الجنّة حتى فدى به اسمعيل وعنه لو تمّت تلك الذبيحة لصارت
سنّة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثّة سمين ومرّ السنّة فى الاضاحى
وروى انه هرب ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنّة
فى الرمى وروى انّه لما ذبحه قال جبرئيل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح
لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنّة واستشهد
ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر بذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة
والاظهر انّ الذبيح اسمعيل وهو قول ابى بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من
التابعين رضى الله عنهم لقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما
جدّه اسمعيل والآخر ابوه عبد الله وذلك انّ عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه
عشرة ان يذبح آخرهم تقرّبا وكان عبد الله آخرهم ففداه بمائة من الابل
ولان قرنى الكبش كانا متوطين فى الكعبة فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت

في زمن

فى زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعى انه قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح
فقال يا اصمعى اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكّة وانما كان اسمعيل
بمكّة وهو الذى بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكّة وعن على وابن مسعود والعباس
وجماعة من التابعين رضى الله عنهم انه اسحاق ويدلّ عليه كتاب يعقوب الى يوسف
عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واتفقوا
وفديناه وان كان الفادى عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر
بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفدى به وهنا اشكال وهو انه لا يخلو اما ان يكون
ما اتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه فى حكم
الذبح ام لا فان كان فى حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح
بدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدّقت الرؤيا وانما كان يصدّقها لو صحّ منه
الذبح اصلا او بدلا ولم يصحّ والجواب انه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل
الذابح ولكنّ الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضى فيه وهذا لا يقدح فى فعل ابراهيم
ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل بدلا منه
وليس هذا بنسخ للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحلّ الذى
اضيف اليه لم يحل الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقرّ
حكم الامر عند المخاطب فى آخر الحال على ان المبتغى منه من حقّ الولد ان يصير قربانا
بنسبة الحكم اليه مكرّما بالفداء الحاصل لمعرّة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة
الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استحضار المراد بالامر لا قبله وقد سمّى
فداء فى الكتاب لا نسخا وتركنا عليه فى الآخرين ولا وقف عليه لانّ سلام
على ابراهيم مفعول وتركنا كذلك نجزى المحسنين ولم يقل انا هنا كما فى غيره
لانه قد سبق فى هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره
ثانية انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحاق نبيا حال مقدّرة من اسحق
ولا بدّ من تقدير مضاف محذوف اى وبشرناه بوجود اسحق نبيا اى بان يوجد
مقدّرة نبوته فالعامل فى الحال الوجود لا فعل البشارة من الصالحين
حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لانّ كلّ نبىّ لا بدّ وان يكون من الصالحين
وباركنا عليه وعلى اسحق اى افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا
على ابراهيم فى اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه الف نبىّ اولهم يعقوب

واخرهم عيسى عليه السلام ومن ذريتهما محسن مؤمن وظالم لنفسه
كافر مبين ظاهرا ومحسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه
تنبيه على ان الجنس والطبائع لا يجريان امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر
والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم
في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا ينقص وان المرء انما يعاقب بسوء فعله
ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه ولقد مننا انعمنا
على موسى وهارون بالنبوة ونجيناهما وقومهما بني اسرائيل من الكرب العظيم
من الغرق ومن سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم اي موسى وهارون
وقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين
البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل
الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين
من ولد هارون اخي موسى وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود رضي الله
وان ادريس في موضع الياس اذ قال لقومه الا تتقون الا تخافون الله اتدعون اتعبدون
بعلا هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه
فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء وكان موضعهم
يقال له بك فركب فصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل الياس موكل
بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول
ما يقول الناس انهما حيان وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادة الله
الذي هو احسن المقدرين الله ربكم ورب آبائكم الاولين بنصب الكل
عراقي غير ابي بكر وابي عمرو وعلى البدل من احسن غيرهم بالرفع على الابتداء
فكذبوه فانهم لمحضرون في النار الا عباد الله المخلصين من قومه
وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل ياسين اي الياس وقومه المؤمنين
كقولهم خبيبون يعني ابا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامي
ونافع لان ياسين اسم ابي الياس فاضيف اليه الآل انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين

الا عجوزا في الغابرين في الباقين ثم دمرنا الآخرين اهلكنا وانكم يا اهل
مكة لتمرون عليهم مصبحين داخلين في الصباح وبالليل والوقف عليه
مطلق افلا تعقلون يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا
ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط ويونس
بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين
في آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام وان يونس
لمن المرسلين اذ ابق الا باق الهرب الى حيث لا يهتدى اليه الطلب فسمي
هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا الى الفلك المشحون المملوء وكان
عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمتشور
منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده
وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت
القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فذلك قوله
فساهم فقارعهم مرة او ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام
على وجه القرعة فكان من المدحضين المغلوبين بالقرعة فالتقمه الحوت
فابتلعه وهو مليم وادخل في الملامة فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين
الله كثيرا بالتسبيح او من القائلين لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين او من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كل تسبيح في القرآن فهو صلوة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه
اذا عثر للبث في بطنه الى يوم يبعثون الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث
وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وقد لبث في بطنه
ثلاثة ايام او سبعة او اربعين يوما وعن الشعبي التقمه ضحوة ولفظه
عشية فنبذناه بالعراء فالقيناه في المكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات
وهو سقيم عليل مما ناله من التقام الحوت وروي انه عاد بدنه كبدن
الصبي حين يولد وانبتنا عليه شجرة اي انبتناها فوقه مظلة له كما
يطنب البيت على الانسان من يقطين الجمهور على انه القرع وفائدته
ان الذباب لا يجتمع عنده وانه اسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا
وقيل لرسول الله عليه السلام انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس

وأرسلناه الى مائة ألف المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام
فيكون قد مضمرا او يزيدون اى اذا راها الرائى قال هى مائة الف
او اكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناها بل يزيدون قال ذلك
الفراء وابو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك فآمنوا وعما ارسل به
فمتعناهم الى حين الى منتهى آجالهم فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون معطوف على مثله فى اول السورة اى على فاستفتهم
اهم اشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة امر رسول الله باستفتاء
قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض
ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله
الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديد
لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل
لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا
باخبار صادق ولا بطريق استدلال ولا نظر او معناه انهم يقولون
ذلك عن طمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم شاهدوا خلقهم
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون فى قولهم اصطفى
البنات على البنين بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام للتوبيخ
وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام ما لكم كيف
تحكمون هذا الحكم الفاسد افلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص
ام لكم سلطان مبين حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات
الله فأتوا بكتابكم الذى انزل عليكم ان كنتم صادقين فى دعواكم
وجعلوا بينه بين الله تعالى وبين الجنة اى الملائكة لاستتارهم
نسبا وهو زعمهم انهم بناته وقالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له
الملائكة ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ولقد علمت الملائكة ان الذين
قالوا هذا القول لمحضرون فى النار سبحان الله عما يصفون نزه
نفسه عن الولد والصاحبة الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض

بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من واو يصفون
اى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين براء من ان يصفوه فانكم وما تعبدون
يا اهل مكة ومعبوديكم ما انتم واياهم جميعا عليه على الله بفاتنين بمضلين
الا من هو صال الجحيم بكسر اللام اى لستم تضلون احدا الا اصحاب
النار الذين سبق فى علمه انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها
يقال فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وقال الحسن
فانكم ايها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما
انتم على عبادة الاوثان بمضلين احدا الا من قدر عليه انه يصلى الجحيم
اى يدخل النار وقيل ما انتم بمضلين الا من اوجبت عليه الضلالة
فى السابقة وما فى ما انتم نافية ومن فى موضع نصب بفاتنين وقرأ
الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه ان يكون جمعا وحذفت النون
للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد
اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه وما منا احد
الا له مقام معلوم فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه وانا لنحن الصافون نصف اقدامنا فى الصلوة او نصف
حول العرش داعين للمؤمنين وانا لنحن المسبحون المنزهون او المصلون
والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة
حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا
ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه
عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرءوهم منه وقالوا للكفرة فاذا انكم والهتكم
لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان من اهل النار
وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا
مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون
اقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول
رسول الله عليه السلام يعنى وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم
القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر
اعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز

عليه وان كانوا ليقولون اى مشركوا قريش قبل مبعثه عليه السلام لو ان عندنا
ذكرا من الاولين اى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل
لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا
خالفنا كما خالفوا فجآءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى
هو معجز من بين الكتب فكفروا به فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم
من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك
انهم كانوا يقولون مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اولهم وآخرهم ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكلمة قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت
فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم فى مقام
الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب
نبى فى حرب ولا قتل فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا
نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر
والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب
فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين الى مدة يسيرة وهى المدة التى امهلوا فيها
او الى يوم بدر او الى فتح مكة وابصرهم اى ابصر ما ينالهم يومئذ فسوف
يبصرون ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد وانظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون
ما انكروا او اعلمهم فسوف يعلمون افبعذابنا يستعجلون قبل حينه فاذا نزل
العذاب بساحتهم بفنائهم فساء صباح المنذرين صباحهم واللام
فى المنذرين مبهم فى جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل
هو نزول رسول الله عليه السلام يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم
بعدما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا
الى انذاره حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وتول
عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية
وتاكيد الوقوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهو اطلاق الفعلين
معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر

من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر
عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها
كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز
ان يراد انه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء عما
يصفون من الولد والصاحبة والشريك وسلام على المرسلين عمم الرسل
بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا
والحمد لله رب العالمين على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء والاولياء اشتملت
السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه
المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك
من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين
على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به
ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه العظيم وعن على رضى الله
عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام
من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة سورة ص مكية وهى ثمانون وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ص ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز ثم اتبعه
القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كانه قال والقرآن ذى الذكر اى ذى الشرف
انه لكلام معجز ويجوز ان يكون ص خبر مبتدا محذوف على انها اسم السورة كانه
قال هذه ص اى هذه السورة التى اعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول
هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال
اقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة تكبر
عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق خلاف لله ولرسوله والتنكير
فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة
عما يجب عليهم فى النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوى العزة والشقاق
من قبلهم من قومك من قرن امة فنادوا فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب
ولات هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد
وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها

اما الاسم والخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه
وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت
بنفي الاحيان وقوله حين مناص منها منصوب بها كانك قلت
ولا حين مناص لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص
اى وليس الحين حين مناص وعجبوا ان جاءهم من ان جاءهم منذر منهم
رسول من انفسهم يعنى استبعدوا ان يكون النبى من البشر وقال الكافرون
هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب
ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر
عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذ لا كفر
ابلغ من ان يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو
الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج روى ان عمر رضى الله عنه لما اسلم
فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم
ومشوا الى ابى طالب وقالوا انت كبيرنا فقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون
الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب
رسول الله عليه السلام وقال يا ابن اخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا تسألونى قالوا ارفضنا وارفض
ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام اعطونى كلمة تملكون بها
العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اى نعطيكها وعشر كلمات
معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا اى
اصير ان هذا لشىء عجاب اى بليغ فى العجب وقيل العجيب ما له مثل والعجاب
ما لا مثل له وانطلق الملأ منهم ان امشوا وانطلق اشراف قريش عن مجلس
ابى طالب بعد ما بكتهم رسول الله عليه السلام بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض
امشوا وان بمعنى اى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا
فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول واصبروا على عبادة آلهتكم
ان هذا الامر لشىء يراد اى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع
فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشىء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه
ما سمعنا بهذا بالتوحيد فى الملة الآخرة فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى

مثلثة غير موحدة او فى ملة قريش التى ادركنا عليها آباءنا ان هذا اى ما هذا
الا اختلاق كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه أأنزل عليه الذكر القرآن من بيننا
انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا بل هم
فى شك من ذكرى من القرآن بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا
ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعنى انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم
العذاب فيصدقون حينئذ ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يعنى ما هم
بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة
بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها
العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها
على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء
ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال ان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف
فى قسمة الرحمة فليرتقوا فى الاسباب فليصعدوا فى المعارج والطرق التى
يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى الى من يختارون
ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله جند مبتدأ ما صلة مقوية
للنكرة المبتدأة هنالك اشارة الى بدر ومصارعهم او الى حيث وضعوا
فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر
ليس من اهله لست هنالك خبر المبتدأ مهزوم مكسور من الاحزاب متعلق
بجند او بمهزوم يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم
عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون كذبت قبلهم قبل اهل
مكة قوم نوح نوحا وعاد هودا وفرعون موسى ذو الاوتاد وقيل كانت له
اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب باربعة اوتاد فى يديه ورجليه
وثمود وهم قوم صالح صالحا وقوم لوط لوطا واصحاب الايكة الغيضة
شعيبا اولئك الاحزاب اى اراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين
جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ان كل الا كذب الرسل
ذكر تكذيبهم اولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يتبين المكذب ثم جاء
بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها وبين المكذب وهو الرسل وذكر ان كل واحد

من الاحزاب كذب جميع الرسل لان في تكذيب الواحد منهم تكذيب جميع
الاتحاد دعوتهم وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع
في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من
الوضع على وجه التوكيد انواع من المبالغة المسجلة عليهم بالاستحقاق
اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اى فوجب لذلك ان يعاقبهم حق
عقابهم عذابى وعقابى في الحالين يعقوب وما ينظر هؤلاء وما ينظر اهل مكة
الا صيحة واحدة اى النفخة الاولى وهي الفزع الاكبر ما لها من فواق وبالضم
حمزة وعلى اى ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب اى اذا جاء وقتها
لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من افاق
المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها
نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقالوا ربنا عجل لنا قطنا اى حظنا من الجنة لانه
عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها
او نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب واصل القط القسط من
الشيء لانه قطعة من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس
قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون فيك وصف نفسك اى تزل فيما كلفت
من مصابرتهم وكمل اذاهم واذكر عبدنا داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة
اليسيرة فلقى من عتاب الله ما لقى ذا الايد ذا القوة في الدين وما يدل على ان الايد
القوة في الدين قوله انه اواب اى رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى
الايد روى انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل
انا سخرنا الجبال معه قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا اراد سيرها
الى حيث يريد يسبحن في معنى مسبحات على الحال واختيار يسبحن على مسبحات
ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال بالعشى
والاشراق اى في طرفى النهار والعشى وقت العصر الى الليل والاشراق
وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس الى ان تضحى وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلوة
الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن
ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه

الطير فسبحت فذلك حشرها كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل
داود اى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح
لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر
ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اى كل من داود والجبال والطير
اواب اى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلث
وثلثون الف رجل يحرسونه وآتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق
الحق فهو حكمة وفصل الخطاب علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق
والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول
كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به
لا يلتبس عليه وجاز ان يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل
الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو
كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه
هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق
والباطل وعن الشعبى هو قوله اما بعد وهو اول من قال اما بعد فان من تكلم في الامر
الذى له شان يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه
وبين ذكر الله بقوله اما بعد وهل اتاك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة
على انه تعالى من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر
في الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب اذ بمحذوف تقديره وصل اتاك نبأ تحاكم الخصم
او بالخصم لما فيه من معنى الفعل تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور
الحائط المرتفع والمحراب الغرفة او المسجد او صدر المسجد اذ بدل من الاول
دخلوا على داود ففزع منهم روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين
فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر
الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه في غير يوم القضاء ولانهم نزلوا
عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف خصمان
خبر مبتدأ محذوف اى نحن خصمان بغى بعضنا على بعض تعدى وظلم فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق واهدنا الى سواء الصراط
وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان اهل زمان داود

عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً ان ينزل عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته
وكان لهم عادة في المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك
واتفق ان عين داود وقعت على امرأة اوريا فاحبها فسأله النزول له عنها
فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك
وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول
بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل
خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة
اخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة اوريا الى غزاة البلقاء
واحب ان يقتل ليتزوجها فلا يليق لتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلاً
عن بعض اعلام الانبياء وقال علي رضي الله عنه من حدثكم بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك
عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة
على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت
على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي
هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل ضرب الله
لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب وانما جاء
على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان
التأمل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه
واعظم اثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة ان هذا اخي هو بدل من هذا
او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة
والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
ولي حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا للمسئلة وفرضا لها
لا يمتنع ان يعرض الملائكة في انفسهم كما تقول لي اربعون شاة ولك اربعون
خلطناها وما لكما في الاربعين اربعة ولا ربعها فقال اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعن ابن عباس اجعلها كفلي
اي نصيبي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه في الخطاب في الخصومة اي كان
اقدر على الاحتجاج مني واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المرأة

وخطبها

وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني ووجه
التمثيل ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع
وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج
من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك
على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل
خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدي
تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر
بعدما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم وروي انه قال انا اريد
ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار
الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت
فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وان كثيرا من الخلطاء الشركاء
والاصحاب ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات المستثنى منصوب
وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم وقليل ما هم وما للابهام وهو مبتدأ وقليل خبره
وظن داود اي علم وايقن وانما استعير له لان الظن الغالب يداني العلم انما فتناه
ابتليناه فاستغفر ربه لزلته وخر راكعا اي سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل
على ان الركوع يقوم مقام السجود في الصلوة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا
عند هذه التلاوة والركوع في الصلوة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلوة
واناب ورجع الى الله بالتوبة وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه
الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب
ماء الا وثلثاه دمع فغفرنا له ذلك اي زلته وان له عندنا لزلفى لقربة وحسن مآب
مرجع وهو الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك
في الارض او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه
دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس
بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته بالعدل ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في قضائك
فيضلك الهوى عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله دينه لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب اي بسبب نسيانهم يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض

وما بينهما من الخلق باطلا خلقا باطلا لا لحكمة بالغة او مبطلين عابثين
كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوي باطل
او عبثا فوضع باطلا موضعه اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن
للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل ومنحناها التمكين وازحنا
عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب
اعمالهم ذلك اشارة الى خلقها باطلا ظن الذين كفروا الظن بمعنى المظنون
اي خلقها للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث
لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما بقوله ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب
والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه
لان الجزاء هو الذي سبقت اليه الحكمة في خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة
في خلق العالم فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى الاستفهام
فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت احوال من اصلح وافسد
واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك
يعني القرآن مبارك صفة اخرى ليدبروا آياته واصله ليتدبروا وقرئ ليدبروا ومعناه
ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان
لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى
التائين يزيد وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ بالقرآن اولوا العقول ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد اي سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح
محذوف انه اواب وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا اي كثير الرجوع الى الله تعالى اذ عرض
عليه على سليمان بالعشي بعد الظهر الصافنات الخيول القائمة على ثلث قوائم وقد
اقامت الاخرى على طرف الحافر الجياد السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها
بالصفون لانه لا يكون في الهجن وانما هو في العراب وقيل وصفها بالصفون
والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة
مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق
من الجيد وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس

وقيل

وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها
اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل
تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه
فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله فبقي مائة فما في ايدي
الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي
الريح تجري فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي آثرت حب الخيل
على ذكر ربي كذا عن الزجاج واحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا
العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمي الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق
الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة
وقال ابو علي احببت بمعنى جلست ولزمت من احباب البعير وهو بروكه
حب الخير مفعول له مضاف الى المفعول حتى توارت اي الشمس
بالحجاب والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد
للضمير من جرى ذكر او دليل ذكر او الضمير للصافنات اي حتى توارت
بحجاب الليل يعني الظلام ردوها علي اي قال للملائكة ردوا الشمس
علي واصلي العصر فردت الشمس له فصلى العصر او ردوا الصافنات
فطفق مسحا بالسوق والاعناق فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف
بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور واعناقها يعني يقطعها لانها
عن الصلوة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب
اذا قطع اطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها او شكرا لرد
الشمس وكانت الخيل ماكولة في شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها
بيده استحسانا لها واعجابا بها ولقد فتنا سليمان ابتليناه
والقينا على كرسيه سرير ملكه جسدا ثم اناب رجع الى الله تعالى
قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين
وكان من فتنته انه ولد له ابن وقالت الشياطين ان عاش لم ننفك
من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك سليمان فكان
يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشيطان فالقي ولده ميتا
على كرسيه فتنبه على زلته في ان لم يتوكل فيه على ربه وروي

عن النبي عليه السلام قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين
امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء
الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به
على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء
لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون واما ما يروى من حديث الخاتم
والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فمن اباطيل اليهود قال
رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم الاستغفار على استيهاب الملك
جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال
لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون لاحد من بعدي اي من دوني وبفتح الياء
مدني وابو عمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا
وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له
الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى تخرق العادات انك انت
الوهاب فسخرنا له الريح الرياح ابو جعفر تجري حال من الريح بامره
بامر سليمان رخاء لينة طيبة لا تزعزع فهو حال من ضمير تجري حيث
ظرف تجري اصاب قصد واراد والعرب تقول اصاب الصواب
واخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح اي وسخرنا له الشياطين
كل بناء بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الابنية وغواص
ويغوصون في البحر لاخراج اللؤلؤ وهو اول من استخرج اللؤلؤ
من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين وآخرين
عطف على كل بناء داخل في حكم البدل مقرنين في الاصفاد وكان
يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل
للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمي به العطاء
لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك
فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك هذا الذي اعطيناك
من الملك والمال والبسطة عطاؤنا فامنن فاعط منه ما شئت
من المنة وهي العطاء او امسك عن الاعطاء وكان اذا اعطى
اجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره بغير حساب متعلق بعطاؤنا

او حال منه اي هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره او هذا
التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق او امسك
من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك وان له
عندنا لزلفى وحسن مآب لزلفى اسم ان والخبر له والعامل في عند الخبر
واذكر عبدنا ايوب هو بدل من عبدنا او عطف بيان اذ بدل اشتمال منه
نادى ربه دعا اني مسني بالفتح سوى حمزة حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه
ولو لم يحكه لقال بانه مسه لانه غائب الشيطان بنصب قراءة العامة بنصب
يزيد بضمتين نصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على اصل المصدر هبيرة
والمعنى واحد وهو التعب والمشقة وعذاب الم يريد مرضه وما كانوا يقاسي
فيه من انواع الوصب وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل
به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف
البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من
المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء
والصالحين وذكر في سبب بلائه انه ذبح شاة فاكلها وجاره جائع او رأى منكرا فسكت
عنه او ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه اركض برجلك حكاية
لما اجيب به بعد دعائه اذ ارسلنا اليه جبرئيل فقال له اركض برجلك اي اضرب
برجلك الارض وهي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد
وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل
نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من باطنه
وظاهره باذن الله ووهبنا له اهله ومثلهم معهم قيل احياهم الله [illegible]
وزاده مثلهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب مفعول لهما اي لهبة كانت
لرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم
في الصبر على البلاء وخذ معطوف على اركض بيدك ضغثا حزمة صغيرة من حشيش
او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر فاضرب به
ولا تحنث وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برئ فحلل الله يمينه
باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب ان يصيب
المضروب كل واحد من المائة والسبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة

فخرج صدرها وقيل باعت ذوابتيها برغيفتين وكانتا متعلق ايوب اذا قام
انا وجدناه علمناه صابرا على البلاء نعم شكا اليه ما به واسترحمه لكن
الشكوى الى الله لا يسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي
وحزني الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه
من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل
وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان
نعم العبد ايوب انه اواب واذكر عبادنا عبدنا مكي ابراهيم واسحق ويعقوب
من جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان لعبادنا ومن وحد فابراهيم وحده
عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت اكثر الاعمال تباشر
بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتاتى فيه
المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى هذا ورد قوله اولي
الايدي والابصار اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الاخرة
لا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات في حكم الزمنى الذين
لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه
تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم
المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما انا اخلصناهم جعلناهم لنا
خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ذكرى الدار
ذكرى في محل النصب او الرفع باضمار اعني او هي او الجر على البدل من خالصة
والمعنى انا اخلصناهم بذكرى الدار والدار ههنا الدار الاخرة يعني
جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس الدار الاخرة
ويزهدونهم في الدنيا كما هو ديدن الانبياء عليهم السلام او معناه انهم
يكثرون ذكر الاخرة والرجوع الى الله وينسون ذكرى الدنيا بخالصة ذكرى
على الاضافة الشيء الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى
وذكرى مصدر مضاف الى المفعول اي باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة
بمعنى خلوص فهي مضافة الى الفاعل اي بان خلصت لهم ذكرى الدار على انهم
لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همتهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى
الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شيء قد اخلصهم به فليس يذكر غيرهم

في الدنيا بمثل ما يذكرون به ويقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا وانهم
عندنا لمن المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم الاخيار جمع خير او خير
على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسماعيل واليسع كان حرف
التعريف دخل على يسع وذا الكفل وكل التنوين عوض عن المضاف اليه
اي وكلهم من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب اي هذا شرف وذكر
جميل يذكرون به ابدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعني يذكرون في الدنيا بالجميل
ويرجعون في الاخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع
فقال جنات عدن بدل من حسن مآب مفتحة حال من جنات لانها معرفة
لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل لهم الابواب
ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف اي مفتحة لهم الابواب
فيها محذوف كما حذف في قوله فان الجحيم هي المأوى اي لهم او ابوابها الا
ان الاول اجود او هي بدل من الضمير في مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره هي
الابواب وهو من بدل الاشتمال متكئين حال من المجرور في لهم والعامل
مفتحة فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب اي وشراب كثير محذوف اكتفاء
بالاول وعندهم قاصرات الطرف قصرن طرفهن على ازواجهن اتراب
لدات اسنانهن كاسنانهم لان التحاب بين الاقران اثبت وكان
اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد هذا
ما توعدون وبالياء مكي وابو عمرو ليوم الحساب اي ليوم تجزى
كل نفس بما عملت ان هذا لرزقنا ما له من نفاد من انقطاع والجملة حال
من الرزق والعامل الاشارة هذا خبر والمبتدأ محذوف اي الامر
هذا او هذا كما ذكر وان للطاغين لشر مآب مرجع جهنم بدل منه يصلونها
يدخلونها فبئس المهاد شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم
هذا فليذوقوه حميم وغساق اي هذا حميم وغساق فليذوقوه او هذا
مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض او العذاب
هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق وبالتشديد حمزة وعلي
وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد اهل النار يقال
غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده

وَآخَرُ اى وعذاب آخر او مذوق آخر مِنْ شَكْلِهِ من مثل العذاب المذكور وآخر بصرى اى ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق فى الشدّة والفظاعة أَزْوَاجٌ صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدّة والقحمة الشدّة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اى يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لَا مَرْحَبًا بِهِمْ دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اى اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم عطف بيان للمدعوّ عليهم إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قَالُوا اى الاتباع بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ اى الدعاء الذى دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقوله أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا والضمير للعذاب او لصليهم اى انتم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم فَبِئْسَ الْقَرَارُ اى النار قَالُوا اى الاتباع رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا اى مضاعفا فِي النَّارِ ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله وَقَالُوا الضمير لرؤساء الكفرة مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا يعنون فقراء المسلمين كُنَّا نَعُدُّهُمْ فى الدنيا مِنَ الْأَشْرَارِ من الارذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على انفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل أَمْ زَاغَتْ مالت عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ هو متصل بقوله ما لنا اى ما لنا لا نراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم إِنَّ ذَٰلِكَ الذى حكينا عنهم

لَحَقٌّ لصدق كائن لا محالة لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين تخاصما ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك قُلْ يا محمد لمشركى مكة إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الْوَاحِدُ بلا ند ولا شريك الْقَهَّارُ لكل شئ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا له الملك والربوبية فى العالم كله الْعَزِيزُ الذى لا يغلب اذا عاقب الْغَفَّارُ للذنوب لمن التجاء اليه قُلْ هُوَ اى هذا الذى انبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نَبَأٌ عَظِيمٌ لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ غافلون مَا كَانَ لِيَ حفص مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ فهو احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلك الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحى من الله إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ اى لانما انا نذير مبين ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط فى ذلك اى ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الى غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية اى الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعى شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس رضى الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيمة والمراد بالملأ الاعلى اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون يتعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لى من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم إِذْ قَالَ رَبُّكَ بدل من اذ يختصمون فى شأن آدم حين قال تعالى

على لسان ملك للملائكة انى خالق بشرا من طين وقال انى جاعل فى الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها فاذا سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته
ونفخت فيه من روحى الذى خلقت واضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله
والمعنى احييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا امر من وقع يقع اى اسقطوا
على الارض والمعنى اسجدوا له ساجدين قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل
كان سجدة لله او كان سجدة التحية فسجد الملائكة كلهم اجمعون كل
للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا انهم سجدوا عن آخرهم جميعا فى وقت
واحد غير متفرقين فى اوقات الا ابليس استكبر تعظم عن السجود وكان
من الكافرين وصار من الكافرين باباء الامر قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد ما منعك عن السجود لما خلقت بيدى اى بلا واسطة امتثالا
لامرى واعظاما لخطابى وقد مر ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه
فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب
هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدى له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق
فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت ايدينا
ولما خلقت بيدى استكبرت استفهام انكار ام كنت من العالين ممن
علوت وفقت وقيل استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين
قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى لو كان مخلوقا
من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف اسجد لمن هو دونى لانه
من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى
وهى خلقتنى من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه فى
البيان والايضاح قال فاخرج منها من الجنة او من السموات او من
الخلقة التى فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود
بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسن واظلم بعد ما كان نورانيا
فانك رجيم مرجوم اى مطرود وتكبر ابليس ان يسجد لمن خلق من طين وزل
عنه ان الله تعالى امر به ملائكته واتبعوا امره اجلالا لخطابه وتعظيما
لامره فصار مرجوما ملعونا لترك امره وان عليك لعنتى وبفتح الياء
مدنى الى يوم الدين اى الجزاء ولا يظن بان لعنته

غايتها

غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة فى الدنيا وحدها
فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد ولما كان عليه
اللعنة فى اوان الرحمة فاولى ان تكون عليه فى غير اوانها فكيف تنقطع وقد
قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين قال رب فانظرنى
فامهلنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
الوقت المعلوم الوقت الذى يقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى
وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين
لا يتقدم ولا يتاخر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين اقسم بعزة الله
وهى سلطانه وقهره الا عبادك منهم المخلصين بكسر اللام مكى وبصرى
وشامى قال فالحق بالرفع كوفى غير على على الابتداء اى الحق منى او على
الخبر اى انا الحق وبالنصب غيرهم على انه مقسم به كقولك الله لافعلن
يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين
المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب باقول ومعناه ولا اقول
الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذى فى قوله ان الله هو الحق المبين او
الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به لاملان جهنم منك
من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم اجمعين
اى لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا
قل ما اسئلكم عليه من اجر الضمير للقرآن او للوحى وما انا من المتكلفين
من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتمونى متصنعا ولا مدعيا
ما ليس عندى حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو ما القرآن الا ذكر
من الله للعالمين للثقلين اوحى الى فانا ابلغه وعن رسول الله عليه السلام
للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول
ما لم يعلم ولتعلمن نباه نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد
وذكر البعث والنشور بعد حين بعد الموت او يوم بدر او يوم القيامة
ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر سورة الزمر مكية وهى سبعون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب اى القرآن مبتدأ خبره من الله اى نزل من عند الله او خبر مبتدأ

محذوف والجار صلة التنزيل او غير صلة بل هو خبر بعد خبر او خبر مبتدأ
محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله العزيز في سلطانه
الحكيم في تدبيره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق هذا ليس بتكرار
لان الاول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب فاعبد الله
مخلصا حال له الدين ممحصا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد
وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق
من رفعه اي يقرأ مخلصا الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه
بان يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار
وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن
الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء اي آلهة وهو مبتدأ
محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى مصدر اي تقريبا ان الله يحكم بينهم بين
المسلمين والمشركين فيما هم فيه يختلفون قيل كان المسلمون اذا قالوا
لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون
الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله
يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدي من هو
كاذب كفار اي لا يهدي من هو في علمه انه يختار الكفر يعني لا يوفقه
للهدى ولا يعينه وقت اختيار الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم في بعض
من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله لو
اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو جاز اتخاذ الولد
على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون انتم وتشاؤن
سبحانه نزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولياء
والاولاد ودل على ذلك بقوله هو الله الواحد القهار يعني انه واحد
متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزي والولاد قهار غلاب
لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فانى يكونون له اولياء وشركاء ثم دل
بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير
النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة

وخلق

وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل والتكوير اللف
واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب
الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه
عن مطامح الابصار او ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك
بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى اي القيمة الا هو العزيز الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر
بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما الغفار لمن فكر واعتبر فآمن
بمدبرهما خلقكم من نفس واحدة اي آدم ثم جعل منها زوجها اي حواء
من قصيراه قيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل
لكم من الانعام اي جعل عن الحسن او خلقها في الجنة مع آدم عليه السلام
ثم انزلها او لانها لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا
بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من
من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين في سورة الانعام والزوج اسم
لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد
خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق في ظلمات ثلاث ظلمة البطن
والرحم والمشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم الذي هذه مفعولاته
هو الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون فكيف يعدل بكم
عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين انه غني عنهم بقوله ان تكفروا
فان الله غني عنكم عن ايمانكم وانتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر
وانتفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر لان الكفر ليس برضى الله
تعالى وان كان بارادته وان تشكروا فتؤمنوا يرضه لكم اي يرض الشكر
لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكي
وعلي يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى
وحماد غيرهم يرضه ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يؤخذ احد بذنب آخر
ثم الى ربكم مرجعكم الى جزاء ربكم رجوعكم فينبئكم بما كنتم تعملون
فيخبركم باعمالكم ويجازيكم عليها انه عليم بذات الصدور بخفيات القلوب

واذا مس الانسان هو ابو جهل او كل كافر ضر بلاء وشدة والمس في الاعراض
مجاز دعا ربه منيبا اليه راجعا الى الله بالدعاء لا يدعو غيره ثم
اذا خوله نعمة منه من الله عز وجل نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اى نسى الضر
الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى او نسى
الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا امثالا ليضل
ليَضل مكى وابو عمرو ويعقوب عن سبيله اى الاسلام قل يا محمد تمتع
امر تهديد بكفرك قليلا اى في الدنيا انك من اصحاب النار من اهلها
امن قراء بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام
عن من وبالتشديد غيرهم على ادخال ام عليه ومن مبتداء خبره محذوف
تقديره امن هو قانت كغيره اى امن هو مطيع لمن هو عاص والقانت
المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله
وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون آناء
الليل ساعاته ساجدا وقائما حالان من الضمير في قانت يحذر الآخرة
اى عذاب الآخرة ويرجوا رحمة ربه الجنة ودلت الآية على ان المؤمن يجب
ان يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عذابه لتقصيره
في عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا والخوف اذا جاوز حده يكون
بائسا وقد قال الله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب ان لا يجاوز احدهما حده
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يعنى يعلمون ويعملون
به كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم
ثم لا يقنتون العلوم ثم لا يفتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا
فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء او اريد به التشبيه
اى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى
انما يتذكر اولوا الالباب جمع لب اى انما يتعظ بوعظ الله اولوا
العقول قل يا عباد الذين آمنوا بلا ياء عند الاكثر اتقوا ربكم
بامتثال اوامره واجتناب نواهيه للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة اى اطاعوا الله في الدنيا وفي تتعلق باحسنوا لا بحسنة

معناه

معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول
الجنة اى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة
بالصحة والعافية ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في
الاحسان البتة حتى اذا اعتلوا بانهم لا يتمكنون في اوطانهم من التوفر
على الاحسان قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا
الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير
بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم انما يوفى
الصابرون على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص
واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير اجرهم بغير حساب عن ابن
عباس لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر اى
موفرا قل انى امرت ان اعبد الله بان اعبد الله مخلصا له الدين
اى امرت باخلاص الدين وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك
لاجل ان اكون اول المسلمين اى مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة
والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا فالاول
امر بالعبادة مع الاخلاص والثاني بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا
منزلة المختلفين فصح عطف احدهما على الآخر قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب
يوم عظيم لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك ان كفار قريش
قالوا له عليه السلام الا تنظر الى ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون
اللات والعزى فنزلت ردا عليهم قل الله اعبد مخلصا له دينى هذه
الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دون غيره والاولى
اخبار بانه مامور بالعبادة والاخلاص فالكلام اولا واقع في نفس
الفعل واثباته وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه
فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا امر تهديد وقيل له ان خالفت
دين آبائك فقد خسرت فنزلت قل ان الخاسرين اى الكاملين في الخسران
الجامعين لوجوهه واسبابه الذين خسروا انفسهم باهلاكها في النار
واهليهم اى وخسروا اهليهم يوم القيمة لانهم اضلوهم فصاروا الى
النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران

المبين حيث صدر الجملة ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف
الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات
دركات لهم من فوقهم ظلل اطباق من النار ومن تحتهم ظلل اطباق
من النار هي ظلل لآخرين اي النار محيطة بهم ذلك الذي وصف من العذاب
او ذلك الظلل يخوف الله به عباده ليؤمنوا به ويجتنبوا عن مناهيه
يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي فوقهم بالنار ثم حذرهم
نفسه والذين اجتنبوا الطاغوت الشياطين فعلوت من الطغيان
كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت
على الشيطان او الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات
وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء
مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط
والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد
بها هاهنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل اشتمال من
الطاغوت اي عبادتها وانابوا رجعوا الى الله لهم البشرى
هي البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين
وحين يحشرون فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه هم الذين اجتنبوا وانابوا وانما اراد بهم ان يكونوا مع
الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير
واراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن
والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا
الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو اقرب عند الله
واكثر ثوابا او يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن
او يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو
ونحو ذلك او يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو
فيحدثون باحسن ما سمع ويكفون عما سواه اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولوا الالباب اي المنتفعون بعقولهم افمن
حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصل الكلام

أمن

أفمن حق عليه كلمة العذاب اي وجب فانت تنقذه جملة شرطية دخل
عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها
للعطف على محذوف تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار
ووضع من في النار موضع الضمير اي تنقذه فالآية على هذا جملة
واحدة او معناه افمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه افانت تنقذه
اي لا يقدر احد ان ينقذ من اضله الله وسبق في علمه انه من اهل النار
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف اي لهم منازل في
الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها يعني للكفار ظلل من النار
وللمتقين غرف مبنية تجري من تحتها الانهار اي من تحت منازلها
وعد الله لا يخلف الله الميعاد وعد مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف
في معنى وعدهم الله ذلك الم تر ان الله انزل من السماء ماء يعني المطر
وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله
فسلكه فادخله ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق
في الاجساد وينابيع نصب على الحال ثم يخرج به بالماء زرعا
مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض واصناف
من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يجف فتراه مصفرا بعد
نضارته وحسنه ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت
وتكسر من النبت وغيره ان في ذلك انزال الماء واخراج الزرع لذكرى
لاولي الالباب لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك
كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل افمن شرح الله
صدره اي وسع صدره للاسلام فاهتدى وسئل رسول الله عليه
السلام عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل
هل لذلك علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزول الموت فهو على نور من ربه بيان وبصيرة
والمعنى افمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه
فحذف لان قوله فويل للقاسية قلوبهم يدل عليه من ذكر الله اي

من ترك ذكر الله او من اجل ذكر الله اى اذا ذكر الله عندهم او آياته ازدادت قلوبهم
قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم اولئك فى ضلال مبين غواية
ظاهرة الله نزل احسن الحديث فى ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل
عليه تفخيم لاحسن الحديث كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه متشابها
يشبه بعضه بعضا فى الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز
وغير ذلك مثانى نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردود ومكرر لما ثنى
من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون
الا متشابهة وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل انما جاز وصف الواحد
بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هى جملته الا ترى
تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص
واحكام ومواعظ مكررات او منصوب على التمييز من متشابها كما تقول
رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر تضطرب
وتتحرك منه جلود الذين يخشون ربهم يقال اقشعر الجلد اذا تقبض
تقبضا شديدا والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده
اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفى الحديث اذا اقشعر جلد
المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة
ورقها ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اى اذا ذكرت
آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية
والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل
اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله
من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر
لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت الجلود وحدها اولا ثم
قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها
يتضمن ذكر القلوب ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله
يهدى به من يشاء من عباده وهو من علم منه اختيار الاهتداء
ومن يضلل الله يخلق الضلالة فيه فما له من هاد الى الحق افمن يتقى

بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف
فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقى
مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقى بها وجهه لانه اعز
اعضائه عليه والذى يلقى فى النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه
فلا يتهيأ له ان يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى المخاوف بغيره
وقاية له ومحاماة عليه وقيل للظالمين اى يقول لهم خزنة النار
ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون اى كسبكم كذب الذين من قبلهم
من قبل قريش فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فى الجهة التى
لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بينا هم آمنون
اذ فوجئوا من مأمنهم فاذاقهم الله الخزى الذل والصغار كالمسخ
والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله فى الحيوة الدنيا
ولعذاب الآخرة اكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون لآمنوا
ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون
ليتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا
وانسانا عاقلا فتذكر رجلا وانسانا توكيدا او نصب على المدح
غير ذى عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل
مستقيما للاشعار بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك
لعلهم يتقون الكفر ضرب الله مثلا رجلا بدل فيه شركاء متشاكسون
متنازعون ومختلفون ورجلا سلما مصدر سلم والمعنى ذا سلامة
لرجل اى ذا خلوص له من الشركة سالما مكى وابو عمرو اى خالصا له
هل يستويان مثلا صفة وهو تمييز والمعنى هل يستوى صفتاهما
وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرء
مثلين الحمد لله الذى لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع
واختلاف كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه
فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد
فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شاع وقلبه اوزاع

والمؤمن بعبد لسيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع إنك ميت
اى ستموت وإنهم ميتون وبالتخفيف من حل به الموت قال
الخليل انشد ابو عمرو يا سائلى تفسير ميت وميّت فدونك قد فسرت
ان كنت تعقل فمن كان ذا روح فذلك ميت وما الميت الا من الى القبر
يحمل كانوا يتربصون برسول الله عليه السلام موته فاخبر ان الموت
يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقى بالفانى وعن قتادة نعى
الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم اى انك واياهم فى عداد الموتى
لان ما هو كائن فكأن قد كان ثم إنكم اى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب
على ضمير الغيب يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم
بانك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون
بما لا طائل تحته يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول
السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة
ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه
خصومتنا وعن ابى العالية نزلت فى اهل القبلة وذلك فى
الدماء والمظالم التى بينهم والوجه هو الاول الا ترى الى قوله
فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذى جاء بالصدق وصدق
به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب
على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب
بالصدق بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد
عليه السلام إذ جاءه فاجأه بالتكذيب كما سمع به من غير
وقفة لاعمال روية او باهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل
اهل النصفة فيما يسمعون أليس فى جهنم مثوى للكافرين
اى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى
للكافرين اشارة اليهم والذى جاء بالصدق وصدق به
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به
اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه فى قوله تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال أولئك هم

المتقون وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه انه قال والذى
جاء بالصدق محمد صلى الله عليه والذى صدق به ابو بكر الصديق
رضى الله عنه وروى ان الذى جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم
وصدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا ولو جعله فى العربية ان يكون
جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير
جائز او اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد لهم ما يشاؤن عند
ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم
اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون اضافة اسوأ واحسن من اضافة
الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بنى مروان
أليس الله بكاف ادخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية
وتقريرها عبده اى محمدا عليه السلام عباده حمزة وعلى اى الانبياء
والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين ويخوفونك بالذين
من دونه اى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا
قالت لرسول الله انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها
لعيبك اياها ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له
من مضل أليس الله بعزيز غالب منيع ذى انتقام ينتقم من اعدائه
وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم
عليهم ثم اعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله خالق السموات
والارض بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بفتح الياء
سوى حمزة بضر مرضا او فقرا او غير ذلك هل هن كاشفات ضره دافعات
شدته عنى او ارادنى برحمة صحة او غنى او نحوهما هل هن ممسكات رحمته
كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض
المسئلة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان
يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير
فان ارادنى خالق العالم الذى اقررتم به بضر او برحمة هل يقدرون
على خلاف ذلك فلما افحمهم قال الله قل حسبى الله كافيا لمعرة اوثانهم

عليه يتوكل المتوكلون يروى ان النبي عليه السلام سألهم فسكتوا فنزل
قل حسبي الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك
بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم
وبمعبوديهم قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم
من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين
للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان اني عامل اي على مكانتي
وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان
حاله تزداد كل يوم قوة لان الله ناصره ومعينه الا ترى الى قوله فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم كيف
توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم
اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزة وغلبة من حيث ان الغلبة
تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه ويخزيه صفة للعذاب
كمقيم او عذاب يخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار
مكاناتكم ابو بكر وحماد انا انزلنا عليك الكتاب القرآن للناس
لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم
الى اختيار الطاعة على المعصية بالحق فمن اهتدى فلنفسه فمن
اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اختار
الضلالة فقد ضرها وما انت عليهم بوكيل بحفيظ ثم اخبر بانه
الحفيظ القدير عليهم بقوله الله يتوفى الانفس حين موتها
الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهي ان يسلب ما هي به حية حساسة
دراكة والتي لم تمت في منامها ويتوفى الانفس التي لم تمت
في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون
ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفيكم
بالليل فيمسك الانفس التي قضى قضي حمزة وعلي عليها الموت
الحقيقي اي لا يردها الى وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة الى اجل
مسمى الى وقت خبر لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها
وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التي

لم تمت

لم تمت في منامها وهي نفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم
هي نفس التمييز فانفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس
والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احدهما نفس الحيوة
ومن التي تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارق
اذا نام وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح
بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي
بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه
وعن علي رضي الله عنه قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه
في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى
جسده باسرع من لحظة وعنه ما رأته نفس النائم في السماء فهي
الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الارسال فيلقنها الشيطان
فهي كاذبة وعن سعيد بن جبير ان ارواح الاحياء وارواح الاموات
تلتقي في المنام فتتعارف منها ما شاء الله ان تتعارف فيمسك
التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها الى انقضاء مدة
حيوتها وروي ان ارواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء فمن
كان منهم طاهرا اذن له في السجود ومن لم يكن طاهرا لم يؤذن له
فيه ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها
وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون
يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة
للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه
قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون معناه ايشفعون
ولو كانوا لا يملكون شيئا قط ولا عقل لهم قل لله الشفاعة
جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا باذنه
انتصب جميعا على الحال له ملك السموات والارض تقرير
لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة
من الملك كان مالكا لها ثم اليه ترجعون متصل بما يليه معناه له

ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا
يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة
واذا ذكر الله وحده مدار المعنى على قوله وحده اى اذا افرد الله
بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزت نفرت وانقبضت
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين
من دونه يعنى آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر اذا هم
يستبشرون لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده
لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاشمئزاز
والاستبشار اذ كل واحد منهما غاية في بابه فالاستبشار ان يمتلئ
قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ
غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه والعامل في اذا ذكر
هو العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا
وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض اى يا فاطر
السموات وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء عالم الغيب والشهادة
السر والعلانية انت تحكم تقضى بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبى للمشركين الى الله
وعن الربيع بن المسيب لا اعرف آية قرئت فدعى عندها الا اجيب سواها
وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضى الله
وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه
الاية وروى انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم
يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه الهاء يعود الى ما لافتدوا به من سوء
العذاب شدته يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط
في حسبانهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها
حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها
فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر

عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى
ان يبدو لى من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا
اى سيئات اعمالهم التى كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت
وكانت خافية عليهم او عقاب ذلك وحاق بهم ونزل بهم واحاط ما كانوا
به يستهزءون جزاؤهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه اذا
اعطيناه تفضلا يقال خولنى اذا اعطاك على غير جزاء نعمة منا ولا تقف
عليه لان جواب اذا قال انما اوتيته على علم منى انى سأعطاه لما فى من فضل
واستحقاق او على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى
وانما ذكر الضمير فى اوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا
من النعمة وقسما منها وقيل ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها اى
ان الذى اوتيته على علم بل هى فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك
ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة اى ابتلاء وامتحان لك اتشكر
ام تكفر ولما كان الخبر مؤنثا اعنى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انها
فتنة والسبب فى عطف هذه الاية بالفاء وعطف مثلها فى اول
السورة بالواو ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده
اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر
الالهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز عن ذكره دون من
استبشر بذكره وما بينهما من الاى اعتراض فان قلت من الاعتراض
ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول
عليه السلام بامر من الله وقوله انت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من
الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم
الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بينى وبين
هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجرأة الا انت وقوله ولو ان
للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما او اياهم خاصة ان عنيتهم
به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب واما الاية الاولى فلم تقع
مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام

زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد مؤمن بالله
فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله
فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين التجأ
الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان في جعله سببا
في الالتجاء قد قالها هذه المقالة وهي قوله انما اوتيته على علم الذين
من قبلهم اي قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه
راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون
قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا اي جزاء سيئات كسبهم
او سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
والذين ظلموا كفروا من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم سيئات
ما كسبوا اي سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر
وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين وما هم بمعجزين بفائتين
من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويضيق وقيل يجعله على قدر
القوت ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بانه لا قابض
ولا باسط الا الله عز وجل قل يا عبادي الذين وبسكون
الياء بصري وحمزة وعلي اسرفوا على انفسهم جنوا عليها
بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا لا تيأسوا وبكسر
النون علي وبصري من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
بالعفو عنها الا الشرك وفي قراءة النبي عليه السلام يغفر الذنوب
جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى ولا يخاف
عقباها وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله
عليه السلام ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية انه هو الغفور
بستر عظائم الذنوب الرحيم بكشف فظائع الكروب وانيبوا الى ربكم
وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل من قبل ان يأتيكم العذاب
ثم لا تنصرون ان لم تتوبوا قبل نزول العذاب واتبعوا احسن ما انزل

اليكم

اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه من قبل
ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون
كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم ان تقول لئلا تقول نفس انما
نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس
متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد
التكثير يا حسرتى الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ يا حسرتي على
الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه على ما فرطت
قصرت وما مصدرية مثلها في بما رحبت في جنب الله في امر الله او في طاعة الله
او في ذاته وفي حرف عبد الله في ذكر الله والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان
وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه
يريدون في حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل
وحيزه فقد اثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان
الرجل اي لاجله وقال الزجاج معناه فرطت في طريق الله وهو
توحيده والاقرار بنبوة نبيه محمد عليه السلام وان كنت لمن الساخرين
المستهزئين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها
ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي
فرطت في حال سخريتي او تقول لو ان الله هداني اعطاني الهداية
لكنت من المتقين من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام ابو
منصور رحمه الله هذا الكافر اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا اولئك
الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو
وفقنا الله للهداية واعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن
اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا
والمعتزلة يقولون بل هداهم واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا
والحاصل ان عند الله لطفا من اعطي ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة
ومن لم يعصمه ضل وغوى وكان استيجابه للعذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن
من تحصيله لذلك او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا
فاكون من المحسنين من الموحدين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت

وكنت من الكافرين بلى رد من الله عليه كانه يقول بلى قد جاءتك اياتى وبينت
لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك فى اختيار الهداية
على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعت واستكبرت
عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما امرت فانما جاء
التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفى تقديرى لان معنى لو ان الله
هدانى ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية اقوال النفس
على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه
ونفى الصفات فيه وجوههم مبتداء مسودة خبر والجملة فى محل النصب
على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول
ثان اليس فى جهنم مثوى منزلا للمتكبرين هو اشارة الى قوله واستكبرت
وينجى الله وينجى روح الذين اتقوا عن الشرك بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز
بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اى ينجيهم بنفى
السوء والحزن عنهم اى لا يمس ابدانهم اذى ولا قلوبهم حزن او بسبب منجاتهم
من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى بمنجاة منه لان النجاة من اعظم
الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة
بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو
دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها
ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب
على الحال على الثانى بمفازاتهم كوفى غير حفص الله خالق كل شئ رد على
المعتزلة والثنوية وهو على كل شئ وكيل حافظ له مقاليد السموات
والارض اى هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ
الخزائن ومدبر امرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت
اليه مقاليد الملك وهى المفاتيح واحدها مقليد وقيل لا واحد لها
من لفظها والكلمة اصلها فارسية والذين كفروا بايات الله
اولئك هم الخاسرون هو متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا

اى ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما
بانه خالق كل شئ وهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شئ من اعمال المكلفين منهما
وما يجزون عليها او بما يليه على ان كل شئ فى السموات والارض فالله
خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم
الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله عليه السلام ورضى عنه عن تفسير قوله
له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنها احد قبلك تفسيرها
لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول
ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى
ويميت وهو على كل شئ قدير وتاويله على هذا ان الله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من
المتقين اصابه ذلك الخير والذين كفروا بايات الله وكلمات
الله توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون قل لمن دعاك الى دين
ابائك افغير الله تأمرونى اعبد تأمرونى مكى تأمرونى على الاصل
شامى تأمرونى مدنى وانتصب افغير الله باعبد وتأمرونى اعتراض
ومعناه افغير الله اعبد بامركم بعد هذا البيان ايها الجاهلون
بتوحيد الله ولقد اوحى اليك والى الذين من الانبياء لئن اشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين وانما قال لئن اشركت على التوحيد
والموحى اليهم جماعة لان معناه اوحى اليك لئن اشركت ليحبطن عملك
والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف
والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعنى جوابى القسم
والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب
للنبى عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح
فرضها وقيل لئن طالعت غيرى فى السر ليحبطن ما بينى وبينك من السر
بل الله فاعبد وكلا امروه به من عبادة آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك
بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا
عنه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم
وما قدروا الله حق قدره وما عظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة

عينه ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته
وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق
قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والمراد
بهذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه
جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة
او جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا
وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض
مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال اى والارض اذا كانت
مجتمعة قبضته يوم القيمة والقبضة المرة من القبض والقبضة
المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا تريد معنى
القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون
جميعا قبضته اى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين
مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه
يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان اى لا تبلغ الا اكلة
فذة من اكلاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين
بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي ضد النشر
كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل وعادة طاوى السجل الكتاب ان يطويه
بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته
وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها
سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه
عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله اى جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت وقيل هم حملة العرش ورضوان والحور ومالك والزبانية ثم نفخ
فيه اخرى هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه
نفخة اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة وقد ذكرها في غير
مكان فاذا هم قيام ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت

اذا فاجأه خطب او ينتظرون امر الله فيهم ودلت الآية على ان النفخة اثنتان
الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع
كما قال ونفخ في الصور ففزع من في السموات والثانية للموت والثالثة
للاعادة واشرقت الارض اضاءت بنور ربها اى بعدله بطريق الاستعارة
يقال للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك
كما تقول اظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه السلام الظلم ظلمات يوم
القيمة واضافة اسمه تعالى الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب
فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل
ولا اعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخلق الله
نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه للتخصيص كبيت الله وناقة الله
ووضع الكتاب اى صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس او اللوح المحفوظ
وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم
والشهداء الحفظة وقيل هم الابرار في كل زمان يشهدون على اهل ذلك
الزمان وقضي بينهم بين العباد بالحق بالعدل وهم لا يظلمون ختم الآية
بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل ووفيت كل نفس ما عملت اى جزاءه
وهو اعلم بما يفعلون من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير
قوله وهم لا يظلمون اى ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر ولا يزاد
في شر ولا ينقص من خير وسيق الذين كفروا الى جهنم سوقا عنيفا
كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل
زمرا حال اى افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض حتى اذا جاؤها فتحت
بالتخفيف فيهما كوفي ابوابها وهي سبعة وقال لهم خزنتها اى حفظة
جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهلها الم يأتكم رسل منكم
من بني آدم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
اى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة قالوا بلى اتونا
وتلوا آياته علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اى ولكن
وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم بسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب

وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها حال مقدرة اى مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين اللام فى المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وفاعلها معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل من يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك حتى اذا جاؤها هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا ان جزاءها محذوف والمعنى حتى اذا جاؤها وفتحت وانما حذف لانه فى صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شئ لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت ابوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى حتى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فتقدم فتحها كقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جئ بالواو وكانه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج اى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين اى لم تكونوا اصحاب خبائث وقال ابن عباس رضى الله عنهما طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين وقد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل حذف فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده انجز لنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى واورثنا الارض ارض الجنة وقد اورثوها اى ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه نتبوأ حال من الجنة حيث نشاء اى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ اى فيتخذ مقرا ومتبوأ من جنته حيث يشاء فنعم اجر العاملين فى الدنيا الجنة وترى الملائكة حافين

حال من

حال من الملائكة من حول العرش اى محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية اى ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله يسبحون حال من الضمير فى حافين بحمد ربهم ان يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف وقضى بينهم بين الانبياء والامم او بين اهل الجنة والنار بالحق بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اى يقول اهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله عليه السلام يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر الحواميم مكيات عن ابن عباس رضى الله عنهما

حم وما بعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدنى وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم تنزيل الكتاب اى هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز اى المنيع بسلطانه عن ان يتقول عليه متقول العليم بمن صدق به وكذب وهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين غافر الذنب ساتر ذنب المؤمنين وقابل التوب قابل توبة الراجعين شديد العقاب على المخالفين ذى الطول ذى الفضل على العارفين او ذى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب اخوات فى معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا فى تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه واما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف والواو

في وقابل التوب لنكتة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين
بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة في الطاعات وان يجعلها محاءة
للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي ان
عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له
تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك
وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله
اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا
ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقراها
ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها
حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره
قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه وادعوا له
الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه لا اله الا هو صفة
ايضا لذي الطول ويجوز ان يكون مستانفا اليه المصير المرجع
ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا ما يخاصم فيها بالتكذيب
بها والانكار لها وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها
واستنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها فاعظم جهاد في سبيل الله
فلا يغررك يا محمد تقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب
المربحة سالمين غانمين فان عاقبة امرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك
فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم هلكت فقال كذبت قبلهم
قوم نوح نوحا والاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم
عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من بعدهم من بعد قوم نوح وهمت
كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم لياخذوه
ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير وجادلوا بالباطل بالكفر
ليدحضوا به الحق ليبطلوا به الايمان فاخذتهم مظهر مكي وحفص يعني
انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذ الرسول ان اخذتهم
فعاقبتهم فكيف كان عقاب وبالياء يعقوب اي فانكم تمرون على

بلادهم

بلادهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك حقت كلمة ربك
على الذين كفروا كلمات ربك مدني وشامي انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل
من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه
كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذا وجب اهلاكهم بعذاب النار
في الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين قريش
ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة
تجمعهم انهم من اصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار الذين
يحملون العرش ومن حوله يعني حامل العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة
الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض
السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث
ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا بالسلام ويروحوا على حملة العرش تفضيلا
لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون
به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام يهللون ويكبرون ومن ورائهم
الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به
الاخر يسبحون خبر المبتدا وهو الذين بحمد ربهم اي مع حمده لان الباء تدل
على ان تسبيحهم بالحمد له ويؤمنون به وفائدته مع علمنا بان حملة العرش
ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون اظهار شرف الايمان
وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب
اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وقد روعي
التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون
به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه دليل على ان الاشتراك في الايمان
يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاماكن ربنا
اي يقولون ربنا وهذا المحذوف حال وسعت كل شيء رحمة وعلما فالرحمة
والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى اذ الاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك
ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا
منصوبين على التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم فاغفر للذين تابوا
اي للذين علمت منهم التوبة ليناسب ذكر الرحمة والعلم واتبعوا سبيلك اي طريق

الهدى الذى دعوتهم اليه وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات
عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم من فى موضع نصب عطف
على هم فى وادخلهم او فى وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح
من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم
اى الملك الذى لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل
شيئا خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك وقهم السيآت
اى جزاء السيآت وهو عذاب النار ومن تق السيآت يومئذ
فقد رحمته وذلك اى دفع العذاب هو الفوز العظيم ان الذين كفروا
ينادون اى يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا انفسهم فيناديهم
خزنة النار لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم
انفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت اشد البغض وانتصاب اذ تدعون
الى الايمان بالمقت الاول عند الزمخشرى والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة
كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم
الى الايمان فتأبون قبوله فتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم
وانتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله
اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم
وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله اى يمقتهم الله حين دعوا
الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ
وهو مصدر وخبره اكبر من مقتكم ولا يعمل فى اذ تدعون لان المصدر
اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه
يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثانى لاختلاف
الزمانين وهذا لانهم مقتوا انفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان
فى الدنيا فتكفرون فتصرون على الكفر قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين اى اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين
خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وصح ان يسمى خلقهم
امواتا اماتة كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم

الفيل وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر
جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع احد الجائزين فقد صرف
المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة
الاولى واحياءة البعث ويدل عليه قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال
والاحياءة الاولى احياؤه فى قبره بعد موته للسؤال والثانى للبعث فاعترفنا
بذنوبنا لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على
الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من
انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج من النار اى الى
نوع من الخروج سريع او بطئ لنتخلص من سبيل قط ام اليأس واقع
دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما
يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بانه
اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا اى ذلكم الذى انتم فيه
وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك
به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى شانه فلا يرد
قضاؤه الكبير العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية
اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج اهل حروراء
قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون اى يقولون لا حكم الا لله
فقال على كلمة حق اريد بها باطل هو الذى يريكم آياته من الريح والسحاب
والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء وبالتخفيف
مكى وبصرى رزقا مطرا لانه سبب الرزق وما يتذكر الا من ينيب
وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع
الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين فادعوا الله
فاعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم
ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح ثلثة اخبار
لقوله هو مترتبة على قوله الذى يريكم او اخبار مبتدأ محذوف
ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض او رافع درجات

عباده في الدنيا بالمنزلة او رافع منازلهم في الجنة وذو العرش
مالكه عرشه الذي فوق السموات خلقه مطافا لملائكته اظهارا للعظمة
مع استغنائه في مملكته والروح جبرئيل او الوحي الذي يحيي به القلوب
من امره من اجل امره او بامره على من يشاء من عباده لينذر اي الله
او الملقى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر
يوم التلاق يوم القيمة لانه يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض
والاولون والآخرون التلاقي مكي ويعقوب يوم هم بارزون
ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل واكمة او بناء لا يخفى على الله منهم
شيء اي من اعمالهم واحوالهم لمن الملك اليوم اي يقول الله تعالى ذلك
حين لا احد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار الذي قهر
الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن اي لمن ثبت الملك
في هذا اليوم وقيل ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيب اهل
المحشر لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم
اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك
اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى بما كسبت اي عملت في الدنيا
من خير وشر وان الظلم مأمون لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب
لا يبطئ لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت
واحد وهو اسرع الحاسبين وانذرهم يوم الآزفة اي القيامة سميت بها
لازوفها اي لقربها ويبدل من يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر
اي التراقي يعني ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي
تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا كاظمين
ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب
محمول على اصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم
الذي هو من افعال العقلاء ما للظالمين للكافرين من حميم محب مشفق
ولا شفيع يطاع اي يشفع وهو مجاز لان الاطاعة حقيقة لا تكون
الا لمن فوقك والمراد نفي الشفاعة والطاعة كما في ولا ترى الضب بها
ينجحر يريد نفي الضب والانجحار وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة

دون

دون الشفاعة وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة يعلم
خائنة الاعين مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة
والمراد استراق النظر الى ما لا يحل وما تخفي الصدور وما تسره
من امانة وخيانة وقيل هو ان ينظر الى اجنبية بشهوة مسارقة
ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله
يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من اخبار هو في قوله هو
الذي يريكم آياته مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله
لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم القيمة الى قوله
ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق اي والذي
هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء وآلهتهم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف
بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي تدعون نافع ان الله هو
السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم
عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
كانوا من قبلهم اي آخر امر الذين كذبوا الرسل من قبلهم كانوا هم
اشد منهم قوة هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا ان اشد
منهم ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه
منكم شامي وآثارا في الارض اي حصونا وقصورا فاخذهم
الله بذنوبهم عاقبهم بسبب ذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
ولم يكن لهم شيء يقيهم من عذاب الله ذلك بانهم اي الاخذ بسبب انهم
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي قادر
على كل شيء شديد العقاب اذا عاقب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم
بالحق بالنبوة من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه اي

اعيدوا عليهم القتل كالذى كان اولا واستحيوا نساءهم للخدمة
وما كيد الكافرين الا فى ضلال ضياع يعنى انهم باشروا قتلهم اولا
فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم
هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وظنا منه انه
يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع
فى الكرتين جميعا وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كانوا اذا هموا
بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو اقل من ذلك وما هو الا ساحر
واذا قتلته اوقعت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت
عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون قد استيقن انه نبى
وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا
سفاكا للدماء فى اهون شىء فكيف لا يقتل من احس بانه هو الذى
يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله
وليدع ربه شاهد على فرط خوفه منه ومن دعوة ربه وكان قوله ذرونى
اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه
الا ما فى نفسه من هول الفزع انى اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم
ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام او ان يظهر
موسى فى الارض الفساد بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى
وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاولى ولحلوا فتح يبدل
والفساد فى الارض التقاتل والتهارج الذى يذهب معه الامن وتتعطل
المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه
قال انى اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم
دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غيرهم اهل الكوفة وان ومعناه
انى اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقال موسى لما سمع بما اجراه فرعون
من حديث قتله لقومه انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب وفى قوله وربكم بعث لكم على ان يقتدوا به فيعوذوا
بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر

ليشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض
فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار
وادله على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع
فى الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة استكمل اسباب
القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت
ولذت اخوان وعذت بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلى وقال رجل مؤمن
من آل فرعون يكتم ايمانه قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى
سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة
ليكتم اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب او خربيل وحزبيل
والظاهر الاول اتقتلون رجلا ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه
قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة فى ارتكابها
الا كلمة الحق وهى قوله ربى الله حتى هو ربكم ايضا لا رب وحده وقد جاءكم الجملة
حال بالبينات من ربكم يعنى انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات
من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وان يك كاذبا
فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم احتج عليهم بطريق التقسيم
وهو انه لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا
يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم
مع انه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء
بما هو اقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى اصابة الكل فكانه قال لهم اقل ما يكون
فى صدقه ان يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان
وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل ايضا
وتفسير البعض بالكل مزيف ان الله لا يهدى من هو مسرف مجاوز للحد كذاب
فى ادعائه وهذا ايضا من باب المجاملة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله
واهلكه فتتخلصون منه او لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده
بالبينات وقيل اوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين غالبين وهو حال من كم فى لكم فى الارض فى ارض مصر فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا

امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله اى عذابه فانه لا طاقة لكم به
ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى
القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال فرعون
ما اريكم الا ما ارى اى ما اشير عليكم برأى الا بما ارى من قتله يعنى لا استصوب
الا قتله وهو الذى تقوله غير صواب وما اهديكم بهذا الرأى الا سبيل
الرشاد وطريق الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب
ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعنى ان لسانه وقلبه
متواطئان على ما تقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد
من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف
الامر على الاشارة وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
اى مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله مثل دأب قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم
يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب
وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف
مضاف اى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بانه عطف بيان لمثل الاول
وما الله يريد ظلما للعباد اى وما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب
او يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى ان تدميرهم كان عدلا لانهم
استحقوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل
المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم ابعد
وابعد وتفسير المعتزلة انه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان اهل اللغة
قالوا اذا قال الرجل لآخر لا اريد ظلما لك معناه لا اريد ان اظلمك وهذا تخويف
بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله ويا قوم انى اخاف عليكم
يوم التناد اى يوم القيمة التنادى مكى ويعقوب فى الحالين واثبات
الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه
الآى على الدال وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب
الاعراف وقيل ينادى مناد الا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا

الا ان

الا ان فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها ابدا يوم تولون مدبرين منصرفين
عن موقف الحساب الى النار ما لكم من الله من عذاب الله من عاصم مانع ودافع
ومن يضلل الله فما له من هاد مرشد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب
اقام فيهم بينات عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف
عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف اتاكم من قبل موسى
بالمعجزات فما زلتم فى شك مما جاءكم به فشككتم فيها فلم تزالوا شاكين
حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير
برهان اى اقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة كذلك يضل الله من هو
مسرف مرتاب اى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب
شاك فى دينه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع
لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف فى آيات الله فى دفعها وابطالها بغير سلطان
حجة اتاهم كبر مقتا اى عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى
وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع
الذين على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير
فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار قلب بالتنوين ابو عمرو وانما وصف القلب
بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان
الآثم هو الجملة وقال فرعون عتوا على قومه وجهلا منه يا هامان ابن لى صرحا
قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح
الشىء اذا ظهر لعلى وبفتح الياء حجازى وشامى وابو عمرو ابلغ الاسباب ثم ابدل
منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد امرا عظيما اسباب السموات اى طرقها وابوابها
وما يؤدى اليها وكل ما اداك الى شىء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فاطلع
بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى وغيره بالرفع عطفا على ابلغ
الى اله موسى والمعنى فانظر اليه وانى لاظنه اى موسى كاذبا فى قوله له اله غيرى
وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
المستقيم وبفتح الصاد غير كوفى ويعقوب اى غيره صدا او هو بنفسه صدودا

والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
او الله تعالى ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وما كيد فرعون الا في تباب
خسران وهلاك وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اتبعوني في الحالين مكي
ويعقوب وسهل اهدكم سبيل الرشاد وهو نقيض الغي وفيه تعريض شبيه
بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي اجمل اولا ثم فسر فافتتح
بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع
يسير فالاخلاد اليها اصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها
هي الوطن والمستقر بقوله وان الآخرة هي دار القرار ثم ذكر الاعمال سيئها
وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله من عمل سيئة
فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب يدخلون مكي وبصري ويزيد وابو بكر ثم
وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ
الانداد والذي عاقبته النار بقوله ويا قوم ما لي وبفتح الياء حجازي وابو عمرو
ادعوكم الى النجوة اى الجنة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله هو بدل
من تدعونني الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق
وهداه له واشرك به ما ليس لي به علم اى بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم
كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها وانا
ادعوكم الى العزيز الغفار وهو الله سبحانه وتكرير النداء لزيادة التنبيه
لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجيء
بالواو في النداء الثالث دون الثاني لان الثاني داخل على كلام هو بيان
للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث لا جرم عند البصريين لا رد لما دعاه
اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اى حق ووجب
بطلان دعوته انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة
معناه ان ما تدعونني اليه ليس عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية
او معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة او دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة
باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين

تدان

تدان وان مردنا الى الله وان رجوعنا اليه وان المسرفين المشركين
هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم من النصيحة عند نزول
العذاب وافوض امري وأسلم امري وبفتح الياء مدني وابو عمرو
الى الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد باعمالهم ومآلهم فوقاه
الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العقاب
بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا
من الف في طلبه فمنهم من اكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون
وحاق ونزل بآل فرعون سوء العذاب النار بدل من سوء العذاب
او خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل النار او مبتدأ
خبره يعرضون عليها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى
على السيف اذا قتلهم به غدوا وعشيا اى في هذين الوقتين يعذبون
بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس آخر او ينفس عنهم ويجوز ان
يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا ويوم تقوم
الساعة يقال لخزنة جهنم ادخلوا آل فرعون من الادخال مدني
وحمزة وعلي وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا اى يقال
لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم وهذه الآية
دليل على عذاب القبر واذ يتحاجون واذكر وقت تخاصمهم في النار
فيقول الضعفاء للذين استكبروا يعني للرؤساء انا كنا لكم تبعا
تباعا كخدم في جمع خادم فهل انتم مغنون دافعون عنا نصيبا جزأ
من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها التنوين عوض من المضاف
اليه اى انا كلنا فيها لا يغني احد عن احد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم
بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة
جهنم للقوام بتعذيب اهلها وانما لم يقل لخزنتها لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا
ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعتى الكفرة
واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذابها ولذلك اجوب دعوة لزيادة
قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما قدر يوم من الدنيا من العذاب قالوا اى الخزنة توبيخا لهم بعد قده

طويلة اولم تك اى ولم تك قصة وقوله تأتيكم رسلكم تفسير للقصة بالبينات بالمعجزات
قالوا اى الكفار بلى قالوا اى الخزنة تهكما بهم فادعوا انتم ولا استجابة لدعائكم
وما دعاء الكافرين الا فى ضلال بطلان وهو من قول الله عز وجل
ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم
فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض
الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم
ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك
فى امس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الانبياء
والحفظة فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب
والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال تقوم الرازى
عن هشام يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم هذا بدل من يوم يقوم اى
لا يقبل عذرهم لا تنفع كوفى ونافع ولهم اللعنة البعد من رحمة الله
ولهم سوء الدار اى سوء دار الآخرة وهو عذابها ولقد آتينا موسى الهدى
يريد به جميع ما آتاه فى باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع واورثنا
بنى اسرائيل الكتاب اى التورية والانجيل والزبور لان الكتاب جنس
هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال
لاولى الالباب لذوى العقول فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص ان وعد الله
حق يعنى ان ما سبق وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر
لذنبك اى لذنب امتك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار اى دم
على عبادة ربك والثناء عليه وصل هما صلاتا الفجر والعصر وقيل قل
سبحان الله وبحمده ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم
لا وقف عليه لان خبر ان ان فى صدورهم الا كبر تعظم وهو ارادة
التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا
آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك امرك ونهيك لان النبوة
تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا
وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة

دفع

دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق
ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات فاستعذ بالله فالتجئ اليه
من كيد من يحسدك ويبغى عليك انه هو السميع كما تقول ويقولون
البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على انكار
البعث وهو اصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا
مقرين بان الله خالقها بان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان
مع مهانته اقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا يتاملون لغلبة
الغفلة عليهم وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسئ لا زائدة قليلا ما تتذكرون تتعظون بالتاء كوفى وبالياء غيرهم
وقليلا صفة مصدر محذوف اى تذكرا قليلا تتذكرون وما صلة زائدة
ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء
لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون
بها وقال ربكم ادعونى اعبدونى استجب لكم اثبكم فالدعاء بمعنى العبادة
كثير فى القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى
وقال عليه السلام الدعاء على العبادة وقرأ الآية وعن ابن عباس
رضى الله عنه وحدونى اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة
بالتوحيد وقيل سلونى اعطكم سيدخلون جهنم سيدخلون مكى وابو بكر
داخرين صاغرين الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
هو من الاسناد المجازى اى مبصرا فيه لان الابصار فى الحقيقة لاهل
النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين او مفعولا
لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى
معنى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد
المجازى ولو قيل ساكنا لم يتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون
على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه ان الله لذو فضل
على الناس ولم يقل لمفضل ولمتفضل لان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا
لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة ولكن اكثر الناس لا يشكرون

ولم يقل ولكن اكثرهم حتى لايتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيصا
لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله
ان الانسان لكفور ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الذى خلق لكم الليل
والنهار الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو اخبار مترادفة اى هو الجامع
لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شىء والوحدانية فانى
تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان
كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اى كل من جحد بايات الله
ولم يتأملها ولم يطلب الحق افك كما افكوا الله الذى جعل لكم الارض
قرارا مستقرا والسماء بناء سقفا فوقكم وصوركم فاحسن صوركم
قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين
كالبهائم ورزقكم من الطيبات اللذيذات ذلكم الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين
له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين
وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها
الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان
نزل قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات
من ربى هى القرآن وقيل العقل والوحى وامرت ان اسلم استقيم
وانقاد لرب العالمين هو الذى خلقكم اى اصلكم من تراب ثم
من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اقتصر على الواحد لان المراد بيان
الجنس ثم لتبلغوا اشدكم متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
وكذلك ثم لتكونوا شيوخا وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى
والاعشى ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل بلوغ الاشد او من قبل
الشيخوخة ولتبلغوا اجلا مسمى معناه ويفعل ذلك لتبلغوا
اجلا مسمى وهو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما فى ذلك
من العبر والحجج هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون اى فانما يكونه سريعا من غير كلفة الم تر الى الذين يجادلون فى
ايات الله انى يصرفون ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلثة مواضع

فجاز ان يكون فى ثلثة اقوام او ثلثة اصناف او للتاكيد الذين كذبوا
بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فسوف يعلمون
اذ الاغلال فى اعناقهم اذ ظرف زمان ماض والمراد به الاستقبال
هنا لقوله فسوف يعلمون وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت
فى اخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بما كان ووجد والمعنى على الاستقبال
والسلاسل عطف على الاغلال والخبر فى اعناقهم والمعنى اذ الاغلال
والسلاسل فى اعناقهم يسحبون فى الحميم يجرون فى الماء الحار
ثم فى النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم
فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون مملوة بها اجوافهم ثم قيل لهم
اى يقول لهم الخزنة اين ما كنتم تشركون من دون الله يعنى الاصنام التى
تعبدونها قالوا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم
بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا
نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شىء فاذا هو ليس
بشىء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال
آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة
لم يتصادفوا وكما اضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين
علم منهم اختيار الضلالة على الدين ذلكم العذاب الذى نزل بكم
بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بسبب
ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان
فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله
تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين
الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم فاصبر يا محمد ان وعد الله
باهلاك الكفار حق كائن فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة
لتوكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك
لا تقول ان تكرمنى اكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك بعض الذى
نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون هذا الجزاء متعلق بنتوفينك
وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى نعدهم

من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر
فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك الى امم منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك قيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة
الاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا
اسود فهو ممن لم يذكر قصته في القرآن وما كان لرسول ان يأتي بآية
الا باذن الله وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعني انا قد ارسلنا
كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتي الا باذن الله فمن لي بان آتي
بآية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله
اي القيمة وهو وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات قضي بالحق وخسر
هنالك المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات الله الذي جعل
لكم الانعام الابل لتركبوا منها ومنها تأكلون من لحومها اي لتركبوا بعضها
وتأكلوا بعضها ولكم فيها منافع اي الالبان والاوبار ولتبلغوا عليها
حاجة في صدوركم اي لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور وعليها
وعلى الانعام وعلى الفلك تحملون اي على الانعام وحدها لا تحملون ولكن
عليها وعلى الفلك في البر والبحر ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون
انها ليست من عند الله واي نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة
المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر
والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في
اي اغرب لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة بدنا وآثارا
في الارض قصورا ومصانع فما اغنى عنهم ما نافية ما كانوا
يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم
يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم تدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات
وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ
والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا

انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به او علم الفلاسفة والدهريين
فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم
وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال
نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا والمراد فرحوا بما عند
الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا
بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن او الفرح للرسل اي الرسل لما رأوا
جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة
على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه
وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة
عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما رأوا بأسنا اي فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم
سنة الله بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة التي قد خلت
في عباده ان الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل
بمكذبي الرسل وخسر هنالك الكافرون هنالك مكان مستعار
للزمان والكافرون خاسرون في كل اوان ولكنه يتبين خسرانهم
اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاءات في هذه الآيات
ان فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا اكثر منهم فلما جاءتهم رسلهم كالبيان
والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف
فلم يحسن الى الفقراء فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال
فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا فكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم
لما رأوا بأس الله سورة حم السجدة مكية وهي خمسون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته اسما للسورة كان مبتدأ تنزيل خبره وان جعلته تعديدا
للحروف كان تنزيل خبر المبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل وخبر
بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او تنزيل مبتدأ من الرحمن الرحيم
صفته كتاب خبره فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان

مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك قرآناً عربياً
نصب على الاختصاص والمدح اى اريد بهذا الكتاب المفصل قرآناً
من صفته كيت كيت او على الحال اى فصلت آياته فى حال كونه قرآناً عربياً
لقوم يعلمون اى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الايات
المفصلة المبينة بلسانهم العربى ولقوم يتعلق بتنزيل
او بفصلت اى تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم
والاظهر ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اى قرآناً عربياً
كائناً لقوم عرب بشيراً ونذيراً صفتان لقرآناً فاعرض
اكثرهم فهم لا يسمعون لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان
فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه
لم يسمعه وقالوا قلوبنا فى اكنة اغطية جمع كنان وهو الغطاء
مما تدعونا اليه من التوحيد وفى آذاننا وقر ثقل يمنع من استماع
قولك ومن بيننا وبينك حجاب ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن تقبل الحق واعتقاده كانها فى غلف واغطية تمنع من نفوذه
فيها ومج اسماعهم له كان بها صمماً عنه ولتباعد المذهبين والدينين
كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله عليه السلام وما هو عليه حجاباً
ساتراً وحاجزاً منيعاً من جبل ونحوه فلا تلاقى ولا ترائى فاعمل على دينك
اننا عاملون على ديننا او فاعمل فى ابطال امرنا اننا عاملون فى ابطال
امرك وفايدة زيادة من ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة
المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها
ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجاباً حاصل
وسط الجهتين قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد
هذا جواب لقولهم قلوبنا فى اكنة ووجهه انه عليه السلام قال لهم
انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم فقد اوحى الى دونكم فصحت نبوتى
بالوحى الى وانا بشر واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فيما يوحى الى
ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد
واخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً ولا شمالاً ولا ملتفتين الى ما يسول

لكم

لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء واستغفروه من الشرك
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة ولا يؤمنون بوجوب الزكوة
ولا يعطونها او لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان وهم
بالآخرة بالبعث والثواب والعقاب هم كافرون وانما جعل منع
الزكوة مقروناً بالكفر بالآخرة لان احب شئ الى الانسان ماله وهو
شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك اقوى دليل على استقامته
وصدق نيته ونصوح طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من
الدنيا فقرت عصيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع
الزكوة وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون مقطوع قيل نزلت فى المرضى
والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون
قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الاحد والاثنين تعليماً
للاناة ولو اراد ان يخلقها فى لحظة لفعل وتجعلون له انداداً شركاء واشباهاً
ذلك الذى خلق ما سبق رب العالمين خالق جميع الموجودات وسيدها
ومربيها وجعل فيها فى الارض رواسى جبالاً ثوابت من فوقها انما
اختار ارساءها فوق الارض ليكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها
وليتبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك
وهو الله تعالى وبارك بالماء والزرع والشجر والثمر فيها فى الارض وقيل
بارك فيها واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم
وما يصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها اقواتها فى اربعة
ايام فى تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة
الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشر اى فى تتمة خمسة عشر
ولا بد من هذا التقدير لانه لو اجرى على الظاهر ثمانية ايام لانه قال
خلق الارض فى يومين ثم قال وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام ثم قال
فقضيهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة ايام
فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين
وخلق الجبال يوم الثلثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران

والجبال فتلك اربعة ايام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم
والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة
قيل هي الساعة التي تقوم فيها القيمة سواء يعقوب صفة للايام
اي في اربعة ايام مستويات تامات سواء يزيد اي سواء سواء غيرهما
على المصدر اي استوت سواء اي استواء او على الحال للسائلين متعلق
بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها
لان كلا يطلب القوت ويشتهيه او بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل
من سأل في كم خلقت الارض وما فيها ثم استوى الى السماء وهي
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما اراد تقول العرب فعل فلان
كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون انه اكمل الاول وابتداء الثاني ويفهم
منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضي الله
عنهما وعنه انه قال اول ما خلق جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة
في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت
ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام
فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء ومعنى امر السماء والارض
بالاتيان وامتثالهما انه اراد ان يكونهما فلم تمتنعا عليه ووجدتا
كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر
المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الامر بالاتيان مخلوقة
قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحيها
بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحيها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي
ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا
لاهلك وايتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع
كما تقول اتى عمله مرضيا وقوله طوعا او كرها لبيان تأثير قدرته فيهما
وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن
هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال
بمعنى طائعين او مكرهين وانما لم يقل طائعتين على اللفظ او طائعات

على المعنى

على المعنى لانها سموات وارضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات
ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات كقوله ساجدين
فقضيهن فاحكم خلقهن قال وعليهما مسرودتان قضاهما والضمير يرجع الى
السماء لان السماء للجنس ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله سبع سموات
والفرق بين النصبين ان الاول على الحال والثاني على التمييز في يومين
في الخميس والجمعة واوحى في كل سماء امرها ما امر به فيها ودبره من
خلق الملائكة والنيران وغير ذلك وزينا السماء الدنيا من الارض
بمصابيح بكواكب وحفظا وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا
ذلك تقدير العزيز الغالب غير المغلوب العليم بمواقع الامور
فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم خوفتكم
صاعقة عذابا شديدا الوقوع كانه صاعقة واصلها رعد معه نار
مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم
اي اتوهم من كل جانب واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض
وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة
وان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه الا تعبدوا الا الله
قالوا اي القوم لو شاء ربنا ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف
لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر ولستم
بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار
بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم
لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روي ان قريشا
بعثوا عتبة بن ربيعة وكان احسنهم حديثا ليكلم رسول الله وينظر ما يرد
واتاه وهو في الحطيم فلم يسأل شيئا الا اجابه ثم قرأ عليه السورة
الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وامسك على فيه ووثب
مخافة ان يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر
فوالله ما هو بساحر ولا شاعر فقالوا لقد صبأت اما فهمت منه كلمة فقال
لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين

ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال فاما عاد فاستكبروا في
الارض بغير الحق اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم
وهو القوة وعظم الاجرام او استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية
وقالوا من اشد منا قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ
من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده اولم يروا اولم يعلموا
علما يقوم مقام العيان ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اوسع
منهم قدرة لانه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره
وكانوا باياتنا يجحدون معطوف على فاستكبروا اي كانوا يعرفون
انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا عاصفة تصرصر اي تصوت في هبوبها في الصرير او باردة
تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور في
ايام نحسات مشؤمات عليهم نحسات مكي وبصري ونافع ونحس نحسا
نقيض سعد سعدا وهو نحس نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل
او وصف لمصدر وكانت من الاربعاء في آخر شوال الى الاربعاء وما عذب
قوم الا في الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضافة
العذاب الى الخزي وهو الذل على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب
خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله ولعذاب
الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي
ابلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر
وهم لا ينصرون من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم
واما ثمود بالرفع على الابتداء هو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء
والخبر فهديناهم وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم
اي بينا لهم الرشد فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الكفر
على الايمان فاخذتهم صاعقة العذاب داهية العذاب الهون المهون
وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه بما كانوا يكسبون بكسبهم
وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله يحتمل
ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا

مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف
الى الخالق يكون ههنا بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف
فيه فان قلت اليس معنى قولك هديته حصلت فيه الهدى والدليل
عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول
ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت
للدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذرا فكانه حصل
البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما تمحل بهذا لانه
لا يتمكن من تفسيره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد
ونجينا الذين امنوا اي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة
وكانوا يتقون اختيار العمى على الهدى ويوم يحشر اعداء الله
الى النار اي الكفار من الاولين والاخرين نحشر اعداء نافع
ويعقوب فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم
حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار واصله
من وزعته اي كففته حتى اذا ما جاؤها صاروا بحضرتها
وما مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة
ان يكون وقت الشهادة عليهم ووجه لان يخلو منها شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون شهادة الجلد
بالملامسة الحرام وقيل هي عن الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا لما تعاظمهم من شهادتها عليهم قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب
من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وهو خلقكم اول
مرة واليه ترجعون اي هو قادر على انشائكم اول مرة وعلى اعادتكم
ورجعكم الى جزائه وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم
ولا ابصاركم ولا جلودكم اي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب
عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم
جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث
والجزاء اصلا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ولكنكم

انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات
من اعمالكم وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم اردىكم وذلك الظن هو
الذى اهلككم وذلكم مبتدا وظنكم خبر والذى ظننتم بربكم صفته
واردىكم خبر ثان او ظنكم بدل من ذلكم واردىكم الخبر فاصبحتم من الخاسرين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم اى فان يصبروا لن ينفعهم الصبر
ولم ينفكوا به من الثواء فى النار وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
وان يطلبوا الرضاء فما هم من المرضيين او وان يسالوا العتبى وهى الرجوع
لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها وقيضنا لهم
اى قدرنا للمشركين بمكة يقال هذان ثوبان قيضان اى مثلان والمقايضة المعاوضة
وقيل سلطنا عليهم قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
اى ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع
الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم
القول كلمة العذاب فى امم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم اى حق عليهم
القول كائنين فى جملة امم قد خلت من قبلهم قبل اهل مكة من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ والغوا فيه لعلكم تغلبون
وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط
من الكلام الذى لا طائل تحته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا يجوز
ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر
الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون
اى اعظم العقوبة على اسوء اعمالهم الكفر ذلك جزاء اعداء الله ذلك اشارة
الى الاسوء ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى
يستقيم هذه الاشارة النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدا محذوف
لهم فيها دار الخلد اى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه
الدار دار السرور وانت تعنى الدار بعينها جزاء اى جوزوا بذلك جزاء
بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا وبسكون الراء

لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وبالاختلاس ابو عمرو
اللذين اضلانا الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس لان
الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى
عدوا شياطين الانس والجن نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين فى
النار جزاء اضلالهم ايانا ان الذين قالوا ربنا الله اى نطقوا بالتوحيد
ثم استقاموا ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله
عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه رضى الله عنه انه تلاها
ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما
تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا
روغان الثعالب اى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل
وعن على رضى الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل رحمه الله زهدوا
فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار
بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار تتنزل عليهم الملائكة عند الموت
ان بمعنى اى او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان
اى لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم فالخوف غم يلحق
لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار
والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وابشروا بالجنة
التى كنتم توعدون فى الدنيا وقال محمد بن على الترمذى تتنزل عليهم
ملائكة الرحمن عند مفارقة الارواح عن الابدان ان لا تخافوا سلب الايمان
ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وابشروا بدخول الجنان التى كنتم توعدون
فى سالف الازمان نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة كما ان
الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين
واحباؤهم فى الدارين ولكم فيها ما تشتهى انفسكم من النعيم ولكم فيها
ما تدعون تتمنون نزلا هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال
من الهاء المحذوف او من ما من غفور رحيم نعت له ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله هو رسول الله دعا الى التوحيد وعمل صالحا خالصا وقال
اننى من المسلمين تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له او اصحابه عليه السلام

والمؤذنون او جميع الهداة والدعاة الى الله ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن يعني ان الحسنة ولا السيئة
متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك
حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك كما لو ا
ساء رجل اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن
اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي
ولده من يد عدوه فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فانك
اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك
ثم قال وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخصلة التي هي مقابلة الاساءة
بالاحسان الا الذين صبروا الا اهل الصبر وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتي
هي احسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن
وقيل لا مزيدة للتاكيد والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة فكان القياس على
هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة ولكن وضع التي هي احسن موضع
الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع
بما دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي احسن الصبر عند الغضب
والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن
والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان
عدوا موذيا للنبي عليه السلام فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان
نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه ببعثه على
ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ
وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت
به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك
ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنزغ الشيطان ومن
آياته الدالة على وحدانيته الليل والنهار في تعاقبهما على حد معلوم
وتناولهما على قدر مقسوم والشمس والقمر في اختصاصهما بسير مقدر
ونور مقرر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما

واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن للآيات
او الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث
تقول الاقلام بريتها او بريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر
كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما
السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله
خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله
غيره لا يكون عابدا له فان استكبروا فالذين عند ربك اي الملائكة يسبحون
بالليل والنهار وهم لا يسأمون لا يملون والمعنى فان استكبروا فلم يمتثلوا
ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا
وساجدا بالاخلاص وله العبادة المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار
عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع
السجدة عندنا عند لا يسأمون وعند الشافعي عند تعبدون والاول
الاحوط ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متغبرة والخشوع
التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها فاذا انزلنا
عليها الماء المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت ان الذي
احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير فيكون قادرا على البعث
ضرورة ان الذين يلحدون في آياتنا يميلون عن الحق في ادلتنا يقال
لحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف
تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة لا يخفون
علينا وعيدهم على التحريف افمن يلقى في النار خير امن ياتي آمنا يوم القيامة
هذا تمثيل للكافر والمؤمن اعملوا ما شئتم هذا نهاية في التهديد ومبالغة
في الوعيد انه بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ان الذين كفروا بالذكر بالقرآن
لانهم بكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله لما جاءهم حين جاءهم وخبر ان محذوف
اي يعذبون او هالكون او اولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض
وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله لا ياتيه الباطل التبديل او التناقض
من بين يديه ولا من خلفه اي بوجه من الوجوه تنزيل من حكيم حميد
مستحق للحمد ما يقال لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك

الا مثل ما قال للرسول كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب
المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم
لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك
والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه
اى الذكر قرانا اعجميا اى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل
القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لقالوا لولا فصلت آياته
اى بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا ءاعجمي وعربي بهمزتين
كوفي غير حفص الهمزة للانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسول
عربي او ومرسل اليه عربي والباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة
والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم ومن العرب
والعجمي منسوب الى امة العجم فصيحا كان او غير فصيح والمعنى ان آيات الله
على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما
يتبعون اهواءهم وفيه اشارة الى انه لو انزل بلسان العجم لكان قرآنا فيكون
دليلا لابي حنيفة رضي الله في جواز الصلوة اذا قرأ بالفارسية قل هو
اى القرآن للذين آمنوا هدى ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور
من الشك اذ الشك مرض والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر في موضع
الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا اى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو
للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند
الاخفش والرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على
حذف المبتدأ او في آذانهم منه وقر وهو اى القرآن عليهم عمى ظلمة
وشبهة اولئك ينادون من مكان بعيد يعني انهم لعدم قبولهم وانتفاعهم
كأن ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل
ينادون في القيمة من مكان بعيد بافتح الاسماء ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلفوا فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف
قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب لقضي بينهم
لاهلكهم هلاك استيصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيمة
وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا

وانهم وان الكفار لفي شك منه مريب موقع للريبة من عمل صالحا
فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر وما ربك
بظلام للعبيد فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة اى علم قيامها
يرد اليه اى يجب على المسؤل ان يقول الله يعلم ذلك وما تخرج من ثمرات
مدني وشامي وحفص غيرهم بغير الف من اكمامها اوعيتها قبل ان تنشق
جمع كم وما تحمل من انثى حملها ولا تضع الا بعلمه اى وما يحدث شيء من خروج
ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل
وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح
وغير ذلك ويوم يناديهم اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه
في قوله تعالى اى شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا آذناك
اعلمناك وقيل اخبرناك وهو لا يظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام
العالم محال اما الاخبار للعالم بالشيء يتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك
علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من
نفوسهم فكأنهم اعلموه ما منا من شهيد اى ما منا احد اليوم يشهد بان لك
شريكا وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا
عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء
اى ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشرك وضل عنهم ما كانوا
يدعون يعبدون من قبل في الدنيا وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص
مهرب لا يسأم لا يمل الانسان الكافر بدليل قوله وما اظن الساعة
قائمة من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة والتقدير من دعائه
الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول وان مسه الشر الفقر
فيؤس من الخير قنوط من الرحمة بولغ فيه من الطريقين من طريق بناء
فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل
وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر
بدليل قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي واذا فرجنا عنه بصحة
بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اى هذا حقي وصل الي لاني استوجبته

بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني وما
أظن الساعة قائمة اي وما اظنها تكون ولئن رجعت الى ربي
كما تقول المسلمون ان لي عنده عند الله للحسنى اي الجنة او
الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا الامر الاخرة على امر الدنيا
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة بما عملوا من
الاعمال الموجبة للعذاب ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد
لا يفتر عنهم واذا انعمنا على الانسان اعرض هذا ضرب آخر
من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة فنسي المنعم
واعرض عن شكره ونأى بجانبه وتباعد عن ذكر الله ودعائه
او ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه ان يوضع جانبه موضع
نفسه لان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قوله
الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته
فكانه قال ونأى بنفسه واذا مسه الشر الضر والفقر فذو
دعاء عريض كثير اي اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع
وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام
كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس
قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم
او قنوط في البر وذو دعاء في البحر او قنوط بالقلب ذو دعاء باللسان
او قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى قل ارأيتم اخبروني ان كان
القرآن من عند الله ثم كفرتم به ثم جحدتم انه من عند الله من اضل
منكم الا انه وضع قوله ممن هو في شقاق بعيد موضع منكم بيانا
لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق من فتح البلاد شرقا
وغربا وفي انفسهم فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق اي القرآن
او الاسلام أولم يكف بربك موضع بربك الرفع على انه فاعل
والمفعول محذوف وقوله انه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره
اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد اي اولم يكفهم شهادة ربك
على كل شيء ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق

وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب
الذي هو على كل شيء شهيد الا انهم في مرية في شك من لقاء ربهم الا انه بكل شيء
محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها لا يخفى عليه خافية
فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم سورة الشورى مكية وهي خمسون وثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية
واحدة كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك
والى الذين من قبلك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنت هذه السورة
من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه الى من قبلك
يعني الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية
لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ليس من نبي صاحب كتاب الا اوحي اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكي ورافع اسم الله
على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله العزيز الغالب
بقهره الحكيم المصيب في قوله وفعله له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا
وهو العلي شانه العظيم برهانه تكاد السموات وبالياء نافع وعلي يتفطرن
من فوقهن يتشققن ينفطرن بصري وابو بكر ومعناه يكدن ينفطرن من علو
شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا
كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن ان يبتدئ الانفطار من
جهتهن الفوقانية وكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها
جاءت كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ في ذلك فجعلت
مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي
تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارضين فالكناية راجعة الى الارض
لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة
قال عليه السلام اطت السموات اطا وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا
وعليه ملك قائم او راكع او ساجد والملائكة يسبحون بحمد ربهم خضوعا
لما يرون من عظمته ويستغفرون لمن في الارض اي المؤمنين منهم
كقوله ويستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته او يوحده الله

ونبرّهونه عمّا يجوز عليه من الصّفات حامدين على ما اولاهم من الطاف
متعجّبين عمّا راوا من تعرّضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمن
اهل الارض الذين تبرّوا من تلك الكلمة او يطلبون الى ربّهم ان يحلم
من عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب الا انّ الله هو الغفور
الرّحيم لهم والّذين اتّخذوا من دونه اولياء اى جعلوا له شركاء
وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته
منها شئ فيجازيهم عليها وما انت يا محمد عليهم بوكيل موكّل عليهم
ولا مفوّض اليك امرهم انّما انت منذر فحسب وكذلك ومثل ذلك
اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية التى قبلها من انّ الله
رقيب عليهم لا انت بل انت منذر لانّ هذا المعنى كرّره الله فى كتابه
والكاف مفعول به لاوحينا قرانا عربيّاً حال من المفعول به اى
اوحيناه اليك وهو قرآن عربىّ بيّن لتنذر امّ القرى اى مكّة
لانّ الارض دحيت من تحتها ولانّها اشرف البقاع والمراد اهل
امّ القرى ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لانّ
الخلائق تجمع فيه لا ريب فيه اعتراض لا محلّ له يقال انذرته كذا وانذرته
بكذا وقد عدّى لتنذر امّ القرى الى المفعول الاوّل وتنذر يوم الجمع
الى المفعول الثانى فريق فى الجنّة وفريق فى السّعير اى منهم فريق
ومنهم فريق والضمير للمجموعين لانّ المعنى يوم جمع الخلائق ولو شاء
الله لجعلهم امّة واحدة اى المؤمنين كلّهم ولكن يدخل من يشاء
فى رحمته اى يكرم من يشاء بالاسلام والظالمون والكافرون
ما لهم من ولىّ شافع ولا نصير دافع ام اتّخذوا من دونه اولياء فالله
هو الولىّ والفاء لجواب شرط مقدّر كانّه قيل بعد انكار كلّ ولىّ سواه
ان ارادوا وليّاً بحقّ فالله هو الولىّ بالحقّ وهو الّذى يجب ان يتولّى وحده
لا ولىّ سواه وهو يحيى الموتى وهو على كلّ شئ قدير فهو الحقيق بان يتّخذ
وليّاً دون من لا يقدر على شئ وما اختلفتم فيه من شئ حكاية قول
رسول الله عليه السّلام للمؤمنين اى ما خالفكم فيه الكفّار من اهل الكتاب
والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكمه اى حكم

حكم ذلك المختلف فيه مفوّض الى الله وهو اثابة المحقّين فيه من المؤمنين
معاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم الله ربّى عليه توكّلت فى ردّ كيد
اعداء الدين واليه انيب ارجع فى كفاية شرّهم وقيل وما وقع بينكم
الخلاف فيه من العلوم التى لا تتّصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه
فقولوا الله اعلم كمعرفة الرّوح وغيره فاطر السّموات والارض رفع
على انّه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف جعل لكم من انفسكم
خلق لكم من جنسكم من النّاس ازواجا ومن الانعام ازواجا اى وخلق
للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثّركم يقال ذرأ الله الخلق
بثّهم وكثّرهم فيه فى هذا التّدبير وهو ان جعل للنّاس وللانعام ازواجا
حتّى كان بين ذكورهم واناثهم التّوالد والتّناسل واختير فيه على به
لانّه جعل هذا التّدبير كالمنبع والمعدن للبثّ والتّكثير والضّمير فى
يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلّبا فيه المخاطبون العقلاء
على الغيب ممّا لا يعقل ليس كمثله شئ قيل ان كلمة التّشبيه كرّرت
للتّاكيد لنفى التّماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل زيادة وتقديره
ليس كهو شئ كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا لانّ المراد
نفى المثليّة واذا لم يجعل الكاف او المثل زيادة كان اثبات وقيل
ليس كذاته شئ لانّهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته
ويقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية لانّهم اذا نفوه
عمّن يسدّ مسدّه فقد نفوه عنه فاذا علم انّه من باب الكناية
لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ
الّا ما يعطيه الكناية من فائدتها وكانّهما عبارتان معتقبتان على
معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان
ومعناه بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسط لانّها وقعت عبارة
عن الجود حتّى انّهم استعملوها فيمن لا يد له فلذلك استعمل هنا فيمن له
مثل ومن لا مثل له وهو السّميع لجميع المسموعات بلا اذن البصير لجميع
المرئيّات بلا حدقة وكانّه ذكرهما لئلّا يتوهّم انّه لا صفة له كما لا مثل له
له مقاليد السّموات والارض مرّ فى الزّمر يبسط الرّزق لمن يشاء

ويقدر اى يضيق انه بكل شئ عليم شرع بين واظهر لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى اى شرع لكم
من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع
الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين والمراد
اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه
وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء باقامته مسلما فلم يرد الشرائع فانها مختلفة
قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا نصب بدل من مفعول
شرع والمعطوفين عليه او رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع
فقيل هو اقامة الدين ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا فى الدين قال على رضى الله
عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب كبر على المشركين عظم عليهم
وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبى يجتلب
ويجمع اليه الى الدين بالتوفيق والتشديد من يشاء ويهدى اليه من ينيب
يقبل على طاعته وما تفرقوا يعنى اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد
ما جاءهم العلم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وامر متوعد عليه على السنة
الانبياء بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى وهى بل الساعة موعدهم لقضى
بينهم لاهلكوا حين افترقوا لعظم ما افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم هم اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله عليه السلام لفى شك
منه كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان مريب مدخل فى الريبة وقيل وما تفرق اهل الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اوتوا الكتاب من بعدهم هم المشركون
اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل فلذلك
فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع
الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم
عليها وعلى الدعوة اليها كما امرت كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة
الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب باى كتاب صح ان الله انزله
يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا

ببعض

ببعض كقوله تعالى يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك
هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم
الى الله ربنا وربكم اى كلنا عبيده لنا اعمالنا ولكم اعمالكم هو كقوله
لكم دينكم ولى دين ويجوز ان يكون معناه انا لا نؤاخذ باعمالكم وانتم لا تؤاخذون
باعمالنا لا حجة بيننا وبينكم اى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به
فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا
حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير المرجع لفصل
القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم والذين يحاجون فى الله يخاصمون
فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى
الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا
قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد
ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه فى المشركين يوم بدر حجتهم داحضة
وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة عند ربهم وعليهم غضب
بكفرهم ولهم عذاب شديد فى الآخرة الله الذى انزل الكتاب اى جنس
الكتاب بالحق بالصدق اى ملتبسا به والميزان والعدل والتسوية ومعنى
انزال العدل انه انزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان انزله فى
زمن نوح عليه السلام وما يدريك لعل الساعة قريب اى لعل مجئ
الساعة قريب منك وانت لا تدرى والمراد مجئ الساعة او الساعة
فى تاويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان
ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قيل امركم الله
بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل ان يفاجئكم
يوم حسابكم ووزن اعمالكم يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء
والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها وجلون لهولها ويعلمون انها
الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة المجادلة الملاجة
لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه لفى ضلال بعيد عن الحق لان قيام
الساعة غير مستبعد من قدرة الله وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها

والقول تشهد على انه لا يؤمن من اراد جزاء الله لطيف بعباده في ايصال
الخير المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه او هو بر بليغ البر
وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم
عن الجرائم حلمه او من ينشر المناقب وستر المثالب او من يعفو عمن
يهفوا او من يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة
وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ما جحدوه
يرزق من يشاء اي يوسع من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث
ان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى لو افقرته لافسده
ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح الا الفقر لو اغنيته
لافسده ذلك وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء
العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة سمى ما يعمله
العامل مما يبغي به الفائدة حرثا مجازا نزد له في حرثه بالتوفيق
في عمله او بالتضعيف في حسناته او بان ينال به الدنيا والآخرة
ومن كان يريد حرث الدنيا اي من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة
نؤته منها اي شيئا منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له
لا ما يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب وما له نصيب قط
في الآخرة ولم يذكر في عامل الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه
للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه
في المآب ام لهم شركاء قيل هي ام المنقطعة وتقديره بل الهم
شركاء وقيل هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام اضمار
تقديره ايقبلون ما شرع الله من الدين ام لهم آلهة شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله اي لم يأمر به ولولا كلمة الفصل اي القضاء
السابق بتأجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة
لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او لعجلت لهم العقوبة وان
الظالمين لهم عذاب اليم وان المشركين لهم عذاب اليم في الآخرة
وان اخر عنهم في دار الدنيا ترى الظالمين المشركين في الآخرة
مشفقين خائفين مما كسبوا من جزاء كفرهم وهو واقع بهم

نازل بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات كان روضة جنة المؤمنين اطيب بقعة فيها
وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم عنده نصيب بالظرف او بيشاؤن
ذلك هو الفضل الكبير على العمل القليل ذلك اي الفضل الكبير الذي
يبشر الله يبشر مكي وابو عمرو وحمزة وعلي عباده الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اي به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف
الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذي بعث الله رسولا ولما قال المشركون
ايبتغي محمد على تبليغ الرسالة اجرا نزل قل لا اسئلكم عليه على التبليغ
اجرا الا المودة في القربى يجوز ان يكون متصلا اي لا اسئلكم اجرا
الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ويجوز ان يكون منقطعا اي لا
اسئلكم اجرا قط ولكن اسئلكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم
ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى او المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا
للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد
احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة
للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس
وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى
والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انها لما نزلت قيل
يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال
علي وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا ان تودوني لقرابتي فيكم
فلا تؤذوني وتهيجوا علي اذ لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله
وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا الله ورسوله
في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح ومن يقترف حسنة يكتسب
طاعة عن السدي انها المودة في آل رسول الله نزلت في ابي بكر رضي
الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها
تتناول المودة تناولا اوليا لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى
نزد له فيها حسنا اي نضاعفها كقوله من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر

كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة او الى الجنة ان الله غفور
لمن اذنب بطوله شكور لمن اطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها
وقيل الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية
ثوابها والتفضل على المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء
ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشأ الله
يختم على قلبك قال مجاهد اي يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم
افترى على الله كذبا لئلا يدخله مشقة بتكذيبهم ويمح الله الباطل
اي الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل
غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق ودليله تكرار اسم الله ورفع ويحق
وانما سقطت الواو في الخط كما سقطت في ويدع الانسان بالشر دعاءه
بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة في مصحف نافع ويحق الحق
ويظهر الاسلام ويثبته بكلماته بما انزل في كتابه على لسان نبيه عليه السلام
وقد فعل ذلك فمحا باطلهم واظهر الاسلام انه عليم بذات الصدور اي عليم
بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده يقال قبلت منه الشيء اي اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي
ويقال قبلته عنه اي عزلته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال
بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود وان كان لعبد فيه حق لم يكن
بد من التقصي على طريقه وقال علي رضي الله عنه هو اسم يقع على ستة
معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدي هو صدق
العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره
هو ان لا يجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال
من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض
عما دون الله ويعفوا عن السيئات هي ما دون الشرك يغفر لمن يشاء
بلا توبة ويعلم ما تفعلون بالتاء كوفي غير ابي بكر اي من التوبة والمعصية

ولاوقف

ولا وقف عليه للعطف واتصال المعنى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله اي اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم
على مطلوبهم واستجاب واجاب بمعنى والسين في مثله لتوكيد الفعل كقولك
تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب
للذين فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم وقيل معناه ويستجيب
الذين آمنوا لله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابن ادهم انه قيل له ما بالنا
ندعوا فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه والكافرون لهم عذاب شديد
في الآخرة ولو بسط الله الرزق لعباده اي لو اغناهم جميعا لبغوا في الارض
من البغي الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة
وكفى بحال فرعون عبرة او من البغي الكبر اي لتكبروا في الارض ولكن ينزل
وبالتخفيف مكي وابو عمرو بقدر ما يشاء بتقدير يقال قدره قدرا
انه بعباده خبير بصير يعلم احوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر
ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم
لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل
ولا شك ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وهو الذي
ينزل الغيث بالتشديد مدني وشامي وعاصم من بعد ما قنطوا
وقرئ قنطوا وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به
من الخصب وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس
فقال مطروا اذا اراد هذه الآية او اراد رحمته في كل شيء وهو الولي
الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته
ومن آياته ومن علامات قدرته خلق السموات والارض مع عظمهما
وما بث فرق وما يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف
او المضاف اليه فيهما في السموات والارض من دابة الدواب تكون
في الارض وحدها لكن يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان
ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو في فخذ
من افخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج
من الملح ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي

على الارض ويكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف
الاناسي وهو على جمعهم يوم القيمة اذا يشاء قدير اذا تدخل على المضارع
كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة
غم والم ومكروه فبما كسبت ايديكم اى بجناية كسبتموها عقوبة عليه
بما كسبت مدني وشامي على ان ما مبتداءة وبما كسبت خبرها من غير
تضمين معنى الشرط ومن اثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق
بهذه الاية من يقول بالتناسخ وقال لولم يكن لاطفال حالة كانوا عليها
قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الاية مخصوصة بالمكلفين بالسباق
والسياق وهو ويعفوا عن كثير اى من الذنوب فلا يعاقب عليه
او عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم
ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه
اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم
للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعاته اكثر من جناياته في معاصيه
لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر
عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامة
ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي رضي الله عنه
هذه ارجا اية للمؤمنين في القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب
ثانيا واذا عفا لا يعود وما انتم بمعجزين في الارض بفائتين ما قضي
عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي من متولّ بالرحمة
ولا نصير ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم ومن اياته الجوار جمع جارية
وهي السفينة الجواري في الحالين مكي وسهل ويعقوب وافق مدني
وابو عمرو في الوصل في البحر كالاعلام كالجبال ان يشاء يسكن الريح الرياح
مدني فيظللن رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر ان في
ذلك لايات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه اى لكل مؤمن مخلص فالايمان
نصفان نصف شكر ونصف صبر او صبار على طاعته شكور لنعمته او يوبقهن
يهلكهن وهو عطف على يسكن والمعنى ان يشاء يسكن الريح فيركدن او يعصفها
فيغرقن بعصفها بما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فيجازي عليها وانما

ادخل العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى او ان يشاء يهلك ناسا
وينج ناسا على طريق العفو عنهم ويعلم بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره
لينتقم منهم وليعلم ويعلم الذين يجادلون في اياتنا اى في ابطالها ورفعها ويعلم مدني
وشامي على الاستيناف ما لهم من محيص مهرب من عذابه فما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس والذين
يجتنبون عطف على الذين امنوا وكذا ما بعده كبائر الاثم الكبائر من هذا
الجنس كبير الاثم علي وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك والفواحش قيل
ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا واذا ما غضبوا من امور دنياهم هم يغفرون
اى هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب والمجيء بهم وايقاعه مبتداء
واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين
استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل الى الايمان به
وطاعته فاستجابوا له بان امنوا به واطاعوه واقاموا الصلوة واتموا
الصلوات الخمس وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى يعني لا يتفردون
براى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لاشد امورهم والشورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والذين
اذا اصابهم البغي الظلم هم ينتصرون ينتقمون ممن ظلمهم اى يقتصرون
في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون ان يذلوا
انفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر
واخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل ان كان ولي
دم فهو مطيع لله تعالى وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار وقال وجزاء
سيئة سيئة مثلها فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما
سميت سيئة لانها مجازاة السوء او لانها تسوء من تنزل به ولانه
لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة
لغيرها او في تسمية الثانية سيئة اشارة الى ان العفو مندوب اليه
والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل مثلها من غير زيادة فمن عفا

واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس
امرها في العظم انه لا يحب الظالمين الذين يبدون بالظلم والذين يجاوزون
حد الانتصار في الحديث ينادي مناد يوم القيمة من كان له اجر على الله
فليقم فلا يقوم الا من عفا ولمن انتصر بعد ظلمه اي اخذ حقه بعد ما ظلم
على اضافة المصدر الى المفعول فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه
ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للمعاتب والعائب انما السبيل على الذين
يظلمون الناس يبدؤنهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها
ويعلون ويفسدون بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم وفسر السبيل
بالتبعة والحجة ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك
اي الصبر والغفران منه لمن عزم الامور اي من الامور التي ندب اليها او مما
ينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه وحذف الراجع اي منه
لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال ابو سعيد القرشي الصبر
على المكاره من علامات الانبياء فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع اورثه
الله تعالى حال الرضاء وهو اجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله
الله تعالى الى نفسه ثم لم ينفعه شكواه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
فما له من احد يلي هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه وترى الظالمين
يوم القيمة لما راوا العذاب حين يرون العذاب واختير لفظ الماضي
للتحقيق يقولون هل الى مرد من سبيل يسئلون ربهم الرجوع الى الدنيا
ليؤمنوا به وتريهم يعرضون عليها على النار اذ العذاب يدل عليها خاشعين
من الذل متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون الى النار
من طرف خفي ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وقال الذين
امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة يوم متعلق
بخسروا وقول المؤمنين واقع في الدنيا او يقال اي يقولون يوم القيمة اذا راوهم
على تلك الصفة الا ان الظالمين في عذاب مقيم دائم وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم من دون الله من عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل الى
النجاة استجيبوا لربكم اجيبوه الى ما دعاكم اليه من قبل ان ياتي يوم اي يوم
القيمة لا مرد له من الله من تتصل بلا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به

او يأتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم
من نكير اي ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه
ودون في صحايفكم اعمالكم والنكير الانكار فان اعرضوا عن الايمان فما
ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا ان عليك الا البلاغ ما عليك الا تبليغ
الرسالة وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان المراد الجمع منا رحمة نعمة
وسعة وامنا وصحة فرح بها بطر لاجلها وان تصبهم سيئة بلاء كالمرض
والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في ان تصبهم باعتبار
المعنى بما قدمت ايديهم بسبب معاصيهم فان الانسان كفور ولم يقل
فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان
لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم
ويغمطها قيل اريد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى لله
ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور او يزوجهم اي يقرنهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه
يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء
فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل
البعض عقيما والعقيم التي لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له
وقدم الاناث اولا على الذكور لان سياق الكلام انه تعالى فاعل ما يشاؤه
لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث التي من جملة ما يشاء الانسان
اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء
ذكر البلاء ولما اخر الذكور وهم احقاء بالتقديم تدارك تاخيرهم بتعريفهم
لان التعريف تنويه وتشهير ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم
والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال
ذكرانا واناثا وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب
اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل عيسى ويحيى عقيمين انه عليم
بكل شيء قدير قادر على كل شيء وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان
يكلمه الله الا وحيا اي الهاما كما روي نفث في روعي او رؤيا في المنام كقوله

عليه السلام رؤيا الانبياء وحي وهو كامر ابراهيم عليه السلام
بذبح الولد او من وراءِ حجاب اي يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام
من غير ان يبصر السامع من يكلم وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله
تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من حجاب ولكن المراد به ان السامع
محجوب عن الرؤية في الدنيا او يرسل رسولا اي يرسل ملكا فيوحي الملك
اليه وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي
نبيا كما تكلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدر ان واقعان
موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع
الحال كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا
او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون المعنى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا بان يوحي او ان يسمع من وراء حجاب او ان يرسل رسولا فيوحي
بالرفع نافع علي وهو يرسل باذنه باذن الله ما يشاء من الوحي انه علي
قاهر فلا يمانع حكيم مصيب في اقواله وافعاله فلا يعارض وكذلك
اي كما اوحينا الى الرسل قبلك او كما وصفنا لك اوحينا اليك ايحاء
كذلك روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى
الجسد بالروح ما كنت تدري الجملة حال من الكاف في اوليك ما الكتاب
القرآن ولا الايمان اي شرائعه او ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم
بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول
اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به
ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه
بالوحي ولكن جعلناه اي الكتاب نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتهدي لتدعو وقرئ به الى صراط مستقيم الاسلام صراط الله
بدل الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا الا الى الله تصير الامور
وهو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم سورة الزخرف مكية وهي ثمانون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه
صيرناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة

لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين الذي انزل عليهم لانه بلغتهم
واساليبهم او الواضح للمتدبرين او الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة
وابان كل ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة لعلكم تعقلون لكي تفهموا
معانيه وانه في ام الكتاب لدينا وان القرآن مثبت عند الله في
اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وسمي ام الكتاب
لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف
علي وحمزة لعلي خبران اي في اعلى طبقات البلاغة او رفيع الشان في الكتب
لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة افنضرب عنكم الذكر افننحي عنكم الذكر
ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء
للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون
الامر على خلاف ما تقدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا
بمواجبه صفحا مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى
افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز ان يكون مصدرا
على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه اي اعرضت كذا قاله الفراء ان كنتم
لان كنتم ان كنتم مدني وحمزة وعلي وهو من الشرط الذي يصدر عن المدل
بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو
عالم بذلك قوما مسرفين مفرطين في الجهالة مجاوزين الحق في الضلالة
وكم ارسلنا من نبي في الاولين اي كثيرا من الرسل ارسلنا الى من تقدمكم
وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن هي حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا
على ذلك وهذه تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم
بطشا تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله عليه
السلام يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع
منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا
وعد لرسول الله ووعيد لهم ولئن سألتهم اي المشركين من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا كوفي
اي موضع قرار وجعل لكم فيها سبلا طرقا لعلكم تهتدون لكي تهتدوا
في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار يسلم معه العباد

ويحتاج اليه البلاد فانشرنا فاحيينا عدول من المعاينة الى الاخبار
لعلم المخاطب بالمراد به بلدة ميتا يزيد كذلك تخرجون من قبوركم
احياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لان الذى صفته وقد
وقف عليه ابو حاتم على تقدير هو الذى لان هذه الاوصاف ليس مقول الكفار
لانهم ينكرون الاخراج من القبول فكيف يقولون ذلك بل الآية حجة عليهم
في انكار البعث والذى خلق الازواج الاصناف كلها وجعل لكم من
الفلك والانعام ما تركبون اى تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا
الانعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه
لتستووا على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ثم تذكروا
بقلوبكم نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا بالسنتكم سبحان الذى
سخر لنا هذا ذلل لنا هذا المركوب وما كنا له مقرنين مطيقين يقال
اقرن الشىء اذا اطاقه وحقيقته اقرنه وجده قرينته لان الصعب لا يكون
قرينة للضعف وانا الى ربنا لمنقلبون لراجعون قيل يذكرون عند
ركوبهم مركب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبى عليه السلام
انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة
قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر
ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها
ان ربى لغفور رحيم وحكى ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخر لنا الآية
وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال انى مقرن لهذه فسقط منها
لوثبتها واندقت عنقه وينبغى ان لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ
بل للاعتبار ويتامل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منقلب
من قضائه وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اى
ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع
ذلك الاعتراض من عباده جزءا اى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم
جزءا له بعضا منه كما يكون الولد جزءا لوالده جزءا ابو بكر وحماد ان الانسان
لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر
اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين بل اتخذ

والهمزة

والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجبا من شانهم حيث ادعوا انه اختار لنفسه المنزلة
الادنى ولهم الاعلى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى جعله له مثلا
اى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له
لان الولد لا يكون الا من جنس الولد ظل وجهه مسودا وهو كظيم يعنى انهم
نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت
اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى
الصيرورة او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين اى ويجعل
للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية
اى يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة
الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتى ببرهان وذلك لضعف
عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتاتى بالحجة عليها وفيه انه
جعل النشاة في الزينة من المعائب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويتزين
بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى وجعلوا من ينشأ في الحلية
يعنى البنات لله عز وجل ينشأ حمزة وعلى وحفص اى يربى قد جمعوا
في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه
اخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى سموا وقالوا انهم اناث عند الرحمن
مكى ومدنى وشامى اى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد
وهو الزم في الحجاج مع اهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد اشهدوا
خلقهم وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم
على علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا تطرقوا
عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة ستكتب
شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون عنها وهذا
وعيد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى الملائكة تعلقت المعتزلة
بظاهر هذه الآية في ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء
الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك
عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء منا ان نترك

عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله
تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله ما لهم بذلك المقول من علم
ان هم الا يخرصون اى يكذبون ومعنى الاية عندنا انهم ارادوا بالمشية
الرضاء وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا او لمنعنا عن عبادتها منع
قهر واضطرار واذا لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم
بقوله ما لهم بذلك من علم الاية او قالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا
فاكذبهم الله فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال خبرا عنهم انطعم
من لو يشاء الله اطعمه وهذا حق فى الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء اكذبهم
بقوله ان انتم الا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك
لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوا عن اعتقاد
او جعلوا المشية حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا ان الله لا يعاقبهم
على شىء فعلوا بمشيته وجعلوا انفسهم مقدورين فى ذلك فرد الله عليهم
ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل قولهم هذا فهم به مستمسكون
آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره اشهدوا خلقهم
ام آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث بل قالوا بل لا حجة لهم يتمسكون
بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم
انا وجدنا آباءنا على امة على دين فقلدناهم وهى من الام وهو القصد فالامة
الطريقة التى تؤم اى تقصد وانا على آثارهم مهتدون الظرف صلة
لمهتدون او هما خبران وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير
من نبى الا قال مترفوها اى متنعموها وهم الذين اترفتهم النعمة اى
ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين
وتكاليفه انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وهذه
تسلية للنبى عليه السلام وبيان ان تقليد الآباء داء قديم قال شامى
وحفص اى النذير قل جزمها اى قيل للنذير قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه آباءكم اى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم قالوا
انا بما ارسلتم به كافرون اى انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما
هو اهدى واهدى فانتقمنا منهم فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم

فانظر

فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اى اذكر اذ قال
اننى براء اى برىء وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث كما يقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل
مما تعبدون الا الذى فطرنى استثناء منقطع كانه قال لكن الذى فطرنى
فانه سيهدين يثبتنى على الهداية وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة
التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى كلمة
باقية فى عقبه فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم
يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجى لابراهيم بل متعت
هؤلاء وآباءهم يعنى اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا
بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد
حتى جاءهم الحق اى القرآن ورسول محمد عليه السلام مبين واضح الرسالة بما معه
من الآيات البينة ولما جاءهم الحق القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا
متحكمين بالباطل لولا نزل هذا القرآن فيه استهانة به على رجل من القريتين
عظيم اى على رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اى من احدهما
والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف
عروة بن مسعود الثقفى واراد وا بالعظيم من كان ذا مال وجاه ولم يعرفوا ان
العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك اى النبوة والهمزة
للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم فى اختيار من يصلح للنبوة
نحن قسمنا بينهم معيشتهم ما يعيشون به وهو ارزاقهم فى الحيوة الدنيا
اى لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة او كما فضلنا البعض
على البعض فى الرزق فكذا نخص بالنبوة من نشاء ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات اى جعلنا البعض اقوياء واغنياء وموالى والبعض
ضعفاء وفقراء وخدما ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم
بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى اشغالهم حتى
يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وذا بعمله ورحمت ربك
اى النبوة او دين الله وما يتبعه من الفوز فى المآب خير مما يجمعون مما يجمع
هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل امر الدنيا وصغرها اردفه بما يقرر قلة الدنيا

عنده فقال ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا ان يجتمعوا على الكفر
ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة الدنيا عندنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون وزخرفا اى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا
كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اى زينة من كل شئ والزخرف الذهب
والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من
لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وابو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج
وهى المصاعد الى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح
اى يعلونها وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان نافية ولما بمعنى الا
اى وما كل ذلك الا متاع للحيوة الدنيا وقد قرئ به وقرا غير عاصم
وحمزة على ان اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة
اى وان كل ذلك لمتاع الحيوة الدنيا والاخرة اى ثواب الاخرة عند ربك
للمتقين لمن يتقى الشرك ومن يعش وقرئ ومن يعش والفرق بينهما
انه اذا حصلت الافة فى بصره قيل عشى واذا نظر نظر العشى والافة
به قيل عشا ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن
كقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره اى يعرف
انه الحق وهو يتجاهد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له
شيطانا فهو له قرين قال ابن عباس نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا
والاخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى ان من داوم عليه لم يقرنه
الشيطان وانهم اى الشياطين ليصدونهم ليمنعون العاشين
عن السبيل عن سبيل الهدى ويحسبون اى العاشون انهم مهتدون
وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم فى جنس العاشى وقد
قيض له شيطانه فى جنسه مجازا ان يرجع الضمير اليهما مجموعا
حتى اذا جاءنا على الواحد عراقى غير ابى بكر اى العاشى جاءانا غيرهم
اى العاشى وقرينه قال لشيطانه يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين
يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد
المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فبئس القرين انت ولن

ينفعكم

ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ صح ظلمكم اى كفركم وتبين ولم يبق لكم
ولا لاحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم انكم
فى العذاب مشتركون انكم فى محل الرفع على الفاعلية اى ولن
ينفعكم اشتراككم فى العذاب او كونكم مشتركين فى العذاب
كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء ولولا كثرة
الباكين حولى :: على اخوانهم لقتلت نفسى :: ولا يبكون مثل اخى ولكن
اعزى النفس عنه بالتاسى اما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم
ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل الفاعل مضمر اى ولن ينفعكم
هذا التمنى والاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم
فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرا انكم بالكسر افانت
تسمع الصم اى من فقد سمع القبول او تهدى العمى اى من فقد
البصائر ومن كان فى ضلال مبين من كان فى علم الله تعالى انه
يموت على الضلالة فاما دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا
النون الثقيلة فى نذهبن بك اى نتوفينك قبل ان ننصرك عليهم
ونشفى صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام
فى الاخرة او نرينك الذى وعدناهم قبله اى نتوفينك يعنى يوم بدر
فانا عليهم مقتدرون قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر
والضلال بقوله افانت تسمع الصم الاية ثم اوعدهم بعذاب الدنيا
والاخرة بقوله فاما نذهبن بك الايتين فاستمسك فتمسك
بالذى اوحى اليك وهو القرآن واعمل به انك على صراط مستقيم
على الدين الذى لا عوج له وانه وان الذى اوحى اليك لذكر
لشرف لك ولقومك ولامتك وسوف تسئلون عنه يوم
القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه
النعمة واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة
السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت
عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا

نظره فی کتاب المعجز المصدق لما بین یدیه واخبار الله فیه بانهم یعبدون
من دون الله ما لم ینزل به سلطانا وهذه الآیة فی نفسها کافیة لا حاجة
الی غیرها وقیل انه علیه السلام جمع له الانبیاء لیلة الاسری فامّهم
وقیل له سلهم فلم یشکل ولم یسئل وقیل معناه سل امم من ارسلنا وهم
اهل الکتابین فانما یخبرونه عن کتب الرسل فاذا سالتهم فکانه سال
الانبیاء ومعنی هذا السؤال التقریر لعبدة الاوثان انهم علی الباطل
وسل بلا همزة مکی وعلی وسلنا ابو عمرو ثم سلی رسوله بقوله ولقد
ارسلنا موسی بآیاتنا الی فرعون وملائه فقال انی رسول رب العالمین
ما اجابوه به عند قوله انی رسول رب العالمین محذوف دل علیه قوله
فلما جاءهم بآیاتنا وهو مطالبتهم ایاه باحضار البینة علی دعواه
وابراز الآیة اذا هم منها یضحکون یسخرون منها ویهزؤن بها ویسمونها
سحرا واذا للمفاجاة وهو جواب فلما لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو
عامل النصب فی محل اذا کانه قیل فلما جاءهم بآیاتنا فاجاؤا وقت
ضحکهم وما نریهم من آیة الا هی اکبر من اختها قرینتها وصاحبتها التی
کانت قبلها فی نقض العادة وظاهر النظم یدل علی ان اللاحقة اعظم
من السابقة ولیس کذلک بل المراد بهذا الکلام انهن موصوفات بالکبر
لا یکدن یتفاوتن فیه وعلیه کلام الناس یقال هما اخوان کل واحد
منهما اکرم من الآخر واخذناهم بالعذاب هو ما قال ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنین ونقص من الثمرات وارسلنا علیهم الطوفان
الآیة لعلهم یرجعون عن الکفر الی الایمان وقالوا یا ایها الساحر
کانوا یقولون للعالم الماهر ساحر لتعظیمهم علم السحر یا ایه الساحر
بضم الهاء بلا الف شامی ووجهه انها کانت مفتوحة لوقوعها
قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساکنین اتبعت حرکتها حرکة ما قبلها
ادع لنا ربک بما عهد عندک بعهده عندک من ان دعوتک مستجابة
او بعهده عندک وهو النبوة او بما عهد عندک من کشف العذاب
عن اهتدی اننا لمهتدون مؤمنون فلما کشفنا عنهم العذاب
اذا هم ینکثون ینقضون العهد بالایمان ولا یفون به ونادی

فرعون

فرعون نادی بنفسه عظماء القبط او امر منادیا فنادی کقولک قطع
الامیر اللص اذا امر بقطعه فی قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له قال
یا قوم الیس لی ملک مصر وهذه الانهار ای انهار النیل ومعظمها
اربعة تجری من تحتی من تحت قصری وقیل بین یدی فی جنانی والواو عاطفة
للانهار علی ملک مصر وتجری نصب علی الحال منها او الواو للحال والاشارة
مبتداء والانهار صفة لاسم الاشارة تجری خبر للمبتداء وعن الرشید
انه لما قرأها قال لاولینها اخس عبیدی فولیها الخصیب وکان خادمه
علی وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه ولیها فخرج الیها فلما شارفها
قال اهی القریة التی افتخر بها فرعون حتی قال الیس لی ملک مصر والله لهی
اقل عندی من ان ادخلها فثنی عنانه افلا تبصرون قوتی وضعف
موسی وغنای وفقره ام انا خیر ام منقطعة بمعنی بل والهمزة
کانه قال اثبت عندکم واستقر انی انا خیر وهذه حالی من هذا الذی
هو مهین ضعیف حقیر ولا یکاد یبین الکلام لما به من الرتة فلولا
فلولا القی علیه اسورة حفص ویعقوب وسهل جمع سوار غیرهم اساورة
جمع اسوار وهو السوار حذف الیاء من اساویر وعوض منها التاء من ذهب
اراد بالقاء الاسورة علیه القاء مقالید الملک الیه لانهم کانوا اذا
ارادوا تسوید الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب او جاء
معه الملائکة مقترنین یمشون معه یقترن بعضهم ببعض لیکونوا
اعضاده وانصاره فاستخف قومه استفزهم بالقول واستنزلهم
وعمل فیهم کلامه وقیل طلب منهم الخفة للطاعة وهی الاسراع الیها فاطاعوه
انهم کانوا قوما فاسقین خارجین عن دین الله فلما آسفونا انتقمنا
منهم فاغرقناهم اجمعین آسف منقول من اسف اسفا اذا اشتد
غضبه ومعناه انهم افرطوا فی المعاصی فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا
وانتقامنا وان لا نحلم عنهم فجعلناهم سلفا جمع سالف کخادم وخدم
سلفا حمزة وعلی جمع سلیف ای فریق قد سلف ومثلا وحدیثا عجیب
الشان سائرا مسیر المثل یضرب بهم الامثال ویقال مثلکم مثل قوم
فرعون للآخرین لمن یجیء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرین

في الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزول لذتهم لانتائهم
بمثل افعالهم ومثلا يحذون به ولما ضرب ابن مريم مثلا لما قرأ رسول
الله عليه السلام على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم
فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال الست تزعم ان
عيسى نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد
والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن
وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي عليه السلام فانزل الله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن
الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله بعبادة النصارى اياه
اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة وضجيج
فرحا وضحكا بما سمعوا منه من سكات رسول الله عليه السلام بجدله
يصدون مدني وشامي وعلي والاعشى من الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون
عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف
ويعكف وقالوا أآلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى
فان كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا
المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين
الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك
ان قوله انكم وما تعبدون لم يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء
الا ان ابن الزبعرى بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم
مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ
الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة اللجاج والجدال
وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله عليه السلام
حتى اجاب عنه ربه ان هو ما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه
بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل
السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض اي
بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى

البدل

البدل يخلفون يخلفونكم في الارض ويخلف الملائكة بعضهم بعضا
وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم
يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى
من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان
الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام والقديم متعال عن ذلك
وانه لعلم للساعة وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس
لعلم وهو العلامة اي وان نزوله علم للساعة فلا تمترن بها فلا تشكن
فيها من المرية وهي الشك واتبعون وبالياء فيهما سهل ويعقوب
اي واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وهو امر لرسول الله ان يقوله
هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوه اليه ولا يصدنكم
الشيطان عن الايمان بالساعة او عن الاتباع انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء
عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات
الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وبالانجيل والشرائع ولأبين لكم
بعض الذي تختلفون فيه وهو امر الدين لا امر الدنيا فاتقوا الله
واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
هذا تمام كلام عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة
بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية
من بينهم من بين النصارى فويل للذين ظلموا حيث قالوا في عيسى
ما كفروا به من عذاب يوم اليم وهو يوم القيامة هل ينظرون الا
الساعة الضمير لقوم عيسى او للكفار ان تأتيهم بدل من الساعة
اي هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة وهم لا يشعرون اي
وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون
الاخلاء جمع خليل يومئذ يوم القيامة بعضهم لبعض عدو الا المتقين
الا المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو اي ينقطع في ذلك اليوم كل خلة
بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين
في الله فانها الخلة الباقية يا عبادي بالياء في الوصل مدني وشامي

وابو عمرو ويفتح الياء ابو بكر والباقون بحذف الياء لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ
الذين منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف آمنوا بآياتنا
صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين لله منقادين له ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
المؤمنات في الدنيا تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوههم
يطاف عليهم بصحاف جمع صحفة من ذهب واكواب اى من ذهب ايضا والكوب
الكوز الذى لا عروة له وفيها اى في الجنة ما تشتهيه الانفس مدنى وشامى
وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول
بالفعل والفاعل والمفعول وتلذ الاعين وهذا حصر لانواع النعم لانها
اما مشتهاة في القلوب او مستلذة في العيون وانتم فيها خالدون وتلك
الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون تلك اشارة الى الجنة المذكورة
وهى مبتداء والجنة خبر والتى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة
للمبتداء الذى هو اسم الاشارة والتى اورثتموها خبر المبتداء او التى
اورثتموها صفة المبتداء وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف
اى حاصلة او كائنة كما في الظروف التى تقع اخبارا وفي الوجه الاول
تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها في الميراث الباقى على الورثة
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من للتبعيض اى لا تاكلون الا بعضها
واعقابها اى لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهى مزينة
بالثمار ابدا وفي الحديث لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها
ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون خبر بعد خبر لا يفتر عنهم خبر آخر
اى لا يخفف ولا ينقص وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من الفرج
متحيرون وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين هم فصل
ونادوا يا مالك لما ايسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار
وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن
الترخيم ليقض علينا ربك ليمتنا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى
فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا قال انكم ماكثون لابثون في العذاب
لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى ويجب ان يكون

في قال ضمير الله لما سألوا اما لكان ان يسال الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك
وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله
وهو منهم ولكن اكثركم للحق كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل
الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا امرا اى ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم
ومكرهم بمحمد عليه السلام فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم وكانوا
يتنادون فيتناجون في امر رسول الله عليه السلام في دار الندوة
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم ونجواهم ما يتحدثون به
فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا اى الحفظة
لديهم يكتبون عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس
ذنوبه وابداها لمن لا يخفى عليه خافية فقد جعله اهون الناظرين
اليه وهو من امارات النفاق قل ان كان للرحمن ولد وصح ذلك ببرهان
فانا اول العابدين فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى
طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا
وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك انه علق العبادة
بكينونة الولد وهى محال في نفسها وكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره
قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى
لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقيل اذ كان للرحمن ولد
في زعمكم فانا اول العابدين اى الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة
الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الآنفين من
ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرئ
عبدين وقيل هى ان النافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال
بذلك وعبد ووحد وروى ان النضر قال ان الملائكة بنات الله فنزلت
فقال النضر الا ترون انه صدقنى فقال له الوليد ما صدقك ولكن
قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له
ولد حمزة وعلى ثم نزهه ذاته عن اتخاذ الولد فقال سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون اى هو رب السموات والارض
والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن

حسبما لا يكون له ولد لان التوالد من صفات الاجسام فذرهم يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة وهذا دليل
على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وهو الذي في السماء اله
وفي الارض اله ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله
في السماء وفي الارض كما يقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى
الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقريش وهو
الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات
والارض كانه ضمن معنى العبودية والراجع الى الموصول محذوف لطول
الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا والتقدير وهو الذي هو في السماء
اله فاله يرتفع على انه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وفي السماء
خبره لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول وهو الحكيم في اقواله
وافعاله العليم بما كان ويكون وتبارك الذي له ملك السموات والارض
وما بينهما وعنده علم الساعة اي علم قيامها واليه ترجعون مكي وحمزة
وعلي ولا يملك آلهتهم الذين يدعون اي يدعونهم من دونه من دون الله
الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق اي ولكن من شهد
بالحق بكلمة التوحيد وهم يعلمون ان الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك
هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع او متصل لان في جملة الذين
يدعون من دون الله الملائكة ولئن سألتهم اي المشركين من خلقهم
ليقولن الله لا الاصنام والملائكة فانى يؤفكون فكيف او من اين يصرفون
عن التوحيد مع هذا الاقرار وقيله بالجر عاصم وحمزة اي وعنده علم الساعة
وعلم قيله يا رب والهاء يعود الى محمد عليه السلام لتقدم ذكره في قوله
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وبالنصب الباقون عطف على
محل الساعة اي يعلم الساعة ويعلم قيله اي قيل محمد يا رب والقيل والقول
والقال والمقال واحد ويجوز ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم
وحذفه وجواب القسم ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كانه قيل واقسم بقيله
يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه
والتجائه اليه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم

وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف تعلمون وعيد من الله
لهم وتسلية لرسوله وبالتاء مدني وشامي سورة الدخان مكية وهي خمسون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

في الخبر من قرأها في ليلة جمعة اصبح مغفورا له حم والكتاب المبين اي القرآن
الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف واسما للسورة
مرفوعا على الخبر للابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها
وجواب القسم انا انزلناه في ليلة مباركة اي ليلة القدر او ليلة
النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة والجمهور
على الاول لقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان
ثم قيل انزله جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبرئيل
في وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد عليه السلام وقيل ابتداء نزوله
في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة
ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان
فسر بهما جواب القسم كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير
من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن
من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم ومعنى يفرق
يفصل ويكتب كل امر من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امرهم من هذه الليلة
القدر الى التي تجيء في السنة المقبلة حكيم ذي حكمة اي مفعول على ما يقتضيه
الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة
ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا
فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بان قال اعني بهذا الامر
امرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا انا كنا مرسلين بدل
من انا كنا منذرين رحمة من ربك مفعول له على معنى انا انزلنا القرآن لان
من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم او تعليل لقوله
امرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها

وقوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين انه هو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم رب كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع اى هو رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيدا الذى تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم اى هو ربكم ورب ابائكم الاولين عطف عليه ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم فى شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقين بل قول مخلوط بهزء ولعب ومفعول فارتقب وانتظر يوم تاتى السماء بدخان يأتى من السماء قبل يوم القيمة يدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول الله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد فى انه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو فى الجر صفة الدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اى سنؤمن ان كشفت عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون منصوب المحل على الحال اى قائلين ذلك انى لهم الذكرى كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اى وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الاذكار من كشف

الدخان

الدخان وهو ما ظهر على رسول الله من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون انا كاشفوا العذاب قليلا زمانا قليلا او كشفا قليلا انكم عائدون الى الكفر الذى كنتم فيه او الى العذاب يوم نبطش البطشة الكبرى يريد هى يوم القيمة او يوم بدر انا منتقمون اى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر او بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ولقد فتنا قبلهم قبل هؤلاء المشركين اى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر ما كان باطنا قوم فرعون وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم فى نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى هى ان المفسرة لان مجئ الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشأن والحديث ادوا الى سلموا الى عباد الله هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معى كقوله ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله انى لكم رسول امين اى على رسالتى غير متهم وان لا تعلوا على الله ان هذه مثل الاولى فى وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله انى آتيكم بسلطان مبين بحجة واضحة تدل على انى نبى وانى عذت عذت مدغم ابو عمرو وحمزة وعلى بربى وربكم ان ترجمون ان تقتلونى رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى او فخلونى كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا لى بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجمونى فاعتزلونى فى الحالين يعقوب فدعا ربه شاكيا قومه ان هؤلاء قوم مجرمون بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه

باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء
بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء فأسر من اسرى فاسر
بالوصل مجازي من سرى والقول مضمر بعد الفاء اي فقال اسر بعبادي
اي بني اسرائيل ليلا انكم متبعون اي دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم
فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر رهوا
ساكنا اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق
فأمر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق
يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه
اطبقه الله عليهم قيل الرهو الفجوة الواسعة اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا
انهم جند مغرقون بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح اي لانهم كم عبارة
عن الكثرة منصوب بقوله تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر ونعمة تنعم كانوا
فاكهين متنعمين كذلك اي الامر كذلك فالكاف في موضع الرفع على انه
خبر مبتدأ مضمر واورثناها قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين
ولا ولاء وهم بنو اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض لانهم ماتوا
كفارا والمؤمن اذا مات يبكي عليه السماء والارض فيبكي من الارض على
المؤمن مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن اهل السماء واهل
الارض وما كانوا منظرين اي لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا
ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين اي الاستخدام والاستعباد
وقتل الاولاد من فرعون بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه
في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم او خبر مبتدأ
محذوف اي ذلك من فرعون انه كان عاليا متكبرا من المسرفين
خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل
على علم حال من ضمير الفاعل اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان
يختاروا على العالمين على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات
كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك ما فيه
بلاء مبين نعمة ظاهرة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون

ان هؤلاء يعني كفار قريش ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى
والاشكال ان الكلام وقع في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي
الا حياتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى جحدوها
واثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حيوة كما تقدمتكم
موتة قد تعقبتها حيوة وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يحييكم فقالوا
ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شأنها ان تتعقبها
حيوة الا الموتة دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها
الموتة من تعقب الحيوة لها الا الموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا
وبين قوله الا حياتنا الدنيا في المعنى ويحتمل ان يكون هذا انكارا
لما في قوله ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وما نحن بمنشرين
بمبعوثين يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فأتوا بآبائنا خطاب
للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين ان كنتم صادقين
اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم
ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث
الموتى حق اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع هو تبع الحميري
كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفي الحديث ما ادري اكان تبع
نبيا او غير نبي والذين من قبلهم فرعون بالعطف على قوم تبع اهلكناهم
انهم كانوا مجرمين كافرين منكرين للبعث وما خلقنا السموات
وما بينهما اي وما بين الجنسين لاعبين حال ولو لم يكن بعث ولا حساب
ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا ما خلقناهما
الا بالحق بالجد ضد اللعب ولكن اكثرهم لا يعلمون انه خلق لذلك
ان يوم الفصل بين المحق والمبطل وهو يوم القيمة ميقاتهم اجمعين
وقت موعدهم كلهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي ولي اي
ولي كان عن اي ولي كان شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون
الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع
كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون
اي لا يمنع من العذاب الا من رحم الله انه هو العزيز الغالب على اعدائه

الرجيم لاوليائه ان شجرة الزقوم هي على صورة شجرة الدنيا لكنها من
النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل طعام الاثيم هو الفاجر الكثير
الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم
فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان
كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رضي الله عنه
القراءة بالفارسية بشرط ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها
من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة
كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز
بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والدقائق
ما لا يستقل باداء لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه
الى قولهما وعليه الاعتماد كالمهل هو دردي الزيت والكاف رفع
خبر بعد خبر يغلي في البطون وبالياء مكي وحفص فالتاء للشجرة
والياء للطعام كغلي الحميم اي الماء الحار الذي انتهى غليانه وجعلناه
غليا كغلي الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية خذوه
اي الاثيم فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكي ونافع
وشامي وسهل ويعقوب الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم
صبوا فوق راسه من عذاب الحميم المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه
اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب
استعارة ويقال له ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء
والتهكم انك اي لانك على ان هذا العذاب او هذا الامر هو ما كنتم
به تمترون اي تشكون ان المتقين في مقام بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى
العموم وبالضم مدني وشامي وهو موضع الاقامة امين من امن
الرجل امانة فهو امين وضد الخائن فوصف به المكان استعارة
لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات
وعيون بدل من مقام امين يلبسون من سندس ما رق من الديباج
واستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره اذا عرب

خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه
وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب فساغ ان يقع في
القرآن العربي متقابلين في مجالسهم وهو اتم للانس كذلك الكاف
مرفوعة اي الامر كذلك وزوجناهم وقرناهم ولهذا عدي بالباء
بحور جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين والشديدة بياضها
عين جمع عيناء وهي الواسعة العين يدعون فيها يطلبون في الجنة
بكل فاكهة آمنين من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار
لا يذوقون فيها اي في الجنة الموت البتة الا الموتة الاولى
اي سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة
الاولى قد ذاقوها في الدنيا ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك
اي للفضل فهو مفعول له او هو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم
عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيئا ذلك
اي صرف العذاب ودخول الجنة هو الفوز العظيم فانما يسرناه
اي الكتاب وقد جرى ذكره في اول السورة بلسانك لعلهم يتذكرون
يتعظون فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك
من الدوائر سورة الجاثية مكية وهي ثلاثون وسبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلتها اسما للسورة فهي مرفوعة بالابتداء والخبر تنزيل الكتاب من الله صلة
للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبر
العزيز في انتقامه الحكيم في تدبيره ان في السموات والارض لايات لدلالات
على وحدانيته ويجوز ان يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لايات
للمؤمنين دليله قبله وفي خلقكم ويعطف وما يبث من دابة على الخلق
المضاف لان المضاف اليه مجرور متصل يقبح العطف عليه آيات حمزة وعلي
بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في
السوق لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء
من رزق اي مطر وسمي به لانه سبب الرزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف
الرياح الريح حمزة وعلي آيات لقوم يعقلون بالنصب علي وحمزة وغيرهما

بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبتا ورفعت فالعاملات اذا نصبتان وفي ايتتا لوا ومقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وحرف في عملتا لوا والرفع في آيات والجر في واختلاف وهذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين واما سيبويه فانه لا يجوزه وتخريج الآية عنده ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير توكيدا لآيات الاولى كانه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هي والمعنى في تقديم الايمان على الايقان وتوسيطه وتاخير الآخران المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض نظرا صحيحا علموا انهما مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وفي ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم **تلك** اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات **آيات الله** وقوله **نتلوها** في محل الحال اي متلوة **عليك بالحق** والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة **فبأي حديث بعد الله وآياته** اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد **تؤمنون** حجازي وابو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد **ويل لكل افاك** كذاب **اثيم** مبالغ في اقتراف الآثام **يسمع آيات الله** في موضع جر صفة **تتلى عليه** حال من آيات الله **ثم يصر** يقبل على كفره ويقيم عليه **مستكبرا** عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجيء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول **كأن لم يسمعها** كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها

والضمير

ضمير الشان ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع **فبشره بعذاب اليم** فاخبره خبرا يظهر اثره على البشرة **واذا علم من آياتنا شيئا** واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها **اتخذها** اي اتخذ الآيات **هزوا** ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية

نفسي بشيء في الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة **اولئك** اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين **لهم عذاب مهين** مخز **من ورائهم** من قدامهم الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام **جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا** من الاموال **شيئا** من عذاب الله **ولا ما اتخذوا** ما فيهما مصدرية او موصولة **من دون الله** من الاوثان **اولياء ولهم عذاب عظيم** في جهنم **هذا هدى** اشارة الى القرآن يدل عليه **والذين كفروا بآيات ربهم** لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل اي كامل في الرجولية **لهم عذاب من رجز** هو اشد العذاب **اليم** بالرفع مكي ويعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة الرجز **الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره** باذنه **ولتبتغوا من فضله** بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري **ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا** هو تاكيد ما في السموات وهي مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال **منه** حال اي سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده او خبر مبتدا محذوف اي هذه النعم كلها منه او صفة للمصدر اي تسخيرا منه **ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا** اي قل لهم اغفروا يغفروا والحذف للمفعول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو امر مستانف وجاز حذف اللام للدلالة على الامر **للذين لا يرجون ايام الله** لا يتوقعون وقائع الله

باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات
التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت
في عمر رضي الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بني غفار فهم
ان يبطش به ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا
ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة وتنكير قوما على المدح لهم كانه
قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على اذى اعدائهم لنجزي
شامي وحمزة وعلي ليجزي قوما يزيد اي ليجزي الخير قوما فاضمر الخير
لدلالة الكلام عليه كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لان
قوله اذ عرض عليه بالعشي دليل على توارى الشمس وليس التقدير
ليجزي الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك
مفعول صحيح اما اقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فجائزة وانت
تقول جزاك الله خيرا بما كانوا يكسبون من الاحسان من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها اي لها الثواب وعليها العذاب ثم الى
ربكم ترجعون اي الى جزائه ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية
والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك
كان فيهم والنبوة خصها بالذكر لكثرة الانبياء فيهم ورزقناهم
من الطيبات مما احل الله لهم وللحلال من الارزاق وفضلناهم على
العالمين على عالمي زمانهم واتيناهم بينات ايات ومعجزات من الامر
من امر الدين فما اختلفوا فما وقع الخلاف بينهم في الدين الا
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اي الا من بعد ما جاءهم ما هو
موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغي حدث بينهم
اي للعداوة وحسد ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون قيل المراد اختلافهم في اوامر الله ونواهيه في التورية
حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا ثم
جعلناك بعد اختلاف اهل الكتاب على شريعة على طريقة ومنهاج
من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال

دينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين
اباءك انهم ان هؤلاء الكافرين لن يغنوا عنك من الله شيئا وان
الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين وهم موالوه وما ابين
البين الفضل بين الوليين هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من
معالم الدين والشرايع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا
وحيوة وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون
لمن امن وايقن بالبعث ام حسب الذين ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها انكار الحسبان اجترحوا السيئات اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه
الجوارح فلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم
وهو من جعل المتعدي الى المفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف في
كالذين امنوا وعملوا الصالحات والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم
بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء
علي وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم
ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم طرفين كمقدم الحاج اي سواء في
محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون
محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام
بالطاعات واولئك على اقتراف السيئات ومماتا حيث مات هؤلاء
على البشرى بالرحمة والكرامة واولئك على اليأس من الرحمة والندامة
وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة في الرزق
والصحة وعن تميم الداري انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ
هذه الاية فجعل يبكي ويرددها الى الصباح وعن الفضيل انه بلغها
فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين
انت ساء ما يحكمون عسى ما يقضون اذ حسبوا انهم كالمؤمنين
فليس من اقعد على بساط الموافقة كمن اقعد على مقام المخالفة بل
نفرق بينهم فنعلي المؤمنين ونخزي الكافرين وخلق الله السموات
والارض بالحق ليدل على قدرته ولتجزى معطوف على هذا المعلل
المحذوف كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرأيت من اتخذ الهه هويه

اى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه واضله
الله على علم منه باختياره الضلال او انشاء فيه فعل الضلال على علم منه
بذلك وختم على سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه فلا يعتقد حقا وجعل
على بصره غشاوة فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى فمن يهديه من بعد الله
من بعد اضلال الله اياه افلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى وحفص
وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ما قال
اذا طالبتك النفس يوما بشهوة وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف
ما هويت فانما هواك عدو والخلاف صديق وقالوا ما هى اى ما الحيوة لانهم
وعدوا حيوة ثانية الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيا نموت نحن
ونحيى بولادة اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا فى الاصلاب
ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة فى الدنيا
والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ اى
يموت الرجل ثم يجعل روحه فى موات فيحيى به وما يهلكنا الا الدهر كانوا يزعمون
ان مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك
الموت وقبضه للارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى
الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه
السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتى بالحوادث
لا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وما يقولون ذلك
عن علم ويقين ولكن عن ظن وتخمين واذا تتلى عليهم آياتنا اى القرآن
يعنى ما فيه ذكر البعث بينات ما كان حجتهم وسمى قولهم حجة وان لم يكن
حجة لانه فى زعمهم حجة الا ان قالوا ائتوا بآبائنا اى احيوهم ان كنتم
صادقين فى دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها ان قالوا والمعنى
ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على
انها اسم كان وان قالوا الخبر قل الله يحييكم فى الدنيا ثم يميتكم
فيها عند انتهاء اعماركم ثم يجمعكم الى يوم القيمة اى يبعثكم يوم القيمة
جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة
لا ريب فيه اى فى الجمع ولكن اكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث

لاعراضهم عن التفكر فى الدلائل ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم
الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ
بدل من يوم تقوم وترى كل امة جاثية جالسة على الركب يقال جثا فلان
يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة كل امة بالرفع على الابتداء
كل بالنصب على الابدال من كل امة تدعى الى كتابها اى صحائف اعمالها
فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا
هذا كتابنا اضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان اعمالهم مثبتة
فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق
عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون نستكتب الملائكة اعمالكم وقيل نسخت واستنسخت
بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته جنته ذلك هو الفوز المبين
واما الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتى تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم
رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه فاستكبرتم عن
الايمان بها وكنتم قوما مجرمين كافرين واذا قيل ان وعد الله بالجزاء
حق والساعة بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطفا
على وعد الله لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة اى شىء الساعة ان
نظن الا ظنا اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا
النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى
الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا لهم وظهر لهؤلاء الكفار
سيئات ما عملوا قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ونزل بهم
جزاء استهزائهم وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا
اى نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهى الطاعة
واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر فى قوله بل مكر الليل والنهار
اى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه ومأويكم النار اى
منزلكم وما لكم من ناصرين ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم

آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها
لا يخرجون حمزة وعلي ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم
اي يرضوه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اي
فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين
فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وله
الكبرياء في السموات والارض وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه
وعظمته في السموات والارض وهو العزيز في انتقامه الحكيم في احكامه

سورة الاحقاف مكية وهي ثلثون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق ملتبسا بالحكمة واجل مسمى وبتقدير اجل
مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا عما انذروه
من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل مخلوق من انتهائه اليه معرضون
لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية
اي عن انذارهم ذلك اليوم قل ارأيتم اخبروني ما تدعون من دون الله
تعبدونه من الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض اي شيء خلقوا
مما في الارض ان كانوا آلهة ام لهم شرك في السموات شركة مع الله
في خلق السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب
وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك
وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك
فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة
غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين
ان كنتم صادقين ان الله امركم بعبادة الاوثان ومن اضل ممن يدعوا
من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون
اي ابدا واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء اي الاصنام لعبدتها
وكانوا اي الاصنام بعبادتهم بعبادة عبدتهم كافرين يقول ما دعوناهم
الى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من اضل انكار ان يكون في الضلال

كلهم

كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر
على كل شيء ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد
منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيمة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا
لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم
في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما اسند اليهم
ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك
الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد
او واضحات مبينات قال الذين كفروا للحق المراد بالحق الآيات وبالذين
كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر
وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه
من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر هذا سحر مبين ظاهر امره في البطلان
لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا
الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه اي اختلقه واضافه الى الله كذبا والضمير
للحق والمراد به الآيات قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا
اي ان افتريته اي اذا افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء
عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه
فكيف افتريه واتعرض لعقابه هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون
فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية
اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد
عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم
وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر
وآمنوا قل ما كنت بدعا من الرسل اي بديعا كالخف بمعنى الخفيف
والمعنى اني لست باول مرسل فتنكروا نبوتي وما ادري ما يفعل
بي ولا بكم اي ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي
قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون هذا فقال

ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم اتركُ بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت
ورايتها يعنى مناما ذات نخيل وشجر وما فى ما يفعل يجوز ان تكون
موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا فى قوله
ولا بكم مع ان يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فى ما ادرى ما وما
فى حيّزه ان اتّبع الا ما يوحى الىّ وما انا الا نذير مبين قل ارايتم
ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل
هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان
اسلام ابن سلام فى المدينة روى انه لما قدم رسول الله عليه السلام
المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له انى سائلك لا يعلمهن
الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع
الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار
تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة
كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المراة
نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا على مثله الضمير للقرآن اى مثله
فى المعنى وهو ما فى التورية من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله فآمن الشاهد واستكبرتم
عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله
وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدى القوم
الظالمين والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو
الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو فى وشهد فقد
عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل اخبرونى ان اجتمع
كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرائيل
على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم
اضل الناس واظلمهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا اى لاجلهم وهو
كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل

عمار

عمار وصهيب وابن مسعود لو كان خيرا ما سبقونا اليه لو كان ما جاء به محمد خيرا لما سبقنا
اليه هؤلاء واذ لم يهتدوا به العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره
واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبّب عنه
وقولهم افك قديم اى كذب متقادم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله اى القرآن
كتاب موسى اى التورية وهو مبتداء ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو
ناصب اماما على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله
وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب
مصدّق لكتاب موسى ولما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب لسانا عربيا
حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق او من كتاب لتخصصه
بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اى يصدق
ذا لسان عربى وهو الرسول لينذر اى الكتاب لتنذر حجازى وشامى الذين
ظلموا كفروا وبشرى فى محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له
للمحسنين للمؤمنين المطيعين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
على توحيد الله وشريعة نبيه عليه السلام فلا خوف عليهم فى القيمة
ولا هم يحزنون عند الموت اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها حال
من اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذى دل عليه اولئك
جزاء بما كانوا يعملون جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء
ووصينا الانسان بوالديه احسانا كوفى اى وصيناه بان يحسن
بوالديه احسانا حسنا غيرهم اى وصيناه بوالديه امرا ذا حسن اى
بامر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو بدل الاشتمال
حملته امه كرها ووضعته كرها وبفتح الكاف فيهما حجازى وابو عمرو
وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال اى ذات كره او على
انه صفة للمصدر اى حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفطامه
ثلثون شهرا وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لان مدة
الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة
اشهر وبه قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رضى الله
عنه المراد به الحمل بالاكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالفطم

والعظام بناء ومعنى حتى اذا بلغ اشده هو جمع لا واحد له من لفظه
وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى
السن التي يستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا اناف على الثلثين
وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلثون سنة ووجهه ان يكون
ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وبلغ اربعين سنة قال رب
اوزعني الهمني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
المراد نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى
والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وان اعمل صالحا ترضاه قيل
هي الصلوات الخمس واصلح لي في ذريتي اي اجعل ذريتي موقعا
للصلاح ومظنة له اني تبت اليك من كل ذنب واني من المسلمين
من المخلصين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز
عن سيئاتهم حمزة وعلي وحفص يتقبل ويتجاوز احسن غيرهم
في اصحاب الجنة هو كقولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد
اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب
على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لان قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل
والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة
وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبي
عليه السلام وهو ابن ثمان وثلثين سنة ودعا لهما وهو ابن اربعين
سنة ولم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار
اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر الذي كانوا يوعدون
في الدنيا والذي قال لوالديه مبتدأ خبره اولئك الذين
حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول
ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه
المكذب بالبعث وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه
ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة
ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جئتم بها هرقلية

اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هذا الذي قال الله فيه والذي
قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها وعن ابيها فغضبت وقالت
والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن اباك وانت
في صلبه فانت فضض من لعنة الله اف لكما مدني وحفص اف مكي وشامي
اف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال
حس علم انه متوجع واللام للبيان اي هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما
دون غيركما اتعدانني ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقد خلت
القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما ابواه يستغيثان الله
يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له
ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان
لا حقيقة الهلاك آمن بالله والبعث ان وعد الله بالبعث حق
صدق فيقول لهما ما هذا القول الا اساطير الاولين اولئك الذين
حق عليهم القول اي لاملأن جهنم في امم في جملة امم قد خلت مضت
من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين
الابرار والفجار درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا
من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما وقيل درجات وقد جاء الجنة درجات
والنار دركات على وجه التغليب وليوفيهم اعمالهم بالياء مكي وبصري
وعاصم وهم لا يظلمون اي وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر
جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات
فاللام متعلقة بمحذوف ويوم يعرض الذين كفروا على النار عرضهم
على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به
وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون
عرض الحوض عليها فقلبوا اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب الظرف
طيباتكم في حياتكم الدنيا اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه
في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها
وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا
ولكني استبقي طيباتي واستمتعتم بها بالطيبات فاليوم تجزون عذاب

الهون اى الهوان وقرئ به بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون اى باستكباركم وفسقكم واذكر اخا عاد اى هودا
اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء
من احقوقف الشئ اذا اعوج عن ابن عباس رضى الله هو واد بين عمان ومهرة
وقد خلت النذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه ومن خلفه
من قبل هود ومن بعده وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
دفع اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب
العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك قالوا
اى قوم هود اجئتنا لتافكنا لتصرفنا فان الافك الصرف يقال افكه
عن رايه عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب
على الشرك ان كنت من الصادقين فى وعدك قال انما العلم بوقت
مجئ العذاب عند الله ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم
وابلغكم ما ارسلت به وبالتخفيف ابو عمرو اى الذى هو شانى ان ابلغكم
ما ارسلت به من الانذار والتخويف ولكنى اريكم قوما تجهلون اى ولكنكم
جاهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين
غير ما اذن لهم فيه فلما راوه الضمير يرجع الى ما تعدنا او هو مبهم
وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا او حالا والعارض السحاب الذى يعرض
فى افق من السماء مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
روى ان المطر قد احتبس عنهم فراوا سحابة استقبلت اوديتهم فقالوا
هذا سحاب ياتينا بالمطر واظهروا لذلك فرحا واضافة مستقبل وممطر
مجازية غير معرفة بدليل وقوعها وهما مضافان الى معرفتين وصفا
للنكرة بل هو اى قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرا قال هود بل
هو ما استعجلتم به من العذاب ثم فسره فقال ريح فيها عذاب
اليم تدمر كل شئ تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن
الكثرة بالكلية بامر ربها رب الريح فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم
عاصم وحمزة وخلف اى لا يرى شئ الا مساكنهم والخطاب لكل راء من كان

كذلك

كذلك نجزى القوم المجرمين اى مثل ذلك نجزى من اجرم وهو تحذير لمشركى
العرب عن ابن عباس اعتزل هود ومعه من خطيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه
الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض تدمغهم بالحجارة
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية اى فيما ما مكناكم فيه
الا ان ان احسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع
الا ترى ان الاصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت
ان صلة وتؤول بانا مكناهم واشد قوة واثارا وما بمعنى الذى او نكرة موصوفة
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة اى آلات الدرك والفهم فما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ اى من شئ من الاغناء
وهو القليل منه اذ كانوا يجحدون بآيات الله اذ نصب بقوله فما اغنى
وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف فى قولك
ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته
فانما ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه
الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك وحاق بهم
ونزل بهم ما كانوا به يستهزءون جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار
مكة ثم زادهم تهديدا بقوله ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى
كحجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد اهل القرى ولذلك قال وصرفنا
الآيات لعلهم يرجعون اى كررنا عليهم الحجج وانواع العبر لعلهم يرجعون
عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا فلولا فهلا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة القربان ما تقرب به الى الله تعالى اى
اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واحد مفعولى اتخذ الراجع الى الذين المحذوف وفى اتخذوهم
والثانى آلهة وقربانا حال بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وذلك
افكهم وما كانوا يفترون وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم
لهم عنهم اى وذلك اثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة
وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب واذ صرفنا اليك نفرا
املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة من الجن

جن نصيبين يستمعون القرآن منه عليه السلام فلما حضروه
اي الرسول عليه السلام او القرآن اي كانوا منه بحيث يسمعون
قالوا اي قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين روي
ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا
ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين
او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي
نخلة فوافقوا رسول الله عليه السلام وهو قائم في جوف الليل يصلي
او في صلوة الفجر فاستمعوا القراءة وعن سعيد بن جبير ما قرأ
رسول الله عليه السلام على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم
وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه
نفرا منهم فقال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها
ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره ليلة الجن
احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي
خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا
شديدا فقال لي رسول الله هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا
فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها
عليهم اقرأ باسم ربك فلما قضي اي فرغ النبي عليه السلام من القراءة
ولوا الى قومهم منذرين اياهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى مصدقا لما بين
يديه من الكتب يهدي الى الحق الى الله والى طريق مستقيم
يا قومنا اجيبوا داعي الله اي محمدا عليه السلام وآمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال ابو حنيفة رضي الله عنه
لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن
ابي ليلى وابو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن
الضحاك انهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن

انس قبلهم ولا جان ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي
منه مهرب وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن هو كقوله وما مسنا من لغوب
ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل
عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الآية على
ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه
قيل أليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء
من البعث وغيره لا لرؤيتهم على ان يحيي الموتى بلى هو جواب للنفي انه على كل شيء
قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيقال لهم أليس هذا
بالحق وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا
فاصبر كما صبر اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر من الرسل من للتبعيض
والمراد باولي العزم ما ذكر في الاحزاب واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم ويونس ليس منهم لقوله
كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما او للبيان فيكون اولوا
العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب اي
لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر كأنهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار اي انهم يستقصرون حينئذ مدة
لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ هذا اي هذا الذي
وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك
هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله الا القوم الفاسقون
اي المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه سورة محمد عليه السلام
مدنية وهي ثلثون وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا وامتنعوا عن الدخول
في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال الجوهري صد عنه يصد صدودا
اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر او اهل

الكتاب وعام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته
جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة التي لا رب
لها واعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد
الحرام او ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله والذين
امنوا وعملوا الصالحات هم ناس من قريش او من الانصار او من اهل الكتاب
او عام وامنوا بما نزل على محمد وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل
على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شانه واكد ذلك بالجملة
الاعتراضية وهي قوله وهو الحق من ربهم اي القرآن وقيل ان دين محمد
هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم
وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم
واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط
على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم ذلك مبتدا وما بعده
خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني
والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء
الحق وهو القرآن كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله يبين الله للناس
امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى
انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا
لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين وجعل الاضلال مثلا
لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز الابرار فاذا لقيتم الذين
كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب
ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول
وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على
الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب
ان يضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان
اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته
حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم فيهم القتل فشدوا الوثاق فاسروهم

والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى
حتى لا يفلتوا منكم فاما منا بعد اي بعد ان تاسروهم واما فداء منا
وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء
والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم
وحكم اسارى المشركين عندنا القتل او الاسترقاق والمن والفداء
المذكوران في الآية منسوخان بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة
من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء او المراد بالمن ان يمن
عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء
ان يفادي باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا
عن ابي حنيفة رضي الله عنه وهو قولهما والمشهور انه لا يرى فداءهم
لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعي رحمه الله للامام
ان يختار احد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسارى
المسلمين والمن حتى تضع الحرب اوزارها اثقالها والاتها التي لا تقوم
الا بها كالسلاح والكراع وقيل اوزارها آثامها يعني حتى يترك الحرب
وهم المشركون شركهم بان يسلموا وحتى لا تخلو من ان تتعلق بالضرب
والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلام المتعلقين عند الشافعي رحمه الله
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا تكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق
لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا علق
بالضرب والشد فالمعنى انهم تقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار
وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن
عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء
بما ذكرنا من التاويل ذلك اي الامر ذلك فهو مبتدا وخبر او فعلوا بهم
ذلك فهو في محل النصب ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بغير
قتال ببعض اسباب الهلاك كالخسف والرجفة او غير ذلك ولكن امركم
بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اي المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين
وتمحيقا للكافرين والذين قتلوا بصري وحفص قاتلوا غيرهم في سبيل الله
فلن يضل اعمالهم سيهديهم الى طريق الجنة او الى الصواب في جواب

منكر ونكير ويصلح بالهم يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة
عرفها لهم عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا ان يسألوا
او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة يا ايها الذين ان تنصروا الله
اى دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم
في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا في موضع الرفع
بالابتداء والخبر فتعسا لهم وعطف قوله واضل اعمالهم على الفعل
الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن
عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار ذلك اى التعس
والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله اى القرآن فاحبط اعمالهم
افلم يسيروا في الارض يعني كفار امتك فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم اهلكهم هلاك استيصال وللكافرين
ولمشركي قريش امثالها امثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها ذلك
اى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين بان الله مولى الذين آمنوا وليهم
وناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم اى لا ناصر لهم فالله مولى العباد
جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيه واما على معنى النصر فهو مولى
المؤمنين خاصة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا
اياما قلائل ياكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام
معالفها ومسارحها عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم
منزل ومقام وكاين من قرية اى وكم من قرية وهى للتكثير واراد بالقرية
اهلها ولذلك قال اهلكناهم هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اى وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اى كانوا
سبب خروجك اهلكناهم فلا ناصر لهم اى فلم يكن لهم من ينصرهم
ويدفع العذاب عنهم افمن كان على بينة من ربه اى على حجة من عنده
وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعني رسول الله كمن
زين له سوء عمله هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم
الله ورسوله وقال سوء عمله واتبعوا اهواءهم للحمل على لفظ من ومعناه

مثل الجنة

مثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد المتقون عن الشرك
فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي
فيها انهار او حال اى مستقرة فيها انهار من ماء غير آسن غير متغير
اللون والريح والطعم يقال اسن الماء اذا تغير طعمه وريحه وأسن
مكي وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير البان الدنيا الى الحموضة
وغيرها وانهار من خمر لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ للشاربين
اى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع
ولا آفة من آفات الخمر وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل
فيخالطه الشمع وغيره ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم مثل
مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما حارا في النهاية
فقطع امعاءهم والتقدير امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو كلام
في صورة الاثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار
ودخوله في حيزه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها
تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا
هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله عليه السلام فيسمعون كلامه
ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من
الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا بالايمان واستماع
القرآن زادهم الله هدى علما وبصيرة او شرح صدر وآتاهم تقواهم
اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون
الا الساعة اى ينتظرون ان تأتيهم اى اتيانها فهو بدل اشتمال
من الساعة بغتة فجأة فقد جاء اشراطها علاماتها وهو مبعث
محمد عليه السلام وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة
الكرام وكثرة اللئام فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم قال الاخفش

التقدير فانى لهم ذكريهم اذا جاءتهم فاعلم انّه لا اله الا
الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والمعنى فاثبت
على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس
باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز
ان يكون له ذنب يأمره بالاستغفار له ولكنا لا نعلم غير ان ذنب
الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح
الصغائر والكبائر وقيل الفاءات وقيل في هذه الآيات لعطف
جملة على جملة بينهما اتصال والله يعلم متقلبكم في معايشكم ومتاجركم
ومثويكم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثويكم
في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثويكم في الجنة والنار ومثله
حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل سفيان بن عيينة عن فضل
العلم فقال الم تسمع قوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر
بالعمل بعد العلم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فيها ذكر الجهاد
فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد محكمة مبينة غير متشابهة
لا يحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال
فهي محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح
والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيمة وذكر فيها القتال اي امر
فيها بالجهاد رأيت الذين في قلوبهم مرض نفاق اي رأيت المنافقين
فيما بينهم يضجرون منها ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
اي تشخص ابصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت
فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف
كلام مستأنف اي طاعة وقول معروف خير لهم فاذا عزم الامر فاذا
جدّ الامر ولزمهم فرض القتال فلو صدقوا الله في الايمان والطاعة
لكان الصدق خيرا لهم من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة
الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اي فلعلكم

ان اعرضتم عن دين رسول الله وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية
من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض
الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى ان تفسدوا والشرط اعتراض بين
الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
ان توليتم اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله ابعدهم عن رحمته
فاصمّهم عن استماع الموعظة واعمى ابصارهم عن ابصار طريق الهدى
افلا يتدبرون القرآن فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد
العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي وام في ام على قلوب اقفالها
بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها
ذكر ونكّرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك
او المراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واضيفت الاقفال
الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت
فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد
ما تبين لهم الهدى اي المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم
الشيطان سوّل زيّن لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان نحو ان
زيدا عمرو مرّ به واملى لهم ومدّ لهم في الآمال والاماني واملي ابو عمرو
اي امهلوا ومدّ في عمرهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
اي المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الامر اي عداوة
محمد والقعود عن نصرته والله يعلم اسرارهم على المصدر من اسرّ حمزة
وعلي وحفص اسرارهم غيرهم جمع سرّ فكيف اذا توفتهم الملائكة اي
فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ يضربون وجوههم وادبارهم
عن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه
ودبره ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم بسبب انهم اتبعوا
ما اسخط الله من معاونة الكافرين وكرهوا رضوانه من نصرة المؤمنين
فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله
احقادهم والمعنى اظن المنافقون ان الله لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم فلعرفتهم بسيماهم

بعلاماتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس ما خفي على رسول الله
بعد هذه الآية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن
القول في نحوه واسلوبه الحسن في فحوى كلامهم لانهم لا يقدرون
على كتمان ما في انفسهم واللام في فلعرفتهم داخلة في جواب لو كالتي
في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة
مع النون في جواب قسم محذوف والله يعلم اعمالكم فيميز خيرها
من شرها ولنبلونكم بالقتال اعلاما لا استعلاما او نعاملكم
معاملة المختبر ليكون ابلغ في اظهار العدل حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على الجهاد اي نعلم كائنا ما علمناه انه سيكون ونبلو
اخباركم اسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو ابوبكر وعن الفضيل
انه كان اذا قراها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا
وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله وشاقوا الرسول وعادوه يعني المطعمين يوم بدر وقد مر من
بعد ما تبين لهم الهدى بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول لن
يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في مشاقة الرسول
اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بالنفاق والرياء
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن
يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا
فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وبالكسر حمزة
وابوبكر وهما المسالمة اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح وانتم الاعلون
اي الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي والله معكم بالنصر
اي ناصركم ولن يتركم اعمالكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو تنقطع
في اسرع مدة وان تؤمنوا بالله ورسوله وتتقوا الشرك يؤتكم
اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اي ولا يسألكم
جميعا بل ربع العشر والفاعل الله او الرسول وقال سفيان بن عيينة
غيضا من فيض ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء

المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك
شيئا من الالحاف واحفى شاربه اذا استأصله تبخلوا ويخرج اي الله او البخل
اضغانكم عند الامتناع او عند سؤال الجميع لان عند مسألة المال يظهر
العداوة والحقد ها انتم ها للتنبيه هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته
تدعون اي انتم الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله هي النفقة في
الغزو والزكوة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم
العطاء انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم من يبخل بالرفع لان
من هذه ليست للشرط اي فمنكم ناس يبخلون به ومن يبخل بالصدقة
واداء الفريضة فانما يبخل عن نفسه اي يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي
ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه والله الغني وانتم الفقراء
اي انه لا يأمر بذلك لحاجته اليه لانه غني عن الحاجات ولكن لحاجتكم
وفقركم الى الثواب وان تتولوا وان تعرضوا ايها العرب عن طاعته
وطاعة رسوله والانفاق في سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا
يستبدل قوما غيركم يخلق قوما خيرا منكم واطوع وهم فارس وسئل
رسول الله عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا
وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال
من فارس ثم لا يكونوا امثالكم اي ثم لا يكونوا في الطاعة امثالكم بل اطوع منكم

سورة الفتح مدنية وهي عشرون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا الفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير
حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد
نزلت مرجع رسول الله عليه السلام عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح
وجيء به على لفظ الماضي لانها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من
الفخامة والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى وقيل هو فتح الحديبية
ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المشركين
حتى ادخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان
في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة

فتمضمض رسول الله عليه السلام ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع
الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بيّنا على اهل مكة ان
تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة
ليغفر لك الله قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك
فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله
فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو
سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لاتمام النعمة والنصر العزيز
ولكنه لما عدّ عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كانه قيل يسّرنا لك
فتح مكة او كذا ليجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ما تقدم
من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك او ما تقدم من حديث
مارية وما تأخر من امرأة زيد ويتم نعمته عليك باعلاء دينك وفتح
البلاد على يدك ويهديك صراطا مستقيما ويثبتك على الدين المرضي
وينصرك الله نصرا عزيزا قويا منيعا لا ذل بعده ابدا هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة
للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة
بسبب الصلح ليزدادوا يقينا الى يقينهم وقيل السكينة الصبر على امر الله
والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله ولله جنود السموات والارض
وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك
عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات اي ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض
كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح
الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة
الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم
من ذلك وكرهوه الظانين بالله ظن السوء وقع السوء عبارة عن
رداءة الشيء وفساده يقال فعل سوء اي مسخوط فاسد والمراد
ظنهم ان الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين

فاتحيها

فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء مكي وابو عمرو اي ما يظنونه ويتربصونه
بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائرة عليهم والسوء الهلاك والدمار غيرهما دائرة
السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها والسوء والسوء كالكره
والكره والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه
ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير
وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله
جنود السموات والارض فيدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء
منها وكان الله عزيزا غالبا فلا يرد بأسه حكيما فيما دبر انا ارسلناك
شاهدا تشهد على امتك يوم القيمة وهذه حال مقدرة ومبشرا للمؤمنين
بالجنة ونذيرا للكافرين من النار لتؤمنوا بالله ورسوله والخطاب
لرسول الله ولامته وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه
وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير
الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاولين للنبي عليه السلام
فقد ابعد ليؤمنوا مكي وابو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة
بالياء عندهما بكرة صلاة الفجر واصيلا الصلوات الاربع ان الذين
يبايعونك اي بيعة الرضوان ولما قال انما يبايعون الله اكده
تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله
التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات
الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله
من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وانما يبايعون الله
خبر ان فمن نكث نقض العهد ولم يف بالبيعة فانما ينكث على نفسه
فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله عليه السلام
تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس
وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ومن اوفى بما عاهد
يقال وفيت بالعهد واوفيت به ومنه قوله اوفوا بالعقود والموفون
بعهدهم عليه الله حفص فسيؤتيه وبالنون حجازي وشامي اجرا عظيما
الجنة سيقول لك اذا رجعت من الحديبية المخلفون من الاعراب

هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة
واشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين اراد المسير الى مكة عام
الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت
واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا
فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة
وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة شغلتنا
اموالنا واهلونا اى جمع اهل اعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه
ليس لهم من يقوم باشغالهم فاستغفر لنا ليغفر الله لنا تخلفنا عنك
يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذى
خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق وطلبهم الاستغفار
ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من
مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة ضرا بالضم
وعلى او اراد بكم نفعا من غنيمة وظفر بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك فى قلوبكم
زينه الشيطان وظننتم ظن السوء من علو الكفر وظهور الفساد وكنتم
قوما بورا جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشيء هلك وفسد اى وكنتم قوما هالكين
فى انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستحقين لسخطه
وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين اى لهم فاقيموا
الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله ورسوله
فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات
والارض يدبره تدبير قادر حكيم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين وتعذيب الكافرين
وكان الله غفورا رحيما سبقت رحمته غضبه سيقول المخلفون
الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر
لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله كلم الله على
حمزة اى يريدون ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم

ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون
منهم شيئا قل لن تتبعونا الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم
ولا يبدل القول لديه كذلكم قال الله من قبل من قبل انصرافهم الى المدينة
ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم فسيقولون بل تحسدوننا
اى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنيمة بل كانوا لا يفقهون
من كلام الله الا قليلا الا شيئا قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين
الاضرابين ان الاول رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد
والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو
اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب هم الذين تخلفوا
عن الحديبية ستدعون الى قوم اولى بأس شديد يعنى بنى حنيفة قوم
مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر رضى الله عنه لان مشركى
العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف وقيل هم
فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه تقاتلونهم او يسلمون اى يكون
احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التاويل ينقادون
لان فارس مجوس يقبل منهم الجزية وفى الاية دلالة صحة خلافة الشيخين
حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله فان تطيعوا
من دعاكم الى قتالهم يؤتكم الله اجرا حسنا فوجب ان يكون الداعى
مفترض الطاعة وان تتولوا كما توليتم من قبل اى عن الحديبية
يعذبكم عذابا اليما فى الاخرة ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج نفى الحرج عن ذوى العاهات فى التخلف عن
الغزو ومن يطع الله ورسوله فى الجهاد وغير ذلك يدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعرض عن الطاعة يعذبه عذابا اليما
ندخله ونعذبه مدنى وشامى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة هى بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبى
عليه السلام حين نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعى رسولا
الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال
انى اخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم فبعث عثمان بن عفان

فخبرهم انه لم يات بحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس
عندهم فارجف بانهم قتلوه فقول رسول الله لا نبرح حتى نناجز
القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على ان يناجزوا قريشا
ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين الفا
واربعماية فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا
عليه فانزل السكينة عليهم اى الطمانينة والامن بسبب الصلح
على قلوبهم واثابهم وجازاهم فتحا قريبا هو فتح خيبر عقيب انصرافهم
من مكة ومغانم كثيرة ياخذونها هى مغانم خيبر وكانت ارضا
ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكان الله عزيزا منيعا فلا يغالب
حكيما فيما يحكم به فلا يعارض وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
هى ما اصابوه مع النبى عليه السلام وبعده الى يوم القيمة فعجل لكم
هذه المغانم يعنى مغانم خيبر وكف ايدى الناس عنكم يعنى ايدى اهل
خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى
قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل ايدى اهل مكة بالصلح ولتكون هذه
الكفة اية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه
ضامن نصرهم والفتح عليهم فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه
اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى وهى مغانم هوازن فى غزوة
حنين لم تقدروا عليها كما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اى قدر عليها
واستولى واظهركم عليها ويجوز فى اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط
الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى
والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتداء
وكان الله على كل شىء قديرا قادرا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا او من خلفاء اهل خيبر لولوا الادبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون
وليا يلى امرهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله فى موضع المصدر المؤكد
اى سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلى التى قد خلت
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذى كف ايديهم عنكم

اى ايدى اهل مكة وايديكم عنهم عن اهل مكة يعنى قضى بينهم وبينكم المكافة
والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد
ابو حنيفة رضى الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك
فى غزوة الحديبية لما روى ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسماية فبعث
رسول الله من هزمهم وادخلهم حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين
عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت ببطن مكة اى بمكة او بالحديبية
لان بعضها منسوب الى الحرم من بعد ان اظفركم عليهم اى اقدركم وسلطكم
وكان الله بما تعملون بصيرا وبالياء ابو عمرو هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والهدى هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم
اى صدوكم وصدوا الهدى معكوفا ان يبلغ محبوسا عن ان يبلغ ومعكوفا حال
وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة محله مكانه الذى يحل فيه نحره اى يجب
وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا
ان تطؤهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب فى تعلموهم فتصيبكم منهم
معرة اثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق
عليه وهو الكفارة اذا قتله خطاء وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل
دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر بغير علم متعلق بان تطؤهم
يعنى ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى
انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم
فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وانتم غير
عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم
وقوله ليدخل الله فى رحمته من يشاء تعليل لما دلت عليه الاية وسيقت له
من كف الايدى عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من
المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه
لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل الاسلام من رغب فيه من مشركيهم
لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف اغنى
عنه جواب لو ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا لرجوعهما

الى معنى واحد ويكون لعذبنا الذين كفروا هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا
رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف
منهم من اهل مكة عذابا اليما والعامل فى اذ جعل الذين كفروا اى قريش
لعذبنا اى لعذبناهم فى ذلك الوقت او اذكر فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين المراد بحمية الذين كفروا وهى
الانفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار ما روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن
عبد العزى ومكرز بن حفص على ان يعرضوا على النبى ان يرجع من عامه
ذلك على ان تخلى قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام فقبل ذلك
وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال
اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك
رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما
صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون
فانا اشهد انى رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا
ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا والزمهم
كلمة التقوى الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم
والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى واساسها وقيل
كلمة اهل التقوى وكانوا اى المؤمنون احق بها من غيرهم واهلها
تاهيل الله اياهم وكان الله بكل شىء عليما فيجرى الامور على مصالحها
لقد صدق الله رسوله الرؤيا اى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى
تعالى الله عن الكذب فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما
عاهدوا الله عليه وروى ان رسول الله عليه السلام راى قبل خروجه
الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم هذا
وقالوا ان رؤيا رسول الله حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابى وغيره
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت بالحق متعلق

بصدق اى صدقه فيما رآه وفى كونه وحصوله صدقا وملتبسا بالحق
اى بالحكمة البالغة وذلك لما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص
وبين من فى قلبه مرض ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض
الباطل او بالحق الذى هو من اسمائه تعالى وجوابه لتدخلن المسجد
الحرام وعلى الاول هو جواب قسم محذوف ان شاء الله حكاية من قول
رسوله لاصحابه وقصه عليهم او تعليم لعباده ان يقولوا فى عداتهم مثل ذلك
متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته آمنين حال والشرط معترض محلقين
حال من الضمير فى آمنين رؤسكم اى جميع شعورها مقصرين بعض
شعورها لا تخافون حال مؤكدة فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى تأخير
فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك اى من دون فتح مكة
فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر
الفتح الموعود هو الذى ارسل رسوله بالهدى بالتوحيد ودين الحق
اى الاسلام ليظهره ليعليه على الدين كله على جنس الدين يريد الاديان
المختلفة من اديان المشركين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه
فانك لا ترى دينا الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند
نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره
اظهاره بالحجج والآيات وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن عن الحسن
شهد على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا
تمييزا وحال محمد خبر مبتدأ اى هو محمد لتقدم قوله هو الذى ارسل
رسوله او مبتدأ خبره رسول الله وقف عليه نصير والذين معه
اى اصحابه مبتدأ والخبر اشداء على الكفار ومحمد مبتدأ ورسول الله
عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ اشداء خبر عن الجميع ومعناه
غلاظ رحماء بينهم متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم
ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار
كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم
وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه
تراهم ركعا سجدا راكعين ساجدين يبتغون حال كما ان ركعا وسجدا

كذلك فضلاً من الله ورضواناً سيماهم علامتهم في وجوههم من اثر
السجود اي من التاثير الذي يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم
من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلوته بالليل حسن وجهه
بالنهار ذلك المذكور مثلهم صفتهم في التورية وعليه وقف ومثلهم
في الانجيل مبتداء كزرع اخرج شطأه فراخه يقال شطا الزرع اذا فرخ
فآزره قواه فازره شامي فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ
فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق يعجب الزراع يتعجبون
من قوته وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فازره
فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى
لبدو امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي
عليه السلام قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى
من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة
ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجراً عظيماً لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم
به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان اي الرجس الذي هو الاوثان وكقولك انفق من الدراهم
اي اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم
كفروا بعد وفات النبي عليه السلام اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر
العظيم انما يكون ان لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حيوته

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو
والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله يقدم قومه فحذف المفعول
ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم من القول والفعل وجاز
ان لا يقصد مفعول والنهي متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذي

يحيى

يحيى ويميت او هو من قدم بمعنى تقدم كوجه ومنه مقدمة الجيش وهي الجماعة
المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائي تتقدموا
بين يدي الله ورسوله حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين
الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما
على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما سمي الشيء باسم غيره اذا
جاوزه وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلاً وفيه
فائدة جليلة وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام
على الامر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة ويجوز
ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله اي سرني حسن حال زيد
فكذلك هنا المعني بين يدي رسول الله وفائدة هذا الاسلوب الدلالة
على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله عليه السلام من الله بالمكان
الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك وفي هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع
اصواتهم فوق صوته لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا
الاختصاص كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين
يديه الصوت وعن الحسن ان اناساً ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت
وامرهم رسول الله ان يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضي الله عنها انها
نزلت في النهي عن صوم يوم الشك واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه
عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها ان الله سميع لما تقولون
عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى يا ايها الذين آمنوا اعادة النداء
عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك
منهم لئلا يغفلوا عن تاملهم لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
اي اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد
الذي يبلغه بصوته ان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عالياً
لكلامكم وجهره باهراً لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته
لديكم واضحة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي اذا كلمتموه
وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم
ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين

المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر او لا تقولوا له يا محمد يا احمد
وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية
ما كلم النبي عليه السلام ابو بكر وعمر الا كاخي السرار وعن ابن عباس
انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري
الصوت وكان اذا كلم رفع وربما كان يكلم رسول الله فيتاذى بصوته وكاف
التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي
هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالمخافتة
وانما نهوا عن جهر مخصوص اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه
منه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها
ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له متعلق بمعنى
النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها
على تقدير حذف المضاف وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله تم اسم ان عند رسول الله والمعنى يخفضون اصواتهم
في مجلسه تعظيما له اولئك مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وتم
صلة الذين عند قوله للتقوى واولئك مع خبره خبر ان والمعنى اخلصها
للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه
وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه
اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ
او بلاء جهيد لهم مغفرة واجر عظيم جملة اخرى نزلت في الشيخين
رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذي
رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسماء لان المؤكدة وتصيير خبرها
جملة مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستيناف الجملة
المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره
دالة على غاية الاعتداد والارتضاء لفعل الخافضين اصواتهم وفيها
تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات نزلت في وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه
وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن

ونادوا

ونادوا النبي عليه السلام من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يا محمد
فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ فخرج والوراء الجهة يواريها
عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة
نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط
يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين
والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله
عليه السلام وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها ولعلهم
تفرقوا على الحجرات متطلبين له او نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها
ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله والفعل وان كان مسندا الى جميعهم
فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين وكانهم تولوه جميعا
اكثرهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل
ان يكون المراد النفي العام اذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية
على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال لمحل رسول الله عليه
السلام منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع
لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها
التعريف باللام دون الاضافة ولو تامل متامل من اول السورة الى
آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتامل كيف ابتدأ بايجاب ان يكون الامور
التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم
اردف ذلك النهي عن ما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر
كان الاول بساط للثاني ثم اثنى على الغاضين اصواتهم ليدل على
عظيم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول
الله في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه
على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول
كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ولو انهم
صبروا اي ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا رفع على الفاعلية والصبر
حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس

وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله حتى تخرج اليهم يفيد انه لو خرج فلم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان الصبر خيرا لهم في دينهم والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ اجمعوا على انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله عليه السلام مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء فكانه قال اي فاسق جاءكم باي نبأ فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلي فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ان تصيبوا قوما لئلا تصيبوا بجهالة حال يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين الندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب او فارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين

استثنائهم

استثنائهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر هو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر والعصيان هو ترك الانقياد لما امر به الشارع اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الراشدون يعني اصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة فضلا من الله ونعمة الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له اي حبب وكره للفضل والنعمة والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقف رسول الله عليه السلام على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهم الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله فاصلح بينهما ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى في فاصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ فان بغت احديهما على الاخرى البغي الاستطالة والظلم واباء الصلح فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كافت وقبضت عن الحرب ايديها تركت الى امر الله المذكور في كتابه من الصلح وقال الاستغناء فان فاءت عن البغي الى امر الله فاصلحوا بينهما بالعدل بالانصاف واقسطوا واعدلوا وهو امر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما امر به في اصلاح ذات البين ان الله يحب المقسطين العادلين والقسط الجور والقسط

العدل والفعل منه اقسط وهمزته للسلب اى ازال القسط وهو الجور
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ هذا تقرير لما الزمه من تولى
الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان
قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة
لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولادا
لزم السائرين ان يتناهضوا فى دفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة فى الدين
احق بذلك اخوتكم يعقوب وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اى اتقوا الله فان التقوى
تحملكم على التواصل والايتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم
مرجوا والاية تدل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين
مع وجود البغى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا
خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ القوم الرجال
قوامون على النساء وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر
واختصاص القوم بالرجال صريح فى الاية اذ لو كانت النساء داخلة فى قوم
لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير فى قوله وما ادرى ولست اخال ادرى
اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور
والاناث وليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور
وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل
معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد
افادة الشياع وان تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل
من رجل ولا امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير
واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذى كانوا عليه
وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف ورد مورد جواب المستخبر عن
العلة الموجبة لما جاء النهى عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله
بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان عند الله
خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر
والذى يزن عند الله خلوص الضمائر وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغى ان
لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة

فى بدنه

فى بدنه او غير لبيق فى محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على
ضده صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله وعن ابن مسعود رضى الله
عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وَلَا تَلْمِزُوا
أَنْفُسَكُمْ لا تطعنوا اهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان
ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن
المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان
من فعلها استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
التنابز بالالقاب التداعى بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهى
عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه
فلا باس به وروى ان قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب
وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تسخر
من زينب خزيمة وكانت قصيرة وعن انس عيرت نساء النبى صلى الله
عليه وسلم ام سلمة بالقصر وروى انها نزلت فى ثابت بن قيس وكان
به وقر وكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع
فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم
يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد
اما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر
على احد فى الحسب بعدها ابدا بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ
الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم او باللؤم
وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع
للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسوق وقوله
بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يحظره الايمان
كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة وقيل كان فى شتائمهم لمن اسلم
من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل
بالفسق واليهودية بعد ايمانه وَمَنْ لَمْ يَتُبْ عما نهى عنه فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ وحد وجمع للفظ من ومعناه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا
كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله

منه فى جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبنى وبنى ان نعبد
الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والامر باجتناب بعض
الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن
اثم قال الزجاجى هو ظنك باهل الخير سوءا فاما اهل الفسق فلنا ان نظن بهم
مثل الذى ظهر منهم ومعناه اجتنبوا كثيرا واحترزوا من الكثير ليقع
التحرز عن البعض والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل
لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب ولا تجسسوا اى
لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا طلبه
وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله
وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده ولا يغتب
بعضكم بعضا الغيبة الذكر بالعيب فى ظهر الغيب وهى من الاغتياب
كالغيلة من الاغتيال وفى الحديث هو ان تذكر اخاك بما يكره فان كان
فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس
ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير
لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه وفيه مبالغات منها
الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا
بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين
لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان
حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن
قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تأكل منها كذلك فاكره لحم
اخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم او من اخيه ولما قررهم
بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه
اى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق ايضا ان تكرهوا
ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين واتقوا الله ان الله تواب
رحيم التواب البليغ فى قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما امر
تم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله
توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وروى ان سلمان كان يخدم

رجلين

رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى
رسول الله عليه السلام يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله
عليه السلام فقال ما عندى شىء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه
الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله عليه السلام قال لهما
ما لى ارى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما
ومن اغتاب فقد اكل لحمه ثم قرأ الاية وقيل غيبة الخلق انما تكون
من الغيبة عن الحق يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم
وحواء او كل واحد منكم من اب وام فما منكم من احد الا وهو يدلى بمثل
ما يدلى به الاخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب
وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست
التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة تجمع البطون والبطن
تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان
القبائل تشعبت منها لتعارفوا اى انما رتبكم على شعوب وقبائل
ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالاباء
والاجداد وتدعوا التفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى بها
يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان
اكرمكم عند الله اتقاكم فى الحديث من سره ان يكون اكرم الناس فليتق
الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وروى انه
عليه السلام طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى
اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان
مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الاية وعن يزيد بن
شجرة مر رسول الله عليه السلام فى سوق المدينة فرأى غلاما اسود
يقول من اشترانى فعلى شرط لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله
فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله عليه السلام ثم توفى فحضر
دفنه فقالوا فى ذلك شيئا فنزلت ان الله عليم بكرم القلوب وتقواها
خبير بهم النفوس فى هواها قالت الاعراب اى بعض الاعراب

لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم اعراب بنى اسد قدموا المدينة
فى سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه آمنا
اى ظاهراً وباطنا قل لهم لم تؤمنوا تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا فالايمان
هو التصديق والاسلام الدخول فى السلم والخروج من ان يكون حربا
للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم
فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو
اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة
واما فى الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى
التوقع وهو دال على ان بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض
على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان
فان قلت مقتضى نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن
قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلنا افاد هذا النظم
تكذيب دعواهم اولا فقيل قل لم تؤمنوا مع ادب حسن فلم يقل كذبتم
تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى
بقوله لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ
مؤداه النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا
مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم
لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما
يدخل الايمان فى قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله
لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت
لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت
مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قوله
وان تطيعوا الله ورسوله فى السر بترك النفاق لا يلتكم
لا يألتكم بصرى من اعمالكم شيئا اى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم
شيئا الت بالت والات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص
ان الله غفور بستر الذنوب رحيم بهدايتهم للتوبة عن العيوب
ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال انما المؤمنون الذين آمنوا

بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة
والمعنى امنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان
الايقان وزوال الريب ملاك الايمان بينها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة
التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم فى سبيل الله يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو والمحارب
او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة
بالنفس الغزو وان يتناول العبادات اجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان
فى جيش العسرة وان يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر وخبر المبتدأ
الذى هو المؤمنون اولئك هم الصادقون اى الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا
كما كذب اعراب بنى اسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين امنوا
صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مخلصون فنزل قل اتعلمون الله
بدينكم اى اتخبرونه بتصديق قلوبكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله
بكل شئ عليم من النفاق والاخلاص وغير ذلك يمنون عليك ان اى بان
اسلموا يعنى باسلامهم والمن ذكر الايادى تعريضا للشكر ونهينا عنه قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم اى المنة لله عليكم ان هداكم بان هداكم او لان
للايمان ان كنتم صادقين ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون
وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه
تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم
ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون وبالياء مكى
وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى انه تعالى يعلم كل مستتر فى
العالم ويبصر كل عمل يعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف
يخفى عليه ما فى ضمائركم

سورة ق مكية وهى اربعون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد بل عجبوا الكلام فيه كالكلام فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا
سواء بسواء لالتقائهما فى اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب
ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا
اى كفار مكة ان جاءهم منذر منهم اى محمد انكار لتعجبهم مما ليس بعجب

وهوان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وامانته ومن كان
كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا ان ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا
اظلهم لزمه ان ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما انذرهم
به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والارض وما بينهما
وعلى اختراع كل شيء واقرارهم بالنشاة الاولى ومع شهادة العقل بانه
لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء
عجيب أئذا متنا وكنا ترابا دلالة على ان تعجبهم من البعث دخل في الاستبعاد
واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم
هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر
معناه احين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وحمزة وعلي وحفص ذلك رجع بعيد
مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد اي بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون
الرجع بمعنى المرجع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعاده
لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب
الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو
البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم الرجع لان من
لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكله من لحومهم
وعظامهم كان قادرا على جمعهم احياء كما كانوا وعندنا كتاب حفيظ محفوظ
من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب
فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم
جاؤوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة
بالمعجزات في اول وهلة في غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب
يقال مرج الخاتم في اصبعه اي اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر
وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقيل الحق القرآن وقيل
الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال افلم ينظروا حين
كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف
بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها بالنيرات وما لها من فروج
من فتوق وشقوق اي انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع

ولا خلل والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
لولا هي لمالت وانبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج يبتهج به لحسنه
تبصرة وذكرى لنتبصر به ونتذكر لكل عبد منيب راجع الى ربه
مفكر في بدائع خلقه ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا
به جنات وحب الحصيد اي وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد
كالحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السماء لها
طلع هو كل ما يطلع من ثمر النخيل نضيد منضود بعضه فوق بعض
لكثرة الطلع وتراكمه او لكثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد اي انبتناها
رزقا لان الانبات في معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير
لفظه او هو مفعول له اي انبتناها لرزقهم واحيينا به بالماء
بلدة ميتا قد جف نباتها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة
الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم لان احياء الاموات كاحياء الموات
والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قبل قريش قوم نوح
واصحاب الرس هو بئر لم تطو وهم قوم باليمامة وقيل اصحاب الاخدود
وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون
وملائهم لان المعطوف عليهم قوم نوح والمعطوفات جماعة واخوان
لوط واصحاب الايكة سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا
وقوم تبع هو ملك باليمن اسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمي به
لكثرة تبعه كل اي كل واحد منهم كذب الرسل لان من كذب رسولا
واحدا فقد كذب جميعهم فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وفيه
تسلية لرسول الله وتهديد لهم افعيينا عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه
عمله والهمزة للانكار بالخلق الاول اي لم نعجز عن الخلق الاول فكيف
نعجز عن خلق الثاني والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة بل هم
في لبس في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك
تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك
الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة
اقدر من خلق جديد بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمه

شأنه وان حق من سمع به ان يخاف ويهتم به ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان
ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء ظلها في قولك صوت بكذا ونحن اقرب
اليه المراد وقرب علمه منه من حبل الوريد هو مثل في فرط القرب والوريد
عرق في باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية اذ يتلقى
المتلقيان يعني الملكين الحافظين عن اليمين وعن الشمال قعيد التلقي التلقن
بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين
قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه
كقوله شعر رماني بامر كنت منه ووالدي ✿ بريا ومن اجل الطوي رماني
اي رماني بامر كنت منه بريا وكان والدي منه بريا واذ منصوب باقرب
لما فيه من معنى يقرب والمعنى انه تعالى لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس
وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب الى الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان
ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني
عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهي ما كتبة الملكين وحفظهما
وعرض صحائفهما لعمل يوم القيمة وعلم العبد بذلك من زيادة لطف له في
الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات ما يلفظ من قول ما يتكلم به
وما يرمي به من فيه الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر ثم قيل يكتبان كل شيء
حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه اجر او وزر وقيل ان الملكين
لا يجتنبان الا عند الغائط والجماع كما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم
بقدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند
قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله
وجاءت سكرة الموت اي شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة بالحق اي
بحقيقة الامر او بالحكمة ذلك ما كنت منه الاشارة الى الموت والخطاب
للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات تحيد
تنفر وتهرب ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد
اي وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى المصدر
نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اي ملكان احدهما يسوقه

الى المحشر

الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه
بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت اي يقال لها لقد كنت في غفلة
من هذا النازل بك اليوم فكشفنا عنك غطاءك فازلنا غفلتك
بما تشاهده فبصرك اليوم حديد جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به
جسده كله او غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم
القيمة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من
الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال
قرينه الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه هذا اي ديوان عمله
مجاهد شيطانه الذي قيض له في قوله تعالى نقيض له شيطانا فهو له
قرين هذا اي الذي وكلت به ما لدي عتيد هذا مبتداء وما نكرة بمعنى
شيء والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا
والتقدير هذا شيء ثابت لدي عتيد ثم يقول الله تعالى القيا والخطاب
للسائق والشهيد او لمالك وكان الاصل الق الق فناب القيا عن الق
الق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكان تثنية الفاعل نائبا عن تكرار
الفعل وقيل اصله القين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى
الوقف دليله قراءة الحسن القين في جهنم كل كفار بالنعم والمنعم عنيد
معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه
او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله معتد ظالم متخط للحق مريب
شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتداء مضمن معنى
الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فالقياه
تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون جرا صفة لكفار لان النكرة لا توصف
بالموصول قال قرينه اي شيطانه الذي قرن به وهو شاهد لمجاهد
وانما اخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة
على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ما قال له واما هذه فهي مستانفة كما تستانف الجمل الواقعة
في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون فكان الكافر قال يا رب
هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد

اى ما اوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى
قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كأن قائلا قال فماذا
قال الله فقيل قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد اى
لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم
ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى السنة
رسلى وما تركت لكم حجة على والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى ولا تلقوا
بايديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ما يبدل القول لدى
اى لا تطمعوا ان ابدل قولى ووعيدى بادخال الكفار فى النار وما
انا بظلام للعبيد فلا اعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ
المبالغة لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده يوم نصب
بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر تقول نافع وابو بكر اى يقول الله
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وهو مصدر كالمحيد اى انها
تقول بعد امتلائها هل من مزيد اى هل بقى فىّ موضع لم يمتلئ يعنى قد
امتلأت او انها تستزيد وفيها موضع للمزيد هذا على تحقيق القول
من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة
لعلمه تعالى بانها امتلأت ام لا وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد
غير نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على
زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر
والمؤنث او على حذف الموصوف اى شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد
كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا مبتدا وهو اشارة
الى الثواب او الى مصدر ازلفت ما توعدون صفته وبالياء مكى
لكل اواب رجاع الى ذكر الله خبره حفيظ حافظ لحدوده وفى الحديث
من حافظ على اربع ركعات فى اول النهار كان اوابا حفيظا من
مجرور المحل بدل من اواب او رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير
يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع خشى الرحمن الخشية
انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة
الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وخشيته مع علمه انه الواسع الرحمة

كما اثنى

كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشى عنه غائب بالغيب حال من المفعول اى خشيه
وهو غائب او صفة لمصدر خشى اى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه
وهو غائب الحسن اذا اغلق الباب وارخى الستر وجاء بقلب منيب راجع الى الله
وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة ادخلوها بسلام اى سالمين
من زوال النعم ذلك يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها
خالدين اى مقدرين الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد على ما يشتهون والجمهور
على انه رؤية الله تعالى بلا كيف وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن من القرون
الذين كذبوا رسلهم هم اشد منهم من قومك بطشا قوة وسطوة فنقبوا فى
البلاد فخرقوا فى البلاد وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب
ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم اى شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب
وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون
فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على
الامر هل من محيص مهرب من الله او من الموت ان فى ذلك المذكور لذكرى تذكرة
او عظة لمن كان له قلب واع لان من لا يعى قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع
اصغى الى المواعظ وهو شهيد حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه
غائب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما
مسنا من لغوب اعياء قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله
السموات والارض فى ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة فاستراح
يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه
الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ وانكر اليهود التربع فى الجلوس
وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت فاصبر على ما يقولون
اى على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه او على ما يقول
المشركون فى امر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم
والانتقام منهم وسبح بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول
على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب
الظهر والعصر ومن الليل فسبحه العشاآن او التهجد وادبار السجود
التسبيح فى ادبار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل

النوافل بعد المكتوبات او الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر
وادبار حجازي وحمزة وخلف من ادبرت الصلوات اذا انقضت
وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم
واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم
لشان المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب يوم ينادي المناد
بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المناد يخرجون من
القبور وقيل بتقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي ووقف المناد
بالياء في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني
وابو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادي اسرافيل ينفخ في
الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يامركن
ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي
بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب
مكان من الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض
يوم يسمعون بدل من يوم ينادي الصيحة النفخة الثانية
بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء ذلك
يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي الخلق ونميت اي نميتهم في
الدنيا والينا المصير اي مصيرهم يوم تشقق بتخفيف كوفي
وابو عمرو وغيرهم بالتشديد الارض عنهم اي تتصدع
الارض فيخرج المدني من صدوعها سراعا حال من المجرور
اي مسرعين ذلك حشر علينا يسير هين وتقديم الظرف
يدل على الاختصاص اي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم
الا على القادر الذي لا يشغله شان عن شان نحن اعلم بما يقولون
فيك وفينا وهو تهديد لهم وتسلية لرسول الله عليه السلام وما
انت عليهم بجبار كقوله تعالى بمسيطر اي ما انت بمسلط عليهم انما
انت داع وباعث وقيل هو خبره على الامر بمعنى خبره اي ما انت بوال
عليهم تجبرهم على الايمان فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله انما انت

منذر

منذر من يخشيها لانه لا ينفع الا فيه

سورة والذاريات مكية وهي ستون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات الرياح لانها تذروا التراب وغيره وبادغام التاء في الذال حمزة
وابو عمرو ذروا مصدر والعامل فيه اسم الفاعل فالحاملات السحاب لانها
تحمل المطر وقرا مفعول الحاملات فالجاريات الفلك يسرا اي جريا ذا يسر
اي ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار ولا
وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك او تتولى تقسيم امر العباد جبرائيل
للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت بقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز
ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو
جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه اقسم
بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي
تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثاني
انها تبتدئ في الهبوب فتذروا التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو
باسطة فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية و
الموعود البعث لصادق وعد صادق كعيشة راضية اي ذات رضا وان الدين
الجزاء على الاعمال لواقع لكائن والسماء هذا قسم آخر ذات الحبك الطرائق
الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه
وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن
الحسن حبكها نجومها جمع حباك انكم لفي قول مختلف اي قولهم في
الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر واساطير الاولين
يؤفك عنه من افك الضمير للقرآن او الرسول اي يصرف عنه من صرف
الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم او يصرف عنه من سابق علم الله اي
علم لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون
او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيمة حق ثم اقسم بالسماء على
انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن
الاقرار بامر القيمة من هو المأفوك قتل لعن الدعاء بالقتل واصله الدعاء

بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الكذابون المقدرون ما
لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل
هؤلاء الخراصون الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ في جهل يغمرهم سَاهُونَ غافلون عما امروا
به يَسْأَلُونَ فيقولون أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ اي متى يوم الجزاء وتقديره ايان وقوع
يوم الدين لانه انما يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع في
الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ويجوز
ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله النصب بالمضمر الذي
هو يقع او رفع على هو يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون
ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ اي يقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم بالنار
هَذَا مبتدأ خبره الَّذِي اي هذا العذاب هو الذي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ في
الدنيا بقولكم فأتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ
عُيُونٍ اي تكون العيون وهي الانهار الجارية بحيث يرونها ويقع عليها ابصارهم
لا انهم فيها آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ قابلين لكل ما اعطاهم من الثواب راضين
به واخذين حال من الضمير في الظرف وهو خبر ان إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ قبل
دخول الجنة اي في الدنيا مُحْسِنِينَ قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما
بعده كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر
كان والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ومصدرية والتقدير
كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو في كانوا
لا بقليلا لانه لما صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله
باعتبار المشابهة اي كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز ان يكون ما
نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لا
يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم
اسلفوا في ليلهم الجرايم والسحر السدس من الليل وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ
لمن يسأل الحاجة وَالْمَحْرُومِ اي الذي يتعرض ولا يسأل حياء وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها
وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهي مجزأة فمن سهل وجبل ورخوة

وغداة

وغداة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة
الصور والاشكال متشابهة الافعال والهيئات لِلْمُوقِنِينَ للموحدين الذين
سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون
باصرة وافهام نافذة كلما رأوا اية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقانا الى
ايقانهم وَفِي أَنْفُسِكُمْ آيات ايضا في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال
وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان
وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف
وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الايات الساطعة والبينات القاطعة
على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح
وتأتيها لما خلقت له وما سوي في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني
فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن
الخالقين وما قيل ان التقدير افلا تبصرون في انفسكم ضعيف لانه يفضي
الى تقديم ما في حيز الاستفهام على حرف الاستفهام أَفَلَا تُبْصِرُونَ تنظرون
نظر من يعتبر وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ اي المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه
كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم
وَمَا تُوعَدُونَ الجنة فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه
في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدور مكتوب في السماء فَوَرَبِّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ الضمير يعود الى الرزق او الى ما توعدون مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنْطِقُونَ بالرفع كوفي غير حفص صفة للحق اي حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب
اي انه لحق حقا مثل نطقكم وغيرهم بالنصب اي انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز
ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعي انه قال اقبلت
من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال
من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات
ذروا فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها و
وزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع
الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فاذا انا
بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الاية صاح و

قال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب
السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل
حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل
اتيك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما عرفه بالوحي حديث ضيف ابرهيم الضيف للواحد والجماعة كالصوم و
الزور لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم
جبرائيل عليهم السلام وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم
ابرهيم عليه السلام او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين عند الله لقوله
بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى
اذ دخلوا عليه نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم عليه السلام لهم والا
فباضمار اذكر فقالوا سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغني به عنه واصله
نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره
محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على ثبات السلام كانه قصد الى ان يحييهم
باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم حمزة وعلي سلم
والسلم السلام قوم منكرون اي انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ
الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان
يباده بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال
ابرهيم البقر فجاء بعجل سمين فقربه اليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا قال الا تأكلون
انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس فاضمر منهم خيفة خوفا لان من
لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقع في نفسه
انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله وقيل مسح جبرائيل
عليه السلام العجل فقام ولحق بامه وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم
والمبشر به اسحق عليه السلام عند الجمهور فاقبلت امرأته في صرة في صيحة من
من صر القلم والباب وقال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب
على الحال اي فجاءت صارة وقيل فاخذت في صياح وصرتها قولها يا ويلتى فصكت
وجهها فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل
التعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز فكيف الد كما قال في موضع آخر االد

وانا عجوز وهذا بعلي شيخا قالوا كذلك مثل ذلك الذي قلت او اخبرنا به قال
ربك اي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين انه هو الحكيم في فعله
العليم فلا يخفى عليه شيء وروي ان جبرائيل عليه السلام قال لها حين استبعدت
انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة
وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي
فما شانكم وما طلبتم وفيم ارسلتم ايها المرسلون ارسلتم بالبشارة خاصة
او لامر آخر او لهما قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في
صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم
من يهلك به عند ربك في ملكه وسلطانه للمسرفين سماهم مسرفين لاسرافهم
وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها
في القرية وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة من المؤمنين يعني لوطا ومن
آمن به فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اي غير اهل بيت فيه دليل
على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سماهم مؤمنين ومسلمين هنا
وتركنا فيها في قراهم آية للذين يخافون العذاب الاليم علامة يعتبر
بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هو ماء اسود منتن وفي موسى
معطوف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا
في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا فتولى فاعرض عن الايمان بركنه بما
كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند
وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو
مليم اي بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به في
قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف على حسب اختلافها
تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة
والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم هي التي لا خير فيها من انشاء مطر والقاح شجر وهي ريح
الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه الصلوة والسلام نصرت

بالصبا واهلكت عاد بالدبور ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم
هو كل هارم اي بلي وتفتت من عظم او من نبات او غير ذلك والمعنى ما يترك
من شيء هبت عليه من انفسهم وانعامهم واموالهم الا اهلكته وفي ثمود اية
ايضا اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يفسره تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا
عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة العذاب وكل عذاب
مهلك صاعقة الصعقة علي وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة وهم
ينظرون لانها كانت نهارا يعاينونها فما استطاعوا من قيام اي هرب
او هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين
من العذاب او لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة و
قوم نوح اي اهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح بالجر
ابو عمرو وعلي اي وفي قوم نوح اية ويؤيد قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالجر
من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين كافرين والسماء نصب
بفعل يفسره بنيناها بايد بقوة والايد القوة وانا لموسعون لقادرون من
الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق او لموسعون ما بين السماء و
الارض والارض فرشناها بسطناها ومهدناها وهي منصوبة بفعل اي وفرشنا الارض
فرشناها فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين
ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر
والبحر والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد
لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء والارض وخلق
الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله اي من الشرك
الى الايمان بالله او من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن او مما سواه اليه اني لكم
نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم نذير مبين والتكرير للتوكيد
والاطالة الى الوعيد ابلغ كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم
الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسرها اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم
من قبل قومك من رسول الا قالوا هو ساحر او مجنون رموهم بالسحر او
بالجنون لجهلهم اتواصوا به الضمير للقول اي اتواصى الاولون والاخرون بهذا
القول حتى قالوا جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم

يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان
هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا
عنادا فما انت بملوم فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت
مجهودك في البلاغ والدعوة وذكر وعظ بالقرآن فان الذكرى تنفع المؤمنين
بان تزيد في عملهم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون العبادة ان حملت
على حقيقتها فلا تكون الاية عامة بل المراد به المؤمنون من الفريقين دليله
قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لا
يجوز ان يخلق الذين علم منهم انهم لا يؤمنون لانه اذا خلقهم للعبادة واراد
منهم العبادة فلا بد ان يوجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كما قال
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لامرهم بالعبادة وهو
منقول عن علي رضي الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادا لي والوجه ان يحمل العبادة
على التوحيد فقال ابن عباس كل عبادة في القرآن توحيد فالكل يوحدونه في
الاخرة لما عرف ان الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الاخرة دليله قوله ثم لم
يكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد اشرك البعض في الدنيا
لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد اقل من يوم من عمره لعمل اخر ما اريد منهم من
رزق اي ما خلقتهم ليرزقوا انفسهم او واحدا من عبادي وما اريد ان
يطعمون قال ثعلب اي يطعموا عبادي وهو اضافة تخصيص كقوله عليه
الصلوة والسلام خبرا عن الله تعالى من اكرم مؤمنا فقد اكرمني ومن اذى
مؤمنا فقد اذاني ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين الشديد القوة و
المتين بالرفع صفة لذو وقرأ الاعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار فان
للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
نصيبا من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة
قال الزجاج الذنوب في اللغة النصيب فلا يستعجلون نزول العذاب وهذا
جواب النضر واصحابه حين استعجلوا العذاب فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون اي من يوم القيمة وقيل من يوم بدر ليعبدوني ان يطعموني
فلا تستعجلوني بالياء في الحالين يعقوب وافقه سهل في الوصل الباقون بغير ياء

والطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهو بالسريانية وكتاب
مسطور هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب او اللوح المحفوظ
او التورية في رق هو الصحيفة او الجلد الذي يكتب فيه منشور مفتوح لا ختم عليه
او لائح والبيت المعمور اي الضراح وهو بيت في السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة
زواره من الملائكة روي انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك ويخرجون
ثم لا يعودون اليه وقيل هو الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والسقف
المرفوع اي السماء والعرش والبحر المسجور اي المملو او الموقد والواو الاولى للقسم
والبواقي للعطف وجواب القسم ان عذاب ربك اي الذي اوعد الكفار
به لواقع لنازل قال جبير ابن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه
في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك
لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب ما له من دافع لا يمنعه مانع والجملة
صفة لواقع اي واقع غير مرفوع والعامل في يوم لواقع اي يقع في ذلك اليوم
او اذكر تمور تدور كالرحى مضطربة السماء مورا وتسير الجبال سيرا في الهواء
كالسحاب لانها لا تصير هباء منثورا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض
يلعبون غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض
مع الخائضين ويبدل يوم يدعون الى نار جهنم دعا من يوم والدع الدفع
العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم
الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم فيقال
لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا افسحر هذا هذا مبتدا وسحر خبره
يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر و
دخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام
انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا سواء عليكم خبر سواء محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر
وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون هذا الذي ترون جزاء اعمالكم لاني
اني اوجبت عليكم شيئا لم يستوجبوه لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه
في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو

الجزاء

الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين في جنات في
انه جنات ونعيم اي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة
بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين حال من الضمير في الظرف والظرف خبر اي
متلذذين بما آتاهم ربهم وعطف قوله ووقاهم ربهم على في جنات اي ان المتقين
استقروا في جنات ووقاهم ربهم او على اتاهم ربهم على ان يجعل ما مصدرية
والمعنى فاكهين ما ياتيهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم او الواو للحال وقد
بعدها مضمرة يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه متكئين حال من
الضمير في كلوا واشربوا على سرر جمع سرير مصفوفة موصول بعضها ببعض
وزوجناهم وقرناهم بحور جمع حوراء عين عظام الاعين حسانها والذين
آمنوا مبتدا والحقنا بهم خبره واتبعتهم واتبعناهم ابو عمرو ذريتهم
اولادهم بايمان حال من الفاعل الحقنا بهم ذريتهم اي نلحق الاولاد بايمانهم
واعمالهم درجات الاباء وان قصرت اعمال الذرية من اعمال الاباء وقيل
ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا
منهم تقليدا فهم يلحقون بالاباء وذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
مدني ذرياتهم ذرياتهم ابو عمرو ذرياتهم ذرياتهم شامي وما التناهم
من عملهم من شيء وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء التناهم مكي الت
يالت والت يالت لغتان من الاولى متعلقة بالتناهم والثانية زائدة
كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله ويجازي به
وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت بفاكهة ولحم طير مما يشتهون
وان لم يقترحوا يتنازعون فيها كاسا خمرا اي يتعاطون ويتعاورون هم
وجلساؤهم من اقربائهم يتناولون هذا الكاس من يد هذا وهذا من يد هذا
لا لغو فيها في شربها ولا تاثيم اي لا يجري بينهم ما يلغى يعني لا يجري بينهم
باطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما
كشاربي خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا
لغو فيها ولا تاثيم مكي وبصري ويطوف عليهم غلمان لهم مملوكون لهم
مخصوصون بهم كانهم من بياضهم وصفائهم لؤلؤ مكنون في الصدف

لانه رطبا احسن واصفي او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة في الحديث
ان ادني اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك
لبيك واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله
وما استحق به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين
ارقاء القلوب من خشية الله او خائفين من نزع الايمان وفوت الامان او من
رد الحسنات والاخذ بالسيئات فمن الله علينا بالمغفرة والرحمة ووقانا عذاب
السموم هي الريح الحارة التي تدخل المسام بها نار جهنم لانها بهذه الصفة انا
كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده
ولا نعبد غيره و نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي
اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب انه بالفتح مدني وعلي اي بانه او لانه فذكر
فاثبت علي تذكير الناس وموعظتهم فما انت بنعمة ربك برحمة ربك
وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما زعموا وهو في
موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا متلبسا بنعمة ربك ام
يقولون هو شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر اي ننتظر نوايب الزمان
فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وام في اوايل هذه الاي
منقطعة بمعني بل والهمزة قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم
كما يتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول
وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام
والنهي ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم و
اسناد الامر الي الاحلام مجاز ام يقولون تقوله اختلقه محمد من تلقاء نفسه
بل رد عليهم اي ليس الامر كما زعموا لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون
بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه
وما محمد صلي الله عليه وسلم الا واحد من العرب فلياتوا بحديث مختلق مثله
مثل القران ان كانوا صادقين في ان محمدا صلي الله عليه وسلم تقوله من تلقاء
نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي
عليه فطرتهم من غير شيء من غير تقدير ام هم الخالقون ام هم الذين خلقوا
انفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب

ام هم

ام هم الخالقون فلا يأتمرون ام خلقوا السموات والارض فلا يعبدون خالقهما
بل لا يوقنون اي لا يتدبرون في الايات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض
ام عندهم خزائن ربك من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاء بما شاؤا
ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتي تدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور
علي مشيتهم وبالسين مكي وشامي ام لهم سلم منصوب يرتقون به الي السماء يستمعون
فيه كلام الملائكة وما يوحي اليهم من علم الغيب حتي يعلموا ما هو كائن من تقدم
هلاكه علي هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون
فيه اي عليه فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم ام له
البنات ولكم البنون ثم سفه احلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء
عند انفسهم ام تسالهم اجرا علي التبليغ والانذار فهم من مغرم مثقلون
المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم
ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتي
يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة
برسول الله صلي الله عليه وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم واريد
بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق
بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته
ام لهم اله غير الله يمنعهم من عذاب سبحان الله عما يشركون وان يروا
كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب الكسف القطعة وهو جواب قولهم
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو
اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم قد ركم اي جمع بعضه علي بعض بمطرنا
ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتي يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
بضم الياء عاصم وشامي الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند
النفخة الاولي نفخة الصعقة يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون
وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيمة وهو
القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
ثم امره بالصبر الي ان يقع بهم العذاب فقال واصبر لحكم ربك بامهالهم وما
يلحقك فيه من المشقة فانك باعيننا اي بحيث نراك ونكلاك وجمع العين

لان الضمير بلفظ الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني **وسبح بحمد ربك**
حين تقوم للصلوة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك او من
اي مكان قمت او من منامك **ومن الليل فسبحه وادبار** واذا ادبرت النجوم من
آخر الليل وادبار زيد اي في اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر
بقوله سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام
من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر

والنجم قسم بالثريا او بجنس النجوم **اذا هوى** اذا غرب او انتثر يوم القيمة
وجواب القسم **ما ضل** عن قصد الحق **صاحبكم** اي محمد عليه الصلوة والسلام
والخطاب لقريش **وما غوى** في اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى
والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه
الى الضلال والغي **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى** وما اتاكم به من
القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورايه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه
ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم الصلوة والسلام
ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لا نطقا
من الهوى **علمه** علم محمد عليه الصلوة والسلام **شديد القوى** ملك شديد
قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو
جبرائيل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط عليه السلام
من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود
فاصبحوا جاثمين **ذو مرة** ذو منظر حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما **فاستوى**
فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط
بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق
الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية سوى
محمد عليه الصلوة والسلام مرتين مرة في الارض ومرة في السماء **وهو** جبرائيل
عليه السلام **بالافق الاعلى** مطلع الشمس **ثم دنا** جبرائيل من رسول الله عليه الصلوة

والسلام **فتدلى** فزاد في القرب والتدلي هو النزول بقرب الشيء **فكان قاب**
قوسين مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط
والذراع والباع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي
الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها
والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت
هذه المضافات **او ادنى** اي على تقديركم كقوله او يزيدون وهذا لانهم
خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين او انقص
وقيل بل ادنى **فاوحى** جبرائيل عليه السلام **الى عبده** الى عبد الله وان لم يجر
لاسمه ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها **ما اوحى** تفخيم للوحي الذي اوحي اليه
قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها وعلى الامم حتى تدخلها
امتك **ما كذب الفؤاد ما رأى** ما رآه ببصره من صورة جبرائيل عليه الصلوة
والسلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه
عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقيل المرئي
هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه **افتمارونه** افتجادلونه من المراء
وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري
ما عند صاحبه افتمرونه حمزة وعلي وخلف ويعقوب افتغلبونه في المراء من
ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال **على ما يرى** فعدي بعلى كما تقول
غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته فعديته
بعلى لا يصح الا على مذهب التضمين **ولقد رآه** رأى محمد جبرائيل عليهما الصلوة
والسلام **نزلة اخرى** مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي
هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبرائيل
عليه السلام نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه وذلك ليلة المعراج **عند سدرة**
المنتهى الجمهور على انها شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى
موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد
واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها
ارواح الشهداء **عندها جنة المأوى** اي الجنة التي يصير اليها المتقون
وقيل يأوي اليها ارواح الشهداء **اذ يغشى السدرة ما يغشى** الجمهور اي رآه اذ

يغشي السدرة مما يغشي وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة
ان ما يغشاها من الخلايق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يحيط بها الوصف
فقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملايكة يعبدون الله عندها وقيل يغشاها
فراش من ذهب ما زاغ البصر بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما عدل عن
رؤيته العجايب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغي وما جاوز ما امر برؤيته
لقد راي والله لقد راي من ايات ربه الكبري الايات التي هي كبراها وعظماها
يعني حين رقي به الي السماء فاري عجايب الملكوت افرايتم اللات والعزي ومناة
الثالثة اي اخبرونا عن هذه الاشياء التي تعبدونها من دون الله عز وجل هل
لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة اللات والعزي ومناة اصنام
لهم وهي مونثة واللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها
قريش وهي فعلة من لوي لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزي
كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تانيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة
صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك
كانت تمني عندها اي تراق ومناءة مكي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون
عندها الانواء تبركا بها الاخرى هي صفة ذم اي المتاخرة الوضيعة المقدار كقوله
وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون
الاولية والتقدم عندهم للات والعزي كانوا يقولون ان الملائكة وهذه
الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع
وادهم البنات وكراهتهم لهن وقيل لهم الكم الذكر وله الانثي تلك اذا قسمة
اي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزي اي جائرة من ضازه وضيزي
فعلي اذ لا فعلي في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوزن مثل حمر
وسو ضئزي بالهمز مكي من ضأزه مثل ضازه ان هي ما الاصنام الا اسماء ليس
تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة
لها سميتموها اي سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد انتم واباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان حجة ان يتبعون الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق
وما تهوي الانفس ما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدي الرسول و
الكتاب فتركوه ولم يعملوا بهما ام للانسان ما تمني هي ام المنقطعة ومعني الهمزة فيها

ضيزي

الانكار

الانكار اي للانسان يعني الكافر ما تمني من شفاعة الاصنام او من قوله ولئن
رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله
الاخرة والاولي اي هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي النبوة والشفاعة من شاء و
ارتضي لا من تمني وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد
ان ياذن الله لمن يشاء ويرضي يعني امر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم
وكثرتهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم شيئا قط لم تنفع الا اذا
شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه
ويراه اهلا لان يشفع له فكيف يشفع الاصنام اليه لعبدتهم ان الذين لا
يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثي لانهم
اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثي وما
لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون
الا الظن وهو تقليد الاباء وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي انما يعرف
الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض
عن من تولي عن ذكرنا فاعرض عمن رايته معرضا عن ذكر الله اي القران ولم
يرد الا الحيوة الدنيا ذلك اي اختيارهم الدنيا والرضا بها مبلغهم من العلم
منتهي علمهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدي اي
هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما ولله ما في السموات وما في الارض
ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بسبب ما عملوا من السوء
ويجزي الذين احسنوا بالحسني بالمثوبة الحسني وهي الجنة او بسبب الاعمال الحسني والمعني
ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوي هذه الملكوت ليجزي المحسن من المكلفين
والمسيء منهم اذ الملك لنصر الاولياء وقهر الاعداء الذين بدل او في موضع
رفع على المدح اي هم الذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من الاثم لان الاثم
جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي يكبر عقابها حمزة وعلي
اي النوع الكبير منه والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة
قيل الكبائر ما اوعد الله عليها النار والفواحش ما شرع فيها الحد الا اللمم اي
الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة
والقبلة واللمسة والغمزة ان ربك واسع المغفرة فيغفر ما شاء من الذنوب من غير توبة

هو اعلم بكم اذ انشاكم اي اباكم من الارض واذ انتم اجنة جمع جنين في بطون
امهاتكم فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات
او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي
منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان تخرجوا
من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا و
صيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الريا لا على سبيل الاعتراف
بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر هو اعلم بمن اتقى
فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس افرايت الذي تولى اعرض
عن الايمان واعطى قليلا واكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان
يلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضي الله عنهما
فيمن كفر بعد الاسلام وقيل في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين قال له تركت دين اشياخك وزعمت انهم
في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له انه هو اعطاه شيئا من ماله ورجع
الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل واعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له
ثم بخل ومنعه اعنده علم الغيب فهو يرى فهو يعلم ان ما ضمنه من عذاب الله حق ام
لم ينبا لم يخبر بما في صحف موسى اي التورية وابراهيم اي وفي صحف ابراهيم
الذي وفى اي وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرئ
مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء عن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن
عطاء بن السايب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبرائيل عليه
السلام الك حاجة فقال اما اليك فلا وعن النبي عليه الصلوة والسلام وفى عمله
كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى
الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى حين
تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة
في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون ثم اعلم ما في صحف موسى
وابراهيم عليهما السلام فقال الا تزر وازرة وزر اخرى ان مخففة من وزر يزر اذا
اكتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان
ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قال ما

قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس
ذنب نفس وان ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه وهذه ايضا مما في صحف
ابراهيم وموسى واما ما صح في الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد
قيل ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا كان
سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له او قائما بقيامه ولان سعي غيره لا ينفعه
اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم
مقامه وان سعيه سوف يرى اي يرى وهو سعيه يوم القيمة في ميزانه ثم يجزاه
ثم يجزي العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال
الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه
وان الى ربك المنتهى اي هذا كله في الصحف الاولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء
اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير وانه هو اضحك وابكى
خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل اضحك المؤمن في العقبى في
المواهب وابكاه في الدنيا بالنوائب وانه هو امات واحيى قيل اماته وقيل اضحك
الاباء واحيا الابناء او امات بالكفر واحيى بالايمان او امات هنا واحيا ثمه وانه
خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال
مني وامنى وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وانه هو اغنى واقنى
واعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك وانه هو
رب الشعرى هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها
فاعلم الله تعالى انه رب معبودهم هذا وانه اهلك عادا الاولى هو قوم هود
وعاد الاخرى ارم عاد الاولى مدني وبصري وعن سهل بادغام التنوين في
اللام وطرح همزة الاولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمود فما ابقى حمزة و
عاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينتصب بما ابقى لان ما بعد
الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله و
المعنى واهلك ثمود فما ابقاهم وقوم نوح اي واهلك قوم نوح من قبل من قبل
عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه
حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه
والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه

فائتفك اي رفعها الي السماء على جناح جبرائيل عليه السلام ثم اهواها الي الارض
اي اسقطها والمؤتفكة منصوب باهوى فغشيها البسها ما غشى تهويل و
تعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود فباي الاء
ربك ايها المخاطب تتمارى تشكك ايها او لاء من النعم او بما كفاك من النقم
او باي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته هذا نذير اي محمد منذر
من النذر الاولى من المنذرين الاولين وقال الاولى على تاويل الجماعة او
هذا القرآن نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي
انذر بها من قبلكم ازفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت
الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم
كقوله لا يجليها لوقتها الا هو وليس لها نفس كاشفة اي كاشفة قادرة على
كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها افمن هذا الحديث اي القرآن تعجبون
انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون خشوعا وانتم سامدون غافلون او لاهون
لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه
فاسجدوا لله واعبدوا اي فاسجدوا الله واعبدوه ولا تعبدوا الالهة

اقتربت الساعة قربت القيامة وانشق القمر بنصفين وقرى وقد انشق
القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول
اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء
بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيمة والجمهور على الاول وهو المروي
في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على اهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوا
متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجايب لانه يجوز ان يحجب الله عنهم بغيم
وغيره وان يروا يعني اهل مكة اية تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم يعرضوا
عن الايمان بها ويقولوا سحر مستمر محكم قوي من المرة القوة او دايم مطرد او
مار ذاهب يزول ولا يبقى وكذبوا النبي واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان
من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر وعدهم الله مستقر كاين في وقته وقيل كل
ما قدر واقع وقيل كل امر من امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر عند ظهور

العقاب

العقاب والثواب ولقد جاءهم اهل مكة من الانباء من القرآن المودع انباء القرون
الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار ما فيه مزدجر ازدجار عن
الكفر يقول زجرته وازدجرته اي منعته والاصل ازتجر ولكن التاء اذا وقعت
بعد زاء ساكنة ابدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاء حرف مجهور فابدل
من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في اخر كتاب سيبويه رحمه
الله حكمة بدل من ما او على هو حكمة بالغة نهاية الصواب او بالغة من الله
اليهم فما تغني النذر ما نفي والنذر مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم
لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداع يخرجون او باضمار اذكر
الداعي الى الداعي سهل ويعقوب ومكي فيهما ووافق مدني وابو عمرو في الوصل
ومن اسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدع في الكتابة لمتابعة اللفظ
والداعي اسرافيل عليه السلام الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد
بمثله وهو هول يوم القيمة نكر بالتخفيف مكي خشعا ابصارهم عراقي غير عاصم
وهو حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول تخشع ابصارهم غيرهم
خشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث ويجوز ان يكون
في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة
لان ذلة الذليل وعزة العزيز يظهران في عيونهما يخرجون من الاجداث من
القبور كانهم جراد منتشر في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة
والتموج في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد مهطعين الى
الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب
شديد كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا نوحا ومعنى تكرار
التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه
قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل
جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون هو مجنون
وازدجر وازدجر عن اداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل او هو من جملة قيلهم
اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه فدعا ربه اني
اي باني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي فا
انتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم ففتحنا ابواب السماء ففتحنا شامي ويزيد

اهوى

نتصر

وسهل ويعقوب بماء منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا
الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا
عيون الارض فالتقى الماء اي مياه السماء والارض وقرئ الماآن اي النوعان من
الماء السماوي والارضي على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء او على
امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على
ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات
فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي
مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع الا ترى انك لو جمعت بين السفينة
وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار
وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه تجري باعيننا بمرأى
منا او بحفظنا وباعيننا حال من الضمير في تجري اي محفوظة بنا جزاء مفعول
له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر
وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي عليه الصلوة والسلام نعمة
من الله ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه
السلام نعمة مكفورة ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة اي جعلناها اية
يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا
حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر متعظ يتعظ ويعتبر واصله
مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء ابدلت منها الدال والدال والذال من موضع
فادغمت الذال في الدال فكيف كان عذابي ونذر هو جمع نذير وهو الانذار و
نذري يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهم بغير ياء وعلى هذا الاختلاف
ما بعده الى اخر السورة ولقد يسرنا القران للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ
بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من مدكر
فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل
طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التورية والانجيل
لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقران كذبت عاد فكيف كان
عذابي اي وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر

للاذكار

ونذر

دائم

٥٩٨

دائم الشر فقد استمر عليهم حتى اهلكهم وكان في اربعاء في اخر الشهر تنزع الناس
تقطعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون اخذين بعضهم بايدي بعض ويدخلون
في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم
كانهم حال اي تنزعهم مشبهين بالنخل المقلوع من اصله اعجاز نخل منقعر
اصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع
رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض امواتا وهم جثث
طوال وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر
كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا انتصب بشرا بفعل يفسره نتبعه
تقديره انتبع بشرا منا واحدا انا اذا لفي ضلال وسعر كان يقول ان لم
تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا
ان اتبعناك كنا اذا كما يقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر
الجنون وقولهم ابشرا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكونوا
من الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا
انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افناءهم ليس باشرفهم
وافضلهم ويدل عليه قوله ءالقي عليه الذكر من بيننا اي اانزل عليه الوحي
من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب اشر بطر
متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند
نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر صالح ام من كذبه ستعلمون
غدا شامي وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الا
لتفات انا مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم
امتحانا لهم وابتلاء وهي مفعول له او حال فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم
صانعون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري ونبئهم ان الماء
قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب ولهم شرب يوم قال بينهم تغليبا
للعقلاء كل شرب محتضر محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما
فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر
العظيم غير مكترث له فعقر او فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف

وانما قال فعقروا الناقة في اية اخري لرضاهم به او لانه عقر بعونتهم فكيف
كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم في اليوم الرابع من عقرها صيحة واحدة صاح
بهم جبرائيل عليه السلام فكانوا كهشيم المحتظر والهشيم الشجر اليابس المتهشم
المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطاه
البهائم فيتحطم ويتهشم وقرا الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي
الحظيرة ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا ال لوط ابنتيه
ومن امن معه نجيناهم بسحر من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذا لقيته
في سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه
نعمة مفعول له اي انعاما من عندنا كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته
ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر
فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه طلبوا الفاحشة عن اضيافه فطمسنا
اعينهم اعميناهم وقيل مسخناها وجعلناها كساير الوجه لا يري لها شق روي
انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل
ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبرائيل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا
يهتدون الي الباب حتي اخرجهم لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة
عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة اول النهار عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الي ان
يفضي بهم الي عذاب الاخرة وفائدة تكرير فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر ان يجددوا عند استماع كل نباء من انباء الاولين
ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث
عليه وهذا حكم التكرير في قوله فباي الاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله
ويل يومئذ للمكذبين عند كل اية اوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في
انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية
في كل اوان ولقد جاء ال فرعون النذر موسي وهرون وغيرهما من الانبياء او هو جمع نذير
وهو الانذار كذبوا باياتنا كلها بالايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب
مقتدر لا يعجزه شي اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح
وهود وصالح ولوط وال فرعون اي اهم خير قوة والة ومكانة في الدنيا او اقل

كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام لكم براءة في الزبر ام انزلت
عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان
امنا من عذاب الله وامن بتلك البراءة ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع
منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وقيل جماعة منصورون سيهزم الجمع جمع اهل مكة
ويولون الدبر اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم اي ينصرفون منهزمين يعني
يوم بدر وهل من علامات النبوة بل الساعة موعدهم موعد عذابهم بعد بدر والساعة
ادهي اشد من موقف بدر والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدي لدوائه وامر
مذاقا من عذاب الدنيا او اشد من المرة ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا
وسعر ونيران في الاخرة او في هلاك ونيران يوم يسحبون في النار يجرون فيها على
وجوههم ويقال لهم ذوقوا مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب
لان النار اذا اصابتهم بحرها فكانها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتانيث
والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته انا كل شي خلقناه بقدر
كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقري بالرفع شاذا والنصب اولي لانه لو رفع
لامكن ان يكون خلقناه في موضع جر وصفا لشي ويكون الخبر بقدر وتقديره انا
كل شي مخلوق لنا كاين بقدر ويحتمل ان يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل
مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر في الرفع عدل الي النصب وتقديره انا خلقنا كل شي
بقدر فيكون الخلق عاما لكل شي وهو المراد بالاية ولا يجوز في النصب ان يكون
خلقنا صفة لشي لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف والقدر والقدر
التقدير اي بتقدير سابق او خلقنا كل شي مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته
الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال ابو
هريرة رضي الله عنه جاء مشركو قريش الي النبي عليه الصلوة والسلام يخاصمونه في
القدر فنزلت الاية وكان عمر رضي الله عنه يحلف انها نزلت في القدرية وما
امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة اي وما امرنا لشي نريد تكوينه الا ان يقول له كن
فيكون كلمح البصر على قدر ما يلمح احدكم ببصره وقيل المراد بامرنا القيمة كقوله
وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم
فهل من مدكر متعظ وكل شي فعلوه اي اولئك الكفار اي وكل شي مفعول لهم ثابت
في الزبر في دواوين الحفظة ففعلوه في موضع جر نعت لشي وفي الزبر خبر لكل وكل

بكرة

نيث

صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كاين مستطر مسطور في اللوح ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق في مكان مرضي عند مليك عندية ومنزلة
وكرامة لا مسافة ومماسة مقتدر قادر وفائدة التنكير فيهما ان يعلم ان لا شيء الا
هو تحت ملكه وقدرته

الرحمن علم القرآن خلق الانسان اي الجنس او آدم او محمدا عليهما الصلوة
والسلام علمه البيان عدد الله عز وجل آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو
اسبق قدما من ضروب الآلاء وصنوف نعمائه وهي نعمة الدين ما هو في اعلى
مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله
رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية و
مصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه
انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من اجله عليه
ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير
والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف
لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك
بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه الشمس والقمر
بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك
منافع للناس منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الارض
لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق وقيل النجم نجوم السماء يسجدان ينقادان
لله فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده واتصلت هاتان الجملتان
بالرحمن بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل
الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف في الجمل الاول ثم
جيء به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن انكر الاءه كما يبكت منكر
ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور ثم رد الكلام
الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف و
بيان التناسب ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب
من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس

والقمر

والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر والسماء رفعها
خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته
الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه
ووضع الميزان اي كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون
ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا على الارض حيث علق به احكام عباده من
التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا
وهي ان المفسرة واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان
ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران
الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر
باستعماله والحث عليه والارض وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو
كل ما على الارض من دابة وعن الحسن رحمه الله الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون
فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية الثمر الواحد كم
بكسر الكاف او كل ما يكم اي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع
بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب ذو العصف هو ورق الزرع او التبن
والريحان الرزق وهو اللب اراد فيهما ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ
والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلي اي والحب
ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الانام والرفع على
وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان
الذي يشم ذو الحب ذا العصف والريحان شامي اي وخلق الحب والريحان او واخص
الحب والريحان فباي الاء اي النعم مما عدد من اول السورة جمع الى والى ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين بدلالة الانام عليهما خلق الانسان من صلصال طين يابس
له صلصلة كالفخار اي الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف في هذا
وفي قوله من حما مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقهما معنى لانه يفيد انه خلقه
من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا وخلق الجان ابا الجن قيل هو ابليس
من مارج هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج
الشيء اذا اضطرب واختلط من نار هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار
او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى فباي الاء

ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين اراد مشرقي الصيف والشتاء و
مغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان اي ارسل البحر الملح
والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين المائين في مرأى العين بينهما برزخ
حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة
فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما مدني وبصري بلاهمز ابو بكر
ويزيد وهو كبار الدر صغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما
لما التقيا وصار كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من
البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه ويقول خرجت من البلد وانما خرجت
من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
لله السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء و
الاختيار وصلها وان وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز على بعد ولكن يروم
الكسر في الراء ليدل على حذف الياء المرفوعات الشرع المنشآت بكسر
الشين حمزة ويحيى وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن
جمع علم وهو الجبل الطويل
على الارض ذاته ذو العظمة والسلطان و
هو صفة الوجه بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله
وفي الحديث الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وروي انه عليه الصلوة والسلام مر برجل
وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك
والنعمة في الفناء باعتبار ان المؤمنين به يصلون الى النعم السرمد وقال
يحيى بن معاذ رحمه الله حبذا الموت فهو الذي يقرب الحبيب الى الحبيب
وقف عليها نافع كل من اهل السموات والارض مفتقرون
اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم
وينصب ظرفا لما دل عليه اي كل وقت وحين يحدث امورا
ويجدد احوالا كما روي عنه عليه الصلوة والسلام تلاها فقيل له وما ذلك الشان
فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة
الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي
والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة فشانه فيه الجزاء والحساب

وقيل

٦٠١

وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض
الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام
له اسود يا مولاي اخبرني في ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال
انا افسرها للملك فاعلمه فقال له ايها الملك شان الله انه يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما
ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا
ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة
فقال يا مولاي هذا من شان الله وقيل هو سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان
عبد الله بن طاهر دعى الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك
لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم
هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان
الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك
ويكون توبة في هذه الامة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله
وكذا قيل وان ليس للانسان الا ما سعى مخصوص بقوم ابرهيم وموسى عليهما السلام
واما قوله كل يوم هو في شان فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله
وقبل راسه وسوغ خراجه فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول
الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه و
المراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ
آخرها وتنتهي عند ذلك شؤن الخلق الذي ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا
يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة
وعلي ان الله تعالى ايها الثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا
الارض فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس هو كالترجمة لقوله
ايها الثقلان ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فا
اي ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائي فاخرجوا ثم
قال لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان بقوة وقهر وغلبة
واني لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن نفوذ فوتهم الحساب عدا بالعجز عن نفوذ
الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيمة حين تحدق بهم الملائكة فاذا راهم

تنفذوا

من نار

الجن والانس هربوا فلا يأتون وجهًا الا وجدوا الملائكة احاطت به فباي الاء ربكما
تكذبان يرسل عليكما شواظ وبكسر الشين مكي وكلاهما اللهب الخالص ونحاس اي
دخان ونحاس مكي وابو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعني اذا
خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان لسوقكم الي المحشر فلا
تنتصران فلا يمتنعان منهما فباي الاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء انفك
بعض من بعض لقيام الساعة وكانت وردة فصارت كلون الورد الاحمر وقيل
اصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء كالدهان كدهن الزيت كما
قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر فباي
الاء ربكما تكذبان فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اي
ولا جن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير
لا يسأل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الاية وبين قوله فوربك لنسألنهم
اجمعين وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن
ولا يسألون في آخر وقال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل للتوبيخ
فباي الاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم بسواد وجوههم وزرقة
عيونهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام اي يؤخذ تارة بالنواصي وتارة بالاقدام
فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها وبين حميم آن ماء حار قد انتهى حره اي يعاقب عليهم بين التصلية وبين
شرب الحميم فباي الاء ربكما تكذبان والنعمة في هذا نجاة الناجي منه برحمته
وفضله وما في الانذار به من التنبيه ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة فيترك المعاصي ويؤدي الفرائض وقيل هو
مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذيب اي ونفيت عنه الذيب جنتان جنة الانس
وجنة الجن لان الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف
الانسي وجنة للخائف الجني فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان اغصان جمع
فنن وخص الافنان لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتني
الثمار او الوان جمع فن اي له فيهما ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان
اللذاذات والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر فباي الاء ربكما تكذبان في

الجنتين

٦٠٧

الجنتين عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وعن الحسن رضي الله عنه
تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباي الاء ربكما
تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف
غريب نصب على المدح للخائفين او حال
منهم لان من خاف في معنى الجمع جمع فراش جمع بطانة
ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلم
الا الله وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ
في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور
ومحاديب وفي هذه الاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة و
الفرش والجني نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن
الى غيرهم وعلي بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية
وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس
صفاء بياضًا فهو ابيض من اللؤلؤ
في العمل في الثواب وقيل ما جزاء
من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا
دار السلام ومن دون تينك الجنتين الموعودتين
للمقربين لمن دونهم من اصحاب اليمين
سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد
فوارتان بالماء لا ينقطعان
الوان الفواكه والرمان والنخل ليسا من الفواكه
عند ابي حنيفة رضي الله عنه للعطف ولان التمر فاكهة وطعام والرمان فاكهة و
دواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كانهما جنسان
اخران لما لهما من المزية كقوله وجبرائيل وميكائيل فباي الاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات حسان اي خيرات فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعني فاضلات
الاخلاق حسان الخلق فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام
اي مخدرات يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة وقيل الخيام
من الدر المجوف فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم قبل اصحاب

تبين

الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين ولاجان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين
نصب على الاختصاص على رفرف هو كل ثوب عريض وقيل الوسايد خضر
وعبقري ديباج او طنافس حسان فباي الاء ربكما تكذبان وانما تقاصر
صفات هاتين الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما لان مدهامتان
دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك
صفة الحور والمتكاء تبارك اسم ربك ذي الجلال ذي العظمة ذو الجلال شامي صفة
للاسم والاكرام لاوليائه بالانعام روي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
سورة الرحمن مالي اريكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا اما اتيت على قول
الله فباي الاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد
ولك الشكر وكررت هذه الاية في هذه السورة احدي وثلثين مرة ذكرت
ثمانية منها عقيب ايات فيها تعداد عجايب خلق الله وبدايع صنعه ومبداء
الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقيب ايات فيها ذكر النار وشدايدها على عدد
ابواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين واهلهما على عدد ابواب
الجنة وثمانية اخري بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولي و
عمل بموجبها فتحت له ابواب الجنة وغلقت عليه ابواب جهنم

اذا وقعت الواقعة قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة
فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت
اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر ليس لوقعتها
كاذبة نفس كاذبة اي لا يكون حين يقع نفس تكذب على الله وتكذب في
تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم
كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالي يا ليتني قدمت لحيوتي خافضة
رافعة اي هي خافضة ترفع اقواما وتضع اخرين اذا رجت الارض رجا حركت
تحريكا شديدا حتى تهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت و
يجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال
وبست الجبال بسا فتتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء منبثا متفرقا وكنتم ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي

بعضها مع بعض ويذكر بعضها مع بعض ازواج ثلثة صنفان في الجنة وصنف
في النار ثم فسر الازواج فقال فاصحاب الميمنة مبتداء وهم الذين يؤتون
صحايفهم بايمانهم ما اصحاب الميمنة مبتداء وخبر وهما خبر المبتداء الاول وهو
تعجيب من حالهم في السعادة وتعظيم لشانهم كانه قال ما هم واي شيء هم
واصحاب المشئمة اي الذين صحايفهم بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية و
اصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال
اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشأمهم
بالشمائل قيل يؤذن باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال
ما اصحاب المشئمة اي اي شيء هم وهو تعجيب من حالهم في الشقاء والسابقون مبتداء
السابقون خبره تقديره السابقون الي الخيرات السابقون الي الجنات وقيل الثاني
تاكيد للاول والخبر اولئك المقربون والاول اوجه في جنات النعيم اي هم في
جنات النعيم ثلة من الاولين اي هم ثلة والثلة الامة من الناس
الكثيرة والمعني ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الي محمد
صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين وهم امة محمد عليه الصلوة والسلام
وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الاخرين من متاخريها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي على سرر جمع سرير كالكثيب و
كثب موضونة مرمولة منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت متكئين حال
من الضمير في علي وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكئين
عليها متقابلين ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن
العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال ايضا
يطوف عليهم يخدمهم ولدان غلمان جمع وليد مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان
لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن
لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفي الحديث اولاد الكفار
خدام اهل الجنة باكواب جمع كوب وهو آنية لا عروة لها ولا خرطوم واباريق جمع
ابريق وهو ما له خرطوم وعروة وكاس وقدح فيه شراب فان لم يكن فيه شراب
فليس بكاس من معين من خمر تجري من العيون لا يصدعون عنها اي بسببها و
حقيقته لا يصدر صداعهم عنها ولا ينزفون لا يفرقون عنها ولا يسكرون

نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاي كوفي اي لا ينفد شرابهم
يقال انزف القوم اذا فني شرابهم وفاكهة مما يتخيرون يأخذون خيره
وافضله ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور جمع حوراء عين جمع عيناء اي
وفيها حور عين او ولهم حور عين ويجوز ان يكون عطفا على ولدان وحور يزيد
وحمزة وعلي عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور
كامثال اللؤلؤ في الصفاء والنقاء المكنون المصون قال الزجاج كامثال
الدر حين يخرج من صدفه ولم يغيره الزمان واختلاف احوال الاستعمال جزاء
بما كانوا يعملون جزاء مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء اعمالهم او مصدر
اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها في الجنات لغوا باطلا ولا تأثيما هذيانا
الا قيلا سلاما سلاما الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل
من قيلا او مفعول به لقيلا اي لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما و
المعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين في سدر مخضود السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كانما
خضد شوكه وطلح منضود الطلح شجر الموز والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله
الى اعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط كظل ما بين
طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب جار بلا حد ولا خد اي يجري على
الارض في غير اخدود وفاكهة كثيرة اي كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا ينقطع
في بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة ولا ممنوعة عن متناولها بوجه
وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان وفرش مرفوعة رفيعة القدر
او نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى
عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على
الارائك متكئون ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء ابتدأنا خلقهن ابتداء
من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن
وعلى غير هذا التأويل اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن فجعلنا
هن ابكارا عذارى كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا عربا عربا حمزة وخلف
ويحيى وحماد جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات
في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن كذلك واللام في لاصحاب اليمين

من صلة

من صلة انشأنا ثلة اي اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الاخرين ثم قال هنا وثلة من الاخرين
قلت ذاك في السابقين وهذا في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين
والاخرين جميعا وعن الحسن سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل
تابعي هذه الامة واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال والمشأمة واحد في سموم في
حر نار تنفذ في المسام وحميم وماء حار متناهي الحرارة وظل من يحموم من دخان
اسود لا بارد ولا كريم نفى لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر
الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوي اليه من اذى
الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل
حار ضار انهم كانوا قبل ذلك اي في الدنيا مترفين متنعمين فمنعهم ذلك
عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا يصرون يداومون على الحنث
العظيم اي على الذنب العظيم او على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث
نقض العهد المؤكد باليمين او الكفر بالبعث بدليل قوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون تقديره انبعث اذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه
اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان ان والاستفهام يمنعان ان
يعمل ما بعدهما فيما قبلهما اوآباؤنا الاولون دخلت همزة الاستفهام على
حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن
الفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة
للنفي او اباؤنا مدني وشامي قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات
يوم معلوم اي ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم
فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود
التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما ثم انكم ايها الضالون عن
الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم لآكلون من شجر
من لابتداء الغاية من زقوم من لبيان الشجر فمالئون منها البطون فشاربون
عليه من الحميم انث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في منها وعليه فشار
بون شرب بضم الشين مدني وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدر

الهيم هي ابل عطاش لا تروي جمع اهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع
ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا املؤا منه البطون سلط عليهم
من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب
الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين
متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء
امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانت صفتين
مختلفتين هذا نزلهم هو الرزق الذى يعد للنازل تكرمة يوم الدين يوم
الجزاء نحن خلقناكم فلولا فهلا تصدقون تخصيص على التصديق اما بالخلق لانهم
وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق
فكانهم يكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا
أفرأيتم ما تمنون ما تمنونه ان تقذفونه في الارحام من النطف ءانتم تخلقونه
تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا أم نحن الخالقون نحن قدرنا
بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت
كما يقتضيه مشيتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا
بالتخفيف مكي سبقته بالشئ اذا اعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا يغلبوني وامثال
جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا
تعلمون وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر
على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف يعجز عن اعادتكم و
يجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها
في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى
النشاءة مكي وابو عمرو فلولا تذكرون ان من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه
ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى
أفرأيتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام اي تثيرون الارض وتلقون فيها البذر
ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا أم نحن الزارعون المنبتون و
في الحديث لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت لو نشاء لجعلناه حطاما
هشيما منكسرا قبل ادراكه فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على تعبكم فيه و

انفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها انا اي
يقولون انا ائنا ابو بكر لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن قوم محرومون محارثون محرومون
لا مجدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا أفرأيتم
الماء الذي تشربون اي الماء العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن
السحاب الابيض وهو اعذب ماء أم نحن المنزلون بقدرتنا لو نشاء جعلناه
اجاجا ملحا او مرا لا يقدر على شربه فلولا تشكرون فهلا تشكرون ودخلت
اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لو لما كانت
داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم يكن
مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من
حيث افادتها في مضمون جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في
جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعليق فزيدت هذه اللام لتكون علما على
ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل احد به وتساوي
حالي حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية
ولان هذه اللام تفيد معنى التاكيد لا محالة فادخلت في آية المطعوم دون آية
المشروب للدلالة على ان امر المطعوم يتقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده
اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت
آية المطعوم على آية المشروب أفرأيتم النار التي تورون تقدحونها وتستخرجونها
من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند
والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة ءانتم انشأتم شجرتها التي منها
الزناد أم نحن المنشؤن الخالقون لها ابتداء نحن جعلناها اي النار
تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش وعممنا بالحاجة
اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به
او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للمسافرين الذين ينزلون
القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوتهم
اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرأيتم ما تمنون
لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون

جونها

بما يحي به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع
الثلاثة ولا يستغني عنه الجسد ما دام حيا فسبح باسم ربك فنزه ربك عما لا
يليق به ايها المستمع المستدل او اراد بالاسم الذكر اي فسبح بذكر ربك العظيم
صفة للمضاف او للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعا انه لما
نزلت هذه الاية قال اجعلوها في ركوعكم فلا اقسم اي فاقسم ولا مزيدة مؤكدة
مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرئ فلا اقسم ومعناه فلانا اقسم و
اللام لام الابتداء ادخلت على جملة من مبتداء وخبر وهي انا اقسم ثم حذف
المبتداء ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة
بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلي ولعل الله تعالى في اخر الليل
اذا انحطت النجوم الي المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة
او لانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم
بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وهو اعتراض في
اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه لقرآن كريم
حسن مرضي او نفاع جمع المنافع او كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف
وصفته في كتاب اي اللوح المحفوظ مكنون مصون من ان يأتيه الباطل او من
غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم لا يمسه الا المطهرون
من جميع الادناس ادناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون
وهو اللوح وان جعلته صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة
من الناس والمراد مس المكتوب منه تنزيل صفة رابعة للقرآن اي منزل من
رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه
في نفسه تنزيل ولذلك جري مجري بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق
به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتداء افبهذا الحديث اي القرآن انتم مدهنون
متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به و
تجعلون رزقكم انكم تكذبون اي تجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم
التكذيب موضع الشكر وفي قراءة علي رضي الله عنه وهي قراءة رسول الله عليه الصلوة
والسلام وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم
تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر اي وتجعلون

شكر

شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث ينسبونه الي
النجوم فلولا اذا بلغت النفس اي الروح عند الموت الحلقوم ممر الطعام
والشراب وانتم حينئذ تنظرون الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة ونحن
اقرب اليه الي المحتضر منكم ولكن لا تبصرون لا تعقلون ولا تعلمون فلولا
ان كنتم غير مدينين مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم
ترجعونها تردون النفس وهي الروح الي الجسد بعد بلوغ الحلقوم ان
كنتم صادقين انكم غير مربوبين مقهورين فلولا في الايتين للتحضيض
يستدعي فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الاية فلولا
ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين فلولا الثانية مكررة
للتوكيد ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة
الموت والمعنى انكم في جحودكم آيات الله في كل شيء ان انزل كتابا معجزا قلتم
سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم
مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الي الاهمال والتعطيل
فما لكم لا ترجعون الروح الي البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض
وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المعيد فاما ان كان
المتوفي من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في اول
السورة فروح فله استراحة وريحان ورزق وجنة نعيم واما ان كان من
اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي
يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما فاما ان كان من المكذبين الضالين هم
الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم في هذه السورة ثم
انكم ايها الضالون المكذبون فنزل من حميم وتصلية جحيم اي ادخال فيها
وفي هذه الايات اشارة الي ان الكفر كله ملة واحدة وان اصحاب الكبائر من اصحاب
اليمين لانهم غير مكذبين ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين
اي الحق الثابت من اليقين فسبح باسم ربك العظيم روي ان عثمان بن عفان
رضي الله عنه دخل على ابن مسعود رضي الله عنهما في مرض موته فقال ما تشتكي
فقال ذنوبي فقال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال
الطبيب امرضني فقال الا نامر بعطائك قال لا حاجة لي فيه قال ندفعه الي

لا

بناتك قال لاحاجة لهن فيه قد امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه
فاقة ابدًا وليس في هذه السور الثلاث ذكر الله اقتربت الرحمن الواقعة

سبح لله جاء في بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع
وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر استيعابًا لهذه الكلمة
من جميع جهاتها وهي اربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل
قد عدي باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وسبحوه واصله التعدي بنفسه
لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما ان
يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد سبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله
ولوجهه خالصًا ما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح وهو العزيز
المنتقم من مكلف لم يسبح له عنادًا الحكيم في مجازات من سبح له انقيادًا له
ملك السموات والارض لا لغيره وموضع يحيي رفع اي هو يحيي الموتى ويميت
الاحياء او نصب اي له ملك السموات والارض محييًا ومميتًا وهو على كل شيء قدير
هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والاخر الذي يبقى بعد هلاك كل
شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس وان كان
مرئيًا والواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية
والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع
بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود
في جميع الاوقات الماضية والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر
العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن
كل شيء اي علم باطنه وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام عن الحسن من ايام الدنيا ولو اراد ان يجعلها في طرفة عين يفعل
ولكن جعل الستة اصلًا ليكون عليها المدار ثم استوى استولى على العرش
يعلم ما يلج في الارض ما يدخل في الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى
وما يخرج منها من النبات وغيره وما ينزل من السماء من الملائكة والامطار

وما يعرج فيها من الاعمال والدعوات وهو معكم اينما كنتم بالعلم والقدرة
عمومًا وبالفضل والرحمة خصوصًا والله بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب
اعمالكم له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في
النهار يدخل الليل في النهار بان ينقص من الليل ويزيد في النهار ويولج
النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وانفقوا
يحتمل الزكوة والانفاق في سبيل الله مما جعلكم مستخلفين فيه يعني ان
الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها
للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في
الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله
وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا اذن
له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم بتوريثه اياكم وسينتقل منكم الى
من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم
وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله هو حال من معنى الفعل
في ما لكم كما يقول ما لك قائمًا بمعنى ما تصنع قائمًا اي وما لكم كافرين بالله و
الواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى واي
عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم
وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بقوله الست بربكم او بما ركب فيكم من العقول
ومكنكم من النظر في الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول
فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه
اخذ ميثاقكم ابو عمرو هو الذي ينزل على عبده محمد عليه الصلوة والسلام
آيات بينات يعني القرآن ليخرجكم الله او محمد بدعوته من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف بالمد والهمز حجازي وشامي
وحفص رحيم الرأفة اشد الرحمة وما لكم الا تنفقوا في ان لا تنفقوا في
سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق
لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد
مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث في الانفاق في
سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من

انفق من قبل الفتح وقاتل اي فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول
الناس في دين الله افواجا ومن انفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين
انفقوا من بعد يدل عليه اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من
الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد
الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول
اول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامي اي وكل وعده الحسنى قيل نزلت في ابي
بكر رضي الله عنه لانه اول من انفق في سبيل الله وفيه دليل فضله وتقدمه والله
بما تعملون خبير فيجازيكم على قدر اعمالكم من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا بطيب نفسه والمراد الانفاق في سبيله واستعير لفظ القرض ليدل
على التزام الجزاء فيضاعفه له ان يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من
فضله وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه فيضعفه
مكي فيضعفه شامي فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على
جواز الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه او عطف على يقرض يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما
لذلك اليوم يسعى يمضي نورهم نور التوحيد والطاعات وانما قال بين
ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين
كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين
شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا
فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور
ويقول لهم الملائكة بشريكم اليوم جنات اي دخول جنات لان البشارة تقع
بالاحداث دون الجثث تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز
العظيم يوم يقول هو بدل من يوم ترى المنافقون والمنافقات للذين
امنوا انظرونا انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا
حمزة من النظرة وهي الامهال جعلت اتيادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا
لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنير وابه قيل

ارجعوا

ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اي تقول لهم الملائكة
او المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوا هنالك
فمن ثم نقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان
فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط حائل بين شق الجنة
وشق النار قيل هو الاعراف له لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه
باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة اي النور
او الجنة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب
اي الظلمة او النار ينادونهم اي ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن
معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا اي المؤمنون بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر
وارتبتم وشككتم في التوحيد وغرتكم الاماني طول الآمال والطمع في امتداد
الاعمار حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان
بان الله عفو كريم لا يعذبكم او بانه لا بعث ولا حساب فاليوم لا يؤخذ بالتاء
شامي منكم ايها المنافقون فدية ما يفتدى به ولا من الذين كفروا ماواكم
مرجعكم النار هي مولاكم هي اولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم اي مكانكم الذي
يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اي مكان لقول القايل انه لكريم
وبئس المصير النار الم يان من انى الامر ياني اذا جاء اناه اي وقته قيل
كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه
فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا
بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الاية قرئت بين
يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال
هكذا كنا حتى قست قلوبنا للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما
نزل من الحق بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذي والمراد
بالذكر وما نزل من الحق القران لانه جامع بين الامرين للذكر والموعظة وانه
حق نازل من السماء ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل القراءة بالياء
عطف على تخشع وبالتاء رويس على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن
مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان

واثر

الجن يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله و
رقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا
ما احدثوا من التحريف وغيره فطال عليهم الامد الاجل او الزمان فقست
قلوبهم باتباع الشهوات وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون
لما في الكتابين اي وقليل منهم مؤمنون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب
وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض ان المصدقين والمصدقات بتشديد الدال
وصاد مكي وابو عمرو وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله
يعني المؤمنين الباقون بتشديد الدال والصاد وهو اسم فاعل من تصدق
فادغمت التاء في الصاد وقرئ على الاصل واقرضوا الله قرضا حسنا هو عطف
على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل
وهو اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق
من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم ولهم
يضعف مكي وشامي اجر كريم اي الجنة والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم يريد ان المؤمنين بالله ورسله
عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق و
استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء
ومثل نورهم ويجوز ان يكون والشهداء مبتداء ولهم اجرهم خبره والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب كلعب
الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر بينكم كتفاخر
الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان في الاموال والاولاد اي مباهات بهما و
التكاثر ادعاء الاستكثار كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه
مصفرا بعد خضرته ثم يكون حطاما متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها
مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى وقوي واعجب به الكفار الجاحدون
لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر
وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وقيل الكفار
الزراع وفي الاخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان

للمؤمنين يعني ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو و
الزينة والتفاخر والتكاثر واما الاخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب
الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف في كمثل غيث في محل
الرفع على انه خبر بعد خبر اي الحيوة الدنيا مثل غيث وما الحيوة الدنيا الا
متاع الغرور لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون رحمه الله يا معشر
المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها و
المقيل في غيرها ولما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الاخرة بعث عباده
على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد
والفوز بدخول الجنة بقوله سابقوا اي بالاعمال الصالحة الى مغفرة من
ربكم وقيل سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار وجنة عرضها
كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين و
ذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله
فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وازيد ويجوز ان يراد بالعرض
البسطة وهذا ينفي قول من يقول ان الجنة في السماء الرابعة لان التي في احدى
السموات لا تكون في عرض السموات والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله
وهذا دليل على انها مخلوقة ذلك الموعود من الجنة والمغفرة فضل الله يؤتيه
من يشاء وهم المؤمنون وفيه دليل انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل
الله والله ذو الفضل العظيم ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله
ما اصاب من مصيبة في الارض من الجدب وآفات الزرع والثمار و
قوله في الارض في موضع الجر اي ما اصاب من مصيبة ثابتة في الارض ولا
في انفسكم من الامراض والاوصاب وموت الاولاد الا في كتاب في
اللوح وهو في موضع الحال اي الا مكتوبا من قبل ان نبرأها من قبل ان نخلق الانفس
ان ذلك على ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان
عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله لكيلا تأسوا تحزنوا
حزنا يطغيكم على ما فاتكم من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها
ولا تفرحوا فرح المختال الفخور بما اتاكم اعطاكم من الايتاء ابو عمرو و
اتاكم اي جاءكم من الاتيان يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند

الله قل اسا كم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود
لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من
علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند
نيله وليس احد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة
تنزل به ولكن ينبغي ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن
الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الاشر المطغي الملهي عن الشكر والله لا يحب
كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به و
تكبر على الناس الذين يبخلون خبر مبتدا محذوف او بدل من كل مختال فخور
كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريدون الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا
مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون
به ويأمرون الناس بالبخل ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم في الامسا
ك و يتول يعرض عن الانفاق وعن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه
ومن
من الاسى على الفائت والفرح بالآت فان الله هو الغني عن جميع المخلوقات الحميد
في افعاله فان الله الغني بترك هو مدني وشامي لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة
الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي وقيل
الرسل الانبياء والاول اولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب و
الميزان ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء روي ان جبرائيل عليه السلام نزل بالميزان
فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به ليقوم الناس ليتعاملوا بينهم ايفاء
واستيفاء بالقسط بالعدل ولا يظلم احد احدا وانزلنا الحديد قيل نزل آدم
من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة
والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه فيه بأس
شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما
من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في محاربة اعداء الدين وقال
الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله في سبيله بالغيب غائبا عنهم ان الله قوي
يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته عزيز يربط بعزته جأش من يتعرض لنصرته
والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام

والحدود الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام و
الحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغي والطغيان واستعمال
العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوي
والتعادل وهو الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية و
الآلة الموضوعة للتعادل بالسوية انما يحفظ العام على اتباعهما بالسيف الذي
هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذي
وصف بالبأس الشديد ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وخصا بالذكر لانهما
ابوان للانبياء عليهم السلام وجعلنا في ذريتهما اولادهما النبوة والكتاب
الوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم
فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين مهتد
وكثير منهم فاسقون هذا تفصيل لحالهم اي فمنهم من اهتدى باتباع الرسل
ومنهم من فسق اي خرج عن الطاعة والغلبة للفساق ثم قفينا على آثارهم
اي نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم
وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة مودة ورحمة
تعطفا على اخوانهم كما قال في صفة اصحاب النبي رحماء بينهم ورهبانية ابتدعوها
هي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وهي
الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي و
انتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها اي
اخرجوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم
الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل
نكثه وقيل فما رعوها حق رعايتها اذ بدلوا دينهم وقيل اذ لم يؤمنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم اي اهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا
عيسى والذين آمنوا بمحمد عليه الصلوة والسلام وكثير منهم فاسقون كافرون
يا ايها الذين آمنوا الخطاب لاهل الكتاب اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى
الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه الصلوة
والسلام وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به وهو النور

المذكور في قوله يسعي نورهم ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم لئلا يعلم
ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون كان مخففة من
الثقيلة اصله انه لا يقدرون علي شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا من
فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم
ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان الفضل عطف علي ان لا يقدرون
بيد الله اي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل
العظيم

قد سمع الله قول التي تجادلك تحاورك وقرئ بها وهي خولة بنت ثعلبة
امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم
فلما سلمت راودها فابت فغضب منها فظاهر منها وكان الظهار في الجاهلية
طلاقا باتا لا رجوع بعده فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان
اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي
جعلني عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبيا صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا
وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت
عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فانما هو ابو ولدي واحب الناس الي
فقال حرمت عليه فقالت اشكو الي الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله
حرمت عليه هتفت وشكت الي الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه و
تشتكي الي الله تظهر ما بها من المكروه والله يسمع تحاوركما مراجعتكما
الكلام من حار اذا رجع ان الله سميع يسمع شكوي المضطر بصير بحاله الذين
يظاهرون عاصم يظهرون حجازي وبصري غيرهم يظاهرون وفي منكم
توبيخ للعرب لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم من
من نسائهم ازواجهم ما هن امهاتهم امهاتهم المفضل فالاول حجازي والثاني
تميمي ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات
والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا ازواج رسول الله لزيادة
حرمتهن واما الزوجات فابعد شيء من الامومة فلذا قال وانهم ليقولون
منكرا من القول اي تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية وزورا وكذبا

باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منهم والذين يظاهرون من
نسائهم بين في الآية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين في الثانية
حكم الظهار ثم يعودون لما قالوا العود الصيرورة ابتداء او بناء فمن
الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثاني وان عدتم عدنا
ويعدي بنفسه كقولك عدته اذا اتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالي وعلي
وفي واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا
اي يعودون لنقض ما قالوا او لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلب يعودون
لتحليل ما حرموا على حذف المضاف ايضا غير انه اراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم
بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول ونحوه ما يقول اراد المقول فيه وهو
المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطي وهو
قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعي رضي الله عنهم بمجرد الامساك و
هو ان لا يطلقها عقيب الظهار فتحرير رقبة فعليه اعتاق رقبة مؤمنة او كافرة
ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذي ادي شيئا من قبل ان يتماسا
الضمير يرجع الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع
بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الي فرجها بشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان
الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان يتعظوا بهذا الحكم حتى لا
تعودوا الي الظهار وتخافوا عقاب الله عليه والله بما تعملون خبير والظهار
ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي واذا وضع موضع انت عضوا منها يعبر
به عن الجملة او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن و
الفخذ ومكان الام ذات رحم محرم منه بنسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان
يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امرأة ابني او ابي او ام
امرأتي او بنتها فهو مظاهر واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة ان ترافعه
وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه
ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع فان مس قبل
ان يكفر استغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف
عند ابي حنيفة رضي الله عنه فمن لم يجد الرقبة فصيام شهرين فعليه
صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع الصيام فاطعام

فعليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من
غيره ويجب تقديمه على المسيس ولكن لا يستأنف ان جامع في خلال الاطعام
ذلك البيان والتعليم للاحكام لتؤمنوا لتصدقوا بالله ورسوله في العمل
بشرايعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم و
تلك اي الاحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة حدود الله التي لا يجوز
تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها عذاب اليم مولم ان الذين يحادون
الله ورسوله يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت الذين من
قبلهم من اعداء الرسل قد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول
وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم
يوم يبعثهم منصوب بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم الله جميعا كلهم
لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة فينبئهم بما عملوا
تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا لحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما
يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم يفتقد
منه شي ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور
والله على كل شي شهيد لا يغيب عنه شي الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض ما يكون من كان التامة اي ما يقع من نجوى ثلاثة النجوى
التناجي وقد اضيفت الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر الا هو اي الله رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا هو
معهم يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا
كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجي
مغايظة للمؤمنين على هذين العددين فقيل ما يتناجي منهم ثلاثة ولا خمسة ولا
ادنى من عدديهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان اهل التناجي
في العادة طايفة من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى
خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا
ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يقارب
هذا العدد اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة فيجازيهم عليه ان الله
بكل شي عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه

ويتناجوا

ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كانت اليهود والمنافقون
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون ان
يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم
قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم
بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ويتنجون حمزة
وهو بمعنى الاول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون
في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على
عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول اي يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله
بما نقوله فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يصلونها حال اي يدخلونها
فبئس المصير المرجع جهنم يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم وهو خطاب للمنافقين
والظاهر انه خطاب للمؤمنين اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول اي اذا تناجيتم فلا تتشبهوا باليهود والمنافقين في
تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر باداء الفرايض والطاعات والتقوى وترك
المعاصي واتقوا الله الذي اليه تحشرون للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من
خير او شر انما النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان من تزيينه ليحزن اي
الشيطان وبضم الياء وكسر الزاء نافع الذين آمنوا وليس الشيطان او الحزن
بضارهم شيئا الا باذن الله بعلمه وقضائه وقدره وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اي يكلون امرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان يا ايها الذين آمنوا
اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه في المجالس عاصم والمراد مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه و
حرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله
مقاعد للقتال مقاتل في صلوة الجمعة فافسحوا فوسعوا يفسح الله لكم مطلق في
كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك
واذا قيل انشزوا بالضم فيهما مدني وشامي وعاصم انهضوا للتوسعة على المقبلين
او انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه او انهضوا الى الصلوة و
الجهاد واعمال الخير فانشزوا بالضم فيهما مدني وشامي وعاصم غير حماد يرفع الله

مِنون

الذين امنوا منكم بامتثال اوامره واوامر رسوله والذين اوتوا العلم والعالمين
منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير وفي الدرجات قولان احدهما
في الدنيا في المرتبة والشرف والآخر في الآخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
انه اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب وعنه عليه الصلوة والسلام عبادة العالم يوما واحدا تعدل
عبادة العابد اربعين يوما وعنه عليه الصلوة والسلام يشفع يوم القيمة ثلاثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة
بشهادة رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان صلوات الله
عليه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه و
قال عليه الصلوة والسلام اوحي الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل
عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء
فات من ادرك العلم وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال
والعلوم انواع فاشرفها اشرفها معلوما يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم
اي اذا اردتم مناجاته فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي قبل نجواكم
هي استعارة ممن له يدان كقول عمر رضي الله عنه من افضل ما اوتيت العرب
الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد
قبل حاجته ذلك التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة
فان لم تجدوا ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم في ترخيص المناجات من
غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ
وقال علي رضي الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها
احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسئلت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فاجابني عنها قلت يا رسول الله ما الوفا
قال التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك
بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما
الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علي قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف
ادعو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا اسأل الله قال العافية

قلت

قلت وما اصنع لنجاة نفسي قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور
قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها أأشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اخفتم تقديم الصدقة لما فيه من
الانفاق الذي تكرهونه فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله
عليكم اي خفف عنكم وازال عنكم المواخذة بترك تقديم الصدقة على المناجات
كما ازال المواخذة بالذنب عن التايب عنه فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة و
اطيعوا
الله ورسوله اي فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وساير الطاعات والله خبير
بما تعملون وهذا وعد ووعيد الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله
عليهم كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله
من لعنه الله وغضب وينقلون اسرار المؤمنين اليهم ما هم منكم يا مسلمون ولا
منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون لا منافقون وهم يعلمون
انهم كاذبون منافقون اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما
انهم ساء ما كانوا يعملون اي انهم كانوا في الزمان الماضي مصرين على سوء
العمل وهي حكاية ما يقول لهم في الآخرة اتخذوا ايمانهم الكاذبة جنة وقاية
دون دمائهم واموالهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل
الله عن طاعته والايمان به فلهم عذاب مهين وعدهم العذاب المخزي لكفرهم
وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
اي لله في الآخرة انهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين كما يحلفون لكم
في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم في الدنيا على شيء من النفع او يحسبون انهم
على شيء من النفع ثم بايمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا الا انهم هم الكاذبون
حيث استوى ما لهم فيه في الدنيا والآخرة استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم
فانسيهم ذكر الله قال شاه الكرماني علامة استحواذ الشيطان على العبد ان
يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء
الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة

والبهتان ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله والمراقبة بتدبير الدنيا و
جمعها اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل
خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة
والسيف او باحدهما ان الله قوي لا يمتنع عليه ما يريد عزيز غالب غير مغلوب
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون هو مفعول ثان لتجد
او حال او صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف وعلى هذا من حاد الله خالفه و
عاداه ورسوله اي من الممتنع ان تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين والمراد
انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في الزجر
عن مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم
وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وبمقا
قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله وايدهم بروح منه اي
بكتاب انزله فيه حيوة لهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح منه من
الايمان على انه في نفسه روح لحيوة القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا يرون
انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور
فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل رحمه الله من صحح ايمانه واخلص توحيده
فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا
سلبه الله حلاوة السنن ومن اجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا او غرضها اذله الله
بذلك العز وافقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان
من قلبه ومن لم يصدق فليجرب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم بتوحيدهم الخالص وطاعتهم ورضوا عنه بثوابه
الجسيم في الآخرة او بما قضى عليهم في الدنيا اولئك حزب الله انصار حقه ودعاة
خلقه الا ان حزب الله هم المفلحون الباقون في النعيم المقيم الفائزون بكل
محبوب الآمنون من كل مرهوب

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي ان هذه نزلت

باسرها

باسرها في بني النضير وذلك ان النبي عليه الصلوة والسلام حين قدم المدينة
صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له
فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية فلما هزم المسلمون يوم
احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالف ابا
سفيان عند الكعبة فامر عليه الصلوة والسلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل
كعبا غيلة ثم خرج عليه الصلاة والسلام مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى و
عشرين ليلة وامر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح
فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم
فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب يعني يهود بني النضير من ديارهم بالمدينة واللام في لاول الحشر
يتعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحيوتي وقولك جئته
لوقت كذا اي اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول
حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من
اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء
عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام او آخر حشرهم حشر يوم القيمة
قال بن عباس رضي الله من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم
الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثاني قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خرجوا امضوا فانكم اول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان آخر الزمان جاءت
نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى ارض الشام وبها تقوم عليهم القيمة
وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم
ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم
من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب
وبين النظم الذي جاء عليه ان في تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم
بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان في اسناد الجملة اليه دليلا
على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او
يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم فاتاهم الله

اي امر الله وعقابه وفي الشواذ فآتاهم الله اي فاتاهم الهلاك من حيث لم
يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
غرة على يد اخيه رضاعا وقذف في قلوبهم الرعب الخوف يخربون بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين يخرّبون ابو عمرو والتخريب والاخراب الافساد
بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها
لما اراد الله من استيصال شافتهم وان لا يبقي لهم بالمدينة دار ولا منهم
ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه
الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم
ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج واما المؤمنون فداعيهم الى التخريب
ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين
انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به و
كلفوهم اياه فاعتبروا يا اولي الابصار اي تاملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي
استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو
دليل على جواز القياس ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من الوطن
مع الاهل والولد لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم
سواء اجلوا او قتلوا في الآخرة عذاب النار الذي لا اشد منه ذلك اي ما اصابهم
ذلك بسبب انهم شاقوا الله خالفوه ورسوله ومن يشاق الله فان الله
شديد العقاب ما قطعتم من لينة هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم
كانه قيل اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى
اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل
اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قائمة على اصولها فباذن الله
فقطعها وتركها باذن الله وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم
اذن في قطعها وما افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة منهم من بني
النضير فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فلم يكن ذلك بايجاف خيل
او ركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه
خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم لانه على ميلين
من المدينة وكان عليه الصلوة والسلام على حمار فحسب ولكن الله يسلط رسله

على من يشاء يعني ان ما خول الله رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال
والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم
فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل
عليها واخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلثة
منهم لفقرهم والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل و
انما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية
عنها بين لرسول الله ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس
من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين و
قال الآية الاولى نزلت في اموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه
الآية في غنائم كل قرية يؤخذ بقوة الغزاة وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي
مبتدأ كيلا يكون دولة تكون الفيء دولة بزيد على كان التامة والدولة
والدولة ما يدول للانسان اي يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة
بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم
بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به وما آتاكم الرسول اي
ما اعطاكم من قسمة غنيمة او فيء فخذوه فاقبلوه وما نهاكم عنه عن اخذه
منها فانتهوا عنه ولا تطلبوه واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره و
نواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما
في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه للفقراء بدل من
قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول وان
كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون
الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهره
اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء
اموال المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار و
اموال يبتغون حال فضلا من الله ورضوانا اي يطلبون الجنة ورضاء الله
وينصرون الله ورسوله اي ينصرون دين الله ويعينون رسوله اولئك

هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم والذين معطوف على المهاجرين ومنه
الانصار تبوءو الدار توطنوا المدينة والايمان واخلصوا الايمان كقوله
علفتها تبنًا وماءً باردًا او وجعلوا الايمان مستقرًا ومتوطنًا لهم لتمكنهم
منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان
فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان
ووضع المضاف اليه مقامه من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في
تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم حتى شاطروهم
اموالهم وانزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احديهما حتى
تزوج بها رجل من المهاجرين ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ولا يعلمون
انفسهم طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى
حاجة يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه وقيل
حاجة حسدًا مما اعطي المهاجرون من الفيء حيث خصهم النبي عليه الصلوة والسلام
به وقيل لا يجدون في صدورهم مس حاجة من فقد ما اوتوا فحذف المضافات
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فقر واصلها خصاص البيت وهي فرجه
والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وروي انه نزل برجل منهم ضيف
فنوم الصبية وقدم الطعام واطفأ السراج ليشبع ضيفه ولا ياكل هو وعن
انس رضي الله عنه اهدي لبعضهم رأس مشوي وهو مجهود فوجهه الى جاره
فتداولته تسعة انفس حتى عاد الى الاول ابو يزيد قال لي شاب من اهل بلخ ما
الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا
كلاب بلخ بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا والشح اللوم وان تكون نفس الرجل
كزة حريصة على المنع واما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح اكل مال اخيك ظلمًا
والبخل منع مالك وعن كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد
بخلاف الشحيح والذين جاءوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين
هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيمة قال
عمر رضي الله عنه دخل في هذا الفيء كل من هو مولود الى يوم القيمة في الاسلام
فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا

الذين سبقونا بالايمان قيل هم المهاجرون والانصار عائشة رضي الله
عنها امروا بان يستغفروا لهم فسبوهم ولا تجعل في قلوبنا غلا حقدا للذين
آمنوا يعني الصحابة ربنا انك رءوف رحيم وقيل لسعيد بن المسيب
ما تقول في عثمان وعلي وطلحة والزبير قال اقول ما قولنيه الله وتلا هذه
الآية ثم عجب نبيه عليه الصلوة والسلام فقال الم تر الى الذين نافقوا
اي الم تر يا محمد الى عبد الله ابن ابي واشياعه يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب يعني بني النضير والمراد اخوة الكفر لئن اخرجتم
من دياركم لنخرجن معكم روي ان ابن ابي واصحابه دسوا الى بني النضير
حين حاصرهم النبي عليه الصلوة والسلام لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم
احدا ابدا يعني رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم وخلاف
ما وعدناكم من النصرة وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون
في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار ثم لا ينصرون وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا
ينصرونهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم
ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون
اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم
نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم
اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر رهب المبني للمفعول في قوله في صدورهم
دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في
صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته
حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين
يعني اليهود والمنافقين الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب
او من وراء جدر جدار مكي وابو عمرو بأسهم بينهم شديد يعني ان
البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم
يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله

تحسبهم اي اليهود والمنافقين جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى
متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق
التعاضد وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك التفرق بانهم
قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم
كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر فحذف المبتداء قريبا اي
استقروا من قبلهم زمنا قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم
لرسول الله من قولهم كلاء وبيل وخيم سيئ العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل
في الدنيا ولهم عذاب اليم اي ولهم مع ذلك في الاخرة عذاب النار كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريئ منك اني اخاف الله رب
العالمين اي مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم
النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان
بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة وقيل المراد استغواءه قريشا يوم بدر وقوله
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريئ منكم فكان عاقبتهما
عاقبة الانسان الكافر والشيطان انهما في النار خالدين فيها عاقبتهما خبر
كان مقدم وان مع اسمها وخبرها اي في النار في موضع الرفع على الاسم وخالدين
حال وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في اوامره فلا
تخالفوها ولتنظر نفس نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة
ما قدمت لغد يعني يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له او عبر عن
الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم امره اي
لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن بن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا
ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا واتقوا الله كرر الامر بالتقوى تاكيدا او
اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن
بما يجري مجري الوعيد ان الله خبير بما تعملون وفيه تحريض على المراقبة لان من
علم ان الله مطلع على ما يرتكبه من الذنوب يمتنع عنه ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانسيهم انفسهم فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق اولئك هم الفاسقون
الخارجون عن طاعة الله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة
هم الفائزون هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في

العاقبة

العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون
الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز العظيم مع
اصحاب الجنة والعذاب الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك و
ينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بهذه
بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدلت الشافعية
الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء
وقد اجبنا عن مثل هذا في اصول الفقه والكافي لو انزلنا هذا القران على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اي من شان القران وعظمته
انه لو جعل في الجبل تمييز وانزل عليه القران لخشع اي لخضع وتطأطأ وتصدع
اي تشقق من خشية الله وجائز ان يكون هذا تمثيلا كما في قوله انا عرضنا الامانة
ويدل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
وهي اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان
على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على
من اشرك وشبهه بخلقه فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
اي السر والعلانية او الدنيا والاخرة او المعدوم والموجود هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو الملك الذي لا يزول ملكه القدوس المنزه من
القبائح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح السلام
الذي سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج المؤمن واهب الامن وعن الزجاج الذي
امن الخلق من ظلمه او المؤمن من عذابه من اطاعه المهيمن الرقيب على كل شئ
الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء العزيز الغالب غير المغلوب
الجبار العالي العظيم الذي يذل له من دونه او العظيم الشان في القدرة
والسلطان او القهار ذو الجبروت المتكبر البليغ الكبرياء والعظمة
سبحان الله عما يشركون نزه ذاته عما يصفه به المشركون هو الله الخالق
المقدر لما يوجده البارئ الموجد المصور في الارحام له الاسماء الحسنى الدالة
على صفات العلى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ختم
السورة بما بدا به عن ابي هريرة سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله
الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي

روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت
لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة
فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب
بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل
مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل عليه
السلام بالخبر فبعث رسول الله عليه الصلوة والسلام عليا وعمارا وعمر
وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد كانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى
تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه
منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا
بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل
سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن جميع الناس يوم الفتح الا
اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال لما
حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك
ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسها
وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري
فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه و
ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني
يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال عليه الصلوة والسلام وما
يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء عدي اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي اولياء والعدو
فعول كعفو من عدي كعفو من عفي ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاع

على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان تلقون حال من الضمير في
لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم اولياء ملقين اليهم بالمودة او مستانف بعد وقف
على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء في
بالمودة زائدة مؤكدة للتعدي كقوله ولا تلقوا بايديكم او ثابتة على ان مفعول
تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبب المودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا حال من لا تتخذوا او من تلقون
اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم بما جاءكم من الحق دين الاسلام و
القرآن يخرجون الرسول واياكم استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من
الذين كفروا ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم من مكة لايمانكم بالله
ربكم ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا اي لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي
وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه جهادا
في سبيلي مصدر في موضع الحال اي ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي و
ابتغاء مرضاتي ومبتغين مرضاتي تسرون اليهم بالمودة اي تفضون
اليهم بمودتكم سرا وتسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب
المودة وهو استيناف وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم والمعنى اي طائل لكم
في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي وانا مطلع رسولي
على ما تسرون ومن يفعله اي هذا الاسرار منكم فقد ضل سواء السبيل
فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم
يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم
ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا لو ترتدون
عن دينكم فاذا مواداة امثالهم خطأ عظيم منكم والماضي وان كان يجري في
باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم
يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل النفس وتمزيق
الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم
ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده
ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين
توالون الكفار من اجلهم ويتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم

القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية
فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل حمزة وعلي والفاعل
هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم
على اعمالكم قد كانت لكم اسوة قدوة في التبري من الاهل حسنة في ابرهيم
اي في اقواله ولهذا استثني منه الا قول ابراهيم والذين معه من المومنين وقيل
كانوا انبياء اذ قالوا لقومهم انا برءا منكم جمع بري كظريف وظرفاء ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة بالافعال
والبغضاء بالقلوب ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فحينئذ يترك عداوتكم
الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وذلك لموعدة وعدها اياه اي
اقتدوا به في اقواله ولا تاسوا به في الاستغفار لابيه الكافر وما املك لك
من الله من شيء اي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا يليق بالاستثنا
الا ترى الى قوله ممن يملك من الله شيئا ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه و
القصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كانه قال استغفرلك وما
في طاقتي الا الاستغفار ربنا عليك توكلنا متصل بما قبل الاستثناء وهو من
جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء امر من الله للمؤمنين بان
يقولوه واليك انبنا اقبلنا واليك المصير المرجع ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب واغفر لنا ربنا انك
انت العزيز الحكيم اي الغالب الحاكم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن
كان يرجوا الله واليوم الاخر ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم وقومه تقريرا
وتاكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل عن
قوله لمن كان يرجوا الله اي ثوابه او يخشى الله وعقابه بقوله ومن يتول عن امرنا
ووالى الكفار فان الله هو الغني عن الخلق الحميد المستحق للحمد فلم يترك نوعا
من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الاية وتشدد المؤمنون في عداوة ابائهم
وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم من اهل مكة من اقربائكم
مودة بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله باُمنيتهم فاسلم قومهم
وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض

منين

الحوائج عسى او لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين
والله قدير على تقليب القلوب وتحويل الاحوال والله غفور رحيم لمن اسلم من
المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم ان تبروهم اي ان تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل
ان تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن
برّ الذين وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهي عن
الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم
الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تولوهم هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة
هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
حيث وضعوا التولي غير موضعه يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات
سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن
بالامتحان مهاجرات نصب على الحال فامتحنوهن فابتلوهن بالنظر في الامارات
ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس رضي الله عنهما امتحانها ان
يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الله اعلم بايمانهن منكم فانكم
وان رزتم احوالهن لا يعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن
مؤمنات العلم الذي يبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات
وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم
وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فلا ترجعوهن الى الكفار
فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اي
لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة واتوهم ما انفقوا
واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور ونزلت الاية بعد صلح الحديبية
وكان الصلح قد وقع على ان يرد على اهل مكة من جاء مؤمنا منهم فانزل الله هذه
الاية بيانا ان ذلك في الرجال والنساء لان المسلمة لا تحل لكافر وقيل نسخت هذه
الاية الحكم الاول ولا جناح عليكم ان تنكحوهن ثم نفى عنهم الجناح في تزوج
هؤلاء المهاجرات اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع
وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة ولا تمسكوا او لا تمسكوا

هُنَّ

بصري بعصم الكوافر العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب او لحقت بدار الحرب مرتدة اي لا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه واسئلوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها وليسئلوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا ذلكم حكم الله اي جميع ما ذكر في هذه الاية يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار وان انفلت احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه احد فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج فأتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا فاعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون وقيل هذا الحكم منسوخ ايضا يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك هو حال على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد واد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة يلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف في طاعة الله ورسوله فبايعهن واستغفر لهن الله عما مضى ان الله غفور رحيم بمحو ما سلف بتوفيق ما ائتنف روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد اسفل منه يبايعهن عنه بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها لما صنعت بحمزة رضي الله عنه فقال عليه الصلوة والسلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فبايع عمر رضي الله عنه النساء على ان لا يشركن بالله شيئا فقال عليه الصلوة والسلام ولا يسرقن فقالت هند ان

ابا سفيان

ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فقال ابو سفيان ما اصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفى الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ختم السورة بما بدأ بها قيل هم المشركون قد يئسوا من الاخرة من ثوابها لانهم منكرون البعث كما يئس الكفار اي كما يئسوا الا انه وضع الظاهر موضع الضمير من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم او كما يئس اسلافهم الذين في القبور من الاخرة اي هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود اي لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التورية كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الاخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انهم قالوا قبل ان يؤمروا بالجهاد لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت اية الجهاد فتباطا بعضهم فنزلت يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام او غيرها كشيء واحد وكثر الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا قال على ما قام يشتمني جرير والوقف على زيادة هاء السكت والاسكان ومن اسكن

في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب
تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن
نظائره واسند الى ان يقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على ان قولهم
ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم ما لا يفعلون مقتا
عند الله واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وعن بعض السلف انه قيل له
حدثنا فقال تامروني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله ثم اعلم الله عز و
جل ما الذي يحبه فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي صافين
انفسهم مصدر وقع موقع الحال كانهم بنيان مرصوص لاصق بعضه ببعض وقيل
اريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي
رص بعضه الى بعض وهو حال ايضا واذ منصوب باذكر قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني بجحود الايات والقذف بما ليس في وقد تعلمون في موضع الحال
اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك
توقيري وتعظيمي لا ان تؤذوني فلما زاغوا مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم
من الهداية او لما تركوا اوامره نزع نور الايمان عن قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ
ازاغ الله قلوبهم اي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق والله لا يهدي القوم
الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه واذ قال عيسى
ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد اي ارسلت اليكم في حال تصديقي
ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني
التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر بعدي حجازي وابو عمرو
وابو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما في الرسول من
معنى الارسال فلما جاءهم عيسى او محمد عليهما الصلوة والسلام بالبينات بالمعجزات
قالوا هذا سحر مبين ساحر حمزة وعلي ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب و
هو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين واي الناس اشد
ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل

مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده
الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم هذا
تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم
بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل
والتقدير يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بافواههم اي بكلامهم والله
متم نوره مكي وحمزة وعلي وحفص متم نوره غيرهم اي متم الحق ومبلغه غايته
ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق اي الملة
الحنيفية ليظهره ليغلبه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة ولعمري
لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا الاسلام ولو كره المشركون يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تنجيكم شامي تؤمنون
استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى امنوا عند
سيبويه ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب
الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين بالله ورسوله و
تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم اي ما ذكر من الايمان
والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان
خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما
تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن اقامة
وخلود يقال عدن بالمكان اذا اقام به ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها
ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب نعمة اخرى عاجلة تحبونها
اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة و
النصر على قريش او فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل و
قال صاحب الكشف معناه هل ادلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة اخرى تحبونها
ثم قال نصر اي نصرة وبشر المؤمنين عطف على تؤمنون لانه في معنى الامر
كانه قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك
وقيل هو عطف على قل مرادا قيل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم يا ايها الذين امنوا

كونوا انصار الله انصار دينه انصار الله حجازي وابو عمرو كما قال عيسى ابن
مريم للحواريين من انصاري الى الله ظاهره تشبيه كونهم انصار عيسى حين
قال لهم من انصاري الى الله ومعناه من جندي متوجها الى نصرة ليطابق
جواب الحواريين وهو قوله قال الحواريون نحن انصار الله اي نحن الذين
ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي و
يكونون معي في نصرة الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به و
كانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخالصته من الحور وهو
البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها
فامنت طائفة من بني اسرائيل بعيسى عليه السلام وكفرت طائفة به
فايدنا الذين امنوا على عدوهم فقوينا مؤمنيهم على كفارهم فاصبحوا ظا
هرين

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم
التسبيح اما ان يكون تسبيح خلقه يعني اذا نظرت الى كل شيء دلتك على وحدانية
الله وتنزيهه عن الاشباه او تسبيح معرفة بان يجعل الله تعالى بلطفه في
كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجري الله تعالى التسبيح
على كل جوهر من غير معرفة له بذلك هو الذي بعث ارسل في الاميين رسولا
منهم اي بعث رجلا اميا في قوم اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون
نسبه واحواله والامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن
من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف وهم اخذوها من اهل الحيرة
واهل الحيرة من اهل الانبار يتلو عليهم اياته القران ويزكيهم ويطهرهم
من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة السنة
او الفقه في الدين وان كانوا من قبل من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
لفي ضلال مبين كفر وجهالة ان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها
اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه واخرين منهم مجرور معطوف
على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذين على عهده وفي اخرين من الاميين

لما يلحقوا

لما يلحقوا بهم اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة
او هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم الدين وقيل هم العجم او منصوب معطوف
على المنصوب في ويعلمهم اي ويعلمهم ويعلم الاخرين لان التعليم اذا تناسق
الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه
وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه
واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا صلى الله
عليه وسلم وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو
فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته والله ذو الفضل العظيم
مثل الذين حملوا التورية كلفوا علمها والعمل بما فيها ثم لم يحملوها ثم لم
يعملوا بها فكانهم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهو الكتاب
الكبير ويحمل في محل النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في
قوله ولقد امر على اللئيم يسبني شبه اليهود في انهم حملة التورية وقراؤها
وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا باياتها وذلك ان فيها نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من
كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد
والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله بئس مثل القوم الذين
كذبوا بايات الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله او بئس
مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بايات الدالة على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي
وقت اختيارهم الظلم او لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما قل
يا ايها الذين هادوا هاد يهود اذا تهود ان زعمتم انكم اولياء لله من
دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين كانوا يقولون نحن ابناء
الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم
وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا
بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن في ان
كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة
بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه والله عليم بالظالمين

وعيد لهم قل ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تمنوه خيفة ان
تلحقوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم لا محالة والجملة خبر ان ودخلت الفاء لتضمن
الذي معنى الشرط ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له ويوم الجمعة
سيد الايام وفي الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي
فتنة القبر فاسعوا فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعي والمضي والذهاب
واحد وليس المراد به السرعة في المشي الى ذكر الله اي الخطبة عند الجمهور وبه استدل
ابو حنيفة على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز وذروا البيع اراد الامر
بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم
الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الاخرة
واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا
البيع الذي نفعه يسير ذلكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من البيع والشراء
ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة اي اديت فانتشروا في الارض امر
اباحة وابتغوا من فضل الله الرزق او طلب العلم او عيادة المرضى او زيارة
اخ في الله واذكروا الله كثيرا واشكروه على ما وفقكم لاداء فرضه لعلكم تفلحون
واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي تفرقوا عنك اليها وتقديره واذا راوا
تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه
وانما خص التجارة لانها كانت اهم عندهم روي ان اهل المدينة اصابهم جوع
وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه الصلوة والسلام
يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه الا ثمانية فما بقي معه الا ثمانية او اثنا عشر فقال
عليه الصلوة والسلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم
الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو
المراد باللهو وتركوك على المنبر قائما تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغي
ان يخطب قائما قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة والله
خير الرازقين اي لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين

(طأت) اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ارادوا شهادة واطأت
قلوبهم فيها السنتهم والله يعلم انك لرسوله اي والله يعلم ان الامر كما
يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
في ادعاء المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن
شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسمية شهادة او انهم لكاذبون عند
انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على
خلاف ما عليه حال المخبر عنه اتخذوا ايمانهم جنة وقاية من السبي والقتل وفيه
دليل على ان اشهد يمين فصدوا الناس عن سبيل الله عن الاسلام
بالتنفير والقاء الشبه انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم
الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين
ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم
اسوء الناس اعمالا بانهم بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم
في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم آمنوا اي
نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر
كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك او
نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام (سلام)
كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية فطبع على قلوبهم فختم عليها
حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم [illegible] لا يتدبرون
او لا يعرفون صحة الايمان والخطاب في [illegible]
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يخاطب [illegible]
كان بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين في مثل صفته فكانوا
يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة
وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم
ويسمعون الى كلامهم فموضع [illegible] رفع على تقدير هم كانهم خشب او
هو كلام مستأنف لا محل له [illegible] الى الحائط شبهوا في استنادهم وما هم الا
اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع

به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا غير منتفع
به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع او لانهم اشباح بلا ارواح واجسام
بلا احلام خشب ابو عمرو وغيره عياش وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة
يحسبون كل صيحة عليهم كل صيحة مفعول اول والمفعول الثاني عليهم وتم
الكلام اي يحسبون كل صيحة واقعة لهم وضارة لهم لجبنهم ورعبهم يعني اذا
نادي مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم
قال هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدي الاعداء العدو المداجي
الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم
قاتلهم الله دعاء عليهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك اني يؤفكون
كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا
لووا بالتخفيف نافع ورايتهم يصدون يعرضون وهم مستكبرون عن الاعتذار
والاستغفار روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق
على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد
اجير لعمر رضي الله عنه وسنان الجهني حليف لابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه
يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين
ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم
والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا
رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم
وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من
الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنق المنافق يا رسول
الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فأمر
به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلوة
والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل

عليك

عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب لهو قوله اتخذوا ايمانهم
جنة فقال الحاضرون يا رسول الله هذا شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام
غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل
له قد نزلت فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه
فنزل واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما حتى اشتكى ومات سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم اي ما داموا على
النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا
يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف
الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يتفرقوا
ولله خزائن السموات والارض اي وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها
وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن المنافقين لا يفقهون ولكن عبد
الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان
يقولون لئن رجعنا من غزوة بني المصطلق الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل ولله العزة الغلبة والقوة ولرسوله وللمؤمنين ولمن اعزه الله
وايده من رسوله صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما
ان في المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض
الصالحات وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه
والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان
الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية و
لكن المنافقين لا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تلهكم لا تشغلكم اموا
والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها بالنماء وطلب النتاج ولا اولادكم
وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم عن ذكر الله او عن
الصلوات الخمس او عن القرأن ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين
وقيل من يشتغل بتثمير امواله عن تدبير احواله وبمرضات اولاده عن اصلاح
معاده فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني و

لكم

انفقوا مما رزقناكم من للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان
يأتي احدكم الموت اي من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه
من الامهال ويتعذر عليه الانفاق فيقول رب لولا اخرتني هلا اخرت
موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق فاتصدق وهو جواب لولا واكن
من الصالحين المؤمنين والآية في المؤمنين وقيل في المنافقين واكون
ابو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كانه قيل ان
اخرتني اصدق واكن ولن يؤخر الله نفسا عن الموت اذا جاء اجلها المكتوب
في اللوح المحفوظ والله خبير بما تعملون يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم
اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة وان
الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى
الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله

يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير قدم الظرفان اي له الملك ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك
والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدي كل شيء و
القايم به وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه
واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مؤمن اي فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان
وفاعل له ويدل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم وبصير بكفركم و
ايمانكم الذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو
الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم
امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم
وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر
بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن
صوركم اي جعلكم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون

صورته

صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا
غير منكب ومن كان ذميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن
على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن
وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان واليه المصير فاحسنوا سرائركم
كما احسن صوركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره
العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان شيئا من الكليات والجزئيات
غير خاف عليه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير
العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن في معنى
الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا يشكر نعمته الم يأتكم الخطاب
لكفار مكة نبأ الذين كفروا من قبل يعني قوم نوح وهود وصالح ولوط فذاقوا
وبال امرهم اي ذاقوا وبال كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في العقبى ذلك
اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في
الآخرة بانه بان الشان والحديث كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فقالوا ابشر يهدوننا انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر فكفروا
بالرسل وتولوا عن الايمان واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته
ايمانهم وطاعتهم والله غني عن خلقه حميد على صنعه زعم الذين كفروا
اي اهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدي العلم ان لن يبعثوا ان مع
ما في حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا قل بلى هو اثبات لما بعد
لن وهو البعث وربي لتبعثن اكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على
شيء انكروه قلت هو جائز لان التهدد به اعظم موقعا في القلب فكانه قيل
لهم ما تنكرونه كائن لا محالة ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك اي البعث على
الله يسير هين فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور
الذي انزلنا يعني القرآن لانه يبين حقيقة كل شيء فيهتدى به كما بالنور و
الله بما تعملون خبير فراقبوا اموركم يوم يجمعكم انتصب الظرف بقوله
لتنبؤن او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون ذلك
يوم التغابن هو مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم

بعضًا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء
ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء كما ورد
في الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما
له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله وبالنون
فيهما مدني وشامي جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين
فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة شدة ومرض وموت الاهل او شيء
يقتضي همًا الا باذن الله بعلمه وتقديره ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا
اليه راجعون او يشرحه للازدياد من الطاعة والخير او يهد قلبه حتى يعلم ان
ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي وان
اعطي شكر وان ظلم غفر والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول
فان توليتم عن طاعة الله ورسوله فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فعليه
التبليغ وقد فعل الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا ايها
الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم اي ان من الازواج ازواجا
يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد اولادا يعادون اباءهم ويعقونهم
فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا
يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا
عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها وتصفحوا تعرضوا عن
التوبيخ وتغفروا تستروا ذنوبهم فان الله غفور رحيم يغفر لكم ذنوبكم ويكفر
عنكم قيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم
واولادهم فزين لهم العفو انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم
يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما والله عنده اجر عظيم اي في

الآخرة

الآخرة وذلك اعظم من منفعتكم باموالكم واولادكم ولم يدخل فيه من
كما في العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن
العداوة فاتقوا الله ما استطعتم جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته
واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا
في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم اي انفاقا خيرا لانفسكم
وقال الكسائي يكن الانفاق خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم
وافعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان
هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من
حب الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه اي البخل بالزكوة و
الصدقة الواجبة فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا بنية
واخلاص وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة
عشرا وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يقبل القليل و
يعطي الجزيل حليم يقيل الجليل من ذنب البخيل او يضعف الصدقة لدافعها ولا
يعجل العقوبة لمانعها عالم الغيب اي يعلم ما استتر من سرائر القلوب والشهادة
اي ما انتشر من ظواهر الخطوب العزيز المعز باظهار السيوف الحكيم في الاخبار عن
الغيوب

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النبي عليه الصلوة والسلام بالنداء وعم
الخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا
كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه فكان هو وحده في حكم
كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا ايها النبي والمؤمنون ومعنى اذا
طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة
الشارع فيه لقوله عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان
الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن
مستقبلات لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن
واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة
لعدتها والمراد ان يطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعهن

فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق واحصوا العدة واضبطوها
بالحفظ واكملوها ثلثة اقراء مستقبلات كوامل لانقصان فيهن وخوطب الازواج
لغفلة النساء واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن
من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها
بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجب وان الحنث بدخول دار يسكنها
فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج ان لا يخرجهن
البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنهن او لحاجتهم الى المساكن وان لا يأذنوا
لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في دفع الحظر ولا يخرجن
بانفسهن ان اردن ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة قيل هي الزنا اي الا
ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة
في نفسه وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه لا تدري ايها المخاطب لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة
الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة
ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن
قاربن اخر العدة فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف اي فانتم بالخيار
ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة
والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في اخر عدتها ثم يطلقها تطويلا
للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا
الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد ذوي عدل منكم من المسلمين
واقيموا الشهادة لله لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود
عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم ذلكم الحث على اقامة
الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به من كان يؤمن بالله و
اليوم الاخر اي انما ينتفع به هؤلاء ومن يتق الله يجعل له مخرجا هذه جملة
اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله
فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل
الله له مخرجا في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ويعطه

الخلاص ويرزقه من حيث لا يحتسب من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز
ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به اي ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فقال مخرجا من شبهات الدنيا
ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه الصلوة والسلام اني
لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها
وروي ان عوف بن مالك اسر المشركون ابنا له فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اسر ابني وشكا الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق الله
واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته و
قال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولون
فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو
فاستاقها فنزلت هذه الاية ومن يتوكل على الله يكل امره اليه عن طمع
غيره وتدبير نفسه فهو حسبه كافيه في الدارين ان الله بالغ امره حفص
اي منفذ امره وغيره بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب
قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على
الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا
بتقديره وتوقيفه لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من
المحيض من نسائكم روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللاتي
لم يحضن فنزلت ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن
فعدتهن ثلثة اشهر اي فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس
وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن
ثلثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك و
اللائي لم يحضن هن الصغائر وتقديره واللائي لم يحضن فعدتهن ثلثة
اشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها واولات الاحمال اجلهن عدتهن
ان يضعن حملهن والنص تناول المطلقات والمتوفى عنهن وعن علي وابن
عباس رضي الله عنهم عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين ومن يتق الله

يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلل من عقده بسبب التقوي ذلك
امر الله اي ماعلم من حكم هؤلاء المعتدات انزله اليكم من اللوح المحفوظ
ومن يتق الله في العمل بما انزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة
عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ثم بين التقوي في قوله ومن يتق
الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوي في شان المعتدات فقيل اسكنوهن وكذا و
من حيث سكنتم هي من التبعيضية مبعضها محذوف اي اسكنوهن مكانا
من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم من وجدكم هو عطف بيان لقوله
من حيث سكنتم وتفسير له كانه اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة
والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي رحمهم الله لانفقة للمبتوتة
لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاسكنى لك ولانفقة وعن عمر رضي الله عنه لاندع كتاب ربنا و
سنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا
عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لايوافقهن او يشغل مكانهن
او غير ذلك حتى تضطروهن الي الخروج وان كن اي المطلقات اولات حمل
ذوات الاحمال فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وفائدة اشتراط الحمل ان
مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضي مقدار عدة الحامل
فنفي ذلك الوهم فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا
من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فاتوهن اجورهن فحكمهن
في ذلك حكم الاظائر ولايجوز الاستيجار اذا كان الولد منهن مالم يبن خلافا
للشافعي رضي الله عنه واتمروا بينكم اي تشاوروا على التراضي في الاجرة او ليأمر بعضكم
بعضا والخطاب للاباء والامهات بمعروف بمايليق بالسنة ويحسن في المروءة
فلايماكس الاب ولاتعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق
عليه وان تعاسرتم تضايقتم فلاترضع الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب
على ذلك فسترضع له اخري فستوجد ولاتعوز مرضعة غير الام
ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير

معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته ومن
قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله اي لينفق كل واحد من الموسر و
المعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات و
معنى قدر عليه رزقه ضيق اي رزقه الله على قدر قوته لايكلف الله نفسا الا
ما اتاها اعطاها من الرزق سيجعل الله بعد عسر يسرا بعد ضيق في
المعيشة سعة وهذا وعد لذي العسر باليسر وكاين من قرية اهل قرية عتت
عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا شديدا
بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا نكرا مدني وابو بكر منكرا
عظيما فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسارا وهلاكا
والمراد حساب الاخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء
به على لفظ الماضي لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو
كاين فكان قد اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا
كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا
فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوي الله وحذر عقابه و
يجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في
صحايف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما
عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين قد انزل الله اليكم ذكرا
اي القرآن وانتصب رسولا بفعل مضمر تقديره ارسل رسولا او هو بدل من ذكرا
كانه في نفسه ذكرا وعلى تقدير حذف المضاف اي قد انزل الله اليكم ذا ذكر رسولا
واريد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك لانه ذو شرف ومجد عند الله
وبالرسول جبرائيل او محمد عليهما الصلوة والسلام يتلوا اي الرسول او الله عز و
جل عليكم ايات الله مبينات ليخرج الله الذين امنوا وعملوا الصالحات اي ليحصل
لهم ماهم عليه الساعة من الايمان والعمل او ليخرج الذين علم منهم انهم يؤمنون
من الظلمات الي النور من ظلمات الكفر والجهل الي نور الايمان او العلم و
من يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله وبالنون مدني وشامي جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه قد
احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب

الله الذي خلق مبتداء وخبره سبع سموات اجمع المفسرون على ان السموات
سبع ومن الارض مثلهن بالنصب عطف على سبع سموات قيل ما في القران
اية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وهن كل سمائين مسيرة خمسمائة عام و
غلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم
سبعة يتنزل الامر بينهن اي تجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن
ليعلموا ان الله على كل شيء قدير اللام متعلق بخلق وان الله قد احاط بكل
شيء علما هو تمييز او مصدر من غير لفظ الاول اي قد علم كل شيء علما

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت
مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به
عائشة رضي الله عنها وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها
بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة
في بيت مارية فنزل جبرائيل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة
وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش
فتواطات عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك
من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال او
استيناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور
قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يواخذك به قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم قد قدر الله لكم ما تحللون به ايمانكم وهي الكفارة او قد شرع
لكم تحليلها بالكفارة او شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان
في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث و
تحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق
رقبة في تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وقيل

مولاكم

مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم
وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فيما احل وحرم واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا حديث مارية وامامة الشيخين رضي
الله عنهما فلما نبات به افشته الى عائشة رضي الله عنها واظهره الله عليه
واطلع النبي عليه الصلوة والسلام على افشائها الحديث على لسان جبرائيل عليه
السلام عرف بعضه اعلم ببعض الحديث واعرض عن بعض فلم يخبر بها
تكرما قال سفيان رحمه الله ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على
اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة
والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت و
الذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها فلما
نباها به نبا النبي حفصة بما افشت من السر الى عائشة رضي الله عنهما قالت
حفصة للنبي صلى الله عليه وسلم من انباك هذا قال نباني العليم بالسرائر
الخبير بالضمائر ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات
ليكون ابلغ في معاتبتهما وجواب الشرط عن الواجب محذوف والتقدير ان تتوبا
الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف فقد صغت مالت قلوبكما عن الواجب
في مخالصة رسول الله من حب ما يحبه وكراهتهما يكرهه وان تظاهرا عليه بالتخفيف
كوفي اي وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو
مولاه وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه يتولى ذلك بذاته وجبريل ايضا وليه
وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين اي كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برى
من النفاق وقيل الصحابة وهو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح
من الناس تريد الجنس وقيل اصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو عن الخط موافقة
للفظ والملائكة على تكاثر عددهم بعد ذلك بعد نصرة الله وجبريل وصالحي
المؤمنين ظهير فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما
كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم
ومظاهرتهم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله مدني وابو عمرو وبالتشديد
للكثرة ازواجا خيرا منكن فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم
تكن على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول

الله لا يذا ئهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه
الاوصاف خيرًا منهن مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات قانتات مطيعات فالقنوت
هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله تائبات من الذنوب ورا جعات
الي الله والي امر رسوله عابدات لله سائحات مهاجرات او صائمات وقيل للصائم
سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الي ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم
في امساكه الي ان يجئ وقت افطاره ثيبات وابكارا انما وسط العاطف بين الثيبات
والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم
بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة نوعا
من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب عليها
يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم
غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة او غلاظ الاقوال شداد الافعال
لا يعصون الله في موضع الرفع علي النعت ما امرهم في محل النصب علي البدل
اي لا يعصون ما امر الله اي امره كقوله افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وليست الجملتان في معني واحد او معني الاول انهم يتقبلون
اوامره ويلتزمونها ومعني الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون
عنه ولا يتوانون فيه يا ايها الذين لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم
تعملون في الدنيا اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا
عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا ايها الذين آمنوا توبوا الي الله توبة
نصوحا صادقة عن الاخفش وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل
نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو اخروقك في دينك وترم خللك ويجوز
ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الي مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله
الجد والعزيمة في العمل علي مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر اي
ذات نصوح او تنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود
الي الذنب الي ان يعود اللبن في الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان
يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الاستغفار باللسان
والندم بالجنان والاقلاع بالاركان عسي ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا

على

على ما جري به عادة الملوك من الاجابة بعسي ولعل ووقوع ذلك منهم موقع
القطع والبت ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ونصب يوم بيدخلكم
لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر
نورهم مبتدا يسعي بين ايديهم وبايمانهم في موضع الخبر يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا يقولون ذلك اذا انطفي نور المنافقين واغفر لنا انك علي كل شيء
قدير يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالقول الغليظ والوعظ
البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم واغلظ عليهم على الفريقين فيما تجاهدهما
به من القتال والمحاجة باللسان وماواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله
مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع
الداخلين مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم
للمؤمنين بلا محابات ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من
النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا بحال امراة
نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء اسرارهما لم يغن الرسولان
عنهما اي عن المراتين لحق ما بينهما وبينهما من ازواج اغناء ما من عذاب الله وقيل
لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم
وبين الانبياء او مع داخليهما من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرات فرعون هي آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون
بالاوتاد الاربعة اذ قالت وهي تعذب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكانها
ارادت الدرجة العالية لانه تعالي منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك
ونجني من فرعون وعمله اي من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين
من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص
منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين ومريم ابنة عمران التي احصنت
فرجها من الرجال فنفخنا فنفخ جبريل بامرنا فيه في الفرج من روحنا المخلوقة
لنا وصدقت بكلمات ربها اي بصحفه التي انزلها على ادريس عليه السلام وغيره وكتبه
بصري وحفص يعني الكتب الاربعة وكانت من القانتين لما كان القنوت

خلكم

صفة يشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز
ان يكون لابتدآء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون
اخي موسي عليهما السلام ومثل حال المؤمنين فان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا
تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله
مع كونها زوجة اعدي اعدآء الله ومريم بنت عمران وما اوتيت من كرامة
الدنيا والآخرة والاصطفآء على نسآء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي
هذين التمثيلين تعريض باُمّي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط
منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على
اغلظ وجه واشارة الي ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص كهاتين المؤمنتين
وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قاريها من عذاب القبر وجآء من قرأها في ليلة فقد اكثر واطيب
تَبَارَكَ تعالي وتعاظم عن صفات المخلوقين الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ اي في تصرفه
الملك والاستيلاء على كل موجود او هو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه
ممن يشآء وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ من المقدورات او من الانعام والانتقام قدير
قادر على الكمال الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ خبر مبتداء محذوف او بدل من الذي قبله وَالْحَيَوٰةَ
اي ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك
المصحح واعدامه والمعني خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون لِيَبْلُوَكُمْ ليمتحنكم بالامر
والنهي فيما بين الموت الذي يعم الامير والاسير والحيوة التي لا تفي بعليل ولا
طبيب فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم اَيُّكُمْ
مبتداء خبره اَحْسَنُ عَمَلًا اي اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب
ان يكون على السنة والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وسلط
عليكم الموت الذي هو داعيكم الي اختيار العمل الحسن على القبيح فاو رآءه البعث
والجزآء والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوي الناس داعيا
الي العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الي المسوق له الاية اهم
ولما قدم الموت الذي اثر صفة القهر على الحيوة التي اثر صفة اللطف في قوله وَهُوَ
الْعَزِيزُ اي الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الْغَفُورُ الستور الذي لا ييأسه

منه اهل الاساءة والزلل الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ طِبَاقًا مطابقة بعضها
فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر
او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب في
مَا تَرٰي فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ للرسول عليه الصلوة والسلام او لكل مخاطب مِنْ تَفَاوُتٍ
من تفوت حمزة وعلي ومعنى البنائين واحد كالتعاهد والتعهد اي من اختلاف
واضطراب وعن السدي من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض
الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا واصلها ما تري فيهن
من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب
سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق
مثل ذلك الخلق المتناسب فَارْجِعِ الْبَصَرَ رده الي السمآء حتى يصح عندك ما
اخبرت به بالمعاينة ولا تبقي معك شبهة فيه هَلْ تَرٰي مِنْ فُطُورٍ صدوع وشقوق
جمع فطر وهو الشق ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ تكرر النظر مرتين اي كرتين مع الاولي
وقيل سوي الاولي فيكون ثلاث مرات وقيل لم يرد به الاقتصار على مرتين بل
اراد به التكرير اي كرر نظرك ودققه هل تري خللا او عيبا وجواب الامر يَنْقَلِبْ
يرجع اِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا ذليلا او بعيدا مما يريد وهو حال من البصر وَهُوَ
حَسِيرٌ كليل معي ولم ير فيها خللا وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا القربي اي السماء
الدنيا منكم بِمَصَابِيحَ بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح والمصابيح السرج فسميت
بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل
ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها في
اضاءة وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ اي لاعدائكم الذين يخرجونكم من
النور الي الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسمآء ورجوما
للشياطين وعلامات يهتدي بها فمن تأول غير ذلك فقد تكلف ما لا علم
له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعني كونها رجوما للشياطين
ان ينفصل عنها شهاب كقبس يوخذ من نار فيقتل الجني او يخبله لا ان الكواكب تزول
عن مكانها لانها قارة في الفلك على حالها وَاَعْتَدْنَا لَهُمْ للشياطين وغيرهم عَذَابَ
السَّعِيرِ في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ولكل من
كفر بالله من الشياطين وغيرهم عَذَابُ جَهَنَّمَ ليس الشياطين المرجومون مخصوصين

يحيكم

منه

بذلك وبئس المصير المرجع جهنم اذا القوا فيها طرحوا في جهنم كما يطرح
الحطب في النار العظيمة سمعوا لها لجهنم شهيقا صوتا منكرا كصوت الحمار
شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل
بما فيه تكاد تميز اي تتميز يعني تتقطع وتتفرق من الغيظ على الكفار بجعلت
كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم كلما القي فيها فوج جماعة من
الكفار سالهم خزنتها مالك واعوانه من الزبانية توبيخا لهم الم يأتكم نذير
رسول يخوفكم من هذا العذاب قالوا بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بعدل
الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه فكذبنا
اي فكذبناهم وقلنا ما نزل الله من شيء مما يقولون من وعد ووعيد وغير ذلك
ان انتم الا في ضلال كبير اي قال الكفار للمنذرين ما انتم الا في خطأ عظيم فالنذير
بمعنى الانذار ثم وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا
وجاز ان يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال
الهلاك او سموا جزاء الضلال باسمه كما سمي جزاء السيئة والاعتداء سيئة و
اعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان او كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي
قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع الانذار سماع طالب الحق او نعقل
اي نعقله عقل متأمل ما كنا في اصحاب السعير في جملة اهل النار وفيه دليل
على ان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان فاعترفوا
بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب السعير وبضم الحاء
وعلى اي فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم
وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء ان الذين يخشون ربهم بالغيب
قبل معاينة العذاب لهم مغفرة للذنوب واجر كبير اي الجنة واسروا قولكم
او اجهروا به ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوي عندكم
اسراركم واجهاركم في علم الله بهما روي ان مشركي مكة كانوا ينالون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبرائيل عليه الصلوة والسلام بما قالوا فيه و
نالوا منه فقالوا فيما بينهم اسروا قولكم كيلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله
بقوله انه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان يترجم الالسنة عنها فكيف لا
يعلم ما تكلم به الا يعلم من خلق من في موضع رفع بانه فاعل يعلم وهو اللطيف

الخبير

الخبير انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته انه اللطيف
اي العالم بدقايق الاشياء الخبير العالم بحقايق الاشياء وفيه اثبات خلق
الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال ابو بكر الاصم وجعفر
ابن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتجا بهذا لنفي خلق
الافعال هو الله الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة سهلة مذللة لا
يمتنع المشي فيها فامشوا في مناكبها جوانبها استدلالا واسترزاقا او جبالها
او طرقها وكلوا من رزقه اي من رزق استخرجه فيها واليه النشور اي واليه نشوركم
فهو سائلكم عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السماء اي من ملكوته
في السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه فكانه
قال ءامنتم خالق السماء وملكه ولانهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء
وان الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من تزعمون
انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض كما خسف بقارون
فاذا هي تمور تضطرب وتتحرك ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
حجارة ان يرسل بدل من من بدل اشتمال وكذا ان يخسف فستعلمون كيف نذير
اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم ولقد كذب
الذين من قبلهم من قبل قومك فكيف كان نكير اي انكاري عليهم اذا
اهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله اولم يروا
الى الطير جمع طاير فوقهم في الهواء صافات باسطات اجنحتهن في
الجو عند طيرانها ويقبضن ويضممن اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن
معطوف على اسم الفاعل حملا على معنى اي تصففن ويقبضن او صافات و
قابضات واختيار هذا التركيب باعتبار ان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان
الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والاصل في
السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار
به على التحرك فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن
القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن عن الوقوع عند القبض
والبسط الا الرحمن بقدرته والا فالثقيل يسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو امسك
حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل

ها الامن الضمير في يقبضن بحوز انه بكل شي بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر
العجايب امن مبتداء خبره هذا وتبدلامن هذا الذي هو جند لكم ومحل ينصركم
من دون الرحمن رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر
غير الله تعالى ان الكافرون الا في غرور اي ماهم الا في غرور امن هذا الذي
يرزقكم ان امسك رزقه ام من مشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان
امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جمع الاوثان لا
عتقادهم انهم يحفظون من النوايب ويرزقون ببركة الهتهم فكانه جند
الناصر والرازق فلما لم يتعضوا اضرب عنهم فقال بل لجوا تمادوا في عتو
استكبار عن الحق ونفور وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا
للكافر والمؤمن فقال افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى اي ساقطا على وجهه
يعثر كل ساعة ويمشي معتسفا وخبر من اهدى اي ارشد فاكب مطاوع كبه يقال
كبته فاكب امن يمشي سويا مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور على صراط
مستقيم على صراط مستو وخبر من محذوف لدلالة اهدى عليه وعن الكلبي
عنى بالمكب ابو جهل وبالسوي النبي صلى الله عليه وسلم قل هو الذي انشاكم
خلقكم ابتداء وجعل لكم السمع والابصار والافيدة خصها لانها الات
العلم قليلا ما تشكرون هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة
والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم قل
هو الذي ذراكم خلقكم في الارض واليه تحشرون للحساب والجزاء ويقولون
اي الكافرون للمؤمنين استهزاء متى هذا الوعد الذي تعدوننا به يعني العذاب
ان كنتم صادقين في كونه فاعلموا زمانه قل انما العلم اي علم وقت العذاب
عند الله وانما انا نذير مخوف مبين ابين لكم الشرايع فلما راوه اي الوعد يعني
العذاب الموعود زلفة قريبا منهم وانتصابها على الحال سيئت وجوه الذين
كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكابة والساءة وغشيها
القترة والسواد وقيل هذا الذي القائلون الزبانية كنتم به تدعون تفتعلون
من الدعاء اي يسألون تعجيله ويقولون ائتنا بما تعدنا او هو من الدعوى اي
كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرا يعقوب تدعون قل ارايتم ان اهلكني
الله اي اماتني كقوله ان امرؤ هلك ومن معي من الاصحاب او رحمنا فاخر في اجالنا

فمن يجير ينجي الكافرين من عذاب اليم مؤلم كان كفار مكة يدعون على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول نحن
مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى
الجنة او نرحم بالنصرة عليكم كما نرجوا فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم
كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه وعليه توكلنا اي الذي ادعوكم اليه
الرحمن امنا به صدقناه ولم نكفر به كما كفرتم وعليه توكلنا فوضنا اليه امورنا
لعلمنا انه لا يفعل بنا الا ما هو صلاحنا من احياء واماتة فستعلمون اذا نزل
بكم العذاب وبالياء على من هو في ضلال مبين نحن ام انتم قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر
كعدل بمعنى عادل فمن ياتيكم بماء معين جار يصل اليه من اراده وتليت عند
ملحد فقال ياتي بالمعول والمعين فذهب ماء عينيه في تلك الليلة وعمي وقيل انه محمد
بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم واما قول الحسن انه الدواة
وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه يهموت فمشكل لانه لا بد
له من الاعراب سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف
التهجي   اي ما كتب به اللوح او قلم الملائكة او الذي يكتب به الناس اقسم
به لما فيه من المنافع والفوائد لا يحيط بها الوصف   اي ما يسطره
الحفظة او ما يكتب من الخير من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب القسم
اي بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها
وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة يتعلق بمجنون و
محله النصب على الحال والعامل فيها مجنون تقديره ما انت بمجنون منعما عليك بذلك
ولم يمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي وهو جواب قولهم
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون   على احتمال ذلك و
الصبر عليه   لثوابا   غير مقطوع او غير ممنون عليك
قيل هو ما امره الله به في قوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض
عن الجاهلين فقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران اي ما فيه من مكارم

قل هو الرحمن

الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما فستبصر
ويبصرون اي عن قريب ترى ويرون وهذا وعد لهم بأيكم المفتون المجنون
لانه فتن اي محن بالجنون والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول اي بأيكم
الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى في تقول كنت ببلدك كذا اي في بلدك كذا
وتقديره في ايكم المفتون اي في اي الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام او
فريق الكفر ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي هو اعلم بالمجانين على
الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي هو اعلم بالعقلا
وهم المهتدون فلا تطع المكذبين تهييج للتدميم على معاصاتهم وقد ارادوه
على ان يعبد والله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم ودوا لو تدهن
لو تلين لهم فيدهنون فيلينون لك ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمنى لانه
عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون يعني
فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في
الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف مهين حقير في الرأي والتمييز
من المهانة وهي القلة والحقارة او كذاب لانه حقير عند الناس هماز طعان
مغتاب مشاء بنميم نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد
بينهم والنميم والنميمة بالسعاية مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله
من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه
العشرة من اسلم منكم منعته رفدي معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثام
عتل غليظ جاف بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب زنيم دعي وكان
الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده
وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشي
منها روي انه دخل على امه وقال ان محمدا عليه الصلوة والسلام وصفني بعشر
صفات ووجدت تسعة في واما الزنيم فلا علم لي به فان اخبرتني بحقيقته والا
ضربت عنقك فقالت ان اباك عنين وخفت ان يموت فيصل ماله الى غير ولده
فدعوت راعيا الى نفسي فانت من ذلك الراعي ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا
تطع اي ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من
الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده اي لان كان ذا مال وبنين كذب باياتنا يدل عليه

ووعيد لهم

اذا تتلى عليه آياتنا اي القرآن قال اساطير الاولين ولا يعمل فيه قال لان ما
بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ءان حمزة وابو بكر اي الان كان ذا مال كذب آان
شامي ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبي عليه الصلوة و
السلام كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة اسماء صادقا
فان كان من عدله ان يجزي المسيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كان
من فضله انه من صلى عليه واحدة صلى عليه عشرا سنسمه سنكويه ثم على
الخرطوم على انفه اهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم
عليه ابشع وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه انا بلوناهم
امتحنا اهل مكة بالقحط والجوع حتى اكلوا الجيف والرمم بدعاء النبي صلى الله
عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني
يوسف كما بلونا اصحاب الجنة هم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة
بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء فكان يأخذ منها
قوت سنة ويتصدق الباقي على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان
يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في
السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقال
الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول اذ اقسموا حلفوا ليصرمنها ليقطعن
ثمرها مصبحين داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل يصرمنها
ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وسمي استثناء وان كان شرطا صورة لانه
يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج
الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها طائف من ربك نزل عليها بلاء قيل
انزل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وهم نائمون اي في حال نومهم فاصبحت
فصارت الجنة كالصريم كالليل المظلم اي احترقت فاسودت او كالصبح اي
صارت ارضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة اي كانها صرمت لهلاك ثمرها
فتنادوا مصبحين نادى بعضهم بعضا عند الصباح ان اغدوا باكروا على حرثكم
ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه او ضمن الغدو معنى
الاقبال اي فاقبلوا على حرثكم باكرين ان كنتم صارمين مريدين صرامه فانطلقوا
ذهبوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين ان لا يدخلنها اي

الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين والنهي عن دخول المسكين نهي عن التمكين اي لا تمكنوه
من الدخول وغدوا على حرد على جد في المنع قادرين عند انفسهم على المنع كذا عن
نفطويه والحرد القصد والسرعة اي وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعتهم قادرين
عند انفسهم على صرامها وزي منفعتها عن المساكين او هو علم للجنة اي غدوا على
تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم فلما راوها اي جنتهم محترقة
قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من
هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا
على انفسنا قال اوسطهم اعدلهم وخيرهم الم اقل لكم لولا تسبحون هلا تستثنون
اذ الاستثناء تسبيح لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه
والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم او لولا تذكرون
الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك
اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه
فعيرهم ولهذا قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بعد خراب البصرة
بما كان يدعوهم الى التكلم به اولا واقروا على انفسهم بالظلم في منع المعروف
وترك الاستثناء ونزهوه عن ان يكون ظالما فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد اللائمة
على آخر ثم اعترفوا جميعا بانهم تجاوزوا الحد بقوله قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء عسى ربنا ان يبدلنا وبالتشديد مدني
وابو عمرو خيرا منها من هذه الجنة انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير
راجون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضي الله عنه
بلغني انهم اخلصوا فابدلهم بها جنة يسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا
كذلك العذاب اي مثل ذلك العذاب الذي ذكرنا عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم
ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لما فعلوا ما يفضي الى هذا العذاب
ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال ان للمتقين عن الشرك عند ربهم اي في الآخرة
جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنان الدنيا افنجعل
المسلمين كالمجرمين استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى

في الآخرة

في الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما في الدنيا فقيل لهم انحيف في الحكم
فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون
هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي كأن امر الجزاء مفوض
اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون
في ذلك الكتاب ان لكم فيه لما تخيرون اي ما تختارونه وتشتهونه لكم
والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس
عليه وانما كسرت اللام في خبره ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره اخذ
خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة نعت ايمان و
يتعلق الى يوم القيمة ببالغة اي انها تبلغ ذلك وتنتهي اليه وافرة لم تبطل
منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم او بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة
لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم و
اعطيناكم ما تحكمون ان لكم لما تحكمون به لانفسكم وهو جواب القسم
لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد
سلهم اي المشركين ايهم بذلك الحكم زعيم كفيل بانه يكون ذلك ام لهم
شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه ام لهم
فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا
ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا
زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا يوم يكشف عن ساق ناصب الظرف فليأتوا
او اذكر مضمرا والجمهور على ان الكشف عن الساق عبارة عن شدة الامر فمعنى يوم
يكشف عن ساق ومعنى يوم يشتد الامر ويصعب ولا كشف ثم ولا ساق و
لكن كني به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما يقول
للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمه ولا غل وانما هو كناية عن البخل واما
من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه
لكان من حق الساق وان تعرف لانها ساق معهودة عنده ويدعون اي الكفار
ثم الى السجود لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود في الدنيا فلا يستطيعون
ذلك لان ظهورهم تصير كصياصي البقر لا تنثني عند الرفع والخفض خاشعة

ذليلة حال من الضمير في يدعون ابصارهم اي يدعون في حال الخشوع ابصارهم
ترهقهم ذلة يغشاهم صغار وقد كانوا يدعون على السن الرسل عليهم السلام
الى السجود في الدنيا وهم سالمون اي وهم اصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن
السجود ثم فذرني يقال ذرني واياه اي كله الي فاني اكفيكه ومن يكذب
معطوف على المفعول او مفعول معه بهذا الحديث بالقرآن والمراد كل امره الي
وخل بيني وبينه فاني عالم بما ينبغي ان يفعل به مطيق له ولا تشغل قلبك بشانه
وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا
للمكذبين سنستدرجهم سنديهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه
الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى نورطه فيه واستدراج الله العصاة
ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصي
من حيث لا يعلمون من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج قيل كلما جددوا
معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكرا قال عليه الصلوة والسلام اذا رأيت
الله ينعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا الآية
وأملي لهم وامهلهم ان كيدي متين قوي شديد فسمى احسانه وتمكينه
كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل
ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز ان
يسمى كائدا وماكرا ومستدرجا ام تسألهم على تبليغ الرسالة اجرا فهم من
مغرم غرامة مثقلون فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفي اي لست تطمع اجرا على
تبليغ الوحي فيثقل عليهم فيمتنعوا لذلك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ
عند الجمهور فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير
نصرتك عليهم لانهم ان امهلوا لم يهملوا ولا تكن كصاحب الحوت اي كيونس عليه
الصلوة والسلام في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على
الحوت اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول لمحذوف
اي واذكر اذ نادى بدعائه في بطن الحوت بلا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه لولا ان تداركه نعمة
من ربه اي لولا ان الله انعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره لنبذ من بطن الحوت
بالعراء بالفضاء وهو مذموم معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم فاجتباه

ربه اصطفاه لدعائه وعذره فجعله من الصالحين من المستكملين بصفات
الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول
لانه كان مرسلا ونبيا لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
الآية وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وبفتح الياء مدني
ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وازلقه ازاله عن مكانه اي قارب
الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة ان يزيلوك بابصارهم
عن مكانك او يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني اسد و
كان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله
الا هلك فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه و
سلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله عن ذلك وفي الحديث
العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رضي الله
عنه رقية العين هذه الآية لما سمعوا الذكر القرآن ويقولون حسدا على ما
اوتيت من النبوة انه لمجنون ان محمدا لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو
اي القرآن الا ذكر وعظ للعالمين للجن والانس يعني انهم جننوه لاجل القرآن
وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا
الذكر اي ذكره عليه الصلوة والسلام وما هو اي محمد صلى الله عليه وسلم الا ذكر شرف
للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون

الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها من
حق يحق بالكسر اي وجب ما الحاقة مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة
ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها اي حقها ان يستفهم عنها لعظمها
فوضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التهويل وما ادراك واي شيء اعلمك
ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة
بحيث لا يبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده
في موضع نصب لانه مفعول ثان لادرى كذبت ثمود وعاد بالقارعة
اي بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من اسماء القيامة وسميت بها
لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر من كذب بها

وماحلّ بهم بسبب التكذيب تذكيراً لاهل مكة وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف
فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم
ولكن هذا لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح اي بالدبور لقوله عليه
الصلوة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور صرصر شديدة
الصوت من الصرة الصيحة او باردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد
كثر فهي تحرق بشدة بردها عاتية متتابعة لا ينقطع شديدة العصف او
عتت على خزانها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على اعداء الله سخرها
سلطها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وكان ابتداء العذاب يوم الاربعاء
اخر الشهر الى الاربعاء الاخر حسوما متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود
تمثيلا لتتابعها كتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى
حتى ينحسم وجاز ان يكون مصدرا اي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استيصالا
فترى ايها المخاطب القوم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى
حال جمع صريع كانهم حال اخرى اعجاز اصول نخل جمع نخلة خاوية
ساقطة او بالية فهل ترى لهم من باقية من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى
الطغيان وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصري
وعلي اي ومن عنده من تباعه والمؤتفكات قرى قوم لوط فهي ائتفكت اي انقلبت
بهم بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او بالافعال ذات الخطأ العظيم فعصوا
اي قوم لوط رسول ربهم لوطا فاخذهم اخذة رابية شديدة زائدة في
الشدة كما زادت قبائحهم في القبح انا لما طغى الماء ارتفع وقت الطوفان
على اعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا حملناكم اي اباءكم في الجارية في
سفينة نوح عليه السلام لنجعلها اي الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق
الكافرين لكم تذكرة عظة وعبرة وتعيها وتحفظها اذن بضم
الذال غير نافع واعية حافظة لما تسمع قال قتادة هي اذن عقلت عن الله
وانتفعت بما سمعت فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة هي النفخة الاولى ويموت
عندها الناس والثانية يبعثون عندها وحملت الارض والجبال رفعتا
عن موضعهما فدكتا دكة واحدة دقتا وكسرتا اي ضرب بعضها ببعض حتى

تندق

تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة
نزلت النازلة وهي القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا وانشقت
السماء فتحت ابوابا فهي يومئذ واهية مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت
محكمة والملك للجنس بمعنى الجمع وهو اعم من الملائكة على ارجائها جوانبها
واحدها رجى مقصور لانها اذا انشقت وهي مسكن الملائكة فيلجؤن الى
اطرافها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملك الذين على ارجائها يومئذ
ثمانية منهم واليوم تحمله اربعة وزيدت اربعة اخرى يوم القيمة وعن الضحاك
ثمانية صفوف وقيل ثمانية اصناف يومئذ تعرضون للحساب والسؤال شبه
ذلك بعرض السلطان العسكر ليعرف احواله لا تخفى منكم خافية سريرة
وحال كانت تخفى في الدنيا وبالياء كوفي غير عاصم في الحديث يعرض الناس
يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها
تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله فاما تفصيل
للعرض من اوتي كتابه بيمينه فيقول سرورا به لما يرى فيه الخيرات خطابا   لجماعة
هاؤم اسم للفعل اي خذوا اقرؤا كتابيه تقديره هاؤم كتابي اقرؤا
كتابيه فحذف الاول لدلالة الثاني عليه والعامل في كتابيه اقرؤا عند البصريين
لانهم يعملون الاقرب والهاء في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت
وحقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا
لثباتها لثبوتها في المصحف اني ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان
الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام ولان ما يدرك
بالاجتهاد قلما يخلو عن الوساوس والخواطر وهي تفضي الى الظنون فجاز اطلاق
لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه اني ملاق حسابيه معاين حسابي فهو في
عيشة راضية ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن في جنة عالية رفيعة
المكان او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور وهو خبر بعد خبر
قطوفها دانية ثمارها قريبة من مريدها ينالها القاعد كالقائم يقال لهم
كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا لا مكروه فيها ولا اذى او هنيتم هنيئا
على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية
الماضية من ايام الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنه هي في الصائمين اي كلوا

واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ لما يرى فيها من الفضايح وَلَمْ أَدْرِ
مَا حِسَابِيَهْ اي ياليتني لم اعلم ما حسابي يَا لَيْتَهَا يا ليت الموتة التي
متها كَانَتِ الْقَاضِيَةَ اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما الق
مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ اي لم ينفعني ما جمعته في الدنيا فما نفي والمفعول محذوف
اي شيئا هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا
ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي اي بطلت حجتي التي
احتج بها في الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم خُذُوهُ فَغُلُّوهُ اي اجمعوا
يديه الى عنقه ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ادخلوه يعني ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار
العظمى ونصب الجحيم بفعل يفسره صلوه ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا طولها سَبْعُونَ
ذِرَاعًا بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله فَاسْلُكُوهُ
فادخلوه والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على
التصلية إِنَّهُ تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بانه
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ على بذل طعام المسكين
وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين
الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الاخرة فاذا
لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم اي انه مع كفره لا يحرض غيره على
اطعام المحتاجين وفيه دليل قوي على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على
الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك
الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل احق وعن ابي الدرداء انه كان
يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان فنخلع نصفها بهذا وهذه الايات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا
والكافرون لا يرحمون لانه قسم الخلق صنفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين ووصفهم
بالايمان فحسب بقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وصنفا منهم اهل الشمال
ووصفهم بالكفر بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز ان الذي يعاقب
من المؤمنين انما يعاقب قبل ان يؤتى كتابه بيمينه فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا
حَمِيمٌ قريب يرفع عنه ويحرق له قلبه وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ غسالة

اهل

اهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة واريد به هنا ما يسيل من ابدانهم
من الصديد والدم لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ الكافرون اصحاب الخطايا
وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ من الاجسام والارض
والسماء وَمَا لَا تُبْصِرُونَ من الملائكة والارواح فالحاصل انه اقسم بجميع
الاشياء إِنَّهُ اي القرآن لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ اي محمدا وجبرائيل عليهما السلام
اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ كما
تدعون قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ كما تقولون قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ
بالياء فيهما مكي وشامي ويعقوب وسهل وتذكرون بتخفيف الذال كوفي
غير ابي بكر والقلة في معنى العدم يقال هذه ارض قل ما تنبت اي لا تنبت
اصلا والمعنى لا يؤمنون ولا تذكرون البتة تَنْزِيلٌ هو تنزيل بيانا لانه
قول رسول نزل عليه مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ
ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك
بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته
ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال
اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في
جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه
ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ
لقطعنا وتينه وهو نياط القلب اذا قطع مات صاحبه فَمَا مِنْكُمْ الخطاب
للناس او للمسلمين مِنْ أَحَدٍ من زائدة عَنْهُ عن قتل محمد عليه الصلوة والسلام
وجمع حَاجِزِينَ وان كان وصف احد لانه في معنى الجماعة ومعنى قوله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله وَإِنَّهُ وان القرآن لَتَذْكِرَةٌ لعظة لِلْمُتَّقِينَ المكذبين
وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ به وَإِنَّهُ وان القرآن لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ به المكذبين له
اذا رأوا ثواب المصدقين به وَإِنَّهُ وان القرآن لَحَقُّ الْيَقِينِ لعين اليقين
ومحض اليقين فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله
سبحان الله

سَأَلَ سَائِلٌ هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك

لحسرة على الكافرين

فامطر علينا حجارة من السمآء او ائتنا بعذاب اليم او هو النبي عليه الصلوة و
السلام دعى بنزول العذاب ولما ضمن سال معنى دعى عدي تعديته كانه
قيل دعى داع **بعذاب واقع** من قولك دعى بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه
قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همز مدني وشامي وهو من
السؤال ايضا الا انه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا **للكافرين** صفة
لعذاب اي بعذاب واقع كاين للكافرين **ليس له** بذلك العذاب **دافع** راد
ذي المعارج متصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع اي ليس له دافع من جهته
تعالى اذا جاء وقته **ذي المعارج** اي مصاعد السمآء للملائكة جمع معرج
وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع
فقال **تعرج** تصعد وبالياء علي **الملائكة والروح** اي جبرائيل عليه السلام
خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه او خلق هم حفظة على الملائكة كما
ان الملائكة حفظة علينا او ارواح المؤمنين عند الموت **اليه** الى عرشه ومهبط
امره **في يوم** من صلة تعرج **كان مقداره خمسين الف سنة** من سني الدنيا لو صعد
فيه غير الملك او من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة
من سنيكم وهو يوم القيمة فاما ان يكون استطالة لشدته على الكفار او لانه
على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر
ذلك على المؤمنين الا كما بين الظهر والعصر **فاصبر** متعلق بسال سائل لان
استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزآء برسول الله والتكذيب
بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله فامر بالصبر عليه **صبرا جميلا** بلا
جزع ولا شكوي **انهم** ان الكفار **يرونه** اي العذاب او يوم القيمة **بعيدا**
مستحيلا **ونريه قريبا** كاينا لا محالة فالمراد بالبعيد البعيد بالامكان وبالقريب
القريب منه نصب **يوم تكون السمآء** بقريبا اي يمكن في ذلك اليوم او هو بدل
عن في يوم فيمن علقه بواقع **كالمهل** كالكدر دي الزيت او كالفضة المذابة
في تلونها **وتكون الجبال كالعهن** كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد
بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح **ولا يسئل حميم حميما** لا يسأل
قريب عن قريب اي لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه **يبصرونهم** صفة اي

من الله

حميما

حميما مبصرين معرفين اياهم او مستأنف كانه لما قيل ولا يسأل حميم حميما
قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم
والواو ضمير الحميم الاول وهم ضمير الحميم الثاني اي يبصر الاحماء فلا يخفون
عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع **يود المجرم**
يتمنى المشرك وهو مستأنف او حال من الضمير المرفوع او المنصوب من يبصرونهم
لو يفتدي من عذاب يومئذ وبالفتح مدني وعلي على البناء للاضافة
الى غير متمكن **ببنيه وصاحبته** زوجته **واخيه وفصيلته** وعشيرته الادنين
التي تؤويه تضمه انتماء اليها وبغير همز يزيد **ومن في الارض جميعا** من
الناس **ثم ينجيه** الافتداء عطف على يفتدي **كلا** ردع للمجرم عن الودادة
وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب **انها** ان النار و
دل ذكر العذاب عليها او هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر او ضمير القصة **لظي**
علم للنار **نزاعة** حفص والمفضل على الحال المؤكدة او على الاختصاص
للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان او على هي نزاعة **للشوي** للاطراف
الانسان كاليدين والرجلين او جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا
متفرقة ثم تعود الى ما كانت **تدعو** باسمائهم يا كافر يا منافق الي الي وتهلك
من قولهم دعاك الله اي اهلكك او لما كان مصيرهم اليها جعلت كانها دعتهم
من ادبر عن الحق **وتولي** عن الطاعة **وجمع** المال **فاوعي** فجعله في
وعاء ولم يؤد حق الله منه **ان الانسان** اريد به الجنس ليصح استثناء
المصلين منه **خلق هلوعا** عن ابن عباس تفسيره ما بعده **اذا مسه الشر
جزوعا واذا مسه الخير منوعا** والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة
المنع عند مس الخير وسال محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال
قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر
شدة الجزع واذا ناله خير بخل ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة
طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغني او المرض
والصحة **الا المصلين الذين هم على صلوتهم** اي صلواتهم الخمس **دائمون** اي
يحافظون عليها في مواقيتها عن ابن مسعود رضي الله عنه **والذين في اموالهم
حق معلوم** يعني الزكوة لانها مقدرة معلومة او صدقة توظفها الرجل على

نفسه يؤديها في اوقات معلومة للسائل للذي يسأل والمحروم الذي
يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يوم
الجزاء والحساب وهو يوم القيمة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون
واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مأمون بالهمز سوي ابي عمرو اي لا ينبغي
لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغي ان يكون مترجحا بين
الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون الا علي ازواجهم نسائهم
او ما ملكت ايمانهم اي اماتهم فانهم غير ملومين علي ترك الحفظ فمن ابتغي
طلب منكحا وراء ذلك غير الزوجات والمملوكات فاولئك هم العادون
المجاوزون عن الحلال الي الحرام وهذه الاية يدل علي حرمة المتعة ووطي الذكور
والبهائم والاستمناء بالكف والذين هم لاماناتهم لاماناتهم مكي وهي يتناول
امانات الشرع وامانات العباد وعهدهم اي عهودهم ويدخل فيها عهود
الخلق والنذور والايمان راعون حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل
الامانات مايدل عليه العقول والعهد ما اتي به الرسول والذين هم بشهادتهم
حفص وسهل ويعقوب قائمون يقيمونها عند الحكام بلا ميل
الي قريب وشريف وترجيح للقوي علي الضعيف اظهارا للصلابة في الدين و
رغبة في احياء حقوق المسلمين والذين هم علي صلوتهم يحافظون كرر ذكر
الصلوة لبيان انها اسم او لان احديهما للفرايض والاخري للنوافل وقيل الدوام
عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها او الدوام
عليها اداؤها في اوقاتها والمحافظة عليها حفظ اركانها وواجباتها وسننها
وادابها اولئك اصحاب هذه الصفات في جنات مكرمون هما خبران فمال كتب
مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضي الله عنه الذين كفروا قبلك نحوك معمول
مهطعين مسرعين حال من الذين كفروا عن اليمين وعن الشمال عن يمين
النبي صلي الله عليه وسلم وشماله عزين حال اي فرقا شتي جمع عزة واصلها عزوة
كان كل فرقة تعتزي الي غير من تعتزي اليه الاخري فهم مفترقون كان المشركون
يحتفون حول النبي صلي الله عليه وسلم حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن
لكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل بضم الياء وفتح الخاء سوي المفضل جنة

نعيم كالمؤمنين كلا ردع لهم من طمعهم في دخول الجنة انا خلقناهم مما
يعلمون اي من النطفة المذرة ولذلك ابهم اشعارا بانه منصب يستحيي
من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقديم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم
ومعناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني ادم كلهم ومن حكمنا ان لا
يدخل احد الجنة الا بالايمان فلم يطمع ان يدخلها من لا ايمان فلا اقسم برب
المشارق مطالع الشمس والمغارب ومغاربها انا لقادرون علي ان نبدل
خيرا منهم علي ان نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن
بمسبوقين بعاجزين فذرهم فدع المكذبين يخوضوا في باطلهم ويلعبوا
في دنياهم حتي يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب يوم بدل من يومهم
يوم يخرجون بفتح الياء وبضم الراء سوي الاعشي والبرجمي من الاجداث
القبور سراعا جمع سريع حال اي الي الداعي كانهم حال الي نصب شامي وحفص
وسهل ونصب المفضل ونصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله
يوفضون يسرعون خاشعة حال من ضمير يخرجون اي ذليلة ابصارهم يعني
لا يرفعونها الذلتهم ترهقهم ذلة يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا
يوعدون في الدنيا وهم يكذبون به

انا ارسلنا نوحا قيل معناه بالسريانية الساكن الي قومه ان انذر قومك واصله
بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب
او ان مفسرة بمعني اي لان في الارسال معني القول من قبل ان يأتيهم عذاب اليم
عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم اضافهم الي نفسه اظهارا للشفقة اني
لكم نذير مبين ابين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها ان اعبدوا الله وحدوه
وان هذه هي ان انذر في الوجهين واتقوه واحذروا عصيانه واطيعون فيما
امركم به وانهاكم عنه وانما اضافه الي نفسه لان الطاعة قد يكون لغير الله تعالي
بخلاف العبادة يغفر لكم جواب الامر من ذنوبكم للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان او للتبعيض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام
كالقصاص وغيره كذا في شرح التاويلات ويؤخركم الي اجل مسمي وهو وقت
موتكم ان اجل الله اي الموت اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون اي لو كنتم تعلمون

ماعجل بكم من الندامة عند انقضاء آجلكم لامنتم وقيل ان الله تعالى قضى
مثلا ان قوم نوح عليه السلام ان امنوا عمرهم الف سنة وان لم يؤمنوا اهلكهم
على رأس تسعمائة فقيل لهم امنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي تبلغوا الف سنة ثم اخبر
ان الالف اذا جاء لا يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على انفسهم الاهلاك
من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكانه عليه السلام امنهم عن
ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا
اي انكم ان اسلمتم بقيتم الى الاجل المسمى آمنين من عدوكم قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا دائبا بلا فتور فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن طاعتك
ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار في الحقيقة
وهو كقوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا والقرآن لا يكون سببا
لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر
هذا فلا يغرنك فان ابي قد اوصاني به وانى كلما دعوتهم الى الايمان بك
لتغفر لهم اي ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب جعلوا اصابعهم في
آذانهم سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامي واستغشوا ثيابهم وغطوا
بثيابهم لئلا يبصرو في كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله واصروا
واقاموا على كفرهم واستكبروا استكبارا وتعظموا عن اجابتي وذكر المصدر
دليل على فرط استكبارهم ثم انى دعوتهم جهارا مصدر في موضع الحال اي
مجاهرا او مصدر دعوتهم كقعد القرفصا لان الجهار احد نوعي الدعا يعني
اظهرت لهم الدعوة في المحافل ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي
خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر والحاصل انه دعاهم ليلا ونهارا في السر
ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدي
بالاهون ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة
فلما لم يؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان وثم يدل على تباعد الاحوال لان
الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما فقلت
استغفروا ربكم من الشرك لان الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر
كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب انه كان غفارا
لم يزل غفار الذنوب من ينيب اليه يرسل السماء المطر عليكم مدرارا كثيرة

الدرور ويمددكم باموال وبنين يزدكم اموالا وبنين ويجعل لكم جنات
بساتين ويجعل لكم انهارا جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال
والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس
الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة او سبعين فوعدهم انهم
ان امنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه
انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال
لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء
الصادقة التي لا تخطى وقرأ الايات وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال
استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم
كلهم بالاستغفار فقال له الربيع اتاك رجال يشكون ابوابا فامرتهم كلهم
بالاستغفار فتلا الايات ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تخافون لله عظمة
وعن الاخفش قال والرجا هنا الخوف لان مع الرجاء طرفا من الخوف من
اليأس والوقار العظمة او لا تأملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا
تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب وقد خلقكم
اطوارا في موضع الحال اي ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة
للايمان به لانه ظرف خلقكم اطوارا اي تارات وكرات خلقكم اولا نطفا
ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم اولا على
النظر في انفسهم لانها اقرب ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجايب
الدالة على الصانع بقوله الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
بعضها على بعض وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا
لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم
يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس
وابن عمر رضي الله عنهما ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السموات وظهورهما مما
يلي الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره و
جعل الشمس سراجا مصباحا يبصر اهل الدنيا في ضوءها كما يبصر البيت في ضوء
السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس اقوى من نور القمر واجمعوا على ان الشمس
في السماء الرابعة والله انبتكم من الارض انشأكم استعير الانبات للانشاء

نباتا فنبتم نباتا ثم يعيدكم فيها بعد الموت ويخرجكم يوم القيمة اخراجا
اكده بالمصدر اي اي اخراج والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة لتسلكوا
منها لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه سبلا طرقا فجاجا واسعة او مختلفة
قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به من الايمان والاستغفار واتبعوا
اي السفلة والفقراء من لم يزده ماله وولده اي الرؤساء اصحاب الاموال
والاولاد وولده مكي وعراقي غير عاصم وهو جمع ولد كاسد واسد الا خسارا
في الاخرة ومكروا معطوف على من لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه
في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح
عليه السلام وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه مكرا كبارا عظيما و
هو اكبر من الكبار وقرء به وهو اكبر من الكبير وقالوا اي الرؤساء لقلتهم لا تذرن
الهتكم على العموم اي عبادتها ولا تذرن ودا بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع
لغتان صنم على صورة رجل ولا سواعا هو على صورة امرأة ولا يغوث هو على صورة
اسد ويعوق هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل
ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا عجميين ونسرا وهو على صورة نسر اي
هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكانها كانت اكثر اصنامهم واعظمها عندهم
فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان
ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسما
رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح عليهما السلام فلما
ماتوا صوروهم ليكون ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال ابليس
انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقد اضلوا اي الاصنام لقوله انهن اضللن
كثيرا من الناس او الرؤساء كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين عطف على رب
انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه
ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين اي قال هذين القولين
وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال الا ضلالا الا هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين
الا تبارا مما خطيئاتهم خطاياهم ابو عمرو اي ذنوبهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا
نارا عظيمة وتقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان و
ادخالهم في النيران الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى

بها

بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت
كبراهن والفاء في فادخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون
دليلا على اثبات عذاب القبر فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ينصرونهم
ويمنعونهم من عذاب الله وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
اي احدا يدور في الارض فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة في النفي
العام انك ان تذرهم ولا تهلكهم يضلوا عبادك يدعوهم الى الضلال يدعوهم
الى الضلال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي الا من اذا بلغ فجر وكفر وانما قال
ذلك لان الله تعالى اخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب اغفر
لي ولوالدي وكانوا مسلمين واسم ابيه لمك واسم امه شمخا وقيل هما ادم و
حوا وقرئ لولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او
سفينتي مؤمنا لانه علم ان من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر وللمؤمنين و
المؤمنات الى يوم القيمة خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه
ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الكافرين الا تبارا هلاكا
فاهلكوا قال ابن عباس رضي الله عنه دعا نوح عليه السلام بدعوتين احديهما
للمؤمنين بالمغفرة واخرى على الكافرين بالتبار وقد اجيبت دعوته في حق
الكفار بالتبار فاستحال ان لا يستجاب دعوته في حق المؤمنين واختلف
في صبيانهم حين اغرقوا فقيل اعقم الله ارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين
سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب

قل يا محمد لامتك اوحي الي انه ان الامر والشان اجمعوا على فتح انه لانه
فاعل اوحي وعلى فتح وان لو استقاموا وان المساجد للعطف على انه استمع فان
مخففة من الثقيلة وان قد ابلغوا لتعدي يعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء
وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتدأ محكي بعد القول
واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من انه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها
شامي وكوفي غير ابي بكر عطفا على انه استمع او على محل الجار والمجرور في امنا
به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا

الي آخرها وكسرها غيرهم عطفا علي انا سمعنا وهم يقفون علي اواخر الايات
استمع نفر جماعة من الثلاثة الي العشرة من الجن من نصيبين فقالوا لقومهم
حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبي عليه الصلوة والسلام في صلوة
الفجر انا سمعنا قرانا عجبا عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه
وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع
العجيب يهدي الي الرشد يدعو الي الصواب او الي التوحيد والايمان
فامنا به بالقران ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من
الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا من خلقه وجاز ان يكون الضمير في
به ايمانا بالله تعالي لان قوله بربنا يفسره وانه تعالي جد ربنا عظمته
جد فلان في عيني اي عظم ومنه قول عمر او انس رضي الله عنهما كان الرجل
اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا اي عظم في عيوننا ما اتخذ صاحبة زوجة
ولا ولدا كما يقول كفار الجن والانس وانه كان يقول سفيهنا جاهلنا
او ابليس اذ ليس فوقه سفيه علي الله شططا كفرا لبعده عن الصواب من
شطت الدار اي بعدت او قولا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد
اليه والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره وانا ظننا ان لن تقول الانس و
الجن علي الله قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب علي المصدر اذ الكذب نوع من
القول اي كان في ظننا ان احدا لن يكذب علي الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا
نصدقهم فيما اضافوا اليه حتي تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب
اذا نزل بمخوف من الارض قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير
الجن فقال وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
اي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم رهقا طغيانا وسفها وكبرا بان قالوا سدنا
الجن والانس او فزاد الجن الانس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم واصل الرهق غشيان
المحظور وانهم وان الجن ظنوا كما ظننتم يا اهل مكة ان لن يبعث
الله احدا بعد الموت اي ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن
اهتدوا واقروا بالبعث فهلا اقررتم كما اقروا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء
واستماع كلام اهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف
فوجدناها ملئت حرسا شديدا جمعا اقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس

ونصب علي التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معني الحراس كالخدم في معني
الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الي معناه لقيل شدادا وشهبا جمع شهاب
اي كواكب مضيئة وانا كنا نقعد منها من السماء قبل هذا مقاعد للسمع
لاستماع اخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب
قبل المبعث فمن يستمع يرد الاستماع الآن بعد المبعث يجد له لنفسه شهابا
رصدا صفة لشهابا بمعني الراصد اي يجد شهابا راصدا له ولاجله او هو
اسم جمع للراصد علي معني ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين
يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور علي ان ذلك لم يكن
قبل مبعث محمد صلي الله عليه وسلم وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين
كانت تسترق في بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق اصلا بعد مبعث
النبي صلي الله عليه وسلم وانا لا ندري اشر عذاب اريد بمن في الارض
بعدم استراق السمع ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا ورحمة وانا منا
الصالحون الابرار المتقون ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم
المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او اراد والطالحين كنا طرائق
قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة او اديان مختلفة
والقدد جمع قدة وهي القطعة من قددت السير اي قطعته وانا ظننا ايقنا
ان لن نعجز الله لن نفوته في الارض حال اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما
كنا فيها ولن نعجزه هربا مصدر في موضع الحال اي لن نعجزه هاربين منها
الي السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من احوالهم وعقايدهم وانا لما
سمعنا الهدي القرآن امنا به بالقرآن او بالله فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو
لا يخاف مبتدأ وخبر بخسا نقصانا من ثوابه ولا رهقا اي لا ترهقه ذلة من قوله
وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل علي ان العمل
ليس من الايمان وانا منا المسلمون المؤمنون ومنا القاسطون الكافرون
الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل فمن اسلم فاولئك تحروا
رشدا طلبوا هديا والتحري طلب الاحري اي الاولي واما القاسطون فكانوا
في علم الله لجهنم حطبا وقودا وفيه دليل علي ان الجني الكافر يعذب بالنار
ويتوقف في كيفية ثوابهم وان مخففة من الثقيلة وانه وهو من جملة الموحي اي

اوحي الي ان الشان لو استقاموا اي القاسطون على الطريقة طريقة الاسلام
لاسقيناهم ماء غدقا كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق
لانه سبب سعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا
منه ومن يعرض عن ذكر ربه القرآن او التوحيد او العبادة يسلكه بالياء
عراقي غير ابي عمرو ويدخله عذابا صعدا شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا
وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه
ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح اي ما
شق علي وان المساجد لله من جملة الموحى اي اوحي الي ان المساجد اي البيوت
المبنية للصلوة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام
متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة
ولعبادته وقيل المساجد اعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان و
القدمان وانه لما قام عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم وتقديره واوحي
الي انه لما قام عبد الله يدعوه يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبي الله او رسول
الله لانه من احب الاسماء الى النبي عليه الصلوة والسلام ولانه لما كان واقعا
في كلامه عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع او لان عبادة عبد الله لله ليست
بمستبعد حتى تكونوا عليه لبدا كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا جماعات
جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء اصحابه به واعجابا بما تلا من القرآن
لانهم رأوا ما لم يروا مثله قل انما ادعوا ربي وحده قال قراءة غير عاصم و
حمزة ولا اشرك به احدا في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون علي قل اني لا
املك لكم ضرا مضرة ولا رشدا نفعا او اراد بالضر الغي بدليل قراءة
ابي رضع غيا ولا رشدا يعني لا استطيع ان اضركم وان انفعكم لان الضار
والنافع هو الله قل اني لن يجيرني من الله احد لن يدفع عني عذابه احد ان
عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرني من الله ان عصيته ولن اجد
من دونه ملتحدا ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من لا املك اي لا املك
لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني اعتراض لتأكيد نفي
الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من
دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به يعني لا ينجيني الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت

به فان ذلك ينجيني وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان
منفصلة من لا وتقديره ان لا ابلغ بلاغا اي ان لم ابلغ لم اجد من دونه
ملتجأ فلا مجير لي كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى
التبليغ ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ و
الرسالات اي الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته
التي ارسلني بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال
بلغ عنه انما هي بمنزلة من في براءة من الله اي بلاغا كائنا من الله ومن
يعص الله ورسوله في ترك القبول بما انزل على الرسول لانه ذكر على اثر تبليغ
الرسالة فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وحد في له وجمع في خالدين
للفظ من ومعناه حتى متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف
الكفار واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما
يوعدون من العذاب فسيعلمون عند حلول العذاب بهم من اضعف
ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون اي الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن
من ينصره الله وملائكته وانبياؤه قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون
من العذاب ام يجعل له ربي وبفتح الياء حجازي وابو عمرو امدا غاية بعيدة
يعني انكم تعذبون قطعا ولكن لا ادري اهو حال او مؤجل عالم الغيب
خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا
من خلقه الا من ارتضى من رسول الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب
ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ما شاء ومن رسول
بيان لمن ارتضى والولي اذا اخبر بشيء وظهر فهو غير جازم عليه ولكنه اخبره
بناء على رؤياه او بالفراسة على ان كل كرامة للولي فهو معجزة للرسول وذكر في
التأويلات قال بعضهم في هذه الاية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فان
فيهم من يصدق خبره وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بانهم وقفوا على علمه من
جهة رسول انقطع اثره وبقي علمه في الخلق فانه يسلك يدخل من بين
يديه بين يدي الرسول ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين
ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ الوحي ليعلم الله ان قد ابلغوا اي الرسل
رسالات ربهم كاملة بلا زيادة ونقصان الى المرسل اليهم ليعلم الله ذلك

لانه

موجود احال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد ووحد الضمير
في من بين يديه للفظ من وجمع في ابلغوا معناه واحاط بما لديهم بما عند
الرسل من العلم واحصي كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار
وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال
اي وعلم كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معني الاحصاء

يا ايها المزمل اي المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام
التاء وكان عليه الصلوة والسلام نائما بالليل متزملا في ثيابه فامر بالقيام
للصلوة بقوله قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء
من نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل او انقص منه
من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة قليلا الي الثلث او زد عليه على
النصف الي الثلثين والمراد التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف
الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة
عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان تخيرا بين ثلث اشياء بين قيام
نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف
النصف بالقلة بالنسبة الي الكل والا فاطلاق لفظ القليل منطلق على ما دون
النصف ولهذا قلنا اذا اقر ان لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه اكثر
من نصف الالف ورتل القران بين وفصل من الثغر المرتل اي المفلج او اقرا
على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات ترتيلا هو تاكيد
في ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقاري انا سنلقي عليك سننزل عليك
قولا ثقيلا اي القران لما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة
ثقيلة على المكلفين او ثقيلا على المنافقين او كلاما له وزن ورجحان ليس
بالسفساف الخفيف ان ناشئة الليل بالهمز سوي ورش قيام الليل عن ابن
مسعود رضي الله عنه فهي مصدر من نشا اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية
او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تنشا ساعة
فساعة وكان زين العابدين يصلي بين العشائين ويقول هذه ناشئة الليل

هي اشد وطاء وفاقا شامي وابو عمرو اي يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن
الحسن موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطا
اي اثقل على المصلي من صلوة النهار لطرد النوم في وقته من قوله عليه الصلاة
والسلام اللهم اشدد وطاتك على مضر واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت
قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات ان لك في النهار سبحا طويلا
تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك بالليل لعبادة ربك
او فراغا طويلا لنومك وراحتك واذكر اسم ربك ودم على ذكره في الليل
والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلوة وتلاوة
القران ودراسة العلم وتبتل اليه انقطع الي عبادته عن كل شيء والتبتل
الانقطاع الى الله بتاميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا وما فيها
والتماس ما عند الله تبتيلا في اختلاف المصدر زيادة تاكيد اي بتلك
الله فتبتل او جيء به مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب بالرفع
اي هو رب او مبتدأ خبره لا اله الا هو وبالجر شامي وكوفي غير حفص بدل
من ربك وعن ابن عباس رضي الله على القسم باضمار حرف القسم نحو والله لافعلن
وجوابه لا اله الا هو كقولك والله لا احد في الدار الا زيد فاتخذه وكيلا وليا
او كفيلا بما وعدك من النصر او اذا علمت انه ملك المشرق والمغرب وان لا اله
الا هو فاتخذه كافيا لامورك وفائدة الفا ان لا تلبث بعد ان عرفت في
تفويض الامور الي الواحد القهار اذ لا عذر لك في الانتظار بعد الاقرار و
اصبر على ما يقولون فيَّ من الصاحبة والولد او فيك من الساحر والشاعر
واهجرهم هجرا جميلا جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المخالقة وترك
المكافاة قيل هو منسوخ باية القتال وذرني اي كلهم الي فانا كافيهم كانه
اذا لم يكل اليه امره منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه
والمكذبين رؤساء قريش مفعول معه او عطف على ذرني اي دعني واياهم
اولي النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة ومهلهم امهالا
قليلا الي يوم بدر او الي يوم القيمة ان لدينا للكافرين في الاخرة انكالا قيودا
ثقالا جمع نكل وجحيما نارا محرقة وطعاما ذا غصة اي الذي ينشب في الحلوق
فلا يساغ يعني الضريع والزقوم وعذابا اليما مخلص وجعه الي القلب روي

انه عليه الصلوة والسلام قرا هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسي صايمًا
فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ادفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر
ثابت البناني وغيره فجاوا فلم يزالوا به حتي شرب شربة من سويق يوم
منصوب بما في لدينا من معني الفعل اي استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم
ترجف الارض والجبال اي تتحرك حركة شديدة وكانت الجبال كثيبا رملا
مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعني مفعول مهيلا سايلا بعد اجتماعه
انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا
عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم كما ارسلنا الي فرعون
رسولا يعني موسي عليه السلام فعصي فرعون الرسول اي ذلك الرسول
اذ النكرة اذا اعيدت معرفة كان الثاني عين الاول فاخذناه اخذا وبيلا
شديدا وانما خص موسي عليه السلام وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين اهل مكة
لانهم كانوا جيران اليهود فكيف تتقون ان كفرتم يوما هو مفعول تتقون
اي كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم هنا او ظرف اي فكيف لكم التقوي
في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا او منصوب بكفرتم علي تاويل جحدتم اي فكيف
تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوي الله خوف عقابه
يجعل الولدان صفة ليوما والعائد محذوف اي فيه شيبا من هوله وشدته
وذلك حين يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو
جمع اشيب وقيل هو علي التمثيل للتهويل يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي
الاطفال السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا اي السماء علي عظمها و
احكامها ينفطر فيه اي ينشق فما ظنك بغيرها من الخلايق والتذكير علي تاويل
السماء بالسقف او السماء شيء منفطر وقوله به اي بيوم القيمة يعني انها تنفطر
بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به كان وعده المصدر مضاف
الي المفعول وهو اليوم او الي الفاعل وهو الله عز وجل مفعولا كاينا ان هذه
الايات الناطقة بالوعيد تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الي ربه سبيلا اي فمن
شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الي الله بالتقوي والخشية ان ربك يعلم انك تقوم
ادني اقل فاستعير الادني وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا
دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك من ثلثي الليل بضم اللام

هشام ونصفه وثلثه منصوبان عطفا علي ادني مكي وكوفي ومن جرهما عطف
علي ثلثي وطايفة عطف علي الضمير في يقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل
من الذين معك اي ويقوم ذلك المقدار جماعة من اصحابك والله يقدر
الليل والنهار اي ولا يقدر علي تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير
ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال
علي انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتي انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن
تحصوه لن تطيقوا قيامه علي هذه المقادير الا بشدة ومشقة وفي ذلك حرج
فتاب عليكم فخفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل فاقرؤا في الصلوة
والامر للوجوب او غيرها والامر للندب ما تيسر عليكم من القران روي
ابو حنيفة رضي الله عنه عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال من قرا مائة اية
في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا مائتي اية كتب من القانتين وقيل
اراد بالقران الصلوة لانها بعض اركانها اي فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر
من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة
في النسخ وهي تعذر القيام علي المرضي والمسافرين والمجاهدين فقال علم ان
سيكون منكم اي انه مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف
اسمها مرضي فيشق عليهم قيام الليل واخرون يضربون في الارض
يسافرون يبتغون حال من ضمير يضربون من فضل الله رزقه بالتجارة
او طلب العلم واخرون يقاتلون في سبيل الله سوي بين المجاهد والمكتسب
لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الي
مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من
الشهداء وعن ابن عمر رضي الله عنه ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في
سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي
من فضل الله فاقرؤا ما تيسر منه كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم و
اقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله بالنوافل والقرض
لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الي غيره وكذا المتصدق
يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالي وانما اضاف الي نفسه لئلا يمن
علي الفقير فيما تصدق عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون

له عليه منة بل المنة للفقير عليه قرضًا حسنًا من الحلال بالاخلاص وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه اي ثوابه وهو جزاء الشرط عند الله هو
خيرًا مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجد وه خيرًا وهو فصل وجاز وان
لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف
واعظم اجرًا واجزل ثوابا واستغفروا الله من السيئات والتقصير في
الحسنات ان الله غفور يستر على اهل الذنب والتقصير رحيم مخفف عن اهل
الجهد والتوفير

روي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت
يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي
فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت
ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فدثرتني خديجة فجاء جبريل عليه السلام
وقرا يا ايها المدثر اي المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب
فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد واصله المتدثر فادغم قم
من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله
ان لم يؤمنوا او فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وقيل سمع من قريش
ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا ايها الصاد
اذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان اذاك الفجار
وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم اي لا يكبر في عينك غيره
وقل عند ما يعروك من غير الله اكبر وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وفرحت انه الوحي وقد
يحمل على تكبير الصلوة ودخل الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا يدع تكبيره
وثيابك فطهر بالماء عن النجاسة لان الصلوة لا يصح الا بها وهي الاولى في غير
الصلوة او فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن
معه اصابة النجاسة او طهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان طاهر
الثياب اذا وصفوه بالنقاء عن المعايب وفلان دنس الثياب للغادر لانه
من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرًا والرجز بضم الراء يعقوب وسهل وحفص

وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدي اليه فاهجر اي اثبت على هجره لانه
كان بريئا منه ولا تمنن تستكثر بالرفع وهو منصوب المحل على الحال اي لا
تعط رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا الكثر مما اعطيت فانك مامور باجل
الاخلاق واشرف الاداب وهو من من عليه اذا انعم عليه وقرا الحسن تستكثر
بالسكون جوابا للنهي ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر على اوامره
ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه فاذا نقر في الناقور نفخ في
الصور وهي النفخة الاولى وقيل الثانية فذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ
يومئذ مرفوع المحل بدل من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم
النقر يوم عسير والفاء فاذا للتسبيب وفي فذلك للجزاء كانه قيل اصبر
على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم ويلقى عاقبة
صبرك عليه والعامل في فاذا ما دل عليه الجزاء اي فاذا نقر في الناقور عسر
الامر على الكافرين واكد بقوله غير يسير ليؤذن بانه يسير على المؤمنين
او عسير لا يرجى ان يرجع يسيرًا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ذرني و
من خلقت اي كله الي يعني الوليد بن المغيرة وكان يلقب في قومه بالوحيد
ومن خلقت معطوف او مفعول معه وحيدًا حال من الياء في ذرني اي
ذرني وحدي فاني اكفيك امره او من التاء في خلقت اي خلقته وحدي
لم يشركني في خلقه احدٌ او من الهاء المحذوفة او من من اي خلقته منفردا بلا
اهل ومال ثم انعمت عليه وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء
وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد له مائة الف دينار وعنه
ان له ارضا بالطائف لا ينقطع ثمارها وبنين شهودًا حضورًا معه بمكة
لغناهم عن السفر وكانوا عشرة اسلم منهم خالد وهشام وعمارة ومهدت
له تمهيدًا وبسطت له الجاه والرياسة فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما
هو الكمال عند اهل الدنيا ثم يطمع ان ازيد استبعاد واستنكار لطمعه
وحرصه اي يرجو ان ازيد في ماله وولده من غير شكر وقال الحسن ان ازيد
اي ادخله الجنة فاعطيه مالا وولدا كما قال لاوتين مالا وولدا كلا ردع
له وقطع لرجائه اي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل
بعد نزول الاية في نقصان من المال والجاه حتى هلك انه كان لاياتنا

للقرآن عنيدا معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على وجه الاستيناف كانّ
قائلا قال لم يزاد فقيل انه عاند ايات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر
لا يستحق المزيد سأرهقه سأغشيه صعودا عقبة شاقة المصعد وفي الحديث
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر تعليل للوعيد كانه تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز
في الدنيا لعناده ويعاقبه في الاخرة باشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته
وتسمية القرآن سحرا يعني انه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقول
وهيأه فقتل لعن كيف قدر تعجيب من تقديره ثم قتل كيف قدر كرر
للتاكيد وذكر ثم يشعر بان الدعاء الثاني ابلغ من الاول ثم نظر في وجوه
الناس او فيما قدر ثم عبس قطب وجهه وبسر زاد في التقبض والكلوح
ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه او عن مقامه او في مقاله وقوله ثم نظر عطف
على فكر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم في المعطوفات لبيان ان بين الافعال
المعطوفة تراخيا فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى عن السحرة روي ان الوليد
قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس
ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمرة وان اسفله
لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد فقال ابو جهل
وهو ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فاتاهم فقال
تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل
رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من
الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر ما هو الا ساحر اما
رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره
عن مسيلمة واهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء
دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث ان هذا
الا قول البشر ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى
التوكيد للاولى سأصليه سقر ادخله بدل من سأرهقه صعودا سقر علم لجهنم
ولم ينصرف للتعريف والتانيث وما ادراك ما سقر تهويل لشانها لا
تبقي اي هي لا تبقي لحما ولا تذر عظما او لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته ولا

تذره

تذره هالكا بل يعود كما كان لواحة خبر مبتدأ محذوف اي هي لواحة
للبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد اي مسودة للجلود او محرقة لها عليها على
سقر تسعة عشر اي يلي امرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من
الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وما جعلنا اصحاب النار اي خزنتها الا
ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة ولانهم
اشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين وما جعلنا عدتهم تسعة
عشر الا فتنة الا ابتلاء واختبارا للذين كفروا حتى قال ابو جهل لما نزلت
عليها تسعة عشر اما تستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا وانتم الدهم
فقال ابو الاشد وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني
انتم اثنين فنزلت وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي وما جعلناهم
رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع
انه لا يطلب في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار
وستة يضربونهم بمقامع الحديد والاخر خازن جهنم وهو مالك وهو
الاكبر قيل في سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل
يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل
ان جهنم يحفظ بما يحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وان كان اصلها
مائة وتسعين الا ان غيرها يتشعب عنها ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه
منزل من الله ويزداد الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو عطف على
ليستيقن ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل او يزداد يقينا
لموافقة كتابهم كتاب اولئك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
هذا عطف ايضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان
وازدياد الايمان دلا على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن ايضا و
ليقول الذين في قلوبهم مرض نفاق والكافرون المشركون فان
قلت النفاق ظهر بالمدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون
الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا
اراد الله بهذا مثلا فهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب

وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان
اهل مكة كان اكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله
لكم آية ولما كان ذكر هذا العدد في غاية الغرابة وان مثله حقيق بان يسير
به الركبان سيرها بالامثال سمي مثلا والمعني اي شيء اراد الله بهذا العدد
العجيب واي معني اراد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره
اصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ الكاف نصب وذلك اشارة الي ما قبله من معني
الاضلال والهدي اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدي يعني اضلال
المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدي المومنين بتصديقه ورؤية
الحكمة في ذلك فضل الله يوتيه من يشاء من عباده وهو الذي علم منه
اختيار الضلال وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء وفيه
دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال ابو جهل
اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر نزل وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ لفرط كثرتها
إِلَّا هُوَ فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة
لا يعلمونها وَمَا هِيَ متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها
إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ اي تذكرة للبشر او ضمير الايات التي ذكرت فيها كَلَّا انكار
بعد ان جعلها ذكري ان يكون لهم ذكري لانهم لا يتذكرون وَالْقَمَرِ اقسم
به لعظم منافعه وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف
وغيرهم اذا دبر ودبر بمعني ادبر ومعناهما ولي وذهب وقيل ادبر ولي
ومضى ودبر جاء بعد النهار وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ اضاء وجواب القسم إِنَّهَا
ان سقر لَإِحْدَى الْكُبَرِ هي جمع الكبري اي لاحدي البلايا او الدواهي الكبر
ومعني كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول
هو احد الرجال وهي احدي النساء نَذِيرًا تمييز من احدي اي انها لاحدي الدواهي
انذارا كقولك هي احدي النساء عفافا او بدل من لِّلْبَشَرِ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ باعادة
الجار أَن يَتَقَدَّمَ الي الخير أَوْ يَتَأَخَّرَ وعن الزجاج الي ما امر وعما نهي كُلُّ نَفْسٍ
بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ هي ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث
النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعني مفعول يستوي

فيه المذكر والمونث وانما هي اسم بمعني الرهن كالشتيمة بمعني الشتم كانه قيل
كل نفس بما كسبت رهين والمعني كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك
إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ اي اطفال المسلمين لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها
او الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما تخلص الراهن رهنه
باداء الحق فِي جَنَّاتٍ اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يَتَسَاءَلُونَ عَنِ
الْمُجْرِمِينَ يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم مَا سَلَكَكُمْ
فِي سَقَرَ ادخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ما سلككم وهو سوال للمجرمين
قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سوال عنهم وانما يطابق ذلك لو قيل
يتساءلون المجرمين ما سلككم لان ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم
وانما هو حكاية قول المسئولين عنهم لان المسئولين عنهم يلقون الي السائلين
ما جري بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم
نك من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زيادة قَالُوا
لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ اي لم نعتقد فرضيتها وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ
كما يطعم المسلمون وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ الخوض الشروع في الباطل و
الزور في ايات الله وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ الحساب والجزاء حَتَّىٰ أَتَانَا
الْيَقِينُ الموت فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ من الملائكة والنبيين و
الصالحين لانها للمومنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمومنين
في الحديث ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعة اكثر من ربيعة ومضر فَمَا
لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ عن التذكر وهو العظة اي القرآن مُعْرِضِينَ مولين حال
عن الضمير نحو ما لك قائما حال عن الضمير في الظرف كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ اي حمر الوحش
حال عن الضمير في معرضين مُّسْتَنفِرَةٌ شديدة النفار كانها تطلب النفار
من نفوسها وبفتح الفاء مدني وشامي استنفرها غيرها فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ
حال وقد معها مقدرة والقسورة الرماة او الاسد فعولة من القسر وهو
القهر والغلبة شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في
نفارها بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً قراطيس تنشر و
تقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل
واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الي فلان بن فلان نومر فيها

باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار كلا ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الايات ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا انه تذكرة ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية وما يذكرون وبالتاء نافع ويعقوب الا ان يشاء الله الا وقت مشية الله او الا بمشية الله هو اهل التقوى واهل المغفرة في الحديث هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه

لا اقسم بيوم القيمة اي اقسم عن ابن عباس رضي الله عنه ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله في بئر لاحور سري وما شعر وقوله تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد ضمير القلب لا يتقطع وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كانه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل اقسم بيوم القيمة وقيل اصله لاقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتداء محذوف اي لانا اقسم و تقويه انه في الامام بغير الف ثم اشبع فظهر من الاشباع الف وهذا اللام يصحبه نون التاكيد في الاغلب وقد يفارقه ولا اقسم بالنفس اللوامة الجمهور على انه قسم آخر وعن الحسن اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهي صفة ذم وعلى القسم صفة مدح اي النفس المتقية التي تلوم على التقصير في التقوى وقيل هي نفس آدم عليه السلام لم تزل تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف اي لتبعثن دليله ايحسب الانسان اي الكافر المنكر للبعث ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب بلى اوجبت ما بعد النفي اي بلى نجمعها قادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمعها قادرين على جمعها واعادتها كما كانت على ان نسوي بنانه اي اصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسأل ايان متى يوم القيمة سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة فاذا برق البصر

تحير فزعا وبفتح الراء مدني شخص وخسف القمر ذهب ضوءه او غاب من قوله فخسفنا به وقرأ ابو حيوة بضم الخاء وجمع الشمس والقمر اي جمع بينهما في الطلوع من المغرب او جمعا في ذهاب الضوء او يجمعان فيقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الانسان الكافر يومئذ اين المفر هو المصدر اي الفرار من النار او المؤمن ايضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ الى ربك خاصة يومئذ المستقر مستقر العباد اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار ينبأ الانسان يومئذ يخبر بما قدم من عمل عمله واخر ما لم يعمل بل الانسان على نفسه بصيرة شاهد والهاء للمبالغة كعلامة او انه لانه اراد جوارحه اذ جوارحه يشهد عليه وهو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك انت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الانسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز ان يكون الملك الموكل عليه ولو القى معاذيره ولو ارخى ستوره لا تحرك به بالقرآن لسانك لتعجل به بالقراءة وكان عليه الصلوة والسلام يأخذ في القراءة قبل فراغ جبرائيل كراهة ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته في لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه فاذا قرأناه اي قرأه عليك جبرئيل فجعل قراءة جبرئيل عليه السلام قراءته فاتبع قرآنه قراءته عليك ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كلا ردع عن انكار البعث او ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكار لها عليه واكده بقوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها وتذرون الآخرة الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة بالتاء فيهما مدني وكوفي وجوه هي وجوه المؤمنين يومئذ ناضرة حسنة ناعمة الى ربها ناظرة بلا

كيفية ولاجهة ولاثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها اولثوا
لايصح لانه يقال نظرت فيه اي تفكرت ونظرته انتظرته ولايعدي بالي الا
بمعني الرؤية مع انه لايليق الانتظار و وجوه يومئذ باسرة كالحة شديدة
العبوس وهي وجوه الكفار تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته فاقرة
داهية تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل
ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده ينقطع
العاجلة عنكم وتنتقلون الي الآجلة التي تبقون فيها مخلدين اذا بلغت
اي الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الآية يدل عليها التراقي العظام
المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة وقيل من راق يقف حفص
على من وقيفة اي قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض ايكم ترقيه مما به من
الرقية من حد ضرب او هو من كلام الملائكة ايكم ترقى بروحه ملائكة الرحمة
ام ملائكة العذاب من الرقي من حد علم وظن ايقن المحتضر انه الفراق
ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق
التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في
اكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة
وعن ابن عباس هما همان هم الاهل وهم القدوم على الواحد الصمد الي ربك
يومئذ المساق هو مصدر اي مساق العباد الي حيث امر الله اما الي الجنة او الي
النار فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلي الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن
نجمع عظامه ولكن كذب بالقران وتولي عن الايمان ثم ذهب الي اهله يتمطي
يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المختبر يمد خطاه فابدلت الطاء ياء لاجتماع
ثلاثة احرف متماثلة اولي لك بمعني ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره
فاولي ثم اولي لك فاولي كرر للتاكيد كانه قال ويل لك فويل وقيل ويل
لك يوم الموت و ويل في القبر و ويل لك حين البعث وويل
لك في النار ايحسب الانسان ان يترك سدي ايحسب الكافر ان يترك مهملا
لايومر ولاينهي ولايبعث ولايجازي الم يك نطفة من مني يمني بالياء ابو
عامر وحفص اي يراق المني في الرحم وبالتاء يعود الي النطفة ثم كان علقة
اي صار المني قطعة دم جامد بعد اربعين يوما فخلق فسوي فخلق الله منه

بشرا سويا فجعل منه الزوجين الذكر والانثي اي من المني الصنفين اليس
ذلك بقادر علي ان يحيي الموتي اليس الفعال لهذه الاشياء بقادر علي
الاعادة وكان عليه الصلوة والسلام اذا قراها يقول سبحانك بلي

هل اتي قد مضي علي الانسان آدم عليه السلام حين من الدهر اربعون سنة
مصورا قبل نفخ الروح لم يكن شيئا مذكورا لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد
به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بانه قد اتي
عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيئا مذكورا النصب على الحال من الانسان
اي اتي عليه حين من الدهر غير مذكور انا خلقنا الانسان اي ولد آدم وقيل
الاول ولد آدم ايضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه في بطنه الي ان صارت
شيئا مذكورا من نطفة امشاج نعت او بدل منها اي من نطفة قد امتزج
فيها الماءآن ومشجه ومزجه بمعني ونطفة امشاج كبرمة اعشار فهو لفظ
مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد نبتليه حال اي خلقناه مبتلين اي مريدين
ابتلاءه بالامر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا ذا سمع وبصر انا هديناه السبيل
بينا له طريق الهدي بادلة العقل والسمع اما شاكرا مومنا واما كفورا كافرا
حالان من الهاء في هديناه اي شكرا او كفر فقد هديناه السبيل في الحالين او
من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا و وصف
السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين اتبعهما ما اعد لهما فقال انا
اعتدنا للكافرين سلاسل جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكي وابو عمرو
وحمزة وبه غيرهم ليناسب اغلالا وسعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب
واغلالا جمع غل وسعيرا نارا موقدة وقال ان الابرار جمع بر او بار كرب وارباب و
شاهد واشهاد وهم الصادقون في الايمان او الذين لايوذون الذر ولايضمرون
الشر يشربون من كاس خمر فنفس الخمر يسمي كاسا وقيل الكاس الزجاجة اذا كانت فيها
خمر كان مزاجها ما يمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض
الكافور ورائحته وبرده عينا بدل منه يشرب بها عباد الله اي منها او الباء زائدة
او محمول علي المعني اي يلتذ بها او يروي بها وانما قال اولا بحرف من وثانيا بحرف الباء

لان الكأس مبتدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكأ
فكانه قيل يشرب عباد الله بها الخمر يفجرونها يجرونها حيث شاؤا من منازلهم
تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر بما اوجبوا على انفسهم وهو جواب
من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله
اوفى ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا منتشرا من استطار الفجر
ويطعمون الطعام على حبه حب الطعام اي مع الاشتهاء والحاجة اليه
او على حب الله مسكينا فقيرا عاجزا عن الاكتساب ويتيما صغيرا لا اب له واسيرا
مأسورا مملوكا او غيره ثم عللوا اطعامهم فقالوا انما نطعمكم لوجه الله اي
لطلب ثوابه او بيان من الله عز وجل عما في ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فاثنى
عليهم وان لم يقولوا شيئا لا نريد منكم جزاء هدية على ذلك ولا شكورا ثناء
وهو مصدر كالشكر انا نخاف من ربنا اي انا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب
الله على طلب المكافاة بالصدقة او انا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن
من ذلك الخوف يوما عبوسا قمطريرا وصف اليوم بصفة اهله من الاشقياء نحو نهارك
صائم والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه فوقاهم الله شر
ذلك اليوم صانهم من شدائده ولقاهم اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة
حسنا في الوجوه وسرورا فرحا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على الايثار
نزلت في علي وفاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما نذروا
صوم ثلاثة ايام فاستقرض علي رضي الله عنه من يهودي ثلثة اصوع من الشعير
فطحنت فاطمة رضي الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فاثروا بها ثلاث عشايا على انفسهم
مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذوقوا الا الماء في وقت الافطار جنة بستانا فيه ماكل
هني وحريرا فيه ملبس بهي متكئين حال من هم في جزاهم فيها في الجنة على الارائك
اي الاسرة جمع الاريكة لا يرون حال من الضمير المرفوع في متكئين اي غير رائين
فيها في الجنة شمسا ولا زمهريرا لانه لا شمس فيها ولا زمهريرا فظلها دائم
وهواها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج
لا حر ولا قر فالزمهرير البرد الشديد وقيل هو القمر اي الجنة مضيئة لا يحتاج فيها
الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها قريبة منهم ظلال اشجارها عطف على جنة

اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها كانهم وعدوا جنتين لانهم وصفوا
بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان وذللت وسخرت
للقائم والقاعد والمتكي وهو حال من دانية اي تدنو ظلالها في حال
تذليل قطوفها عليهم او معطوفة عليها اي ودانية عليهم ظلالها و
مذللة قطوفها ثمارها جمع قطف تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة
اي تدير عليهم خدمهم كؤس الشراب والانية جمع اناء هو وعاء الماء
واكواب اي من فضة جمع كوب وهو ابريق لا عروة له كانت قواريرا كان
تامة اي كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال قوارير من فضة
اي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير
وشفيفها حتى يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضي
الله عنه قوارير كل ارض من تربتها وارض الجنة فضة قرا نافع والكسائي
وعاصم في رواية ابي بكر بالتنوين فيهما وحمزة وابن عامر وابو عمرو وحفص
بغير تنوين فيهما وابن كثير بتنوين الاولى فالتنوين في الاولى لتناسب الاي
المتقدمة والمتاخرة وفي الثاني لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل
ولا يوثق به لان الثاني بدل الاول قدروها تقديرا صفة لقوارير من
فضة اي اهل الجنة قدروها على اشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة
لهم والسقاة جعلوها على قدر ري شاربها فهي الذ لهم واخف عليهم
وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض ويسقون اي الابرار فيها في الجنة كاسا خمرا
كان مزاجها زنجبيلا عينا بدل من زنجبيلا فيها في الجنة تسمى تلك العين
سلسبيلا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب يستلذه و
يستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها قال
ابو عبيدة ماء سلسبيل اي عذب طيب ويطوف عليهم ولدان غلمان ينشئهم
الله لخدمة المؤمنين او ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة
مخلدون لا يموتون اذا رايتهم حسبتهم لحسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم
في مجالسهم لؤلؤا منثورا وتخصيص المنثور لانه ازين في النظر من المنظوم
واذا رايت ثم ثم ظرف اي في الجنة وليس لرايت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع
في كل مرئي تقديره واذا اكتسبت الرؤية في الجنة رايت نعيما كثيرا وملكا كبيرا

والسعاير روي ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة عام يرى اقصاه
كما يرى ادناه وقيل ملك لا يعقبه هلك او لهم فيها ما يشاؤن او يلم عليهم
الملائكة ويستاذنون في الدخول عليهم عاليهم بالنصب على انه حال من
الضمير في يطوف عليهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم
ثياب وبالسكون مدني وحمزة على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم
من لباسهم ثياب سندس وهو دقيق الديباج خضر جمع اخضر واستبرق
غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلي حملا على سندس
وبرفع الاول وجر الثاني او عكسه غيرهم وحلوا عطف على ويطوف عليهم
اساور من فضة وفي سورة الملائكة يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤا قال ابن المسيب لا احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلثة اسورة واحدة
من فضة وآخر من ذهب وآخر من لؤلؤ وسقاهم ربهم اضيف اليه تعالى للتشريف
والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم
ويقولون لقد اخذنا من الوسايط فاذا هم بكاسات تلاقي افواههم بغير
اكف من غيب الى عبد شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا
بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة و
تدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة ان هذا النعيم كان لكم جزاء
لاعمالكم وكان سعيكم مشكورا محمودا مقبولا مرضيا عنده حيث قلتم للمسكين
واليتيم والاسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن
تنزيلا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص
الله بالتنزيل ليتقرر في نفس النبي عليه الصلوة والسلام انه اذا كان هو المنزل
لم يكن تنزيله مفرقا الا لحكمة وصوابا ومن الحكم الامر بالمصابرة فاصبر
لحكم ربك علينا بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتاخير نصرتك على اعدائك
من اهل مكة ولا تطع منهم من الكفار للفجر من تاخر الظفر آثما راكبا لما
هو اثم داعيا لك اليه او كفورا فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم ان تدعوه
الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاولين
دون الثالث وقيل الاثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد
لانه كان غاليا في الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل اثم وكافر اي لا تطع احدهما

واذا نهي عن طاعة احدهما لا بعينه فقد نهي عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو
كان بالواو لجاز ان يطيع احدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما
لا عن طاعة احدهما وقيل او بمعنى ولا وعن الفراء ان او في الجحد بمعنى لا و
اذكر اسم ربك صل له بكرة صلوة الفجر واصيلا صلوة الظهر والعصر ومن
الليل فاسجد له وبعض الليل فصل صلوة العشائين وسبحه ليلا طويلا
تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة
يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة ويذرون وراءهم قدامهم و
خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا لا يعبأون به وهو يوم القيمة لان شدائده
يثقل على الكفار نحن خلقناهم وشددنا احكمنا اسرهم خلقهم عن
ابن عباس رضي الله عنهما والفراء واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اذا
شئنا اهلاكهم اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة ممن يطيع ان هذه
السورة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالطاعة
له واتباع رسوله وما تشاؤن اتخاذ السبيل الى الله بالياء مكي وشامي
وابو عمرو ومحل الا ان يشاء الله النصب على الظرف اي الا وقت مشية الله
وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختيار ذلك وقيل هو لعموم المشية في
الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة ان الله كان
عليما بما يكون منهم من الاحوال حكيما مصيبا في الاقوال والافعال يدخل
من يشاء هم المؤمنون في رحمته جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة
لانهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا في رحمته لانه شاء ايمان الكل والله
اخبر انه يدخل من يشاء في رحمته هو الذي علم منه ان يختار الهدى والظالمين
الكافرين لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها ونصب بفعل يفسره قوله
اعد لهم عذابا اليما نحو وعد وكافأ

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه بطوايف من الملائكة
ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن وبطوايف منهم نشرن اجنحتهن في
الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرايع في الارض او نشرن النفوس الموتى

بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الي الانبياء
عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن
وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين
ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الي الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا
نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك
الي الانواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا اي متتابعة
كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا او مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف
وعصفا ونشرا مصدران او نذرا ابو عمرو وكو في غير ابي بكر وحماد والعذر
والنذر مصدرا عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر
والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعول له انما توعدون ان
الذي توعدونه من مجيء يوم القيمة لواقع لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب
القسم ولا وقف الي هنا لوصل الجواب بالقسم فاذا النجوم طمست محيت و
ذهب بنورها وجواب فاذا المحذوف والعامل فيها جوابها وهو وقع الفصل
ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست واذا السماء فرجت فتحت فكانت ابوابا
واذا الجبال نسفت قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت اي وقتت كقراءة
ابي عمرو وابدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي
يحضرون فيه للشهادة على اممهم لاي يوم اجلت اخرت وامهلت وفيه
تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت
ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل بين الخلائق وما
ادريك ما يوم الفصل تعجيب اخر وتعظيم لامره ويل مبتدأ وان كان
نكرة لانه في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الي الرفع
للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم يومئذ
ظرفه للمكذبين بذلك اليوم خبره الم نهلك الاولين الامم الخالية المكذبة
ثم نتبعهم الاخرين مستانف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة ثم يفعل
بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم كذلك
مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين
بما اوعدنا الم نخلقكم من ماء مهين حقير وهو النطفة فجعلناه اي

الملاء

الماء في قرار مكين مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل الي قدر معلوم الحال
اي موخرا الي مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة اشهر
او ما فوقها او ما دونها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون
فنعم المقدرون نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن
والاول احق كقراءة نافع وعلي بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره
ويل يومئذ للمكذبين بنعمة الفطرة الم نجعل الارض كفاتا هو من كفت
الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب
احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه كفاتا
وهو تكفت اي يكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون وجعلنا فيها
رواسي جبالا ثوابت شامخات عاليات واسقيناكم ماء فراتا عذبا ويل
يومئذ للمكذبين بهذه النعم انطلقوا الي ما كنتم به تكذبون اي يقال
للكافرين يوم القيمة سيروا الي النار التي تكذبون بها انطلقوا تكرير للتاكيد
الي ظل دخان جهنم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا
الدخان العظيم تراه يفترق ثلاث فرق لا ظليل نعت ظل اي لا مظل من حر
ذلك اليوم وحر النار ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من اللهب
من حر اللهب انها اي النار ترمي بشرر هو ما تطاير من النار كالقصر
في العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة كانه جمالة كو في غير ابي بكر
جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع صفر جمع اصفر اي سود يضرب الي الصفرة شبه
الشرر بالقصور لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون ويل يومئذ
للمكذبين بان هذه صفتها هذا يوم لا ينطقون وقرئ بنصب اليوم اي
هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس عن هذه الاية وعن قوله
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فقال في ذلك اليوم مواقف في بعضها
يختصمون وفي بعضها لا ينطقون او لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم
كلا نطق ولا يؤذن في الاعتذار فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك
النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار ويل يومئذ للمكذبين بهذا اليوم هذا
يوم الفصل بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء جمعناكم يا مكذبي
محمد صلى الله عليه وسلم والاولين والمكذبين قبلكم فان كان لكم كيد حيلة

في دفع العذاب فكيدون فاحتالوا على تخليص انفسكم من العذاب والكيد
متعد يقول كدت فلانا اذا احتلت عليه ويل يومئذ للمكذبين بالبعث
ان المتقين من عذاب الله في ظلال اشجار الجنة جمع ظل وعيون جارية في
الجنة وفواكه مما يشتهون اي لذيذة مشتهاة كلوا واشربوا في موضع الحال
من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال
مقولا لهم ذلك هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا انا كذلك نجزي المحسنين
فاحسنوا تجزوا بهذا ويل يومئذ للمكذبين بالجنة كلوا وتمتعوا كلام مستانف
خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم قليلا
لان متاع الدنيا قليل انكم مجرمون كافرون اي ان كل مجرم يأكل ويتمتع
اياما قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم ويل يومئذ للمكذبين بالمنعم واذا
قيل لهم اركعوا اخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا
هذا الاستكبار لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على
استكبارهم او اذا قيل لهم صلوا لا يصلون ويل يومئذ للمكذبين بالامر و
النهي فباي حديث بعده بعد القران يؤمنون اي ان لم يؤمنوا بالقران
مع انه اية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فباي كتاب بعده يؤمنون

عم اصله عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون في الميم فصار عما وقرئ بها ثم
حذفت الالف تخفيفا لكثرة الاستعمال في الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير
وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لا يخفى عليه خافية يتساءلون
يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل مكة كانوا
يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء عن
النبأ العظيم اي البعث وهو بيان للشان المفخم وتقديره عم يتساءلون
يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون فمنهم من يقطع بانكاره
ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يسألون عنه فالمسلم يسأل
ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء كلا ردع عن الاختلاف او التساؤل
هزوا سيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عيانا ان ما يتساءلون عنه حق

ثم

ثم كلا سيعلمون كرر الردع للتشديد وثم يشعر بان الثاني ابلغ من
الاول واشد الم نجعل الارض لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من اضيف
اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا
اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل
عبثا وانكار البعث يؤدي الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا فرشناها
لكم حتى سكنتموها والجبال اوتادا للارض لئلا تميد بكم وخلقناكم ازواجا
ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت
القطع وجعلنا الليل لباسا ... وجعلنا النهار معاشا وقت معاش يتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم
وبنينا فوقكم سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة اي محكمة قوية لا يؤثر
فيها مرور الزمان او غلاظا غلظ كل واحد مسيرة خمسمائة سنة وجعلنا
سراجا وهاجا مضيئا وقادا اي جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس وانزلنا
من المعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة اي السحاب اذا اعصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح
لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان يجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله
تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب لنخرج به بالماء حبا كالبر
والشعير ونباتا كلاء وجنات بساتين الفافا ملتفة الاشجار واحدها
لف كجذع واجذاع او لفيف كشريف واشراف او لا واحد له كاوزاع او هي جمع
الجمع فهي جمع لف ولف جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من الم نجعل الى
الفافا والوقف الضرورة على اوتادا ومعاشا ان يوم الفصل بين المحسن
والمسيء والمحق والمبطل كان ميقاتا وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع
الجزاء او ميعادا للثواب والعقاب يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف
بيان في الصور في القرن فتاتون افواجا حال اي جماعات مختلفة او امما
كل امة مع رسولها وفتحت السماء خفيف كوفي اي شقت لنزول الملائكة فكانت
ابوابا فصارت ذات ابواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج وسيرت
الجبال عن وجه الارض فكانت سرابا قيل ان الجبال عند الفزع الاول
تصير كثيبا مهيلا وفي الثاني كالعهن المنفوش وفي الثالث تمر مر السحاب
وفي الرابع يصير هباء منبثا وفي الخامس كالسراب لا يحصل منه شيء ان جهنم

كانت مرصادا طريقا عليه ممر الخلق فالمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل
المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد اي هي حد الطاغين الذين يرصدون
فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين
يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها للطاغين مآبا للكافرين مرجعا
لابثين اي ماكثين حال مقدرة من الضمير في للطاغين حمزة لبثين واللبث
اقوي اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث
والمقام في المكان فيها في جهنم احقابا ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم
يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه حقب اخر الى غير نهاية
ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا اريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب
ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الاية فاجاب بعد عشرين سنة
لابثين فيها احقابا لايذوقون فيها بردا ولا شرابا اي غير ذائقين
حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التي عذبوا فيها بمنع البرد
والشراب بدلوا باحقاب اخر فيها عذاب اخر وهي احقاب بعد احقاب
لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان
اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم اي لابثين
فيها حقبين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله الا حميما
وغساقا استثناء منقطع اي لايذوقون في جهنم او في الاحقاب بردا وروحا
ينفس عنهم حر النار او نوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم
ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا يحرق ما ياتي عليه وغساقا ما يسيل من
صديدهم وبالتشديد كوفي غير ابي بكر جزاء جوزوا جزاء وفاقا موافقا
لاعمالهم مصدر بمعنى الصفة او ذا وفاق ثم استأنف معللا فقال انهم كانوا
لايرجون حسابا لايخافون محاسبة الله اياهم او لم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا
وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش وكل شيء نصب
بمضمر يفسره احصيناه كتابا مكتوبا في اللوح المحفوظ حال او مصدر في موضع
احصاء او احصينا في معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الاية
اعتراض لان قوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات اي
فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب فلن نزيدكم الا عذابا

في الحديث اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا مفعل من
الفوز يصلح مصدرا اي نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان
وهو الجنة ثم ابدل عنه بدل البعض من الكل فقال حدائق بساتين فيها انواع
الشجر المثمر جمع حديقة واعنابا كروما عطف على حدائق وكواعب نواهد اترابا
لدات مستويات في السن وكاسا دهاقا مملوة لايسمعون فيها في الجنة حال
من ضمير خبر ان لغوا باطلا ولا كذابا الكسائي بالتخفيف بمعنى مكاذبة اي لا
يكذب بعضهم بعضا او لايكاذبه جزاء مصدر اي جزاهم جزاء من ربك عطاء
مصدر او بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء يعني كافيا او على حسب اعمالهم رب
السموات والارض وما بينهما الرحمن بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك
ومن رفعهما فرب خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره الرحمن او الرحمن صفة
ولايملكون خبر او هما خبران والضمير في لايملكون لاهل السموات والارض
وفي منه خطابا لله تعالى اي لايملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه
او لايقدر احد ان يخاطبه تعالى خوفا يوم يقوم ان جعلته ظرفا للايملكون
لا تقف على خطابا وان جعلته ظرفا للايتكلمون تقف الروح جبرئيل عليه
السلام عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا
اعظم منه والملائكة صفا حال اي مصطفين لايتكلمون اي الخلائق ثم
خوفا الا من اذن له الرحمن في الكلام او في الشفاعة وقال صوابا حقا بان قال
المشفوع له لا اله الا الله في الدنيا او لايؤذن الا لمن يتكلم بالصواب في امر
الشفاعة ذلك اليوم الحق الثابت وقوعه فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا مرجعا
بالعمل الصالح انا انذرناكم عذابا قريبا في الاخرة لان ما هو ات قريب يوم
ينظر المرء اي الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا ما قدمت يداه من
الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وتخصيص الايدي
لان اكثر الاعمال يقع بها وان احتمل ان لايكون للايدي مدخل فيما ارتكب من
الاثام ويقول الكافر وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة الذم او المرء عام وخص
منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير وشر او هو المؤمن لذكر الكافر بعده
وما قدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه
او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف

اي قدمته يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت
ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتي يقتص
للجما من القرنا ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمني
ان يكون كادم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب اولاده المومنين

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات
سبقا فالمدبرات امرا لا وقف الي هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار يوم
ظرف المدبرات وقد انقضي تدبير الملائكة في ذلك اليوم اقسم سبحانه
بطوايف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد غرقا اغراقا في النزع اي
تنزعها من اقاصي الاجساد من انامليها ومواضع اظفارها وبالطوايف
التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البير اذا اخرجها وبالطوايف التي
تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الي امر وابه فتدبر وامرا من امور العباد مما
يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم او بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها
او بالنجوم التي تنزع من المشرق الي المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك
كله حتي تنحط في اقصي الغرب والتي تخرج من برج الي برج والتي تسبح في الفلك من
السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو
لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة يوم ترجف تتحرك حركة شديدة الرجف
شدة الحركة الراجفة النفخة الاولي وصفت بما يحدث بحدوثها لانه يضطرب
بها الارض حتي يموت كل من عليها تتبعها حال عن الراجفة الرادفة النفخة الثانية
لانها تردف الاولي وبينهما اربعون سنة فالاولي تميت الخلق والثانية تحييهم
قلوب يومئذ قلوب منكري البعث واجفة مضطربة من الوجيف وهو الوجيب
وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف رجفت
القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها ابصارها اي ابصار اصحابها
خاشعة ذليلة لهول ما تري خبرها يقولون اي منكرو البعث في الدنيا استهزاء
وانكارا للبعث ائنا لمردودون في الحافرة استفهام بمعني الانكار اي انرد
بعد موتنا الي اول الامر فنعود احياء كما كنا والحافرة الحالة الاولي يقال لمن كان

في امر فخرج منه ثم عاد رجع الي حافرته اي الي حالته الاولي ويقال النقد عند
الحافرة اي عند الحالة الاولي وهي الصفقة انكروا البعث ثم زادوه استبعادا
فقالوا ائذا كنا عظاما نخرة بالية ناخرة كوفي غير حفص وفعل ابلغ من فاعل
يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعني انرد الي الحيوة بعد ان صرنا عظاما
بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث قالوا اي منكرو البعث تلك رجعتنا
اذا كرة خاسرة رجعة ذات خسران وخاسر اصحابها والمعني انها ان صحت وبعثنا
فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف
اي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة علي الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته
فما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من زجر البعير اذا صاح فاذا هم
بالساهرة فاذا هم احياء علي وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وقيل
الساهرة ارض بعينها بالشام الي جنب بيت المقدس او بيت المقدس او ارض
مكة او جهنم هل اتيك حديث موسي استفهام يتضمن التنبيه علي ان
هذا مما يجب ان يعلم والتشريف المخاطب به اذ ناداه ربه حين ناداه بالواد
المقدس المبارك المطهر طوي اسمه اذهب الي فرعون علي ارادة القول
انه طغي تجاوز الحد في الكفر والفساد فقل هل لك الي ان تزكي هل لك
ميل الي ان تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان بتشديد الزاي حجازي
واهديك الي ربك وارشدك الي معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه فتخشي لان
الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالي انما يخشي الله من عباده العلما اي
العلماء وعن بعض الحكماء اعرفوا الله فمن عرفه لم يقدر ان يعصيه طرفة عين
فالخشية ملاك الامر من خشي الله اتي منه كل خير ومن امن اجترا علي كل
شر ومنه الحديث من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام
الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام
الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك
في قوله فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبري اي فذهب فاري موسي فرعون
العصا او العصا واليد البيضاء لانهما في حكم اية واحدة فكذب فرعون بموسي
والاية الكبري وسماهما سحرا وعصي الله تعالي ثم ادبر تولي عن موسي
يسعي يجتهد في مكايدته او لما راي الثعبان ادبر مرعوبا يسرع في مشيته وكان

طيا شا خفيفا فحشر فجمع السحرة وجنده فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه فقال
انا ربكم الاعلى لا رب فوقي وكانت لهم اصنام يعبدونها فاخذه الله
نكال الاخرة عاقبه الله عقوبة الاخرة والنكال اي الاحراق والاولى اي
الاولى بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان اخذ
بمعنى نكل كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة اي الاحراق والاولى اي الاولى
اي الاغراق او نكال كلمتيه الاخيرة وهي انا ربكم الاعلى والاولى وهي ما علمت
لكم من اله غيري وبينهما اربعون سنة او ثلاثون او عشرون ان في ذلك
المذكور لعبرة لمن يخشى الله ءانتم يا منكري البعث اشد خلقا اصعب
خلقا وانشاء ام السماء مبتدا محذوف الخبر اي ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف
خلقها فقال بناها اي الله ثم بين البناء فقال رفع سمكها اعلى سقفها و
قيل جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها
فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور واغطش ليلها اظلمه واخرج ضحاها
ابرز ضوء شمسها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس
سراجها والارض بعد ذلك دحاها بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة
فدحيت من مكة بعد خلق السماء بالفي عام ثم فسر البسط فقال اخرج منها
ماءها بتفجير العيون ومرعاها كلاها ولذا لم يدخل العاطف على اخرج او اخرج
حال باضمار قد والجبال ارساها اثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار
دحا وارسى على شريطة التفسير متاعا لكم ولانعامكم فعل ذلك تمتيعا
لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى التي تطم على
الدواهي اي تعلو وتغلب وهي النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان بدل من اذا جاءت اي اذا
راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها ما سعى ما مصدرية اي سعيه
او موصولة وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء اي لظهورها ظهورا بينا
فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك من طغى جاوز الحد فكفر
واثر الحيوة الدنيا على الاخرة باتباع الشهوات فان الجحيم هي الماوى ماواه
والالف واللام بدل الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه والبصريين
هي الماوى له واما من خاف مقام ربه اي علم ان له مقاما يوم القيمة للحساب بين يدي ربه

ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى الردي اي زجرها عن اتباع الشهوات
قيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس
الى شهوتها فان الجنة هي الماوى اي المرجع يسألونك عن الساعة ايان مرساها
متى ارساؤها اي اقامتها يعني متى يقيمها الله ويثبتها فيم انت من ذكراها
في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به اي ما انت من ذكرها لهم و
تبيين وقتها في شيء كقولك ليس فلان من العلم في شيء وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من
كثرة ذكره لها اي انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها و
تسأل عنها الى ربك منتهاها منتهى علمها متى يكون لا يعلمها غيره او قوله
لا تزال فيم انكار لسؤالهم عنها اي فيم هذا السؤال ثم قال انت من ذكراها
اي ارسالك وانت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا
يبعد ان يوقف على هذا على فيم وقيل فيم انت من ذكراها متصل بالسؤال اي يسألونك
عن الساعة ايان مرساها ويقولون اين انت من ذكرها ثم استأنف فقال الى
ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة
وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يخاف شدائدها منذر منون يزيد وعباس
كانهم يوم يرونها اي الساعة لم يلبثوا في الدنيا الا عشية او ضحاها اي
ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا
ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى
العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم تبلغ
يوما كاملا ولكن احد طرفي النهار عشيته او ضحاه

عبس كلح اي النبي عليه الصلوة والسلام وتولى اعرض ان جاءه لان جاءه
ومحله نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين
الاعمى عبد الله بن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه وابوه شريح بن مالك اتى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو اشراف قريش الى الاسلام فقال يا رسول
الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله

صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرمه بعده ويقول مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على
المدينة مرتين وما يدريك واي شيء يجعلك داريًا بحال هذا الاعمى لعله
يزكى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل واصله يتزكى فادغمت التاء في
الزاء وكذا او يذكر يتعظ فتنفعه نصبه عاصم غير الاعشى جوابًا للعل وغيره
رفعه عطفا على يذكر الذكرى ذكراك اي موعظتك اي لا تدري ما هو مترقب
منه من تزكٍ او تذكرٍ ولو دريت لما فرط ذلك منك اما من استغنى اي من
كان غنيا بالمال فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه حرصًا على ايمانه
تصدى بادغام التاء في الصاد حجازي وما عليك ان لا يزكى وليس عليك
باس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى
يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او الكفار او الكبوة كعادة العميان
فانت عنه تلهى تتشاغل واصله تتلهى وروي انه ما عبس بعدها في وجه
فقير ولا تصدى لغني وروي ان الفقراء في مجلس الثوري كانوا امراء
كلا ردع اي لا تعد الى مثله انها ان السورة او الآيات تذكرة موعظة يجب
الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره فمن شاء الله ان يذكره ذكره او ذكر
الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر الهمه الله تعالى
في صحف صفة لتذكرة اي انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح او خبر مبتدا محذوف
اي هي في صحف مكرمة عند الله مرفوعة في السماء السابعة او مرفوعة القدر و
المنزلة مطهرة عن مس غير الملائكة او عما ليس من كلام الله بايدي سفرة
كتبة جمع سافر اي الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح كرام على الله او عن المعاصي
بررة اتقياء جمع بار قتل الانسان لعن الكافر او هو امية او عتبة ما اكفره
استفهام توبيخ اي اي شيء حمله على الكفر او هو تعجب اي ما اشد كفره من اي
شيء خلقه استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك فقال من نطفة خلقه
فقدره على ما يشاء من خلقه ثم السبيل يسره نصب السبيل باضمار يسر اي
ثم سهل سبيل الخروج من بطن امه وعن ابن عباس اي بين له سبيل الخير والشر
ثم اماته فاقبره جعله ذا قبر يواري فيه لا كالبهائم كرامة فقال قبر الميت اي
دفنه واقبره اي امره ان يقبره ومكنه منه ثم اذا شاء انشره احياه بعد موته

كلا ردع للانسان عن الكفر لما يقض ما امره لم يفعل هذا الكافر ما امره
الله به من الايمان فلينظر الانسان الى طعامه الذي ياكله ويحيى به كيف
دبرنا امره انا بالفتح كوفي بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستيناف
صببنا الماء صبا يعني المطر من السحاب ثم شققنا الارض شقا بالنبات
فانبتنا فيها حبا كالبر والشعير مما يتغذى به وعنبا ثمرة الكرم اي الطعام
والفاكهة وقضبا رطبة سمي بمصدر قضبه اي قطعه لانه يقضب مرة بعد اخرى
وزيتونا ونخلا وحدائق بساتين غلبا غلاظ الاشجار جمع غلباء وفاكهة
لكم وابا ومراعي لدوابكم متاعا مصدر اي منفعة لكم ولانعامكم فاذا
جاءت الصاخة صيحة القيمة لانها تصخ الآذان اي تصمها وجوابه محذوف
لظهوره يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه لتبعات بينه وبينهم او لاشتغاله
بنفسه وصاحبته وزوجته وبنيه قيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن
ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليه لكل امرء منهم
يومئذ شان في نفسه يغنيه يكفيه في الاهتمام به ويشغله عن غيره وجوه
يومئذ مسفرة مضيئة من قيام الليل او من آثار الوضوء ضاحكة مستبشرة
اي اصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون ووجوه يومئذ
عليها غبرة غبار ترهقها قترة تعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى
اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه اولئك اهل هذه الحال هم الكفرة
في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد

اذا الشمس كورت ذهب ضوءها من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف
ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية
ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط
واذا النجوم انكدرت تساقطت واذا الجبال سيرت عن وجه الارض و
ابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب واذا العشار جمع عشراء وهي الناقة
التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم بني اسمها الى ان يضع لتمام السنة عطلت اهملت
عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وكانوا يحبونها اذا بلغت هذه الحال
ويعطلون ماد ونها عطلت بالتخفيف عن البزي واذا الوحوش حشرت جمعت

من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا اقضي بينها
ردت ترابا فلا يبقى منها الا فيه سرور لبني آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن
عباس رضي الله عنه حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم
حشرتهم السنة واذا البحار سجرت سجرت مكي وبصري من سجر التنور اذا
ملأه بالحطب اي مليت وفجر بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا وقيل
ملئت نيرانا لتعذيب اهل النار واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها
الصالح مع الصالح في الجنة والطالح مع الطالح في النار او قرنت الارواح بالاجساد
او بكتبها واعمالها او نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين
بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية
الاملاق وخوف الاسترقاق سئلت سؤال تلطف ليقول بلا ذنب قتلت و
لتدل على قاتلها وهو توبيخ لقاتلها او هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب
عنه كقوله ءانت قلت للناس الاية باي ذنب قتلت وبالتشديد يزيد وفيه
دليل على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب
واذا الصحف نشرت فتحت وبالتخفيف مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب
والمراد صحف الاعمال تطوي صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز
ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم واذا السماء كشطت قال
الزجاج قلعت كما يقلع السقف واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا
بالتشديد شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيي واذا الجنة ازلفت ادنيت
من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة
الست الاولى في الدنيا والباقية في الآخرة ولا وقف من اول السورة الى ما احضرت
لان عامل النصب في اذا الشمس وفيما عطف عليها جوابها وهو علمت نفس
اي كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جواز الوقف ما احضرت
من خير وشر فلا اقسم لا زائدة بالخنس بالرواجع بينا ترى النجم في اخر البرج
اذ كر راجعا الى اوله والجوار السيارة الكنس الغيب من الوحشي اذا دخل
كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري
مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها
اختفاؤها تحت ضوء الشمس والليل اذا عسعس اقبل بظلامه او ادبر فهو من

الاضداد والصبح اذا تنفس امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح
والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم انه اي القرآن لقول
رسول جبريل عليه السلام وانما اضيف القرآن اليه لانه هو الذي نزل به
كريم عند ربه ذي قوة قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف عند ذي
العرش عند الله مكين ذي جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب
حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته مطاع
ثم اي السموات يطيعه من فيها او عند ذي العرش اي عند الله يطيعه
ملائكته المقربون يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين على الوحي
وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تزعم الكفرة وهو
عطف على جواب القسم ولقد رآه رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته
بالافق المبين بمطلع الشمس وما هو على الغيب وما محمد صلى الله عليه وسلم
على الوحي بضنين بخيل من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي كما يبخل الكهان
رغبة في الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئا مما علم بظنين مكي وابو عمرو و
علي اي بمتهم فينقص شيئا مما اوحي اليه او يزيد فيه من الظنة وهي التهمة
وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم طريد وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين
اي ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة
فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا
في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه
الى الباطل وقال الزجاج معناه فاي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة
التي بينت لكم وقال الجنيد فاين تذهبون عنا وان من شيء الا عندنا ان هو
الا ذكر للعالمين ما القرآن الا عظة للخلق لمن شاء منكم بدل من العالمين
ان يستقيم اي القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعني ان الذين شاؤا الاستقامة
بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان
كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة الا ان يشاء الله رب العالمين
مالك الخلق اجمعين قال الواسطي اعجزك في جميع اوصافك فلا تشاء الا بمشيته
ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله ولا تعصي الا بخذلانه فماذا يبقى لك وبما
ذا تفتخر باعمالك وليس منها شيء الا عليك بعمله وعليه حكمه وقضاؤه وفي الحديث

من اراد ان ينظر الي الاخرة فليقرأ اوايل اذا الشمس كورت وعن بعض السلف
من احب ان ينظر الي القيمة عيانا فليقرأ اوايل اذا الشمس كورت

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت واذا البحار
فجرت فتح بعضها الي بعض فصارت البحار بحرا واحدا واذا القبور بعثرت
بحث واخرج موتاها وجواب اذا علمت نفس اي كل نفس برة وفاجرة ما قدمت
ما عملت من طاعة واخرت وتركت فلم تعمل او ما قدمت من الصدقات وما اخرت
من الميراث يا ايها الانسان قيل الخطاب لمنكر البعث ما غرك بربك الكريم
الذي خلقك اي شئ خدعك حتي ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث
انعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه الصلوة والسلام حين تلاها
غره جهله وعن عمر رضي الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل
لو خوطبت اقول غرتني ستورك المرخاة وعن يحيي بن معاذ اقول غرني برك
بي سالفا وآنفا فسويك فجعلك مستوي الخلق سالم الاعضاء فصيرك معتدلا
متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدي اليدين اطول ولا احدي
العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض ولا بعضها اسود ولا جعلك معتدل
الخلق تمشي قايما لا كالبهايم وبالتخفيف كوفي وهو بمعني المشدد داي عدل بعض
اعضائك ببعض حتي اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا في اي صورة
ما شاء ركبك ما مزيدة للتوكيد اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيته من
الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف
ما قبلها لانها بيان لعدلك والجار والمجرور يتعلق بركبك على معني وضعك في
بعض الصور ومكنك فيه او بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور كلا
ردع عن الغفلة عن الله بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام
فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وان عليكم لحافظين اعمالكم واقوالكم من
الملائكة كراما كاتبين يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم
اعمالكم لتجازوا به يعلمون ما تفعلون لا يخفي عليهم شي من اعمالكم وفي تعظيم
الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلايل الامور وفيه انذار

وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها
من آية على الغافلين ان الابرار لفي نعيم ان المؤمنين لفي نعيم الجنة وان
الفجار لفي جحيم وان الكفار لفي النار يصلونها يوم الدين يدخلونها يوم
الجزاء وما هم عنها بغائبين اي لا يخرجون منها كقوله وما هم بخارجين منها
ثم عظم شان يوم القيمة فقال وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك
ما يوم الدين فكرر للتاكيد والتهويل وبينه بقوله يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن
يوم بالرفع مكي وبصري اي هو يوم او بدل يوم الدين ومن نصب فباضمار اذكر
او باضمار يدانون لان الدين يدل عليه والامر يومئذ لله اي لا امر الا لله وحده
فهو القاضي فيه دون غيره

ويل مبتدا خبره للمطففين للذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اخذوا بالكيل من الناس
يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم
ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون
ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص اي يستوفون على الناس خاصة
وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت منك
فكانه قال استوفيت منك والضمير المنصوب في واذا كالوهم او وزنوهم
راجع الي الناس اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل وانما لم
يقل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم اكتفاء ويحتمل ان المطففين كانوا لا ياخذون
ما يكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم
يزعزعون ويحتالون في الملأ واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في
النوعين يخسرون ينقصون في المكيال والميزان يقال اخسر الميزان واخسره
الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيمة ادخل همزة
الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست الا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم
من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ولا يخمنون تخمينا انهم
مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا انهم يبعثون ما نقصوا في الكيل

والوزن وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في
المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت
به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب يوم
يقوم الناس يبعثون لرب العالمين لامره وجزائه وعن ابن عمر رضي الله عنه
انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردع
وتنبيه والمعنى انه ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث
والحساب ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال ان كتاب الفجار صحائف اعمالهم لفي
سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم فان قلت قد اخبر الله تعالى
عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه
اعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة
او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من
اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس و
التضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح تحت الارض السابعة
في مكان وحش وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف
كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب ويل يومئذ يوم يخرج
المكتوب للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين الجزاء والحساب وما يكذب
به بذلك اليوم الا كل معتد مجاوز للحد اثيم مكتسب للاثم اذا تتلى عليه اياتنا
اي القرآن قال اساطير الاولين احاديث المتقدمين وقال الزجاج اساطير
الاباطيل واحدها اسطورة مثل احدوثة واحاديث كلا ردع عن هذا القول
بل نفي لما قالوا ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون غطاها كسبهم اي غلب على
قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصي وعن الحسن الذنب بعد الذنب
حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن ابي سليمان الرين و
القسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك
الادام كلا ردع عن الكسب الراين على القلب انهم عن ربهم عن رؤية ربهم
يومئذ لمحجوبون لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج في الآية دليل على ان المؤمنين
يرون ربهم والا لا يكون التخصيص مفيدا قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في

الدنيا

في الدنيا عن توحيده حجبهم في العقبى عن رؤيته وقال مالك بن انس لما
حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لانهم في
الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا في الآخرة عن كرامته مجازاة والاول اصح لان الرؤية
اقوى فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها ثم انهم لصالوا الجحيم بعد كونهم
محجوبين عن ربهم لداخلوا النار ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون
اي هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتنكرون وقوعه كلا
ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار اي ما كتب من اعمالهم والابرار المطيعون
الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر في مقابلة الفجار وبين الفجار
بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذي لا يؤذي الذر لفي عليين
هو علم لديوان الخير الذي دون فيه ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول
من جمع علي فعيل من العلو سمي به لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات
في الجنة او لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وما
ادراك ما الذي اعلمك يا محمد ما عليون نا يثه هو كتاب مرقوم يشهده
المقربون بحضرة الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع ان
الابرار لفي نعيم تنعم في الجنان على الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى
كرامة الله ونعمه والى اعدائهم كيف يعذبون تعرف في وجوههم نضرة النعيم
بهجة التنعم وطراوته يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك واني
بمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا امر الله تعالى فالختم عليه
اكراما لاصحابه او ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اي يوجد رائحة المسك عند
خاتمة شربه خاتمه على وفي ذلك الرحيق والنعيم فليتنافس المتنافسون
فليرغب الراغبون وذا العمايكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيئات
ومزاجه ومزاج الرحيق من تسنيم هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي
هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب في الجنة او لانها تأتيهم من فوق
وتنصب في اوانيهم عينا حال او نصب على المدح يشرب بها اي منها المقربون
عن ابن مسعود رضي الله عنه يشربها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين
ان الذين اجرموا كفروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون في الدنيا استهزاء بهم
واذا مروا بهم يتغامزون يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم

قيل جاء علي رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا
وقالوا ترون هذا الاصلع فنزلت قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا انقلبوا اي اذا رجع الي منازلهم الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين
بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين اي فرحين واذا راوهم واذا
رأى الكافرون المؤمنين قالوا ان هؤلاء لضالون اي خدع محمد هؤلاء فضلوا
وتركوا اللذات لما يرجونه في الاخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال
وهذا هو عين الضلال وما ارسلوا وما ارسل الكفار عليهم على المؤمنين حافظين
يحفظون احوالهم ويرقبون اعمالهم بل امروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك
اولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه احلامهم فاليوم اي يوم القيمة الذين امنوا
من الكفار يضحكون ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة على الارائك ينظرون حال
من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم من الهوان والصغار
بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك امنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة
فيقال لهم الى الجنة فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم هل ثوب
الكفار ما كانوا يفعلون هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا اذا فعل بهم ما

اذا السماء انشقت تصدعت وتشققت واذنت لربها سمعت واطاعت واجابت
ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع وحقت وحق لها ان تسمع وتطيع لامر الله
اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى واذا الارض مدت بسطت وسويت باندكاك
جبالها وكل امت فيها والقت ما فيها رمت ما في جوفها من الكنوز والموتى و
تخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها
في الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه واذنت
لربها في القاء ما في بطنها وتخليها وحقت وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف
جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير
والانفطار وجوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه
يا ايها الانسان خطاب للجنس انك كادح الى ربك كدحا جاهد الى لقاء
ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه الضمير للكدح وهو

جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير
وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك يدل عليه قوله فاما من
اوتي كتابه بيمينه اي كتاب عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا وهو
ان يجازي على الحسنات ويتجاوز عن السيئات وفي الحديث من يحاسب يعذب
فقيل فاين قوله فسوف يحاسب حسابا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب
عذب وينقلب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او
الى اهله في الجنة من الحور العين مسرورا فرحا واما من اوتي كتابه وراء
ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله
من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلى
سعيرا اي ويدخل جهنم انه كان في الدنيا في اهله معهم مسرورا
بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفي مراتع هواه راتعا
انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضي الله عنه
ما عرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حوري ارجعي بلى ايجاب لما
بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن ان ربه كان به وباعماله بصيرا لا يخفى عليه
فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها فلا اقسم بالشفق فاقسم بالبياض بعد الحمرة او
الحمرة والليل وما وسق جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم او ما عمل فيه
من التهجد وغيره والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق لتركبن
ايها الانسان على ارادة الجنس طبقا عن طبق حالا بعد حال كل واحدة مطابقة
لاختها في الشدة والهول فالطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق كذا اي لا
يطابق ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من
قولهم هو على طبقات اي لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها
ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها ومحل عن طبق
نصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن
مجاوزين لطبق وقال مكحول في كل عشرين عاما تحدثون امرا لم تكونوا عليه و
بفتح الباء مكي وعلي وحمزة والخطاب له عليه الصلوة والسلام اي طبقا من اطباق
السماء بعد طبق اي في المعراج فما لهم لا يؤمنون فما لهم في ان لا يؤمنوا واذا قرئ
عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون بل الذين كفروا يكذبون بالبعث

والقرآن والله اعلم بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر
وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء و
يدخرون لانفسهم من انواع العذاب فبشرهم بعذاب اليم اخبرهم جزاء
يظهر اثره الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع لهم اجر غير
ممنون غير مقطوع او غير منقوص

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر وقيل النجوم او عظام الكواكب
واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود اي وشاهد في ذلك اليوم
ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود
فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما في قوله علمت نفس ما احضرت
كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما للابهام في الوصف كانه
قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت اقاويل المفسرين فيهما
فقيل محمد ويوم القيمة او عيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
او امة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم او الحجر الاسود والحجيج او الايام والليالي
وبنو آدم للحديث ما من يوم الا وينادي انا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد
فاغتنمني او الحفظة وبنو آدم او الله والخلق لقوله وكفى بالله شهيدا او الانبياء
ومحمد عليه الصلوة والسلام وجواب القسم محذوف يدل عليه قتل اصحاب
الاخدود اي لعن كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش
كما لعن اصحاب الاخدود وهو خد اي شق عظيم في الارض روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في
طريق الغلام راهب فسمع منه فراي في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس
فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها
فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص وعمي جليس للملك فابراه فابصر
الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام
فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب
به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك

لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي
وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه
ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر
فخد اخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة
معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فالقي
الصبي وامه فيها النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف
لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس اذ
ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها هم عليها اي الكفار
على ما يدنو منها من حافات الاخدود قعود جلوس على الكراسي وهم اي الكفار
على ما يفعلون بالمؤمنين من الاحراق شهود يشهد بعضهم لبعض عند
الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين
على الصبر وتحمل اذى اهل مكة وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا وما عابوا منهم وما
انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب وقوله وما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرئ نقموا
بالكسر والفصيح هو الفتح بالله العزيز الحميد ذكر الاوصاف التي يستحق بها ان
يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته
ويرجى ثوابه الذي له ملك السموات والارض فكل من فيهما يحق عليه عبادته
والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين
اهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه
تعالى علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين
في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم ثم لم يتوبوا لم يرجعوا
عن كفرهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق في الدنيا
لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين
اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في
الآخرة لكفرهم ولفتنتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري
من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اي الذين صبروا على تعذيب الاخدود

قبين

وهو عام إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ البطش الاخذ بالعنف واذا وصف بالشدة
فقد تضاعف وتفاقم والمراد اخذه الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام
إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صيرهم ترابا دل
باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما
بداهم ليبطش بهم اذا لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وَهُوَ الْغَفُورُ
الساتر للعيوب العافي عن الذنوب الْوَدُودُ المحب لاوليائه وقيل الفاعل
باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا ذُو الْعَرْشِ خالقه
ومالكه الْمَجِيدِ حمزة وعلي على انه وصف للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش
علوه وعظمه فَعَّالٌ خبر مبتدأ محذوف لِمَا يُرِيدُ تكوينه فيكون فيه دلالة
خلق افعال العباد هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ اي خبر الجموع الطاغية في
الامم الخالية فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله و
المعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بَلِ
الَّذِينَ كَفَرُوا من قومك فِي تَكْذِيبٍ واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون
بالجنود لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُحِيطٌ عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة من ورائهم
مثل بانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به بَلْ هُوَ بل هذا الذي كذبوا
به قُرْآنٌ مَجِيدٌ شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه ليس كما يزعمون
انه مفترى وانه اساطير الاولين فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ من وصول الشياطين اليه
محفوظ نافع صفة القرآن اي من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شيء يلوح
للملائكة فيقرؤونه وعند ابن عباس رضي الله عنه هو من درة بيضاء طوله ما
بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شيء فيه مسطور
وعن مقاتل هو على يمين العرش وقيل اعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر
ملك كريم

بالرفع ص

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ عظم قدر
السماء في اعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة
فاقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها لعظم

منفعتها

منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب اي المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه
ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق
الجني يصكه وجواب القسم إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ لان لما ان كانت
مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فيكون ان نافية اي ما كل نفس الا
عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فيكون ان مخففة من الثقيلة
اي انه كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات او يحفظ عملها ورزقها و
اجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة
من الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وايتهما كانت
فهي ما يتلقى به القسم فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ لما ذكر ان على كل نفس حافظا
امره بالنظر في اول امره ليعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم
الجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام اي من اي شيء
خلق جوابه خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ والدفق صب فيه دفع والدفق في الحقيقة لصاحبه
والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض اهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق
الماء بنفسه اي انصب ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في
خلقه يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي
عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم
والدم من المرأة إِنَّهُ ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذي خلق الانسان
ابتداء من نطفة عَلَى رَجْعِهِ على اعادته خصوصا لَقَادِرٌ لبين القدرة لا يعجز
عنه كقوله انني لفقير ونصب يَوْمَ تُبْلَى اي تكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله
رجعه اي يبعثه السَّرَائِرُ ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وما اخفي من
الاعمال فَمَا لَهُ فما للانسان مِنْ قُوَّةٍ في نفسه على دفع ما حل به وَلَا نَاصِرٍ يعينه
ويدفع عنه وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ اي المطر وسمي به لعوده كل حين وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الصَّدْعِ هو ما يتصدع عنه الارض من النبات إِنَّهُ القرآن لَقَوْلٌ فَصْلٌ فاصل
بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ باللعب والباطل يعني انه
جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في
القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح إِنَّهُمْ يعني مشركي
مكة يَكِيدُونَ كَيْدًا يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق وَأَكِيدُ كَيْدًا

واجزيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون فسمي جزاء الاعتداء و
السيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على
الله تعالى الا على وجه الجزاء وهو كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم
الله يستهزئ بهم فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم
انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير رويدا
امها لا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهي من رادت الريح ترود رودا تحركت
حركة ضعيفة

سبح اسم ربك الاعلى نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر
الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان وقيل قل
سبحان ذي الاعلى وفي الحديث لما نزل قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها في
سجودكم الذي خلق فسوى اي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه
الانتفاع به يخهدى واضل ولكن حذف واضل اكتفاء كقوله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء اي خلق قدر على كل شي فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير
ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم او سواه على
ما فيه منفعته ومصلحته والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه الدواب فجعله
غثاء يابسا هشيما احوى اسود فاحوى صفة لغثاء سنقرئك فلا تنسى سنعلمك
القرآن حتى لا تنساه الا ما شاء الله ان ينسخه وهذا اشارة من الله لنبيه عليه الصلوة
والسلام ان يحفظ عليه الوحي حتى لا ينفلت منه شي الا ما شاء الله ان ينسخه فيذهب
به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوي جنيدا رحمه الله فقال
فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة
للفاصلة كقوله السبيلا اي فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه
برفع تلاوته انه يعلم الجهر وما يخفى اي انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه
السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر
او ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم و
افعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك
وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل

والذي قدّر فهدى

يعني

يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرايع او نوفقك لعمل الجنة
فذكر عظ بالقرآن ان نفعت الذكرى جواب ان مدلول قوله فذكر سيذكر
سيتعظ ويقبل التذكرة من يخشى الله وسوء العاقبة ويتجنبها يتباعد عن
الذكرى ولا يقبلها الاشقى الكافر او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي
يصلى النار الكبرى يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثم لا يموت فيها
فيستريح من العذاب ولا يحيى حيوة ينتفع بحيوته وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة
والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة قد افلح نال الفوز من
تزكى تطهر من الشرك او تطهر للصلوة او ادى الزكوة تفعل من الزكوة كتصدق
من الصدقة وذكر اسم ربه وكبر للافتتاح فصلى الخمس وبه يحتج على وجوب
تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو
يقتضي المغايرة وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن
عباس رضي الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك و
ذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا على
الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة ابي عمرو
يؤثرون والآخرة خير وابقى افضل في نفسها وادوم ان هذا لفي الصحف
الاولى هذه اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى اي ان معنى هذا الكلام وارد في
تلك الصحف او الى ما في السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية
في الصلوة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم و
بهذه اللغة صحف ابراهيم وموسى بدل عن الصحف الاولى وفي الاثر وفي صحف
ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه

هل بمعنى قد اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها وتلبسهم
اهوالها يعني القيمة وقيل النار من قوله ويغشى وجوههم النار وجوه اي وجوه
الكفار وانما خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما في المرء اثرا في الوجه يومئذ
يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة لما اعتري اصحابها من الخزي والهوان عاملة ناصبة

تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار
كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في
حدور وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها
في الاخرة وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت
في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب **تصلى نارا حامية** تدخل نارا
قد احميت مددا طويلة فلا حر تُصلى ابو عمرو وابو بكر **تسقى من عين آنية**
من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث في هذه الصفات والافعال راجعة
الى الوجوه والمراد اصحابها بدليل قوله **ليس لهم طعام الا من ضريع** وهو
نبت يقال لرطبه الشبرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب الوان
والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة
الضريع فلا تناقض بين هذه وبين قوله ولا طعام الا من غسلين **لا يسمن**
مجرور المحل لانه وصف ضريع **ولا يغني من جوع** اي منفعتا الغذاء منتفيتان
عنه وهما اماطة الجوع وافادة السمن في البدن **وجوه يومئذ** ثم وصف وجوه
المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع **ناعمة** متنعمة
في لين العيش **لسعيها راضية** رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما اداهم اليه
من الكرامة والثواب **في جنة عالية** من علو المكان والمقدار **لا تسمع** يا مخاطب
او الوجوه **فيها لاغية** اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة
الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم لا يُسمع فيها لاغية مكي
وابو عمرو ولا تُسمع فيها لاغيةٌ نافع **فيها عين جارية** اي عيون كثيرة كقوله علمت
نفس **فيها سرر** جمع سرير **مرفوعة** من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن
بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم **واكواب** جمع كوب وهو
القدح وقيل آنية لا عروة لها **موضوعة** بين ايديهم ليلتذوا بالنظر اليها
موضوعة على حافات العيون معدة للشرب **ونمارق** وسائد **مصفوفة** بعضها
الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند
الى اخرى **وزرابي** وبسط عراض فاخرة جمع زربية **مبثوثة** مبسوطة
او مفرقة في المجالس ولما انزل الله تعالى هذه الآيات في صفة الجنة وفسر النبي
صلى الله عليه وسلم بان ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة

لايدخل

لا يدخل في حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابي كذا
انكر الكفار وقالوا كيف نصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة
وتطول النمارق هذا الطول وتنبسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك
في الدنيا فقال الله تعالى **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** طويلة ثم تبرك
حتى تركب وتحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطاطئ للمؤمن كما يطاطئ الابل **و**
الى السماء كيف رفعت بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة
فلا يدخل في حساب الخلق فكذا الاكواب **والى الجبال كيف نصبت** نصبا ثابتا
فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق **والى الارض كيف سطحت** سطحا بتمهيد
وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابي
ويجوز ان يكون المعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة
الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول عليه الصلاة
والسلام ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان
هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما يكثر مشاهدته
له والعرب يكونون في البوادي ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل
فهي اعز اموالهم وهم لها اكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع
المآرب المطلوبة من الحيوان وهي النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف
غيرها ولان خلقها اعجب من غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها
لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها
بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة
وصبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها
ترعى كل نابت في البراري مما لا ترعاه سائر البهائم **فذكر** هم بالادلة ليتفكروا
فيها **انما انت مذكر** ليس عليك الا التبليغ **لست عليهم بمسيطر** بمسلط
كقوله وما انت عليهم بجبار بمصيطر مدني وبصري وعاصم وعلي **الا من تولى**
وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر الاستثناء منقطع اي لست بمستول عليهم
ولكن من تولى منهم وكفر بالله فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر
وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك
من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض **ان الينا ايابهم**

رجوعهم و فائدة تقدم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا
الي الجبار المقتدر على الانتقام ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ فيحاسبهم علي اعمالهم
ويجازيهم بها جزاء امثالهم وعلي لتاكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على
الله شيء

وَالْفَجْرِ اقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا اسفر وبصلوة الفجر وَلَيَالٍ عَشْرٍ
عشر ذي الحجة او العشر الاول من المحرم او الاخر من رمضان وانما نكرت لزيادة
فضيلتها وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ شفع كل الاشياء ووترها او شفع هذه الليالي
ووترها او يوم النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع او الخلق
والخالق والوِتر حمزة وعلي وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازي و
الكسر تميمي وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم فقال
وَاللَّيْلِ وقيل اريد به ليلة القدر إِذَا يَسْرِ اذا يمضي وياء يسري تحذف في
الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وسال واحد الاخفش
عن سقوط الياء فقال لا حتى تخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لا يسري
وانما يسري فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسري
يسرى فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه هَلْ فِي ذَلِكَ اي فيما اقسمت به من
هذه الاشياء قَسَمٌ اي مقسم به لِذِي حِجْرٍ عقل سمي به لانه يحجر عن التهافت
فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل تحق عنده ان تعظم
بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد
بمثله المقسم عليه او هل في القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذي عقل ولب
والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الي قوله فصب
عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التي كذبت المرسل فقال أَلَمْ
تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ اي الم تعلم يا محمد علما يوازي
العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى
وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم عطف بيان
لعاد وايذان بانهم عاد الاولي القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا

فيها

فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم
كقوله واسئل القرية ولم ينصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث و
ذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او
طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى
انها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا
ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبني ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة
سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار و
الانهار ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما دان منها على مسيرة
يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة
انه خرج في طلب ابل له فوقع فيها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية
فاستحضره فقص عليه فبعث الي كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد و
سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى
عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله
ذلك الرجل الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ اي مثل عاد في قوتهم وطول
قامتهم كان الرجل منهم اربعمائة ذراع ولم يخلق مثل مدينة شداد في
جميع بلاد الدنيا وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ قطعوا صخر الجبال واتخذوا
فيها بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة
كلها من الحجارة بِالْوَادِ بوادي القرى وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ذي الجنود
الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة اذا نزلوا وقيل كان له اوتاد يعذب الناس
كما فعل باسية الَّذِينَ في محل النصب على الذم او الرفع على هم الذين او الجر على
وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون طَغَوْا فِي الْبِلَادِ تجاوزوا الحد فَأَكْثَرُوا
فِيهَا الْفَسَادَ بالكفر والقتل والظلم فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
مجاز عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط
بزيادة الايلام اي عذبوا عذابا مؤلما دائما إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ المكان
الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد و

انهم لايفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظ فيجازيهم عليه ان خيرا
فخير وان شرا فشر فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول
ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اي ضيقه عليه وجعله
بمقدار بلغته فقدر شامي ويزيد فيقول ربي اهانن اي الواجب لمن
ربه بالمرصاد ان يسعي للعاقبة ولا يهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا
امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني
فيري الاكرام في كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه
رزقه ليصبر قال ربي اهانن فيري الهوان في قلة الحظ من الدنيا لانه
لا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله كلا اي
ليس الاكرام والاهانة في الخذلان وقوله فيقول خبر المبتدا الذي هو
الانسان ودخول الفاء لما في اما من معني الشرط والظرف المتوسط بين
المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل واما الانسان فقائل ربي اكرمن
وقت الابتلاء وكذا فيقول الثاني خبر لمبتدا تقديره واما هو اذا ما ابتلاه
ربه فيقول وسمي كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل
واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا
قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع ونحوه قوله تعالي ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وانما انكر قوله ربي اكرمن مع انه اثبته بقوله فاكرمه لانه قاله
علي قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الي ان الله اعطاه ما
اعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما اوتيته علي علم عندي وانما اعطاه
الله تعالي ابتلاء من غير استحقاق منه بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون
علي طعام المسكين اي بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم
بالغني فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض اهله علي
طعام المسكين وتاكلون التراث الميراث اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين
الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون تراثهم مع
تراثهم وتحبون المال حبا يقال احبه واحبه بمعني حبا جما كثيرا شديدا مع
الحرص ومنع الحقوق ربي حجازي وابو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون
ويحبون بصري كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتي بالوعيد

وذكر تحسرهم علي ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال اذا دكت الارض
زلزلت دكا دكا دكا بعد دك اي كرر عليها الدك حتي عادت هباء منبثا
وجاء ربك تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه فان
واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر
بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس رضي الله عنه جاء امره وقضاؤه
والملك صفا صفا اي ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف
محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت
الجحيم للغاوين وقيل هو مجري علي حقيقته ففي الحديث يؤتي بجهنم يومئذ
لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يقول
يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي حيوة الآخرة اي يا ليتني قدمت الاعمال
الصالحة في الحيوة الفانية فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يتولي
عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
وثاقه احد قال صاحب الكشف لا يعذب احد احدا كعذاب الله ولا
يوثق احد احدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق علي وهي قراءة رسول الله عليه
الصلوة والسلام ورجع اليها ابو عمرو في آخر عمره والضمير يرجع الي الانسان
الموصوف وهو الكافر وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه
ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده ثم يقول الله تعالي
للمؤمن يا ايتها النفس اكراما له كما كلم موسي عليه السلام او يكون علي لسان
ملك المطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة
او المطمئنة الي الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير
الاول قراءة ابي يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة فانما يقال لها عند الموت او
عند البعث او عند دخول الجنة ارجعي الي موعد ربك او ثواب ربك راضية
من الله بما اوتيت مرضية عند الله بما عملت فادخلي في عبادي في جملة عبادي
الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم وقال ابو عبيدة اي مع عبادي
ولما مات ابن عباس رضي الله عنه جاء طائر لم ير علي خلقته فدخل في نعشه
فلما دفن تليت هذه الآية ولم يدر من تلاها قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه وقيل في خبيب رضي الله عنه الذي صلبه اهل مكة وقيل هي عامة

في المؤمنين اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان
خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم
عليه بقوله وانت حل بهذا البلد اي ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك
تستحل بهذا البلد يعني مكة كما تستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون
ان يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله
عليه الصلوة والسلام وبعث على احتمال ما كان يكابده من اهل مكة وتعجب
من حالهم في عداوته او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على
ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما
للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد اي وانت حل به في المستقبل
تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها
له وما فتحت على احد قبله ولا احلت فاحل له ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل
وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما ونظير قوله وانت
حل في الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على انه للاستقبال
ان السورة مكية بالاتفاق واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح ووالد وما
ولد هما آدم وولده او كل والد وولده او ابراهيم وولده وما بمعنى من او بمعنى
الذي لقد خلقنا الانسان جواب القسم في كبد مشقة يكابد مصائب الدنيا
وشدائد الآخرة وعن ذي النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الايتمار
والانتهاء والضمير في ايحسب ان لن يقدر عليه احد لبعض صناديد قريش
ثم قيل هو ابو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي
في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم القيمة ولن يقدر على الانتقام منه ثم
ذكر ما يقول في ذلك اليوم وهو انه يقول اهلكت مالا لبدا اي كثيرا جمع لبدة و
هو ما تلبد اي كثر واجتمع يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم
ومعالي ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعني ان
الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال الم نجعل له عينين
يبصر بهما المرئيات ولسانا يعبر به عما في الضمير وشفتين يستر بهما ثغوره

ويستعين

ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وهديناه النجدين طريقي
الخير والشر المفضيان الى الجنة والنار وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة
وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
ذا مقربة او مسكينا ذا متربة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال
الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي
هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان
الانفاق على هذا الوجه مرضي نافع عند الله لا ان يهلك ماله لبدا في الرياء
والفخار وقلما يستعمل لا مع الماضي الا مكررة وانما لم تكرر في الكلام الا
لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلثة اشياء صار كانه اعاد لفظ لا ثلث مرات و
تقديره فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة
بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما
في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة
مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة
ما اقتحامها ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند
الله وفك الرقبة تخليصها من الرق او الاعانة في مال الكتابة فك رقبة
او اطعم مكي وابو عمرو وعلي على الابدال من اقتحم العقبة غيرهم فك رقبة
او اطعام على تقدير اقتحامها فك رقبة او اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة
القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال
فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب
فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة كقولهم هم ناصب ذو
نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا اي دوام على الايمان وقيل ثم بمعنى
الواو وقيل انما جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن
العتق والصدقة لا في الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل
صالح الا به وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى
بها المؤمن وتواصوا بالمرحمة بالتراحم فيما بينهم اولئك اصحاب الميمنة
اي الموصوفون بهذه الصفات من اصحاب اليمين والذين كفروا باياتنا
بالقرآن او بدلائلنا هم اصحاب المشأمة اصحاب الشمال فالميمنة والمشأمة

فصح

اليمين والشمال واليمن والشوم اي الميامين على انفسهم والمشايم عليهن
عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ وبالهمز ابو عمرو وحمزة وحفص اي مطبقة من اوصدت الباب
وآصدته اذا اطبقته واغلقته

وَالشَّمْسِ وَضُحَيهَا وضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها وَالْقَمَرِ اِذَا تَلَاهَا
تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس
في النور وَالنَّهَارِ اِذَا جَلَّاهَا جلى الشمس واظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ
النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلا وقيل الضمير
للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة
وَاللَّيْلِ اِذَا يَغْشَيهَا يستر الشمس وتظلم الآفاق والواو الاولى في نحو هذا
للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف
لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز الا ترى انك لو جعلت موضعها
كلمة الفاء وثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها
للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل
مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذي هو اقسم
فلو جعلت الواو في والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل
جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار زيدا
والحجرة عمرا واجيب بان واو القسم فنزلت منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز
الفعل معها فصار كانها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان
وكل عامل له عملان يجوز ان يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو
ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي
هو عاملها فكذا ههنا وما مصدرية في وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْاَرْضِ وَمَا
طَحَيهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيهَا اي وبنائها وطحوها اي بسطها وتسوية خلقها
في احسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فالهمها وما فيه من فساد النظم
والوجه ان يكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل
والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها
وانما نكرت النفس لانه اراد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كانه

قال واحدة من النفوس او اراد كل نفس والتنكير للتكثير كما في علمت نفس
فَاَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيهَا فاعلمها طاعتها ومعصيتها اي افهمها ان احدهما
حسن والآخر قبيح قَدْ اَفْلَحَ جواب القسم والتقدير لقد افلح قال الزجاج صار
طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره
ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه و
سلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح فكلام تابع لقوله
فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في
شيء مَنْ زَكَّيهَا طهرها الله واصلحها وجعلها زاكية وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيهَا
اغواها الله قال عكرمة افلحت نفس زكيها الله وخابت نفس اغواها الله و
يجوز ان يكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفا
واصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيهَا
بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم اِذِ انْبَعَثَ حين قام بعقر الناقة
اَشْقَيهَا اشقى ثمود قدار بن سالف وكان اشقر ازرق قصيرا واذ منصوب
بكذبت او بالطغوى فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّٰهِ صالح عليه السلام نَاقَةَ اللّٰهِ نصب
على التحذير اي احذروا عقرها وَسُقْيَهَا كقولك الاسد الاسد فَكَذَّبُوهُ فيما
حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا فَعَقَرُوهَا اي الناقة اسند الفعل
اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به
فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اهلكهم هلاك استيصال بِذَنْبِهِمْ بسبب ذنبهم
وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة فَسَوَّيهَا فسوى الدمدمة عليهم لم
يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم وَلَا يَخَافُ عُقْبَيهَا ولا يخاف الله عاقبة هذه
الفعلة اي فعل ذلك غير خائف ان يلحقه تبعة من احد كما يخاف ويعاقب من
الملوك لانه فعل في ملكه وملكه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلا يخاف مدني
وشامي

وَاللَّيْلِ اِذَا يَغْشَى المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها او النهار
من قوله يغشي الليل النهار او كل شيء يواريه من قوله اذا وقب وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلَّى
ظهر بزوال الظلمة الليل وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْاُنْثَى والقادر العظيم القدرة

الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء وجواب القسم ان سعيكم لشتى
ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على اثره فاما من اعطى حقوق
ماله واتقى ربه فاجتنب محارمه وصدق بالحسنى بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام [فسنيسره لليسرى]
او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بالكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله واما من بخل
بماله واستغنى عن ربه فلم يتقه واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى
وكذب بالحسنى بالاسلام او الجنة فسنيسره للعسرى للخلة المودية الى
النار فيكون الطاعة اعز شيء عليه واشده او سمى طريقة الخير باليسرى لان
عاقبتها اليسرى وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة
والنار وما يغني عنه ماله اذا تردى ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل
من الردى وهو الهلاك او تردى في القبر او في قعر جهنم اي سقط ان علينا
للهدى اي ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان
لنا للاخرة والاولى فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى
او انهما لنا فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق فانذرتكم فخوفتكم
نارا تلظى تتلهب لا يصلاها لا يدخلها للخلود فيها الا الاشقى الذي كذب
وتولى الا الكافر الذي كذب الرسول واعرض عن الايمان وسيجنبها وسيبعد
منها الاتقى المؤمن الذي يؤتي ماله للفقراء يتزكى من الزكوة اي يطلب
ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او تفعل من الزكوة وقوله يتزكى
ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلاة لا محل
لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب قال ابو عبيدة الاشقى بمعنى
الشقي وهو الكافر والاتقى بمعنى التقي وهو المؤمن لا يختص بالصلى اشقى الاشقياء
ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى
فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقي يجنب تلك النار المخصوصة لا
الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين
وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي
كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق
الا له وقيل هما ابو جهل وابو بكر رضي الله عنه وقيل للنار دركات ولكل فريق
درك كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فجاز ان يكون النار

التي بصفة

التي بصفة التلظي للاشقى ويجنب عنها الاتقى وفيه بطلان زعم المرجية لانهم
يقولون لا يدخل النار الا كافر وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء
وجه ربه اي وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا ان يفعل فعلا يبتغي به وجه
ربه فيجازى عليه الاعلى هو الرفيع بسلطانه المنيع في شانه وبرهانه ولم
يرد به العلو من حيث المكان فذا اية الحدثان ولسوف يرضى موعد بالثواب
الذي يرضيه ويقر عينه وهو كقوله لنبيه عليه الصلوة والسلام ولسوف
يعطيك ربك فترضى

والضحى المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص
وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى والقي فيها السحرة سجدا
او النهار كله لمقابلته بالليل بقوله والليل اذا سجى اي سكن والمراد سكون
الناس والاصوات فيه وجواب القسم ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك
منذ اختارك وما ابغضك منذ احبك والتوديع مبالغة في الودع لان من
ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تاخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت و
حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا و
الذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي
لظهور المحذوف وللاخرة خير لك من الاولى اي ما اعد لك في الآخرة من
المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما اعجبك في الدنيا وقيل
وجه اتصاله بما قبله انه لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصل بالوحي
اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك اخبره ان حاله في الاخرة
اعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة امته على الامم وغير ذلك و
لسوف يعطيك ربك في الاخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك
فترضى ولما نزلت قال عليه الصلوة والسلام اذن لا ارضى وواحد من امتي
في النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة و
المبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ونحو لاقسم فيمن قرأ كذلك
بان المعنى لانا اقسم وهذا لانها ان كانت لام قسم فلامه لا يدخل على المضا

رع

الامع نون التاكيد فتعين ان يكون لام الابتداء ولام لا يدخل الا على المبتدا
والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وقال
صاحب الكشف هي لام القسم واستغني عن نون التاكيد لان النون انما يدخل
ليوذن ان اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها
على سوف لان لام الابتداء لا يدخل على سوف وذكر ان جمعهم حرفي التاكيد و
التاخير يوذن بان العطاء كاين لا محالة وان تاخر ثم عدد عليه نعمه من اول
حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة
الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا** وهو من الوجدان
الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولان والمعنى الم تكن يتيما حين مات ابوك
فَآوَىٰ اي فاواك الى عمك ابي طالب وضمك اليه حتى كفلك وربّاك **وَ**
وَجَدَكَ ضَالًّا اي غير واقف على معالم النبوة واحكام الشريعة وما طريقه
السمع **فَهَدَىٰ** فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل في طريق الشام حين خرج
به ابو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفهم به عدوله عن حق ووقوع
في غي فقد كان عليه الصلوة والسلام من اول حاله الى نزول الوحي اليه معصوما
عن عبادة الاوثان وقاذورات اهل الفسق والعصيان **وَوَجَدَكَ عَائِلًا**
فقيرا **فَأَغْنَىٰ** فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم **فَأَمَّا**
الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا**
تَنْهَرْ فلا تزجره فابذل قليلا او رد جميلا وعن السدي المراد طالب العلم
اذا جاءك فلا تنهره **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** اي حدث بالنبوة التي اتاك
الله وهي اجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم
القرآن والشرائع

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد
اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه ووضعنا اعتبارا
للمعنى اي فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة
الثقلين وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن
ملئ حكمة وعلما **وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ** اي خففنا عنك اعباء النبوة والقيام

بامرها

بامرها وقيل هو زلة لا نعرفها بعينها وهي ترك الافضل مع اتيان الفاضل
والانبياء عليهم الصلوة والسلام يعاتبون بمثلها ووضعه عنه ان غفر له
والوزر الحمل الثقيل **الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ** اثقله حتى سمع نقيضه وهو
صوت الانتقاض **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** رفع ذكره ان قرن بذكر الله في
كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد وفي غير موضع من
القرآن اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وفي تسمية رسول الله ونبيه ومنه ذكره في كتب الاولين و
فائدة لك ما عرف في طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله الم نشرح
ان ثم مشروحا ثم اوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكذلك ذكرك وعنك
ووزرك **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** اي مع الشدة التي انت فيه
من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهاري اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل
كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر حتى
سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله فذكره ما انعم به عليه من
جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا
تياس من فضل الله فان مع العسر الذي انتم عليه يسرا وجيء بلفظ مع لغاية
مقاربة اليسر العسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب وانما قال عليه الصلوة
والسلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر اعيد معرفا فكان واحدا
لان المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر اعيد نكرة
والنكرة اذا اعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر
يسرين قال ابو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير
واحد ومعه غلامان واذا قيل ان مع الامير الغلام فالامير واحد واذا قيل
ان مع امير غلاما ان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان كذا في شرح التاويلات
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ اي فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب
وعن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء و
اختلف انه قبل السلام او بعده ووجه الاتصال بما قبلها انه لما عدد نعمه السالفة
ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وعلى ان
يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلي وقتا منها او قاته فاذا فرغ من عبادة ذنبها

باخزي والي ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصًا ولا تسال الا فضله
متوكلًا عليه

والتين والزيتون اقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روي
انه اهدي الي الرسول صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه
كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا
عجم فكلوا فانها يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال نعم السواك
الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال وهي سواكي
وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا و
زيتونكم وقيل هما جبلان بالشام ينبتانهما وطور سينين اضيف الطور
وهو الجبل الي سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب
بالواو والياء والاقرار على اليا وتحريك النون بحركات الاعراب وهذا
البلد الا يعني مكة الامين من امن الرجل امانة فهو امن وامانته ان يحفظ
من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة
عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكني الانبياء
والاولياء فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى عليهما الصلاة
والسلام ومنشاؤه والطور المكان الذي نودي منه موسي عليه السلام ومكة
مكان البيت الذي هو هدي للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله
عليه وسلامه او الاولان قسم بمهبط الوحي على عيسي والثالث على موسي و
الرابع على محمد عليهم الصلوة والسلام وجواب القسم لقد خلقنا الانسان
وهو جنس في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه
ثم رددناه اسفل سافلين اي ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك
الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني
اقبح من قبح صورة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او
ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في احسن الصورة
والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد
سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شي منه فمشيه دليف وصوته

خفات وقوته ضعف وشهامته خرف الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم اجر غير ممنون ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين
اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلي الثاني منقطع اي ولكن الذين
كانوا صالحين من الهرمي فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم
على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلي مقاساة المشاق والقيام بالعبادة
والخطاب في فما يكذبك بعد بالدين للانسان على طريقة الالتفات اي
فما سبب تكذيبك بعد البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى
ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة
الي ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الي ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه
على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته
فما سبب تكذيبك بالجزاء او لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي فمن ينسبك
الي الكذب بعد هذا الدليل فما معنى من اليس الله باحكم الحاكمين وعيد
للكفار وانه يحكم عليهم بما هو اهله وهو من الحكم بمعنى القضاء

عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما هي اول سورة نزلت والجمهور على ان
الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم اقرأ باسم ربك محل باسم ربك النصب
على الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل باسم الله ثم اقرأ الذي خلق لم يذكر
لخلق مفعول لان المعنى الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه او تقدير
خلق كل شي فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره اولي
من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله
الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز ان يراد بالذي خلق الانسان الا انه ذكر
مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق وانما جمع ولم يقل
من علقة لان الانسان في معنى الجمع اقرأ وربك الاكرم الذي له الكمال في زيادة
كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة
مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم
حيث قال الذي علم الكتابة بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال

كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل ونبه على فضل علم
الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا
ضبطت اخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت
امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا امر القلم والخط لكفى
به **كلا** ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه
ان الانسان ليطغى نزلت في ابي جهل الى آخر السورة **ان رآه** اي ان رأى
نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني ومعنى الرؤية العلم ولو كانت
بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين **استغنى** هو المفعول
الثاني **ان الى ربك الرجعى** تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريقة
الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع اي ان رجوعك الى ربك فيجازيك على
طغيانك **ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى** اي ارايت ابا جهل ينهى محمدا
عن الصلوة **ارايت ان كان على الهدى** اي ان كان ذلك الناهي على طريقة
سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله **او امر بالتقوى** او كان امرا بالمعروف
والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد **ارايت ان كذب وتولى**
اي ارايت ان كان الناهي مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن **الم يعلم بان
الله يرى** ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا
وعيد وقوله الذي ينهى مع الجملة الشرطية مفعول لارايت وجواب الشرط محذوف
تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف
لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني وهذا كقولك ان اكرمتك تكرمني وارايت
الثانية مكررة زائدة للتوكيد **كلا** ردع لابي جهل عن نهيه عن عبادة الله
وامره بعبادة الاصنام ثم قال **لئن لم ينته** عما هو فيه **لنسفعا بالناصية**
لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه
بشدة وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة
للعلم بانها ناصية المذكور **ناصية** بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب و
الخطأ بقوله **كاذبة خاطئة** على الاسناد المجازي فهما لصاحبها حقيقة وفيه
من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه سندع
الزبانية** النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم والمراد اهل النادي روي ان

ابا جهل مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا
فنزلت والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد
ملائكة العذاب وعنه عليه الصلوة والسلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية
عيانا **كلا** ردع لابي جهل **لا تطعه** اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه
كقوله فلا تطع المكذبين **واسجد** دم على سجودك يريد الصلوة **واقترب**
وتقرب الى ربك بالسجود فان اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا في
الحديث

انا انزلناه في ليلة القدر عظم القرآن حيث اسند انزاله اليه دون غيره
دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي
انزل فيه روي انه انزل فيه جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء
الدنيا ثم كان ينزله جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ثلث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها و
القدر بمعنى التقدير او سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وهي
ليلة السابع والعشرين وكذا روى ابو حنيفة عن عاصم عن زر ان ابي بن
كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه
الجمهور ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها احياء الليالي الكثيرة
طلبا لموافقتها واخفاؤها كاخفاء الوسطى واسم الاعظم وساعة الاجابة
في يوم الجمعة ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي وفي الحديث من
ادركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني **وما ادريك ما ليلة
القدر** اي ولم يبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله **ليلة
القدر خير من الف شهر** ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه
الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في
تخصيص هذه المدة ان النبي عليه الصلوة والسلام ذكر رجلا من بني اسرائيل
لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم
اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي **تنزل الملائكة** الى السماء

الدنيا او الي الارض والروح جبرئيل عليه السلام او خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة
الا تلك الليلة او الرحمة فيها باذن ربهم من كل امر اي تنزل من اجل كل امر
قضاه الله لتلك السنة الي قابل وعليه وقف سلام هي ما هي الا سلامة خبر ومبتدأ
اي لا يقدر فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام
لكثرة ما يسلمون علي المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في
تلك الليلة هي حتي مطلع الفجر اي وقت طلوع الفجر وبكسر اللام علي وخلف و
قد حرم من السلام الذين كفروا

لم يكن الذين كفروا بمحمد صلي الله عليه وسلم من اهل الكتاب اي اليهود و
النصاري فاهل الرجل اخص الناس به واهل الاسلام من يدين به والمشركين
عبدة الاصنام منفكين منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين يدل
عليه حتي تاتيهم البينة الحجة الواضحة والمراد محمد صلي الله عليه وسلم يقول لم
يتركوا كفرهم حتي بعث محمد صلي الله عليه وسلم فلما بعث اسلم بعض وثبت علي
الكفر بعض رسول من الله اي محمد عليه الصلوة والسلام وهو بدل من البينة
يتلوا يقرأ عليهم صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها في المصحف كتب مكتوبات
قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءتهم البينة فمنهم من انكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وانما
افرد اهل الكتاب بعد ما جمع اولا بينهم وبين المشركين لانهم كانوا علي علم به
لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا
الوصف وما امروا بما في التورية والانجيل الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
من غير شرك ونفاق حنفاء مؤمنين بجميع الرسل عليهم السلام مائلين عن
الاديان الباطلة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة اي
دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية ونافع يهمزهما والقراء علي التخفيف والنبي والبرية
مما استمر الاستعمال علي تخفيفه ورفض الاصل جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن اقامة تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم

بقبول اعمالهم ورضوا عنه بثوابها ذلك اي الرضا لمن خشي ربه وقوله
خير البرية وقيل اشتقاقها من البري وهو التراب ولو كان كذلك لما قرأوا
البرئية بالهمز كذا قال الزجاج

اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت زلزالها الشديد الذي ليس بعده و
قرئ بفتح الزاء فالمكسور مصدر والمفتوح اسم واخرجت الارض اثقالها
كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما في جوفها من الدفائن
اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما
في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون
ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل
هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث اي تحدث الخلق
اخبارها فحذف اول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق
قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفي الحديث يشهد علي كل احد
بما عمل علي ظهرها بان ربك اوحي لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها
اي اليها وامره اياها يومئذ يصدر الناس يصدرون عن مخارجهم من القبور
الي الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون
من الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا اعمالهم اي جزاء اعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة نملة صغيرة خيرا تمييز يره اي جزاءه ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره قيل هذا في الكفار والاول في المؤمنين ويحكي ان اعرابيا اخر
خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشي او قفاها فانه كلا
جانبي هرشي لهن طريق وروي ان جد الفرزدق اتاه عليه الصلوة والسلام
ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبي حسبي وهي احكم آية وسميت الجامعة

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا
عدون وعن ابن عباس رضي الله عنه انه حكاه فقال اح اح وانتصاب ضبحا علي

يضبحن ضبحا فالموريات تورى نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قدحا
قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار يقول
قدح فاوري وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب ضبحا فالمغيرات يغير
على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن في ذلك الوقت غبارا
فوسطن به بذلك الوقت جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل
الضمير لمكان الغارة او للعدو الذي دل عليه والعاديات وعطف فاثرن
على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون فاورين
فاغرن فاثرن وجواب القسم ان الانسان لربه لكنود لكفور اي انه لنعمة
ربه خصوصا لشديد الكفران وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد
يشهد على نفسه او وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد وانه لحب الخير
لشديد وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك او وانه لحب المال لقوي وهو لحب
عبادة الله ضعيف افلا يعلم الانسان اذا بعثر بعث ما في القبور من
الموتى وما بمعنى من وحصل ما في الصدور ميز ما فيها من الخير والشر ان
ربهم بهم يومئذ لخبير لعالم فيجازيهم على اعمالهم من الخير والشر وخص
يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ

القارعة مبتدأ ما مبتدأ ثان القارعة خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وكان
حقه ما هي وانما كرر تفخيما لشانها وما ادريك ما القارعة اي اعلمك اي شيء
ومن اين علمت ذلك يوم نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف
والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمي
فراشا لتفرشه وانتشاره وتكون الجبال كالعهن المنفوش وشبه الجبال
بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها فاما من ثقلت موازينه
باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او
جمع ميزان وثقلها رجحانها فهو في عيشة راضية ذات رضى او مرضية واما من

خفت موازينه باتباعهم الباطل فامه هاوية فمسكنه وماواه النار وقيل
للماوي ام على التشبيه لان الام ماوي الولد ومفزعه وما ادريك ما هيه
الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسر فقال نار حامية بلغت النهاية
في الحرارة

الهيكم التكاثر شغلكم التباري في الكثرة والتباهي بها في الاموال و
الاولاد من طاعة الله حتى زرتم المقابر حتى ادرككم الموت على الحال
او حتى زرتم المقابر وعددتم من في المقابر من موتاكم كلا ردع وتنبيه
على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف
تعلمون عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه ثم كلا سوف تعلمون في القبر
كلا تكرير الردع للانذار والتخويف لو تعلمون جواب لو محذوف اي لو تعلمون
ما بين ايديكم علم اليقين علم الامر اليقين كعلمكم ما تستيقنونه من
الامور لما الهاكم التكاثر او لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة لترون
الجحيم وهو جواب قسم محذوف لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامي وعلي
ثم لترونها كرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل
والاول بالقلب والثاني بالعين عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
وخالصه ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عن الامن والصحة فيم افنيتموها
عن ابن مسعود رضي الله عنه وقيل عن النعيم الذي شغلكم الالتذاذ به عن
الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤويه وثوب وكسرة تقويه وقد روي
مرفوعا

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة
العصر في مصحف حفصة رضي الله عنها ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت
الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي
كما اقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما فيه من
اصناف العجايب وجواب القسم ان الانسان لفي خسر اي جنس الانسان لفي
خسر في تجاراتهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة

بالدنيا فرحوا وسعدوا **وتواصوا بالحق** بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره
وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله **وتواصوا**
بالصبر عن المعاصي وعلي الطاعات وعلي ما يبلو الله به عباده وتواصوا
في الموضعين فعل ماض معطوف علي ماض قبله

ويل مبتدأ خبره **لكل همزة** اي الذي يعيب الناس من خلفهم **لمزة** اي من
يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل علي ان ذلك عادة منه قيل نزلت في الاخنس
بن شريق وكانت عادته الغيب والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل
في الوليد ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر
ذلك القبيح **الذي** بدل من كل او نصب علي الذم **جمع مالا** جمع شامي وحمزة وعلي
مبالغة جمع وهو مطابق لقوله **وعدده** اي جعله عدة لحوادث الدهر
يحسب ان ماله اخلده اي تركه خالدا في الدنيا لا يموت او هو تعريض بالعمل
الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا
فيه **كلا** ردع له عن حسبانه **لينبذن** اي الذي **في الحطمة** في النار التي
من شانها ان يحطم كل ما يلقي فيها **وما ادريك ما الحطمة** تعجيب وتعظيم
نار الله خبر مبتدا محذوف اي هي نار الله **الموقدة** نعتها **التي تطلع علي**
الافئدة يعني انها تدخل في اجوافهم حتي يصل الي صدورهم وتطلع علي
افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد
ولا اشد تالما منه باد ني اذي يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت
وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقايد الفاسدة ومعني اطلاع
النار عليها انها تشتمل عليها **انها عليهم** اي النار او الحطمة **موصدة**
مطبقة **في عمد** بضمتين كوفي غير حفص الباقون في عمد وهما لغتان في جمع
عماد كاهاب واهب وحماد وحمر **ممددة** اي توصد عليهم الابواب وتمدد
علي الابواب العمد استيثاقا في استيثاق في الحديث المؤمن كيس فطن وقاف
متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة حطمة كحاطب الليل لا يبالي من اين
اكتسب وفيما انفق

الم تر كيف فعل ربك كيف في موضع نصب بفعل لا بالم تر لما في كيف من معني
الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولي الم تر وفي الم تر تعجيب اي عجب الله نبيه
من كفر العرب وقد شاهدت العرب هذه العظيمة من ايات الله والمعني انك رايت
اثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة
باصحاب الفيل روي ان ابرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بني كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل
من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا
فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج ومعه فيل اسمه محمود و
كان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب و
عرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابي وعباء جيشه وقدم الفيل وكانوا
كلما وجهوه الي الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الي اليمن هرول فارسل طيرا
مع كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة
فكان الحجر يقع علي راس الرجل فيخرج من دبره وعلي كل حجر اسم من يقع عليه
ففروا وهلكوا وما مات ابرهة حتي انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره
ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتي بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع
عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروي ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير
فخرج اليه فيها فعظم في عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش
وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال
فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك و
دين ابائك وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب
الابل وللبيت رب سيمنعه **الم يجعل كيدهم في تضليل** في تضييع و
ابطال فقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضايعا وقيل لامرء القيس الملك الضليل
لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس ليصرفوا
وجوه الحاج اليه فضلل عليهم كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه
فضلل بارسال الطير عليهم **وارسل عليهم طيرا ابابيل** حزايق الواحدة
ابالة قال الزجاج اي جماعات من ههنا وجماعات من ههنا **ترميهم** وقرا ابو
حنيفة رضي الله عنه يرميهم اي الله تعالي او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث

على المعنى **بحجارة من سجيل** هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور اي الآجر
فجعلهم كعصف مأكول زرع اكله الدود

لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم
الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط اي ان نعم الله عليهم
لا تحصى فان لم تعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة
او بما قبله اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعني ان ذلك الاتلاف لهذا
الايلاف وهذا كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا
لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وروي عن الكسائي ترك
التسمية بينهما والمعنى ان اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك
فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم الامن في رحلتهم فلا يجترئ احد عليهم
وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش لإلاف قريش شامي اي المؤالفة قريش يقال
الفته الفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة
عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموا
بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا
كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد **ايلافهم رحلة الشتاء والصيف**
اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا
لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به واراد رحلتي الشتاء و
الصيف فافرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى
اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم
اهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم **فليعبدوا رب هذا البيت
الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** والتنكير في جوع وخوف لشدتهما
يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم
وهو خوف اصحاب الفيل وخوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد
اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا
يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه الصلوة والسلام

ارايت الذي يكذب بالدين اي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان
لم تعرفه **فذلك الذي** يكذب بالجزاء هو الذي **يدع اليتيم** اي يدفعه دفعا
عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة **ولا يحض على طعام
المسكين** ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع
المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف اي لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي
الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه دل انه مكذب ثم وصل به قوله
**فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن و
يمنعون الماعون** يعني بهذا المنافقين اي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون
وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون انفسهم
في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلوتهم لانهم لا يريدون بها قربة
الى ربهم ولا تاديه لفرض فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون
ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرايض ويمنعون الزكوة وما فيه منفعة و
عن انس والحسن رضي الله عنهما الحمد لله الذي قال عن صلوتهم ولم يقل في صلوتهم
لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وكذلك
فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث
نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له
السهو في صلوته فضلا عن غيره والمراءاة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري
الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار
الفرايض فمن حقها الاعلان بها لقوله عليه الصلوة والسلام ولا غمة في فرائض
الله والاخفاء في التطوع اولى فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون
الزكوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاورون في العادة من الفاس و
القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عايشة رضي الله عنها الماء والنار و
الملح

انا اعطيناك الكوثر هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في
الجنة احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد

حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الخير
الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير
فصل لربك فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك عن
منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله **وانحر** لوجهه وباسمه
اذا نحرت مخالفا لعبدة الاوثان في النحر لها **ان شانئك هو** ان من ابغضك
من قومك لمخالفتك لهم **هو الابتر** المنقطع عن كل خير لا انت لان كل من
يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على
المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك
ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر انما الابتر هو شانئك
المنسي في الدنيا والآخرة قيل نزلت في العاص بن وايل وقد سماه الابتر والابتر
الذي لا عقب له وهو خبر ان وهو فصل

قل يا ايها الكافرون المخاطبون كفرة مخصوصون علم الله انهم لا يؤمنون
روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد
الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا
فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام
وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فايسوا **لا اعبد ما تعبدون** اي لست
في حالي هذه عابدا ما تعبدون **ولا انتم عابدون ما اعبد** يعني الله
ولا انا عابد ما عبدتم ولا اعبد فيما استقبل ما عبدتم **ولا انتم** فيما
تستقبلون **عابدون ما اعبد** وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة اي
لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او ذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح
في الاول وصح في الثاني ما بمعنى الذي **لكم دينكم ولي دين** لكم شرككم ولي
توحيدي وبفتح اليا حفص وروي ان ابن مسعود دخل المسجد والنبي عليه
الصلوة والسلام جالس فقال له نابذ يا ابن مسعود فقرأ قل يا ايها الكافرون
ثم قال له في الركعة الثانية اخلص فقرأ قل هو الله احد فلما سلم قال يا ابن مسعود
سل تجب

اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة
وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنا في حجة الوداع **جاء نصر الله والفتح**
النصر الاغاثة والاظهار على العدو والفتح فتح مكة البلاد والمعنى نصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة او جنس نصر الله للمؤمنين
وفتح بلاد الشرك عليهم **ورايت الناس يدخلون** هو حال من الناس على
ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت **في دين الله**
افواجا هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح اي اذا جاء نصر الله اياك
على من ناواك وفتح البلاد ورأيت اهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات
كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين واثنين **فسبح بحمد ربك**
فقل سبحان الله حامدا له او فصل له **واستغفره** تواضعا وهضما للنفس او دم
على الاستغفار **انه كان** لم يزل **توابا** وروي ان عمر رضي الله عنه لما
سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش عليه الصلوة والسلام بعدها
سنتين

تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة
من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى
الله عليه وسلم **وتب** وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك الجملة
كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل فالاول دعاء والثاني
خبر كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل وقد دل
عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روي انه لما نزل وانذر عشيرتك
الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال
يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا
فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم فاسمه عبد العزى
ولان ماله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ابي لهب مكي **ما اغنى عنه ماله**
ما للنفي **وما كسب** مرفوع وما موصولة او مصدرية اي ومكسوبه او وكسبه اي لم
ينفعه ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف

وعن ابن عباس رضي الله عنه ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما
يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي **سيصلي** سيدخل
البرجمي عن ابي بكر والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخي وقته **نارا**
ذات لهب توقد **وامرأته** هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان **حمالة الحطب**
كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلي
الله عليه وسلم وقيل كانت بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب
عاصم حمالة علي الشتم وانا احب هذه القراءة وقد توسل الي رسول الله بجميل من
احب شتم ام جميل وعلي هذا يسوغ الوقف علي امرأته لانها عطف علي الضمير في سيصلي
اي سيصلي هو وامرأته والتقدير اعني حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب علي انها
خبر وامرأته او هي حمالة **في جيدها حبل من مسد** حال او خبر آخر والمسد الذي
الذي حبل من الجبال فتل لاسد يدا من ليف كان او جلد او غيرهما والمعنى في
جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها
في جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا بصورة بعض الحطابات لتجزع
من ذلك ويجزع بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة

قل هو الله احد هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق
كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له ومحل هو الرفع علي الابتدا والخبر
الجملة ولا يحتاج الي الراجع لانها في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا
في المعني وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد
ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان علي معنيين مختلفين فلا بد مما يصل وعن ابن
عباس رضي الله عنه قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت
يعني الذي سألتموني وصفه هو الله واحد وعلي هذا احد خبر مبتدا محذوف اي
هو احد وهو بمعني واحد واصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل علي
انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما ان يكون كافيا في تدبير العالم وتخليقه او
لا يكون فان كان كافيا كان الآخر ضايعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص
لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضي احتياج المفعول الي

فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد اولي من عدد فيفضي
ذلك الي وجود اعداد لا نهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان
احدهما اما ان يقدر علي ان يستر شيئا من افعاله عن الآخر او لا يقدر فان قدر
لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما
ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما علي ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا و
العاجز لا يكون الها وان قدر احدهما دون الآخر فالآخر لا يكون الها وان قدرا
جميعا فاما ان يوجد بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الي اعانة فيكون
كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما علي ايجاده بالاستقلال فاذا
اوجده احدهما فاما ان يبقي الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال
وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا لقدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا
تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدورا بنفسه فقد
زالت قدرته فيلزمكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد
اذا اوجد مقدوره بنفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا
واما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الغير فكان ذلك
تعجيزا **الله الصمد** هو فعل بمعني مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود
اليه في الحوائج والمعني هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض
وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون
عنه وهو الغني عنهم **لم يلد** لانه لا يجانس حتي يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد
وقد دل علي هذا المعني بقوله اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة لان كل مولود
محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم
الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الي محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي
الي التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من ان يتصف
كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين
او غير متصف بها بل باضدادها وهي من سمات الحدوث وهو محال **ولم يولد**
ولم يولد ولم يكن له ولم يكافئه احد اي لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فاوحي
اليه ما يحتوي علي صفاته تعالي وتقدس فقوله هو الله اشارة الي انه خالق الاشياء
وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم

كفوا احد

لكونه واقعاً على غاية احكام واتساق وانتظام وفي طي ذلك وصفه بانه
حي لان المتصف بالقدرة والعلم لابد ان يكون حياً وفي طي ذلك وصفه
بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن
موصوفاً بها لكان موصوفاً باضدادها وهي نقايص وذا من امارات الحدث
فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشريك
وبانه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد
وصف بانه ليس الا محتاجاً اليه واذا لم يكن الا محتاجاً اليه فهو غني لا يحتاج
الى احد ويحتاج اليه كل احد وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله
لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفواً احد نفي ان يماثله
شيء ومن زعم ان نفي الكفو وهو المثل في الماضي لا يدل على نفيه في الحال والكفار
يدعونه في الحال فقد تاه في غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة
اذ الحادث لا يكون كفواً للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك و
التشبيه والتعطيل والسورة يدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم
الظرف اذا كان مستقراً اي جزءاً لانه لما كان محتاجاً اليه قدم ليعلم من
اول الامر انه خبر لا فضلة وتاخيره اذا كان لغواً اي فضلة لان التاخير
مستحق للفضلات وانما قدم في الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفي
المكافاة عن ذات الباري وهذا المعنى مصبه ومركزه هذا الظرف فكان
الاهم تقديمه وكان ابو عمرو يستحب الوقف على احد ولا يستحب الوصل قال
عبد الوارث على هذا ادركنا القراءة واذا فصل نون وكسر او حذف التنوين
كقراءة عزير بن الله كفواً بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفواً مثقلة غير
مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفي الحديث من قرا سورة الاخلاص
فقد قرا ثلث القرآن لان القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر
والنواهي وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة تجردت للتوحيد فقد
تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك و
العلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله و
صفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم
احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين

من

من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله عليه الصلوة والسلام
رجلاً يقرا قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال
وجبت له الجنة

قل اعوذ برب الفلق اي الصبح او الخلق او واد في جهنم او جب فيها
من شر ما خلق اي النار او الشيطان وما موصولة والعائد محذوف
او مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه
من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتاويل المصدر في موضع الجر بدل
من شر اي من شر خلقه اي من خلق شراً او زائدة ومن شر غاسق اذا وقب
الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ومن
شر النفاثات في العقد النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر
اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع
ريق وهو دليل على بطلان قول في انكار تحقق السحر وظهور اثره ومن شر
حاسد اذا حسد اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهره فلا ضرر يعود
منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف
على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من
من شر ما خلق اشعار بان شر هؤلاء اشد وختم بالحسد ليعلم انه شرها
وهو اول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما
عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت
النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض
دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محموداً كالحسد
في الخيرات

قل اعوذ برب الناس اي مربيهم ومصلحهم ملك الناس مالكهم ومدبر
امورهم اله الناس معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة
لان قوله ملك الناس اله الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب
الناس وملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان

للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار وانما اضيف الرب الي الناس
خاصة وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر
الموسوس الي الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم
وقيل المراد بالناس الاول الاطفال ومعني الربوبية يدل عليه وبالثاني
الشبان ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ و
لفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحون اذ الشيطان
مولع باغوائهم وبالخامس المفسدون لعطفه على المعوذ منه مِن شَرِّ
الْوَسْوَاسِ هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعني الزلزلة واما المصدر
فوِسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه
وسوسة في نفسه لانها شغلة التي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس
الوسوسة الصوت الخفي الْخَنَّاسِ الذي عادته ان يخنس منسوب الي
الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير
اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولي واذا غفل رجع ووسوس
اليه الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ في محل الجر على الصفة او الرفع
او النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس مِنَ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني و
انسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال
لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روي انه عليه الصلوة والسلام
سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال احدهما لصاحبه ما باله فقال
طب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال
بمشط ومشاطة في خف طلعة راعوفة في بئر ذي اروان فانتبه النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا
ماء البئر واخرجوا الخف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان من مشطه
واذا فيه وتر معقد فيه احدي عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان
السورتان فكلما قراء عليه الصلوة والسلام اية انحلت عقدة حتي قام
عليه الصلوة والسلام عند انحلال العقدة الاخيرة كما انشط من عقال
وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل

داء يؤذيك فلهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله
عليه الصلوة والسلام لا بما كان بالسريانية والعبرية والهندية فانه
لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن
سيئات اعمالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه
ارسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الانام ومفاتيح دار السلام

تم وبالخير عم والحمد لله رب
العالمين آمين